تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

□ تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

تأليف : الإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

تحقيق : مجموعة من الباحثين – بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية

الطبعة المحققة الأولى : ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر

ص.ب ٤٢٢ الدوحة

البريد الإلكتروني : turathuna@islam.gov.qa





تفسير ابن عطيّة

المحرّر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمّد عبد الحقّ بن عطيّة الأندلسيّ

تحقيق

مجموعة من الباحثين

بإشراف

إدارة الشّؤون الإسلاميّة

الجزء السّادس

من أوّل تفسير سورة النّحل حتّى نهاية سورة الأنبياء

إصدارات

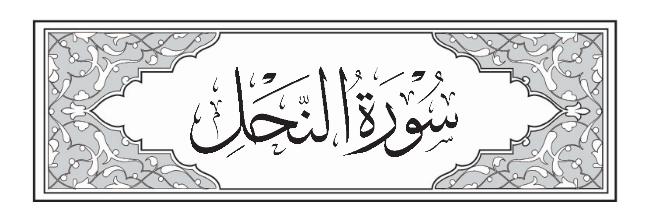
وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة

إدارة الشّؤون الإسلاميّة

بتمويل الإدارة العامّة للأوقاف

دولة قطر


بسم الله الرحمن الرحيم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النَّحل

هذه السورة كانت تسمى سورة النِّعَم بسبب ما عدد الله فيها من نِعَمه على عباده.

وهي مكية غير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟﴾ [النحل: ١٢٦]، نزلت بالمدينة في شأن التمثيل بحمزة وقتلى أُحد[1]، وغير قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، وغير قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ [النحل: ١١٠]، وأما قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ [النحل: ٤١] فمكيٌّ في شأن هجرة الحبشة.

قوله عز وجل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾.

رُوي: أَن رسول الله ﷺ لمَّا قال جبريل عليه السلام في سرد الوحي: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وثب رسول الله ﷺ قائماً، فلما قال: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ سكن[2].

---

(١) سيأتي تخريجه في تفسير الآية (١٢٦) من هذه السورة.

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

وقوله: ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قال فيه جمهور المفسِّرين: إِنه يريد القيامة، وفيه وعيد للكفار، وقيل: المرادُ نصر محمد ﷺ، وقيل: المرادُ تعذيب كفار مكة بقتل محمد ﷺ لهم، وظهوره عليهم، ذكر نحو هذا النقاشُ عن ابن عباس[(١)].

وقيل: المراد فرائض الله وأَحكامه في عباده، وشرعه لهم، هذا هو قول الضحاك[(٢)]، ويُبعده قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾؛ لأَنَّا لا نعرف استعجالاً إِلَّا ثلاثة: اثنان منها للكفار وهي في القيامة وفي العذاب، والثالث للمؤمنين في النصر وظهور الإِسلام.

وقوله: ﴿أَتَىٰٓ﴾ ـ عَلَى هذا القول ـ إِخبارٌ عن إِتيان ما سيأتي، وصحَّ ذلك على جهة التأكيد، وإِذا كان الخبر حقّاً يُؤكَّد المستقبل بأَن يخرج في صيغة الماضي؛ أَي: كأَنه لوضوحه والثقة به قد وقع، ويحسن ذلك في خبر الله تعالى؛ لصدق وقوعه.

وقال قومٌ: ﴿أَتَىٰٓ﴾ بمعنى: قَرُبَ، وهذا نحو ما قلتُ، وإِنما يجوز الكلام بهذا عندي لمن يعلم قرينة التأكيد، ويفهم المجاز، وأَما إِن كان المخاطب لا يفهم / القرينة فلا يجوز وضع الماضي موضع المستقبل؛ لأَن ذلك يُفسدُ الخبر، ويوجبُ الكذب، وإِنما جاز في الشرط؛ لوضوح القرينة بـ(إِنْ)، ومن قال: إن الأَمر القيامة؛ قال: إِن قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [ردٌّ على المكذبين بالبعث القائلين: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [يونس: ٤٨]. [٣/ ١٢٨]

ومن قال: إن الأَمر تعذيبُ الكفار بنصر محمد ﷺ، وقتلِه لهم، قال إن قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾][(٣)] رد على القائلين: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، ونحوه من العذاب، أَو على مستبطئي النصر من المؤمنين في قراءَة من قرأَ بالتاءِ.

[وقرأَ الجمهور: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ بالتاء][(٤)] على مخاطبة المؤمنين، أَو على مخاطبة الكافرين، بمعنى: قُلْ لهم: فلا تستعجلوه.

(١) لم أَقف عليه مسنداً.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٦٢)، وتفسير السمعاني (٣/ ١٥٨).

(٣) ما بين المعكوفتين ليس في المطبوع.

(٤) في المطبوع والمصرية٢ وأحمد٣ بدل ذلك: «وهي قراءة الجمهور».

وقرأَ سعيد بن جبير بالياءِ[(١)] على غيبة المشركين.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿تُشْرِكُونَ﴾ بالتاءِ من فوق، وجميع الباقين قرأ ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالياءِ، ورجح الطبري القراءَة بالتاءِ من فوق في الحرفين[(٢)].

قال أَبو حاتم: قرأَ ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالياءِ من تحت في هذه والتي بعدها الأَعرجُ، وأَبو جعفر، ونافع، وأَبو عمرو، وابن نَصَّاح، والحسن، وأَبو رجاءٍ، وقرأَ عيسى الأُولى بالتاءِ من فوق، والثانية بالياءِ من أَسفل، وقرأَهما جميعاً بالتاءِ من فوق أَبو العالية، وطلحة، والأَعمش، وأَبو عبد الرحمن، ويحيى بن وثاب، والجحدري، وقد روى الأَصمعي عن نافع التاءَ في الأُولى[(٣)].

وقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ معناه: تنزيهاً له.

وحكى الطبري عن ابن جريج قال: لما نزلت: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ قال رجالٌ من الكفار: إِن هذا يزعم أَن أَمر الله قد أَتى، فأَمسكوا عما أَنتم بسبيله حتى ننظر، فلما لم يروا شيئاً عادوا، فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، فقالوا مثل ذلك، فنزلت: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: ٨][(٤)].

وقال أَبو بكر بن حفص[(٥)]: لمَّا نزلت: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ رفعوا رؤُوسهم، فنزلت: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في حجة القراءات لأبي زرعة (ص: ٣٨٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٦٤)، ويعني بالحرفين ﴿يشركون﴾ في الآية (١) والآية (٣).

(٣) قراءتهما بالتاء أو الياء سبعيتان، وتلفيق عيسى شاذ، عزاه الكرماني له في الشواذ (ص: ٢٦٨)، ورواية الأصمعي لم أجدها.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٦٢).

(٥) هو أبو بكر بن حفص بن عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني، واسمه عبد الله، روى عن: ابن عمر، وأنس، وعروة بن الزبير، وعنه: زيد بن أبي أنيسة، ومحمد بن سوقة، وشعبة، وكان ثقة. تاريخ الإسلام (٧/ ٥١٠).

وحكى الطبري عن أَبي صادق[١] أَنه قرأَ: (يا عبادي أَتى أَمْرُ الله فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ)[٢].

و﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ نصب على المصدر؛ أَي: تنزيهاً له.

وقرأَ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يُنَزِّلُ﴾، ورجحها الطبريُّ؛ لما فيها من التكثير، وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو بتخفيف الزاي مكسورة وسكون النون[٣].

وقرأَ ابن أَبي عبلة بالنون للعظمة وشدّ الزاي.

وقرأَ قتادة بالنون وتخفيف الزاي وسكون النون، وفي هذه والتي قبلها شذوذ كثير[٤].

وقرأَ أَبو بكر عن عاصم: (تُنَـزَّلُ الملائكةُ) بضم التاءِ وفتح النون والزاي وشدها، ورفع (الْمَلَائِكَةُ) على ما لم يُسَمَّ فاعله، وهي قراءَة الأَعمش[٥].

وقرأَ الجحدري بالتاءِ مضمومة وسكون النون وفتح الزاي[٦].

وقرأَ الحسن، وأَبو العالية، وعاصم الجحدري، والأَعرج بفتح التاءِ ورفع (الْمَلَائِكَةُ) على أَنها فاعلة، ورواها المفضل عن عاصم[٧].

---

(١) هو أبو صادق عبد الله بن ناجد الأزدي الكوفي، عن: أخيه ربيعة بن ناجد وغيره، وأرسل عن علي، وأبي هريرة، وعنه: سلمة بن كهيل، والحارث بن حصيرة، وشعيب بن الحبحاب، والقاسم بن الوليد الهمداني، وجماعة. تاريخ الإسلام (٦/ ٢٣٨).

(٢) انظرهما في تفسير الطبري (١٧/ ١٦٢)، وظاهره أن القول الثاني قراءة فتكون شاذة.

(٣) على قاعدتهما، انظر التيسير (ص/ ٦١)، وانظر ترجيح الطبري في التفسير (١٧/ ١٦٥).

(٤) انظر الثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٢٦٧)، ومع الأولى في البحر المحيط (٦/ ٥٠٣)، قال: وشذوذهما أن ما قبله وما بعده ضمير غيبة، ووجْهُه أنه التفات.

(٥) وهذه رواية الكسائي عن أبي بكر عن عاصم كما في السبعة (ص: ٣٧٠)، وطريق التيسير عنه هنا أنه كالجماعة، وإنما قرأ هكذا في (الحجر)، وانظر موافقة الأعمش له في البحر المحيط (٦/ ٥٠٣). وفي المصرية ٢: «أبو بكر بن عاصم»، وفي الأصل: «أبو عمرو».

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها له بالتاء في الشواذ للكرماني (ص: ٢٦٨)، وفي المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢ ونور العثمانية: «بالياء».

(٧) انظر عزوها للحسن والمفضل في الكامل للهذلي (ص: ٥٨٣)، ولهم إلا الجحدري في البحر =

و﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ هنا جبريل عليه السلام.

واختلف المتأَولون في (الرُّوح) فقال مجاهد: الروح: النبوة، وقال ابن عباس: الوحي[(١)]، وقال قتادة: بالرحمة والوحي[(٢)]، وقال الربيع بن أَنس: كل كلام الله روح[(٣)]، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال ابن جريج: الروح: شخص له صورة كصورة بني آدم، ما نزل جبريل قط إِلَّا وهو معه، وهم كثير، وهم ملائكة[(٤)]، وهذا قول ضعيف لم يأْت به سند.

وقال الزجاج: الروح: ما تحيا به القلوب من هداية الله تعالى لها[(٥)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول حسن، وكأَن اللَّفظة على جهة التشبيه بالمقايسة، [أَي: إِن هذا الذي أُمر الأَنبياءُ أَن ينذِروا به الناس من الدعاءِ إلى التوحيد هو بالمقايسة][(٦)] إِلى الأَوامر التي هي في الأَفعال والعبادات كالروح للجسد، أَلا ترى قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا﴾ [الأنعام: ١٢٢]؟

قال القاضي أبو محمد: و﴿مِنۡ﴾ في هذه الآية على هذا التأويل الذي قدرنا للتبعيض، وعلى سائر الأَقوال لبيان الجنس.

و﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾ هي للأَنبياءِ، و﴿أَنۡ﴾ في موضع خفض بدل من (الرُّوحِ)، ويصح أَن تكون في موضع نصب بإِسقاط الخافض، على تقدير: بأَن أَنذروا، ويحتمل أَن تكون مفسِّرة بمعنى: «أَيْ».

= المحيط (٦/ ٥٠٣)، وفي المطبوع والمصرية ٢: «وعاصم والجحدري» على العطف.

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٦٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر قول قتادة في تفسير الثعلبي (٦/ ٦)، ومع قول مجاهد في تفسير الطبري (١٧/ ١٦٦).

(٣) انظر قوله في تفسير الطبري (١٧/ ١٦٦)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٧٨)، وزاد في نجيبويه: «وأبو العالية»، ولم أجد من نقله عنه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٦٦).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٠)، ولفظ «لها» ليس في الأصل ونجيبويه.

(٦) ليس في الأصل والإماراتية.

وقرأ الأَعمش: (لِيُنْذِرُوا أنه)[(١)]، وحسنت النِّذارة هنا وإِن لم يكن في اللفظ ما فيه خوف من حيث كان المُنْذَرون كافرين بالأُلوهية، ففي ضمن أَمرهم مكان خوف، وفي ضمن الإِخبار بالوحدانية نهي عَمَّا كانوا عليه ووعيد.

ثم ذكر تعالى ما يقال للأَنبياءِ بالوحي على المعنى، ولم يذكره على لفظه؛ لأَنه لو ذكره على اللفظة لقال: أَنْ أَنذروا أَنه لا إله إلا الله، ولكنه إِنما ذكر ذلك على معناه، وهذا شائع في كل الأَقوال إِذا حكيت أَن تُحكَى على لفظها، أَو تحكى بالمعنى فقط.

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية: آية تنبيه على قدرة الله تعالى ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أَي: بالواجب اللائق، وذلك أَنها تدل على صفات يحق لمن كانت له أَن يخلق ويخترع ويعيد، وهي الحياة والعلم والقدرة والإِرادة النافذة، بخلاف شركائهم الذين لا يحق لهم شيءٌ من صفات الربوبية.

وقرأ الأَعمش بزيادة فاءِ: (فَتَعَالَى)[(٢)].

وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يراد بالإِنسان: الجنسُ، وأَخذ له الغايتين؛ ليظهر له البعد بينهما بقدرة الله، ويُروى أَن الآية نزلت لقول أُبيِّ بن خلف: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]؟[(٣)].

وقوله: ﴿خَصِيمٌ﴾ يحتمل أَن يريد به الكفرة الذين يختصمون في الله، ويجادلون في توحيده وشرعه، ذكره ابن سلام عن الحسن البصري[(٤)]، ويحتمل أَن يريد أَعم من هذا، على أَن الآية تعديد نعمة الذهن والبيان على البشر، ويظهر أَنها إِذ تقدر[(٥)] في خصام الكافرين ينضاف إِلى العبرة وعيد مَّا.

---

(١) نقلها في البحر المحيط (٦/ ٥٠٥) بلا نسبة، وهي شاذة، أو لعلها خطأ من قارئها أو سامعه.

(٢) وهي شاذة لمخالفة الرسم، انظر عزوها له في البحر المحيط (٦/ ٥٠٥).

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٥٣) من طريق مجاهد به مرسلًا.

(٤) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ١٧٩).

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «تقرر».

قوله عز وجل: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾.

(الأنعام): الإبل والبقر والغنم، / وأكثر ما يقال: نعَم وأَنعام للإِبل، ويقال للمجموع، ولا يقال للغنم مفردة. [٣/ ١٢٩]

ونصبها إِما عطفاً على ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾، وإِما بِفِعْل مقدر، وهو أَوْجَه.

و«الدِّفْءُ»: السَّخَانَةُ، وذهابُ البرد بالأَكسِيَة ونحوها، وذكر النحاسُ عن الأموي أنه قال: الدِّفْءُ في لغة بعضهم: تناسل الإِبل[١].

قال القاضي أبو محمد: وقد قال ابن عباس: نسْلُ كلِّ شيءٍ[٢].

قال ابن سيده: الدِّفء نِتاجُ الإبل وأوبارها والانتفاع بها[٣]، والمعنى الأول هو الصحيح.

وقرأَ الزهري، وأَبو جعفر: (دِفٌّ) بضم الفاءِ وشدها وتنوينها[٤].

و«المَنَافِع»: أَلبانُها وما تصرَّف منها، ودهونُها وحرثُها والنضحُ عليها، وغير ذلك، ثم ذكر الأَكْل الذي هو من جميعها.

(١) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٤)، ولفظه: نِتاج الإبل، ومثله في مقاييس اللغة (٢/ ٢٨٧).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ١٦٨) من طريق سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به. ورواية سماك عن عكرمة مضطربة.

(٣) هذا القول ليس في المطبوع والمصرية١ والمصرية٢، وانظر: المخصص لابن سيده (٢/ ٢١٧).

(٤) وهي شاذة ليست من طرق النشر، انظر عزوها للزهري ورواية العامري والهاشمي عن أبي جعفر في الشواذ للكرماني (ص: ٢٦٨).

وقوله: ﴿جَمَالٌ﴾؛ أي: في المنظر[١].

و﴿تُرِيحُونَ﴾ معناه: حين تردُّونها وقت الرَّواح إِلى المنازل، فتأتي بِطاءً ممتلئةَ الضُّروع.

و﴿تَسۡرَحُونَ﴾ معناه: تخرجونها غدوة إِلى السَّرح، تقول: سَرَحْتُ السائمةَ: إِذا أَرسلتَها تسرح، فسرحَت هي، كرَجَع ورجَعْتُه، وهذا الجمَالُ لمالكها ولـمُحِبِّيه وعلى حسدته، وهذا في المعنى كقوله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[الكهف: ٤٦].

وقرأَ عكرمة، والضحاك: (حيناً تُريحُونَ وحيناً تسْرَحونَ)[٢]، وقرأَت فرقة: (حيناً تَرتحون)[٣].

قال القاضي أبو محمد: [وهي ضعيفة][٤]، وأَظنها تصحيفاً.

و«الأَثْقَالُ»: الأَمتعة، وقيل[٥]: المراد هنا الأجسام، كقوله تعالى: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]؛ أَي: بني آدم.

قال القاضي أبو محمد: واللفظ يحتمل المعنيين، قال النقاش: ومنه سمِّي الإِنس والجن الثَّقَلَين[٦].

وقوله: ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾؛ أَي: إِلى أَيِّ بلدٍ توجهتم بحسب اختلاف أَغراض الناس، وقال عكرمة، وابن عباس[٧]، والربيع بن أَنس: المراد مكة[٨].

وفي الآية على هذا حضٌّ ما[٩] على الحج.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «في النظر».

(٢) وهي شاذة. انظر عزوها لهما في مختصر الشواذ (ص: ٧٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٦٨).

(٣) في المطبوع والمصرية١: «تَريحون» بالياء، وفتح تاء المضارعة.

(٤) ليس في الأصل.

(٥) ليس في الأصل.

(٦) لم أجده.

(٧) انظر عزو هذا التفسير لابن عباس رضي الله عنهما في الدر المنثور للسيوطي (٥/ ١١٠).

(٨) تفسير الطبري (١٧/ ١٧٠).

(٩) «ما»: من المطبوع والمصرية٢ ونجيبويه.

و«الشِّقُّ»: المشقَّة، ومنه قول الشاعر:

وذي إِبـلٍ يَسْـعَى ويحْسِـبُهَا لَـهُ أَخي نَصَبٍ من شِقِّهَا ودؤُوبِ[١] [الطويل]

أَي: من مَشقَّتها، ويقال فيها: شِقٌّ وشَقٌّ؛ أَي: مَشقَّة.

وقرأَ أَبو جعفر القارئ، وعمرو بن ميمون، وابن أَرقم، ومجاهد، والأَعرج: ﴿بشَقِّ الأنفس﴾ بفتح الشين، ورويت عن نافع، وأَبي عمرو[٢].

وذهب الفراءُ إِلى أَن معنى ﴿بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾؛ أَي: بذهاب نصفها[٣]، كأَنها قد ذابت تعَباً ونصَباً.

قال القاضي أَبو محمد: كما تقول لرجل: لا تَقْدرُ على كذا إِلَّا بذهاب جُلِّ نفسك، وبقطعة من كبِدِك[٤]، ونحو هذا من المجاز، وذهبوا في فتح الشين إِلى أَنه مصدر: شقَّ يَشُقُّ.

ثم أَوجب رأفة الله ورحمته في هذه النعم التي أَذهبت المشقات ورفعت الكلف.

وقوله: ﴿وَٱلْخَيْلَ﴾ عطف؛ أَي: وخَلَق الخيلَ.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (والخيلُ والبغالُ والحميرُ) بالرفع في كلها[٥]، وسميت الخيل خيلاً؛ لاختيالها في المشية، أَفهمه أَعرابي لأَبي عمرو بن العلاءِ[٦].

وقوله: ﴿وَزِينَةً﴾ نصبت بإِضمار فعل، قيل[٧] تقديره: وجعلناها زينةً.

---

(١) البيت للنَّمر بن تولب، عزاه له أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٣٥٦) والثعلبي في تفسيره (٦/ ٧).

(٢) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٠٢)، وعزاها لهما في الكامل (ص: ٥٨٣) لمحبوب، وخارجة عن أبي عمرو، ولحمّاد بن بحر عن المسيّبي عن نافع في جامع البيان (٣/ ١٢٧٠)، ولأكثر الباقين في المحتسب (٢/ ٧)، وليست من طرق التيسير.

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٩٧).

(٤) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «من كبد لك».

(٥) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٢٦٨).

(٦) تفسير السمعاني (٣/ ١٦٠).

(٧) «قيل» زيادة من الأصل.

وقرأَ أَبو عياض: (لتركبوها زينةً) دون واو[١]، والنصب حينئذ على الحال من الهاءِ في (تَرْكَبُوهَا).

وقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عبرة منصوبة على العموم؛ أَي: إن مخلوقات الله تعالى من الحيوان وغيره لا يُحيط بعلمها بشر، بل ما يخفى عنه أَكثر مما يُعْلم، وقد روي أَن الله تعالى خلق أَلف نوع من الحيوان، منها في البرِّ أَربع مئة، وبثَّها بأَعيانها في البحر، وزاد فيه مئتين ليست في البر[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وكل من خصَّص في تفسير[٣] هذه الآية شيئاً ـ كقول من قال: سُوس الثياب وغير ذلك ـ فإنما هو على جهة المثال، لا أَن ما ذكره هو المقصود في نفسه.

وقال الطبري: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ هو ما أُعدَّ في الجنة لأَهلها، وفي النار لأَهلها، مما لم تره عين، ولا سمعته أُذن، ولا خطر على قلب بشر[٤].

واحتج بهذه الآية مالك رحمه الله ومن ذهب مذهبه في كراهة لحوم الخيل والبغال والحمير، أو تحريمها بحسب الاختلاف في ذلك[٥]، وذكره الطبري عن ابن عباس، قال ابن جبير: سُئل ابن عباس عن لحوم الخيل والبغال والحمير فكرهها فاحتج

---

(١) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٨)، والهداية لمكي (٦/ ٣٩٥٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤٨).

(٢) منكر، أخرجه ابن عدي في كامله (٥/ ٣٥٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً به، وفي إسناده عبيد بن واقد القيسي، عن محمد بن عيسى الهذلي، فأما عبيد فهو ضعيف الحديث، انظر: تهذيب الكمال (١٩/ ٢٤٥)، وأما شيخه محمد بن عيسى الهذلي، فقال فيه البخاري: منكر الحديث. انظر كامل ابن عدي (٦/ ٢٤٥).

(٣) ليست في المطبوع، وهي في أحمد٣ ملحقة في الهامش.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٧٤).

(٥) انظر احتجاج مالك ومن قال بقوله بالآية على ما ذهبوا إليه في لحوم الخيل والبغال والحمير في: الاستذكار (٥/ ٢٩٦-٢٩٧).

بهذه الآية، وقال: جعل الله الأنعام للأَكل، وهذه للركوب[١]، وكان الحكم بن عُتَيبة يقول: الخيل والبغال والحمير حرام في كتاب الله، ويحتج بهذه الآية[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذه الحجة غير لازمة عند جماعة من العلماءِ، قالوا: إِنما ذكر الله تعالى عُظْمَ منافع الأَنعام، وذكر عُظْمَ منافع هذه، وأَهمَّ ما فيها، وليس يقضي ذلك بأَن ما ذكره لهذه لا تدخل هذه فيه.

قال الطبري: وفي إِجماعهم على جواز ركوب ما ذكر للأَكل دليل على جواز أَكل ما ذكر للركوب[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا نظر، ولحوم الخيل عند كثير من العلماءِ حلال[٤]، وفي جواز أَكلها حديث أَسماءَ بنت أَبي بكر[٥]، وحديث جابر بن عبد الله: كنا نأكلُ الخيلَ في عهد النبي ﷺ[٦].

قال القاضي أبو محمد: والبغال والحمير مكروهة عند الجمهور، وهو تحقيق مذهب مالك[٧]، وحُجَّة من أَلْحَق الخيل بالبغال والحمير في الكراهية القياسُ؛ إِذ قد

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ١٧٣) من طريق ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن، وهو ضعيف الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٦٢٢).

(٢) هو الحكم بن عتيبة تقدم التعريف به، وفي المطبوع ونور العثمانية: «عيينة»، انظر نسبة القول له في تفسير الطبري (١٧/ ١٧٣).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ١٧٣-١٧٤).

(٤) منهم الإمام أحمد والليث وابن المبارك وأبو ثور وجماعة من التابعين، كما في المغني (٩/ ٣٢٦).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥١٩١)، ومسلم (١٩٤٢) من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه مسلم (١٩٤١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ: أكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش، الحديث.

(٧) لعل مقصوده بالكراهة التحريم. انظر: الاستذكار (٥/ ٢٩٦)، والشرح الكبير لابن أبي عمر (١١/ ٦٤).

تشابهت وفارقت الأَنعام في أَنها لا تجْتَـرُّ، وأَنها ذوات حوافر، وأَنها لا أَكراش لها، وأَنها متداخلة في النسل؛ إِذ البغال بين الخيل والحمير، فهذا من جهة النظر، وأَما من جهة الشرع فإِنها قرنت في هذه الآية، وأُسقطت فيها الزكاة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ الآية، هذا أَيضاً من أَجَلِّ نعم الله تعالى؛ أَي: على الله تقويم طريق الهدى وتبيينه، وذلك بنَصْب الأَدلة وبعث الرسل، وإِلى هذا ذهب المتأَوِّلون، ويحتمل أَن يكون المعنى: إِن من سلك السبيل القاصد فعلى الله ورحمتِه وتنعيمه طريقُه[٢]، وإِلى ذلك مصيره، فيكون هذا مثلَ قوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾ [الحجر: ٤١]، وضدَّ[٣] قول النبي ﷺ: «والشَّرُّ ليس إِليك»[٤]؛ أَي: لا يُفضي إِلى رحمتك، وطَريقٌ قاصدٌ معناه: بيِّن مستقيم قريب، ومنه قول الراجز:

[الرجز] فَصَدَّ عنْ نَهْجِ الطَّرِيقِ الْقَاصِدِ[٥] ....

والأَلف واللام في ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ للعهد، وهي سبيل الشرع، وليست للجنس، ولو كانت للجنس لم يكن فيها جائر.

قوله: ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٌ﴾ يريد طريق اليهود والنصارى وغيرهم كعبدة الأَصنام، والضمير في (منْهَا) يعود على السُّبُل / التي تضمنها معنى الآية، كأَنه قال: ومن السُّبُل[٦] جائر، فأَعاد عليها وإِن كان لم يَجْر لها ذكر؛ لِتَضَمُّن لفظة ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ بالمعنى لها، ويحتمل أَن يعود الضمير في (مِنْهَا) على سبيل الشرع المذكورة، وتكون «مِنْ» [٣/ ١٣٠]

(١) انظر احتجاجهم في: الاستذكار (٥/ ٢٩٦-٢٩٧)، وبداية المجتهد (١/ ٤٧٠)، وفي الأصل والإماراتية ونجيبويه: «فإن قرنت»، وكذا في نور العثمانية، وفيها وفي أحمد٣: «وإن أسقطت».

(٢) في المطبوع: «فعلى الله رحمتُه ونعيمه وطريقه».

(٣) ليست كلمة «ضد» في المطبوع والمصرية٢.

(٤) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٥) تقدم في تفسير الفاتحة، بلفظ: (عن نهج الصراط).

(٦) في الأصل والمصرية١: «السبيل» بالإفراد في الموضعين.

للتبعيض، ويكون المراد فِرَق الضلالة من أُمة محمد ﷺ، كأَنه قال: ومنْ بُنَيات[1] الطرق في هذه السبيل ومن شُعَبها جائر.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ معناه: لَخَلق الهداية في قلوب جميعكم، ولم يَضل أَحد، وقال الزَّجاج: معناه: لو شاءَ لعرض عليكم آية تضطركم إِلى الإِيمان والاهتداء[2].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول سوءٍ لأَهل البِدَع الذين يرون الله لا يخلق أَفعال العباد لم يُحصِّله الزجاج، ووقع فيه رحمة الله عليه من غير قصد[3].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (ومنكم جائر).

وقرأَ علي بن أَبي طالب: (فمنكم جائر)[4].

و«السَّبيل» تُذَكَّر وتُؤَنَّث.

قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٢﴾.

هذا تعديد نعمة الله في المطر، وقوله: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾؛ أَي: يكون منه بالتدريج؛

---

(١) في الأصل: «بقيات».

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٩٢).

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٥١٠): ولم يعرف ابن عطية أنّ الزجاج معتزلي، فلذلك تأول أنه وقع فيه من غير قصد.

(٤) وهما شاذتان، انظر الأولى في تفسير الطبري (١٧/ ١٧٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٨)، والثانية في البحر المحيط (٦/ ٥١٠)، والذي في مختصر الشواذ (ص: ٧٦)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٨٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٨): أنها بالواو أيضاً.

إِذْ يَسقي الأَرض فينبت عن ذلك السقي الشجر، وهذا من التَّجَوُّز، كما قال الشاعر:

[الرجز] أَسْـنِـمَـةُ الآبَـالِ في رَبَـابِـهْ[١] ....

وكما سَمَّى الآخر العشبَ[٢] سماءً في قوله:

[الوافر] إِذَا نَـزَلَ السَّـمَـاءُ بِـأَرْضِ قَـوْمٍ رَعَـيْـنَـاهُ وَإِنْ كَـانُـوا غِـضَابـا[٣]

قال أَبو إِسحاق: يقال لكل ما ينبت على الأَرض: شَجَرٌ[٤].

وقال عكرمة: لا تأكلوا ثمن الشجر، فإِنه سُحْتٌ[٥]، يعني: الكلأ.

و﴿تُسِيمُونَ﴾ معناه: تَرعَون أَنعامكم، وسَوْمها من الرعي، وتسرحونها، ويقال للأَنعام: السائمةُ، قال رسول الله ﷺ: «في سائمة الغنم الزكاة»[٦]، يقال: أَسامَ الرجلُ ماشيته إِسامةً: إِذا أَرسلها ترعى، وسَوَّمها أَيضاً، فسامَتْ هي، ومن ذلك قول الأَعشى:

[الخفيف] وَمَشَـى القَـوْمُ بالْعِمَـادِ إِلـى الـرَّوْ حَى وأَعْيَا الـمُسِيمُ أَيْن الـمَساقُ[٧]

---

(١) استشهد به بلا نسبة: الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٤٨).

(٢) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «الغَيْثَ».

(٣) البيت لمعَوِّد الحكماءِ معاوية بن مالك كما تقدم في تفسير الآية (٢١) من سورة البقرة.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ١٩٢).

(٥) انظر قول عكرمة في: مصنف عبد الرزاق (٨/ ١٠٧)، في المطبوع: «ثمر الشجر»، وهو تصحيف مخل بالمعنى.

(٦) لا أصل له بهذا اللفظ، هذا اللفظ الذي أورده المصنف هاهنا هو قول اشتهر على لسان الفقهاء، ولم يأت مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، وقد أخرج البخاري (١٣٨٦)، وأبو داود (١٥٦٧)، والنسائي في الكبرى (٢٢٢٧)، كلهم من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بلفظ: «هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين»، وفيه: «وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومئة شاةٌ» الحديث.

(٧) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ١٧٧)، ومسائل ابن الأزرق (ص: ٢٢٦)، والحيوان (٣/ ٢٣٤)، في المصرية١ ونجيبويه: «الرزحى».

ومنه قول الآخر:

مِثْلِ ابـنِ بزْعَـةَ أَوْ كآخَـرَ مِثْلِـهِ أَوْلَى لَكَ ابْنَ مُسِيمَةِ الأَجْمَالِ[١] [الكامل]

أَي: راعية الأَجمال.

وفسَّر المتأَولون ﴿تُسِيمُونَ﴾ بـ(تَرْعَوْنَ).

وقرأَ الجمهور: ﴿يُنۢبِتُ﴾ بالياءِ، على معنى: يُنْبت الله، يُقال: نبت الشجرُ، وأَنبته اللهُ، وروي: أَنبت الشجرُ بمعنى: نَبتَ، وكان الأَصمعي يأْبى ذلك[٢]، ويتهم قصيدة زهير التي فيها:

.... حَتَّـى إِذا أَنْبَـتَ الْبَـقْلُ[٣] [الطويل]

وقرأَ أَبو بكر عن عاصم: ﴿نُنبِتُ﴾ بنون العظمة[٤].

وخَصَّ عزَّ وجلَّ ذكر هذه الأَربعة؛ لأَنها أَشرف ما يَنْبُت، وأَجمعها للمنافع، ثمَّ عمَّ بقوله: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، ثم أَحال القول على الفكرة في تصاريف النبات والأَشجار، وهي موضع عبر في أَلوانها، واطِّراد خلقها، وتناسب أَلطافها، فسبحان الخلاق العليم[٥]!

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ الآية، قرأَ الجمهور بإِعمال ﴿وَسَخَّرَ﴾ في جميع ما ذكر، ونصب ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ على الحال المؤكدة، كما قال تعالى:

---

(١) البيت للأخطل كما في تفسير الطبري (٦/ ٢٥٦)، والأغاني (٨/ ٣٣١)، ويعني بابن بَزْعَة شدَّاد بن المنذر أخا حُصَين الذُّهَليّ، ويعني بقوله: «كَآخَرَ مِثْلِهِ» حَوْشَبَ بنَ رُؤَيْم، وهو يعيره بأن أُمَّه ترعى الإبل، وفي بعض المصادر: (كابنِ البزيعة).

(٢) انظر ذلك في جمهرة اللغة (١/ ٢٥٧).

(٣) تمامه: رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِم قَطِيناً لَهُمْ حَتَّى إذا أَنْبَتَ الْبَقْلُ، انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٧/ ٤٤)، وتفسير الطبري (١٩/ ٢٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٨٩)، والمحتسب (٢/ ٨٨).

(٤) انظر: السبعة (ص: ٣٧٠)، والتيسير (ص: ١٣٧).

(٥) في المطبوع: «العظيم».

﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا﴾[فاطر: ٣١]، وكما قال الشاعر:

[البسيط] أَنَا ابْنُ دَارَةَ مَعْرُوفاً بِهَا نَسَبِي[1] ....

ونحو هذا.

وقرأ ابن عامر: ﴿والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ﴾ برفع هذا كله، وقرأ حفص عن عاصم: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ بالرفع، ونصب ما قبل ذلك[2].

والمعنى في هذه الآية: أَن هذه المَخْلُوقات مُسَخَّرات على رتبةٍ قد استمرَّ بها انتفاع البشر من السكون بالليل، والسعي في[3] المعايش وغير ذلك بالنهار، وأَما منافع الشمس والقمر فأَكثر من أَن تُحصى، وأَما النجوم فهدايات، ولهذا الوجه عُدَّت من جملة النعم على بني آدم، ومن النعمة بها ضياؤُها أَحياناً، قال الزجاج: وعلم عدد السنين والحساب بها[4].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظر.

وقرأَ ابن مسعود، والأَعمش، وطلحة بن مصرِّف: (والرِّياحُ مُسَخَّرات) في موضع (والنجوم)[5].

ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ لعظم الأَمر؛ لأَن كل واحد مما ذكر آية في نفسه لا يشترك مع الآخر، وقال في الآية قَبْلُ: ﴿لَأٓيَةٗ﴾؛ لأَن شيئاً واحداً يعم تلك الأَربعة وهو النبات، وكذلك في ذكر ما ذرأَ؛ لِيَسَارَته بالإِضافة، وأَيضاً فإِنه بمعنى آيات، واحد يراد به الجمع.

---

(١) البيت لابن دارة، وتمامه: وَهَلْ بِدَارَةَ يا لَلنَّاسِ مِنْ عَارِ، وقد تقدم في تفسير الآية (٨٩) من سورة البقرة.

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٧٠)، والتيسير (ص: ١٣٧).

(٣) ليست كلمة: «والسعي في» في المطبوع، وهي ملحقة في هامش أحمد٣.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٣).

(٥) وهي شاذة، انظر حرف ابن مسعود في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٨)، والكل في البحر المحيط (٦/ ٥١٢).

قوله عز وجل: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿ذَرَأَ﴾ معناه: بَثَّ ونشر، والذُّرية من هذا في أَحد الأَقوال في اشتقاقها.

وقوله: ﴿أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ معناه: أَصنافه، كما تقول: هذه أَلوان من الثَّمر ومن الطعام، ومن حيث كانت هذه المبثوثات في الأَرض أَصنافاً عُدّت في النعمة، وظهر الانتفاع بها أَنه على وجوه، ولا يظهر ذلك من حيث هي متلونة حُمرة وصُفرة وغير ذلك، ويحتمل أَن يكون التنبيه على اختلاف الأَلوان حمرة وصفرة، والأَول أَبْيَن.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ الآية، تعديد نعم، وتسخير البحر هو تمكين البشر من التصرف فيه، وتذليله للركوب والإرفاق[١] وغيره.

و﴿ٱلْبَحْرَ﴾: الماءُ الكثير ملحاً كان أَو عذباً، كلُّه يسمى بحراً، و﴿ٱلْبَحْرَ﴾ هنا اسم جنس، وإِذا كان كذلك فمنه أَكل اللحم الطري، ومنه استخراج الحلية، وأَكل اللحم يكون من ملحه وعذبه، وإِخراج الحلية إِنما يكون[٢] ـ فيما عرف ـ من الملح فقط، ومما عُرف من ذلك اللُّؤلؤ والمرجان والصدف والصوف[٣] البحري، وقد يوجد في العَذْب لؤلؤٌ لا يلبس إِلا قليلاً، وإِنما يُتَداوى به، ويقال: إِن في الزُّمرد بحرياً.

وقد خُطِّئَ الهذليُّ في قوله في وصف الدُّرَّة:

(١) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «والأرفاد»، وتم شرحها في الهامش بناء على ذلك، وفي المصرية١: «الإرفاء»، وفي نجيبويه: «الإرفاه».

(٢) في المصرية١ والمصرية ٢ ونور العثمانية ونجيبويه: «هي».

(٣) كلمة «الصوف» زيادة من الأصل ونجيبويه.

[الطويل] فَـجَـاءَ بِـهَــا مِـنْ دُرَّةٍ لَـطَـمِـيَّةٍ عَلَى وَجْهِهَا مَاءُ الْفُرَاتِ يَمُوجُ[(١)]

فجعلها من الماء الحلو.

قال القاضي أبو محمد: وتأمل قوله: «يموج»[(٢)] على أنه أَراد وصف بريقها ومَائِيَّتِهَا، فشبَّهه بماءِ الفرات، ولم يذهب إِلى الغرض الذي خُطِّئَ فيه.

و«اللَّحم الطريُّ»: السمك، و«الحِلْيَةُ»: ما تقدم، و﴿ٱلْفُلْكَ﴾ هنا جمع.

[٣/ ١٣١] و﴿مَوَاخِـرَ﴾: جمع ماخرة، / و«الـمَخْر» في اللغة الصوتُ الذي يكون من هبوب الريح على شيءٍ يُشَقُّ، أَو يصحب في الجملة الماءَ، فيترتب منه أَن [يكون المَخْر من الريح، وأَن][(٣)] يكون من السفينة ونحوها، وهو في هذه الآية من السفن.

ويقال للسحاب: بَنَات مَخْر تشبيهاً؛ إِذ في جريها ذلك الصوت الذي هو عن الريح والماء الذي في السحاب، وأَمرها يشبه أَمر البحر، على أَن الزَّجاج قد قال: بَنَاتُ الْمَخْر: سحاب بيض لا ماءَ فيها[(٤)].

وقال بعض اللغويين: الـمَخْر في كلام العرب: الشَّقُّ، يقال: مَخَر الماءُ الأَرْضَ.

قال القاضي أبو محمد: فهذا بيِّنٌ أَن يقال فيه للفُلْك: مواخر.

وقال قوم: ﴿مَوَاخِـرَ﴾ معناه: تجيءُ وتذهب بريح واحدة، وهذه الأَقوال ليست تفسيراً لِلَّفظة، وإِنما أَرادوا بها أَنها مواخر لهذه الأَحوال، [فنصُّوا على هذه الأَحوال][(٥)]؛

---

(١) في الأصل وأحمد٣ والمصرية٢: «يدوم» مع الإشارة للنسخة الأخرى، انظر عزوه له في الشعر والشعراء (٢/ ٦٤٤)، والزاهر للأنباري (٢/ ٣٦١)، والعقد الفريد (٦/ ٢١٦)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٥٦)، كلهم بلفظ: «فجاء بها من شئت من لطمية...» إلخ.

(٢) في الأصل والمصرية١: «يخرج».

(٣) ليس في الأصل والمصرية١.

(٤) لم أجده في كتبه المتوفرة، وانظر العين (٤/ ٢٥٩)، والكنز اللغوي (ص: ١٠)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٩٢).

(٥) زيادة من المطبوع وأحمد٣.

إِذ هي موضع النعمة المعددة[١]؛ إِذْ نفس كون الفلك ماخرةً لا نعمة فيه، وإِنما النعمة في مخرها بهذه الأَحوال في التجارات، والسفر فيها، وما يمنح الله فيها من الأَرباح والمِنَن.

وقال الطبري: الـمَخْر في اللغة: صوت هبوب الريح، ولم يقيد ذلك بكونٍ في ماءٍ، وقال: إِن من ذلك قول واصل مولى ابن عُيَيْنَة: إِذا أَراد أَحدكم البول فَلْيَتَمَخَّر الريح[٢]، أَي: لينظر في صوتها في الأَجسام من أَين تهب، فيتجنب استقبالها؛ لئلا تردَّ عليه بولَه.

وقوله: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾ عطف على: ﴿لِتَأۡكُلُواْ﴾، وهذا ذكر نعمة لها تفاصيل لا تُحْصى، وفيه ركوب البحر للتجارة وطلب الأَرباح، فهذه ثلاثة أَسباب في تسخير البَحْر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية، قال المتأَولون: (أَلْقى) بمعنى: خلَقَ وجَعَلَ.

قال القاضي أبو محمد: وهي عندي أَخَصُّ من خلَق وجعَل، وذلك أنَّ (أَلْقَى) تقتضي أَن الله أَحدث الجبال ليس من الأَرض، لكن من قدرته واختراعه.

ويؤيد هذا النظر ما رُوي في القصص عن الحسن عن قيس بن عباد: أَن الله تعالى لما خلق الأَرض جعلت[٣] تمور، فقالت الملائكة: ما هذه بمُقِرَّة على ظهرها أَحداً، فأَصبحت ضحى وفيها رواسيها[٤].

و«الرَّواسي»: الثوابت، رسَا الشيءُ يرسو: إِذا ثبت، ومنه قول الشاعر في وصف الوتد:

.... وأشعَثَ تُرسِيهِ الوَلِيدةُ بالفِهْرِ[٥] [الطويل]

و﴿أَن﴾ مفعولٌ من أَجله، و«المَيَدُ»: الاضطراب، وقوله: ﴿وَأَنۡهَٰرٗا﴾ منصوب بفعل مضمر، تقديره: وجَعَلَ أَو خَلَقَ أَنهاراً.

---

(١) في المطبوع: «النعم المعدودة».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٨٢).

(٣) في الأصل: «وجعلت بالواو».

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ١٨٣)، والهداية لمكي (٦/ ٣٩٦٤).

(٥) هذا عجز بيت للأحوص، صدره: (سِوَى خَالِدَاتٍ ما يُرَمْنَ وَهَامِدٍ)، وقد تقدم قريباً في سورة الرعد.

قال القاضي أبو محمد: وإِجماعهم على إِضمار هذا الفعل دليل على خصوص (ألقى)[١]، ولو كان ﴿وَأَلْقَىٰ﴾ بمعنى خَلَقَ لم يحتج إِلى هذا الإِضمار.

و«السُّبُل»: الطُّرق، وقوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [يحتمل أَن يكون: لعلكم تهتدون][٢] في مشيكم وتصرُّفكم في السُّبل، ويحتمل لعلكم تهتدون بالنظر في دلالة[٣] هذه المصنوعات على صانعها، وهذا التأويل هو البارع؛ أَي: سخَّر وأَلقى وجعل أَنهاراً وسُبُلاً لعلَّ البشر يعتبرون ويرشدون، ولتكون علامات.

قوله عز وجل: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾.

(عَلامَات) نصب على المصدر؛ أَي: فعل هذه الأَشياءَ لعلَّكم تعتبرون بها، و(علاماتٍ)؛ أي: عبرةً وأعلاماً في كل سلوك، فقد يُهتدى بالجبال والأَنهار والسُّبل.

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾، على أَن الأَظهر عندي ما ذكرتُ:

فقال ابن الكلبي: العلامات: الجبال، وقال إِبراهيم النَّخَعي ومجاهد: العلامات: النجوم، منها ما سُمِّي علامات، ومنها ما يهتدى به[٤].

وقال ابن عباس: العلامات: معالم الطرق بالنهار، والنجوم هداية الليل[٥].

قال القاضي أبو محمد: والصواب ـ إِذا قدرنا الكلام غير معلَّق بما قبله ـ أَن

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) ليس في الأصل ونور العثمانية.

(٣) زيادة من نور العثمانية وأحمد٣ والمطبوع والمصرية٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٨٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٨٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٨٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

اللفظة تعم هذا وغيره، وذلك أَن كل ما دلَّ على شيءٍ وأَعلم به فهو علامة، وأَحسن الأَقوال المذكورة قول ابن عباس؛ لأَنه عموم بالمعنى، فتأَمله.

وحدثني أَبي رضي الله عنه: أَنه سمع بعض أَهل العلم بالمشرق يقول: إِن في بحر الهند الذي يجري فيه من اليمن إلى الهند حيتاناً طوالاً رقاقاً كالحيَّات في التوائها وحركتها وأَلوانها، وأَنها تُسمَّى العلامات، وذلك أَنها علامة الوصول إِلى بلاد الهند، وأَمَارة النجاة والانتهاءِ إِلى الهند؛ لطول ذلك البحر وصعوبته، وأَن بعض الناس قال: إِنها التي أَراد الله تعالى في هذه الآية.

قال القاضي أبو محمد: قال أَبي رضي الله عنه: وأَما مَن[1] شاهد تلك العلامات في البحر المذكور وعاينها، فحدثني منهم عدد كثير.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ﴾ على أَنه اسم الجنس، وقرأَ يحيى بن وثاب: (وَبِالنُّجْمِ) بضم النون وإِسكان الجيم على التخفيف من ضمها، وقرأَ الحسن: (وبالنُّجُم) بضمهما[2]، وذلك جمعٌ، كسَقْف وسُقُف، ورَهْن ورُهُن، ويحتمل أَن يُراد: «وبالنُّجوم»[3]، فحذفت الواو.

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي توجيه ضعيف.

وقال الفراءُ: المرادُ الجَدْيُ والفَرْقَدانِ[4]، وقال غيره: المراد القطبُ الذي لا يجري، وقال قوم غيرَ هذا، وقال قوم: هو اسم الجنس، وهذا هو الصواب.

ثم قررهم تعالى على التفرقة بين من يخلق الأَشياءَ ويخترعها وبين من لا يقدر على شيءٍ من ذلك، وعبَّر عن الأَصْنامِ بـ(مَنْ) لوجهين:

---

(١) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «أنا ممن».

(٢) في الأصل: «بضم النون»، وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٨)، مع التوجيه الذي ضعفه الشيخ.

(٣) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «به النجوم».

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٩٨).

أَحدهما: أَن الآية تضمنت الرَّدَّ على جميع مَن عبدَ غيرَ الله، وقد عبدت طوائف من تقع عليه العبارة بـ(مَن).

والآخر: أَن العبارة جرت في الأَصنام بحسب اعتقاد الكفرة فيها من أن لها تأثيراً وأَفعالاً.

ثم وبخهم بقوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾؛ أَي: إِن حاولتم إِحصاءَها وحصرها[1] عدداً حتى لا يشذُّ منها شيءٌ لم تقدروا على ذلك، ولا اتَّفق لكم إِحصاؤُها؛ إِذ هي في كل دقيقة من أَحوالكم.

و«النِّعْمَة» هنا مفردة يراد بها الجمع، وبحسب العجز عن عدِّ نِعَم الله تعالى يلزم أَن يكون الشاكر لها مقصراً عن بعضها، فلذلك قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: تقصيرَكم في الشكر عن جميعها، نحا هذا المنحى الطبريُّ[2].

ويَرِد عليه أَن نعمة الله تعالى في قول العبد: الحمدُ للَّهِ رَبِّ العالَمِين / [٣/ ١٣٢] مع شرطها من النِّـيَّة والطاعة يوازي جميع النعم، ولكن أَين قولُها بشروطها؟

والمخاطبة بقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ عامة لجميع الناس.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ الآية، متصل بمعنى ما قبله؛ أَي: إِنَّ الله الغفور الرحيم في تقصيركم عن شكر ما لا تحصونه من نعم الله، وإِنَّ الله تعالى يعلم سِرَّكُم وعَلَنكم، فيغني ذلك عن إِلزامكم شكرَ[3] كل نعمة، هذا على قراءَة من قرأَ: ﴿تُسِرُّونَ﴾ بالتَّاءِ مخاطبة للمؤمنين، فإِن جمهور القراءِ قرأَ: ﴿تُسِرُّونَ﴾ بالتَّاءِ من فوق، و﴿تُعْلِنُونَ﴾، و﴿تَدْعُونَ﴾ كذلك، وهي قراءَة الأَعرج، وشيبة، وأَبي جعفر، ومجاهد، على معنى: قُلْ يا محمد للكفار.

(١) ليست في المطبوع والمصرية٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٨٦، ١٨٧).

(٣) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «التزامكم بشكر».

وقرأ عاصم: ﴿تُسِرُّونَ﴾ و﴿تُعۡلِنُونَ﴾ بالتاءِ من فوق، و﴿يَدۡعُونَ﴾ بالياءِ من تحت على غيبة الكفار، وهي قراءَة الحسن بن أَبي الحسن.

وروى هبيرة عن حفص عن عاصم كلَّ ذلك بالياءِ على غيبة الكفار، ورَوى الكسائي عن أبي بكر عن عاصم كلَّ ذلك بالتاءِ من فوق[١].

وقرأَ الأَعمش وأَصحاب عبد الله: (يعلم الذي[٢] تُبدون وما تكتمون)، و(تدْعُونَ) بالتَّاءِ من فوق في الثلاثة.

وقرأَ طلحة: (ما تُخْفُونَ وما تُعْلِنُون)، و(تدْعُونَ) بالتَّاءِ من فوق في الثلاثة[٣].

و﴿تَدْعُونَ﴾ معناه: تدعونه إِلهاً، وعبَّر عن الأَصنام بـ(الذين) على ما قدمناه من أَن ذلك يعُمُّ الأَصنام ومَنْ عُبد من دون الله من غيرها.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ أَجمع عبارة في أَحوال الربوبية عنهم.

وقرأَ محمد اليماني: (والذين يُدعَون) [بضم الياءِ وفتح العين[٤] على ما لم يُسَمَّ فاعله.

و﴿أَمۡوَٰتٌ﴾ يراد به (الذين يدعون][٥] من دون الله)، ورفع على خبر ابتداء مضمر تقديره: هم أَموات، ويجوز أَن يكون خبراً لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ بعد خبر في قوله: ﴿لَا يَخۡلُقُونَ﴾، ووصفهم بالموت مجازاً، وإِنما المراد لا حياةَ لهم، فشُبِّهوا بالأموات.

وقوله: ﴿غَيۡرُ أَحۡيَآءٍ﴾؛أي: لم يقبلوا حياةً قط، ولا اتَّصفوا بها.

---

(١) هذه أربع قراءات؛ الأولى والثانية سبعيتان، كما في التيسير (ص: ١٣٧)، والثالثة والرابعة ليستا من طرقه لكنهما في السبعة (ص: ٣٧١)، وجامع البيان (٣/ ١٢٧١)، وفي المطبوع والمصرية٢: «وروي عن الكسائي وأبي بكر... إلخ»، وكأنه تصويب عن غير بصيرة.

(٢) في المطبوع (النسخة الأخيرة): «الذين».

(٣) ذكر القراءتين في البحر المحيط (٦/ ٥١٧)، والثانية في الشواذ للكرماني (ص:٢٧٠)، وهما شاذتان.

(٤) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٧٤)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٧٠).

(٥) ما بين المعكوفتين ليس في الأصل.

قال القاضي أبو محمد: وعلى قراءَة من قرأَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ بالياءِ على غيبة الكفار يجوز أَن يراد بالأَموات الكفار الذين ضميرهم في ﴿يَدۡعُونَ﴾، شبَّههم بالأَموات غير الأَحياءِ من حيث هم ضُلَّال غير مهتدين، ويستقيم على هذا فيهم قوله هنا: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾، والبعث هنا هو الحشر من القبور.

و﴿أَيَّانَ﴾ ظرف زمان مبني، وقرأَ أَبو عبد الرحمن السُّلَمِي: (إِيَّانَ) بكسر الهمزة[١]، والفتح فيها والكسر لغتان، وقالت فرقة: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ أَي: الكفارُ ﴿أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ الضميران لهم، وقالت فرقة: وما يشعر الأَصنام أَيان يبعث الكفار.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أَن يكون الضميران للأَصنام، [ويكون البعثُ] الإثارةَ[٢]، كما تقول: بعثت النائم من نومه إِذا نبَّهَته، وكما تقول: بعث الرامي[٣] سهمه، فكأَنه وصفهم بغاية الجمود؛ أَي: وإِن طلبتَ حركاتهم بالتحريك لم يشعروا بذلك.

قال القاضي أبو محمد: وعلى تأويل مَن يرى الضميرين للكفار ينبغي أَن يُعتقد في الكلام الوعيد؛ أَي[٤]: وما يشعر الكفار متى يُبعثون إِلى التعذيب؟ ولو اختصر هذا المعنى لم يكن في وصفهم بأَنهم لا يشعرون أَيان يُبعثون طائل؛ لأَن الملائكة والأَنبياءَ والصالحين كذلك هم في الجهل بوقت البعث.

وذكر بعض الناس[٥] أَن قوله: ﴿أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ ظرف لقوله: ﴿إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾، وأَن الكلام تَمَّ في قوله: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾.

ثم أَخبر عن يوم القيامة أَن الإله فيه واحد، وهذا توعُّد.

---

(١) وهي شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٢٦٨)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤٩).

(٢) ما بين المعكوفتين ليس في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢ وفيهن: «الأَمارة» بدل «الإثارة».

(٣) في المطبوع: «الراعي».

(٤) «أي»: زيادة من المطبوع.

(٥) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «المفسِّرين».

قوله عز وجل: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

لما تقدم وصف الأَصنام جاءَ الخبر الحق بالوحدانية، وهذه مخاطبة لجميع الناس مُعلِمة بأَن الله تعالى متحدٌ وحدانية تامة، لا يحتاج لكمالها إلى مضاف إليها.

ثم أَخبر عن إِنكار قلوب الكافرين، وأَنهم يعتقدون إِلهية أَشياءَ أُخر، ويستكبرون عن رفض معتقدهم فيها واطِّراح طريقة آبائهم في عبادتها، ووسمهم بأَنهم لا يؤمنون بالآخرة، إِذ هي أَقوى رُتَب الكفر، أَعني الجمع بين التكذيب بالله تعالى وبالبعث؛ لأَن كل مصدق ببعث فمحالٌ أَن يُكذِّب بالله.

وقوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾ عبَّرت فرقة من اللغويين عن معناها بـ«لا بُدَّ»، و«لا محالة»، وقالت فرقة: معناها: حقٌّ أَن الله، ومذهب سيبويه أَنَّ «لا» نفيٌ لما تقدَّم من الكلام، و«جَرَمَ» معناه: حقَّ ووَجَبَ، ونحو هذا هو مذهب الزَّجاج[1]، ولكن مع مذهبهما «لا» ملازِمةٌ لـ«جَرَمَ»، لا تنفكُّ هذه من هذه، وفي «جرم» لغات قد تقدم ذكرها في «سورة هود».

وأَنشد أَبو عبيدة: جَرَمَتْ فَزارَةُ، وقال: معناها: حقَّت عليهم، وأَوجبت أَن يغْضبوا[2].

و﴿أَنَّ﴾ على مذهب سيبويه فاعلة بـ﴿جَرَمَ﴾[3].

وقرأَ الجمهور: ﴿أَنَّ﴾ مفتوحة، وقرأَ عيسى الثَّقفي: ﴿إِنَّ﴾ بكسر الأَلف على القطع[4].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٩٤)، وفي المطبوع: «هذا من مذهب».

(٢) لفظه في مجاز القرآن (١/ ٣٥٨): أي أحقت لهم الغضب. وهذا جزءٌ من بيت سبق الاستشهاد به في الآية (٢٢) من سورة هود.

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٣٨).

(٤) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٧٠)، وكلمة «مفتوحة»: زيادة من المطبوع والمصرية٢.

قال يحيى بن سلام، والنقاش: المراد هنا بـ﴿مَا يُسِرُّونَ﴾ مشاورهم في دار الندوة في قتل النبي ﷺ[١].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ عامٌّ في الكافرين والمؤمنين، فأخذ كل واحد منهم بقسطه.

وفي الحديث: «لا يدخلُ الجنَّـةَ مَن في قلبه مثقالُ حبَّة من كِبْر»، وفيه: «إِنَّ الكِبْر منع الحق، وغَمْطُ الناس»[٢].

ويروى عن الحسن بن عليٍّ أَنه كان يجلس مع المساكين ويحدثهم، ثم يقرأُ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[٣].

ورُوي في الحديث أَنه «مَن سجد للَّهِ سجدةً من المؤمنين فقد برئَ من الكبر»[٤].

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ الآية، الضمير في لَهُمْ لكفار مكة، ويقال: إِن سبب الآية كان أَن النضر بن الحارث سافر عن مكة إِلى الحيرة وغيرها، وكان قد اتَّخذ كتب التاريخ والأمثال[٥] ككليلة ودِمنة، وأَخبار أسنداباد[٦] ورستم فجاءَ إِلى مكة، فكان يقول: إِنما يحدِّث محمد بأَساطير الأَولين، وحديثي أَجمل من حديثه[٧].

وقوله: ﴿مَّاذَآ﴾ يجوز أَن تكون (مَا) استفهاماً، و(ذَا) بمعنى: الذي، وفي ﴿أَنزَلَ﴾

---

(١) انظر قولهما في البحر المحيط (٦/ ٥١٩).

(٢) جزآن من حديث واحد أخرجه مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وفي نجيبويه والمصرية١: «مقدار»، بدل «مثقال».

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٨٩) وفي إسناده رجل لم يسم.

(٤) عزاه في كنز العمال (١٩٠١٧) للديلمي في مسند الفردوس، وهو مجمع للمرويات المنكرة والموضوعة، ولم أقف عليه مسنداً.

(٥) «والأمثال» ليست في أحمد٣ والمطبوع والمصرية٢ والمصرية١ وفيه هنا تقديم وتأخير غير مؤثر في المعنى.

(٦) في المطبوع والمصرية١ وأحمد٣ والمصرية٢: «اسفنديار»، وفي نجيبويه: «اسبندياد».

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٣٨) من طريق محمد بن إسحاق، قال: ثنا شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وهذا إسناد ضعيف من أجل إبهام اسم شيخ ابن إسحاق.

ضمير عائد، ويجوز أَن يكون (مَا) و(ذَا) اسماً واحداً مركباً، كأَنه قال: أَيُّ شيءٍ؟ وقولهم: أَسَاطِيرُ الأَوَّلين ليس بجواب عن السؤال الأول[١]؛ لأَنهم لم يريدوا أنه نزَل شيءٌ، ولا أَن ثم منزلاً، ولكنهم ابتدؤُوا الخبر بأَن هذه أَساطير الأَولين، [وإِنما الجواب على السؤال قول المؤمنين في الآية المستقبلة: ﴿خَيْرًا﴾ / . [٣/ ١٣٣]

وقولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾][٢] إِنما هو جواب بالمعنى، فأَما على السؤال وبحسبه فلا.

واللام في قوله: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ﴾ يحتمل أَن تكون لام العاقبة[٣]؛ لأَنهم لم يقصدوا بقولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ليحملوا الأَوزار، ويحتمل أَن تكون صريحَ لامِ (كيْ) على معنى: قَدَّرَ هذا، ويحتمل أَن تكون لامَ الأَمر على معنى الحتم عليهم بذلك، والصَّغار الموجب لهم.

و«الأَوْزار»: الأَثقال.

وقوله: ﴿وَمِنْ﴾ للتبعيض، وذلك أَن هذا الرأس[٤] المضِلَّ يحمل وزر نفسه كاملاً، ويحمل وزراً من وزر كل مُضَلٍّ[٥] بسببه، ولا تنقص أَوزار أُولئك.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يجوز أَن يريد بها المضِلَّ؛ أي: أَضلَّ بغير برهان قام عنده، ويجوز أَن يريد: بِغَيْرِ عِلْمٍ من المقلِّدين الذين يضلونهم.

ثم استفتح الله تعالى الإِخبار عن سوءِ ما يتحملونه للآخرة، وأَسند الطبري وغيره في معنى هذه الآية حديثاً نصه: «أَيُّمَا داع دعا إِلى ضلالة فاتُّبع[٦] فإِن عليه مثلَ أَوزار

---

(١) «الأول» زيادة من المطبوع والمصرية ٢، وأحمد٣.

(٢) ليس في المصرية٢.

(٣) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «المعاقبة».

(٤) في الأصل: «الواهن».

(٥) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «أَوزار كل من ضلَّ».

(٦) ليست في الأصل.

مَن اتَّبعه من غير أَن ينقص من أَوزارهم شيءٌ، وأَيُّما داع دعا إِلى هدىً فاتُّبع فله مثلُ أُجورهم من غير أَن ينقص من أُجورهم شيءٌ»[١].

و﴿سَآءَ﴾ فعل مسند إلى﴿مَا﴾، ولا يحتاج في ذلك هنا إلى صلة[٢].

قوله عز وجل: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

قال ابن عباس وغيره من المفسرين: الإِشارة بـ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إِلى نمرود الذي بنى الصَّرْح؛ ليصعد فيه إِلى السماءِ على زعمه، فلما أَفرط في عُلُوِّه[٣] وطوَّله في السّماءِ فرسخين على ما حكى النقاش بعث الله عليه ريحاً فهدمه، وخَرَّ سقفه عليه وعلى أَتباعه، وقيل: إِن جبريل هدمه بجناحه، وأَلقى أَعلاه في البحر، وانجعَفَ[٤] من أَسفله[٥].

وقالت فرقة أُخرى: المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ جميع من كفر من الأُمم المتقدمة ومكر، ونزلت فيه عقوبة من الله تعالى، وقوله على هذا: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ إِلى آخر الآية تمثيل وتشبيه؛ أَي: حالهم كحال[٦] من فُعل به هذا، وقالت فرقة: المراد بقوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾؛ أَي: جاءَهم العذاب من قِبَل السماءِ.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ينحو إِلى اللَّغْز[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه، وانظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٩١).

(٢) ليس في نور العثمانية، وفي نجيبويه: «ضمير»، وفي المصرية١: «صيغة».

(٣) في المطبوع: «غلوه» بالغين.

(٤) انْجَعَف مطاوع جَعَفَ، يقال: جَعَفَه جَعْفاً: قلبه وقَلَعه، فانجعف، وفي نسخة: «وانحقف».

(٥) تفسير السمعاني (٣/ ١٦٧)، ولم أقف عليه مسنداً.

(٦) في الأصل: «بحال»، وفي المصرية١: «حال».

(٧) في نور العثمانية: «اللعن».

ومعنى قوله: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ رفعُ الاحتمال في قوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾، فإِنك تقول: انهدم على فلان بناؤُه، وهو ليس تحته، كما تقول: انفسد عليه متاعه، وقوله: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ أَلزم أَنهم كانوا تحته.

وقوله: ﴿فَأَتَى﴾؛ أَي: أَتى أَمْرُ الله وسلطانه.

وقرأَ الجمهور: ﴿بُنْيَـٰنَهُم﴾.

وقرأَت فرقة: (بِنْيَتَهُمْ)، وقرأَ جعفر بن محمد: (بيتَهم)[1]، وقرأَ الضحاك: (بُيُوتَهُم)[2].

وقرأَ الجمهور: ﴿السَّقْفُ﴾ بسكون القاف، وقرأَت فرقة بضمها، وهي لغة فيه، وقرأَ الأَعرج: (السُّقُفُ) بضم السين والقاف، وقرأَ مجاهد: (السُّقْف) بضم السِّين وسكون القاف[3].

وقوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ﴾ الآية، ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة حال هؤلاءِ الماكرين في الدنيا، ثم ذكر في هذه حالهم في الآخرة.

وقوله: ﴿يُخْزِيهِمْ﴾ لفظ يعمُّ جميع المكاره التي تنزل بهم، وذلك راجع إِلى إِدخالهم النارَ، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾[آل عمران: ١٩٢].

وقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ توبيخ لهم، وأَضافهم إِلى نفسه في مخاطبة الكفار؛ أَي: على زعمكم ودعواكم، قال أَبو عليٍّ: وهذا كما قال الله تعالى حكايةً: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، وكما قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩][4].

---

(١) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «بَنِيَّـتَهُمْ».

(٢) والثلاث شاذة، انظر الأخيرتين في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٠)، ومع الأولى بلا نسبة في البحر المحيط (٦/ ٥٢١).

(٣) وكلها شاذة، انظر الثالثة في المحتسب (٢/ ٩)، ومع الثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧١)، والكل في البحر المحيط (٦/ ٥٢١).

(٤) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ١٨٢).

قال القاضي أبو محمد: والإِضافات تترتب معْقُولَةً وملفوظاً بها بأَرَقِّ سبب، وهذا كثير في كلامهم، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]

إِذَا قُلْـتُ قَدْنِـي قَـالَ تـالله حلْفَةً   لتُغْنـي عَنِّـي ذا إِنَائِـكَ أَجْمَعَا(١)

فَأَضَافَ الإِناءَ إِلى حاسِيه(٢).

وقرأَ البزي عن ابن كثير: (شُرَكَايَ) بقصر الشركاءِ [وفتح الياءِ، مثل ﴿هُدَاىَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وقرأَ الجمهور بالمدِّ وفتح الياءِ بعد الهمزة](٣)، وقرأَت فرقة (شُـرَكائيْ) بالمدِّ وياءٍ ساكنة(٤).

و﴿تُشَـٰٓقُّونَ﴾ معناه: تحاربون وتخارجون(٥)؛ أَي: يكون في شقٍّ، والحقُّ في شقٍّ.

وقرأَ الجمهور: ﴿تُشَـٰٓقُّونَ﴾ بفتح النون، وقرأَ نافع وحده بكسر النون، ورويت عن الحسن بخلاف، وضعَّف هذه القراءَة أَبو حاتم(٦).

وقد تقدم القول في مثله في «الحِجْر» في ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ [٥٤].

وقرأَت فرقة: (تُشَاقُّونِّي) بشدِّ النون [وكسرها] وياءٍ بعدها(٧).

---

(١) البيت لحُرَيْث بن عناب الطائي، كما في بصائر ذوي التمييز (١/ ١٢٤١)، وخزانة الأدب (١١/ ٤٦٩)، وفي المطبوع: «بالله».

(٢) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية: «حايسه».

(٣) ليس في الأصل، انظر: السبعة (ص: ٣٧١)، والتيسير (ص: ١٣٧) وليست من طرقه وإن وردت فيه، قال في النشر (٢/ ٣٠٣): وانفرد الداني عن النقاش عن أصحابه عن البزي بحكاية ترك الهمز فيه، وهو وجه ذكره حكاية، لا رواية.

(٤) البحر المحيط (٦/ ٥٢٢)، قال: وتسقط في الدرج لالتقاء الساكنين.

(٥) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية والمصرية٢: «وتحاجُّون».

(٦) انظر: التيسير (ص: ١٣٧)، وموافقة الحسن وتضعيف أبي حاتم قال في البحر المحيط (٦/ ٥٢٢): ولا يلتفت إلى تضعيف أبي حاتم لهذه القراءة.

(٧) «وكسرها» ليست في الأصل، وهي شاذة عزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٧١) للحسن.

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ هم الملائكة فيما قال بعض المفسرين، وقال يحيى بن سلام: هم المؤمنون، وهذا الخطاب منهم يومَ القيامة[١].

قال القاضي أبو محمد: والصواب أَن يعم جميع من آتاه الله علم ذلك من جميع من حضر الموقف من ملَك وإِنسي[٢] وغير ذلك، وباقي الآية بيِّنٌ.

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت لـ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في قول أَكثر المتأَوِّلين، ويحتمل أَن يَكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مرتفعاً بالابتداءِ منقطعاً مما قبله، وخبره في قوله: ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾ فزيدت الفاءُ في الخبر، وقد يجيءُ مثل هذا.

و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يريد بهم القابضين لأَرواحهم، وقوله: ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ حال.

و﴿ٱلسَّلَمَ﴾ هنا: الاستسلام؛ أَي: رمَوا بأَيديهم، وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ فحذف «قالوا»؛ لدلالة الظاهر عليه، قال الحسن: هي مواطن، فمرَّة يقِرُّون على أَنفسهم، كما قال: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣][٣]، ومرَّة يجحدون كهذه الآية.

ويحتمل قولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ وجهين:

أَحدهما: أَنهم كذبوا وقصدوا الكذب اعتصاماً منهم به، على نحو قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

---

(١) تفسير السمعاني (٣/ ١٦٧).

(٢) في هامش نجيبويه إشارة إلى أن في نسخة «ونبي»، وفي المطبوع: «أو إنسي أو غير».

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/ ١٦٤).

والآخر: أَنهم أَخْبَروا عن أَنفسهم [بذلك على ظنهم أَنهم][١] لم يكونوا يعملون سُوءاً، فأَخبروا عن ظنهم بأَنفسهم، وهو كذب في نفسه.

[وحَسُن الردُّ عليهم في الوجهين جميعاً بـ ﴿بَلَىٰٓ﴾؛ أَي: يقال لهم: بَلَى][٢].

و﴿عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وعيد وتهديد، وظاهر الآية أَنّها عامة في جميع الكفار. وإِلقاؤُهم السَّلَم ضدُّ مُشَاقَّتهم قَبْلُ.

[٣/ ١٣٤] وقال عكرمة: نزلت في قوم من أَهل مكة آمنوا بقلوبهم ولم يهاجروا، / فأَخرجهم كفار مكة مُكرَهين إِلى بدر، فُقتِلوا هنالك، فنزلت فيهم هذه الآية[٣].

قال القاضي أبو محمد: وإِنما اشتبهت عليه بالآية الأُخرى التي نزلت في أُولئك باتفاق من العلماءِ، وعلى هذا القول يحسن قطع ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ورفعه بالابتداءِ، فتأَمله.

والقانون أَن «بَلَى» تجيءُ بعد النفي، و«نعم» تجيءُ بعد الإِيجاب، وقد تجيءُ بعد التقرير، كقوله: أَلَيْسَ كذا؟ ونحوه، ولا تجيءُ بعد نفي سوى التقرير.

وقرأَ الجمهور: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بالتَّاءِ من فوق، وقرأَ حمزة: ﴿يَتوفَّاهم﴾ بالياءِ، وهي قراءَة الأَعمش[٤]، قال أَبو زيد: أَدغم أَبو عمرو بن العلاء: ﴿السَّلَمْ مَّا﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوٓاْ﴾ من كلام الذي يقول: ﴿بَلَىٰٓ﴾.

و﴿أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ مفضِيةٌ إِلى طبقاتها التي هي بعض على بعض، والأَبواب كذلك بابٌ على باب، و﴿خَٰلِدِينَ﴾ حالٌ، واللام في قوله: ﴿فَلَبِئْسَ﴾ لام التأكيد.

قال القاضي أبو محمد: وذكر سيبويه رحمه الله، وهو إِجماعُ النحويين قال: ما

---

(١) ليس في المطبوع والمصرية١.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٩٥)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٤).

(٤) انظر التيسير (ص: ١٣٧)، وقراءة الأعمش في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٥١).

(٥) هذه رواية السوسي عن أبي عمرو على قاعدته في الإدغام الكبير. انظر: التيسير (ص: ٢٠).

علمتُ أَن لام التأكيد لا تدخل على الفعل الماضي، وإِنما يدخل عليه لامُ القسم، ولكن دخلت على «بئس»؛ لأَنها لمَّا لم تتصرف أَشبهت الأَسماءَ، وبعُدَت عن حال الفعل في هذا، وهي بعيدة أَيضاً عن حال الفعل، من جهةِ أَنها لا تدخل على زمان[١].

و«المَثْوى»: موضع الإِقامة، و«نعم» و«بئس» إِنما تدخلان على معرَّف بالأَلف واللام، أَو مضاف إِلى معرَّف بذلك، والمذموم[٢] هنا محذوف، تقديره: بئس المثوى مَثْوَى المُتَكَبِّرينَ، و«المتكبِّر» هنا هو الذي أَفضى به كِبْرُه إِلى الكفر.

وقوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ الآية، لما وصف تعالى مقالة الكفار الذين قالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١]، عادَلَ ذلك بذكر مقالة المؤمنين من أَصحاب النبي ﷺ، وأَوْجَب لكلِّ فريق ما يستحق لتباين المنازل بين الكفر والإيمان.

و﴿مَاذَآ﴾ تحتمل ما ذكر في التي قبلها.

وقولهم: ﴿خَيۡرًا﴾ جواب بحسب السؤال.

واختلف المتأَوِّلون في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ إِلى آخر الآية:

فقالت فرقة: هو ابتداءُ كلامٍ من الله مقطوعٌ مما قبله، لكنه بالمعنى وعْدٌ متصل بذكر إِحسان المتقين في مقالتهم.

وقالت فرقة: هو من كلام الذين قالوا: ﴿خَيۡرًا﴾، وهو تفسير للخير الذي [أُنزل؛ أَي:][٣] أَنزل الله في الوحي على نَبِيِّنا[٤] خيراً، أَن من أَحسن في الدنيا بطاعة فله حسنة في الدنيا، ونعيم في الآخرة بدخول الجنة.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «والمثوى».

(٣) زيادة من أحمد٣ والمطبوع والمصرية١ والمصرية٢.

(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ «أنبيائه» بدلًا من «نَبِيِّنَا»، وفي نسخ أُخرى الكلمتان: «نَبِيِّنا»، «أنبيائه».

وروى أَنس بن مالك: أَن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الله لا يظلم المؤمن حسنة، يثاب عليها الرزق في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة»[١].

وقد تقدم القول في إِضافة الدار إِلى الآخرة، وباقي الآية بَيِّن.

قوله عز وجل: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ يحتمل أَن يرتفع على خبر ابتداءٍ مضمر بتقدير: هي جنات عدن، ويحتمل أَن يرتفع بقوله: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، ويحتمل أَن يكون التقدير: لهم جناتُ عدن، ويحتمل أَن تكون ﴿ جَنَّٰتُ ﴾ مبتدأً، وخبره: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾.

وقرأَ زيد بن ثابت، وأَبو عبد الرحمن: (جَنَّاتِ) بالنَّصب[٢]، وهذا نحو قولهم: زيداً ضربته.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، وقرأَ إِسماعيل عن نافع: (يُدْخَلُونَهَا) بضم الياءِ وفتح الخاءِ، ولا يصح هذا عن نافع، ورويت عن أَبي جعفر، وشيبة بن نصاح[٣].

وقوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ في موضع الحال، وباقي الآية بَيِّن.

وقرأَ الجمهور: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بالتاءِ، وقرأَ الأَعمش، وحمزة: ﴿يَتَوَفَّاهُم﴾ بالياءِ من تحت[٤].

وفي مصحف ابن مسعود: (تَوَفَّاهُم) بتاءٍ واحدة في الموضعين[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٨) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٦/ ٥٢٦)، وهي في الشواذ (ص: ٧٧).

(٣) وهي شاذة، انظر رواية إسماعيل وتضعيفها في جامع البيان (٣/ ١٢٧٤)، وعزوها للباقين في البحر المحيط (٦/ ٥٢٦).

(٤) انظر: التيسير (ص ٩٦)، وقراءة الأعمش في إتحاف فضلاء البشر (١/ ٣٥١)، وليس «حمزة» في الأصل.

(٥) وهي شاذة، انظر: المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٩).

و﴿طَيِّبِينَ﴾ عبارة عن صلاح حالهم، واستعدادهم للموت، وهذا بخلاف ما قال في الكفرة: ﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾، و«الطَّيب»: الذي لا خبث معه، ومنه قوله تعالى: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقول الملائكة: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ بشارةٌ من الله تعالى، وفي هذا المعنى أَحاديث صحاح يطول ذكرها[١].

وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أَي: بما كان في أَعمالكم من تكسُّبكم، وهذا على التجوُّز، علَّق دخولهم الجنة بأَعمالهم من حيث جعل الأَعمال أَمارةً لإِدخال العبد الجنة، ويعترض في هذا المعنى قول رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ أَحَدٌ الجنةَ بعمله»، قالوا: ولا أَنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أَنا، إِلاَّ أَن يتغمَّدَني اللهُ بفضل منه ورحمة»[٢]، وهذه الآية تُـرَدُّ بالتأويل إِلى معنى الحديث.

قال القاضي أبو محمد: ومن الرحمة والتغمد أَن يوفِّـقَ الله العبد إِلى أَعمال برَّة، ومقصد الحديث نفي وجوب ذلك على الله تعالى بالعقل كما ذهب إِليه فريق من المعتزلة[٣].

قوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾.

---

(١) منها ما أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٣٨-٤٣٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً، وفيه: «فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»، وإسناده صحيح.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٠٩٨)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٣) انظر قولهم في: غاية المرام في علم الكلام للآمدي (١/ ٢٢٤-٢٢٥)، وشرح المقاصد للتفتازاني (٢/ ١٦٦-١٦٧).

﴿يَنظُرُونَ﴾ معناه: ينتظرون، و«نَظَرَ» متى كانت من رؤية العين فإنما تُعَدِّيها العرب بـ«إلى»، ومتى لم تتعدَّ بـ«إلى» فهي بمعنى: «انتظَرَ»، كما قال امرؤُ القيس:

[الطويل] فَـإِنَّـكُـمَـا إِنْ تَـنْـظُـرَانِـي سَـاعَــةً مِنَ الدَّهْرِ تَنْـفَعْني لَدَى أُمِّ جُنْدبِ[1]

ومنه قوله تعالى حكاية: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: ١٣]، وقد جاءَ شاذّاً «نظرتُ» بمعنى: الرؤية متعدياً بغير «إِلى» كقول الشاعر:

[الخفيف] بَاهِـرَاتُ الْجَمَـالِ وَالْحُسْـنِ ينْظُـرْ نَ كما يَـنْـظُـرُ الأَرَاكَ الظِّـبَـاءَ[2]

وقرأَ الجمهور: ﴿تَأۡتِيَهُمُ﴾ بالتاءِ من فوق، وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿يَأۡتِيَهُم﴾ بالياءِ، وهي قراءَة يحيى بن وثاب، وطلحة، والأَعمش[3].

ومعنى الكلام أَن تأتيهم الملائكة لقبض أَرواحهم ظالمي أَنفسهم، وقوله: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾ وعيد يتضمن قيام الساعة، أَو عذاب الدنيا.

ثم ذكر تعالى أَن هذا كان فِعلَ أَسلافِهم من الأُمم؛ أَي: فَعُوقبوا، ولم يكن ذلك ظلماً؛ لأَنه لم يوضع ذلك العقاب في غير موضعه، ولكن ظلموا أَنفسهم بأَن وضعوا كفرهم في جهة الله تعالى، وميلهم إِلى الأَصنام والأَوثان، فهذا وضع الشيءِ في غير موضعه، [وظلموا أَنفسهم][4]؛ أَي: آذَوها / بنفس فعلهم وإِن كانوا لم يقصدوا ظلمها ولا إِذايتها. [٣/ ١٣٥]

وقوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾؛ أَي: جزاءُ ذلك في الدنيا والآخرة.

و(حاق) معناه: نزل وأَحاط، وهنا محذوف يدل عليه الظاهر من الكلام، تقديره: جزاء ما كانوا به يستهزئون.

---

(١) انظر عزوه له في الأغاني (٨/ ١٩٩)، والعمدة لابن رشيق (١/ ٥٥)، وإسفار الفصيح (١/ ٤٦٢).
(٢) البيت لابن قيس الرقيات كما تقدم في تفسير الآية (٤٧) من سورة النساء، بلفظ: (ظاهرات)، وهي التي في أكثر المصادر.
(٣) انظر التيسير (ص: ١٠٨)، وانظر قراءة الباقين في البحر المحيط (٦/ ٥٢٧).
(٤) ليس في الأصل.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ الآية، جدل من الكفار، وذلك أن أكثر الكفار كانوا[١] يعتقدون وجود الله تعالى، وأنه خالقهم ورازقهم، فإن كان أهل هذه الآية من هذا الصنف فكأنهم قالوا: يا محمد، نحن من الله بمرأى في عبادتنا الأوثان واتخاذها[٢]، لتنفع وتقرِّب زُلفى، ولو كره الله فعلنا لغيَّره منذ مدة، إمَّا بإهلاكنا وإمَّا بهدايتنا.

وكان من الكفار فريق لا يعتقدون بوجود الله، فإن كان أهل هذه الآية من هذا الصنف فكأنهم أخذوا الحجة على النبي ﷺ من قوله؛ أي: إن الرَّبَّ الذي تثبته يا محمد وهو على ما تصفه يعلم ويقدر، لا شَكَّ أنه يعلم حالنا، ولو كرهها لغَيَّرَها.

والرَّدُّ على هذين الفريقين هو في أن الله تعالى ينهى عن الكفر، وقد أراده بقوم، وإنما نصب الأدلة وبعث الرسل ويَسَّرَ كلّاً لما حتم عليه، وهذا الجدال من أيِّ الصِّنفين فَرَضْتَهُ ليس فيه استهزاءٌ، لكن أبا إسحاق الزجاج قد قال: إن هذا الكلام على جهة الهُزْءِ[٣]، فذهب أبو إسحاق رحمه الله ـ والله أعلم ـ إلى أنَّ الطائفة التي لا تقول بإله[٤] ثَمَّ أقامَت الحجة من مذهب خصمها كأنها مستهزئة في ذلك، وهذا جدَلٌ محض، والرَّدُّ عليه كما ذكرناه، وقوله: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ يُشير إلى ما ذكرناه.

وقولهم: ﴿وَلَا حَرَّمْنَا﴾ يريدون البَحِيرَة والسائبة والوَصِيلةَ وغير ذلك مما شرعوه[٥]، وأخبر الله تعالى أنَّ هذه النزعة قد سبقهم الأولون من الكفار إليها، كأنه قال: والأمر ليس على ما ظنُّوه من أن الله تعالى إذا أراد الكفر لا يأمر بتركه، بل قد نصب الله لعباده الأدلة، وأرسل الرسل منذرين، وليس عليهم إلَّا البلاغ.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) ليس في الأصل، وفيه: «عبادة الأوثان».

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ١٩٧).

(٤) في المطبوع والمصرية١ والمصرية٢: «بالإثم»، وكذا أحمد٣ مع التنبيه على المثبت في هامشه.

(٥) في المطبوع: «حرَّموه»، وكذا أحمد٣ مع التنبيه على المثبت في هامشه.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٧) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨)﴾.

لما أَشار قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ إِلى إِقامة الحجة حسب ما ذكرناه بيَّن ذلك في هذه الآية؛ أَي: إنه بعث الرسل آمِراً بعبادته، وتجنُّبِ عبادة غيره.

و﴿الطَّاغُوتَ﴾ في اللغة: كلُّ ما عُبد من دون الله من آدميٍّ راضٍ بذلك أَو حجر أَو خشب، ثم أَخبر أَن منهم من اعتبر وهداه الله ونظر ببصيرته، ومنهم أيضاً من أَعرض وكفر، فحَقَّتْ عليه الضَّلالَةُ، وهي مؤدية إِلى النار حتماً، ومنهم من أَدّته إِلى عذاب الله في الدنيا، ثم أَحالهم في علم ذلك على الطلب في الأَرض، واستقراءِ الأُمم، والوقوف على عواقب الكافرين المكذبين.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَحْرِصْ﴾ الحِرْصُ: أَبلغ الإِرادة في الشيءِ، وهذه تسلية للنبي ﷺ؛ أَي إنَّ حرصك لا ينفع، فإِنها أُمور محتومة.

وقرأَ نافع، وابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر، والحسن، والأَعرج، وأَبو جعفر، وشيبة، ومجاهد، وشبل، ومزاحم الخراساني(١)، وأَبو رجاءٍ العطارديّ، وابن سيرين: ﴿لا يُهْدَى﴾ بضم الياءِ وفتح الدال، وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿لَا يَهْدِي﴾ بفتح الياء وكسر الدال، وهي قراءَة ابن المسيب، وابن مسعود، وجماعة(٢).

---

(١) مثله في البحر المحيط (٦/ ٥٢٩)، ولم أقف له على ترجمة خاصة به، ولعله والد الضحاك التابعي المشهور.

(٢) انظر: التيسير (ص: ١٣٧)، وموافقة أبي جعفر في النشر (٢/ ٣٠٤)، والباقين في البحر المحيط (٦/ ٥٢٩).

وذلك على معنيين: أَي إن الله لا يَهْدِي مَن قضى بإِضلاله، والمعنى الآخر: أَن العرب تقول: هدى[1] الرجلُ بمعنى: اهتدى، حكاه الفراءُ[2]، وفي القرآن: ﴿لا يَـهْدِي إلا أنْ يُهْدَى﴾[يونس: ٣٥][3]، وجعله أَبو علي وغيره بمعنى: يهتدي[4].

وقرأَت فرقة: (إن الله لا يَهِدِي) بفتح الياءِ وكسر الهاءِ والدَّال.

وقرأَت فرقة: (إن الله لا يُهْدِي) بضم الياءِ وكسر الدال[5]، وهي ضعيفة.

وفي مصحف أُبيّ بن كعب: (فإِنَّ الله لا هَادِيَ لِـمَنْ أَضَلَّ)، [وحكاها أَبو حاتم: (فَإِنَّه لا هادِيَ لِـمَنْ أَضَلَّ)][6]، قال أَبو عليٍّ: الراجع إِلى اسم (إِنَّ) مقدَّر في ﴿يُضِلُّ﴾ على كل قراءَة إِلَّا قراءَة ﴿يَهِدِى﴾ بفتح الياءِ وكسر الدال، بمعنى: يهدي الله، فإِنَّ الراجع مقدر في ﴿يَهِدِى﴾[7].

وقوله: ﴿وَمَا لَهُم﴾ ضمير على معنى «مَن»، وتقول العرب: حَرَصَ يَحْرُصُ وَحَرَصَ يَحْرِصُ، والكسر في المستقبل هي لغة أَهل الحجاز.

وقرأَ الحَسَن، وإِبراهيم، وأَبو حيوة بفتح الراءِ [في قوله: (تَحْرَصْ)][8].

---

(١) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «يهدي».

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٩٩).

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: التيسير (ص: ١٣٧).

(٤) الحجة لأبي علي (٥/ ٦٤).

(٥) وهما شاذتان، نقلهما في البحر المحيط (٦/ ٥٢٩)، وقال في الأولى: «منهم عبد الله»، وظاهره أنها من كلام ابن عطية، وليست في شيء من النسخ عندنا، واعترض على تضعيف الثانية بقوله: وإذا ثبت أن (هَدَى) لازم بمعنى: اهتدى لم تكن ضعيفة...

(٦) ليس في الأصل، وقد ذكر هذه القراءة الفراء في معاني القرآن (٢/ ٩٩) النحاس في معاني القرآن (٤/ ٦٥)، مقتصرين عليها، واقتصر على الأولى مكي في الهداية (٦/ ٣٩٩٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٧٨)، وزاد: (لا هاديَ لمن يضلُّ)، وذكر القراءتين معاً الزمخشري في الكشاف (٢/ ٦٠٥)، ونقل ابن زنجلة في حجة القراءات (ص: ٣٨٩) عن أبي: (لَا هادي لمن أضلّهُ الله).

(٧) الحجة لأبي علي (٥/ ٦٤).

(٨) زيادة من المطبوع والمصرية٢،١ وأحمد٣، وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٩)، إلا أن فيه «ابن خيرة» بدل «أبي حيوة».

وقرأ إبراهيم منهم: (وإنْ) بزيادة الواو[١].

والضمير في قوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ﴾ لكفار قريش، وذكر أن رجلاً من المسلمين حاور[٢] رجلًا من المشركين، فقال في حديثه: لا والذي أرجوه بعد الموت، فقال له الكافر: أَوَنُبعَث بعد الموت؟ قال: نعم، فأقسم الكافر مجتهداً في يمينه إن الله لا يبعث أحداً بعد الموت، فنزلت الآية بسبب ذلك[٣].

و﴿جَهْدَ﴾ مصدر، ومعناه: بغاية[٤] جهدهم.

ثم ردَّ الله تعالى عليهم بقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ فأوجب بذلك البعثَ.

وقوله: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان.

وقرأ الضحاك: (بلى وعدٌ عليه حقٌّ) بالرفع في المصدرَين[٥].

و﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أكثرُ النَّاسِ في هذه الآية: الكفار المكذِّبون بالبعث.

قال القاضي أبو محمد: والبعث من القبور مما يُجَوِّزه العقل، وأثبته خبر الشريعة على لسان جميع النَّبِيِّين، وقال بعض الشيعة: إن الإشارة بهذه الآية لعلي بن أبي طالب، وإن الله سيبعثه في الدنيا، وهذا هو القول بالرَّجعة[٦]، وقولهم هذا باطل وافتراءٌ على الله، وبهتان من القول ردَّه ابن عباس[٧] وغيره.

---

(١) وهي شاذة مخالفة للمصاحف، انظرها في البحر المحيط (٦/ ٥٢٩).

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «جاور» بالجيم، ولعله خطأ.

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٠٣) من طريق أبي العالية، به مرسلًا.

(٤) في نسخة: «فغاية» بالفاء.

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٢).

(٦) القول بالرجعة هو: اعتقاد أن الأموات يعودون قبل يوم القيامة، وهو قول جماعة من الروافض، انظر: الفرق بين الفرق (١/ ٣٩).

(٧) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٠٣) من طريق قتادة، قال: ذُكر لنا أن رجلًا قال لابن عباس... فذكره، وهذا فيه إبهام.

قوله عز وجل: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾.

اللام في قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ متعلقة بما في ضمن قوله: ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأَن التقدير: بلى يبعث ليبيِّنَ، وقيل: هي متعلقة بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾، والأَول أَصوب في المعنى؛ لأَن به يُتَصور كذب الكفار في إِنكار البعث.

وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا﴾ الآية، «إِنَّمَا» في كلام العرب هي للمبالغة وتحقيق تخصيص المذكور[١]، فقد تكون مع هذا حاصرةً / إِذا دلَّ على ذلك المعنى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وأَما قول النبي ﷺ: «إنما الربا في النَّسيئة»[٢]، وقول العرب: إِنما الشجاعُ عَنترةُ، فبقي فيها معنى المبالغة فقط. [٣/ ١٣٦]

و﴿إِنَّمَا﴾ في هذه الآية هي للحصر، وقاعدة القول في هذه الآية أَن نقول: إِن الإِرادة والأَمر اللذين هما صفتان من صفات الله تعالى القديمة هُما قديمان أَزليَّان، وإِن ما في أَلفاظ هذه الآية من معنى الاستقبال والاستئناف إِنما هو راجع إِلى المراد لا إِلى الإِرادة، وذلك أَن الأَشياءَ المرادة المكوَّنة في وجودها استئناف واستقبال، لا في إِرادة ذلك، ولا في الأَمر به؛ لأَن ذينك قديمان، فمن أَجل المراد عبَّر بـ ﴿إِذَآ﴾ و﴿نَّقُولَ﴾.

ونرجعُ الآن على هذه الأَلفاظ فنوضِّحُ الوجه فيها واحدةً واحدةً: أَما قوله: ﴿لِشَىْءٍ﴾ فيحتمل وجهين:

أَحدهما: أَن هذه الأَشياءَ التي هي مُرادة، وقيل لها: ﴿كُن﴾ معلوم أَن الوجود يأتي على جميعها بطول الزمن وتقدير الله تعالى، فلما كان وجودها حتماً جاز أَن تسمى أَشياءَ وهي في حالة عدم.

---

(١) في المطبوع: «وتحقيق وتحضيض على المذكورين»، وكذا في أحمد٣، إلا أن فيه «تخصيص».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٠٦٩)، ومسلم (١٥٩٦) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما، مرفوعاً.

والوجه الثاني: أَن يكون قوله: ﴿لِشَىۡءٍ﴾ تَنْبيهاً لنا على الأَمثلة التي ننظر فيها؛ أَي: إِنَّ كل ما تأخذونه من الأَشياءِ الموجودة فإِنما سبيله أَن يكون مراداً، وقيل له: ﴿كُن﴾ فكان، ويكون ذلك الشيءُ المأخوذ من الموجودات مثالاً لما يتأَخر من الأُمور، وما تقدَّم وفنِيَ[1]، فبهذا يُتخلص من تسمية المعدوم شيئاً، وقوله: ﴿أَرَدۡنَٰهُ﴾ مُنَزَّل منزلة مراد، ولكنه أَتَى بهذه الأَلفاظ المستأنفة بحسب أَن الموجودات تجيءُ وتظهر شيئاً بعد شيءٍ، فكأَنه قال: إِذا ظهر المراد منه، وعلى هذا الوجه يخرَّجُ قوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ونحوُ هذا مِمَّا معناه: ويقع منكم ما رآه الله تعالى في الأَزل كله[2] وعَلِمَه.

وقوله: ﴿أَن نَّقُولَ﴾ منزل منزلة المصدر، كأَنه قال: قولُنا، ولكن «أَنْ» مع الفعل تعطي استئنافاً ليس في المصدر في أَغلب أَمرها، وقد تجيءُ في مواضع لا يُلحظ فيها الزمن كهذه الآية، وكقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥] وغير ذلك.

[وقوله: ﴿لَهُۥ﴾][3] ذهب أَكثر الناس إِلى أَن الشَّيءَ هو الذي يقال له كالمخاطَب، وكأَن الله تعالى قال في الأَزل لجميع ما خلق: ﴿كُن﴾ بشرط الوقت والصفة، وقال الزَّجَّاج: ﴿لَهُۥ﴾ بمعنى: مِن أَجْلِه، وهذا ممكن أَن يُرَدَّ بالمعنى إِلى الأَول.

وذهب قومٌ إِلى أَن قوله: ﴿أَن نَّقُولَ﴾ مجازٌ، كما تقول: قال برأسه فرفعه، وقال بيده فضرب فلاناً، وردَّ على هذا المنـزع أَبو منصور، وذهب إِلى أَن الأَولى هو الأَول[4].

وقرأ الجمهور: ﴿فَيَكُونُ﴾ برفع النون.

---

(١) ليست هذه الكلمة في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢.

(٢) «كلِّه» زيادة أحمد٣ والمطبوع والمصرية٢.

(٣) ليس في الأصل، وفيه: «وذهب».

(٤) في المطبوع ونور العثمانية والمصرية٢: «الأول هو الأول».

وقرأ ابن عامر والكسائي هنا وفي (يس) [٨٢][1]: ﴿فيكونَ﴾ بنصبها، وهي قراءة ابن محيصن.

قال القاضي أبو محمد: والأول أبْعَدُ من التعقيب الذي يصحب الفاء في أغلب حالها، فتأمله.

وفي هذه النبذة ما يُطَّلعُ منه على عيون هذه المسألة، وشرطُ الإيجاز مَنع من بسط الاعتراضات والانفصالات، والمقصود بهذه الآية إعلام منكري البعث بهوان أمره على الله، وقربه في قدرته لا ربَّ غيرُه.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾.

لمَّا ذكر الله تعالى كفار مكة الذين أَقسموا أَن الله لا يبعث من يموت، وردَّ على قولهم، ذكَر مؤمني مكة المعارضين لهم، وهم الذين هاجروا إِلى أَرض الحبشة، هذا قول الجمهور، وهو الصحيح في سبب الآية؛ لأَن هجرة المدينة لم تكن وقت نزول الآية.

وقالت فرقة: سبب الآية أَبو جندل بن سهيل بن عمرو[2].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف؛ لأَن أَمر أَبي جندل إِنما كان والنبي ﷺ بالمدينة.

وقالت فرقة: نزلت في عمَّار وصهيب وخَبَّاب وأَصحابهم الذين أُوذوا بمكة وخرجوا عنها.

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٣٧)، وموافقةُ ابن محيصن في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٥٠).

(٢) قيل: اسمه عبد الله، وكان من السابقين إلى الإسلام، وممَّن عُذِّب بسبب إسلامه، استشهد باليمامة. الإصابة (٧/ ٥٨-٥٩).

قال القاضي أبو محمد: وعلى كل قول فالآية تتناول بالمعنى كل من هاجر أَوَّلاً وآخراً.

وقرأ الجمهور: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾.

وقرأ ابن مسعود، ونعيم بن ميسرة، والربيع بن خُثَيم، وأَمير المؤمنين علي بن أَبي طالب: (لَنُثْوِيَنَّهُم)[١].

وهاتان اللفظتان معناهما التقرير [في موضع][٢]، فقالت فرقة: الْحَسَنَةُ عِدَةٌ ببقعة شريفة كشف الغيب أَنها كانت بالمدينة، وإِليها كانت الإشارة بقوله: ﴿حَسَنَةً﴾، وقالت فرقة: الحَسَنَةُ هنا لسانُ الصدق الباقي عليهم في غابر الدهر.

قال القاضي أبو محمد: وفي ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ أَوْ (لَنُثْوِيَنَّهُم) على هذا التأويل في لسان الصدق تَجَوُّز كثير واستعارة بعيدة، وهذا على أَن ﴿حَسَنَةً﴾ هي المباءة[٣] والمثوى، وأَن الفعل الظاهر عامل فيها.

وقال أَبو الفتح: نصبها على معنى: نُحْسن إِليهم في ذلك إِحساناً، وجعلت (حَسَنَة) موضع (إِحساناً)[٤].

وذهبت فرقة إِلى أَن الحسنة عامة في كل أمر مستحسَن[٥] يناله ابن آدم، وتخف الاستعارة المذكورة على هذا التأويل، وفي هذا القول يدخل ما رُوي عن عمر بن الخطاب أَنه كان يعطي المال وقتَ القسمة الرجلَ من المهاجرين[٦] ويقول له: خُذ ما

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر النشر (٢/ ٣٤٤)، وانظر نسبتها لابن مسعود في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٨)، وزاد ابن وثاب، ولعلي في الكشاف (٢/ ٦٠٧)، والمحتسب (٢/ ٩)، وللكل في البحر المحيط (٦/ ٥٣٢).

(٢) ليس في الأصل.

(٣) في المطبوع: «الحياة».

(٤) المحتسب (٢/ ٩).

(٥) في الأصل: «ما يستحسن».

(٦) في المصرية١: «المستأجرين».

وعدك الله في الدنيا، ولأَجر الآخرة أَكبر، ثم يتلو هذه الآية[١].

قال القاضي أبو محمد: ويدخل في هذا القول النصرُ على العدو، وفتح البلاد وكل أَمل أبلغه المهاجرون، وأَجر الآخرة هنا إِشارة إِلى الجنة.

والضمير في ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عائد على كفار قريش، وجواب ﴿لَوْ﴾ مقدر محذوف، ومفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾ كذلك، وفي هذا نظر.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ من صفة المهاجرين الذين وعدهم الله، والصبر يَجْمَع: عن الشهوات، وعلى المكاره في الله تعالى، والتوكل تتفاضل[٢] مراتبُه، فَمُطيل فيه وذلك مباحٌ حَسَن، ما لم يَغلُ حتى يُسَبِّب الهلاك، ومتوسِّط يسعى جميلاً ويتوكل[٣]، وهذا مع قول النبي ﷺ: «قَيِّدها وتوكل»[٤]، ومقصِّر لا نفع في تقصيره، وإِنَّما لَهُ مَا قُدِّر له.

وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ الآية، هي ردٌّ على كفار قريش الذين استبعدوا أَن يكون البشر رسولًا من الله تعالى، فأَعلَمَهم الله تعالى / مخاطِباً لمحمد ﷺ أَنه لم يرسل إِلى الأُمم إِلا رجالاً، ولم يرسل ملَكاً ولا غير ذلك، و﴿رِجَالًا﴾ منصوب بـ ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾، و﴿إِلَّا﴾ إِيجابٌ. [٣/ ١٣٧]

وقرأَ الجمهور: ﴿يُوحَى﴾ بضم الياءِ وفتح الحاءِ.

وقرأَت فرقة: (يوحِي) بضم الياءِ وكسر الحاءِ.

وقرأَ عاصم من طريق حفص وحده: ﴿نُّوحِيٓ﴾ بالنون وكسر الحاءِ، وهي قراءَة

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٠٦) من طريق شهر بن حوشب، عن العوام، عمن حدثه، أن عمر... فذكره.

وهذا إسناد ضعيف لحال شهر، ولإبهام اسم شيخ العوام.

(٢) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية١: «بتفاصيل»، وفي نور العثمانية: «مفاضل».

(٣) ليست في الأصل.

(٤) سبق تخريجه في سورة آل عمران الآية (١٠٥).

ابن مسعود، وطلحة بن مصرِّف، وأَبي عبد الرحمن[١].

ثم قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ﴾؛ [أَي: قل لهم: فاسأَلوا][٢]، و﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ هنا اليهود والنصارى، قاله ابن عباس[٣]، ومجاهد، والحسن[٤]، وقال الأَعمش، وسفيان ابن عُيَيْنَة: المرادُ مَن أَسلمَ منهم[٥]، وقال أبو جعفر، وابن زيد: أَهْلُ الذِّكْرِ: أَهْلُ القرآن[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذان القولان فيهما ضعف؛ لأَنه لا حجة على الكفار في إِخبار المؤمنين بما ذكر، لأَنهم يكذبون هذه الصنائف.

وقال الزجاج: [﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ عامٌّ في كل مَن يُعزى إِلى علمٍ[٧].

قال القاضي أَبو محمد: والأَظهر في هذا كله قولُ ابن عباس رضي الله عنه أَن يكون][٨] أَهل الذكر هنا أَحبار اليهود والنصارى الذين لم يُسلِموا، وهم في هذه النازلة خاصة إِنما يُخْبِرُونَ بأَن الرسل من البشر، وإخبارُهم[٩] حجَّةٌ على هؤلاءِ، فإِنهم لم يزالوا مُصَدِّقين لهم، ولا يتهمون لشهادة لنا؛ لأَنهم مدافعون في صدر ملة محمد ﷺ، [قاتلهم الله][١٠]، وهذا هو كسْرُ حجَّتهم من مذهبهم، لا أَنَّا افتقرنا إِلى شهادة هؤلاءِ، بل الحق واضح في نفسه، وقد أَرسلت قريش إِلى يهود يثربَ يسأَلون ويُسنِدون[١١] إِليهم.

---

(١) الأولى والثالثة سبعيتان، كما في التيسير (ص: ١٣٠)، والثانية شاذة، وهي في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٠٠) بلا نسبة.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٠٨) من طريق الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس، ولم يسمع منه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٠٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٤٣٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٠٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٦٨).

(٦) انظر قولهما في تفسير الطبري (١٧/ ٢٠٩)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٨٩)، وفي الأصل: «ابن جبير»، بدل «أبي جعفر».

(٧) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٠٠، ٢٠١) وكلامه هناك لا يؤدي هذا المعنى.

(٨) ما بين المعكوفتين ليس في الأصل.

(٩) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «وأَحبارهم».

(١٠) من المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢.

(١١) في الأصل: «ويستندون».

وقوله: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ متعلق بفعل مضمر تقديره: أَرسلناهم بالبيِّنات، وقالت فرقة: الباء[١] متعلقة بـ﴿أَرْسَلْنَا ﴾ في أَول الآية، والتقدير على هذا: وما أَرسلنا من قبلك بالبينات والزُّبُرِ إِلا رجالاً، ففي الآية تقديم وتأخير.

و(الزُّبُر): الكتب المزْبُورَة، تقول: زبرت وذبرت: إِذا كتبتَ، والذِّكر في هذه الآية القرآن.

وقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ ﴾ يحتمل أَن يريد: لِتُـبَيِّن بِسَرْدِك نصَّ القرآن ما نزل، ويحتمل أَن يريد: لِتُبيِّن بتفسيرك المجملَ، وبشرحك ما أَشكلَ مما نُزِّل، فيدخل في هذا ما تُـبَيِّنه السُّنَّة من أَمر الشريعة، وهذا قول مجاهد[٢].

قوله عز وجل: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

هذه آية تهديد لأَهل مكة، وهم المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ﴾ في قول الأَكثرين.

وقال مجاهد: المراد نمرود بن كنعان[٣]، والأَول أَظهر.

ونصب ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ يحتمل وجهين:

أَحدهما: أَن ينصب بقوله: ﴿ أَفَأَمِنَ ﴾، وتكون ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ على هذا العقوبات التي تسوءُ مَن تنـزل به، ويكون قوله: ﴿أَن يَخْسِفَ ﴾ بدلاً منها.

والوجه الثاني: أَن تنصب بـ﴿مَكَرُواْ ﴾، وعُدِّي ﴿مَكَرُواْ ﴾؛ لأَنه في معنى: عملوا، أَو فعلوا، و﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ على هذا معاصي الكفر وغيره، قاله قتادة[٤].

---

(١) في المطبوع: «إنها» بدل: «الباء».
(٢) انظر قوله في الهداية لمكي (٦/ ٤٠٠٣).
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢١٢).
(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٢١٢)، بالمعنى.

ثم توعدهم بما أَصاب الأُمم قبلهم من الخسف، وهو أَن تبتلع الأَرض المخسوف به، ويقعد به إِلى أَسفل، وأَسند النقاش [عن بعض أَهل العلم][(١)]: أَن قوماً في هذه الأُمة أُقيمت الصلاة فتدافعوا الإِمامة وتَصَلَّفُوا[(٢)] في ذلك، فما زالوا كذلك حتى خُسِفَ بهم.

و﴿تَقَلُّبِهِمْ﴾: سفرهم ومحاولتهم المعايش بالسفر والرعاية وغيرها، و«المُعْجِز»: المُفلِت هرباً، كأَنَّه عجَّز طالبه.

وقوله: ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾؛ أَي: على جهة التَّخَوُّف، و«التَّخَوُّف»: النقص[(٣)]، ومنه قول الشاعر يصف ناقة:

تَخَـوَّفَ السَّـيْرُ مِنْهَـا تَامِـكاً قَرِداً كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[(٤)] [البسيط]

فالسَّفَن: المِبْرد، ويُروى أَن عمر بن الخطاب خفي عليه معنى التَّخَوُّف في هذه الآية، وأَراد الكتب إِلى الأَمصار يسأَل عن ذلك حتى سمع هذا البيت[(٥)].

ويروى أَنه جاءَه فتىً من العرب وهو قد أَشكل عليه أَمر لفظة التخوف، فقال له:

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) يقال: صَلِف فلان: لم يحظ عند الناس وأبغضوه، وأَصْلَفَه الله: بَغَّضه إلى الناس، ويقال: صَلَفه صَلْفاً: أَبغضه.

(٣) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية والمصرية١: «التَّـنَقُّص».

(٤) عزاه الثعلبي (٦/ ١٩) لأبي كبير الهذلي في حديث عمر بن الخطاب، نقله غير واحد من المفسرين، وعزاه في أساس البلاغة (ص: ١٧٨)، والكشاف (٢/ ٥٦٨) لزهير، وفي المحكم (٥/ ٣٠٨) لابن مقبل، وفي الصحاح (٤/ ٤٥)، وتاج العروس (٣٥/ ١٩٣) لذي الرمة، وفي الأغاني (٦/ ٨٢) لابن مزاحم الثمالي، وفي سمط اللآلي (١/ ٢١٣) لقعنب ابن أم صاحب، قال في العباب الزاخر (١/ ٤٠٩): ويروى لعبد الله بن عجلان النهدي، وجاء في الأصل: «فرداً»، بالفاء، والتَّامِكُ: السَّنام، وقيل: السَّنَام المرتفع.

(٥) لم أقف على هذا مسنداً، إنما ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ١٩) من حكاية سعيد بن المسيب، وهي منقطعة، ويبقى الإسناد إلى سعيد، لكن أخرج الطبري (١٧/ ٢١٤) نحوه عن أعرابي بدون ذكر الشعر، من طريق: المسعودي، عن إبراهيم بن عامر بن مسعود، عن رجل، عن عمر أنه سألهم عن هذه الآية... والمسعودي اختلط، والرجل لا يعرف.

يا أَمير المؤمنين، إِن أَبي يَتَخَوَّفني مالي، فقال عمر: الله أكبر، ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ ﴾[1].

ومنه قول طرفة:

وَجَـامِـلٍ خَـوَّفَ مِـنْ نِـيـنـهِ زَجْرُ الـمُعَلَّى أُصُلاً والسَّفِيحْ[2] [السريع]

[ويروى: من نبته][3]، ومنه قول الآخر:

أُلامُ عَلَـى الْهِجَـاءِ وكُلَّ يَـوْمٍ يُلَاقِيني مِـنَ الْجِيـرَانِ غُـولُ [الوافر]
تَخَـوَّفَ عَدْوُهُـمْ مَالـي وَأَهْدَى سَلاسِلَ في الْحُلُوقِ لَهَا صَلِيلُ[4]

يريد الأَهاجي، ومنه قول النابغة:

تَـخَـوَّفَـهُـمْ حَتَّى أَذَلَّ سَـرَاتَـهم بِطَعْنٍ ضِرَارٍ بَعْدَ نفح الصَّفَائحِ[5] [الطويل]

قال القاضي أبو محمد: وهذا التنقص يتجه الوعيد به على معنيَيْن:

أَحدهما: أَن يهلكهم ويخرج أَرواحهم على تخوُّف؛ أَي: أَفذاذاً، يتَنَقَّصهم بذلك الشيءَ بعد الشيءِ، وهذا لا يدعي أَحد أَنه يأْمنه، وكأَن هذا الوعيد إِنما يكون بعذاب ما يلقون بعد الموت، وإِلا فهكذا تهلك الأُمم كلها، ويؤيد هذا قوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾؛ أَي: إن هذه الرتبة الثالثة[6] من الوعيد فيها رأْفة ورحمة وإِمهال؛ ليتوب التائب، ويرجع الراجع.

---

(١) أخرجه أبو علي القالي في أماليه (ص: ١٨٤) بإسناد معضل إلى عبد الله بن عباس، وليس عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٦٠)، والجراثيم (ص: ٣٥)، والمحكم (٢/ ٢٦٩)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٠)، وفي المطبوع: «نيبه».

(٣) ليس في نور العثمانية، وفي المطبوع وأحمد٣: «نفسه».

(٤) البيتان في مجاز القرآن (١/ ٣٦٠) بلا نسبة، وقال الثعلبي (٦/ ١٩): أنشده الهيثم بن عدي على أنها لغة لأزد شنوءة.

(٥) انظر عزوه له في تفسير الثعالبي (٢/ ٣١١)، وفي الأصل: «قبْح»، بدل «نفح».

(٦) «الثالثة» زيادة من الأصل ونور العثمانية والإماراتية ونجيبويه.

والآخرُ: [ما قال الضحاك][(١)]: أَن يأْخذ بالعذاب طائفة أَو قرية، ويترك أُخرى، ثم كذلك حتى يهلك الكل.

وقالت فرقة: التخوُّف هنا من الخوف؛ أَي: يأْخذهم بعد تخوُّف ينالهم، فيعذبهم به.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا تكلُّف مَّا.

وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ الآية، قرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾ بالياءِ، على لفظ الغائب، وكذلك في «العنكبوت»، فهي جارية على قوله: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ ﴾ وقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ﴾ وقوله: ﴿لَا يَشْعُرُونَ ﴾، ورجَّحها الطبري، وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿أَوَلَمْ تَرَوا﴾ بالتاءِ من فوق في الموضعين، وهي قراءَة الحسن، والأَعرج، وأَبي عبد الرحمن[(٢)].

وذلك يحتمل من المعنى وجهين:

أَحدهما: أن يكون على معنى: قُلْ لهم يا محمد: أَوَلَمْ تَـرَوْا.

والوجه الثاني: أَن يكون خطاباً عاماً لجميع الخلق ابتدأَ به القول آنفاً.

وقرأَ عاصم في «النحل» بالتاءِ من فوق، واختلف عنه في «العنكبوت»[(٣)].

وقوله: ﴿مِن شَيْءٍ ﴾ لفظ عام في كل ما اقتضته الصفة في قوله: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَـٰلُهُۥ ﴾ لأَن ذلك صفة لما عرض للعبرة / في جميع الأَشخاص التي لها ظل. [٣/ ١٣٨]

و«الرؤية» هنا هي رؤية القلب، ولكن الاعتبار برؤية القلب هنا إِنما تكون في مرئيات بالعين.

وقرأَ أَبو عمرو وحده: ﴿تَتَفَيَّأُ﴾ بالتاءِ من فوق، وهي قراءَة عيسى ويعقوب.

---

(١) ليس في الأصل، وانظر قوله في تفسير الطبري (١٧/ ٢١٥).

(٢) انظر التيسير (ص: ١٣٨)، وانظر ترجيح الطبري في تفسيره (١٧/ ٢١٦).

(٣) كما سيأتي في محله، وانظر: السبعة (ص: ٣٧٣).

وقرأ الجمهور: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟﴾[١]، قال أبو علي: إذا تقدم الفعل المسند[٢] إلى مثل هذا الجمع فالتذكير والتأنيث فيه حسَنان[٣].

و«فَاءَ الظِّلُّ»: رجعَ بعكس ما كان بُكْرةً[٤] إلى الزوال، وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال إنما هي في نسخ الظِّلِّ العام قبل طلوعها، فإذا زالت ابتدأ رجوع الظل العام، ولا يزال ينمو حتى تغيب الشمس فيعم، والظل الممدود في الجنة لم يذكر الله له فيئاً؛ لأنه لم يرجع بعد أن ذهب، وكذلك قول حُميد بن ثور الهلالي:

فَلا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ ... ولا الْفَيْءُ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ تَذُوقُ[٥] [الطويل]

فهو على المهيع، وكذلك قول علقمة بن عبدة:

تَتَبَّعُ أَفْيَاءَ الظِّلالِ عَشِيَّةً ... عَلَى طُرُقٍ كَأَنَّهُنَّ سُيُوبُ[٦] [الطويل]

وكذلك قول امرئ القيس: يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ[٧].

وأما النابغة الجعدي فقال:

فَسَلامُ الإِلَهِ يَغْدُو عَلَيْهِمْ ... وَفُيُوءُ الْفِرْدَوْسِ ذَاتُ الظِّلالِ[٨] [الخفيف]

فَتَجَوَّزَ في أَنْ جعل الفَيْءَ حيثُ لا رجوع.

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٣٨)، وقراءة يعقوب في النشر (٢/ ٣٠٤)، وقراءة عيسى في البحر المحيط (٦/ ٥٣٦).
(٢) في الأصل: «المنسوب».
(٣) الحجة للفارسي(٥/ ٦٧).
(٤) ليس في الأصل.
(٥) قد تقدم في تفسير الآية (٤٠) من سورة آل عمران.
(٦) انظر نسبته له في المفضليات (ص: ٣٩٣)، وفي نجيبويه والمصرية١ والمصرية٢: «سبوب»، وظاهر الأصل: «سيوف» بالفاء.
(٧) تمام البيت: تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتي عنْدَ ضارِجٍ يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِ، وقد تقدم في تفسير الآية (٢٦٧) من سورة البقرة.
(٨) انظر عزوه له في الحجة لأبي علي (٥/ ٦٨)، والمخصص (٢/ ٣٩٥) وفي الأصل: «فيء» بالإفراد، وفي المصرية١: «القدوس».

وقال رؤْبة بن العجَّاج: يقال بعد الزوال: فَيْءٌ وظِلٌّ، ولا يقال قبله إِلَّا ظِلٌّ فقط[١].

ويقال: فاءَ الظِّلُّ: إِذا رجع من النقصان إِلى الزيادة، ويُعدَّى «فَاءَ» بالهمزة، كقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الحشر: ٧]، ويُعدَّى بالتضعيف، فيقال: أَفَاءهُ الله وفيَّأَهُ الله، وتَفَيَّأَ مطاوع[٢] فَيَّأَ، ولا يقال: «الفيْءُ» إِلا من بعد الزوال في مشهور كلام العرب، لكن هذه الآية الاعتبار فيها من أَول النهار إِلى آخره، فكأَن الآية جارية في بعض التأويلات على تجوز كلام العرب، واقتضائه وضعَ ﴿تَتَفَيَّأُ﴾ مكان «تَتَنَقَّل» و«تميل»، وأَضَافَ الظلال إِلى ضمير مفرد حملاً على لفظ ﴿مَّآ﴾، أَو لفظ ﴿شَيۡءٍ﴾، وهو في المعنى لجمع[٣].

وقرأَ الثَّقَفيُّ: (ظُلَلُهُ) بفتح اللام الأُولى وضم الثانية وضم الظاءِ[٤].

وقوله: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾، أَفرد اليَمِين وهو يراد به الجمع، فكأَنه للجنس، والمراد: عن الأَيمان والشمائل، كما قال الشاعر:

[البسيط] الـوَارِدُونَ وتَـيْـمٌ فـي ذُرَى سَـبَـأٍ ... قَدْعَضَّ أَعْنَاقَهُم جِلْدُ الْجَوَاميسِ[٥]

وقال الآخر:

[الطويل] بِفِي الشَّامِتِينَ الصَّخْرُ إِنْ كانَ هَدَّني ... رَزِيَّةُ شِبْلَيْ مُخْدَرٍ في الضَّرَاغِمِ[٦]

---

(١) انظر: المخصص (٢/ ٣٩٥).

(٢) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «مضارع»، وهو خطأ.

(٣) في المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣: «وهو بالمعنى لجميع».

(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٠).

(٥) البيت لجرير، كما في المخصص (١/ ٥٦)، والجليس الصالح الكافي (ص: ٣٧٥)، وكتبت في المطبوع: «وثيم» بالثاء.

(٦) البيت للفرزدق كما في الأغاني (١٠/ ٣٠٣)، والكامل للمبرد (١/ ١٨٠)، وأساس البلاغة (١/ ١٥٤).

والمنصوب للعبرة في هذه الآية هو كل شخص وجرم له ظل كالجبال والشجر وغير ذلك، والذي يترتب فيه أَيمان وشمائل إِنما هو البشر فقط، ولكن ذكر الأَيمان والشمائل هنا[١] على جهة الاستعارة لغير البشر؛ أَي: تُقَدِّرُهُ ذا يمين وشمال، وتُقدِّرُه يستقبل أَيَّ جهة شئت، ثم تنظر ظله فتراه يميل إِما إِلى جهة اليمين، وإِما إِلى جهة الشمال، وذلك في كل أَقطار الدنيا، فهذا وجه يعمم لك أَلفاظ الآية، وفيه تجوُّز واتساعٌ.

ومن ذهب إِلى أَن اليمين من غدوة النهار إِلى الزوال، ثم يكون من الزوال إِلى المغيب عن الشمال، وهو قول قتادة، وابن جريج[٢]، فإِنما يترتب له ذلك فيما قدره مستقبِل الجنوب، والاعتبار في هذه الآية عندي إِنّما هو المستقبل[٣] الجنوب.

وما قال بعض الناس من أَن اليمين أَول دفعة للظل بعد الزوال، ثم الآخر إِلى الغروب هي عن الشمال، ولذلك جمع الشمائل وأَفرد اليمين، فتخليطٌ من القول يبطل من جهات.

وقال ابن عباس: إِذا صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس إِلى مغربها ظلاً، ثم بعث[٤] الله عليه الشمس دليلًا فقبض إِليه الظل[٥].

قال القاضي أبو محمد: فعلى هذا فأَولُ ذرور الشمس، فالظل عن يمين مستقبل الجنوب، ثم يبدأُ الانحراف فهو عن الشمائل؛ لأَنها حركات كثيرة وظلال متقطعة، فهي شمائل كثيرة، وكان الظل عن اليمين متصلاً واحداً عامّاً لكل شيءٍ، وفي هذا القول تجوُّز في ﴿يَتَفَيَّؤُا۟﴾، وعلى ما قدَّرنا من استقبال الجنوب يكون الظل أَبداً مندفعاً عن اليمين إِلى الزوال، فإِذا تحرَّك بعْدُ فارَق الأَيمان جملة، وصار اندفاعه عن الشمائل.

---

(١) في المطبوع والمصرية٢ زيادة: «هو».
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢١٦)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٩١).
(٣) في المطبوع والمصرية٢: «في مستقبل».
(٤) في المطبوع والمصرية٢ ونجيبويه: «جعل».
(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٢١٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقالت فرقة: «الظلال» هنا: الأَشخاص، هي المراد أَنفسها، والعرب تُعبِّر أَحياناً عن الأَشخاص بالظل، ومنه قول عَبْدة بن الطيِّب[١]:

[البسيط] إِذَا نَـزَلْنَـا نَصَبْنَـا ظِـلَّ أَخْـبِيَـةٍ ... وَفَارَ لِلْقَوْمِ باللَّحْمِ الْمَرَاجِيلُ[٢]

وإِنما تُنصب الأَخبية، ومنه قول الآخر:

[الطويل] تَـتَـبَّـعُ أَفْيَـاءَ الظِّـلالِ عَشِـيَّـةً[٣] ....

أَي: أَفياءَ الأشخاص.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله محتمل غير صريح، وإِن كان أَبو علي قد قدَّره[٤].

واختلف المتأَوِّلون في هذا السجود: فقالت فرقة: هو سجود عبادة حقيقية.

وذكر الطبري عن الضحاك قال: إِذا زالت الشمس سجد كل شيءٍ قِبَل القبلة من نبت[٥] أَو شجر، ولذلك كان الصالحون يستحبون الصلاة في ذلك الوقت، وقال مجاهد: إِنما تسجد الظلال، لا الأَشخاص، وقالت فرقة منهم الطبري: عبَّر عن الخضوع والطاعة وميلان الظلال ودورانها بالسجود[٦].

وكما يقال للمشير برأْسه نحو الأَرض على جهة الخضوع: ساجد، ومنه قول الشاعر:

---

(١) في المطبوع نور العثمانية وأحمد٣: «الطبيب»، وكذا في الإصابة (٥/ ٨٧) [القسم٣]، ولعله خطأ، قال: واسم أبيه يزيد بن عمرو بن وعلة التميمي الشّاعر المشهور، شهد قتال هرمز مع المثنى، وله فيه آثار مشهورة، وفتح المدائن مع ابن مقرّن وهو شاعر مخضرم مجيد.

(٢) انظر عزوه له في الكامل في اللغة والأدب (٢/ ١٠٩)، والاختيارين (ص: ٩٤)، والعقد الفريد (١/ ١٤٣).

(٣) صدر بيت علقمة الذي تقدم قريباً.

(٤) في المطبوع والمصرية١: «قرره»، وانظر الحجة لأبي علي (٥/ ٧١).

(٥) في نجيبويه: «نبات»، وفي المطبوع: «بيت».

(٦) انظر أقوال الطبري، ونقله عن مجاهد والضحاك في تفسير الطبري (١٧/ ٢١٧).

فَكِلْتَاهُمَـا خَـرَّتْ وَأَسْـجَدَ رَأْسُـهَا كَمَا سَـجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحنَّفِ[١] [الطويل]

و«الدَّاخِر»: المتصاغر المتواضع، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

فَلَـمْ يَبْـقَ إِلَّا داخِـرٌ فـي مُخَيِّـسٍ وَمُنْجَحِرٍ في غَيْرِ أَرْضِكَ في جُحْرِ[٢] [الطويل]

قوله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ / وَلَهُ ٱلدِّينُ [٣/ ١٣٩] وَاصِبًاۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

وقعت ﴿مَا﴾ في هذه الآية لما يعقل، قال الزجاج: قوله: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعمُّ ملائكة السماءِ، وما في السحاب، وما في الجوِّ من حيوان، وقوله: ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ بَيِّن، ثم ذكر ملائكة الأَرض في قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[٣].

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ هو الذي يَعُمُّ ملائكة السماوات والأَرض، وما قبل ذلك لا يدخل فيه مَلَك، إِنما هو الحيوان أَجمع.

وقوله: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ يحتمل معنَيَيْن:

أَحدهما: الفوقية التي يوصف الله بها تعالى، فهي فوقيَّة القَدر والعظمة والقهر والسلطان.

---

(١) البيت لأبي الأَخْزَر الحِمَّانيِّ، كما تقدم في تفسير الآية (٦٢) من سورة البقرة.

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٢١٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٩١)، ونسبه الجوهري في الصحاح (٣/ ٦٤) إلى الفرزدق، وتابعه في لسان العرب (٦/ ٧٤)، وتاج العروس (١٦/ ٤٥)، ورواية الديوان: (ومُنْحَجر) بتقديم الحاء على الجيم.

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٠٢، ٢٠٣).

والآخر: أَن يتعلق قوله: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ بقوله: ﴿يَخَافُونَ﴾؛ أَي: يخافون عذاب ربهم من فوقهم، وذلك أَن عادة عذاب الله للأُمم إِنما يأْتي من جهة فوق.

وقوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، أَمَّا المؤمنون فبحسب الشرع والطاعة، وأَما غيرهم من الحيوان فبالتسخير والقَدَر الذي يسوقهم إِلى ما نفذ[١] من أَمر الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ﴾ نهيٌ من الله تعالى عن الإِشراك به، ومعناها: لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثنين فصاعداً بما ينصه من قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، قالت فرقة: المفعول الأَول لـ﴿تَتَّخِذُوٓاْ﴾ قوله: ﴿إِلَٰهَيْنِ﴾ وقوله: ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ تأْكيدٌ وبيانٌ بالعدد، وهذا معروف في كلام العرب، أَن يُبيَّن المعدود بذكر عدده تأْكيداً، ومنه قوله: ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ لأَن لفظ الإِله يقتضي الانفراد.

وقال قومٌ منْهم: المفعول الثاني محذوف، تقديره: مفرداً[٢]، أَو معبوداً، أَو مطاعاً، ونحو هذا.

وقالت فرقة: المفعول الأَول قوله: ﴿ٱثْنَيْنِ﴾، والثاني قوله: ﴿إِلَٰهَيْنِ﴾، وتقدير الكلام: لا تتخذوا اثنين[٣] إلهين، [فلا يحتاج إلى الاعتذار بالتأكيد][٤]، ومثله قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٢-٣]، ففي هذه الآية ـ على بعض الأَقوال ـ تقديم المفعول الأَول لـ﴿تَتَّخِذُواْ﴾.

وقوله: ﴿فَإِيَّٰىَ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: فارهبوا إِيَّايَ فارهبون، ولا يعمل فيه الفعل الظاهر[٥]؛ لأَنه قد عمل في الضمير المتصل به.

وقوله: ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية، الواو في قوله: ﴿وَلَهُۥ﴾ عاطفة على قوله: ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، وجائز أَن تكون واو ابتداءٍ، و﴿مَا﴾ عامة جميع الأَشياءِ مما يعقل وما لا يعقل،

---

(١) في المطبوع والمصرية٢: «تقدم»، وفي نور العثمانية: «تقدر».
(٢) «مفرداً أو» ليس في الأصل والإماراتية ونور العثمانية.
(٣) ليس في المصرية١.
(٤) ليس في الأصل.
(٥) ليس في الأصل.

و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ هنا كل ما ارتفع من الخلق في جهة فوق، فيدخل فيه العرش والكرسي.

و﴿ٱلدِّينُ﴾: الطاعة والمُلك كما قال زهير:

.... في دين عَمْرٍو وحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ[١] [البسيط]

في طاعته وملكه.

و«الواصِبُ»: الدائم، قاله ابن عباس[٢]، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك[٣]، وقال الشاعر:

لا أَبْتَغِي الْحَمْدَ القَلِيلَ بقاؤُهُ يَوْماً بِذَمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ واصِبا[٤] [الكامل]

ومنه قول حسّان بن ثابت:

غَيَّرَتْهُ الرِّيحُ تَسْفِي بِهِ وهَزِيمٌ رَعْدُهُ وَاصِبُ[٥] [المديد]

وقالت فرقة: هو من الوصَب، وهو التعب؛ أَي: وله الدِّين على تعبه ومَشَقَّتِهِ، فواصب ـ على هذا ـ جارٍ على النسب؛ أَي: ذَا وَصَبٍ، كما قال:

.... أَضْحَى فُؤَادِي بِهِ فاتِنا[٦] [المتقارب]

وهذا كثير.

---

(١) صدره: لَئِنْ حَلَلْتِ بِجَوٍّ في بَني أَسَدٍ، وقد تقدم الاستشهاد به في تفسير (الفاتحة).

(٢) إسناده لين، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٢٢) عن سفيان بن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن قيس ـ هو ابن الربيع ـ، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نضرة، عن ابن عباس. وسفيان وقيس فيهما ضعف.

(٣) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (١٧/ ٢٢٢).

(٤) البيت لأبي الأسود الدُّؤَلي كما في مجاز القرآن (١/ ٣٦١)، والأغاني (١٢/ ٣٥٩)، وتفسير الطبري (١٧/ ٢٢١)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٢).

(٥) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٢٢١)، والبحر المحيط (٧/ ٢٣٧)، وغيرهما، والهزيم: السحاب المتشقق بالمطر.

(٦) هذا عجز بيت صدره: رَخِيمُ الكَلامِ قَطِيعُ الْقِيَامِ، وهو في مقاييس اللغة (٤/ ٤٧٣)، والمخصص (١/ ٣٨٠)، وغيرهما بلا نسبة.

وقال ابن عباس أَيضاً: الواصِبُ: الواجب[١]، وهذا نحو قوله: الواصب: الدائم.

وقوله: ﴿أَفَغَيْرَ﴾ توبيخ في لفظ استفهام، ونصب (غير) بـ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ لأَنه فعل لم يعمل في سوى (غير) المذكورة.

والواو في قوله: ﴿وَمَابِكُم﴾ يجوز أَن تكون واو ابتداءٍ، ويجوز أَن تكون واو الحال، ويكون الكلام متصلاً بقوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾، كأَنه يقول على جهة التَّوبيخ: أَتَتَّقُون غير الله [وما منعمٌ][٢] عليكم سواهُ؟.

والباءُ في قوله: ﴿بِكُم﴾ متعلقة بفعل تقديره: وما نَزَلَ أَو أَلَمَّ، ونحو هذا، و(ما) بمعنى: الذي، والفاءُ في قوله: ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ دخلت بسبب الإِبهام الذي في (ما) التي هي بمعنى: الذي، فأَشبه الكلام الشرط، ومعنى الآية التذكير بأَن الإِنسان في جليل أَمره ودقيقه إِنما هو في نعمة الله وأَفضاله، إِيجاده داخل في ذلك فما بعده، ثم ذكَّر تعالى بأَوقات المرض لِكَوْن الإِنسان الجاهل يُحِسُّ فيها قدر الحاجة إِلى لطف الله، و﴿ٱلضُّرُّ﴾ وإِن كان يعُمُّ كل مكروه، فأَكثرُ ما يجيءُ عبارة عن أَرزاءِ البدن.

و﴿تَجْـَٔرُونَ﴾ معناه ترفعون أَصواتكم باستغاثة وتضرع، وأَصله من جؤار الثور والبقرة وصياحهما، وهو عند جهدٍ يلحقُهما، أَو في أَثر دَمٍ يكون من بقر يُذبح، فذلك الصراخ يشبه به انتحاب الداعي المستغيث بالله إِذا رفع صوته، ومنه قول الأَعشى:

يُـرَاوِحُ مِـنْ صَلَـوَاتِ الْمَلِيــ لِكِ طَوْراً سُجُوداً وَطَوْراً جُؤَارَا[٣] [المتقارب]

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٢٣) من طريق: ابن عطية، عن قيس، عن يعلى بن النعمان، عن عكرمة، عن ابن عباس. وإسناده لين، بسبب قيس بن الربيع.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «ولا يُنْعِم».

(٣) انظر عزوه له في رسالة الغفران (ص: ٢١)، والمحبر (ص: ٣٢٢)، وتفسير الطبري (٢/ ١٠٥)، وتفسير الماوردي (١/ ١٢٦)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٥٧١)، ونسبه في الدر المصون (١/ ٢٨٥٦)، واللباب (١٢/ ٨٣) لرؤبة، ولعله وهم.

وأَنشد أَبو عبيدة:

.... بِـأَبِـيـلٍ كُـلَّمَـا صَـلَّـى جَـأَرْ[1] [الرمل]

والأَصوات تأْتي غالباً على فُعَال، أَو فَعِيل.

وقرأَ الزهري: «تَجَرُونَ» بفتح الجيم دون همز[2]، حذفت وأُلقيت حركتها على الجيم، كما خُفِّف «تَسَلُون» من «تَسْأَلُون».

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ﴾، قرأَ الجمهور: ﴿كَشَفَ﴾.

وقرأَ قتادة: (كَاشَفَ)[3]، وَوَجْهُهَا: أَنه فاعَلَ من واحد بمعنى: كشَفَ، وهي ضعيفة.

و«الفريقُ» هنا: يراد به المشركون الذين يرون أَن للأَصنام أَفعالاً من شفاءِ المرض، وجلب الخير، ودفع الضر، فهم إِذا شفاهم اللَّهُ عظموا أَصنامهم، وأَضافوا ذلك الشِّفَاءَ إِليها.

وقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ يجوز أَن تكون اللام لامَ الصَّيرورة؛ أَي: فصار أَمرهم ليكفروا، وهم لم يقصدوا بأَفعالهم تلك أَن يكفروا، ويجوز أَن تكون لامَ أَمرٍ على معنى التهديد والوعيد، كقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾[فصلت: ٤٠]، والكفر هنا يحتمل أَن يكون كفرَ الجحد بالله والشرك، ويؤيده قوله: ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾، ويحتمل أَن يكون كفرَ النعمة، وهو الأَظهر؛ لقوله: ﴿بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾؛ أَي: بما أَنعمنا عليهم.

وقرأَ/ الجمهور: ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ على معنى: قل لهم يا محمد. [٣/ ١٤٠]

وروى أَبو رافع عن النبي ﷺ: (فيُمتَّعوا فسوف يعلمون) بياءٍ من تحت مضمومة،

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٦١)، وصدره: إِنَّني والله فاسْمَعْ حَلِفِي، ونسبه لعدِيّ بن زيد، وكذا في الأغاني (٢/ ١٠٥).

(٢) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ١٠).

(٣) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ١٠).

و(فسوف يعلمون) على معنى ذكر الغائب، وكذلك في «الروم»[١]، وهي قراءَةُ أبي العالية.

وقرأَ الحسن: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ كالجماعة على الأَمر (فسوف يعلمون) بالياءِ على ذكر الغائب، [كقراءَة أَبي رافع]، فيكون (يُمَتَّعُوا) في قراءَة أَبي رافع[٢] في موضع نصب عطفاً على (يَكْفُروا) إن كانت اللامُ لامَ «كَيْ»، ونصباً بالفاء في جواب الأَمر إِن كانت لامَ الأَمر، ومعنى التَّمَتُّع في هذه الآية: بالحياة الدنيا التي مصيرها إِلى الفناءِ والزوال.

قوله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ للكفار، وقوله ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يريد الأَصنام؛ أَي: لا يعلمون فيها حجَّةً، ولا برهاناً، ويحتمل أَن يريد بقوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ الأَصنام؛ أَي: يجعلون للجمادات ـ وهي لا تعلم شيئاً ـ نصيباً، فالمفعول محذوف، ثم عبَّر عنهم بعبارة مَن يعقل بحسب مذهب الكفار الذين يسندون إِليها ما يُسنَد إِلى مَن يعقل، وبحسب أَنه إِسناد منفيٌّ، وهذا كله ضعيف، والنصيب المشار إِليه هو ما كانت العرب سنَّتْه من الذبح لأَصنامها، والإِهداءِ إِليها، والقَسم لها من الغَلَّات.

ثم أَمر الله تعالى نَبيَّه ﷺ أَن يُقْسِم لهم أَنهم سَيُسْأَلون عن افترائهم في أَن تلك السُّنَن هي الحق الذي أَمر الله به كما قال بعضهم، و«الفِرْية»: اختلاقُ الكذب.

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ الآية، هذا تعديد لقبح قول الكفار: الملائكةُ بناتُ الله، ورَدَّ عليهم من وجهين: أَحدهما نِسْبَة النسل إِلى الله تعالى عن

---

(١) الآية: ٣٤، وهي شاذة، وردت في المحتسب (٢/ ١١)، ومختصر الشواذ (ص: ٦٧) عن مكحول عن أبي رافع مرفوعاً، ولم أقف عليه مسنداً، وعن أبي العالية، وكذا في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٢).

(٢) في المطبوع: على ما روى أبو رافع، وما بين القوسين زيادة منه، وقراءة الحسن شاذة، ولم أقف عليها.

ذلك، والآخر أَنهم نسبوا من النسل الأَخَسَّ المكروهَ عندهم.

و﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿مَّا يَشْتَهُونَ﴾ مرتفعة بالابتداءِ، والخبر في المجرور قبله، وأَجاز الفراءُ أَن تكون في موضع نصب عطفاً على ﴿ٱلْبَنَٰتِ﴾[١]، والبصريون لا يجيزون هذا؛ لأنه[٢] من باب: ضربتُني، وكان يلزم عندهم أَن يكون: ولِأَنفسهم ما يشتهون.

والمراد بقوله: ﴿مَّا يَشْتَهُونَ﴾ الذُّكْرَان من الأَولاد.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾ الآية، لما صرَّح بالشيءِ المبَشَّر به حسُن ذكر البشارة فيه، وإِلَّا فالبشارة مطلقةً لا تكون إِلَّا في خير.

وقوله: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ عبارة عن العبوس والقطوب الذي يلحق وجه[٣] المغموم، وقد يعلو وجهَ المغموم سوادٌ وزبد، وتذهب شراقته، فلذلك يذكر له السَّواد.

و﴿كَظِيمٌ﴾ بمعنى: كاظِم كعليم وعالم، والمعنى أَنه يُخفي وجهه وهَمَّه بالأُنثى.

وقوله: ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ الآية، هذا التواري الذي ذكره الله تعالى إِنما هو بعدَ البشارة بالأُنثى، وما يحكى: أَن الرجل منهم كان إِذا أَصاب امرأَته الطَّلْق؛ توارى حتى يُخبَر بأَحد الأَمرين، فليس المرادَ في الآية، ويُشْبه أَن ذلك كان لكي: إِنْ أُخْبر بسَارٍّ خرج، وإِنْ أُخبر بِسُوءٍ بَقِي على تواريه، ولم يحتج إِلى إِحداثه.

ومعنى ﴿يَتَوَٰرَىٰ﴾: يتغيَّب، وتقدير الكلام: يَتَوارى من القوم مدبِّراً، أَيُمْسكه أم يدُسُّه؟.

وقرأَت فرقة: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾ على لفظ ﴿مَا﴾، (أم يَدُسُّها) على معنى الأُنثى.

[وقرأَ الجحدري: (أَيُمْسِكُهَا)، (أم يَدُسُّها) على معنى الأُنثى][٤] في الموضعين.

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٠٥).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «هذه الآية».

(٣) من المطبوع والمصرية٢.

(٤) ليس في نور العثمانية والإماراتية ونجيبويه، وهما شاذتان. انظر مختصر الشواذ (ص: ٧٧).

وقرأَ الجمهور: ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ بضم الهاءِ، [وقرأَت فرقة بفتحها][(١)]، وقرأَ عيسى ابن عمر: (على هوان)، وهي قراءَة عاصم الجحدري، وقرأَ الأَعمش: (عَلَى سُوءٍ)[(٢)].

ومعنى الآية: يُدَبِّر: أَيُمْسك هذه الأُنثى على هَوانٍ يتحمَّله، وهمٍّ يتخلد له، أَم يَئِدُها فيدفنها حيَّة، فهو الدَّسُّ في التراب.

ثم استفتح الله تعالى الإِخبار عن سوءِ فعلهم وحكمهم بهذا في بناتهم، ورزقُ الجميع على الله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

قالت فرقة: ﴿مَثَلُ﴾ في هذه الآية بمعنى: صفة؛ أَي: لهؤلاءِ صفة السوءِ، ولله الوصف الأَعلى.

قال القاضي أبو محمد: وهذا لا نَضطر إِليه؛ لأَنه خروج عن اللفظ، بل قوله: ﴿مَثَلُ﴾ على بابه[(٣)]، وذلك أَنهم إِذا قالوا: إن البنات لله، فقد جعلوا له مثلًا، فالبنات من البشر، وكثرة البنات عندهم مكروه ذميم، فهو المثلُ السَّوءُ الذي أَخبر الله تعالى أَنه لهم، وليس في البنات فقط، لكن لما جعلوه هم في البنات جعله هو لهم على الإِطلاق في كل سوءٍ، ولا غاية أبعد من عذاب النار.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ على الإِطلاق أَيضاً: الكمالُ المستغني[(٤)].

---

(١) من المطبوع والمصرية٢ ونجيبويه ونور العثمانية والإماراتية.

(٢) والثلاث شاذة، انظر الثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٣)، وعزا الثالثة لابن مسعود، والأولى لم أقف عليها.

(٣) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «حاله».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «المستقر»، وكذا المصرية٢ مع الإشارة للنسخة الأخرى.

وقال قتادة: المثل الأَعلى: لا إله إِلَّا الله[١]، وباقي الآية بيِّن.

وقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ الآية، ﴿يُؤَاخِذُ﴾ هو يُفاعِلُ من أَخَذ، كأَن أَحد المؤاخِذَين يأخذ من الآخر [إما بمعصية][٢] كما هي في حق الله تعالى، أَو بإِذاية من جهة المخلوقين، فيأخذ الآخر من الأَول بالمعاقبة والجزاءِ، وهي لغتان: وَاخَذَ، وآخَذَ، و«يُؤَاخذ» يصح أَن تكون من «آخَذ»، وأَما كونها من «واخذ» فبيِّن.

والضمير في ﴿عَلَيْهَا﴾ عائد على الأَرض، ويمكن ذلك مع أَنه لم يجرِ لها ذكرٌ؛ لشهرتها، ويمكن الإِشارة إِليها كما قال لبيد في الشمس:

حَتَّى إِذا أَلْقَتْ يَداً في كَافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ البِلادِ ظَلامُهَا[٣] [الكامل]

ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، ولم يجرِ للشمس ذكرٌ.

وقوله: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ دخلت ﴿مِن﴾ لاستغراق الجنس، وظاهر الآية أَن الله تعالى أَخبر أَنه لو آخذ النَّاسَ بعقابٍ يستحقونه بظلمهم في كفرهم ومعاصيهم لكان ذلك العقاب يهلك عنه جميع ما يدب على الأَرض من حيوان، / فكأَنه بالقحوط أَو بأَمر يصيبهم من الله [٣/ ١٤١] تعالى، وعلى هذا التأويل قال بعض العلماءِ: كاد الْجُعَل أَن يهلك بذنوب بني آدم، ذكره الطبريُّ[٤]، ورُوي عن النبي ﷺ أَنه قال: «إن الله تعالى لَيُهْزِل الحوتَ في الماءِ والطيرَ في الهواءِ بذنوب العُصَاة»[٥]، وسمع أَبو هريرة رجلًا يقول: «إن الظالم لا يُهلِكُ إِلاَّ نفسَه»، فقال أَبو هريرة: «إِن الله ليهلك الحُبَارَى في وُكُورها هُزْلاً بذنوب الظَّلَمة»[٦].

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٠).

(٢) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «مأْخذاً».

(٣) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٦٢)، والجيم (٣/ ١٦٨)، وإصلاح المنطق (ص: ٩٩)، والشعر والشعراء (١/ ٢٧٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٠، ٢٣١)، والـجُعَل: حيوان كالخنفساءِ يكثر في المواضع الندية.

(٥) لم أقف عليه مسنداً.

(٦) لم أقف عليه مسنداً.

وقد نطقت الشريعة في أَخبارها بأَن الله أَهلك الأُمم بَرَّها وعاصيَها بذنوب العُصاة منهم.

وقالت فرقة: قوله: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ يريد: من أُولئك الظلمة فقط، ويدلُّ على هذا التخصيص أَن الله تعالى لا يعاقب أَحداً بذنب أَحد، واحتجت بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام: ١٦٤]، [وهذا معنى آخر][1] لا حجة فيه؛ وذلك أَن الله تعالى لا يجعل العقوبة تقصد أَحداً بسبب إِذْناب غيره، ولكنه إِذا أَرسل عذاباً على أُمة عاصية لم يمكن البريءَ التخلُّصُ من ذلك العذاب، فأَصابه العذاب لا بأَنه له مجازاة، ونحو هذا قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[الأنفال: ٢٥]، وقيل للنبي ﷺ: أَنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إِذَا كَثُرَ الخبَثُ»[2].

ثم لا بدَّ من تعلُّق ظلمٍ ما بالأَبرياءِ؛ وذلك بترك التغيير، ومداهنة[3] أَهل الظلم، ومداومة جوارهم.

و«الأَجَلُ المُسَمَّى» في هذه الآية هو بحسب شخص شخص، وفي معنى الآية [مع ضمائرها اختصار وإِيجاز][4].

وقوله تعالى: ﴿مَا يَكْرَهُونَ﴾ يريد البنات، و﴿مَا﴾ في هذا الموضع تقع لمن يعقل من حيث هو صنف.

وقرأَ الحسن: (أَلْسِنَتْهم الكذب) بسكون النون كراهية[5] توالي الحركات.

---

(١) في المطبوع والمصرية١ والإماراتية والمصرية٢: «وهذا كله»، وليست «لا حجة فيه» في الأصل.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٦٨)، ومسلم (٢٨٨٠) من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها، مرفوعاً به.

(٣) في المطبوع: «مداجنة».

(٤) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «ضمائر كثيرة تركتها اختصاراً وإِيجازاً».

(٥) في المطبوع والمصرية٢: «خوفاً من»، وهي شاذة عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ٧٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٧٣).

وقرأ الجمهور: ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾ بكسر الذال [وفتح الباءِ][(١)]، فـ﴿أَنَّ﴾ بدلٌ منه.

وقرأ معاذ بنُ جبل وبعض أَهل الشام: (الكُذُبُ) بضم الكاف والذال والباءِ على صفة الأَلسنة[(٢)]، و﴿أَنَّ لَهُمُ﴾ مفعولةٌ بـ﴿وَتَصِفُ﴾.

و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ قال مجاهد، وقتادة: يريد الذُّكور من الأَولاد، وهو الأَسبق من معنى الآية، وقالت فرقة: يريد الجَنَّة[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: ويؤيد هذا قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾، ومعنى الآية على هذا التأويل: يجعلون لله المكروه، ويدَّعون مع ذلك أَنهم يدخلون الجنَّة، كما تقول لرجل: أَنت تعصي الله، وتقول مع ذلك: إِنَّكَ تنجو؛ أَي: إن ذلك بعيد مع هذا، ثم حكم عليهم بعد ذلك بالنار، وقد تقدم القول في ﴿لَا جَرَمَ﴾، وقرأ الجمهور: ﴿أَنَّ لَهُمُ﴾ بفتح الهمزة، وإِعرابها بحسب تقدير ﴿جَرَمَ﴾، فمن قَدَّرَها بـ«كسب فعلهم» فهو نصب، ومن قدرها بـ«وجب» فهو رفع.

وقرأ الحسن، وعيسى بن عمر: (إِنَّ) بكسر الهمزة[(٤)].

وقرأ السبعة سوى نافع: ﴿مُّفۡرَطُونَ﴾ بفتح الراءِ وخفتها، ومعناه: مقدَّمون إِلى النار والعذاب، وهي قراءَة الحسن، والأَعرج، وأَصحاب ابن عباس، وقد رُويت عن نافع، وهو مأخوذ من فَرَط الماءِ، وهم القوم الذين يتقدَّمون إِلى المياه لإِصلاح الدِّلاءِ والأَرشاءِ، ومنه قول النبي ﷺ: «أَنا فَرَطُكم على الحوض»[(٥)]، ومنه قول القطاميِّ:

---

(١) زيادة من المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢.

(٢) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٢)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٩٦)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٢٢).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوه للحسن في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٣)، ولهما في الدر المصون (٧/ ٢٤٩).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مرفوعاً به.

[البسيط] واسْتَعْجَلونَا وكانوا مِن صَحَابَتِنَا كَما تَعَجَّلَ فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ[١]

وقالت فرقة: مُفْرَطونَ معناه: مُخَلَّفون متروكون في النار مَنْسِيُّون فيها، قاله سعيد ابن جبير، ومجاهد، وابن أبي هند[٢].

وقال آخرون: ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ معناه: مُبعدون في النار، وهذا قريب من الذي قبله.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿مُفَرِّطونَ﴾ بكسر الراءِ وتشديدها وفتح الفاءِ، ومعناه: مُقَصِّرون في طاعة الله تعالى، وقد رُوي فتح الرَّاءِ مع شدِّها.

وقرأ نافع وحده: ﴿مُفرِطُونَ﴾ بكسر الراءِ وخفتها، وهي قراءَة ابن مسعود، وابن عباس، وأَبي رجاءٍ، وشيبة بن نصاح، وأَكثر أَهل المدينة[٣]؛ أَي: متجاوزون للحدِّ في معاصي الله عزَّ وجلَّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤) وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥) وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ (٦٦) ﴾.

هذه آية ضرب مثل لهم بمن تقدم، وفي ضمنها وعيد لهم، وتأنيس للنبي ﷺ.

وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ يحتمل أَن يريد به يوم الإِخبار بهذه الآية، وهو بعد موت أُولئك

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٤)، والزاهر للأنباري (١/ ٢٧١)، وإصلاح المنطق (١/ ٥٧)، والصحاح (٣/ ٢٨٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٣)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٩٦)، وفي المطبوع: «ابن هند».

(٣) انظر قراءة نافع بالكسر وغيره من السبعة بالفتح في التيسير (ص: ١٣٨)، وقراءة أبي جعفر بالتشديد في تفسير الثعلبي (٦/ ٢٤)، والنشر (٢/ ٣٠٤)، وقراءة الباقين ورواية نافع الأخرى في البحر المحيط (٦/ ٥٥٢)، وليست من طرق التيسير.

الأُمم المذكورة؛ أَي: لا وليَّ لهم مذ ماتوا واحتاجوا إِلى الغوث إِلا الشيطان، ويحتمل أَن يريد يوم القيامة، والأَلف واللام فيه للعهد، أَي: هو وليُّهم في اليوم المشهود، وهو وقت الحاجة والفصل، ويحتمل أَن يريد: فهو ولِيُّهم مدة حياتهم، ثم انقطعت ولايته بموتهم، وعبَّر عن ذلك بقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ تمثيلاً للمخاطبين بمدة حياتهم، كما تقول لرجل شابٍّ تحضُّه على طلب العلم: يا فلان لا يدرس أَحد من الناس إِلا اليوم، تريد: في مثل سنك هذه، فكأَنه قال لهؤلاءِ: فهو وليُّهم في مثل حياتكم هذه، وهي التي كانت لهم، وسائر الآية وعيد.

وقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يريد القرآن.

وقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ في موضع المفعول من أَجله.

وقوله: ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ﴾ عطف عليه، كأَنه قال: إِلا للبيان؛ أَي: لأَجل البيان لهم.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ لفظ عام لأَنواع كفر الكفرة من الجحد بالله تعالى وبالقيامة، أَو بالنُّبُوَّات وغير ذلك، ولكن الإِشارة في هذه الآية إِنما هي لجحدهم الربوبية، وتشريكهم الأَصنام في الإِلهية، يدل على ذلك أَخذه بعد هذا في إِثبات العِبَر الدَّالة على أَن الأَنعام وسائر الأَفعال إِنما هي من الله تعالى لا من الأَصنام.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ الآية؛ لما أَمره بتبيين ما اختلف فيه نصَّ العِبَر المؤدية / إِلى تبيين أَمر الربوبية، فبدأَ بنعمة المطر التي هي أَبْين العبر، وهي ملاك [٣/ ١٤٢] الحياة، وفي غاية الظهور، لا يخالف فيها عاقل، وحياة الأَرض وموتها استعارة وتشبيه بالحيوان؛ إِذ هي هامدة غبراءُ غير مُنْبِتة فهي كالميت، وإِذ هي مُنْبِتة مخضرَّة مهتزَّة رابية فهي كالحيِّ.

وقوله: ﴿يَسۡمَعُونَ﴾ يدل على ظهور هذا المعتبَرِ فيه وبيانه؛ لأَنه لا يحتاج إِلى تفكُّر ولا نظر قلب، وإِنما يحتاج المنبَّهُ إِلى أَن يسمع القول فقط.

و﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ هي الأَصناف الأَربعة: الإِبل والبقر والضأن والمعز.

و«العِبْرَةُ»: الحال المعتبر فيها.

وقرأَ نافع، وابن عامر، وعاصم في رواية أَبي بكر، وابن مسعود بخلاف، والحسن، وأَهل المدينة: ﴿نَّسْقِيكُم﴾ بفتح النون، من سقي يسقي، وقرأَ الباقون وحفص عن عاصم: ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بضم النون، [من أَسقَى يُسقِي][(١)]، وهي قراءَة الكوفيين وأَهل مكة[(٢)].

وقال بعض أَهل اللغة: هما لغتان بمعنى واحد، وقالت فرقة: تقول لمن سقيته بالشَّفة أَو في مرة واحدة: سَقَيْتُه، وتقول لمن تُمِرُّ سَقْيه، أَو تمنحه شِرْباً: أَسْقَيْتُهُ، وهذا قول من قرأَ: ﴿نُسْقِيكُم﴾؛ لأَن أَلبان الأَنعام من الـمُسْتَمِرِّ للبشر، وأَنشد مَن قال: إِنهما لغتان بمعنىً قولَ لبيد:

[الوافر] سَقَى قَوْمي بني بَدْرٍ وأَسْقَى نُمَيْراً والقَبَائِلَ مِن هلالِ[(٣)]

وذلك لازم؛ لأَنه لا يدعو لقومه بالقليل.

وقرأ أَبو رجاءٍ: (يَسْقِيكُم) بالياءِ؛ أَي: يسقيكم الله، وقرأَت فرقة: (تَسْقِيكُم) بالتاءِ، وهي ضعيفة، وكذلك اختلف القراءُ في سورة «المؤمنون»[(٤)].

وقوله: ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ الضمير عائد على الجنس، وعلى المذكور، كما قال الشاعر:

[الرجز] مِثْلُ الْفِرَاخِ نُتِفَتْ حَوَاصِلُهْ[(٥)] ....

---

(١) ليس في أحمد٣ والمطبوع.

(٢) انظر: التيسير (ص: ١٣٨)، وما بين المعكوفتين ليس في المطبوع والمصرية٢.

(٣) تقدم في تفسير الآية (٢٢) من سورة الحجر، بلفظ: بني مجد، وهي ابنة تيم بن غالب، وهي أُمُّ كلاب وكليب ابني ربيعة بن عامر.

(٤) الآية (٢١)، كما سيأتي في محله.

(٥) استشهد به بلا نسبة في: تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٥٢)، والصحاح للجوهري (٤/ ٤٠).

وهذا كثير، كقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [عبس: ١١-١٢].

وقيل: إنما قال: ﴿بُطُونِهِۦ﴾؛ لأَن الأَنعام والنَّعَم واحد فردٌ، والضمير على معنى النَّعَم.

وقالت فرقة: الضمير عائد على البعض؛ لأَن الذكور لا أَلبان فيها، فكأَن العبرةَ إنما هي في بعض الأَنعام.

و«الفَرْثُ»: ما ينزل إلى الأَمعاءِ.

و«السَّائغُ»: السهل في الشرب اللَّذيذُ.

ورُوي: أَن اللبن لم يشرق به أَحد قط، روي ذلك عن النبي ﷺ[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٦٧ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٦٩﴾.

قال الطبريُّ: التقدير: ومن ثمرات النخيل والأَعْناب ما تتخذون، وقالت فرقة: التقدير: ومن ثمرات النخيل والأَعناب شيءٌ تتخذون منه[2].

ويجوز أَن يكون قوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ﴾ عطفاً على ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾؛ أَي: ولكم من ثمرات النخيل والأَعناب عبرة، ويجوز أَن يكون عطفاً على ﴿مِّمَّا﴾؛ أَي: ونسقيكم أَيضاً مشروبات من ثمرات.

و«السَّكَر»: ما يُسْكر، هذا هو المشهور في اللغة، فقال ابن عباس: نزلت هذه

---

(١) إسناده لين، أخرجه مسدد في مسنده (٤/ ٣٣٠ ـ إتحاف الخيرة) من حديث أبي لبيبة، مرفوعاً به، وفي إسناده: يحيى بن أبي لبيبة، قال فيه أبو حاتم: ليس بقوي. انظر: الجرح والتعديل (٩/ ١٦٦).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٤٠).

الآية قبل تحريم الخمر[(١)]، وأَراد بـ«السَّكَر» الخمر، وبـ«الرزق الحسن» جميع ما يُشرب ويؤكل حلالاً من هاتين الشجرتين، [فـ«الـحَسَنُ» هاهنا الحلالُ، وقال هذا القول ابن جبير، وإِبراهيم، والشعبي، وأَبو رزين، وقال الحسن بن أَبي الحسن: ذكر الله نعمته في السَّكَر قبل تحريم الخمر.

وقال الشعبي، ومجاهد: السَّكَر: المائع من هاتين الشجرتين][(٢)] كالخَلِّ والرُّبِّ والنَّبيذ، والرزق الحسن: العنب والتمر.

قال الطبري: والسَّكَر أَيضاً في كلام العرب: ما يطعم، ورجح الطبريُّ هذا القول[(٣)].

ولا مدخل للخمر[(٤)] فيه، ولا نسخ من الآية شيءٌ.

وقال بعض الفرقة التي رأَت السَّكر الخَمْرَ: إِن هذه الآية منسوخة بتحريم الخمر، وفي هذه المقالة دركٌ؛ لأَن النسخ إِنما يكون في حكم مستقر مشروع.

وروي عن النبي ﷺ أَنه قال: «حُرمت الخمر لعينها، والسَّكَرُ من غيرها»[(٥)]، هكذا هي الرواية[(٦)] الصحيحة بفتح السِّين والكاف؛ أَي: جميع ما يُسْكر منه حُرِّم على حدِّ

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٤٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) انظره مع الأقوال السابقة كلها في تفسير الطبري (١٧/ ٢٤٣-٢٤٧)، وبعضها في تفسير الماوردي (٣/ ١٩٨).

(٤) في أحمد٣: «ولا يدخل الخبز».

(٥) ليس له أصل مرفوعاً، أخرجه العقيلي في ضعفائه (٢/ ٤٢٤) من طريق عبد الرحمن بن بشر الغطفاني، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مرفوعاً به، وفي سنده عبد الرحمن ابن بشر الغطفاني، قال العقيلي: مجهول النسب والرواية، ثم قال بعد أن روى حديثه هذا: ليس له من حديث أبي إسحاق أصل، وهذا يعرف عن عبد الله بن شداد بن الهاد، عن ابن عباس قوله.

(٦) في المطبوع والمصرية٢: «هكذا روي، والرواية».

تحريم الخمر قليله وكثيره، ورواه العراقيون: «والسُّكْر» بضم السين وسكون الكاف، وهو مبني على فقههم من أَن ما أَسكر كثيره من غير خمر العنب فقليله حلال[(١)].

وباقي الآية بَيِّن، [والله تعالى يعلم من ذلك ما لا يعلم البشر][(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ الآية، الوحي في كلام العرب: إِلقاءُ المعنى من الموحِي إِلى الموحَى إِليه في خفاءٍ، فمنه الوحي إِلى الأَنبياءِ برسالة الملك، ومنه وحْي الرُّؤْيا، ومنه وحْيُ الإِلهام وهو الذي في آيتنا هذه باتفاق المتأَوِّلين، والوحْيُ أَيضاً بمعنى الأَمر، كما قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥].

وقرأَ يحيى بن وثاب: (إِلى النَّحَلِ) بفتح الحاءِ[(٣)].

و﴿أَنِ﴾ في قوله: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى﴾ مفسِّرة.

وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع[(٤)]: إِمَّا في الجبال وكُواها، وإِمَّا في متجوّف الأَشجار، وإِمَّا فيما يعرش ابن آدم من الأَجْبَاح[(٥)]، والحيطان ونحوها.

وعَرَشَ معناه: هيَّأَ، وأَكثرُ ما يستعمل فيما يكون من اتفاق[(٦)] الأَغصان والخشب وترتيب ظلالها، ومنه العريش الذي صُنِعَ لرسول الله ﷺ يوم بدر ومن هذا هي لفظة العَرْشِ، ويقال: عَرَشَ يَعْرِشُ ويَعْرُشُ بكسر الراءِ وضمها.

---

(١) انظر في ذلك: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي (٦/ ٤٥-٤٦).

(٢) من المصرية١، وفيها بعده: «نجز تفسير الآية الكريمة، وبنجازه نجز السفر الخامس، والله المحمود المشكور، المسؤول أن يصلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

(٣) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٧٧).

(٤) ليست في المطبوع والمصرية٢.

(٥) الجِبْحُ بالجيم المثلثة: حيث تُعَسِّل النحل إذا كان غير مصنوع.

(٦) في الأصل وأحمد٣: «إتقان».

وقرأَ ابن عامر بالضم، وسائرهم بالكسر، واختلف عن عاصم[(١)]، وجمهور الناس على الكسر، وقرأَ بالضم أَبو عبد الرحمن، وعُبَيْد بن نضلة[(٢)].

وقال ابن زيد في قوله: ﴿يَعْرِشُونَ﴾ قال: الكروم، وقال الطبري: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ يعني: ما يبنون من السقوف[(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا منهما تفسير غير مُتْقن.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ الآية؛ المعنى: ثم أَلْهمها أَن كُلِي، بعطف ﴿كُلِي﴾ على ﴿اتَّخِذِي﴾، و﴿مِنَ﴾ للتبعيض؛ أَي: كُلي جزءاً أَو شيئاً من كل الثمرات، وذلك أَنها إِنما تأكل النَّوَّار من الأَشجار.

و«السُّبُل»: الطُّرق، وهي مسالكها في الطيران وغيره، وأَضافها إِلى «الرَّبِّ» من حيث هي مِلْكُه وخَلْقه؛ أَي: التي يسَّر لكِ ربُّكِ.

وقوله: ﴿ذُلُلًا﴾ يحتمل أَن يكون حالاً من ﴿النَّحْلِ﴾؛ أي: مطيعة منقادة لما يُسِّرت له، قاله قتادة، وقال ابن زيد: فهُمْ يخرجون بالنحل ينتجعون، وهي تتبعهم، وقرأَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧١-٧٢][(٤)]، ويحتمل أَن يكون / حالًا من «السُّبُل»؛ أَيْ: مُسَهَّلَةً مستقيمة، قال مجاهد: لا يتوعَّر عليها سبيل تسلكه. [٣/ ١٤٣]

(١) فقرأ شعبة كذلك بالضم، وحفص بالكسر كالباقين، انظر: التيسير (ص: ١١٣)، والسبعة (ص: ٣٧٤).

(٢) هو عبيد بن نضلة، أبو معاوية الخزاعي الكوفي، تابعي ثقة، أخذ القراءة عرضاً عن ابن مسعود، وروى عنه يحيى بن وثاب، وكان مقرئ أهل الكوفة في زمانه، ومن خيار أصحاب عبد الله، وثقه ابن حبان، وخرج له مسلم، توفي سنة (٧٥هـ). غاية النهاية (١/ ٤٩٧).

(٣) انظر قول الطبري ونقْلَه عن ابن زيد في تفسير الطبري (١٧/ ٢٤٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٤٩)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٩٩).

ثم ذكر تعالى على جهة تعديد النعمة، والتنبيه[١] على العبرة أَمْرَ العسل في قوله: ﴿مِنۢ بُطُونِهَا﴾، وجمهور الناس على أَن العسل يخرج من أَفواه النحل، وورد عن علي ابن أَبي طالب رضي الله عنه أَنه قال في تحقير الدنيا: «أَشرف لباس ابن آدم فيها لُعابُ دُودة، وأَشرفُ شرابه رَجِيعُ نحلة»[٢]، فظاهر هذا أَنه من غير الفم، واختلاف الأَلوان في العسل بحسب اختلاف النحل والمراعي.

وقد يختلف طعمه بحسب اختلاف المرعى، ومن هذا المعنى قول زينب رضي الله عنها للنبي ﷺ: «جَرَسَتْ نَحلُهُ الْعُرْفُط»[٣]، حيث شبهت رائحته برائحة المغافير.

وقوله: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ الضمير للعسل، قاله الجمهور، ولا يقتضي العموم في كُلِّ علَّة، وفي كُلِّ إِنسان، بل هو خبر عن أَنه يشفي كما يشفي غيره من الأَدوية في بعضٍ [دون بعض][٤]، وعلى حالٍ دون حال، ففائدة[٥] الآية إِخبارٌ منبِّه منه على أَنه دواءٌ لمَّا كثر الشفاءُ به، وصار خليطاً ومعيناً للأَدوية والأَشربة والمعاجن.

وقد رُوي عن ابن عمر أَنه كان لا يشكو شيئاً إِلَّا تداوى بالعسل، حتى إنه كان يدهن به الدُّمَّل والقرصةَ، ويقرأُ: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[٦].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا يقتضي أَنه يرى الشفاءَ به على العموم.

وقال مجاهد: الضمير للقرآن[٧]؛ أَي: فيه شفاءٌ.

---

(١) ليست في الأصل.

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٩٦٧)، ومسلم (١٤٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها، من قولها، لا من قول زينب.

(٤) «دون بعض» زيادة من الأصل.

(٥) في المطبوع والمصرية٢ وأحمد٣: «ففي الآية».

(٦) الأثر عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٤٥) لحميد بن زنجويه، وكتابه مفقود، ولم أقف له على إسناد.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٥٠)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٩٩)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٣٥).

وذهب قوم من أَهل الجهالة إِلى أَن هذه الآية إِنما يراد بها أَهل البيت ورجال[(١)] بني هاشم، وأَنهم النحل، وأَن الشراب القرآنُ والحكمة، وقد ذكر بعضهم هذا في مجلس المنصور أَبي جعفر العباسي، فقال له رجل ممن حضر: جعل الله طعامك وشرابك ما يخرج من بطون بني هاشم، فأَضحك الحاضرين وبهَتَ الآخر، وظهرت سخافة قوله[(٢)]، وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

هذا تنبيه على الاعتبار في إِيجادنا بعد العدم وإِماتتنا بعد ذلك، ثم اعترض بمن ينكَّس من الناس لأَنهم موضع عبرة، و﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: آخره الذي تفسد فيه الحواس، ويختل النطق، وخصَّ ذلك بالرذيلة وإِن كانت حالة الطفولية كذلك من حيث كانت هذه لا رجاءَ معها، والطفولية إِنما هي بدأة، والرجاءُ معها متمكِّن.

وقال بعض الناس: أَول أَرذل العمر خمسٌ وسبعون سنة، رُوي ذلك عن عليٍّ رضي الله عنه[(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا في الأَغلب، وهو لا ينحصر إِلى مدة معينة، وإِنما هو بحسب إِنسان إِنسان، والمعنى: ومنكم من يردُّ إِلى أَرذل عمره، ورُبَّ من يكون ابن

(١) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية١ والمصرية٢: «من»، بدل «رجال».

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ١٣٦).

(٣) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٥١) من طريق الأصبغ بن نباتة، عن علي رضي الله عنه، والأصبغ متروك الحديث.

خمسين سنة وهو في أَرذل عمره، ورُبَّ ابن مئة أَو تسعين وليس في أَرذل عمره، واللام في ﴿لِكَيْ﴾ يشبه أَن تكون لام صيرورة، وليس ببيِّن، والمعنى: ليصير أَمره بعد العلم بالأَشياءِ إِلى أَلَّا يعلم شيئاً، وهذه عبارة عن قِلَّة علمه، لا أَنه لا يعلم شيئاً أَلبَتَّـةَ، ولم تَحُل ﴿لَا﴾ بين (كي) ومعمولها لتصرفها، وأَنها قد تكون زائدة.

ثم قرر تعالى علمه وقدرته التي لا تتبدَّل، ولا تحملها[١] الحوادث، ولا تتغير.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ إِخبارٌ يراد به العبرة، وإِنما هي قاعدة بني المثل عليها، والمثل هو أَن المفضَّلين لا يصح منهم أَن يساهموا مماليكهم فيما أُعطُوا حتى تستوي أَحوالهم، فإِذا كان هذا في اليسير فكيف تنسبون أَنتم أَيها الكفرة إِلى الله تعالى أَنه يسمح بأَن يشرك في أُلُوهيته الأَوثان والأَنصاب وهم خلْقُه، وغير هذا مما عُبِد كالملائكة والأَنبياءِ وهم عبيده وخلْقه؟ هذا تأويل الطبري[٢]، وحكاه عن ابن عباس[٣].

وحُكي عنه: أَن الآية مشيرة إِلى عيسى ابن مريم عليه السلام[٤].

قال المفسرون: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [الروم: ٢٨] الآية.

ثم وقفهم على جحدهم بنعمة الله في تنبيهه لهم على مثل هذا من مواضع النظر المؤدية إِلى الإِيمان.

وقرأَ الجمهور، وحفص عن عاصم: ﴿يَجْحَدُونَ﴾ بالياءِ من تحت، وقرأَها أَبو بكر عن عاصم: ﴿تجحدون﴾ بالتاءِ، وهي قراءَة أَبي عبد الرحمن، والأَعرج بخلاف عنه[٥]،

---

(١) في المطبوع والإماراتية ونجيبويه: «تحيلها»، وفي المصرية١ والمصرية٢ ونور العثمانية وأحمد٣: «يدخلها».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٥٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٥٢) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٥٢) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يلقه.

(٥) انظر: التيسير (ص: ١٣٨)، وانظر للباقين البحر المحيط (٦/ ٥٦٤).

وهي على معنى: قل لهم يا محمد، قال قتادة: لا يكون الجَحْدُ إلا بعد معرفة[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم ﴾ الآية آية تعديد نِعَم، و«الأَزْوَاجُ»: الزوجات، ولا يترتب في هذه الآية الأَنواع، ولا غير ذلك.

وقوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يحتمل أَن يريد خَلْقَه حواءَ من نفس آدم وجسمه، فمن حيث كانا مبتدأَ الجميعِ ساغ حملُ أَمرهما على الجميع حتى صار الأَمر كأَن النساءَ خُلِقْن من أَنفس الرجال، وهذا قول قتادة[٢].

والأَظهر عندي أَن يريد بقوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أَي: من نوعكم، وعلى خِلْقَتِكُم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ﴾ ظاهر في تعديد النعمة في الأَبناءِ.

واختلف الناس في قوله: ﴿وَحَفَدَةً﴾:

قال ابن عباس: الحفدة: أَولاد البنين[٣]، وقال الحسن: هم بَنُوك وبنو بنيك.

وقال ابن مسعود[٤]، وأَبو الضحى، وإِبراهيم، وسعيد بن جبير: الحفدة: الأصهار، وهم قرابة الزوجة، وقال مجاهد: الحفدةُ: الأَنصار والأَعوان والخدم[٥].

وحكى الزجاج: أَن الحفدة البنات في قول بعضهم[٦]، قال الزهراوي: لأَنهن

---

(١) ذكرها قتادة تفسيراً لقول الله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا الْكَافِرُونَ﴾ كما في تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٥٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٨٧)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٤٢).

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٥٧) من طريق شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٥٤) من طريق عاصم بن أبي النجود عن زر عن عبد الله بن مسعود، وإسناده لين.

(٥) انظر هذه الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (١٧/ ٢٥٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٠٢).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ٢١٢).

خدم الأَبوين، ولأَن لفظة «البنين» لا تدل عليهن، أَلا ترى أَنهن لَسْنَ في قول الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦][١]، وإِنما الزينة / في الذكور. [٣/ ١٤٤]

وقال ابن عباس أَيضاً: الحفدة: أَولاد زوجة الرجل من غيره[٢].

ولا خلاف أَن معنى الحَفْدِ هو الخدمة والبِرُّ والمشي مسرعاً في الطاعة، ومنه في القنوت: «وإِليك نسعى ونَحفِدُ»[٣]، والحفَدَانُ: خَبَبٌ فوق المشي، ومنه قول الشاعر وهو جميل بن معمر:

حَفَـدَ الوَلائِـدُ بَيْنَهُنَّ وَأُسْـلِمَتْ بِـأَكُـفِّـهِـنَّ أَزِمَّـةُ الأَجْـمَـالِ[٤] [الكامل]

ومنه قول الآخر:

كَلَّفْـتُ مجْهُولَهَـا نُوقـاً يَمَانِيَـةً إِذَا الْحُدَاةُ عَلَى أَكْسَائِهَا حَفَدُوا[٥] [البسيط]

---

(١) تفسير الزهراوي غير متوفر.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٥٧-٢٥٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ضعيف، وروي من قول عمر وفيه عنعنة ابن جريج، أخرجه أبو داود في المراسيل (٨٩) من طريق عبد القاهر، عن خالد بن أبي عمران قال: بينا رسول الله ﷺ يدعو...فذكره معضلاً به، وهذا إسناد ضعيف مع إعضاله، فعبد القاهر بن عبد الله، أورده الذهبي في الميزان (٢/ ٦٤٢) وقال: نكرة، ما روى عنه سوى معاوية بن صالح الحضرمي، وشيخه خالد بن أبي عمران، من أتباع التابعين، فحديثه معضل، انظر تهذيب الكمال (٨/ ١٤٢)، ورواه ابن أبي شيبة (١٠/ ١٥٣)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢١٠) كلاهما من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من قوله، قال البيهقي: صحيح موصول. قلت: هذا إن سلم من تدليس ابن جريج، فإنه عنعنة.

(٤) انظر عزوه في مجاز القرآن (١/ ٣٦٤)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٠٢)، وعزاه ابن سلام في غريب الحديث (٣/ ٣٧٤) للأخطل، والطبري (١٧/ ٢٥٧) لحميد، والقرطبي (١٠/ ١٤٤) لكثير، وفي المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٢٤٨) لأمية بن أبي الصلت.

(٥) البيت للراعي كما في تفسير الطبري (١٧/ ٢٥٨)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٣١)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٠٢)، ونسبه القرطبي (١٠/ ١٤٣)، وأبو حيان (٦/ ٥٤٣) للأعشى، وهو خطأ، وإنما بيته:

كلفت مجهولها نفسي وشايعني همـي عليها إذا ما آلها لمعـــا

قال القاضي أَبو محمد: وهذه الفِرَق التي ذكرتُ أَقوالها إِنما بنَتْ على أَن كل أَحد جعل له من زوجه بنين وحفدة، وهذا إِنما هو في الغالب وعُظْم الناس، ويحتمل عندي أَن قوله: ﴿مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم﴾ إِنما هو على العموم والاشتراك؛ أَي: إِن من أَزواج البشر جعل الله لهم البنين، ومنهم جعل الخدمة، فمن لم يكن له زوجة فقد جعل الله له حفدة وحصل تحت[1] النعمة، وأُولئك الحفدة هم من الأَزواج، وهكذا تترتب النعمة التي تشمل جميع العالم، وتستقيم لفظة «الحَفَدة» على مجراها في اللغة؛ إِذ البشر بجملتهم لا يستغني أَحد منهم عن حفدة.

وقالت فرقة: «الحَفَدَة» هم البنون.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا يستقيم على أَن تكون الواو عاطفة صفة لهم، كما لو قال: جعلنا لهم بنين وأَعواناً؛ أَي: وهم لهم أَعوان، فكأَنه قال: وهم حفدة.

وقوله: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يريد: الْمُلِذَّ[2] من الأَشياءِ التي تطيب لمن رزقها، ولا يقتصر هنا على الحلال؛ لأَنهم كفار لا يكتسبون بشرع، وفي هذه الآية ردٌّ على من قال من المعتزلة: إِن الرزق إِنما يكون الحلالَ فقط، ولهم تَعَلُّق في لفظة ﴿مِّنَ﴾؛ إِذْ هي للتبعيض، فيقولون: ليس الرزق المعدَّد عليهم من جميع ما بأَيديهم إِلَّا ما كان حلالاً[3].

وقرأَ الجمهور: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾، وتجيءُ الآية على هذه القراءَة توقيفاً لمحمد ﷺ على إِيمانهم بالباطل، وكفرهم بنعمة الله.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: (تُؤْمِنُونَ) بالتاءِ من فوق، ورويت عن عاصم[4]، على معنى:

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «تلك».

(٢) ليست في المصرية١، وفي الأصل: «الله»، وفي نور العثمانية والإماراتية: «الملك».

(٣) انظر نسبة القول للمعتزلة في: الإبانة (١/ ٣٢)، وشرح المقاصد (٢/ ١٦٢).

(٤) وهي شاذة، عزاها لهما في البحر المحيط (٦/ ٥٦٥)، ولقتادة في مختصر الشواذ (ص: ٧٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٧٣).

قل لهم يا محمد، ويجيءُ قوله[١] بعد ذلك: ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ إخباراً مجرداً عنهم، وحُكْماً عليهم لا توقيفاً، وقد يحتمل التوقيف أيضاً على قلة اطراد في القول.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

هذه آية تقريع للكفار وتوبيخ، وإِظهارٌ لفساد نظرهم، ووضع لهم من الأَصنام في الجهة التي فيها سعي الناس، وإِليها هممهم[٢]، وهي طلب الرزق، وهذه الأَصنام لا تملك إِنزال المطر، ولا إِنبات نعمة، مع أَنها لا تملك ولا تستطيع أَن تحاول ذلك من مُلْك الله تعالى. وقوله: ﴿رِزْقًا﴾ مصدر، ونصبه على المفعول بـ﴿يَمْلِكُ﴾.

وقوله: ﴿شَيْـًٔا﴾ ذهب كثير من النحويين إِلى أنه منصوب على البدل من قوله: ﴿رِزْقًا﴾، و﴿رِزْقًا﴾ اسم، وذهب الكوفيون ـ وأَبو علي معهم ـ إِلى أَنه منصوب بالمصدر في قوله: ﴿رِزْقًا﴾، ولا نقدره اسماً، وهو كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥][٣]، [فـ﴿كِفَاتًا﴾: مصدر منصوب به ﴿أَحْيَآءً﴾][٤]، ومنه أيضاً قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤ - ١٥]، فنصب ﴿يَتِيمًا﴾ بـ﴿إِطْعَٰمٌ﴾، ومنه قول الشاعر:

فَلَوْلَا رجـاءُ النَّصْرِ مِنْـكَ ورَهْبَةٌ ... عِقَابَكَ قَدْ صَارُوا لَنَا كالمَوَارِدِ[٥] [الطويل]

---

(١) في أحمد٣: «قولهم».

(٢) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «مهمهم»، وفي نجيبويه والإماراتية: «همهم»، وفي نور العثمانية: «سعي الناس بأجمعهم».

(٣) انظر الأقوال في إعراب الآية في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٥٦).

(٤) ليس في المطبوع.

(٥) بلا نسبة في الكتاب لسيبويه (١/ ١٨٩)، وشرح شواهد الإيضاح (ص: ٢٨)، والكليات لأبي البقاء (١/ ١٣١١).

والمصدر يعمل مضافاً باتفاق؛ لأَنه في تقدير الانفصال، ولا يعمل إِذا دخله الأَلف واللام؛ لأَنه قد توغَّل في حال الأَسماءِ، وبَعُد عن الفعلية، وتقدير الانفصال في الإِضافة حسَّن عمله، وقد جاءَ عاملاً مع الأَلف واللام في قول الشاعر:

[المتقارب] ضَعِيفُ النِّكَايَةِ أَعْدَاءَهُ[١] ....

البيت، وقوله:

[الطويل] .... عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعَا[٢]

وقوله تعالى: ﴿يَمْلِكُ﴾ على لفظ ﴿مَا﴾، وقوله: ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ على معناها بحسب اعتقاد الكفار في الأَصنام أَنَّها تعقل، ويحتمل أَن يكون الضمير في ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ للذين يَعبُدون، والمعنى: لا يستطيعون ذلك ببرهان يُظهرونه، وحُجَّة يثبتونها[٣].

وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا﴾ أَي: لا تُمَثِّلوا لله الأَمثال، وهو مأْخوذ من قولك: هذا ضَرِيبُ هذا؛ أَي: مَثِيلُه، والضَّرْب: النوع، تقول: الحيوان على ضروب، وهذا من ضَرْبٍ واحد، وباقي الآية بيِّن.

قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ الآية؛ الذي هو مثال في هذه الآية هو عبْدٌ بهذه الصفة مملوك، لا يقدر على شيءٍ من المال، ولا من أَمر نفسه، وإِنما هو مُسخَّر بإِرادة سيِّده مدبَّر، ولا يلزم من الآية أَن العبيد كلَّهم بهذه الصفة كما انتزع بعض من ينتحل الفقه[٤]، وقد قال

---

(١) تمامه: (يَخَالُ الفِرَارَ يُرَاخِي الأَجَلْ)، وهو بلا نسبة في الكتاب لسيبويه (١/ ١٩٢)، وهو من شواهده الخمسين التي لم يعرف قائلها.

(٢) تمامه: (لَقَدْ عَلِمَتْ أُولى الْمُغِيرةِ أَنَّنِي لَحِقْتُ فَلَمْ أَنْكِلْ عن الضَّرْبِ مِسْمَعَا) وهو للمَرَّار الأسدي كما في الكتاب لسيبويه (١/ ١٩٢)، وشرح شواهد الإيضاح (ص: ٣٣)، قال: ونسبه الجرمي إلى مالك بن زغبة الباهلي، ومسمع هو ابن مالك الشيباني.

(٣) في المطبوع ونجيبويه والمصرية١: «يُبَيِّنُونَهَا».

(٤) وهو قول الحنفية كما في أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٧)، والشافعية في الجديد في: أحكام القرآن للشافعي (١/ ١٧٧).

في المثل الثاني[١]: ﴿لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾، فيلزم على هذا الانتزاع أن يكون [البُكْم لا شيءَ لهم، وَبِإِزاءِ العبد في المثال رجل مُوَسَّع عليه في المال فهو يتصرف فيه بإرادته، ولا يلزم من نفس المثال أن يكون][٢] مؤمناً ينفق بحسب الطاعة، أَما إِنه أَشرف أَن يكون مثالًا.

و«الرِّزْق»: ما صحَّ الانتفاعُ به، وقال أبو منصور في عقيدته: «الرزق ما وقع الاغتذاءُ به»[٣]، وهذه الآية تردُّ على هذا التخصيص، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، و﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وغير ذلك من قول النبي ﷺ: «وَجُعِلَ رزقي في ظِلِّ رُمْحِي»[٤].

---

(١) ليست في الأصل.

(٢) ليست في الأصل.

(٣) انظر معنى ما نسبه المؤلف لأبي منصور في: «الفرق بين الفرق» (١/ ٣٠٣).

(٤) إسناد حديث ابن عمر صالح، قاله الذهبي، روي من حديث ابن عمر ومن حديث أبي هريرة ومن حديث عتبة بن عويم بن ساعدة، أما حديث ابن عمر، فعلقه البخاري (٤/ ٤٠) فقال: باب ما قيل في الرماح، ويذكر عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري»، وحديث ابن عمر هذا يرويه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر به مرفوعاً، أخرجه أحمد (٩/ ١٢٣) وغيره، قال الذهبي في سير النبلاء (١٥/ ٥١٠): إسناده صالح، وأما حديث أبي هريرة فرواه صدقة بن عبد الله، عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً، أخرجه البزار (١٥/ ٢٠٤) وقال: هذا الحديث قد خولف صدقة في إسناده، فرواه غيره عن الأوزاعي بغير هذا الإسناد مرسلاً، ولم يُتابع صدقةُ على روايته هذه عن الأوزاعي بهذا الإسناد.اهـ، قلت: وذكر هذه الطريق ابن أبي حاتم في العلل (٣/ ٣٨٨) وقال: قال أبي: قال دحيم: هذا الحديث ليس بشيء، الحديث حديث الأوزاعي، عن سعيد بن جبلة، عن طاووس، عن النبي ﷺ، والرواية التي أشار إليها دحيم أخرجها ابن أبي شيبة (٤/ ٥٨١) من طريق: عيسى بن يونس عن الأوزاعي. ورواها كذلك عن الأوزاعي: ابن المبارك في كتاب الجهاد (١٠٥)، وسعيد بن جبلة قال محمد بن خفيف الشيرازي: ليس عندهم بذاك. لسان الميزان (٣/ ٢٥)، وقال الدارقطني في علله (٩/ ٢٧٢): «وخالفه الوليد بن مسلم، رواه عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي منيب الجرشي، عن =

وقوله: «أَرْزاق أُمتي في سَنابك خَيلِها، وأَسِنَّة رِماحِها»[١]، فالغنيمة كلها رزق.

والصحيح أَن ما صح الانتفاع به هو الرزق، وهو مراتب: أَعلاها ما تُغُذِّي به، وقد حصر رسول الله ﷺ وجوه الانتفاع في قوله: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهلْ لك من مالك إِلَّا ما أَكلْتَ فأَفنيتَ، أَو لبستَ فأَبليت، أَو تصدقت فأَمْضَيْت؟»[٢].

[٣/ ١٤٥] / قال القاضي أبو محمد: وفي معنى اللباس يدخل المركوب ونحوه.

واختلف الناس في الذي له هذا المثَلُ؛ فقال قتادة، وابن عباس: هو مثل الكافر والمؤمن[٣]، فكأَن الكافر مملوك مصروف عن الطاعة، فهو لا يقدر على شيءٍ لذلك، ويشبه ذلك العبد المذكور.

قال القاضي أَبو محمد: والتمثيل على هذا التأويل إِنما وقع في جهة الكافر فقط، جعل له مثالاً، ثم قرن بالمؤمن المرزوق، إِلَّا أَن يكون المرزوق ليس بمؤمن، وإِنما هو مثال للمؤمن، فيقع التمثيل من جهتين.

وقال مجاهد، والضحاك: هذا المثال، والمثال الآخر الذي بعده إِنما هو لله تعالى

= ابن عمر، وهو الصحيح». فأعاده إلى حديث ابن عمر، ورواه عبد الرحمن بن سالم بن عتبة بن عويم بن ساعدة، عن أبيه، عن جده مرفوعاً، أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني **(٣/ ٤٤٥)** بلفظ: «إن الله عز وجل بعثني بالهدى، ودين الحق، ولم يجعلني زراعاً، ولا تاجراً، ولا صخاباً في الأسواق، وجعل رزقي في ظل رمحي». ومحمد ضعيف، وعبد الرحمن بن سالم مجهول العين والصفة، لم يرو عنه غير محمد بن طلحة. وقد صرح الحافظ في التقريب بأنه مجهول، وسالم والد عبد الرحمن أيضاً لم يرو عنه غير ولده عبد الرحمن، فهو مجهول مثله، قال البخاري: عتبة بن عويم بن ساعدة ولم يصح. يعني هذا الحديث، ذكره العقيلي في الضعفاء **(٣/ ٣٢٩)**.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف **(٥/ ٣٣٥)** ويحيى بن آدم في الخراج **(٢٤٧)** من طريقين عن برد أبي العلاء عن مكحول مرسلاً.

(٢) أخرجه مسلم **(٢٩٥٨)** من حديث مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٣) انظر: تفسير الطبري **(١٧/ ٢٦١)** من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه، به.

والأَصنام[١]، فتلك هي كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيءٍ، والله تعالى تتصرَّف قدرته دون معقِّب، وكذلك فسَّر الزجاج على نحو قول مجاهد[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التأويل أَصوب؛ لأَن الآية تكون من معنى ما قبلها وما بعدها في تبيين أَمر الله تعالى والرَّد على الأَصنام.

وذكر الطبري عن ابن عباس أَنه قال: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان وعبْد كان له[٣]، ورُوي تعيين غير هذا لا يصح إِسناده.

قال القاضي أَبو محمد: والمثال لا يحتاج إِلى تعيين أَحد.

وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكر على بيان الأَمر بهذا المثال، وعلى إِذعان الخصم له، كما تقول لمن أَذعن لك في حُجَّة وسلَّم ما تبني أنت عليه قولك: الله أَكبر، وعلى هذا يكون كذا وكذا، فلما قال هنا: ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ فكأَن الخصم قال له: لا، فقال: الحمد لله، ظهرت الحجة.

وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يريد: لا يعلمون أَبداً، ولا يداخلهم إِيمان، ويتمكن على هذا قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾؛ لأَن الأَقل من الكفار هو الذي [يؤمن، وهو الذي][٤] آمن مِنْ أُولئك، ولو أَراد[٥] بقوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أَي: الآن لكان قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ بمعنى الاستيعاب؛ لأَنه لم يكن أَحد منهم يعلم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٦٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٩١)، وتفسير السمعاني (٣/ ١٨٩)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٥١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ٢١٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٦٣) من طريق: يحيى بن إسحاق السَّيْلَحِيني، قال: ثنا حماد ـ هو ابن سلمة ـ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن إبراهيم، عن عكرمة، عن يعلى بن أمية، عن ابن عباس. وهو إسناد غريب، وعبد الله بن عثمان بن خثيم فيه لين، وله مناكير.

(٤) ليس في الأصل والإماراتية.

(٥) في الأصل: «كان معنى».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

هذا مثل لله عزَّ وجلَّ وللأصنام، فهي كالأَبكم لا نُطقَ له، ولا يقدر على شيءٍ، وهو عيالٌ على من والاه من قريب أَو صديق.

و«الكَلُّ»: الثقل والمؤونة، وكل محمول فهو كَلٌّ، وسُمِّي اليتيم كلّاً، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]

أَكُـولٌ لِـمَـالِ الـكَلِّ قَبْلَ شَـبَابِهِ … إِذَا كَانَ عَظْمُ الكَلِّ غيرَ شَدِيدِ[1]

كما الأَصنام تحتاج إِلى أَن تنقل وتخدم ويُتَعَذَّب بها، ثم لا يأتي من جهتها خير أَلْبَتَّة، هذا قول قتادة[2]، وقال ابن عباس: هو مثل للكافر[3].

وقرأَ ابن مسعود: (يُوَجِّهْ)، وقرأَ علقمة: (يُوَجَّهْ)، وقرأَ الجمهور: ﴿يُوَجِّههُّ﴾، وهي خطُّ المصحف، وقرأَ يحيى بن وثَّاب: (تَوَجَّه)، وقرأَ ابن مسعود أَيضاً: (تُوَجِّهْهُ) على الخطاب، وضعف أَبو حاتم قراءَة علقمة؛ لأَن الجزم لازم[4].

---

(١) بلا نسبة في العين (٥/ ٢٧٩)، والمحكم (٦/ ٦٥٨)، وتهذيب اللغة (٣/ ٣٠٥).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٦٣)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٠٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٦٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) القراءات الشاذة أربع: الأولى والثانية في المحتسب (٢/ ١١)، والرابعة في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٤)، وعزا الثالثة لابن عمير.

والذي يَأمُرُ بِالعَدْلِ هو الله تعالى، وقال ابن عباس: هو المؤمن[١]، و(الصراط): الطريق.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، أَخبر تعالى أَن الغيبَ له يملكه ويعلمه.

وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ آية إِخبار بالقدرة، وحجة على الكفار، والمعنى على ما قال قتادة وغيرُه: ما تكون الساعة وإِقامتها في قدرة الله تعالى إِلَّا أَن يقول لها: كن، فلو اتفق أَن يقف على ذلك محصِّل من البشر لكانت من السرعة بحيث يقول: هل هي كلمح البصر، أَو هي أَقرب من ذلك؟ فـ﴿أَوْ﴾ على هذا على بابها للشَّك، وقيل: هي للتخيير.

و(لَـمْحُ البصر) هو وقوعه على المرئيِّ، وقوَّى هذا الإِخبار بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، [يريد: على كل شيءٍ مقدور][٢].

ومَن قال: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أَي: وما إِتيانها ووقوعها بكم، على جهة التخويف من حصولها؛ ففيه بُعْدٌ وتجوُّز كثير، وبعد[٣] مِنْ قول النبي ﷺ: «بُعثت أَنا والساعةُ كهاتين»[٤]، ومِنْ ذِكْره ما ذكر من أَشراط الساعة ومهلتها.

ووجه التأويل: أَن القيامة لما كانت آتية ولا بُدَّ جُعلت من القرب كلمح البصر، كما يقال: ما السَّنَة إِلا لحظة، إِلا أَن قوله: ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ يردُّ أَيضاً هذه المقالة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم﴾ الآية تعديد نعمة بَيِّنة لا ينكرها عاقل، وهي نعمة يقبح معها كفرها وتصريفها في الإِشراك بالذي وهبها، فالله تعالى أَخبر أَنه أَخرج ابن

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٦٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) في المطبوع وأحمد٣ بدله: «قال القاضي أبو محمد».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦١٣٩)، ومسلم (٢٩٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، مرفوعاً به.

آدم لا يعلم شيئاً، ثم جعل حواسَّه التي قد وهبها له في البطن سُلَّماً إِلى إِدراك المعارف؛ ليشكر على ذلك، ويؤمن بالمنعِم عليه.

و(أُمَّهات) أَصله أُمَّات، وزيدت الهاءُ مبالغة وتأكيداً، كما زادوا الهاءَ في (أَهرقت الماءَ)، قاله أَبو إِسحاق[١]، وفي هذا المثال نظر، وقول[٢] غير هذا.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿إِمَّهَاتكم﴾ بكسر الهمزة[٣].

وقرأَ الأَعمش: (في بُطُونِ مِّهَاتِكم)[٤] بحذف الهمزة وكسر الميم مُشَدَّدة[٥].

وقرأَ ابن أَبي ليلى[٦] بحذف الهمزة وفتح الميم مُشَدَّدة، قال أَبو حاتم: حذف الهمزة رديءٌ، ولكن قراءَة ابن أَبي ليلى أَصوب.

والتَّرجِّي الذي في (لَعَلَّ) هو بحسبها، وهذه الآية تعديد نِعَمٍ، وموضع اعتبار.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾ الآية، قرأَ طلحة بن مصرِّف، والأَعمش، وابن هرمز: (أَلم تروا) بالتاءِ، وقرأَ أَهل مكة والمدينة: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ ﴾ بالياءِ على الكناية عنهم، واختُلف عن الحسن، وعاصم، وأَبي عمرو[٧]، وعيسى الثقفي[٨].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢١٤).

(٢) في المطبوع: «وقيل».

(٣) انظر: التيسير (ص: ٩٤)، وزاد كسر الميم مشددة لحمزة وذلك كله في الوصل خاصة.

(٤) كتبت في الأصل ونجيبويه والمصرية١: «امهاتكم» بالألف في أولها.

(٥) ليست في المطبوع، وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٦/ ٥٧٤) إلا أن المعروف عن الأعمش موافقة حمزة كما في تفسير الثعلبي (٦/ ٣٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٣٧)، وفي الإقناع في القراءات السبع (ص: ٤٨) أن الكسائي رواها عنه، لم يسمع عنه غيرها.

(٦) وكتبت في المطبوع: «ابن أبي ليلة» خطأ، وهي شاذة، انظرها مع قول أبي حاتم في البحر المحيط (٦/ ٥٧٤).

(٧) كتبت في المطبوع والمصرية٢: «وأبو عمرو» بالرفع.

(٨) غير متقن، فالقراءتان سبعيتان، الأولى بالتاء لابن عامر وحمزة، والثانية لباقي السبعة لا خلاف بينهم في ذلك في شيء من طرق التيسير، انظره (ص: ١٣٨)، وانظر الحجة للفارسي (٥/ ٦٧)، =

و«الْجَوّ»: مسافة ما بين السماءِ والأَرض، وقيل: هو ما يلي الأَرض منها، وما فوق ذلك هو اللوح، والآيةُ عبرةٌ بيِّنة المعنى، تفسيرها تكلُّفٌ بَحْتٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ / ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾. [٣/ ١٤٦]

هذه آية تعديد نعمة الله على الناس في البيوت، فذكر أَولاً بيوت التمدُّن، وهي التي للإِقامة الطويلة، وهي عُظْم بيوت الإِنسان، وإِن كان الوصف بالسَّكَنِ يعم جميع البيوت، و«السَّكَنُ»: مصدر يوصف به الواحد، ومعناه: يسكن فيها وإِليها، ثم ذكر تعالى بيوت النُّـقْلة والرِّحلة.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ يحتمل أَن يعم به بيوت الأدم، وبيوت الشَّعر، وبيوت الصوف؛ لأَن هذه من الجلود لكَوْنها ثابتةً فيها، نحا إِلى ذلك ابن سلام[1]، ويكون قوله: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ [ابتداءَ كلام، كأَنه قال: جعل أَثَاثاً، يريد الملابس والوِطاءَ وغير ذلك، ويحتمل أَن يريد بقوله: ﴿مِّنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ بيوتَ الأدم فقط، ويكون ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾][2] عطفاً على قوله: ﴿جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾؛ أَي: جعل بيوتاً أَيضاً، ويكون قوله: ﴿أَثَٰثًا﴾ نصباً على الحال، و﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾؛ أَي: تجدونها خِفافاً.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿ظَعَنِكُم﴾ بفتح العين، وقرأَ ابن عامر، وعاصم،

= وانظر الخلاف عن أبي عمرو وعاصم وابن عامر في جامع البيان (٣/ ١٢٧٦)، وانظر موافقة الأعمش بالتاء في تفسير الثعلبي (٦/ ٣٣)، وزاد يحيى، وانظر الكل في البحر المحيط (٦/ ٥٧٥).

(١) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٤١٣) فهو اختصار لـ«تفسير يحيى بن سلام».

(٢) ليس في الأصل.

وحمزة، والكسائي: ﴿ظَعْنِكُمْ﴾ بسكون العين[١]، وهما لغتان، وليس بتخفيف.

و«ظَعَن» معناه: رَحَل، و«الأَصواف» للغنم، و«الأَوبار» للإِبل، و«الأَشعار» للمعز والبقر، ولم تكن بلادهم بلادَ قُطن وكتّان، ولذلك اقتصر على هذه، ويحتمل أَن تُرِك ذكْرُ القطن والحرير والكتان إِعراضاً عن ذكر السَّرَف؛ إِذْ ملبس عباد الله الصالحين إِنما هو الصوف، وأَيضاً فقد أُشير إِلى القطن والكتان في لفظة «السرابيل».

و«الأَثاث»: متاع البيت، واحدها أَثاثة، هذا قول أَبي زيد الأَنصاري[٢].

وقال غيره: «الأَثاث»: جميع أَنواع المال، ولا واحد له من لفظه.

قال القاضي أَبو محمد: والاشتقاق يقوي هذا المعنى الأَعم؛ لأَن حال الإِنسان تكون بالمال أَثيثةً، كما تقول: شعر أَثيث، ونبات أَثيث: إِذا كثر والتفَّ.

وقوله: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يريد به وقتاً غير معين، وهو بحسب كل إِنسان، إِمَّا بموته، وإِمَّا بفقد تلك الأَشياءِ التي هي أَثاث، ومن هذه اللفظة قول الشاعر:

أَهَاجَتْكَ الظَّعَائِنُ يَوْمَ بانُوا بِذِي الزِّيِّ الجَمِيلِ مِنَ الأَثَاثِ[٣] [الوافر]

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ الآية؛ نِعم عدَّدَها عليهم بحسب أَحوالهم وبلادهم، وأَنها الأَشياءُ المباشرة لهم؛ لأَن بلادهم من الحرارة وصهر الشمس بحيث للظل غنىً عظيم، ونفعٌ ظاهر.

وقوله: ﴿مِّمَّا خَلَقَ﴾ يعم جميع الأَشخاص المظلِّلة، و«الأَكنان»: جمع كِنٍّ، وهو الحافظ من المطر والريح وغير ذلك.

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٣٨)، والسبعة (ص: ٣٧٥).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) البيت لمحمد بن نُمَيْرٍ الثَّقَفيِّ، كما في مجاز القرآن (١/ ٣٦٥)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٤)، والكامل (٢/ ١٧٧)، والأغاني (٦/ ٢٠٠).

و«السَّرابيل»: جميع ما يلبس على البدن كالقميص والقَرْقَل والمجول والدِّرع والجَوْشَن والخفتان ونحوه[١].

وذكر وقاية الحرِّ إِذ هو أَمَسُّ في تلك البلاد على ما ذكرنا، والبَرْدُ فيها معدوم في الأَكثر، وإِذا جاءَ في الشتوات فإِنما يُتَوَقَّى بما هو أَكثف من السربال [من الأَثاث][٢] المتقدم الذكر، فبقي السرابيل لتوقي الحرِّ فقط، قاله الطبريُّ عن عطاءٍ الخراساني[٣]، أَلا ترى أَن الله تعالى قد نبههم إِلى العبرة في البرد، ولم يذكر لهم الثلج؛ لأَنه ليس في بلادهم، قال ابن عباس: إِن الثَّلج شيءٌ أَبيض ينزل من السماءِ ما رأَيته قط[٤].

قال القاضي أبو محمد: وأَيضاً فَذِكْر أَحدهما [يدلُّ على][٥] الآخر، ومنه قول الشاعر:

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضاً ... أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي[٦] [الوافر]

قال القاضي أبو محمد: وهذه التي ذكرناها هي بلاد الحجاز، وإِلَّا ففي بلاد

---

(١) القَرْقَل: ضرب من الثياب، قيل: هو ثوب بغير كُمَّيْن، وقيل: قميص من قُمُص النساء بلا لِبْنة، وجمعه قَرَاقل، والجوشن: الدِّرع على الصدر، والمجول والخفتان ـ وفي المطبوع: الحفتان ـ من أنواع الملابس التي تختلف أسماؤُها باختلاف البلاد والزمان.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٧١).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في المصرية١: «بدلًا عن».

(٦) البيت للمثقب العبدي كما في المفضليات (ص: ٢٨٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٧٩)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٤٥)، والانتصار للقرآن (٢/ ٥٧٥)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٣٦٥)، والصناعتين (ص: ١٨٥)، وعيار الشعر (ص: ١٠٣)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٤٠٢)، والعمدة (٢/ ٢٧٧)، والشعر والشعراء (١/ ٣٨٣)، وما في حاشية المطبوع من نسبته لسحيم بن وثيل الرِّيَاحي تبع فيه حواشي بعض «غير» المحققين، وفي قصيدة سحيم توارد مع قصيدة المثقب في أبيات ليس هذا منها، انظر معاهد التنصيص (١/ ٣٤٢).

العرب ما فيه بردٌ شديد، ومنه قول مُتَمِّم:

[الطويل] .... إِذَا القَشْعُ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ تَقَعْقَعَا[١]

ومنه وقول الآخر:

[البسيط] في لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ[٢] ....

البيتين، وغير هذا، والسَّرابيل التي تقي البأْسَ هي الدروع، ومنه قول كعب بن زهير:

[البسيط] شُمُّ الْعَرَانِينِ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ مِنْ نَسْجِ داودَ في الْهَيْجَا سَرَابِيلُ[٣]

وقال أَوسُ بن حجر:

[الكامل] .... ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ والسِّرْبَالِ[٤]

فهذا يراد به القميص.

و«البَأْسُ»: مسُّ الحديد في الحرب.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ﴾، وقرأَ ابن عباس: (تتمُّ نعمتُه)، على أَن النعمة هي التي تتم، ورُوي عنه: (تتمَّ نِعَمُه) على الجمع[٥].

---

(١) صدره: وَلاَ بَرَماً تُهْدِي النِّسَاءُ لِعِرْسِهِ، من قصيدته أمّ المراثي، انظر: العقد الفريد (٣/ ٢٢٠)، والعين (١/ ٦٥)، وجمهرة اللغة (٢/ ٨٦٩)، وأمالي القالي (١/ ١٩)، والمفضليات (ص: ٢٦٥)، والمعاني الكبير (٣/ ١١٤٧)، والكامل للمبرد (٤/ ٦١).

(٢) تمامه: لاَ يُبْصِرُ الكَلْبُ مِنْ ظَلْمَائِهَا الطُّنُبَا، وهو لِمُرَّةَ بن مَحْكان، كما في المقتضب (٣/ ٨١)، والمعاني الكبير (١/ ٢٣٣).

(٣) من قصيدته بانت سعاد، عزاه له في مجاز القرآن (١/ ٣٦٦)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥١٣)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٦٤٠).

(٤) صدره: فَلَنِعْمَ رِفْدُ الحَيِّ يَنْتَظِرُونَهُ، يرثي فضالة بن كلدة، كما في التعازي للمبرد (ص: ٧١)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٨٠١).

(٥) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٧٤).

وقرأ الجمهور: ﴿تُسْلِمُونَ﴾ من الإِسلام، وقرأ ابن عباس: (تَسْلَمُونَ)[١] من السلامة، فتكون اللفظة مخصوصة في بأس الحر، وما في «لَعَلَّ» من التَّرَجِّي والتَّـوَقُّع فهو في حيِّز البشر المخاطبين، أي: لو نظر الناظر في هذه الحالة لترجَّى منها إِسلامهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٥)﴾.

هذه الآية فيها موادعة نسختها آية السيف، والمعنى: إِن أَعرضوا فلستَ بقادر على خلق الإِيمان في قلوبهم، وإِنما عليك أن تبين وتبلغ[٢] أمر الله ونهْيَه، ثم قرعهم ووبَّخهم بأَنهم يعرفون نعمة الله في هذه الأَشياءِ المذكورة، ويقولون إِنها من عنده ثم يكفرون به تعالى، وذلك فعل المنكر للنعمة الجاحد لها؛ هذا قول مجاهد[٣]، فسماهم منكرين للنعمة تَجَوُّزاً؛ إِذْ كانت لهم أَفعال المنكرين من الكفر بَربِّ النعم، وتشريكهم[٤] في النعمة الأَوثان على وجه ما، وهو ما كانوا يعتقدون للأَوثان من الأفعال من الضر والنفع.

وقال السُّدي: «النعمة» هنا: محمد ﷺ، ووصفهم تعالى بأَنهم يعرفون معجزاته وآيات نبوته وينكرون [ذلك بالتكذيب، ورجَّحه الطبري[٥]، ثم حتم على أَكثرهم بالكفر وهم أَهل مكة؛ لأَنه كان فيهم من قد داخله][٦] الإِسلام ومن أَسلم بعد ذلك.

---

(١) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٧٤).
(٢) في المطبوع: «أن تَبلغ».
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٣)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٦٣).
(٤) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «ولشركهم».
(٥) انظر قول السدي في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٩٩)، ومع ترجيح الطبري في تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٢).
(٦) ليس في الأصل.

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ ﴾ آية وعيد، التقدير: واذكر يوم نبعث ويريد[١] شهيداً على كفرهم وإيمانهم، فـ«شَهِيدٌ» بمعنى: شاهد، وذكر الطبري أن المعنى: ثم ينكرونها اليوم، وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً[٢] أي: ينكرون كفرهم فيُكَذِّبهم الشهيد.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ ﴾؛ أي: لا يؤذن لهم في المعذرة، وهذا في موطن دون موطن؛ لأن في القرآن أن كُلّ نَفْسٍ تأتي تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها[٣]، ويترتب أن تجيءَ كل نفس تجادل، فإذا استقرت أقوالهم بعث الله الشهود من الأمم، فتكذب الكفار، فلا يؤذن للكاذبين / بعْدُ في معذرة. [٣/ ١٤٧]

و﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾ بمعنى: يُعْتَبون، يقال: عتَبْتُ الرجلَ: إذا كفيتَهُ ما عتِبَ فيه، كما تقول: أَشْكَيْتُه [إذا كفيتَه][٤] ما شكا، كأنه قال: ولا هم يُكفَون ما يعتبون فيه، وشقَّ عليهم، والعرب تقول: استَفعَلَ بمعنى: أفعل، تقول: أَدْنَيْتُ الرجلَ واستدْنَيْتُه.

وقال قوم: معناه: لا يسألون أن يرجعوا عمَّا كانوا عليه في الدنيا[٥].

قال القاضي أبو محمد: فهذا استعتاب معناه طلب عتابهم[٦].

وقال الطبري: معنى ﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يطلبون الرجوع إلى الدنيا، فلا يُعطَون، فيقع منهم توبة وعمل[٧].

---

(١) ليست في أحمد٣ والمطبوع والمصرية٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٤).
(٣) إشارة إلى الآية (١١١) من سورة النحل.
(٤) ليس في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢.
(٥) في حاشية المطبوع: جاءت هذه العبارة في بعض النسخ كالآتي: «لا يشكون أن يرجعوا كما كانوا عليه في الدنيا».
(٦) في المطبوع والمصرية٢ وأحمد٣ والمصرية١: «عُتْبَاه»، وفي نجيبويه: «عتباهم».
(٧) تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ﴾، الآية؛ أَخبر الله تعالى في هذه الآية أَن هؤلاءِ الكفرة الظَّالمين في كفرهم إِذا أَراهم الله عذاب النار وشارفوها، وتحقَّقوا كُنْه شدَّتها، فإِن ذلك الأَمر الهائل الذي نزل بهم لا يُخفف بوجه ولا يُؤَخَّر عنهم، وإِنما مقصد الآية الفرق بين ما يحل بهم وبين رزايا الدنيا، فإِن الإِنسان لا يتوقع أَمراً من خطوب الدنيا إِلَّا وله طمع في أَن يتأَخر عنه، وأَن يجيئه في أَخف ما يتوهم برجائه، وكذلك متى حلَّ به كان طامعاً في أَن يخف، وقد يقع ذلك في خطوب الدنيا كثيراً، فأَخبر الله تعالى أَن عذاب الآخرة إِذا عاينه الكافر لا طماعيةَ فيه بتخفيف، ولا تأخير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

أَخبر الله تعالى في هذه الآية أن المشركين إِذا رأَوا يوم القيامة بأَبصارهم الأَوثان والأَصنام وكلَّ معبود من دون الله، لأَنها تُحْشر معهم توبيخاً لهم على رؤوس الأَشهاد أَشاروا إِليهم وقالوا: هؤلاءِ كنا نعبدهم من دون الله، كأَنهم أَرادوا بذلك تذنيبَ المعبودين، وإِدخالَهم في المعصية، وأَضافوا الشركاءَ إِلى أَنفسهم من حيث هم جعلوهم شركاءَ، وهذا كما يصف رجلٌ آخرَ بأَنه خَيْر، فتَقول له أَنْتَ: ما فعل خيرُكَ؟ فأَضَفْتَهُ إِليه من حيث وصَفَه هو بتلك الصفة، والضمير في (أَلقوا)[1] عائد على الشركاءِ، فمن كان من المعبودين من البشر أَلقى القول المعهود بلسانه، وما كان من الجمادات تكلمت بقدرة الله بتكذيب المشركين في وصفهم بأَنهم آلهة وشركاءُ لله، ففي هذا وقع الكذب، لا في العبادة.

---

(١) في أحمد٣ والمصرية٢: «القول».

وقال الطبري: المعنى: إِنكم لكاذبون، ما كنا ندعوكم إِلى عبادتنا[١].

قال القاضي أَبو محمد: فكأَنهم كذَّبوهم في التذنيب لهم.

وقوله: ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الضمير في ﴿وَأَلْقَوْا۟﴾ عائد على المشركين، والمعنى: أَلْقوا إِليه الاستسلام، وأَلقوا ما بأَيديهم، وذلُّوا لحكمه، ولم تكن لهم حيلة ولا دفع.

و﴿ٱلسَّلَمَ﴾: الاستسلام.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ بفتح اللام، وروى يعقوب عن أَبي عمرو سكون اللام، وقرأَ مجاهد: (السُّلُمَ) بضم السين واللام[٢].

[وقوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ معناه وتلف عنهم كذبهم على الله، وافتراؤهم الكفرَ والتشريكَ][٣].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية في ضِمْنِ قوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾؛ لأَنه حلَّ بهم عذاب الله وباشروا نِقمتَه، ثم فسَّره فأَخبر أَن الذين كفروا ومنعوا غيرهم من الدخول في الدين وسلوك سبيل الله زادهم عذاباً أَجلَّ من العذاب العام لجميع الكفار[٤] عقوبة على إِفسادهم، فيحتمل أَن يكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلًا من الضمير في ﴿يَفْتَرُونَ﴾، و﴿زِدْنَٰهُمْ﴾ فعل مستأنَف إِخباره، ويحتمل أَن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ابتداءً، وخبره و﴿زِدْنَٰهُمْ﴾، وروي في ذلك: أَن الله تعالى يسلِّط عليهم عقاربَ وحيَّاتٍ لها أَنيابٌ كالنخل الطِّوال، قاله ابن مسعود[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٥).

(٢) وهما شاذتان. انظرهما في البحر المحيط (٦/ ٥٨١)، والثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٥).

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) في الأصل: «الناس».

(٥) إسناده مستقيم، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٧٦)، وأبو يعلى (٥/ ٦٥-٦٦)، والحاكم (٤/ ٥٩٣) من حديث جماعة عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن ابن مسعود رضي الله عنه، به، ورواية الحاكم من طريق شعبة، عن الأعمش، وهذا إسناد صحيح مستقيم.

وقال عبيد بن عمير: حيَّات لها أَنياب كالنخل، وعقارب كالبغال الدُّلْم[١]، ونحو هذا.

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أَن لجهنم سواحل فيها هذه الحيَّات، وهذه العقارب، فيفر الكفار إِلى السواحل من النار، فتتلقَّاهم هذه الحيَّات والعقارب، فيفرون منها إِلى النار، فتتبعهم حتى تجد حرّ النار فترجع، قال: وهي في أَسراب[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ ﴾ الآية، هذه الآية في ضمنها وعيد، والمعنى: واذكر يوم نبعث في كل أُمَّة شهيداً عليها، وهو رسولها الذي شاهد في الدنيا تكذيبها وكفرها، وإِيمانها وهداها، ويجوز أَن يبعث الله شهيداً من الصالحين مع الرسل، وقد قال بعض الصحابة: «إِذا رأَيت أَحداً على معصية فانْهَه، فإِن أَطاعك، وإِلَّا كنت شهيداً عليه يوم القيامة»[٣].

وقوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ بحسب أَن بعثة الرسل كذلك هي في الدنيا، وذلك أَن الرسول الذي مِنْ نفس الأُمَّة [في اللسان والسِّيرة، وفهم الأَغراض والإِشارات متمكِّن له إِفهامهم، والردُّ على معاندتهم، ولا يتمكن ذلك مِن غير مَنْ هو منَ الأُمَّة][٤]، فلذلك لم يبعث الله نبيّاً قطُّ إِلَّا من الأُمة المبعوث إِليهم.

وقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ إِشارة إِلى هذه الأُمة، و﴿ٱلْكِتَٰبَ ﴾: القرآن، وقوله: ﴿تِبْيَٰنًا ﴾ اسم وليس بمصدر، كالنقصان، والمصادر في مثل هذا التأويل منها مفتوحة كالتَّرداد والتَّكرار، ونصب ﴿ تِبْيَٰنًا ﴾ على الحال.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٤)، وتفسير الثعالبي (٢/ ٣٢٠)، والدُّلم: السَّوداءُ.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٧٧) ولفظه: «إن لجهنم سواحل فيها حيات وعقارب، أعناقها كأعناق البخت»، وفي إسناده حيي بن عبد الله المعافري، قال فيه البخاري: فيه نظر، كما في تاريخه الأكبر (٣/ ٧٦)، والبخاري لا يقول ذلك إلا فيمن كان متهماً عنده، قاله الذهبي في الميزان (٢/ ٤١٥-٤١٦)، وبقية الأثر هو من كلام عبيد بن عمير السابق.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ليس في الأصل.

وقوله: ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: مما نحتاج في الشرع ولا بُدَّ منه في المِلَّة، كالحلال والحرام، والدعاءِ إِلى الله، والتخويف من عذابه، وهذا حصر ما اقتضته عبارات المفسرين.

وقال ابن مسعود: أُنْزِلَ في هذا القرآن كلُّ علم، وكلُّ شيءٍ قد بُيِّن لنا في القرآن، [ثم تلا هذه الآية][(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أَجمعُ آية في كتاب الله آيةٌ في سورة النحل، وتلا هذه الآية[(٢)]، ورُوي / عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أَنه قال: لما نزلت هذه الآية قرأْتُها على عليٍّ بن أبي طالب، فتعجب وقال: يا آل غالب اتَّبعوه تفلحوا، فوالله إِن الله أَرسله إِليكم ليأمر بمكارم الأَخلاق[(٣)]. [٣/ ١٤٨]

وحكى النقاش قال: كان يقال: زكاة العدل الإِحسان، وزكاة القدرة العفو، وزكاة الغنى المعروف، وزكاة الجاه كتْبُ الرجل إِلى إِخوانه[(٤)].

قال القاضي أَبو محمد: العدل هو فعل كل مفروض[(٥)]، من عقائد وشرائع، وسيرٌ

(١) ليس في المصرية١، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٧٨-٢٧٩) من طريق أشعث، عن رجل، عن ابن مسعود رضي الله عنه، وفيه راوٍ لم يُسم.

(٢) صحيح، أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٤٢)، والحاكم (٢/ ٣٥٦) كلاهما من طريق المعتمر ابن سليمان، قال: سمعت منصور بن المعتمر يحدث عن عامر، عن شُتَير بن شَكَل، عن ابن مسعود رضي الله عنه، به.

(٣) لم أقف له على إسناد.

(٤) تفسير القرطبي (١٠/ ١٦٥).

(٥) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «هو فعل كل معروف»، وقوله في تحديد معنى الإحسان: «هو فعل كل مندوب» يؤدي أنه أراد هنا: كل مفروض، وكذلك تقسيمه الأشياء إلى مندوب ومفروض.

مع الناس في أَداءِ الأَمانات وتركِ الظلم، والإِنصافُ وإِعطاءُ الحق، والإِحسان هو فعل كل مندوب إِليه، فمن الأَشياءِ ما هو كله مندوب إِليه، ومنها ما هو فرض إِلَّا أَن حد[١] الأَجزاءِ منه داخل في العدل، والتكميل الزائد على حدّ الأَجزاءِ داخل في الإِحسان.

وقال ابن عباس فيما حكى الطبري: (العدل): لا إِله إِلَّا الله، و﴿ٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾: أَداءُ الفرائض[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا القسم الأَخير نظر؛ لأَن أَداءَ الفرائض هي الإِسلام حسب ما فسَّره رسول الله ﷺ في حديث سؤال جبريل عليه السلام، وذلك هو العدل، وإِنما الإِحسانُ: التكميلاتُ والمندوبُ إِليه حسب ما يقتضيه تفسير النبي ﷺ لسؤال جبريل عليه السلام بقوله: «أَن تعبد الله كأَنك تراه، فإِن لم تكن تراه فإِنه يراك»[٣]، فإِن صح هذا عن ابن عباس فإِنما أَراد أَداءَ الفرائض مُكمَّلة.

و(إيتاء ذي القربى) لفظ يقتضي صلة الرحم، ويَعُمُّ جميع إِسداءِ الخير إِلى القرابة، وتركُهُ مبهماً أَبلغ؛ لأَن كل من وصل في ذلك إِلى غاية ـ وإِن عَلَت ـ يرى أَنه مقصِّر، وهذا المعنى المأمور به في جانب ذي القربى داخل تحت العدل والإِحسان، لكنه تعالى خصَّه بالذكر اهتماماً به وحضّاً[٤] عليه.

و﴿ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾: الزِّنَى، قاله ابن عباس[٥].

قال القاضي أبو محمد: وغيره من المعاصي التي شُنْعَتها ظاهرة، وفاعلها أَبداً مستتر بها، وكأَنَّهم خصوها بمعاني الفروج، و(المنكر) أَعم منه؛ لأَنه يعم جميع المعاصي والرذائل والإِدانات على اختلاف أَنواعها، و(البغي) هو إِنشاءُ ظلم الإِنسان والسعاية فيه، وهو داخل تحت المنكر، لكنه تعالى خصَّه بالذكر اهتماماً لشدَّة ضرره بين الناس.

---

(١) في المطبوع: «أَحد».
(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٧٩) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).
(٤) في المطبوع: «وحتماً».
(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٨٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما به.

وقد قال رسول الله ﷺ: «لا ذنبَ أَسرعُ عقوبةً من بغي»[١].

وقال ﷺ: «الباغي مصروعٌ»[٢]، وقد وعد الله من بُغِيَ عليه بالنصر.

وفي بعض الكتب المنزلة: «لو بَغى جبل على جبل لجعل الله الباغيَ منهما دكّاً»[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وتغيير المنكر فرضٌ على الولاة، إِلا أَن المغيِّر لا يعِنُّ لمستور، ولا يُعمل ظنّاً، ولا يتَجَسَّس، ولا يُغَـيِّر إِلَّا ما بدت صفحته، ويكون أَمرُهُ ونهيُهُ بمعروف، وهذا كلُّه لغير الولاة أَلزم، وفرض على المسلمين عامة، ما لم يَخَف المغيِّر إِذاية أَو ذُلاًّ، ولا يغير المؤمن بيده ما وجد سلطاناً، فإِنْ عدِمَه غيَّر بيده، إِلَّا أَنه لا يصل إِلى نصب القتال والمدارأة وإِعمال السلاح إِلَّا مع الرياسة والإِمام المتَّبع[٤].

وينبغي للناس أَن يغيِّر المنكرَ كلُّ أَحد منهم، تقي وغير تقي، ولو لم يغير إِلَّا تقي لم يتغير منكر في الأَغلب، وقد ذَمَّ الله تعالى قوماً بأَنهم [لم يتناهوا عن منكر فعلوه، فقد

---

(١) إسناده لا بأس به، وقد ذكره المصنف بالمعنى، أخرجه أحمد في مسنده (٣٤/ ٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٧) وأبو داود (٤٩٠٢) والترمذي (٢٥١١) وصححه، وابن ماجه (٤٢١١) كلهم من طريق عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم».

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

(٣) روي موقوفاً على ابن عباس، ومرسلًا، والموقوف أصح، وإسناده لين، أخرج الموقوف: البخاري في الأدب المفرد (٥٨٨) من طريق فطر بن خليفة، عن أبي يحيى، عن مجاهد، عن ابن عباس قوله، ورواه ابن المبارك في كتاب البر والصلة عن فطر بن خليفة حدثنا أبو يحيى القتات عن مجاهد قال: قال رسول الله ﷺ، مرسل، قال ابن أبي حاتم في كتاب العلل (٢٥٤٨): هذا حديث اختلف فيه على أبي يحيى القتات، فرواه فطر بن خليفة عنه عن مجاهد عن النبي ﷺ، ورواه الثوري وإسرائيل عنه عن مجاهد عن ابن عباس من قوله، قال أبو حاتم: وهو أصح.اهـ، وعلى كل حال فأبو يحيى القتات فيه ضعف، وجاء مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، بإسناد فيه إسماعيل بن يحيى التيمي، وهو متهم بالكذب، وقال ابن عدي لما أخرجه في كامله (١/ ١٦٣): باطل.

(٤) انظر: الاستذكار (١٤/ ٤٢)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ٢٢)، والإقناع (١/ ١١٩-١٢٠)، و(٤/ ٢٠٤٩-٢٥١).

وصفهم بفعله، وذمهم لما][1] لم يتناهوا عنه، وكل مُنكَر فيه مدخل للنظر فلا مدخل لغير حملة العلم فيه، فهذه نبذة من القول في تغيير المنكر تضمنت ثمانية شروط[2].

وروي أَن جماعة[3] رفعت على عاملها إِلى أَبي جعفر المنصور، فحاجَّها العامل وغلبها بأَنهم لم يُثبتوا عليه كبيرة ظلم ولا جَوروه له في شيءٍ، فقام فتًى من القوم فقال: يا أَمير المؤمنين، إن الله يأمر بالعدلِ والإحسانِ، وإِنه عَدَل ولم يُحْسن، قال: فعجب أَبو جعفر من إِصابته، وعزل العامل[4].

قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ الآية؛ يتضمن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الآية [التي قبلها][5]: افعلوا كذا، وانتهوا عن كذا، فعطف على ذلك التقدير قوله: ﴿وَأَوۡفُواْ﴾، و(عَهْدُ الله) لفظ عام[6] لجميع ما يُعقد باللسان، ويلزمه الإِنسان من بيع أَو صلة أَو مُوَاثقة في أَمر موافق للديانة، [وبالجملة كل ما كان طاعة بين العاهد وبين ربه، كان فيه نفع للغير أو لم يكن][7].

وقوله: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾ خصَّ في هذه [الأَلفاظ العهود][8] التي يُقرن بها أَيْمانٌ تَهَمُّماً بها، وتنبيهاً عليها.

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) للتوسع في ذلك انظر: المقدمات الممهدات (٣/ ٤٢٥-٤٢٦)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ٢٢-٢٦).

(٣) في المطبوع والمصرية٢ وأحمد٣ زيادة: «من الصحابة»، قال في حاشية المطبوع: «لا يصح قوله: من الصحابة، مع كون الحادثة في زمن أبي جعفر المنصور، ولهذا أسقطتها بعض النسخ، وكذلك ذكرها القرطبي بدون قوله: من الصحابة».

(٤) تفسير القرطبي (١٠/ ١٦٨).

(٥) من المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢.

(٦) ليست في المطبوع.

(٧) ليس في المطبوع.

(٨) في المطبوع والمصرية٢: «الآية المعهودة»، وفي نجيبويه: «هذه الآية العهود»، وفي نور العثمانية: «الألفاظ المعهود».

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كله فيما كان الثبوت فيه على اليمين طاعة لله، وما كان الانصراف عنه أَصوب في الحق فهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «مَن حلفَ على يمين ثم رأَى غيرها خيراً منها فليكفِّر عن يمينه، وَلْيَأْتِ الذي هو خيرٌ»[١].

ويقال: تأكيد وتوكيد، ووكَّد وأَكَّد، وهما لغتان، وقال الزجاج: الهمزة مبدلة من الواو[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا غير بيّن؛ لأَنه ليس في وجوه[٣] تصريفه ما يدلُّ على ذلك.

و﴿كَفِيلًا﴾ معناه: متكفِّلاً بوفائكم، وباقي الآية وعيد في ضمن خبر بِعِلْم الله تعالى بأَفعال عباده.

وقالت فرقة: نزلت هذه الآية في الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإِسلام، رواه أَبو ليلى عن مزيدة[٤].

وقال قتادة، ومجاهد، وابن زيد: نزلت فيما كان من تحالف الجاهلية في أَمر بمعروف، أَو نهي عن منكر، فزادها الإِسلام شدة[٥].

قال القاضي أَبو محمد: كما قال ﷺ: «لَا حِلْفَ في الإِسلام، وما كان من حِلْفٍ في الجاهلية فلم يزِدْه الإِسلامُ إِلَّا شِدَّةً»[٦]، وهذا حديث معنى[٧]، وإِن كان السبب بعْض هذه الأَشياءِ فأَلفاظ الآية عامة على جهة مخاطبة العالمين أَجمعين.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٥١) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، مرفوعاً به.
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢١٧).
(٣) في المطبوع: «وجود».
(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٨١) من طريق أبي ليلى عن مزيدة رضي الله عنه، به، وأبو ليلى، هو: عبد الله بن ميسرة الحارثي، متفق على تضعيفه.
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٨٢).
(٦) أخرجه مسلم (٢٥٣٠) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، مرفوعاً به.
(٧) في أحمد٣: «حديث مضى».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

شبهت هذه الآية الذي يحلف أو يعاهد أو يبرم عقدة بالمرأة التي[1] تغزل غزلها وتفتله محكماً، وشبه الذي ينقض عهده بعد الإِحكام بتلك الغازلة إِذا نقضت قويَّ ذلك الغزل فحلَّته بعد إِبرامه / . [٣/ ١٤٩]

ويُروى أَن امرأَة حمقاءَ كانت بمكة تُسَمَّى رَيْطَة بنت سعد كانت تفعل ذلك، فَبِهَا وقع التشبيه، قاله[2] عبد الله بن كثير، والسُّدّي، ولم يُسَمِّيا المرأَة.

وقيل: كانت امرأَة موسوسة تسمَّى خطية، تغزل عند الحجر، وتفعل ذلك.

وقال مجاهد، وقتادة: ذلك ضرب مثل لا على امرأَة معينة[3].

و﴿أَنكَـٰثًا﴾ نصب على الحال، و«النكث»: النَّقْض.

و«القُوَّة» في اللغة: واحدةُ قُـوَى الغَزْل والحبل وغير ذلك مما يضفر.

ومنه قول الأَغلب[4] الراجز:

.... حَبْلَ عَجُوزٍ فَتَلَتْ سَـبْعَ قُوى[5] [الرجز]

ويظهر لي أَن المراد بالقوَّة في الآية الشدَّة التي تحدث من تركيب قُوى الغزل،

---

(١) من الأصل.

(٢) في نجيبويه: «ابن عبد الله بن كثير».

(٣) انظر قولهما مع قول سابقيهما في تفسير الطبري (١٧/ ٢٨٤).

(٤) هو الأغلب بن جُشَم العِجْلي، من سعد بن عِجل، كان جاهليّاً إسلاميّاً، عاش تسعين سنة، وقتل بنهاوند، وهو أول من شَبَّه الرَّجز بالقصيد وأطاله، انظر ترجمته في الإصابة (١/ ٢٤٩).

(٥) انظر عزوه له في طبقات فحول الشعراء (٢/ ٧٤١)، والعين (٨/ ٩٩).

ولو قدرناها واحدة القُوى لم يكن معها ما ينتقض أَنكاثاً، والعرب تقول: انتكث الحبل: إِذا انتقضت قواه، أَما إِنَّ عرف الغزل أَنه قوة واحدة ولكن لها أَجزاءٌ كأَنها قوى كثيرة له.

قال مجاهد: المعنى: من بعد إِمْرار قوة(١).

و«الدَّخل»: الدَّغل بعينه، وهي الذَّرائع إِلى الخدع والغدر، وذلك أَن المحلوف له مطمئن فيتمكن الحالف من ضرّه بما يريد.

وقوله: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾، قال المفسرون: نزلت هذه الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم إِذا حالفت أُخرى، ثم جاءَت إِحداهما قبيلة كبيرة قوية فداخلتها غدرت الأُولى ونقضت معها ورجعت إِلى هذه الكبرى، فقال الله تعالى(٢): لا تنقضوا العهود من أَجل أَن تكون قبيلة أَزْيَد من قبيلة في العَدَد والعُدَّة، والرِّبَا: الزيادة.

ويحتمل أَن يكون القول معناه: لا تنقضوا الأَيْمَان من أَجل أَن تكونوا أَرْبى من غيركم؛ أَي: أَزيد خيراً، فمعناه: لا تطلبوا الزيادة بعضكم على بعض بنقض العهود.

و﴿يَبْلُوكُمُ﴾ معناه: يختبركم.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يحتمل أَن يعود على الوفاءِ الذي أَمر الله به، ويحتمل أَن يعود على الرِّبا؛ أَي: إِن الله ابتلى عباده بالتحاسد، وطلبِ بعضِهم الظهورَ على بعض، واختبرهم بذلك ليرى من يجاهد نفسه ممن يُتْبعها هواها، وباقي الآية بيِّن(٣)؛ وعيدٌ بيوم القيامة.

وقوله: ﴿هِىَ أَرْبَىٰ﴾، موضع ﴿أَرْبَىٰ﴾ عند البصريين رفع، وعند الكوفيين نصب و﴿هِىَ﴾ عماد، ولا يجوز العماد هنا عند البصريِّين؛ لأَنه لا يكون مع النكرة، و﴿أُمَّةٌ﴾ نكرة، وحجة الكوفيين أَن ﴿أُمَّةٌ﴾ وما جرى مجراها من أَسماءِ الأَجناس

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٨٥)، وفيه: «إبرام قوة».

(٢) يريد: كأن الله تعالى قال ما معناه كذا وكذا.

(٣) ليست في الأصل والمطبوع ونجيبويه.

تنكيرها قريب من التعريف، أَلا ترى أَن إِدخال الأَلف واللام عليها لا يخصصها كبير تخصيص؟ وفي هذا نظر.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الآية؛ أَخبر الله تعالى في هذه الآية أَنه يبتلي عباده بالأَوامر والنواهي؛ ليذهب كل واحد إِلى ما يُسِّر له، وذلك منه تعالى بحق المِلْك، وأنه لا يُسأَل عما يفعل، ولو شاءَ لكان الناسُ كلهم في طريق واحد، إِمَّا في هدًى وإِمَّا في ضلالة، ولكنه تعالى شاءَ أَن يفرق بينهم، ويخص قوماً بالسعادة، وقوماً بالشقاوة.

و﴿يُضِلُّ﴾، و(يَهْدِي) معناه: يخلق ذلك في القلوب، خلافاً لقول المعتزلة.

ثم توعَّد في آخر الآية بسؤال كل أَحد يوم القيامة عن عمله، وهذا سؤال توبيخ، وليس ثَمَّ سؤال تفهُّم، وذلك هو المنفي في آيات.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

كرَّر النهي عن اتخاذ الأَيمان دخلاً[1] تَهَمُّماً بذلك، ومبالغة في النهي عنه؛ لعظم موقعه من الدين، وتردُّده في معاشرات الناس، و«الدَّخل» كما قلنا: الغوائل والخدائع[2].

وقوله: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استعارة للمستقيم الحال يقع في شرٍّ عظيم ويسقط فيه؛

(١) ليس في المطبوع، وهي في أحمد٣ ملحقة في الهامش.
(٢) ليست في المطبوع.

لأَن القدم إِذا زلَّت نقلت الإِنسان من حال خير إِلى حال شرٍّ، ومن هذا المعنى قول كُثَـيِّر:

[الطويل] .... فَلَمَّـا تَوَافَيْنَـا ثَبَـتُّ وَزَلَّـتِ[١]

أَي: تنقَّلت من حال إِلى حال، فاستعار لها الزلل، ومنه يقال لمن أَخطأَ في الشيءِ: زَلَّ فِيه. ثم توعَّد بعْدُ بعذاب في الدنيا، وعذاب عظيم في الآخرة.

وقوله: ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يدل على أَن الآية فيمن بايع رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ الآية؛ هذه آية نهي عن الرشا وأَخذ الأَموال على فعل ما يجب على الآخذ تركه، [أو ترك ما يجب عليه فعله][٢]، فإِن هذه هي التي عهد الله إِلى عباده فيها، فمن أَخذ على ذلك مالاً فقد أَعطى عهد الله، وأَخذ قليلاً من الدنيا، ثم أَخبر تعالى أَن ما عنده من نعيم الجنة ومواهب الآخرة خيرٌ لمن اتَّقى وعلم واهتدى، ثم بيّن الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأَن هذه تنفد وتنقضي عن الإِنسان، أَو ينقضي عنها، وأَن الآخرة باقية دائمة.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾ بنون، وقرأَ الباقون: ﴿وَلَيَجْزِيَنَّ﴾ بالياءِ[٣].

ولم يختلفوا في قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ أَنه بالنون، كذا قال أَبو علي، وقال أَبو حاتم: إِن نافعاً رُوي عنه: ﴿وَلَيَجْزِيَنَّهُمْ﴾ بالياءِ[٤].

و﴿صَبَرُوٓا۟﴾ معناه: عن الشهوات وعلى مكاره الطاعة، وهذه إِشارة إِلى الصبر عن

---

(١) صدره: وكُنَّا سَلَكْنَا في صَعودٍ مِنَ الهَوَى، وهو من تائيته المشهورة، انظر أمالي القالي (١/ ٦٥)، وخزانة الأدب (٥/ ٢١٢).

(٢) ليس في الإماراتية ونور العثمانية، وفي الأصل ونجيبويه: «على الآخذ أو تركه أو فعل ما يجب عليه تركه».

(٣) وهما سبعيتان، كما في التيسير (ص: ١٣٨)، وزاد الخلاف عن ابن ذكوان إلا أنه وهَّـمه.

(٤) انظر قول أبي علي في الحجة (٥/ ٧٨)، ومثله للداني في جامعه (٢/ ٣٨١)، ونقل قول أبي حاتم في البحر المحيط (٦/ ٥٩٢).

شهوة كسب المال بالوجوه المذكورة، وقوله: ﴿بِأَحْسَنِ﴾؛ أَي: بقدر أَحسن ما كانوا يعملون.

وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يعُمُّ جميع أَعمال الطاعة، ثم قيَّده بالإِيمان.

واختلف الناس في الحياة الطيبة؛ فقال ابن عباس(١)، والضحاك: هو الرزق الحلال(٢)، وقال الحسن، وعليُّ بن أَبي طالب رضي الله عنه: [هي القناعة](٣)، وهذا أَطيب عيش الدنيا(٤).

وقال ابن عباس أَيضاً: هي السعادة(٥).

وقال الحسن البصريُّ أَيضاً: الحياة الطيبة هي حياة الآخرة، ونعيمُ الجنة(٦).

قال القاضي أَبو محمد: هناك هو الطيب على الإِطلاق، ولكن ظاهر هذا الوعد أَنه في الدنيا، والذي أَقول: إِن طيب الحياة اللازم للصالحين إِنما هو بنشاط / نفوسهم، [٣/ ١٥٠] ونُبلها، وقوة رجائهم، والرجاءُ للنفس أَمرٌ مُلِذٌّ، فبهذا تطيب حياتهم، وبأَنهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم، فإِن انضاف إِلى هذا مالٌ حلالٌ وصحةٌ أَو قناعة فذلك كمالٌ، وإِلَّا فالطيب فيما ذكرناه راتب، وجاءَ قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ على لفظ ﴿مَنْ﴾، قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ على معناها، وهذا وعْدٌ بنعيم الجنة، وباقي الآية بيِّن.

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٩٠) من طريق سفيان، عن إسماعيل بن سميع، عن أبي الربيع، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأبو الربيع هذا قد تفرد إسماعيل بالرواية عنه، قاله مسلم في كتاب الوحدان رقم (٨٥٦). ولا يدرى من هو؟

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٠)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٤٠)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٨٣).

(٣) ليس في الأصل.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٩٠) من طريق أبي خزيمة سليمان التمار، عمن حدثه عن علي رضي الله عنه، به، وفيه إبهام، ولم أقف عليه من قول الحسن بن علي رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٩١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٩١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٤)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٤٠)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٨٣).

وحكى الطبري عن أَبي صالح أَنه قال: نزلت هذه الآية بسبب قوم من أَهل المِلَل تفاخروا، وقال كل منهم: مِلَّتي أَفضل، فعَرَّفهم الله تعالى في هذه الآية أَفضل المِلَل[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

الفاءُ في قوله: ﴿فَإِذَا﴾ واصلة بين الكلامين، والعرب تستعملها في مثل هذا، وتقدير الآية: فإِذا أخذت في قراءَة القرآن، كما قال عز وجل: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟﴾ [المائدة: ٦]، وكما تقول لرجل: إِذا أَكلت فقل: باسم الله.

و«الاستعاذة» ندب عند الجميع، وحكى النقاش عن عطاءٍ: أَنَّ التعوُّذ واجب[(٢)]، ولفظ الاستعاذة هو على رتبة هذه الآية، وقد ذكرت الخلاف الذي قيل فيه في صدر هذا الكتاب.

و﴿ٱلرَّجِيمِ﴾: المرجوم باللَّعنة، وهو إبليس.

ثم أَخبر تعالى أَن إِبليس ليس له ملكة ولا رياسة، هذا ظاهر السلطان عندي في هذه الآية، وذلك أَن السلطان إِن جعلناه الحجة فليس لإِبليس حجة في الدنيا على أَحد،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٣).

(٢) انظر قول الندبية في: البحر الرائق (١/ ٣٣٨)، والتاج والإكليل (١/ ٥٤٤)، وحاشية الجمل (١/ ٣٥٤)، ومطالب أولي النهى (١/ ٥٩٩)، وانظر قول عطاء في: المجموع (٣/ ٣٢٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٢)، ونقل النقاش في تفسير القرطبي (١/ ٨٦).

لا مؤمن ولا كافر، اللهم إِلَّا أَن يتأَوَّل متأَوِّل: ليس له سلطان يوم القيامة، فيستقيم أَن يكون بمعنى الحجَّة؛ لأَن إِبليس له حجة على الكافرين أَنه دعاهم بغير دليل فاستجابوا له من قِبَل أَنفسهم، وهؤلاءِ الذين لا سلطان ولا رياسة لإِبليس عليهم هم المؤمنون أَجمعون؛ لأَن الله تعالى لم يجعل سلطانه إِلا على المشركين الذين يتولونه، والسلطان منفي هاهنا في الإِشراك؛ إِذْ له عليهم ملكة ما في المعاصي، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وهم الذين قال إِبليس فيهم: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠].

و﴿يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾: معناه: يجعلونه وليّاً، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يحتمل أَن يعود على اسم الله عزَّ وجلَّ، والظاهر أَنه يعود على اسم إِبليس، بمعنى: من أَجْله وبسببه، كما تقول لمعلمك: أَنا عالم بك؛ أي: بسببك، فكأَنه قال: والذين هم بسببه مشركون بالله.

وهذه الأَخبار بأَن لا سلطانَ للشيطان على المؤمنين بعقب الأَمر بالاستعاذة تقتضي أَن الاستعاذة تَصْرِفُ كيدَه، كأَنها متضمنة للتوكل على الله، والانقطاع إِليه.

قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾، كان كفار مكة إِذا نسخ الله لفظ آية بلفظ أُخرى أَو معناها وإِن بقي لفظها؛ لأَن هذا كله يقع عليه التبديل يقولون: لو كان هذا من عند الله لم يتبدل، وإِنما هو من افتراءِ محمد، فهو يرجع من خطأٍ يبدو له[1] إِلى صوابٍ يراه بعْدُ، فأَخبر الله تعالى أَنه أَعلم بما يصلح للعباد برهة من الدهر، ثم ما يصلح لهم بعد ذلك، وأَنهم لا يعلمون هذا.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُنَزِّلُ﴾ بفتح النون وشد الزاي، وقرأَ أَبو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي[2].

---

(١) في الأَصل ونور العثمانية: «يبدلونه».

(٢) وكذا ابن كثير على قاعدتهما، انظر: التيسير (ص: ٧٥)، لكن خالف يعقوب هنا أَصله، فشدد كما في النشر (٢/ ٢١٩).

وعبَّر بـ«الأكثَر» مراعاة لما كان عند قليل منهم من توقف وقِلَّة مبالغة في التكذيب وظن، ويحتمل أَن يكون هذا اللَّفظ قرَّر على قليل منهم أَنهم يعلمون ويكفرون تَمَرُّداً وعناداً.

وأَمر نبيَّه أَن يخبر أَن القرآن ناسخَه ومنسوخَه إِنما نزَّله جبريل عليه السلام، وهو ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾، لا خلاف في ذلك.

و﴿ٱلْقُدُسِ﴾: الموضع المطهر، فكأَن جبريل أُضيف إِلى الأَمر المطهر بإِطلاق، وسُمِّي «روحاً» إِمَّا لأَنه ذو روح من جملة[1] روح الله الذي بثَّه في خلقه، وخُصَّ هو بهذا الاسم، وإِما لأَنه يجري من الهدايات والرسالات ومن الملائكة أَيضاً مجرى الروح من الأَجساد لِشَرفه ومكانته.

وقرأَ ابن كثير: ﴿الْقُدْس﴾ بسكون الدال، وقرأَ الباقون بضمها[2].

وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أَي: مع الحق في أَوامره ونواهيه، وأَحكامه ومصالحه وأَخباره، ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بمعنى حقّاً، ويحتمل أَن يريد: بالحقِّ في أَن ينزل؛ أَي: إنه واجب لمعنى المصلحة أَن ينزل، وعلى هذا الاحتمال اعتراضات عند أَصحاب الكلام على أُصول الدين، وباقي الآية بيِّن.

قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ قال ابن عباس: كان في مكة غلام أعجمي[3] لبعض قريش يُقال له: بلعام، فكان رسول الله ﷺ يكلمه ويعلمه الإِسلام ويرومه عليه، فقالت قريش: هذا يعلم محمداً من جهة الأَعاجم، فنزلت الآية بسببه[4].

وقال عكرمة وسفيان: كان اسم الغلام يعيش[5].

---

(١) في المطبوع والمصرية٢: «حملة».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٧٤).

(٣) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «أَعمى».

(٤) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (١٧/ ٢٩٩) من طريق مسلم بن عبد الله الملائي، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، ومسلم هذا هو ابن كيسان، متروك الحديث.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٦)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٤٣).

وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي[١]: كان بمكة غلامان، أَحدهما اسمه جَبْر، والآخر يسار، وكانا يقرأان بالرومية، وكان رسول الله ﷺ يجلس إِليهما، فقالت قريش ذلك، ونزلت الآية[٢].

وقال ابن إِسحاق: الإِشارة إِلى جَبْر، وقال الضحاك: الإِشارة إِلى سلمان الفارسي[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف؛ لأَن سلمان إِنما أَسلم بعد الهجرة بمدة[٤].

وقرأَت فرقة: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى﴾.

وقرأَ الحسن البصري: (اللِّسانُ الَّذي) بالتعريف، وبغير تنوين في راءِ (بَشَر)[٥].

وقرأَ نافع، وابن كثير: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياءِ، مِنْ أَلْحَدَ: إِذا مالَ، وهي قراءَة أَبي عمرو، وعاصم، وابن عامر، وأَبي جعفر بن القعقاع.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿يَلْحَدُون﴾ بفتح الياءِ والحاءِ، من لَحَدَ، وهي قراءَة عبد الله، وطلحة، وأَبي عبد الرحمن، والأَعمش، ومجاهد[٦]، وهما بمعنًى، ومنه قول الشاعر / : [٣/ ١٥١]

---

(١) هو عبد الله أو عبيد الله بن مسلم القرشي، ويقال فيه الحضرمي، مذكور في الصحابة، قال أبو عمر: لا أقف على نسبه في قريش، وقد قيل: إنه عبد بن مسلم الذي روى عنه حصين، فإن كان فهو أسدي، أسد قريش. الاستيعاب (٣/ ١٠١٣).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٣٠٠) من طريق هشيم، عن حصين، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي، به. وهشيم بن بشير مدلس، وقد عنعنه، وأما عبد الله ـ ويقال: عبيد الله ـ بن مسلم الحضرمي، فمختلف في صحبته. انظر: تهذيب الكمال (١٩/ ١٥٧).

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٩)، والأول في تفسير الثعلبي (٦/ ٤٣)، والثاني في معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٦).

(٤) في المطبوع: «بمكة».

(٥) الأولى هي المتواترة وانظر قراءة الحسن في المحتسب (٢/ ١٢).

(٦) انظر: السبعة (ص: ٣٧٥)، والتيسير (ص: ١٣٨)، وانظر موافقة أبي جعفر للأولين ومعه يعقوب ومع حمزة خلف في تحبير التيسير (ص: ٤٣٣)، والكل في البحر المحيط (٦/ ٥٩٥)، وفيه: «ابن طلحة»، وكذا في المصرية١.

[الرجز] قَدْنِـيَ مِـنْ نَصْـر الخُبَيْبَيْـنِ قَدِيْ ... لَيْسَ أَميري بالشَّـحيحِ المُلْحِدِ[١]

يريد: المائل عن الجود، وحال الرياسة.

وقوله: ﴿أَعۡجَمِيٌّ﴾ إِضافة إِلى «أَعْجَم»، لا إِلى «الْعَجَم»؛ لأَنه كان يقول: عَجَمِيّ، والأَعجم[٢]: هو الذي لا يتكلم بعربيَّة، وأَما العجميُّ فقد يتكلم بالعربية ونسبته قائمة.

وقوله: ﴿وَهَـٰذَا﴾ إِشارة إِلى القرآن، والتقدير: وهذا سرْدُ لسان، أَو نُطْقُ لسان، فهو على حذف مضاف، وهذا على أَن نجعل اللسان هنا الجارحة، واللسان ـ في كلام العرب ـ: اللغة، ويحتمل أَن يراد في هذه، واللسان: الْخَبَر، ومنه قول الأَعشى:

[البسيط] إِنِّـي أَتَتْنـي لِسَـانٌ غَيْـرُ كَاذِبَةٍ[٣] ... .

ومنه قول الآخر:

[الوافر] لِسَـانُ الـسُّـوءِ تُـهْدِيـهَـا إِلَـيْنَـا ... وحِنْتَ وما حَسِـبْتُكَ أَنْ تَحِينَا[٤]

وحكى الطبري عن سعيد بن المسيَّب أَن [الذي ذكر الله][٥]: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ إِنما هي إِشارة إِلى كاتب كان يكتب لرسول الله ﷺ، فيقول له رسول الله ﷺ في أَواخر الآيات: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، فيكتب هو أَو «عزيز حكيم» أَو نحو هذا، ثم يشتغل باستماع الوحي فيبدل هو[٦] بـ«غفور رحيم» أَو نحوه، فقال له ﷺ في بعض الآيات:

---

(١) هذا الرجز لحُميد بن مالك الأرقط، وقيل: لأبي بحدلة، وقد تقدم قريباً في سورة الحجر.
(٢) في الأصل: «والأعجمي هو الذي يتكلم»، بدون: «لا».
(٣) عجزه: مِنْ عَلْوَ لا عَجَبٌ مِنْهَا ولا سَخَرُ، وهو لأعشى باهلة، يرثي أخاه المنتشر، كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٥٦٨)، ونسبه له في تفسير الطبري (١٨/ ٢٠٨)، والكامل للمبرد (٤/ ٥٥)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٦)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٥٠).
(٤) البيت في تفسير الطبري (١٧/ ٣٠١)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٤٤)، إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٦١) بلا نسبة.
(٥) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «الإشارة بقولهم».
(٦) زيادة من المطبوع.

هو كما كتبت، فَفُتن، وقال: أَنا أُعلِّم محمداً وارتدَّ ولحق بمكة، فنزلت الآية فيه[١].

قال القاضي أَبو محمد: هذا نصراني أَسلم وكتَب، ثم ارتدَّ ومات ثم لفظته الأَرض، وإِلَّا فهذا القول يضعف؛ لأَن الكاتب المشهور الذي ارتَدَّ لهذا السبب ولغيره من نحوه هو عبد الله بن أَبي سَرْح العامريّ[٢]، ولسانه ليس بأَعجمي، فتأَمَّله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾.

المفهوم[٣] من الوجود أَن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بآياته، ولكنه قدم في هذا الترتيب وأَخَّرَ تَهَمُّماً بتقبيح فعلهم، والتشنيع بخطئهم[٤]، وذلك كقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، والمراد ما ذكرناه، فكأَنه قال: إِنَّ الذين لم يؤمنوا لم يهدِهم الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾ بمعنى: إِنما يكذب، وهذه مقاومة للذين قالوا لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾، و﴿إِنَّمَا﴾ حاصرةٌ أَبداً، لكن حصرها يختلف باختلاف المعاني التي تقع فيها، فقد يربط المعنى أَن يكون حصرها حقيقياً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وقد يقتضي المعنى أن يكون حصرها تجوُّزاً ومبالغة، كقولك: إِنما الشجاع عنترة، وهكذا هي في هذه الآية، قال الزجاج: يفتري هذا الصنفُ؛ لأَنهم إِذا رأَوا الآيات التي لا يقدر عليها إِلا الله كذبوا بها، فهذا أَفحشُ الكذب[٥].

---

(١) مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٣٠١) من طريق ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، به مرسلًا.

(٢) تقدمت الإشارة لقصته في تفسير الآية (١٠٦) من سورة المائدة، والآية (٩٣) من سورة الأنعام.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «المعهود»، وكذا المصرية٢ مع التنبيه على النسخة الأخرى.

(٤) في نجيبويه وأحمد٣ والمصرية٢: «بخطابهم».

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢١٩).

وكرَّر المعنى في قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ لفائدة إِيقاع الصفة بالكذب عليهم؛ إِذ الصفةُ بالشيءِ أَبلغ من الخبر به؛ لأَن الصفة تقتضي الدوام أَكثر مما يقتضيه الخبر، فبدأَ في هذه الآية بالخبر ثم أَكَّد بالصفة، وقد اعترض هذا النظر مكيٌّ[1]، وليس اعتراضه بالقوي.

و﴿ مَن﴾ في قوله: ﴿ مَن كَفَرَ﴾ بدل من قوله: ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾، ولم يُجز الزجاج غير هذا الوجه؛ لأَنه رأَى أَن هذا الكلام إِلى آخر الاستثناءِ غير تام، فعلَّقه بما قبله، والذي أَبى الزجاجُ سائغ على ما أُورده الآن إِن شاءَ الله.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا يتأيد بما رُوي من أَن قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ يراد به عبد الله بن أَبي سَرْح، ومِقْيَس بن صبابة وأَشباههما ممن كان آمن برسول الله ﷺ ثم ارتَدَّ[2]، فلما بيَّن في هذه الآية أَمْر الكاذبين بأَنهم الذين كفروا بعد الإِيمان، أَخرج من هذه الصفة القوم المؤمنين المعذَّبين بمكة وهم بلال وعمَّار وسُمَيَّة أُمُّه وخبَّاب وصُهَيْب وأَشباههم، وذلك أَن كفار مكة كانوا في صدر الإِسلام يؤْذون من أَسلم من هؤلاءِ لضعفه، ويُعذِّبونهم ليرتدُّوا، فربما سامحهم بعضهم بما أَرادوا من القول، ويروى أَنَّ عمَّار بن ياسر فعل ذلك فاستثناه الله في هذه الآية[3]، وبقيت الرخصة عامَّة في الأَمر بعده، ثم ابتدأَ في الإِخبار بأَن ﴿مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ﴾، وهذا الضمير على معنى ﴿مَن﴾ لا على لفظها.

---

(١) انظر: الهداية لمكي (٦/ ٤٠٩٠).

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٣٠٨) من طريق عكرمة والحسن البصري، به مرسلًا، وكذلك أخرجه بذكر مقيس بن صبابة (١٤/ ٧٦) من طريق قتادة، به مرسلاً.

(٣) ضعيف، أخرجه الحاكم (٢/ ٣٥٧) وغيره من طريق العلاء بن هلال الرقي، عن عبيد الله بن عمرو الرقي، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر به مرسلاً، وهذا الإسناد مع إرساله ففيه العلاء بن هلال الرقي، متفق على تضعيفه، انظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٥٤٤)، وقد خولف فيه، فرواه عبد الرزاق (٢/ ١٥٦) عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، به معضلاً، وأخرجه كذلك الطبري (١٧/ ٣٠٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا من الاعتراض أَن أَمر ابن أَبي سَرْح وأولئك إِنما كان ورسول الله ﷺ بالمدينة، والظاهر من هذه الآيات أَنها مكِّيَّة.

وقالت فرقة: ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن كَفَرَ﴾ ابتداءٌ، وقوله: ﴿مَّن شَرَحَ﴾ تخصيص منه، ودخل الاستثناءُ لما ذكرنا من إِخراج عمَّار وشبهه، وَردَّنا من الاستثناءِ إِلى المعنى الأول الاستدراكُ بـ﴿لَٰكِن﴾.

وقوله: ﴿فَعَلَيۡهِمۡ﴾ خبر عن ﴿مَن﴾ الأُولى والثانية؛ إِذ هو واحد بالمعنى؛ لأَن الإِخبَار في قوله إِنما قصد به الصنف الشارح بالكفر، فـ﴿صَدۡرٗا﴾ نصب على التمييز.

وقوله: ﴿شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ معناه: انبسط للكفر باختياره، ويُرْوى أَن عَمَّار بن ياسر شَكَا إِلى رسول الله ﷺ ما صنع به من العذاب، وما سامح به من القول، فقال له: «كيف تجدُ قلبَك؟» قال: أَجده مطمئنّاً بالإِيمان، قال: «فَأَجِبْهُم بلسانك فإِنَّهُ لا يضرك، وإِن عادُوا فَعُدْ»[١].

قال القاضي أبو محمد: ويتعلق بهذه الآية شيءٌ من مسائل الإِكراه، أَمَّا من عذَّبه كافر قادر عليه ليكفر بلسانه، وكان العذاب يؤَدي إِلى قتله فله الإِجابة باللسان قولاً واحداً فيما أَحفظ، فإِن أَراد منه الإِجابة بفعل كالسجود إِلى صنم ونحو ذلك ففي هذا اختلاف:

فقالت [فرقة وهي الجمهور: يجيب بحسب التَّقية، وقالت فرقة: لا يجيب، ويسلم نفسه، وقالت][٢] فرقة: إِن كان الصنم نحو القبلة أَجاب واعتقد السجود لله.

قال القاضي أَبو محمد: وما أَحراه أَن يسجد لله حينئذ حيثما توجه، وهذا مباح في السفر لتعب النزول عن الدابة في التنفل[٣]، فكيف بهذا؟[٤]

---

(١) ضعيف، وقد تقدم تخريجه والكلام عليه في التعليق السابق.

(٢) ليس في الأصل، وفيه: «إن كان السجود»، بدل «الصنم».

(٣) في المطبوع والمصرية٢: «التَّنقل».

(٤) زاد في الأصل: «وإذا».

واحتجت فرقة [على التفريق][(١)] في المنع بقول ابن مسعود: ما من كلام يدرأُ عني سوطين من ذي سلطان إِلا كنتُ متكلِّماً به[(٢)]، فقصر الرخصة على القول، [ولم يذكر][(٣)] الفعل.

قال القاضي أَبو محمد: وليس هذا بحجة؛ لأنهَ يحتمل أَن جعل الكلام مثالاً وهو يريد أَن الفعل في حكمه، وأَمَّا الإِكراه في البيع والأيمان[(٤)] والطلاق والعتق والفطر في رمضان وشرب الخمر ونحو هذا من المعاصي التي بين العبد وبين الله تعالى فلا يلزم المكرَهَ شيءٌ من ذلك، قاله مطرّف، ورواه عن[(٥)] مالك، وقاله ابن عبد الحكم وأَصبغ، ورويَاه عن ابن القاسم عن مالك[(٦)].

[٣/ ١٥٢]

وفرق ابن عباس بين ما منها قول كالعتق والطلاق فجعل فيها التَّقية، وقال: لا تقِيَّة فيما كان فعلاً كشرب الخمر والفطر في رمضان، ولا يحل فعلهما لمكره[(٧)].

---

(١) من المطبوع ونجيبويه وأحمد**٣**.

(٢) ضعيف، أخرجه يعقوب الفسوي في تاريخه (**٢/ ١٩٦**) من طريق سفيان الثوري، عن يحيى بن سعيد ابن حيان، عن أبيه، عن الحارث بن سويد، عن ابن مسعود به، وسعيد بن حيان، هو التيمي، فيه جهالة، أورده الإمام الذهبي في الميزان (**٢/ ١٣٢**) وقال: لا يكاد يُعرف.

(٣) في المطبوع والمصرية**٢**: «دون».

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) ليست في المطبوع.

(٦) انظر قول مالك في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (**٨/ ٢٩١**)، وقول مطرِّف وابن عبد الحكم وأصبغ لم أقف عليه.

(٧) أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (**١٢/ ٣٥٩**) عن وكيع، عن سفيان، عن ابن جريج، عن رجل، عن ابن عباس، قال: التقية إنما هي باللسان، ليست باليد، وأخرج الحاكم في المستدرك (**٢/ ٣١٩**) من طريق: محمد بن بشر العبدي قال: سمعت سفيان بن سعيد يذكر عن ابن جريج حدثني عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿**إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً**﴾ قال: التقاة التكلم باللسان والقلب مطمئن بالإيمان، فلا يبسط يده فيقتل، ولا إلى إثم فإنه لا عذر له، وأخرج الطبري (**٦/ ٣١٤**) من طريق: قبيصة بن عقبة قال: حدثنا سفيان عن ابن جريج، عمن حدثه، عن ابن عباس: ﴿**إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً**﴾، قال: التقاة التكلم باللسان، وقلبه مطمئن بالإيمان.

وأَما المظلوم يضغط حتى يبيع متاعه، فذلك بيع لا يجوز عليه، وهو أَولى بمتاعه يأْخذه بلا ثمن، ويبيع المشتري بالثمن ذلك الظالم، فإِن فات المتاع رجع بثمنه أَو بقيمته ـ بالأَكثر من ذلك ـ على الظالم إِذا كان المشتري غير عالم بظلمه، قال مطرّف: ومن كان من المشترين يعلم حال المُكْره فإِنه ضامنٌ لما ابتاع من رقيقه وعروضه كالغاصب، وأَما من لا يعلم فلا يضمن العروضَ والحيوان، وإِنما يضمن ما كان تلفه بسببه، مثل طعام أَكله، أَو ثَوْب لبسه، والغَلَّةُ ـ إِذا عَلِم أَو لم يَعْلَم ـ ليست له بحال، هُوَ لها ضامن كالغاصب، قاله أَصبغ وابن عبد الحكم[1]، قال مطرِّف: وكل ما أَحدث المبتاع في ذلك من عِتْق أَو تدبير أَو تحبيس فلا يلزم المكرَه، وله أَخذ متاعه[2].

وأَما الإِكراه على قتل مسلم أَو جَلْدِه وأَخذ مالِه أَو بيع متاعه فلا عذر فيه، ولا استكراه في ركوب معصية تُنْـتَهَك من أَحد كالزِّنى والقتل ونحوه، قال مطرّف، وأَصبغ، وابن عبد الحكم: لا يفعل أَحد ذلك وإِن قُتل إِنْ لم يفعله، فإِنْ فَعَله فهو آثم ويلزمه الحدُّ والقَود[3]، وقال مالك: القيْد إِكراهٌ، والسِّجن إِكراهٌ، والوعيد المخوف إِكراهٌ وإِن لم يقع إِذا تحقق ظُلْمَ ذلك الـمُتَعَدِّي وإِنفاذَه لما يتوعَّد به[4].

قال القاضي أبو محمد: ويعتبر الإِكراه عندي بحسب هِمَّة المُكْرَه وقدره في الدين، وبحسب الشيءِ الذي يُكْرَهُ عليه، فقد يكون الضرب إِكراهاً في شيءٍ دون شيءٍ، فلهذه النوازل فقه الحال، وأَما يمين المُكْرَه كما قلنا فهي غير لازمة.

قال ابن الماجشون: وسواءٌ حلف فيما هو لله تعالى طاعة [أَو معصية إِذا أُكره على اليمين، قاله أَصبغ، وقال مطرف: إِن أُكْره على اليمين][5] فيما هو لله تعالى معصية

(١) وفي المطبوع: «وقال أصبغ وعبد الحكم».
(٢) انظر قولي مطرف في: تفسير القرطبي (١٠/ ١٨٤)، وأصبغ وابن عبد الحكم في: شرح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٢٨).
(٣) انظر قول مطرف وابن عبد الحكم وأصبغ في: تفسير القرطبي (١٠/ ١٨٣).
(٤) انظر قو ل مالك في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٩٣-٢٩٤).
(٥) من المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية والمصرية٢، وكذا الإماراتية، وفيها: «أو فيما هو لله معصية».

أَو فيما ليس في فعله طاعة ولا معصية فاليمين فيه ساقطة، وإِن أُكْرِه على اليمين فيما هو طاعة مثل أَن يأْخذ الوالي رجلاً فاسقاً فيُكْرِهه على أَن يحلف بالطلاق لا يشرب خمراً، أَو لا يفسق، أَو لا يغشُّ في عمله، أَو الوالد يحلف ولده في مثل هذا تأديباً له؛ فإِن اليمين تلزم وإِن كان المُكْره قد أَخطأَ فيما تكلف من ذلك، وقال به ابن حبيب[(١)].

وأَما إِن أُكْرِهَ رجلٌ على أَن يحلف وإِلا أُخذ له مال ـ كأَصحاب المَكْس، وظَلَمة السُّعاة، وأَهل الاعتداءِ ـ فقال مطرّف: لا تقية في ذلك، وإِنما يدْرأُ المرءُ بيمينه عن بدنه، لا عن ماله، وقال ابن الماجشون: لا يحنث وإِن درأَ عن ماله ولم يخف على بدنه، وقال ابن القاسم بقول مطرّف، ورواه عن مالك، وقاله ابن عبد الحكم، وأَصبغ، وابن حبيب[(٢)].

وقال مطرّف، وابن الماجشون: وإِن يدرأْ الحالف بيمينه للوالي الظالم قبل أَن يسأَله ليذُبَّ بها عما خاف عليه من بدنه وماله فحلف بها فإِنها تلزمه، وقاله ابن عبد الحكم وأَصبغ.

وقال أَيضاً ابن الماجشون فيمن أَخذه ظالم فحلف له بالطلاق ألبَـتَّـةَ من غير أَن يحلِّفه وتركه وهو كاذب، وإِنما حلف خوفاً من ضربه وقتله أَو أَخذ ماله، فإِن كان إِنما يتبرع باليمين غلبة خوفٍ ورجاءَ النجاة من ظُلْمِه فقد دخل في الإِكراه ولا شيءَ عليه، وإِن لم يحلف على رجاء النجاة فهو حانث[(٣)].

وإِذا اتَّهم الوالي أَحداً بفعل أَمر فقال له: لا بُدَّ من عقوبتك إِلا أَن تحلف لي، فإِن كان ذلك الأَمر مما لذلك المُكْرَه فعلُه ـ إِمَّا أَن يكون طاعة، وإِمَّا أَن يكون لا طاعة ولا معصية ـ فالتَّقية في هذا، وأَما إِن كان ذلك الأَمر ممَّا لا يحلُّ لذلك الرجل فِعْلُه ويكون

---

(١) انظر قولي ابن الماجشون وابن حبيب بلزومها في: شرح مختصر خليل للخرشي (٤/ ٣٦).

(٢) قول ابن حبيب لم أقف عليه، وانظر أقوال الباقين في: تفسير القرطبي (١٠/ ١٨٧).

(٣) انظر قولي ابن الماجشون وقول مطرف وابن عبد الحكم وأصبغ في: تفسير القرطبي (١٠/ ١٨٧).

حظر الوالي فيه صواباً فلا تقية في اليمين، وهو حانث، قاله مالك، وابن الماجشون[١].

قال القاضي أبو محمد: فهذه نُبْذة من مسائل الإكراه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الغضب والعذاب الذي توعَّد به قبل هذه الآية، والضمير في (أنَّهم) لمن شرح بالكفر صدراً، ولما فعلوا فعل من اسْتَحبَّ أُلزموا ذلك وإن كانوا غير[٢] مصدقين بالآخرة، لكن الأمر في نفسه بيِّن، فمن حيث أَعرضوا عن النظر فيه كانوا كمن استحب غيره، وهذه الآية عُلِّق فيها العقاب بتكسبهم، وذلك أن استحبابهم زينة الدنيا ولذَّات الكفر هو التكسُّب.

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ إشارة إلى اختراع الله الكفر في قلوبهم، ولا شكَّ أَن كفر الكافر الذي يتعلَّق به العقاب إنما هو باختراع من الله وتكسُّب من الكافر، فجمعت الآية بين الأمرين، وعلى هذا مرَّت عقيدة أَهل السُّنَّة.

وقوله: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عموم على أَنه لا يهديهم من حيث إنهم كفار في نفس كفرهم، أَو عموم يراد به الخصوص فيمن يوافي.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، عبارة عن صرف الله

(١) هذا التفصيل لم أقف عليه.

(٢) ليست في الأصل.

[٣/ ١٥٣] لهم عن طريق الهدى، واختراع الكفر المظلم[١] في قلوبهم، وتغليب / الإعراض على نظرهم، فكأنه سدَّ بذلك طرق هذه الحواس حتَّى لا ينتفع في اعتبار وتأمُّل، وقد تقدم القول وذِكْر الاختلاف في الطبع والختم في سورة البقرة، وهل هو حقيقة أو مجاز.

و«السمع»: اسم جنس، وهو مصدر في الأصل، فلذلك وُحِّد، ونبه على تكسبهم الإعراض عن النظر، فوصفهم بالغفلة.

وقد تقدم شرح ﴿لَا جَرَمَ﴾ في هذه السورة.

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ الآية؛ قال ابن عباس: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأُصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأُكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] إلى آخر الآية، قال: فكتب بها إلى من بقي من المسلمين بمكة، وأَنْ لا عذر لهم، فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة، فنزلت فيهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٨] إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا ويئسوا من كل خير، ثم نزل فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ [العنكبوت: ١٠]، فكتبوا إليهم بذلك أن الله قد جعل لكم مخرجاً، فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا، وقُتل من قُتل[٢].

قال القاضي أبو محمد: جاءَت الرواية هكذا أنَّهم بعد نزول الآية خرجوا، فيجيءُ الجهاد الذي ذُكر في الآية جهادهم مع رسول الله ﷺ على الإسلام.

وروت طائفة أنهم خرجوا واتَّبعوا وجاهدوا مُتَّبعيهم، فقتل من قُتل، ونجا من نجا، فنزلت الآية حينئذ، فمعنى الجهاد المذكور جهادهم لـمُتَّبِعِيهم.

---

(١) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «واختراع الكفر والظلم».

(٢) إسناده لا بأس به، أخرجه الطبري (٩/ ١٠٢) من طريق: أحمد بن منصور الرمادي، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، عن محمد بن شريك المكي، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

وقال ابن إِسحاق: نزلت هذه الآية في عمَّار بن ياسر، وعيَّاش بن أَبي ربيعة، والوليد ابن الوليد.

قال القاضي أَبو محمد: وذِكْرُ عمَّار في هذا عندي غير قويم، فإِنه أَرفع من طبقة هؤلاءِ، وإِنما هؤلاءِ مَنْ تاب مِمَّنْ شرح بالكفر صدراً[1]، فتح الله عليهم باب التوبة في آخر الآية.

وقال عِكْرمة، والحسن: نزلت هذه الآية في شأن عبد الله بن أَبي سَرْح وأَشباهه[2]، فكأَنه قال: من بعد ما فتنهم الشيطان، وهذه الآية مدنية، ولا أَعلم في ذلك خلافاً، وإِن وُجد فهو ضعيف.

وقرأَ الجمهور: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ بضم الفاءِ وكسر التاءِ، وقرأَ ابن عامر وحده: ﴿فَتَنوا﴾ بفتح الفاء والتاء[3]، فإِن كان الضمير للمعذَّبين فتجيءُ بمعنى: فتَنُوا أَنفسهم بما أَعطوا المشركين من القول، كما فعل عمَّار بن ياسر، وأَما على قراءَة الجمهور فإِن كان الضمير للمعذَّبين فهو بمعنى: من بعد ما فَتَنَهم المشركون، وإِن كان الضمير للمشركين فهو بمعنى: من بعد ما فتنهم الشيطان، والضمير في ﴿بَعۡدِهَا﴾ عائد على الفتنة، أَو على الفعلة، أَو الهجرة، أَو التوبة، والكلام يعطيها وإِنْ لم يجرِ لها ذكرٌ صريح.

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ﴾ المعنى: لغفورٌ رحيمٌ يومَ، وقوله: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾؛ أَي: كل ذي نفْس، ثم أَجرى الفعل على المضاف إِليه المذكور فأَنَّث العلامة، و﴿نَفۡسٖ﴾ الأُولى هي النفس المعروفة، والثانية هي بمعنى الذات، كما تقول: نفس الشيءِ

---

(١) جاءت هذه الجملة في أحمد٣ ونور العثمانية: «وإنما هؤلاء من باب: فمن شرح بالكفر صدراً»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

(٢) انظره مع قول ابن إسحاق السابق في تفسير الطبري (١٧/ ٣٠٨).

(٣) انظر: التيسير (ص: ١٣٨).

وعينه؛ أَي: ذاته، و﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾؛ [أَي: تُجَازى][١]، كُلُّ من أَحسن بإِحسانه، وكلُّ من أَساءَ بإِساءَته.

قال القاضي أبو محمد: وظاهر الآية أَن كلَّ نفس تجادل، مؤمنة كانت أَو كافرة، فإِذا جادل الكفار بكذبهم وجحدهم الكفر شهدت عليهم الجوارح والرسل وغير ذلك بحسب الطوائف، فحينئذ لا ينطقون، ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦]، فتجتمع آيات القرآن باختلاف المواطن.

وقالت فرقة: «الجدال»: قولُ كل أَحد من الأَنبياءِ وغيرهم: نفسي نفسي، وهذا ليس بجدال ولا احتجاج، وإِنما هو مجرَّد رغبة.

قوله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

قال ابن عباس[٢] ومجاهد وابن زيد وقتادة: القرية المضروب بها المثل مكة كانت بهذه الصفة التي ذكر الله؛ لأنها كانت لا تُغزَى، ولا يغير عليها أحد[٣]، وكانت الأرزاق تجلب إليها، وأنعم الله عليها برسوله، والمراد بهذه الضمائر كلها أهل القرية، فكفروا بأَنْعُم الله في ذلك وفي جملة الشرع والهداية، فأصابتهم السنون والخوف، وسرايا رسول الله ﷺ وغزواته، هذا إن كانت الآية مدنية وإن كانت مكِّيَّة فجوع السنين وخوف العذاب من الله بحسب التكذيب.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٠٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣١٠)، ومع ما سيأتي عن الطبري نفسه.

قال القاضي أبو محمد: وإِن كانت هي التي ضربت مثلاً فإِنما ضربت لغيرها مما يأتي بعدها؛ ليحذر أَن يقع فيما وقعت هي فيه.

وحكى الطبري عن حفصة أُم المؤمنين أَنها كانت تسأَل في وقت حَصْر عثمان بن عفان رضي الله عنه: ما صنع الناس؟ وهي صادرة من الحج من مكة، فقيل لها: قتل، فقالت: والذي نفسي بيده إِنها للقرية ـ تعني المدينة ـ التي قال الله فيها: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ الآية[١].

قال القاضي أبو محمد: فأَدخل الطبري هذا على أَن حفصة قالت: إِن الآية نزلت في المدينة، وإِنها هي التي ضربت مثلاً، والأَمر عندي ليس كذلك، وإِنما أَرادت أَن المدينة قد حصلت في محذور المثَل، وحلَّ بها ما حلَّ بالتي جُعِلت مثالاً، وكذلك يتوجه عندي في الآية أَنها قُصد بها قرية غير معينة[٢] وجعلت مثلًا، لكنه على معنى التحذير لأَهلها ولغيرها من القرى إِلى يوم القيامة.

و ﴿رَغَدًا﴾ نصب على الحال.

و(أَنْعُم) جمع نِعْمَة، كَشِدَّة وأَشُدّ، كما قال سيبويه، وقال قطرب: أَنْعُم: جمع نُعْم، وهي بمعنى النعيم[٣]، يقال: هذه أَيام نُعْم وطُعْم.

وقوله: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ استعاراتٌ؛ أَي: لما باشرهم ذلك صار كاللِّبَاس، وهذا كقول الأَعشى:

إِذَا مـا الـضَّجِيـعُ ثَـنَـى جِيـدَهَـا ... تَثَنَّـتْ عَـلَيْـهِ فَصَـارَتْ لِبَـاسَـا[٤] [المتقارب]

---

(١) إسناده لا بأس به، أخرجه الطبري (١٧/ ٣١٠) قال: حدثني ابن عبد الرحيم البرقيّ، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا نافع بن يزيد، قال: ثني عبد الرحمن بن شريح، أن عبد الكريم بن الحارث الحضرميّ، حدث أنه سمع مِشْرَح بن عاهانَ، يقول: سمعت سليم بن عتر يقول: صدرنا من الحجّ مع حفصة زوج النبيّ ﷺ، وعثمان محصور بالمدينة... فذكره.

(٢) في الأصل: «مطمئنة».

(٣) في الأصل ونجيبويه: «التنعيم».

(٤) البيت للنَّابغة الجعْدي كما تقدم في تفسير الآية (١٨٧) من سورة البقرة.

[٣/ ١٥٤] ونحوه / قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[البقرة: ١٨٧]، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] لَقَدْ لَبِسَتْ بَعْدَ الزُّبَيْرِ مُجَاشِعٌ ثيابَ الَّتي حاضَتْ وَلَمْ تَغْسِلِ الدِّمَا[١]

كأن العار لما باشرهم وأُلصق بهم جعلهم لبسوه.

وقوله: ﴿فَأَذَاقَهَا﴾ نظير قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] ونظير قول الشاعر:

[الرجز] دُونَكَ ما جَنَيْتَه فاحْسُ وذُقْ[٢] ....

وقرأ الجمهور: ﴿وَالْخَوْفِ﴾ عطفاً على ﴿الْجُوعِ﴾.

وقرأ أبو عمرو بخلاف عنه: (وَالْخَوْفَ) عطفاً على قوله: ﴿لِبَاسَ﴾[٣].

وفي مصحف أُبيّ بن كعب: (لباسَ الخوفِ والجوعِ).

وقرأ ابن مسعود: (فأذاقها اللَّهُ الخوفَ والجوعَ)، ولا يذكر ﴿لِبَاسَ﴾[٤].

والضمير في ﴿جَاءَهُمْ﴾ لأهل مكة، و«الرسول»: محمد ﷺ.

و﴿الْعَذَابُ﴾: الجوع، وأَمْر بدرٍ، ونحو ذلك إن كان التمثيل بمكة وكانت

---

(١) البيت لجرير يردُّ على البعيث، كما في المعاني الكبير (١/ ٥٩٣)، ومجاشع: قبيلة الفرزدق، وفي نجيبويه: «تعقل» بدل «تغسل».

(٢) استشهد به أبو علي في الحجة (٥/ ٨٠) بلا نسبة، في المطبوع: «فاخش»، وفي الأمثال المولدة (ص: ٣٣٧): أن الشعر جاهلي صحيح، قيل ليزيد بن عمرو بن الصّعق الكلابيّ، وأوّله: دونك ما جنيتَه يا ابن الصَّعِقْ.

(٣) وهي رواية علي بن نصر وعباس بن الفضل وداود الأودي وعبيد بن عقيل عنه كما في السبعة (ص: ٣٧٦)، وهي شاذة.

(٤) وهما شاذتان، انظر قراءتي أبي في مختصر الشواذ (٧٨)، وعزاها لابن مسعود أيضاً، وما هنا عنه في البحر المحيط (٦/ ٦٠٥).

الآية مدنية، وإِن كانت مكِّيَّة فهو الجوع فقط، وذكر الطبري أَنه القتل ببدر[١]، وهذا يقتضي أَن الآية نزلت بالمدينة، وإِن كان التمثيل بمدينة قديمة غير معينة فيحتمل أَن يكون الضمير في ﴿جَآءَهُمْ﴾ لأَهل تلك المدينة، ويكون هذا مما جرى كمدينة شعيب وغيره، ويحتمل أَن يكون الضمير المذكور لأَهل مكة، فتأَمل.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، هذا ابتداءُ كلام آخر، ومعنى حُكْم، والفاءُ في قوله: ﴿فَكُلُواْ﴾ لصلة الكلام واتساق الجُمَل، خرج من ذكر الكافرين والميل[٢] عليهم إِلى أمر المؤمنين بشرع مَّا، فوصل الكلامَ بالفاءِ، وليست المعاني موصولة، هذا قولٌ.

والذي عندي أَن الكلام متصل المعنى؛ أَي: وأَنتم أَيُّها المؤمنون لستم كهذه القرية، فَكُلُوا واشكروا الله على تباين حالكم من حال الكفرة، وهذه الآية هي بسبب أَن الكفار كانوا قد سنُّوا في الأَنعام سُنَناً، وحرَّموا بعضاً وأَحلُّوا بعضاً، فأَمر الله المؤمنين بأَكل جميع الأَنعام التي رزقها الله عباده.

[وقوله: ﴿حَلَٰلًا﴾ حال، وقوله: ﴿طَيِّبًا﴾؛ أي: مستلَذّاً][٣]، ووقع النَّصُّ في هذا على المُسْتَلَذّات؛ إذ فيه ظهور النِّعمة، وهو عُظْم النِّعم، وإِن الحلال قد يكون غير مُسْتَلَذٍّ، ويحتمل أَن يكون الطيب بمعنى الحلال، كرَّره مبالغة وتوكيداً، وباقي الآية بيِّن.

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ إِقامة للنفوس، كما تقول لرجل: إن كنتَ من الرجال فافعل كذا، على معنى إِقامة نفسه.

وذكر الطبري أَن بعض الناس قال: نزلت هذه خطاباً للكفَّار عن طعام كان رسول الله ﷺ بعثه إِليهم في جوعهم، وأَنحى الطبريُّ على هذا القول[٤]، وكذلك هو فاسد من غير وجه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣١٢).

(٢) في المطبوع: «والمثل».

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «واختلف العلماءُ في قوله: ﴿طَيِّباً﴾، والصحيح أَنه مُسْتَلَذٌّ بعد قوله: ﴿حَلاَلًا﴾».

(٤) إنما ذكر الطبري هذا القول في تفسيره (١٧/ ٣١٢) بلا إسناد، ودون أن يذكر قائله، ولم أقف عليه مسنداً.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

حصرت ﴿إِنَّمَا﴾ هذه المُحَرَّمات وقت نزول الآية، ثم نزلت المحرَّمات بعد ذلك.

وقرأ جمهور النَّاس: ﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾ مخففاً، وشددها أبو جعفر بن القعقاع[١]، وهو الأصل، والتخفيف طارئٌ عليه، والعامل في نصبها ﴿حَرَّمَ﴾.

وقرأت فرقة: (الـمَيْتَةُ) بالرفع على أن تكون (مَا) بمعنى: الذي[٢].

قال القاضي أبو محمد: وكون (مَا) متصلة بـ(إنَّ) يضعف هذا، ويحكم بأَنها حاصرة، و(ما) كافة، وإِذا كانت بمعنى الذي فيجب أَن تكون منفصلة، وذلك خلاف خط المصحف.

وقرأ الجمهور: ﴿حَرَّمَ﴾ على معنى: حرَّم الله، وقرأت فرقة: (حُرِّم) على ما لم يُسَمَّ فاعله، وهذا برفع (المَيْتَة) ولا بُدَّ[٣].

قال القاضي أبو محمد: والميتةُ المحرمة هي ما مات من حيوان البَـرِّ الذي له نفْسٌ سائِلة حتْفَ أَنفه[٤]، وأَما ما ليس له نفس سائِلة كالجراد والذباب والبراغيث ودود التين وحيوان الفول، وما مات من الحوت حتف أَنفه وطفا على الماءِ ففيه قولان في المذهب[٥]، وما مات حتف أَنفه من الحيوان الذي يعيش في الماءِ وفي البَـرِّ كالسلاحف ونحوها ففيه قولان[٦]، والمنع هنا أَظهر، إِلَّا أَن يكون الغالب عليه العيشَ في الماءِ[٧].

---

(١) كما في النشر (٢/ ٢٢٤)، فهي عشرية.

(٢) وهي شاذة تقدم الكلام عليها في سورة البقرة (١٧٣).

(٣) وهي شاذة عزاها المؤلف في آية (البقرة) للسلمي، كما تقدم.

(٤) انظر نقل الإجماع على ذلك في: الإقناع (٩٦٢-٩٦٣).

(٥) والمعتمد هو القول بالحرمة انظر القولين في: مواهب الجليل (١/ ١٢٢-١٢٣).

(٦) انظر القولين في شرح مختصر خليل للخرشي (٨/ ٤٧٨).

(٧) انظر هذا القول في بداية المجتهد (١/ ٤٤٣)، ولم ينسبه.

والدّم المحرَّم هو المنسفح الذي يسيل إِن ترك مفرداً[١].

وأَمَّا ما خالط اللحم وسكن فيه فحلال طبخ ذلك اللحم به، ولا يكلف أَحد تَتبُّعه[٢].

ودم الحوت مختلف في تحليله وإِن كان ينسفح لو تُرك[٣].

وَ(لَحْمَ الْخِنْزِيرِ) هو معظمُه والمقصودُ الأَظهر فيه، فلذلك خصَّه بالذكر، وأَجمعت الأُمة على تحريم شحمه وغضاريفه[٤]، ومن تخصيصه استدلت فرقة على جواز الانتفاع بجلده إِذا دُبغ ولبسه، والأَولى تحريمه جملة[٥].

وأَما شَعْره فالانتفاع به مباحٌ، وقالت فرقة: ذلك غير جائز، والأَول أَرجح[٦].

وقوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ يريد كل ما نوي بذبحه غيرُ التقرُّب إِلى الله والقرب إِلى سواه، وسواءٌ تكلم بذلك على الذبيحة أَو لم يتكلم، لكن خرجت العبارة عن ذلك بـ﴿أُهِلَّ﴾، ومعناه صحيح على عادة العرب، وقصد الغَضّ منها، وذلك أَنها كانت إِذا ساقت ذبيحة إِلى صنم جهرت باسْم ذلك الصنم وصاحت به.

وقوله: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾، قالت فرقة: معناه: أُكْرِه، وقال الجمهور: معناه: اضطرَّهُ جوع واحتياج.

وقرأَت فرقة: ﴿فَمَنُ﴾ بضم النون ﴿ٱضۡطُرَّ﴾ بضم الطاءِ، وقرأَت فرقة: ﴿فَمَنِ﴾ بكسر النون ﴿اضْطِرَّ﴾ بكسر الطاءِ، على أَن الأَصل: اضْطُرِرَ، فنقلت حركة الراءِ إِلى الطاءِ، وأُدغمت الراءُ في الراءِ[٧].

---

(١) انظر نقل الإجماع على ذلك في: الإقناع (٢/ ٩٨٥).

(٢) انظر ذلك في: مواهب الجليل (٤/ ٣٥٥).

(٣) انظر الاختلاف في دم الحوت المنسفح في: بداية المجتهد (١/ ٤٦٧).

(٤) انظر نقل الإجماع على ذلك في: الإقناع (٢/ ٩٨٥).

(٥) انظر قول الجمهور وقول مخالفيهم في: الاستذكار (٥/ ٣٠٥).

(٦) انظر عزو القولين في بداية المجتهد (١/ ٤٧٦)، والمغني (١/ ٦٧).

(٧) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٢٢٦)، والأولى قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي وخلف العاشر.

قالت فرقة: «الباغي»[١]: هو صاحب البغي على الإمام، أَو في قطع الطريق، وبالجملة في سفر المعاصي، و«العادي»: بمعناه في أَنه مَن ينوي المعصية.

وقال الجمهور: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ معناه: غير مستعمل لهذه المحرمات مع وجود غيرها، ﴿وَلَا عَادٍ﴾ معناه: لا يعدو حدود الله في هذا، وهذا القول أَرجحُ، وأَعمُّ في الرخصة.

وقالت فرقة: باغٍ وعادٍ في الشِّبَع والتَّزوُّد، واختلف النَّاسُ في صورة الأَكل من الميتة:

فقالت فرقة: الجائز من ذلك ما يُمسك الرَّمَق فقط[٢].

[٣/ ١٥٥] وقالت فرقة: بل يجوز الشبع التَّام[٣]، / وقالت فرقة منهم مالك رحمه الله: يجوز الشِّبع والتَّزوُّد[٤].

وقال بعض النحويين في قوله: عَادٍ: إِنه مقلوب من عايِدٍ، فهو كشاكي السلاح، وكيومٍ راحٍ، وكقول الشاعر:

[الرجز] لاثٍ بِــهِ الأَشــاءُ والْـعُـبْـرِيُّ[٥] ....

وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لفظ يقتضي منه الإِباحة للمضطر، وخرجت الإِباحة في هذه الأَلفاظ تحرجاً فيها، وتَضْييقاً في أَمرها، ليدل الكلام على عظم الحظر[٦]

---

(١) ليست في أحمد٣ والمطبوع، وفي المطبوع قبل قالت فرقة: «وقوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال في الحاشية: وهي زيادة يقتضيها سياق الكلام، وهو غير موجود بالأصل».

(٢) ممن قال بذلك أبو حنيفة كما في مختصر اختلاف العلماء (٤/ ٣٥٩)، والشافعي وأصحابه كما في: المجموع (٩/ ٤٢-٤٣، ٥٢).

(٣) ممن قال بذلك الحسن البصري، كما في: الاستذكار (٥/ ٣٠٧).

(٤) انظر قول مالك في: الموطأ (٢/ ٤٩٩).

(٥) البيت للعجاج كما في العين (٢/ ١٣٠)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٤٦٦)، ومجاز القرآن (١/ ٢٦٩)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٩).

(٦) في الإماراتية والمصرية١: «الخطر»، وهو ظاهر الأصل.

في هذه المحرمات، فغاية هذا المرخَّص له غفرانُ الله له، وحطُّه عنه ما كان يلحقه من الإِثم لولا ضرورته.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التخريج[١] الذي ذكرناه يفهمه الفصحاءُ من اللفظ، وليس في المعنى منه شيءٌ، وإِنما هو إيماء[٢]، وكذلك جعل في موضع آخر[٣] غايته أَن لا إِثم عليه، وإِن كان «لا إِثْمَ عَلَيْهِ»، وقوله: «هو له مباح» يرجعان إِلى معنىً واحد، فإِن في هيئة اللفظتين خلافاً.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾.

هذه مخاطبة للكفار الذين حرَّموا البحائر والسوائب، وأَحَلُّوا ما في بطون بعض الأَنعام وإِن كان ميتة، يدل على ذلك قوله حكاية عنهم: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾[الأنعام: ١٣٩]، والآية تقتضي كل ما كان لهم من تحليل وتحريم، فإِنه كلَّه افتراءٌ منهم، ومنه ما فعلوه في الشهور.

وقرأَ السبعةُ وجمهور النَّاس: ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ بفتح الكاف وكسر الذَّال وفتح الباءِ، و(ما) مصدرية، فكأَنه قال: لوصف أَلسنتكم الكذب.

وقرأَ الأَعرج، وطلحة[٤]، وأَبو معمر، والحسن: (الكَذِبِ) بخفض الباءِ على البدل من (مَا).

---

(١) في الأصل: «التحريم»، وفي الإماراتية: «التحريج».

(٢) في المطبوع: «إِيحاءٌ».

(٣) في الآية (١٧٣) من سورة البقرة.

(٤) في الأصل: «أبو طلحة».

وقرأ بعض أَهل الشام، ومعاذ بن جبل، وابن أَبي عبلة: (الكُذُبُ) بضم الكاف والذال والباءِ، على صفة الأَلسنة.

وقرأ مسلمة بن محارب: (الكُذُبَ) بفتح الباءِ على أَنه جمع كِذاب كَكُتُبٍ وكِتَاب[١].

وقوله: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ﴾ إِشارة إِلى ميتة بطون الأَنعام وكل ما أَحَلُّوا، وقوله: ﴿وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ إِشارة إِلى البحائر والسَّوائب وكل ما حرَّموا، وقوله: ﴿لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ إِشارة إِلى قولهم في فواحشهم التي هذه إِحداها: ﴿وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أَن يريد أَنه كان شرعهم لاتباعهم سُنَناً لا يرضاها الله افتراءً عليه؛ لأَن من شرع أَمراً فكأَنه قال لأَتباعه: هذا هو الحق، وهذا مرادُ الله.

ثم أَخبرهم الله أَنَّ الَّذِينَ يَفْتَـرُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ لا يبلغون الأَمل، و«الفلاحُ»: بلوغ الأَمل، فطَوْراً يكون في البقاءِ، كما قال الشاعر:

[المنسرح] .... والصُّبْحُ والـمُمْسِـيُ لا فلاحَ مَعَهْ[٢]

ويشبه أَن هذه الآية من هذا المعنى، يُقَوِّي ذلك قوله: ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾، وقد يكون في نجح[٣] المساعي، ومنه قول عبيد:

[مخلع البسيط] أَفْلِحْ بِمَا شِـئْتَ فَقَـدْ يُبْلَغُ بالضْـ ... ـعْـفِ وقَـدْ يُخْـدَعُ الأَرِيبُ[٤]

وقوله: ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ إِشارةٌ إِلى عيشتهم في الدنيا، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ بعد ذلك في الآخرة.

---

(١) هذه ثلاث قراءات شاذة، الأولى في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٦٢)، ومع الثالثة في المحتسب (٢/ ١٢)، وذكر الثانية لمعاذ في الآية (٦٢) (٢/ ١١)، وعزاها الهذلي لابن أبي عبلة في الكامل (ص: ٥٨٥).

(٢) هو للأضبط بن قُرَيْع السَّعديِّ، وصدره: لكُلِّ هَمٍّ مِنَ الأمورِ سَعَهْ وقد تقدم في أول سورة البقرة.

(٣) ليست في الأصل.

(٤) البيت لعَبيد بن الأبرص كما تقدم في تفسير الآية (٢٢) من سورة الأنعام.

وقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ الآية، لما قصَّ[(١)] تعالى على المؤمنين ما حرَّم عليهم أَعْلم أَيضاً بما حرَّم على اليهود؛ ليبين تبديلهم الشرع فيما استحلوا من ذلك، وفيما حرَّموا من تلقاءِ أَنفسهم.

وقوله: ﴿مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ﴾ إشارةٌ إِلى ما في سورة الأَنعام[(٢)] من ذي الظُّفُر والشحوم.

وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾؛ أَي: لم نضع العقوبة عليهم بتحريم تلك الأَشياءِ عليهم في غير موضعها، بل هم طرقوا إِلى ذلك، وجاءَ من تسبيبهم[(٣)] بالمعاصي ما أَوجب ذلك.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ هذه آية تأنيس لجميع العالم، أَخبر الله تعالى فيها أَنه يغفر للتائب، والآية إِشارة إِلى الكفار الذين افتروا على الله، وفعلوا الأَفاعيل المذكورة، فهم إِذا تابوا من كفرهم بالإِيمان، وأَصلحوا بأَعمال الإِسلام غفر الله لهم، وتناولت هذه ـ بعد ذلك ـ كل واقع تحت لفظها من كافر وعاصٍ.

وقالت فرقة: «الجهالة»: العَمْد، و«الجهالة» عندي في هذا الموضع ليست ضد العلم، بل هي تعدِّي الطور، وركوبُ الرأس، ومنه قول النبي ﷺ: «أَوْ أَجْهَل، أَو يُجْهَل عَلَيَّ»[(٤)]، وهي التي في قول الشاعر:

أَلا لا يَـجْـهَـلَـنْ أَحَـدٌ عَـلَـيْـنَـا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْـلِ الْجَاهِلِينا[(٥)] [الوافر]

---

(١) في الأصل: «نص».

(٢) الأنعام: ١٤٦.

(٣) في المطبوع: «تَشَبُّثهم»، وهي ظاهر نور العثمانية.

(٤) منقطع، أخرجه الإمام أحمد (٤٤/ ٢٣٠)، والترمذي (٣٤٢٧)، والنسائي في الكبرى (٩٩١٥) كلهم من طريق وكيع، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن الشعبي، عن أم سلمة رضي الله عنها، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، فالشعبي لم يسمع من أم سلمة، قاله علي بن المديني، فيما أورده عنه ابن حجر في نتائج الأفكار (١/ ١٥٩)، والحديث روي من طرق أخرى، ذكرها الدارقطني وأعلها جميعاً في علله (١٥/ ٢٢١) ثم قال: والمحفوظ حديث منصور، ومن تابعه.

(٥) البيت لعمرو بن كلثوم، كما تقدم في تفسير الآية (٨) من سورة البقرة.

ومنه لفظة الجاهلية، والجهالة التي هي ضد العلم تصحب هذه الأُخرى كثيراً، ولكن يخرج منها المتعمد، وهو الأَكثر، وقَلَّما يوجد في العُصاة من لم يتقدم له علم بحظر المعصية التي يُواقع، والضمير في ﴿بَعْدِهَا﴾ عائد على التوبة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

لمَّا كَشَفَ الله تعالى فعل اليهود وتحكمهم في شرعهم بذكر ما حرَّم عليهم أَراد أَن يبيِّن بُعدهم عن شرع إِبراهيم والدعوى فيه، وأَن يصف حال إِبراهيم ليُبيِّن الفرق بين حاله وحالهم وحال قريش أَيضاً.

[٣/ ١٥٦] و«الأُمَّة» [في اللغة][(١)]: لفظة مشتركة / تقع للحين[(٢)] والعامة[(٣)]، والجمع الكثير من الناس، ثم يُشبَّه الرجلُ العالم، أَو الملك، أَو المنفرد بطريقة وحده بالناس الكثير فيُسَمَّى أُمَّة، وعلى هذا الوجه سُمِّي إِبراهيم عليه السلام أُمَّة، قال ابن مسعود: الأُمة: مُعَلِّم الخير، [وكان معاذ بن جبل أمة قانتاً][(٤)].

وقال في بعض أَوقاته: إِن معاذ بن جبل كان أُمَّة قانتاً، فقال له أَبو قُرَّة الكندي[(٥)]،

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) في المطبوع: «للخير»، وفي نجيبويه والمصرية١: «للجنس».

(٣) في الأصل: «القامة»، وكذا في نور العثمانية مكررة.

(٤) ليس في المطبوع، وهي في أحمد٣ ملحقة في الهامش.

(٥) هو أبو قرة الكندي كوفي، اسمه سلمة بن معاوية بن وهب، روى عن: ابن مسعود، وسلمان، والمغيرة بن شعبة، وعلقمة، وعنه: الشعبي، وتميم بن حذلم الضبي، وأبو إسحاق، توفي قبل الثمانين. تاريخ الإسلام (٥/ ٥٦١).

أَو فروة بن نوفل[(١)]: ليس كذلك، إِنما هو إن إِبراهيم [كان أُمَّةً قانتاً][(٢)]، فقال: أَتدري ما الأُمة؟ هو معَلِّم الخير، وكذلك كان معاذ يُعَلِّم الخير ويطيع الله ورسوله[(٣)].

وقال مجاهد: سُمِّي إِبراهيم أُمَّة؛ لانفراده بالإِيمان في وقته مدةً[(٤)].

قال القاضي أَبو محمد: وفي «البخاري»: أَنه قال لسارة: «ليس على الأَرض اليومَ مؤمنٌ غيري وغيرك»[(٥)].

وقال بعض النحويين ـ أَظنه أَبا الحسن الأَخفش ـ: الأُمة فُعْلَة من أَمَّ يؤُم، فهو كالهُمزة والضُّحكَة؛ أَي: يُؤْتَمُّ به[(٦)].

قال القاضي أَبو محمد: ﴿أُمَّةً﴾ على هذا صفة، وعلى القول الأَول اسْمٌ ليس بصفة.

---

(١) هو فروة بن نوفل الأشجعي الكوفي، لأبيه صحبة، سمع: أباه، وعلياً، وعائشة، روى عنه: هلال ابن يساف، ونصر بن عاصم الليثي، وأبو إسحاق السَّبِيعي، وروى أبو إسحاق أيضاً، عن رجل عنه، توفي قبل الثمانين، تاريخ الإسلام (٥/ ٥٠٩).

(٢) من المطبوع والمصرية٢ وأحمد٣.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٣١٧) من طريق عامر الشعبي، واختلف عليه فيه فيما أورده الطبري، فرواه عنه منصور بن عبد الرحمن، وهو الغداني، عن فروة بن نوفل الأشجعي، عن ابن مسعود به، ومنصور هذا صدوق له أوهام، انظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٥٤٠)، وخالفه فراس، وهو ابن يحيى الهمداني، فرواه عن الشعبي، عن مسروق، عن ابن مسعود به، وفراس، وإن وثقه البعض، إلا إن الفسوي قال في تاريخه (٣/ ٩٢): في حديثه لين، وهو ثقة، وخالف كلاً من منصور الغداني، وفراس الهمداني: بيانُ بنُ بشر البجلي، وهو ثقة ثبت، فرواه عن الشعبي، قال: قال عبد الله بن مسعود، فذكره، ورواية بيان بن بشر هي الأصوب، فهو أوثقهم جميعاً، ورواية الشعبي عن ابن مسعود منقطعة، انظر: جامع التحصيل (٣٢٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣١٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١١١)، والهداية لمكي (٦/ ٤١٠٩).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢١٠٤)، ومسلم (٢٣٧١) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٦) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ١١١) بلا نسبة.

و«القَانِتُ»: المطيع الدائم على العبادة، و«الْحَنِيفُ»: المائل إِلى الخير والإِصلاح، وكانت العرب تقول لمن يَخْتَتِن ويَحُجُّ البيت: حنيفاً.

وحذف النون من ﴿لَمۡ يَكُ﴾ لكثرة الاستعمال، كحذفهم من: لا أُبالِ، ولا أَدْرِ، وهو أَيضاً لشبه النون في حال سكونها حروفَ العلة؛ لغنَّتها، وخفَّتها، وأَنها قد تكون علامةً، وغير ذلك، فكأَن ﴿لَمۡ﴾ هنا دخلت على (يَكُنْ) في حال جزم، ولا تحذف النون إِذا لم تكن ساكنة في نحو قوله: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البينة: ١]، ولا تحذف من مثل [هذا إِلا في الشِّعر][(١)] فقد جاءَت محذوفة.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ مُشيرٌ إِلى حال تَبرُّؤ إِبراهيم عليه السلام من حال مشركي العرب ومشركي اليهود؛ إِذْ كلُّهم ادَّعاه، ويلزم الإِشراكُ اليهودَ من جهة تَجْسِيمهم.

و﴿شَاكِرًا﴾ صفةٌ لإِبراهيم تابعة ما تقدم، و«الأَنْعُم»: جمع نعمة.

و﴿ٱجۡتَبَىٰهُ﴾: معناه: تَخَيَّره. وباقي الآية بيِّن.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً﴾ الآية، «الحَسَنَةُ»: لسانُ الصدق، وإِمامَتُه لجميع الخلق، هذا قول جميع المفسرين، وذلك أَن كل أُمَّة متشرعة فهي مُقِرَّة أَن إِيمانها إِيمانُ إِبراهيم، وأَنه قُدْوتها، وأَنه كان على الصواب.

وقوله: ﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بمعنى: المُنْعَم عليهم؛ أَي: من الصالحين في أَحوالهم ومراتبهم، أَو بمعنى أَنه في الآخرة ممَّن يُحْكم له بحكم الصالحين في الدنيا، وهذا على أَن الآية وصف حاليْهِ في الدَّارَيْن، ويحتمل أَن يكون المعنى: وأنه في أَعمال الآخرة، فعلى هذا وصف حاليه في الأعمال الدنياويَّة[(٢)] والأُخْرَويَّة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ الآية، الوحيُ إِلى محمد ﷺ بهذا من جملة

---

(١) ليس في المصرية١.

(٢) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية: «الدنيا الدنياويه».

الحسنة التي آتاها الله إِبراهيم، قال ابن فُورك: وأَمَر الفاضلَ باتباع المفضول لما تقدم إِلى قول[١] الصواب والعمل به[٢].

و﴿أَنِ﴾ في قوله: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ﴾ مفسِّرة، ويجوز أَن تكون مفعولة.

و«الْمِلَّة»: الطريقة في عقائد الشرع، و﴿حَنِيفًا﴾ حال، والعامل فيه الفِعْلِيَّة التي في قوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾، ويجوز أَن تكون حالاً من الضمير المرفوع في ﴿ٱتَّبِعْ﴾.

قال مكي: ولا يكون حالاً من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ لأَنه مضاف إِليه[٣].

وليس كما قال؛ لأَن الحال قد تعمل فيها حروفُ الخفض إِذا عملت في ذي الحال، كقولك: مررت بزيد قائماً.

قوله: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾؛ أَي: لم يكن من ملَّة إِبراهيم، وإِنما جعله الله فرضاً عاقب به القوم المختلفين فيه، قاله ابن زيد[٤].

وذلك أَن موسى أَمر بني إِسرائيل أَن يجعلوا من الجمعة يوماً مختصاً بالعبادة، وأَمرهم أَن يكون يوم الجمعة، فقال جمهورهم: بل يكون يوم السبت؛ لأَن الله فرغ فيه من خلق مخلوقاته، وقال غيرهم: بل نقبل ما أَمر به موسى عليه السلام، فراجعهم الجمهور، فتابعهم الآخرون، فأَلزمهم الله يوم السبت إِلزاماً قويّاً عقوبة منه لهم، فلم يكن منهم ثبوت، بل عصوا فيه وتعدَّوا، فأَهلكهم الله.

وقرأَ الأَعمش: (إِنما أنزلنا السبت)، وهي قراءَة ابن مسعود، وقرأَ أَبو حيوة: (جَعَلَ) بفتح الجيم والعين[٥].

---

(١) زيادة من المطبوع والمصرية٢ ونجيبويه.

(٢) نقله عنه في البحر المحيط (٦/ ٦١٠).

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٤٢٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٢٠، ٣٢١).

(٥) وهما شاذتان، انظر قراءة ابن مسعود في مختصر الشواذ (ص: ٧٨)، وعزا الثانية للحسن والنخعي =

قال القاضي أَبو محمد: وورد في الحديث: أَن اليهود والنصارى اختلفوا في اليوم الذي يختص من الجمعة، فأَخذ هؤلاءِ السبت، وهؤلاءِ الأَحد، فهدانا الله إِلى يوم الجمعة، قال رسول الله ﷺ: فهذا يومُهم الذي اختلَفوا فيه[١].

فليس الاختلاف المذكور في الآية هو الاختلاف الذي في الحديث.

[وباقي الآية وعيدٌ بيِّن][٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأَمر بمهادنته للمشركين، أَمره الله تعالى أَن يدعو إِلى دين الله وشرعه بتَلَطُّف، وهو أَن يُسمِع المدعوَّ حكمةً، وهو الكلام الصواب القريب الواقع في النفس أَجمل موقع.

و(الموعظة الحسنة): التخويف والترجية[٣]، والتَّلطُّف بالإِنسان، بأَن [يحله ويبسطه][٤]، ويجعله بصورة من يقبل الفضائل ونحو هذا، فهذه حالة من يُدعى، وحالة من يُجادل دون مخاشنة، فتظهر عليه دون قتال، والكلام يعطي أَن جدَّك وهمَّك وتعبَك

= واليزيدي، وانظر نسبتها لأبي حيوة في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٦)، ومع نسبة الأولى للأعمش في البحر المحيط (٦/ ٦١٢).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨٥٦)، ومسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٢) ليس في المصرية١، وليس «بين» في نور العثمانية، وفي المطبوع: «وعيد وبين»، بالعطف.

(٣) في المطبوع: «والتوجيه».

(٤) في المطبوع: «يُجِلَّه ويُنَشِّطَهُ».

لا يغني؛ لأَن الله قد علم من يؤمن منهم ويهتدي، وعلم من يَضِل، فجملة المعنى: اسلك هذه السبيل، ولا تلجأْ للمخاشنة، فإِنها غير مجدية؛ لأَن علم الله قد سبق بالمهتدي منهم والضال.

وقالت فرقة: هذه الآية منسوخة بآية القتال[١]، وقالت فرقة: هي مُحْكَمة.

قال القاضي أَبو محمد: ويظهر لي / أَن الاقتصار على هذه الحال، وأَلَّا يتعدى [٣/ ١٥٧] مع الكفرة متى احتيج إِلى المخاشنة وهو منسوخ لا محالة، وأَما من أَمكنت معه هذه الأَحوال من الكفار، ويرجى إِيمانه بها دون قتال، فهي فيه محكمة إِلى يوم القيامة، وأَيضاً فهي محكمة في جهة العصاة، فهكذا ينبغي أَن يوعظ المسلمون إِلى يوم القيامة.

قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ﴾ الآية، أَطبق أَهل التفسير أَن هذه الآية مدنية نزلت في شأْن التمثيل بحمزة رضي الله عنه في يوم أُحد، ووقع ذلك في «صحيح البخاري»[٢]، وفي كتاب السِّير[٣].

وذهب النحاس إِلى أَنها مكيَّة[٤].

قال القاضي أَبو محمد: والمعنى متصل بما قبلها من المكي اتصالاً حسناً؛ لأَنها تتدرَّجُ الرُّتَب من الذي يُدْعى ويوعظ، إِلى الذي يجادل، إِلى الذي يُجازَى على فعله، ولكن ما رَوَى الجمهور أَثبت.

وأَيضاً فقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ يقلق[٥] بمعنى الآية على ما روى الجميع أَن كفار قريش لما مثَّلوا بحمزة وقع ذلك من نفس رسول الله ﷺ فقال: «لَئِن أَظْفَرَنِي الله بهم

---

(١) الهداية لمكي (٦/ ٤١١٥).
(٢) قصة قتل حمزة في أُحد أخرجها البخاري (٤٠٧٢) دون ذكر الآية.
(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٩٦).
(٤) انظر ترجيحه لذلك في معاني القرآن للنحاس (٤/ ١١٣) مستدلًا بقول للضحاك وزيد بن أسلم، وضعف الحديث المذكور، وكان قد ذكر فيه (٤/ ٥١) أنها نزلت بين مكة والمدينة، زاد في الناسخ والمنسوخ (ص: ٥٤١): وما نزل بينهما فهو مدني.
(٥) في المطبوع وأحمد٣ والمصرية٢: «تعلَّق».

لأُمَثِّلَنَّ بثلاثين»، وفي كتاب النحاس، وغيره: «بسبعين منهم»[١]، فقال الناسُ: إِن ظفرنا لنفعلن ولنفعلن، فنزلت هذه الآية[٢].

ثم عزم على رسول الله ﷺ في الصبر في الآية بعدها وسمَّى الإذناب[٣] في هذه الآية عقوبةً، والعقوبة حقيقة إِنما هي الثانية، وإِنَّما فعل ذلك ليستوي اللفظان وتتناسب ديباجة القول، وهذا بعكس قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ﴾ [البقرة: ١٥]، فإِن الثاني هو المجازيّ، والأَول هو الحقيقة.

وقرأ ابن سيرين: (وَإِن عَقَّبْتُم فَعَقِّبُوا)[٤].

وحكى الطبري عن فرقة أَنها قالت: إِنما نزلت هذه الآية فيمن أُصيب بظُلامة أَلاَّ ينال من ظالميه إِذا تمكَّن إِلَّا مثْل ظلامته، لا يتعداه إِلى غيره[٥].

واختلف أَهل العلم فيمن ظلمه رجل في أَخذ مالٍ، ثم ائتمن الظالم المظلوم على مالٍ، هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه؟

فقالت فرقة: له ذلك، ومنهم ابن سيرين، وإِبراهيم النَّخَعي، وسفيان، ومجاهد، واحتجت بهذه الآية، وعموم لفظها[٦].

وقال مالك رحمه الله وفرقة معه: لا يجوز له ذلك[٧]، واحتَجُّوا بقول رسول الله

---

(١) معاني القرآن للنحاس (٤/ ١١٣)، وفي الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٥٤١): «بثلاثين»، وفي المطبوع والمصرية٢: «بتسعين».

(٢) ضعيف، أخرجه الدارقطني في سننه (٤٢٠٤) من طريق عبد العزيز بن عمران، قال: حدثني أفلح بن سعيد، عن محمد بن كعب، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً به، قال الدارقطني: عبد العزيز بن عمران ضعيف. قلت: وقال فيه البخاري: لا يكتب حديثه، منكر الحديث، التاريخ الكبير (٦/ ٢٩).

(٣) في المطبوع: «الإذايات».

(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٣)، ومختصر الشواذ (ص: ٧٦).

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٣٢٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٢٤-٣٢٥).

(٧) انظر قول مالك في: المدونة (٤/ ٤٤٥).

ﷺ: «أَدِّ الأَمانة إِلى من ائتمنك، ولا تخُنْ مَن خانك»[١].

قال القاضي أبو محمد: ووقع في «مسند ابن سنجر»[٢]: أَن هذا الحديث إِنما ورد في رجل زنى بامرأَةِ رجل آخر، ثم تمكن الآخر من زوجة الثاني بأَن تركها عنده وسافر، فاستشار ذلك الرجل رسولَ الله ﷺ [في الأَمر][٣]، فقال له: «أَدِّ الأَمانة إِلى من ائتمنك ولا تخُنْ مَن خانك»[٤].

ويَتَقَوَّى في أَمر المال قولُ مالك رحمه الله[٥]؛ لأَن الخيانة لاحقة في ذلك، وهي رذيلة لا انفكاك عنها، ولا ينبغي للمرءِ أَن يتأَسَّى بغيره في الرذائل، وإِنما ينبغي أَن يتجنَّبها لنفسه.

وأَما الرجلُ يظلم في المال، ثمَّ يتمكن من الانتصاف دون أَن يُؤْتمن فيشبه أَن

---

(١) منكر، أخرجه أبو داود (٣٥٢٩)، والترمذي (١٣١٠)، والدارقطني في سننه (٢٩٣٦)، وذكره أبو حاتم الرازي، كما في علل ابنه (١/ ٣٧٥)، كلهم من طريق طلق بن غنام، عن شريك النخعي، وقيس بن الربيع الأسدي، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به، قال أبو حاتم: طلق بن غنام، روى حديثاً منكراً، فذكره، ثم قال: لم يرو هذا الحديث غيره، وأخرجه كذلك ابن عدي (١/ ٣٦٢) والدارقطني في سننه (٢٩٣٧) كلاهما من طريق أيوب بن سويد، قال: حدثنا ابن شوذب، عن أبي التياح، عن أنس بن مالك، مرفوعاً به، قال ابن عدي: وهذا الحديث بهذا الإسناد لا يرويه عن ابن شوذب غير أيوب بن سويد، وهو منكر بهذا الإسناد، وإنما يُروى هذا المتن عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. قلت: وأيوب بن سويد ضعيف الحديث، واتهمه ابن معين بسرقة الحديث، انظر تهذيب الكمال (٣/ ٤٧٤)، وأخرجه الدارقطني في سننه (٢٩٣٥) من طريق حميد الطويل، عن يوسف بن يعقوب، عن رجل من قريش، عن أبي ابن كعب رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف لإبهام راويه عن أُبي.

(٢) في المطبوع والمصرية١: «ابن إِسحاق»، ولعله خطأ، وابن سنجر هو الجرجاني، تقدم التعريف به في أول سورة آل عمران.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) عزا القرطبي هذا الخبر في تفسيره (١٠/ ٢٠٢) لـ«مسند ابن إسحاق»، ولعله خطأٌ.

(٥) يعني بذلك قول مالك في المدونة (٤/ ٤٤٥) بمنع الخيانة حتى ولو كانت مقتصّاً بها من خائن آخر.

ذلك جائز، يرى أَن الله حكم له كما لو تمكن له بالحكم من الحاكم[(١)].

قوله: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية، هذه عزيمة على رسول الله ﷺ في الصبر على المجازاة في التمثيل بالقتلى، وقال ابن زيد: هذه الآية منسوخة بالقتال.

وجمهور الناس على أنها مُحكَمة[(٢)]، ويروى أَنه ﷺ قال لأَصحابه: «أَمَّا أَنا فأَصبر كما أُمرتُ، فماذا تصنعون؟»، قالوا: نصبرُ يا رسول الله كما ندبنا[(٣)].

وقوله: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾؛ أَي: بمعونة الله وتأييده لك على ذلك، والضمير في قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قيل: يعود على الكفار؛ أَي: لا تتأَسف على أَن لم يُسلموا، وقالت فرقة: بل يعود على القتلى: حمزة وأَصحابه الذين حزن عليهم رسول الله ﷺ، والأَول أَصوب؛ أن[(٤)] يكون عود الضمائر على جهة واحدة.

وقرأَ الجمهور: ﴿فِى ضَيْقٍ﴾ بفتح الضاد، وقرأَ ابن كثير: ﴿في ضِيقٍ﴾ بكسرها، ورويت عن نافع، وهو غَلَط ممن رواه[(٥)].

قال بعض اللغويين: الكسر والفتح في الضاد لغتان في المصدر، وقال أَبو عبيدة: الضِّيقُ مصدر، والضَّيْق مخفف من ضَيِّق، كَمَيْتٍ ومَيِّت، وهَيْن وهَيِّن[(٦)].

وقال أَبو علي الفارسي: والصواب أَن يكون الضَّيْق لغة في المصدر؛ لأَنه إِن كان مخففاً من ضَيِّق لزم أَن تقام الصفة مقام الموصوف، وليس هذا موضعَ ذلك[(٧)].

---

(١) لمزيد من التوسع انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٥٨-١٥٩)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٥٨٤-٥٨٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٢٤).

(٣) لم أقف عليه مسنداً.

(٤) من أحمد٣ والمصرية٢، وفي المطبوع: «إذ»، وفي نور العثمانية: «ليعود».

(٥) انظر: السبعة (ص: ٣٧٦)، وذكر رواية المسيبي عن نافع، ووهَّمها.

(٦) مجاز القرآن (١/ ٣٦٩)، في نجيبويه: «أبو عبيد».

(٧) الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٨٠).

قال القاضي أَبو محمد: الصفة إِنما تقوم مقام الموصوف إِذا تخصص الموصوف من نفس الصفة، كما تقول: رأَيْتُ ضاحكاً، فإِنها تخصص الإِنسان، ولو قلت: رأَيْتُ بارداً لم يَحْسُن، وبِبَاردٍ مثَّل سيبويه رحمه الله[١]، و(ضَيِّق) لا تخصص الموصوف.

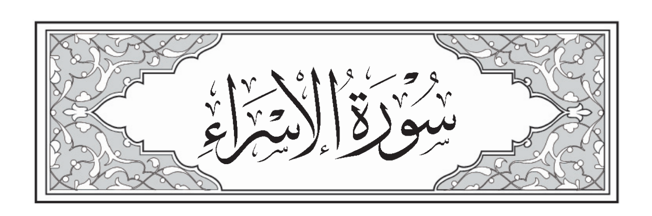
وقال ابن عباس[٢]، وابن زيد: إِن ما في هذه الآيات من الأَمر بالصبر منسوخ[٣].

وقوله: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ﴾؛ أَي: بالنصر والمعونة والتأييد، و﴿ٱتَّقَواْ﴾ يريد: المعاصي، و﴿مُّحْسِنُونَ﴾ معناه: يتزيدون[٤] فيما نَدَب إِليه من فعل الخير.

نجز تفسير سورة النحل بعون الله وتأييده والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم[٥].

* * *

(١) الكتاب لسيبويه (١/ ٢٢٧).
(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٢٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٢٤).
(٤) في المطبوع وأحمد٣: «يزيدون».
(٥) ليس في أحمد٣، وفيه بدله: «وقع الفراغ منه يوم الثلاثاء خامس عشر جمادى الأول سنة... وأربعين وسبع مئة».



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الإسراء

هذه السورة مكيَّة إلَّا ثلاث آيات: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ﴾، وقوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ﴾، نزلت حين جاء رسولَ الله ﷺ وفدُ ثقيف، وحين قالت اليهود: ليست هذه بأرض الأنبياء(١)، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾، [وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾(٢) الآية.

وقال مقاتل](٣): وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ [الإسراء: ٨٥]، الآية.

وقال ابن مسعود / في (بني إسرائيل) و(الكهف): إنَّهن من العِتاق الأولِ، وهنَّ من تِلادي(٤)، يريد أنَّـهُنَّ من قديم كسبه. [٣/ ١٥٨]

(١) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٥١٠) من طريق سليمان بن طرخان التيمي، قال: زعم حضرمي... فذكره، وهذا إسناد ضعيف؛ لانقطاعه، فسليمان جلُّ روايته عن التابعين، وهو مع ذلك كثير الإرسال عنهم، ولم أجد من نص على سماعه من حضرمي، وانظر جامع التحصيل (٢٥٧).

(٢) هذه أربع آيات وأرقامها بالترتيب: (٧٣، ٧٦، ٨٠، ٦٠)، فلعله اعتبر الأوليين واحداً في العدد، أو أسقط منه الأخيرة.

(٣) ليس في نجيبويه ونور العثمانية والمطبوع، وهو في الإماراتية ملحق في الهامش، وانظر قول مقاتل في زاد المسير (٣/ ٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٣١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

لفظ الآية يقتضي أن الله عزَّ وجلَّ أسرى بعبده، وهو محمد ﷺ، [قال المفسرون: معناه: سَرَى بعبده][1]، ويظهر أن أَسْرَى هي مُعَدَّاة بالهمز إلى مفعول محذوف، تقديره: أسرى الملائكةَ بعبده، وذلك لأنه يقلق أن يُسْند (أَسْرى) وهو بمعنى: سَرَى إلى الله تعالى؛ إذْ هو فعل يُعطي النُّقْلةَ كَمَشَى وجَرَى وأحضر وانتقل، فلا يحسن إسناد شيءٍ من هذا ونحن نجد مندوحة، فإذا صرَّحت الشريعة بشيءٍ من هذا النحو كقوله في الحديث: «أَتَيْتُه سعياً، وأَتَيْتُه هَرْوَلَةً»[2]، حُمل ذلك بالتأويل على الوجه المخلِّص من نفي الحوادث.

و﴿أَسْرَىٰ﴾ في هذه الآية تخرج فصيحة كما ذكرنا، ولا تحتاج إلى تَجَوُّز قَلق في هذا اللفظ، فإنه ألزمُ للنُّقْلة من «أَتَيْتُهُ»، و﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم﴾ [النحل: ٢٦].

ويحتمل أَنْ يكون أَسْرَى بمعنى: سَرَى على حذف مضاف، كنحو قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧].

ووقع الإسراءُ في جميع[3] مُصنَّفات الحديث، ورُوي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، فهو من المتواتر بهذا الوجه، وذكر النقاش ممَّن رواه عشرين صحابيّاً.

فروى جمهور الصحابة، وتَلَقَّى جلُّ العلماء منهم أن الإسراءَ كان بشخصه ﷺ، وأنه ركب البُراقَ من مكة، ووصل إلى بيت المقدس وصلَّى فيه.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٩٧٠)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، به. وليس فيه: «سعياً».

(٣) ليست في المطبوع.

وروى حذيفة وغيره: أن رسول الله ﷺ لم ينزل من البراق في بيت المقدس، ولا دخله، قال حذيفة: ولو صلَّى فيه لكُتب عليكم الصلاةُ فيه، وأنه ركب البراق بمكة، ولم ينزل عنه حتى انصرف إلى بيته، إلَّا، في صعوده إلى السماء[١].

وقالت عائشة ومعاوية: إنما أُسري بنَفْس رسول الله ﷺ، ولم يفارق شخصُه مَضجَعَه، وإنها كانت رؤْيا رأَى فيها الحقائق من ربِّه عزَّ وجلَّ[٢]، وجوَّزه الحسن وابن إسحاق[٣].

والحديث مطوَّل في «البخاري» و«مسلم» وغيرهما[٤]، فلذلك اختصرنا نصَّه في هذا الباب[٥].

وركوب البراق على قول هؤلاء يكون من جملة ما رُئي في النوم.

قال ابن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن في «كتاب الطبري»: البراق: هو دابة إبراهيم الذي كان يزور عليه البيت الحرام[٦].

---

(١) منكر، أخرجه الإمام أحمد (٣٨/ ٣٢١)، والترمذي (٣٤١٤) كلاهما من طريق عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه به، وعاصم بن أبي النجود، هو ابن بهدلة، صدوق له أوهام، ولا يُقبل ما تفرد به من مرويات، ولم أجد من تابعه على روايته هذه، ثم إن متن الحديث فيه نكارة، ففيها أن رسول الله ﷺ لم يصلِّ في بيت المقدس، وهو خلاف ما جاء في صحيح مسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه ﷺ ربط الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخل المسجد فصلى فيه ركعتين.

(٢) ضعيفان، أثر عائشة رضي الله عنها، رواه ابن إسحاق (ص: ٣٤٨) قال: حدثني بعض آل أبي بكر: أن عائشة...فذكره. وهذا إسناد مبهم معضل، وأثر معاوية رضي الله عنه رواه كذلك ابن إسحاق (ص: ٣٤٩) قال: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، أن معاوية...فذكره. وهذا منقطع، يعقوب هذا من أتباع التابعين، وإنما تقع روايته عن التابعين.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٥٠)، والهداية لمكي (٦/ ٤١٣).

(٤) البخاري (٣٦٧٤) ومسلم (٢٥٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٥) في المطبوع: «الكتاب».

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٣٥).

قال القاضي أبو محمد: يريدان: يجيءُ من يومه ويرجع، وذلك من مسكنه بالشام. والصحيح ما ذهبَ إليه الجمهور، ولو كانت منامة ما أمكن قريشاً[١] أن تُشَنِّع، ولا فُضِّل أبو بكر بالتصديق، ولا قالت له أمُّ هانئ: لا تحدِّث الناسَ بهذا فيكذِّبوك[٢]، إلى غير هذا من الدلائل.

واحتُجَّ لقول عائشة بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

ويحتمل القول الآخر؛ لأنه يقال لرؤْية العين: رُؤْيا.

واحتُجَّ أيضاً بأن في بعض الأحاديث: «فاستيقظتُ وأنا في المسجد الحرام»[٣]، وهذا يحتمل أن يُـرَدَّ من الإسراء إلى نوم.

واعترض قول عائشة بأنها كانت صغيرة لم تشاهد، ولا حدَّثت عن النبي ﷺ، وأما معاوية فكان كافراً في ذلك الوقت، غيرَ مشاهِدٍ للحال، صغيراً، ولم يحدِّثْ عن النبي ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ مصدر غير متمكِّن؛ لأنه لا يجري بوجوه الإعراب، ولا تدخل عليه الألف واللام، [ولم يجر منه][٤] فعل، و«سبَّح» إنما[٥] معناه: قال سبحان الله،

---

(١) كتبت في المطبوع ونجيبويه «قريشَ» بلا ألف.

(٢) ضعيف، أخرجه ابن سعد في طبقاته الكبرى (١/ ٢١٣-٢١٥) بإسناد فيه محمد بن عمر، وهو الواقدي، وهو متروك الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٧) بلفظ: واستيقظ وهو في مسجد الحرام، وأخرجه الطبري (١٧/ ٣٣٢) وابن خزيمة في التوحيد (٢٨٩)، وابن منده في الإيمان (٧١٢) كلهم من طريق سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، مرفوعاً به، وقد أخرجه مسلم (١٦٢) من طريق ثابت أولاً عن أنس، ثم أتى بإسناد شريك هذا ولم يسق لفظه، وقال: وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني، وقدم فيه شيئاً وأخر، وزاد ونقص. اهـ. وهذا منه إشارة إلى ما وقع في سياق شريك من الخطأ كما قاله غير واحد.

(٤) في المطبوع بدلًا منه: «ويجيءُ منه».

(٥) ليست في المطبوع.

فلم تستعمل «سبَّحَ» إلَّا إشارة إلى «سُبحانَ»، ولم يتصرَّف؛ لأن في آخره زائدتين، وهو معرفة بالعلمية، وإضافته لا تزيده تعريفاً، هذا كله مذهب سيبويه فيه[١].

وقالت فرقة: نصبه على النداءِ، كأنه قال: يا سبحان الذي، وهذا ضعيف.

ومعناه: تنزيهاً لله، وروى طلحة بن عبيد الله الفيَّاض أحد العشرة أنه قال للنبي ﷺ: ما معنى سبحانَ الله؟ فقال: «تنْزيهاً لله من كُلِّ سُوءٍ»[٢].

والعامل فيه على مذهب سيبويه الفعْلُ الذي هو من معناه لا من لفظه؛ إذ لم يَجْر من لفظه فعل، وذلك مثل: قَعدَ القُرْفُصاءَ، واشْتَمَل الصَّمَّاءَ[٣]، فالتقدير عنده: أُنَـزِّه الله تنزيهاً، فوقع ﴿سُبْحَٰنَ﴾ مكان قولك: تنزيهاً.

وقال قوم من المفسرين: ﴿أَسْرَىٰ﴾: فعلٌ غير مُتَعَدٍّ، عَدَّاه هنا بحرف الجَرِّ، تقول: أَسْرَى الرجل وَسَرَى: إذا سارَ بالليل بمعنىً، وقد ذكرتُ ما يظهر في اللفظة من جهة العقيدة.

وقرأ حذيفة وابن مسعود: (أسرى بعبده من الليل من المسجد الحرام)[٤].

---

(١) الكتاب لسيبويه (١/ ٣٢٤).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٥/ ٣٢) من طريق سليمان بن أيوب قال: حدثني أبي، عن جدي، عن موسى بن طلحة، عن أبيه رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، ففيه سليمان بن أيوب، وهو ابن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله الكوفي، ترجم له ابن عدي في كامله (٣/ ٢٨٣-٢٨٥) وقال بعد أن أورد نسخة من روايته عن آبائه: وعامة هذه الأحاديث أفراد بهذا الإسناد لا يتابع عليها أحد، والحديث روي من طريق أخرى مرسلة، من طريق الثوري عن عثمان ابن موهب عن موسى بن طلحة، مرسلاً به. ذكره الدارقطني في علله (٤/ ٢٠٨) وقال: والمرسل أصح.

(٣) الكتاب لسيبويه (١/ ٣٢٥)، والقُرْفصاءُ: جلسة المحتبي بيديه.

(٤) وهي شاذة، انظر قراءة حذيفة في تفسير الطبري (١٧/ ٣٣٠)، وابن مسعود في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٦).

قوله: ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ قال أنس بن مالك: أراد المسجد المحيط بالكعبة نفسها[(١)]، ورجَّحه الطبري، وقال: هو الذي يُعرف إذا ذُكر هذا الاسم[(٢)].

وروى الحسن بن أبي الحسن عن النبي ﷺ أنه قال: «بينا أنا نائم في الحِجْر إذ جاءني جبريل والملائكة»، الحديث بطوله[(٣)]، وروى قوم أن ذلك كان بين زمزم والمقام[(٤)].

وروى مالك بن صعصعة[(٥)] عن النبي ﷺ أنه قال: «بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان»[(٦)].

وذكر عبد بن حميد الكشي[(٧)] في «تفسيره»، عن سفيان الثوري أنه قال: أُسْري بالنبي ﷺ من شِعْب أبي طالب[(٨)].

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، لكن في حديث أنس في الإسراء عند البخاري (٣٥٧٠) (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢) قول شريك بن عبد الله: سمعت أنس بن مالك يقول: ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٣٠).

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٣٣٢) من طريق الحسن بن أبي الحسن، به مرسلًا.

(٤) ضعيف، أخرجه أبو نعيم في جزء: «تسمية ما انتهى إلينا من الرواة عن سعيد بن منصور» (٣) من طريق مسكين بن ميمون الرملي، قال: حدثني عروة بن رويم، عن عبد الرحمن بن قرط رضي الله عنه، مرفوعاً به، قال أبو نعيم: هذا حديث صحيح غريب، لم يروه عن عروة بن رويم غير مسكين ابن ميمون فيما قالوا. قلت: وكلمة: صحيح الواردة في كلام أبي نعيم، أشك في صحة ثبوتها عنه، ولا سيما أن المزي لما روى في تهذيبه (١٧/ ٣٥٥-٣٥٦) هذا الحديث من طريق أبي نعيم من جزئه هذا، أورد كلامه هذا ولم يأت عنده كلمة (صحيح)، والسند فيه مسكين بن ميمون الرملي، أورده الإمام الذهبي في الميزان (٤/ ١٠١) وقال: لا أعرفه، وخبره منكر، ثم روى له حديثه هذا.

(٥) مالك بن صعصعة الأنصاري المازني، من بني مازن بن النجار، روى عنه أنس بن مالك حديث الإسراء، الاستيعاب (٣/ ١٣٥٢).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٣٥)، ومسلم (٢٦٥).

(٧) في المطبوع: «الكمشي».

(٨) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢١٤)، فقد رواه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقالت فرقة: «المسجد الحرام» مكَّةُ كلها، واستندوا إلى قوله تعالى ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وعُظْمُ المقصد هنا إنما هو مكة.

ورَوَى بعض هذه الفرقة عن أُم هانئ أنها قالت: كان رسول الله ﷺ ليلة الإسراء في بيتي[١].

وروى بعضُها عن النبي ﷺ أنه قال: «فُرِجَ سقفُ بيتي»[٢]، وهذا يلتئم مع قول أم هانئ.

وكان الإسراءُ فيما قال مقاتل قبل الهجرة بعام، وقاله قتادة[٣]، وقيل: بعام ونصف، قاله عروة عن عائشة[٤]،/ وكان ذلك في رجب، وقيل: في ليلة سبع عشرة [٣/ ١٥٩] من شهر ربيع الأول، والنبي ﷺ ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر، وثمانية[٥] وعشرين يوماً، والمتحقق أن ذلك كان بعد شق الصحيفة، وقبل[٦] بيعة العقبة.

ووقع في «الصحيحين» لِشريك بن أبي نمر[٧] وَهْمٌ في هذا المعنى، فإنه روى

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٢٢) والطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٤٣٢) من طريق: شبابة بن سوار، عن عبد الأعلى بن أبي المساور عن عكرمة عن أم هانئ بنت أبي طالب... وعبد الأعلى متروك، وكذبه ابن معين.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٢)، ومسلم (٢٦٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٣) انظر قول قتادة في «التمهيد» (٨/ ٥٠)، وقول مقاتل في تفسير السمعاني (٣/ ٢١٤)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٥٥).

(٤) لم أجده.

(٥) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٦) في المطبوع ونجيبويه: «وقيل».

(٧) هو شريك بن عبد الله بن أبي نمر المدني عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وكريب وعطاء ابن يسار، وعنه مالك وغيره، وروى عنه المقبري في البخاري وذلك في رواية الكبار عن الصغار، وقال ابن معين والنسائي: ليس به بأس. تاريخ الإسلام (٩/ ١٧٣).

حديث الإسراء وقال فيه: وذلك قبل أن يوحى إليه(١)، ولا خلاف بين المحدِّثين أن هذا وهم من شريك(٢).

و﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ مسجد بيت المقدس، وسمَّاه الأقصى أي في ذلك الوقت، كان أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة، ويحتمل أن يريد بالأَقْصَى: البعيد، دون مفاضلة بينه وبين سواه، ويكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا البُعْد في ليلة.

و«البَـرَكَة حوله» هي من جهتين: إحداهما النبوة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر وفي نواحيه وبواديه(٣)، والأخرى النِّعَمُ من الأشجار والمياه والأرض المفيدة التي خصَّ الله الشَّام بها، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله بارك فيما بين العريش والفرات، وخصَّ فلسطين بالتقديس»(٤).

وقوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ يريد: لنري محمداً بعينيه آياتنا في السماوات، والملائكة، والجنة،، والسِّدرة، وغير ذلك مما رآه تلك الليلة من العجائب.

ويحتمل أن يريد: لنري محمداً ﷺ للناس آية؛ أي: يكون النبي ﷺ آية في أن يصنع اللَّهُ ببشرٍ هذا الصُّنع، وتكون الرُّؤْيةُ على هذا رؤْيةَ قلب.

ولا خلاف أَن في هذا الإسراء فُرضت الصلواتُ الخمس على هذه الأمة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وعيدٌ من الله تعالى للكفار على تكذيبهم

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٥٧٠) (٧٥١٧) بتمامه، ومسلم (٢٦٢) ولم يسق بقية الحديث، وإنما قال: وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني وقدم فيه شيئاً وأخر، وزاد ونقص.

(٢) ممن نص على أنه وهم: الخطابي وابن حزم وعبد الحق والقاضي عياض والنووي، ينظر: فتح الباري (١٣/ ٤٨٠).

(٣) في المطبوع والمصرية: «ونواديه»، وفي نور العثمانية زيادة: «واديه»، بعدها.

(٤) معضل، أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١/ ١٤٠) من طريق زهير بن محمد، قال: حُدثت أن رسول الله ﷺ قال... فذكره. قال ابن عساكر: هذا منقطع.

محمداً ﷺ في أمر الإسراء، فهي إشارة لطيفة بليغة إلى ذلك؛ أي: هو السميع لما تقولون، البصير بأفعالكم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾.

عطف قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا ﴾ على ما في قوله: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ من تقدير الخبر، كأنه قال: أَسْرَيْنَا بعبدنا وأريناه آياتنا، و﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾: التوراة، والضمير في ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ يحتمل أن يعود على ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾، ويحتمل أن يعود على ﴿مُوسَى ﴾.

وقوله: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ ﴾ يجوز أن يكون في موضع نصب بتقدير: كراهيةَ أنْ، وموضع[1] خفض بتقدير: بألَّا تَتَّخذُوا، ويجوز أن تكون (أنْ) مفسِّرة بمعنى: أيْ، كما قال: ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ ﴾ [ص: ٦]، فهي في هذا مع أمرٍ، وهي في آيتنا هذه مع نَهْيٍ، والمعنى في هذه التقديرات: جعلنا ذلك لئلا تتخذوا يا ذُرِّيَّةَ، ويحتمل أن تكون ﴿ذُرِّيَّةَ ﴾ مفعولاً، ويحتمل أن تكون ﴿أَن ﴾ زائدة، ويضمر في الكلام قول تقديره: قلنا لهم: لا تتخذوا، وأمَّا أن يُضمر القول ولا تجعل (أنْ) زائدة فلا يتَّجه؛ لأن ما بعد القول إمَّا أن يكون جملة تُحْكَى، وإمَّا أن يكون ترجمة عن كلام لا هو بعينه، فيعمل القول في الترجمة، كما تقول لمنْ قال لا إله إلا الله: قلْتَ حقّاً، وقوله: ﴿ذُرِّيَّةَ ﴾ ليس بواحد من هذين، قاله أبو علي[2].

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ ﴾ بالتاء على المخاطبة.

---

(١) في المصرية والإماراتية وفيض الله: «وفي موضع»، وفي أحمد٣: «أو في موضع»، وفي المطبوع ونجيبويه بدلاً منه: «وأن يكون في موضع».

(٢) الحجة للفارسي (٥/ ٨٤).

وقرأ أبو عمرو وحده: ﴿أَلَّا يَتَّخِذُواْ﴾ بالياء على لفظ الغائب، وهي قراءة ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وعيسى، وأبي رجاء[١].

و«الْوَكِيلُ» هنا: فَعِيْل من التوكل؛ أي: مُتَوَكَّلاً عليه في الأُمور، [فهو نِدٌّ لله][٢] بهذا الوجه، قال مجاهد: ﴿وَكِيلًا﴾: شريكاً[٣].

وقرأ جمهور الناس: ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ بضم الذال، وقرأ مجاهد بفتحها، وقرأ زيد بن ثابت، وأبان بن عثمان، ومجاهد أيضاً بكسرها[٤]، وكل هذا بشدِّ الراء والياء.

ورُويت عن زيد بن ثابت بفتح الذال وتسهيل الراء وشدِّ الياء[٥]، على وزن فَعِيْلَة.

وذُرِّيَّة وزنها (فُعُّوْلة)، أصلها: (ذُرُّورَة)، أُبدلت الراءُ الثانية ياءً [كما قالوا: قصَّيْتُ شعري؛ أي قصَصْتُه، ثم قلبت الواو ياء][٦] [وأُدغمت ثم كسرت الراءُ][٧] لتناسب الياء.

وكل هؤلاء قرؤوا: ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ بالنصب، وذلك مُتَّجه، إمَّا على المفعول بـ﴿تَتَّخِذُواْ﴾، ويكون المعنى: ألَّا تتخذوا بشراً إلهاً من دون الله، وإمَّا على النداءِ؛ أي: يا ذُرِّيَّةَ، فهذه مخاطبة للعالَم.

قال قومٌ: وهذا لا يتَّجه إلَّا على قراءة من قرأ: ﴿تَتَّخِذُواْ﴾ بالتاء من فوق، ولا

---

(١) انظر قراءة أبي عمرو في التيسير (ص: ١٣٩)، والسبعة (ص: ٣٧٨)، وقراءة الباقين في البحر المحيط (٧/ ١١).

(٢) في المطبوع: «فهو يؤلهه».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٥٣)، والنكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٢٧).

(٤) وكلها شاذة، انظر القراءة بالكسر لزيد في المحتسب (١/ ١٥٦)، ومع الفتح لمجاهد في معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٢١)، وزادا لزيد الفتح، وانظر الكل في البحر المحيط (٧/ ١٢)، وفي المطبوع: «عامر»، بدل «مجاهد» الأولى.

(٥) وهي شاذة أيضاً، انظر البحر المحيط (٧/ ١٢)، ونقلها النحاس في إعراب القرآن (٢/ ٣٢) عن أبان.

(٦) ليس في المطبوع والمصرية.

(٧) ليس في المصرية.

يجوز على قراءة من قرأ: (يتَّخِذُوا) بالياء [من تحت][(١)]؛ لأن الفعل لغَائبٍ والنداء لمخاطب، والخروج من الغيبة إلى الخطاب إنما يُسْتَسْهل مع دلالة الكلام على المراد، وفي النداء لا دلالة إلَّا على غاية التكلف.

وإمَّا على النصب بإضمار أَعْني، [وذلك متجه على القراءتين على ضعف النزعة في إضمار أعني][(٢)]، وإمَّا على البدل من قوله: ﴿وَكِيلًا ﴾، وهذا أيضاً فيه تكلُّف.

وقرأَت فرقة: (ذُرِّيَّةُ) بالرفع[(٣)] على البدل من الضمير المرفوع في ﴿تَتَّخِذُواْ ﴾، وهذا إنما[(٤)] يتوجه على القراءة بالياء، ولا يجوز على القراءة بالتاء؛ لأنك لا تبدل من ضمير مخاطب، ولو قلت: (ضربتك زيداً) على البدل لم يجز.

وقوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ إنما عبَّر بهذه العبارة عن الناس الذين عناهم في الآية بحسب الخلاف المذكور، ولأن في هذه العبارة تعديدَ النعمة على الناس في الإنجاء المؤدِّي إلى وجودهم، ويقبح الكفر والعصيان مع هذه النعمة، والذين حُملوا مع نوح عليه السلام وأَنْسَلوا هم بنوه لصُلْبه؛ لأنه آدم الأصغر، وكل مَن على الأرض من نسله، هذا قول الجمهور، وذكره الطبري عن قتادة ومجاهد[(٥)]، وإن كان معه غيرهم فلم يُنْسل.

قال النقاش: اسم نوح عبدُ الجبار، وقال ابن الكلبي: اسمُهُ فرج[(٦)].

ووصفه بالشكر لأنه كان يحمد الله في كل حالٍ، وعلى كل نعمة، على المطعم

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) وهي شاذة، عزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٧٨) لمجاهد.

(٤) في المطبوع: «أيضاً».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٥٣، ٣٥٤).

(٦) لم أقف عليهما، وفي زاد المسير (١/ ٢٧٤) أن اسمه: السكن، قال القرطبي (١٣/ ٣٣٣): لأن الناس بعد آدم سكنوا إليه.

[٣/ ١٦٠] والمشرب والملبس والبراز وغير ذلك، / ﷺ، قاله سلمان الفارسي[(١)]، وسعيد بن مسعود[(٢)]، وابن أبي مريم، وقتادة[(٣)].

قوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية، قال الطبري: معنى ﴿وَقَضَيْنَآ﴾: فَرَغْنَا، وحكى عن غيره أنه قال: ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ هنا بمعنى: أخبرنا، وحكى عن آخرين أنهم قالوا: ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ معناه: في أم الكتاب.

قال القاضي أبو محمد: وإنما يُلْبِس[(٤)] في هذا المكان تعديةُ ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ بـ﴿إِلَىٰ﴾، وتلخيص المعنى[(٥)] عندي أن هذا الأمر هو مما قضاه الله تعالى في أم الكتاب على بني إسرائيل وألزمهم إيَّاه، ثم أخبرهم به في التوراة على لسان موسى، فلما أراد هنا الإعلام بالأمرين جميعاً في إيجاز جعل ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ دالَّةً على النفوذ في أُم الكتاب، وقَرَن بها ﴿إِلَىٰ﴾ دالة على إنزال الخبر بذلك إلى بني إسرائيل، والمعنى المقصود مفهوم خلال هذه الألفاظ، ولهذا فسَّر ابن عباس مرَّةً بأن قال: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ معناه: أعلَمْناهم، وقال مرَّةً: معناه: قضَيْنا عليهم[(٦)].

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ هنا التوراة؛ لأن القَسَم في قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ غير متوجِّه مع أن يُجعل ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو اللوح المحفوظ.

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (١٧/ ٣٥٤)، والحاكم (٢/ ٣٦٠)، وعنه البيهقي في الشعب (٤/ ١١٣) كلهم من طريق الثوري، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان رضي الله عنه، به.

(٢) هو أبو عثمان سعيد بن مسعود السلمي المروزي، روى عن: النضر بن شميل، ويزيد بن هارون، وطبقتهم، وعنه: محمد بن أحمد بن محبوب، وعمر بن أحمد بن مالك، ومحمد بن نصر المروزي، وأهل مرو، وكان صاحب حديث، تاريخ الإسلام (٢٠/ ٣٥٦).

(٣) انظر قولهم في تفسير الطبري (١٧/ ٣٥٥)، مع ما سيأتي عن الطبري نفسه.

(٤) في نسخة: «يليق»، أشار لها في هامش أحمد٣.

(٥) في المطبوع ونجيبويه والمصرية: «الكلام»، وكذا الإماراتية، مع الإشارة في هامشها للمثبت.

(٦) أخرجهما الطبري (١٧/ ٣٥٦) الأول من طريق علي بن أبي طلحة، والثاني من طريق عطية بن سعد العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

وقرأ سعيد بن جبير، وأبو العالية الرياحي: (في الكُتُب) على الجمع[١].

قال أبو حاتم: قراءة الناس على الإفراد.

وقرأ الجمهور: ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ بضم التاء وكسر السين.

وقرأ عيسى الثَّقَفي: (لَتَفْسُدُنَّ) بفتح التاء وضم السين والدال.

وقرأ ابن عباس، ونصر بن عاصم، وجابر بن زيد: (لَتُفْسَدُنَّ) بضم التاء وفتح السين وضم الدال[٢].

وقوله: ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾؛ أي: لتتجبَّـرُنَّ[٣] عن طاعة الآمرين بطاعة الله[٤]، وتطلبون في الأرض العلوَّ والفساد، وتظلمون مَن قدرتم على ظلمهم، ونحو هذا.

ومقتضى هذه الآيات أن الله تعالى أعلم بني إسرائيل في التوراة أنه سيقع منهم عصيان وطغيان، وكفرٌ لنعم الله تعالى عندهم في الرُّسل والكتب وغير ذلك، وأنه سيرسل عليهم أُمَّةً تغلبهم وتقتلهم وتذلهم، ثم يرحمهم بعد ذلك ويجعل لهم الكَرَّة ويردُّهم إلى حالهم الأولى[٥] من الظهور، فتقع منهم المعاصي وكُفْر النعم، والظلمُ والقتلُ، والكفرُ بالله من بعضهم، فيبعث الله عليهم أُمَّةً أخرى تخرب ديارهم وتقتلهم، وتجليهم جلاء مبرحاً، وأعطى الوجود بعد ذلك هذا الأمر كله.

وقيل: كان بين المرَّتَيْن آخر الأولى وأول الثانية مائتا سنة وعشر سنين[٦]، ملكاً مُؤيداً بأنبياءَ، وقيل: سبعون سنة.

---

(١) انظرهما في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٦٥)، ومختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٧٨)، وقول أبي حاتم الآتي لم أقف عليه.

(٢) وهما شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ١٤) والأولى في مختصر الشواذ (ص: ٧٨)، والثانية في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٦٥).

(٣) وأشار في هامش أحمد٣: إلى أن في نسخة زيادة: «وتبغون».

(٤) في المطبوع: «لَتتكبَّـرُنَّ»، وفي فيض الله: «لتختبرن»، وفي أحمد٣: «لتنحرفن»، وهي غير واضحة في المصرية.

(٥) ليست في الأصل.

(٦) في حاشية المطبوع: في إحدى النسخ: «وعشرين سنة»، وأشار لها في هامش أحمد٣.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾.

الضمير في قوله تعالى: ﴿أُولَىٰهُمَا﴾ عائد على قوله: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾، وعبَّر عن الشَّرِّ بالوعد؛ لأنه قد صرَّح بذكر المعاقبة، وإذا لم يجئ الوعد مطلقاً فجائز أن يقع في الشَّرِّ.

وقرأ علي بن أبي طالب، والحسن بن أبي الحسن: (عَبيداً)[1].

واختلف الناس في العبيد المبعوثين، وفي صورة الحال اختلافاً شديداً متباعداً، عُيُونه أن بني إسرائيل عَصَوا وقتلوا زكريا عليه السلام، فغزاهم سَنْحاريب مَلك بابل، كذا قال ابن إسحاق، وابن جبير[2].

وقال ابن عباس: غزاهم جالوت من أهل الجزيرة[3]، وروي عن عبد الله بن الزبير أنه قال في حديث طويل: غزاهم آخراً ملك اسمُه خردوس[4]، وتولَّى قتلهم على دم يحيى ابن زكريا قائدٌ لخردوس اسمه بيورزاذان[5]، وكف عن بني إسرائيل وسكن برعاية دم يحيى بن زكريا، وقيل: غزاهم أولاً صخابين ملك رومة. وقيل: بختنصر[6]، ورُوي أنه دخل قبْلُ[7] في جيش من الفرس وهو خامل يسير في مطبخ الملك، فاطلع

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لعلي في المحتسب (٢/ ١٤)، وللحسن في مختصر الشواذ (ص: ٧٨).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٦٧).
(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٦٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.
(٤) في المطبوع ونجيبويه: «خردوش» في الموضعين.
(٥) في المطبوع ونجيبويه: «هورزاذان»، وفي المصرية: «سوراذان».
(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٨٣-٣٨٤) من طريق محمد بن إسحاق، عن عمر بن عبد الله بن عروة، عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، به. ومحمد بن إسحاق مدلس، وقد عنعنه.
(٧) ليست في الأصل.

من جور بني إسرائيل على ما لم تعلمه الفرس؛ لأنه كان يُداخلهم، فلما انصرف الجيش ذكر ذلك للملك الأعظم، فلما كان بعد مدة جعله الملك رئيس جيش، وبعثه فخرب بيت المقدس وقتلهم وجلاهم، ثم انصرف فوجد الملك قد مات فملَك موضعه، واستمرت حاله حتى ملك الأرض بعد ذلك.

وقالت فرقة: إنما غزاهم بختنصر في المرة الأخيرة حين عصَوْا وقتلوا يحيى بن زكريا، وصورة قتله أن الملك أراد أن يتزوج بنت امرأته، فنهاه يحيى عنها، فعزَّ ذلك على امرأته، فزينت بنتها وجعلتها تسقي الملك الخمر، وقالت لها: إذا راودك الملك عن نفسك فتمنَّعي حتَّى يعطيك ما تَتَمَنَّيْن، فإذا قال لك: تمنَّيْ عليَّ ما أردت، فقولي له: رأس يحيى ابن زكريا، ففعلت الجارية ذلك، فردَّها الملك مرتين، وأجابها في الثالثة، فجيء بالرأس في طست ولسانه يتكلم ويقول: لا تحلُّ لك، وجرى دم يحيى فلم ينقطع، فجعل الملك عليه التراب حتى ساوى سور المدينة والدم ينبعث، فلما غزاهم الملك الذي بعث الله عليهم بحسب الخلاف الذي فيه قتل منهم على الدَّم حتى سكن بعد قتل سبعين ألفاً، هذا مقتضى هذا الخبر.

وفي بعض رواياته زيادة ونقص، فَرَوَتْ فرقة: أن أشعياء النبي عليه السلام وعَظَهم وذكَّرهم الله ونِعَمَه في مقام طويل نصَّه[1] الطبري[2]، وذكر أشعياءُ في آخره محمداً ﷺ وبشَّر به، فابتدره بنو إسرائيل، فَفَرَّ منهم، فلقي شجرة فتفلَّقت له حتى دخلها، فالتأَمَت عليه، فعرض الشيطان عليهم هُدْبَةً من ثوبه، فأخذوا منشاراً فنشروا الشجرة وقطعوه في وسطها فقتلوه، وحينئذ بعث الله عليهم في المرة الأخيرة.

وذكر الزهراوي عن قتادة قصصاً أن زكريا هو صاحب / الشجرة، وأنهم قالوا لمَّا [٣/ ١٦١] حملت مريم: ضيَّع بنت سيدنا حتى زنت، فطلبوه فهرب منهم حتى دخل في الشجرة فنشروه.

---

(١) في الأصل: «قصَّه»، والتصويب من باقي النسخ.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٣٥٩) وما بعدها.

وروت فرقة: أن بختنصر كان حفيد سَنْحاريب الملك الأول، وروت فرقة: أن الذي غزاهم آخراً هو سابور ذو الأكتاف[١].

وقال أيضاً ابن عباس: سلَّط الله عليهم حين عادوا ثلاثة أملاك من فارس: سَنْدبَادان، وشَهْرَيَازَانِ، وآخر[٢].

وقال مجاهد: إنما جاءَهم في الأولى عسكر من فارس فجاسَ خلال الديار وتقلَّب[٣]، ولكن لم يكن قتالٌ، ولا قتلٌ في بني إسرائيلَ[٤].

ثم انصرفت عنهم الجيوش، وظهروا وأُمدُّوا بالأموال والبنين حتى عَصَوْا وطغوا، فجاءَهم في المرة الثانية مَن قتلهم وغلبهم على بيضتهم، وأهلكهم آخِرَ الدهرِ.

وقوله عز وجل: ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾، وهي المنازل والمساكن.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يردُّ على قول مجاهد: إنه لم يكن في المرة الأولى غلبة ولا قتال، وهل يدخل المسجد إلَّا بعد غَلبة وقتال؟.

وقد قال مؤرِّج[٥]: جاسُوا خلال الأزقَّة[٦]، وقد ذكر الطبري في هذه الآية قَصَصاً طويلاً، منه ما يخص الآيات، وأكثره لا يخص[٧]، وهذه المعاني ليست بالثابتة، فلذلك اختصرتها.

وقوله: ﴿بَعَثْنَا﴾ يحتمل أن يكون الله بعث إلى ملك تلك الأمة رسولاً يأمره

---

(١) هذا لقبٌ لُقِّب به سابور؛ لأنه أمر بفكِّ أكتاف الأسرى في الحرب، وقد حارب العرب؛ لأنهم حالفوا الروم ضد فارس.

(٢) في أحمد٣: «وازدجرد»، والأثر في تفسير الطبري (١٧/ ٣٨٩) بإسناد فيه عمرو بن ثابت، وهو ابن هرمز الكوفي، متروك الحديث.

(٣) في الأصل والإماراتية: «وتغَلَّب».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٦٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٢٩).

(٥) هو السدوسي تقدم التعريف به، وفي المطبوع: «مؤرّخ»، وسقطت «قد قا » من الأصل.

(٦) تفسير الثعالبي (٢/ ٣٣١).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٥٧ - ٣٦٨).

بغزو بني إسرائيل، فتكون البعثة بأمر، ويحتمل أن يكون عَبَّر بالبعث عمَّا أُلْقى في نفس الملك الذي غزاهم.

وقرأ الناس: ﴿فَجَاسُواْ﴾ بالجيم.

وقرأ أبو السَّمال: (فَحَاسُوا) بالحاء، وهما بمعنى الغلبة والدخول قَسْراً، ومنه الحَوْس[1]، وقيل لأبي السَّمَّال: إنما القراءة (جَاسُوا) بالجيم، فقال: جاسوا وحاسُوا واحدٌ[2].

قال القاضي أبو محمد: فهذا يدل على تَخَيُّر، لا على رواية، ولهذا لا تجوز الصلاة بقراءته وقراءة نُظَرائه.

وقرأ الجمهور: ﴿خِلَٰلَ﴾.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (خَلَلَ)[3]، ونصبه في الوجهين على الظرف.

وقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾ الآية عبارةٌ عما قاله الله لبني إسرائيل في التوارة، وجعل (رَدَدْنَا) موضع (نَـرُدُّ)؛ إذْ وقتَ إخبارهم لَمْ يقع الأمرُ بعد، لكنه لما كان وعد الله في غاية الثقة أنه يقع عبَّر عن مستقبله بالماضي، وهذه الكَرَّة هي بعد الجَلْوة الأولى كما وصفنا، فغلبت بنو إسرائيل على بيت المقدس وملكوا فيه، وحسنت حالهم برهة من الدهر، وأعطاهم الله الأموال والأولاد وجعلهم إذا نفروا إلى أمرٍ أكثرَ الناس.

قال الطبري: معناه: وصيَّرناكم أكثر عددَ نافرٍ منهم، قال قتادة: كانوا أكثر نَفيراً في زمن داود عليه السلام[4].

---

(١) كتبت في الأصل: «الحواس».

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ١٥)، وفي مختصر الشواذ (ص: ٧٨) عن أبي السمال: (فحاشوا) بالحاء والشين المعجمة.

(٣) وهي شاذة، انظرها في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٦٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٥٥).

(٤) انظرهما في تفسير الطبري (١٧/ ٣٧٠).

و﴿نَفِيرًا﴾: يحتمل أن يكون جمع نَفْر، كَكَلْب وكَلِيب، وعبْد وعَبِيد، ويحتمل أن يكون فَعِيْلاً بمعنى فاعِل؛ أي: وجعلناكم أكثر نافراً.

قال القاضي أبو محمد: وعندي أنَّ النَّفير اسم للجمع الذي يَنْفرُ، سُمِّي بالمصدر.

وقد قال تُبَّع الحمْيَري:

[المتقارب] فَـأَكْـرِمْ بِـقَحْـطَـانَ مِــنْ وَالِــدٍ وبِـالْحِمْيَرِيِّـينَ أَكْـرِمْ نَـفيـرَا[١]

وقالوا: لا في العِير، ولا في النَّفير[٢]، يريدون جمعَ قريش الخارجَ من مكة إلى بدرٍ.

فَلَمَّا قال الله تعالى لهم: إنِّي سأفعل بكم هكذا، عقَّب ذلك بوصيتهم في قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾، والمعنى: إنكم بعملكم تُؤخَذون، لا يكون ذلك ظلماً، ولا تسرُّعاً[٣] إليكم.

و﴿وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ﴾ معناه: من المرتين المذكورتين.

وقوله تعالى: ﴿لِيَسُـُٔواْ﴾ اللام لام أمر، وقيل: المعنى: بعثناهم ليَسُوءُوا، فهي لام (كَيْ) كلها، والضمير للعباد أولي البأس الشديد.

وقرأ الجمهور: ﴿لِيَسُـُٔواْ﴾ بالياء، جمعٌ وهمزةٌ بين واوين.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر، وابنُ عامر: ﴿لِيَسُوْءَ﴾ بالياء وهمزة مفتوحة على الإفراد.

وقرأ الكسائي ـ وهي مروية عن علي بن أبي طالب ـ: ﴿لِنَسُوءَ﴾ بنون العظمة[٤].

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الماوردي (٣/ ٢٣٠)، وشمس العلوم (١٠/ ٦٦٩٥)، وتُبَّع هو حسَّان ابن أسعد أبي كرب الحميري، من أعظم تبابعة اليمن، وقحطان: أبو اليمن، وحِمْيَر: أبو قبيلة من اليمن، من نسل قحطان، ومنها كانت الملوك في الزمن القديم.

(٢) مثل قاله أبو سفيان في بني عدي يوم بدر، انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ١٤).

(٣) في المطبوع ونور العثمانية: «تشرعاً».

(٤) وكلها سبعية، وبقي عليه حمزة بالياء والإفراد، انظر: التيسير (ص: ١٣٩)، وانظر: النسبة لعلي في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٦٦).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعب: (لِنَسُوأَنْ) بنون خفيفة، وهي لام الأمر.

وقرأ علي بن أبي طالب: (لَيَسُوأَنَّ) [بفتح اللام][1] وهي لام القَسَم، والفاعل الله عزَّ وجلَّ.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (لِيُسِيْءَ) بياءٍ مضمومة بغير واو.

وفي مصحف أنس: (لِيَسُوْءَ وَجْهَكم) على الإفراد[2].

وخصَّ بالذكر الوجوهَ؛ لأنها المواضع الدالة على ما بالإنسان من خير وشَرٍّ.

و﴿ٱلْمَسْجِدَ﴾: مسجد بيت المقدس.

و«تَـبَّر» معناه: أَفْسَد وأهلك بغَشْم [وركوب رأس][3].

وقوله: ﴿مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾؛ أي: ما غلبوا عليه من الأقطار، وملكوه من البلاد.

وقيل: ﴿مَا﴾ ظرفية، والمعنى: مُدَّةَ عُلُوِّهم وغلبتِهم على البلاد.

و«تَبَّر»: تحريره: ردَّ الشيءَ فُتاتاً كتِبْر الذهب والحديد[4] ونحوه، وهو مفتَّتُه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾.

يقول الله عزَّ وجلَّ لبقية بني إسرائيل: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ إن أطعتم في أنفسكم

(١) ليس في الأصل وفيض الله ونور العثمانية.

(٢) هذه الأربع شاذة، انظر عزو الأولى والثالثة لأبي في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٦٦)، والمحتسب (٢/ ١٥)، وقراءة علي في الكشاف للزمخشري (٢/ ٦٥٠)، والكل في البحر المحيط (٧/ ١٦)، وزاد لعلي بنونين الثانية مشددة، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٧٩) له ولأبي.

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) في المطبوع: «والحرير».

واستقمتم ﴿أَن يَرۡحَمَكُمۡ﴾، و﴿عَسَىٰ﴾ ترجٍّ في حقهم، وهذه العِدَة ليست برجوع دَولة، وإنما بأن يرحم المطيع منهم، وكان من الطاعة اتِّباعهم لعيسى، ولمحمد ﷺ، فلم يفعلوا، وعادوا إلى الكفر والمعصية، فعاد عقاب الله، فضرب عليهم الذلَّ وقتلهم، وأذلَّهم بيد كل أُمة، وهنا قال ابن عباس: سلَّط عليهم ثلاثة ملوك[1].

و«الحَصير»: فَعِيْل من الحَصْر، فهي بمعنى السجن؛ أي: يحْصُرُهم، وبنحو هذا فسَّر مجاهد وقتادة وغيرهما[2]، ويقال: الحصير أيضاً من الحصْر للْمَلِك، ومنه قول لبيد:

[الكامل] وَمَقَامَةٍ غُلْبِ الرِّقَابِ كَأَنَّهُمْ ... جِنٌّ لَدَى بابِ الْحَصِير قيامُ[3]

ويقال لجَنْبَي الإنسان: حصيران؛ لأنهما يحصرانه، ومنه قول الطِّرِمَّاح:

[الطويل] قَليلاً تَتَلَّى حاجَةً ثُمَّ عُولِيَتْ ... عَلَى كُلِّ مَعْرُوشِ الْحَصِيرَيْنِ بادنِ[4]

[٣/ ١٦٢] وقال الحسن البصري: الحَصيرُ في الآية أراد به ما يُفْتَرَش ويُبْسَط / كالحصير المعروف عند الناس.

قال القاضي أبو محمد: وذلك الحصير أيضاً هو مأخوذ من الحَصْر.

قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ الآية، يَهْدي: في هذه الآية بمعنى: يُرْشِدُ، ويتوجه فيها أن تكون بمعنى: يدعو، والتي يريد بها الحالة والطريقة.

وقالت فرقة: (التي هِيَ أَقْوَمُ) هي: لا إله إلا الله، والأول أعم، وكلمة الإخلاص

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٨٩) بإسناد فيه عمرو بن ثابت، وهو ابن هرمز الكوفي، متروك الحديث، وقد سبق.

(٢) انظر مع قول الحسن الآتي في تفسير الطبري (١٧/ ٣٩٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٢٦)، والهداية لمكي (٦/ ٤١٥٠).

(٣) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٧١)، وتفسير الطبري (١٧/ ٣٩١)، وتهذيب اللغة (٩/ ٢٧٠)، والصحاح للجوهري (٢/ ٦٣١).

(٤) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٣٩١)، ومقاييس اللغة (٤/ ٢٦٥)، في الأصل: «غولبت»، وفي المطبوع: «مفروش».

وغيرها من الأقوال والأفعال داخلة في الحال التي هي أقوم من كل حال تُجعَل بإزائها.

والاقتصار[١] على (أَقْوم) ولم يذكر: (مِن كذا) إيجازٌ، والمعنى مفهوم؛ أي: لِلَّتي هي أقوم من كل ما غايَرها، فهي النهاية في القوام، وقيَّد المؤمنين بعمل الصالحات؛ إذْ هو كمال الإيمان وإن لم يكن في نفسه، والمؤمن المفرط[٢] في العمل له بإيمانه قط[٣] حظٌّ في عمل الصالحات.

و«الأَجْرُ الكبيرُ»: الجنَّـةُ، وكذلك حيث وقع في كتاب الله تعالى: (فَضْلٌ كبيرٌ)، و(أَجْرٌ كبيرٌ) فهو الجنَّة.

وقوله: ﴿إِنَّ﴾ الأولى في موضع نصب بـ﴿وَيُبَشِّرُ﴾، و﴿أَنَّ﴾ الثانيةُ عطف على الأولى، وهي داخلةٌ في جملة بشارة المؤمنين، بَشَّرهم القرآن بالجنة، وبأن الكفار لهم عذاب أليم، وذلك أن علْم المؤمنين بهذا مسرَّةٌ لهم، وفي هذه البشارة وعيدٌ للكفار بالمعنى، وهذا الذي تقتضيه ألفاظ الآية.

وقرأ الجمهور: ﴿وَيُبَشِّرُ﴾ بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين، وقرأ ابن مسعود، ويحيى بن وثاب، وطلحة: ﴿وَيَبْشُرُ﴾ بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين[٤].

و﴿أَعْتَدْنَا﴾ معناه: أحضَرْنا وأعدَدْنا، ومنه العَتاد، و«الأليمُ»: الـمُوجِع.

وقوله: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الآية، سقطت الواو من ﴿يَدْعُ﴾ في خط المصحف؛ لأنهم كتبوا المسموع.

وقال ابن عباس[٥]، وقتادة، ومجاهد: هذه الآية نزلت ذامَّةً لما يفعله الناسُ من

---

(١) في المطبوع: «والاختصار».

(٢) في المطبوع: «المفرد».

(٣) ليست في المطبوع وفي أحمد٣: «فقط».

(٤) إبعاد للنجعة، فالقراءتان سبعيتان، والثانية لحمزة والكسائي على قاعدتهما، انظر التيسير (ص: ٨٧)، السبعة (ص: ٢٠٦).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٩٣-٣٩٤) من طريق عطية بن سعد العوفي عنه.

الدعاء على أموالهم وأبنائهم في وقت الغضب والضجر[١]، فأخبر الله أنهم يدعون بالشَّرِّ في ذلك الوقت كما تدعون بالخير في وقت التثبت، فلو أجاب الله دعاءَهم أهلكهم، ولكن الله تعالى يصفح، ولا يجيب دعاء الضَّجِر المستعجل.

ثم عذر بعض العذر في أن الإنسان له عجَلة فِطْرِيَّة، والإِنْسَانُ هنا، قيل: يريد به اسم[٢] الجنس بحسب ما في الخلق من ذلك، قاله مجاهد وغيره[٣].

وقال سلمان الفارسي، وابن عباس: إشارته إلى آدم عليه السلام في أنه لما نفخ الروح في رأسه عطس وأبصر، فلما مشى الروح في بدنه قبل ساقيه أعجبته نفسه فذهب ليمشي مستعجلاً لذلك فلم يقدر[٤]، فأشارت ألفاظ الآية إلى ذلك، والمعنى: فأنتم ذوو عجلة موروثة من أبيكم.

ويُروى: أن النبي ﷺ جعل أسيراً في قِدٍّ[٥] في بيت سَوْدةَ بنت زَمْعةَ، فسمعت سودةُ أنينَهُ فأَشفقت، فقالت له: ما بالك؟ فقال: أَلَمُ القد، فقامت فأرخت من ربطه فسكت، ثم نامت، فَتحَيَّل في الانحلال وفرَّ، فطلبه رسول الله ﷺ عند الصبح فأُخبر الخبر، فقال: «قطعَ اللهُ يدَيها»، ففزعت سودةُ، ورفعت يدها نحو السماء وهي تخاف الإجابة، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد جعل دعائي في مثل هذا رحمةً على المدعوِّ عليه؛ لأنِّي بشر أغضب وأعجل، فَلْتَـرُدَّ سودةُ يديها»[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٩٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٢٧).

(٢) اسم من أحمد٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٩٤).

(٤) منقطعان، أما أثر ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري (١/ ٤٥٥-٤٥٦) من طريق الضحاك بن مزاحم، عنه، ولم يسمع منه، وأما أثر سلمان الفارسي رضي الله عنه، أخرجه الطبري (١٧/ ٣٩٤) من طريق إبراهيم النخعي، عن سلمان، به. وإبراهيم لم يلق أحداً من الصحابة.

(٥) في المطبوع: «قيد» في الموضعين.

(٦) ضعيف مرسل، أخرجه محمد بن فضيل في كتابه الدعاء (٣) عن أشعث، عن الحسن، به مرسلاً، =

وقالت فرقة: هذه الآية نزلت في شأن قريش الذين قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية، وكان الأولى أن يقولوا: فاهدِنا إليه، وارحَمْنا به، فذمَّهم الله تعالى في هذه الآية بهذا[١].

وقالت فرقة: معنى هذه الآية معاتبة الناس على أنهم إذا نالهم شرٌّ وضرٌّ دعوا وألحوا[٢] في الدعاء الذي كان يجب أن يدعوه في حالة الخير، ويلتزمه الكل، من ذكر الله وحمده والرغبة إليه، لكن الإنسان يقصِّر حينئذ، فإذا مسَّه ضرٌّ ألَحَّ، واستعجل الفرج، فالآية على هذا نحوُ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾[يونس: ١٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

«الآيةُ»: العلامة المنصوبة للنظر والعِبرة.

وقوله: ﴿فَمَحَوْنَآ﴾، قالت فرقة بسبب تعقيب الفاء: إن الله تعالى خلق الشمس والقمر مضيئين، فَمَحَا بعد ذلك القمر، محاه جبريل عليه السلام بجناحه ثلاث مرات، فمن هنالك كَلَفُه وكونُه منيراً فقط.

وقالت فرقة ـ وهو الظاهر ـ: إن قوله: ﴿فَمَحَوْنَآ﴾ إنما يريد: في أصل خلقته، وهذا كما تقول: بنيتُ داري فبدأْت بالأُس، ثم تابعت، فلا تريد بالفاء التعقيب، وظاهر لفظ الآية يقتضي أربع آيات، لا سيما لمن بنى على أن القمر هو المَمْحُوُّ، والشمس هي

= وأشعث هو ابن سوار، وهو ضعيف، وكذلك فيه إرسال الحسن البصري.

(١) لم أقف على تخريجه، وليست «بهذا» في المطبوع ونور العثمانية.

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «ولجُّوا».

المبصرة، فأَمَّا إن قدَّر أن الـمَحْوَ في ظلام الليل، والإبصَار في ضوء النهار، أمكن أن تتضمن الآية آيتين فقط، على أن يكون فيها طرف من إضافة الشي إلى نفسه.

وقوله تعالى: ﴿مُبۡصِرَةٗ﴾ مثل قولك: ليلٌ نائمٌ وقائمٌ؛ أي: يُنَام ويُقام فيه، وكذلك: آيةٌ مُبْصِرة؛ أي: يُبصَرُ فيها ومعها.

وحكى الطبري عن بعض الكوفيين أنه قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سَلُوا عما شئتم، فقال ابن الكواء: ما السواد الذي في القمر؟ فقال له علي: قاتلك الله، هلاَّ سألت عن أمر دينك وآخرتك؟ ذلك مَحْوُ الليل[١].

وجعل الله تعالى النهارَ مبصِراً ليبتغيَ الناسُ الرزقَ، وفضلَ الله، وجعل القمر مخالفاً لحال الشمس ليعلمَ به العدد من السنين، والحساب للأشهر، والأيام، ومعرفة ذلك في الشرع إنما هو من جهة القمر، لا من جهة الشمس.

وقوله: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٖ﴾ منصوب بفعل مضمر يدل عليه / الظاهر، تقديره: وفصَّلْنا كل شيء فصَّلْناه[٢] تفصيلًا. [٣/ ١٦٣]

[وقيل: ﴿وَكُلَّ﴾ عطف على ﴿وَٱلۡحِسَابَ﴾، فهو معمول ﴿لِتَعۡلَمُواْ﴾][٣].

و«التَّفْصِيلُ»: البيانُ بأن تُذكر فصول ما بين الأشياء، وتُزَال أشباهُها[٤] حتى يتميز الصوابُ من الشَّبَه العارضة فيه.

قوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ الآية، قوله: ﴿وَكُلَّ﴾ منصوب بفعل مقدر.

وقرأ الحسن، وأبو رجاءٍ، وابن مجاهد (طَيْرَه في عُنقِه)[٥].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٣٤)، والطبري (١٧/ ٣٩٦) من طرق عن علي رضي الله عنه.

(٢) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «أَسْبَابُهَا»، وكذا الإماراتية مع التنبيه على المثبت في الهامش.

(٥) وهي شاذة، انظر قراءة الحسن في مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، والكل في البحر المحيط (٧/ ٢١).

قال ابن عباس: ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾: ما قُدِّرَ عليه وله[١].

وخاطب الله تعالى العربَ في هذه الآية بما تعرِفُ، وذلك أنه كان من عادتها التَّـيَمُّن والتَّشاؤُم بالطير في كونها سانحة وبارحة[٢]، وكثر ذلك حتى فعلته بالظِّباء وحيوان الفَلاة، وسمَّت ذلك كله تطيُّراً، وكانت تعتقد أن تلك الطِّيَـرَة قاضية بما يلقى الإنسانُ من خير وشر.

فأخبرهم الله تعالى في هذه الآية في أوجز لفظ وأبلغ إشارة أن جميع ما يلقى الإنسان من خير وشرٍّ قد سبق به القضاءُ، وأُلزم حظَّه وعمله وتكسبه في عنقه.

[وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة»][٣]، [وذلك في قوله عزَّ وجلَّ][٤]: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾، فعبَّر عن الحظ والعمل ـ إذ هما متلازمان ـ بالطائر، قاله مجاهد وقتادة[٥]، بحسب معتقد العرب في التطَـيُّر، وقولهم في الأُمور: «على الطَّائر الميمون»، و«بأَسْعَد طائر»، ومنه ما طار في المحاصة والسَّهْم، كقول أمِّ العلاء الأنصارية: فطار لنا من القادمين مع رسول الله ﷺ في الهجرة عثمان ابن مظعون[٦]، أي: كان ذلك حظّنَا، وأصل هذا كله من الطير التي تقضي عندهم بلقاء الخير والشر، [وأبطل ذلك قولُ النبي ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة»][٧].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٩٨) من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يسمع منه.

(٢) السَّانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك، والبارح: ما أتاك من ذلك عن يسارك.

(٣) زيادة من الأصل، والحديث أخرجه مسلم (٢٢٢٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، مرفوعاً به.

(٤) من المطبوع ونجيبويه، وهو في الإماراتية ملحق في الهامش.

(٥) انظر قولهما في تفسير الطبري (١٧/ ٣٩٨).

(٦) أخرجه البخاري (١١٨٦) من حديث أم العلاء الأنصارية، رضي الله عنها.

(٧) ليست في الأصل، ولعله بديل عما سقط منه فوق.

وقوله: ﴿فِي عُنُقِهِۦ﴾ جرى أيضاً على مقطع العرب في أن تنسب ما كان إلزاماً، وقلادةً، وأمانةً، ونحو هذا إلى العُنُق، كقولهم: دَمي في عُنق فلان، وكقول الأعشى:

[المنسرح] والشِّعْرَ قَلَّدْتُهُ سَلامَةَ ذا الـ ـتَّفْضَالِ والشيءُ حَيْثُمَا جُعِلا(١)

وهذا كثير، ونحوهُ جَعْلُهم ما كان تكسُّباً وجنايةً وإثماً منسوباً إلى اليد؛ إذ هي الأصْلُ في التَّكَسُّب.

وقرأ أبو جعفر، ونافع، والناسُ: ﴿وَنُخْرِجُ﴾ بنون العظمة ﴿كِتَٰبًا﴾ بالنصب.

وقرأ الحسن، ومجاهد، وابن محيصن: ﴿ويَخْرُجُ﴾ بفتح الياء وضم الرَّاءِ على الفعل المستقبل ﴿كِتَٰبًا﴾؛ أي: طائرهُ الذي كنَّى به عن عمله يَخْرُجُ له ذا كتاب، وقرأ الحسن من هؤلاء: (كِتَابٌ) بالرفع.

وقرأ أبو جعفر أيضاً: ﴿وَيُخْرَجُ﴾ بضم الياء وفتح الراء، على ما لم يُسَمَّ فاعله، ﴿كِتَٰبًا﴾؛ أي: طائرُهُ، وقرأ أيضاً: (كِتَابٌ)، وقرأت فرقة: (وَيُخْرِجُ) بضم الياء وكسر الراء؛ أي: يُخْرِجُ اللَّهُ، وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (في عنقه يقرؤه يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً)(٢)، وهذا الكتاب هو عمل الإنسان وخطيئاته.

وقرأ الجمهور: ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ بفتح الياء وسكون اللام وخفَّة القاف.

وقرأ ابن عامر وحده: ﴿يُلَقَّاهُ﴾ بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، وهي قراءة الحسن بخلاف وأبي جعفر والجحدري(٣).

---

(١) انظر عزوه له في الحيوان (٣/ ٢٣٣)، والحجة للفارسي (٥/ ٨٩)، وفي المطبوع وأكثر المصادر: (قلدتك الشعر يا سلامة).

(٢) سبع قراءات منها ثلاث متواترة، الأولى عن السبعة وخلف، والثانية عن يعقوب، والرابعة لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٠٦)، والكامل للهذلي (ص: ٥٨٦)، والخامسة لأبي جعفر في مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، والكل في البحر المحيط (٧/ ٢٢).

(٣) في المطبوع: «الجحدري» بلا واو على أنها نعت لـ«أبي جعفر» وهو خطأ، وهما سبعيتان، انظر =

وقوله: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ ﴾ حُذِفَ من الكلام: (يُقَالُ لَهُ) اختصاراً؛ لدلالة الظاهر عليه.

و«الحَسِيبُ»: الحاسِبُ، ونصبه على التمييز.

وأسند الطبري عن الحسن أنه قال: يا بن آدم، بُسطت لك صحيفة، ووُكِّل بك ملَكَان كريمان، أحدهما عن يمينك يكتب حسناتك، والآخر عن شمالك يحفظ سيئاتك، فأملل[1] ما شئت أَو أَقْلِلْ أَوْ أكثر، حتَّى إذا متَّ طويت صحيفتك، فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً، اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً، قد عدل والله فيك مَنْ جَعَلَكَ حسيبَ نفسِكَ[2].

قال القاضي أبو محمد: فعلى هذه الألفاظ التي ذكر الحسن يكون الطائر ما يتحصل مع ابن آدم من عمله في قبره، فتأمَّل لفظه، وهذا هو قول ابن عباس[3].

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ ﴾: إنه سيقرأُ يومئذ مَن لم يكن يقرأ[4].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ﴾.

معنى هذه الآية أن كل أحد إنما يحاسَبُ عن نفسه، لا عن غيره.

ورُوي: أن سببها أن الوليد بن المغيرة المخزومي قال لأهل مكَّةَ: اكفروا بمحمد

= التيسير (ص: ١٣٩)، والسبعة (ص: ٣٧٨)، والنشر (٢/ ٣٠٦)، والكامل للهذلي (ص: ٥٨٦)، وانظر موافقة الجحدري والحسن بخلافه في البحر المحيط (٧/ ٢٢).

(١) في المطبوع: «فامْلِك»، وفي الأصل: «فاعمل».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٠٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٠٠) من طريق عطية بن سعد العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٤٠١).

وإثْمُكُم عليَّ، فنزلت هذه الآية[(١)]؛ أي: إن الوليد لا يحمل آثامكم، وإنما إثْم كلِّ أحد عليه.

وقالت فرقة: نزلت الإشارة في الهدى إلى أبي سَلَمَة بن عبد الأسد، والإشارة بالضلال إلى الوليد بن المغيرة.

و«وَزَرَ» معناه: حَمَل، و«الوِزْرُ»: الثِّقل[(٢)]، ومنه: وَزير السلطان؛ أي: الذي يحمل ثقل دولته.

وبهذه الآية نزعت عائشة أمُّ المؤمنين رضي الله عنها في الردِّ على من قال: إن الميت يُعَذَّب ببكاء الحي عليه[(٣)]، ونكتة ذلك المعنى إنما هيَ أن التعذيب إنما يقع إذا كان البكاءُ من سنَّة الميت وسببه، كما كانت العربُ تفعل.

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، قالت فرقة هي الجمهور: وهذا في حكم الدنيا؛ أي: إن الله لا يُهلك أُمة بعذاب إلا من بعد الرسالة إليهم والإنذار.

وقالت فرقة: هذا عام في الدنيا والآخرة.

قال القاضي أبو محمد: وتلخيص هذا المعنى أن مقصد الآية في هذا الموضع الإعلامُ بعادة الله مع الأُمَم في الدنيا، وبهذا يقرب الوعيد من كفار مكَّة، ويؤيد هذا ما يجيءُ بعْدُ من وصفه ما يكون عند إرادته إهلاك قرية، ومن إعلامه بكثرة ما أهلك من القرون / . [٣/ ١٦٤]

ومع هذا فالظاهر من كتاب الله في غير هذا الموضع، ومن النظر، أن الله تعالى لا يعذب في الآخرة إلا بعد بعثة الرسل، كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الملك: ٨-٩]، وظاهر ﴿كُلَّمَآ﴾ الحَصْر وكقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

---

(١) لم أقف عليه مسنداً، وانظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٢٦)، والهداية لمكي (٦/ ٤١٦٢).

(٢) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: و«وَزَرَ» معناها: حَمَل الوِزر، أي: الثقل.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٢٦)، ومسلم (٩٢٧) من حديث عائشة رضي الله عنها، مرفوعاً به.

وأما من جهة النظر فإن بعثة آدم عليه السلام بالتوحيد، وبثِّ[١] المعتقَدات في بنيه، مع نصب الأدلة الدَّالَّة على الصانع، مع سلامة الفِطَر[٢]، يوجب على كل أحدٍ من العالم الإيمانَ، واتباعَ شريعة الله، ثم تجدَّد ذلك في مدة نوح عليه السلام بعد غرق الكفار، وهذه الآية أيضاً يُعطي احتمال أَلفاظها نحو هذا، ويجوز مع الفرض وجود قوم لم تصلهم رسالةٌ، ومنهم أهل الفترات الذين قد قدَّرَ وجودَهم بعضُ أهل العلم، وأما ما رُوي: أن الله تعالى يبعث إليهم يوم القيامة وإلى المجانين والأطفال، فحديثٌ لم يصحَّ[٣]، ولا يقتضيه ما تعطيه[٤] الشريعة من أن الآخرة ليست دار تكليف.

قوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً﴾ الآية؛ هي في مصحف أُبَيٍّ بن كعب: (بَعَثْنَا أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا)[٥].

و«القَرْيَةُ»: المدينة المجتمعة، مأْخوذٌ من: قَرَيْتُ الماءَ في الحوض: إذا جمعتَه، وليست من (قرأ) الذي هو مهموز، وإن كان فيهما جميعاً معنى الجمع.

وقرأ الجمهور: ﴿أَمَرۡنَا﴾ على صيغة الماضي، من: أَمَر ضد نَهَى.

وقرأ نافع، وابن كثير في بعض ما رُوي عنهما: ﴿آمَرْنَا﴾ بمدِّ الهمزة، بمعنى: كَثَّرْنَا، ورُويت عن الحسن، وهي قراءة علي بن أبي طالب، وابن عباس بخلاف عنه، وعن الأعرج، وقرأ بها ابن أبي إسحاق[٦]، وتقول العربُ: أَمِرَ القَوْمُ: إذا كَثُروا، وآمَرَهُمْ الله، فيتعدى بالهمزة.

---

(١) في المطبوع: «وبعث».

(٢) في المطبوع: «البصر».

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٢٠) من طريق قتادة، عن أبي هريرة، ولم يسمع منه، ولا من أحد من الصحابة إلا أنس بن مالك.

(٤) في المطبوع: «تقضيه».

(٥) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (٢٧٨).

(٦) وهي عشرية من قراءة يعقوب كما في النشر (٢/ ٣٠٦)، وانظر عزوها لروايتي نافع وأبي عمرو، =

وقرأ أبو عمرو بخلاف: (أَمَّرْنَا) بتشديد الميم، وهي قراءة أبي عثمان النهدي، وأبي العالية، وابن عباس، ورويت عن علي بن أبي طالب[١].

وقال الطبري: القراءة الأولى معناها: أمرناهم بالطاعة، فعصَوا وفسَقُوا فيها[٢]، وهو قول ابن عباس[٣]، وابن جبير.

والثانية معناها: كثَّرناهم، والثالثة هي من الإمارة، أي: ملَّكْناهم على الناس.

قال أبو عَليٍّ الفارسي: الجيِّد في ﴿أَمَرْنَا﴾ أن تكون بمعنى: كَثَّرْنَا، يتعدى الفعل بلفظه غير متعدٍّ[٤]، كما تقول: رَجَعَ وَرَجَعْتُه، وشَتِـرَتْ عَيْنُه وشَتَرْتُهَا، فتقول: أَمَرَ القومُ وأمرَهم الله؛ أي: كثَّرهم، قال: وآمَرْنَا مبالغة في أَمَرْنَا بالهمزة، وأَمَّرْنَا مبالغة فيه بالتضعيف، ولا وجه لكون أَمَّرْنَا من الإمارة؛ لأن رياستهم لا تكون إلا واحداً بعد واحد، والإهلاكُ إنما يكون في مدة واحد منهم[٥].

وينفصل عن هذا الذي قاله أبو علي بأن الأمر وإن كان يعُمُّ المترف وغيره، فخَصَّ المترف بالذكر إذْ فِسْقُهُ هو المؤثر في فساد القرية، وهم عُظم الضلالة، وسواهم تبَعٌ لهم.

وأمَّا أمَّرْنا من الإمارة فمتوجه على وجهين:

أحدهما: ألَّا يريد إمارة المُلْك، بل كونهم يأْمرون ويُؤْتمر لهم؛ فإنَّ العرب تقول لمن يأْمر الإنسان وإن لم يكن ملِكاً: هو أمير، ومنه قول الأعشى:

= في السبعة (ص: ٣٧٩)، وليستا من طرق التيسير، وانظر نقلها عن الباقين في المحتسب (٢/ ١٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٣٣)، وفي المطبوع: «عن الأعرج» بلا واو.

(١) شاذة، انظر رواية أبي عمرو في السبعة (ص: ٣٧٩)، وعن الباقين إلا علياً في المحتسب (٢/ ١٦)، والكل في البحر المحيط (٧/ ٢٧).

(٢) انظره مع قول ابن جبير في تفسير الطبري (١٧/ ٤٠٣).

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٠٣) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، ولم يلقه.

(٤) في المطبوع: «متعدد».

(٥) انظر معناه في الحجة (٥/ ٩٣).

إذا كان هـادي الْفَتَـى فـي الْبـلا د صَـدْرَ الْقَنَـاةِ أَطَـاعَ الأميـرَا[١] [المتقارب]

ومنه قول معاوية لعمر رضي الله عنه حين أمره بالاستقادة من لطمة عمرو بن العاص: إنَّ عليَّ أميراً لا أقطع أمراً دونه[٢]، أراد معاوية رضي الله عنه أباه، وأراد الأعشى أنه إذا شاخ الإنسانُ وعَمي واهتدى بالعصا أطاعَ كلَّ من يأمره، ومنه قول الآخر:

والنَّـاسُ يَلْحُـوْنَ الأميـرَ إِذَا هُـمُ خطِئُوا الصَّوَابَ وَلا يُلَامُ الْـمُرْشِـدُ[٣] [الكامل]

وأيضاً فلو أراد إمارة الـمُلْك في الآية لحَسُنَ المعنى؛ لأن الأُمَّةَ إذَا مَلَّك الله عليها مُتْرَفاً ففسق، ثم ولَّى مثله بعده، ثم كذلك، عَظُمَ الفَساد وتوالى الكُفْر واستحقوا العذاب، فنزل بهم على رجل الأخير من ملوكهم.

وقرأ الحسن، ويحيى بن يَعْمَر: (أَمِرْنَا) بكسر الميم[٤]، وحكاها النحاس عن ابن عباس[٥]، ولا أتَحَقَّقُ وجهاً لهذه القراءَة؛ إلا إن كان «أَمِرَ القَوْمُ» يتعدى بلفظه، فإنَّ العرب تقول: أَمِرَ بَنُو فلان: إذا كثروا، ومنه قول لبيد:

إنْ يُـغْـبَـطُـوا يُـهْـبَـطُـوا وإنْ أَمِـرُوا يَـوْمـاً يَصيـرُوا لـلْـقُـلِّ والنَّـفَـدِ[٦] [المنسرح]

ومنه: لَقد أَمِر أَمْرُ ابنِ أبي كَبْشَةَ[٧]، وردَّ الفرّاءُ هذه القراءة[٨].

---

(١) انظر نسبته له في المحتسب (١/ ١٢٦)، وغريب الحديث لابن سلام (١/ ٢٥٢)، وعيون الأخبار (٤/ ٦٧)، والكامل (١/ ٢٦١).

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة (ص: ٨٦)، ولم أره مسنداً.

(٣) نسبه في المحتسب (٢/ ٢٠)، والتذكرة الحمدونية (٧/ ٢٨٢) لعَبيد بن الأبرص، وهو بلا نسبة في معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٢٣).

(٤) المحتسب (٢/ ١٦).

(٥) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٣٤).

(٦) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٧٢)، وتفسير الطبري (١٧/ ٤٠٥)، والزاهر للأنباري (١/ ٤٠٥)، ومقاييس اللغة (١/ ١٣٨).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣) من حديث أبي سفيان رضي الله عنه، به.

(٨) معاني القرآن للفراء (٢/ ١١٩).

وقد حكي (أَمِرَ) متعدياً عن أبي زيد الأنصاري[١].

و«المُتْرَفُ»: الغني من المال المتَنَعِّم، والتُّرْفَةُ: النِّعْمةُ.

وفي مصحف أُبَيٍّ بن كعب: (قريةً بَعثْنَا أكَابر مُجْرميها فمكروا فيها)[٢].

وقوله: ﴿فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ﴾؛ أي: وعيدُ الله لها الذي قاله رسولُهم.

و«التَّدْميرُ»: الإهلاكُ مع طمس الآثار، وهدم البناء، ومنه قول الفرزدق:

[الوافر]

وكَانَ لَهُمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لَمَّا رَغَا ظُهْراً فَدَمَّرَهم دَمَارَا[٣]

وقوله: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ الآية، (كَمْ) في موضع نصب بـ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾، وهذا الذكر لكثرة من أهلك الله من القرون مثالٌ لقريش، ووعيدٌ؛ أَي: لستُم ببعيد ممَّا حصلوا فيه من العذاب إذا أنتم كذبتم نبيَّكم.

واختلف الناس في «القرن»؛ فقال ابن سيرين عن النبي ﷺ: أربعون[٤]، وقيل غير هذا مما هو قريبٌ منه.

وقال عبد الله بن أبي أَوْفَى: القَرْن مئة وعشرون سنة[٥].

---

(١) معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٣٥).

(٢) وهي شاذة، كما تقدم، وانظر الحجة للفارسي (٥/ ٩٣).

(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٤٠٦)، وجاء فيه (٢٢/ ١٢٩) منسوباً لجرير، ومثله للمؤلف في سورة الأحقاف، وهو خطأ.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٠٨) من طريق عمر بن شاكر عن ابن سيرين عن النبي ﷺ مرسلًا، وابن شاكر ضعيف له مناكير.

(٥) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥١٧٨)، وابن سعد في طبقاته الكبرى (٨/ ١٢٥)، وابن أبي خيثمة في تاريخه (٢/ ٨٦٣) ومن طريقهما ابن عساكر في تاريخه (٦٥/ ٤٠٧-٤٠٨) كلهم من طريق حماد بن سلمة، عن أبي محمد، عن زرارة بن أوفى به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل أبي محمد، قال ابن معين: لا أعرفه. انظر الجرح والتعديل (٩/ ٤٣٤)، تنبيه: جاء إسناد الأثر عند الطبري (١٧/ ٤٠٧): حماد بن سلمة، عن أبي محمد بن عبد الله بن أبي أوفى. وهو تحريف، والصواب ما ذكرناه.

وقالت طائفة: القرن مئة سنة، وهذا هو الأصح الذي يعضده الحديث في قوله ﷺ: «خيرُ الناسِ قَرْني»[(١)].

وروى محمد بن القاسم في ختنه[(٢)] عبد الله بن بُسْر قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي، [وقال: «سيعيشُ هذا الغلامُ قَرْناً»، قلت: كم القرن؟ قال: «مئة سنة»، قال محمد بن القاسم: فما زلنا نعُدُّ له حتى أكمل مئة سنة، ثم مات رحمه الله][(٣)].

والباءُ في قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ زائدة، والتقدير: كفى ربُّك، وهذه الباءُ إنما تجيء في الأَغلب في مدح أو ذم، وكأَنها تعطي معنى: اكتفِ برَبِّك؛ أي: ما أكفاه في هذا، وقد تجيءُ «كفى» بدون باءٍ، كقول الشاعر:

.... كَفَى الشَّيْبُ وَالإِسْلامُ للْمَرْءِ نَاهيَا[(٤)] [الطويل]

وكقول الآخر:

ويُخْبِرني عنْ غَائب الْـمَرْءِ هَدْيُهُ كَفَى الْهَدْيُ عَمَّا غَيَّبَ الْـمَرْءُ مُخْبِرَا[(٥)] [الطويل]

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥٠٩)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٢) الخَتَنُ: كلُّ من كان من قِبَل المرأة كأبيها وأخيها، وكذلك زوج البنت، وزوج الأخت، وفي أحمد٣: «سننه»، وفي نور العثمانية: «حينه».

(٣) ليس في الأصل، والحديث له طرق، أخرجه البخاري في تاريخه (١/ ٢١٤) مختصـراً، والحاكم في مستدركه (٤/ ٥٤٥) من طريق محمد بن القاسم الطائي، عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه، مرفوعاً به، ومحمد بن القاسم هذا لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، وترجم له الذهبي في تاريخه (١٨/ ٧٤) وقال: ما وهاه أحد. وتابعه عليه محمد بن زياد الأَلْهاني، عن عبد الله بن بسر، به، رواه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ١٧٥)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٥٠٠) كلاهما من طريق إبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني، عن أبيه، به، وإبراهيم الألهاني، لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً إلا ذكر ابن حبان إياه في الثقات (٦/ ١٧)، وللحديث طرق لا تخلو من مقال.

(٤) صدره: عُمَيْـرَةَ ودِّعْ إنْ تَجَهَّزْتَ غَاديَا، وهو لسُحَيم عبْد بني الحَسْحَاس كما في الكتاب لسيبويه (٤/ ٢٢٥)، والبيان والتبيين (١/ ٧٩)، والكامل للمبرد (٢/ ١٦٧)، وكان النبي ﷺ يتمثل به فيقول كفى بالمرء، انظر تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٠).

(٥) البيت لزيادة بن زيد العَدَوِيِّ، كما في البيان والتبيين (٣/ ١٦٣)، وتهذيب اللغة (٦/ ٢٠٢).

[٣/ ١٦٥] / قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْأَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾.

المعنى: من كان يريد الدنيا العاجلة، ولا يعتقد غير هذا، ولا يؤمن بآخرة، فهو يُفَرِّغ أمله ومعتقده للدنيا، فإن الله يعجل لمن يريد من هؤلاء ما يشاء هذا المريد، أو ما يَشاءُ الله، على قراءة من قرأ: ﴿نَشَآءُ﴾ بالنون.

وقولـه: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ شـرطٌ كاف علـى القراءتيـن، ثـم يجعـل الله تعالى جهنم لجميـع مريـدي العاجلة علـى جهة الكفر مَـنْ أعطاه فيها ما يشـاءُ، ومَـنْ حرمه، وقال أبو إسحاق الفزاري: المعنى: لمن نريد هلكته(١).

وقرأ الجمهور: ﴿نَشَآءُ﴾ بالنون، وقرأ نافع أيضاً: (يَشَاءُ) بالياء(٢).

و«الْمَدْحُورُ»: الـمُهَانُ الـمُبْعَد المذلَّل المسخوط عليه.

قوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ﴾ الآية، المعنى: ومن أراد الآخرة إرادةَ يقين بها، [وإيمان بها](٣) وبالله وبرسالته، وذلك كلُّه مرتبط متلازم.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٤٠٩)، وأبو إسحاق الفزاري هو الإمام إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء ابن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الكوفي، أحد الأعلام، روى عن عطاء بن السائب، وحميد الطويل، وعنه: الأوزاعي، والثوري، وهما من شيوخه، كان ثقة فاضلاً صاحب سنة وغزو، كثير الحديث فقيهاً، أدب أهل الثغر وعلَّمهم السنة، وكان يأمر وينهى، توفي سنة (١٨٥هـ). تاريخ الإسلام (١٢/ ٥٤).

(٢) ليس من طرق التيسير، وهي رواية الزَّعْفَرَانِيِّ، وسلام وابن المنادي عن نافع كما في الكامل للهذلي (ص: ٥٨٧).

(٣) ليس في المطبوع والإماراتية.

ثم شرط في مُريد الآخرة أن يسعى لها سَعْيَها، وهو ملازمة أعمال الخير وأقواله على حكم الشرع وطرقه، فأُولئك يشكر الله سعيهم، ولا يشكر الله عملاً ولا سعياً إلَّا إذا أثاب عليه وغفر بسببه، ومنه قول النبي ﷺ في حديث الرجل الذي سقى الكلب العاطش: «فشكر اللَّهُ له، فغفر له»[١].

قوله: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ﴾ الآية؛ نصب ﴿كُلًّا﴾ بـ﴿نُّمِدُّ﴾، و«أَمْدَدْتُ الشيءَ»: إذا زدتَ فيه من غير نوعه، و«مَدَدْتُه»: إذا زدتَ فيه من نوعه، وقيل: هما بمعنىً واحد، يقال: مَدَّ وأَمَدَّ.

و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿كُلًّا﴾، فهو في موضع نصب.

وقوله: ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يريد: من الطاعات لمريدي الآخرة، والمعاصي لمريدي العاجلة، ورُوي هذا التأويل عن ابن عباس[٢].

ويحتمل أن يريد بالعطاء رزْقَ الدنيا، وهذا هو تأويل الحسن بن أبي الحسن وقتادة[٣].

أي: إن الله تعالى يرزق في الدنيا مُريدي الآخرة المؤمنين، ومُريدي العاجلة الكافرين، ويُمدهم بعطائه منها، وإنما يقع التفاضل والتَّباين في الآخرة، ويتناسب هذا المعنى مع قوله: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾؛ أي: إنَّ رزقه في الدنيا لا يضيق عن مؤمن ولا كافر، وقلَّما تصلح هذه العبارة لمن يُمد بالمعاصي التي تُوبقُه.

و«الـمَحْظُورُ»: الممنوع.

وقوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ آية تدلُّ دلالةً على أن العطاء في الآية التي قبلها هو الرزق، وفي ذلك يترتَّب أن ينظر محمد ﷺ إلى تفضيل الله لبعض على بعض في الرزق ونحوه من الصور والشرف والجاه والحظوظ، وبَيِّنٌ أن يكون التفضيل

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٧١)، ومسلم (٢٢٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.
(٢) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٤١١) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، ولم يلقه.
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١١).

الذي ينظر إليه النبي ﷺ أن أعطى اللَّهُ قوماً الطاعة المؤدية إلى الجنَّة، وأعطى آخرين الكفر المؤدي إلى النار، وهذا قول الطبري[(١)]، [وهذا إنما هو النظر][(٢)] في تفضيل فريق على فريق، وعلى التأْويل الآخر فالنظر في تفضيل شخص على شخص من المؤمنين والكافرين كيفما قرنتهما.

ثم أخبر عزَّ وجلَّ أن التفضيل الأكبر إنما يكون في الآخرة، وقوله: ﴿أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ﴾ ليس في اللفظ من أيِّ شيء؟، لكنه في المعنى ـ ولا بد ـ أَكْبَـرُ دَرَجاتٍ من كل ما يضاف بالوجود أو بالفَرْض إليها، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾.

ورأى بعض العلماء أن هذه الدرجات والتفضيل إنما هو فيما بين المؤمنين، وأسند الطبري في ذلك حديثاً نصُّه: «إنَّ بين أعلى أهل الجنة وأسفلهم درجةً كالنجم يُرى في مشارق الأرض ومغاربها»[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: [قيل: ولكن][(٤)] قد رضَّى الله الجميعَ، فما يغبط أحدٌ أحداً، ولا يتمنى ذلك بدلاً.

وقوله: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ﴾ الآية، الخطاب لمحمد ﷺ، والمراد: جميع الخلق، قاله الطبريُّ وغيره[(٥)].

والذَّم هنا لاحق من الله تعالى ومن ذوي العقول في أن يكون الإنسان يجعل عُوداً أو حجراً أفضلَ من نفسه، ويخُصُّه بالكرامة، وينسب إليه الأُلوهية، ويشركه مع الله الذي خلقه ورزقه وأنعم عليه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١٢).

(٢) ليست «إنما هو» في المطبوع، وفي أحمد٣: «والنظر هنا إنما هو»، وفي نور العثمانية: «والنظر أيضاً إنما هو»، وفي الإماراتية: «وهذا يحتمل النظر»، مع التنبيه على المثبت في هامشها.

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٤١٢) من طريق قتادة، عن النبي ﷺ، مرسلًا به.

(٤) من الحمزوية ونور العثمانية، وفي الأصل وأحمد٣ وفيض الله والإماراتية: «لكن»، وفي المطبوع ونجيبويه: «قيل»، وهي في الإماراتية ملحقة.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١٢).

والخذلان في هذا يكون بإسلام الله، وألا يكفل له بنصر، و«المخذول»: الذي لا ينصره من يجب أن ينصره، و«الخاذلُ من الظباءِ»: التي تترك ولدها، ومن هذه اللفظة قول الراعي:

قَتَلُوا ابْن عَفَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحْرِماً وَدَعَا فَلَمْ أَرَ مِثْلَه مَخْذُولا[1] [الكامل]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾.

(قَضَى) في هذه الآية بمعنى: أَمر وألزم وأوجب عليكم، وهكذا قال الناس.

وأقول إن المعنى: وَقَضى رَبُّكَ أمرَه أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، وليس في هذه الألفاظ إلا أمر بالاقتصار على عبادة الله، فذلك هو المَقْضِيُّ، لا نفسُ العبادة.

وقَضَى في كلام العرب: أَتَمَّ المَقْضيَّ مُحكَماً، والمَقْضِيُّ هنا هو الأمر.

وفي مصحف ابن مسعود: (وَوَصَّى ربُّكَ)، وهي قراءَة أصحابه، وقراءة ابن عباس، والنَّخَعي، وسعيد بن جُبَيْر، وميمون بن مهران، وكذلك عند أُبيِّ بن كعب[2].

وقال الضحاك: تصحَّف / على قوم (وَصَّى) بـ(قَضَى) حين اختلطت الواو بالصاد وقت كتْب المصحف. [٣/ ١٦٦]

(١) انظر عزوه له في غريب الحديث لابن سلام (٤/ ٧)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٢٢)، والكامل للمبرد (٣/ ٢٣)، وتهذيب اللغة (٥/ ٣٠)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٨٩٧)، وفي الأصل والحمزوية وأحمد٣: «سعى».

(٢) وهي شاذة، نقلها عن ابن عباس في الشواذ (ص: ٨٠)، وعنه وعن أبي وابن مسعود في تفسير الطبري (١٧/ ٤١٣)، وللباقين في البحر المحيط (٧/ ٣٣)، وانظر قول الضحاك في تفسير الطبري (١٧/ ٤١٤)، والهداية لمكي (٦/ ٤١٧١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وإنما القراءة مَرْوِيَّةٌ بسند، وقد ذكر أبو حاتم عن ابن عباس مثل قول الضحاك[١]، وقال عن ميمون بن مهران: إنه قال: «إنَّ على قول ابن عباس لنوراً، قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الشورى: ٣١]»[٢].

ثم ضعَّف أبو حاتم أن يكون ابنُ عباس قال ذلك، وقال: لو قلنا هذا لطعن الزنادقة في مصحفنا[٣].

والضمير في ﴿تَعۡبُدُوٓاْ﴾ لجميع الخلق، وعلى هذا التأويل مضى السلف والجمهور.

وسأل الحسنَ بن أبي الحسن رجلٌ فقال: إنه طلَّق امرأته ثلاثاً، فقال له الحسنُ: عصيت ربك وبانتْ منك امرأتك ثلاثاً، فقال له الرجل: قضى الله ذلك عليَّ، فقال له الحسن وكان فصيحاً: ما قَضَى اللَّهُ؛ أي: ما أمر الله، وقرأ هذه الآية، فقال الناسُ، تكلَّم الحسن في القَدَر[٤].

ويحتمل أن تكون ﴿قَضَىٰ﴾ على مشهورها في الكلام، ويكون الضمير في قوله: ﴿تَعۡبُدُوٓاْ﴾ للمؤمنين من الناس إلى يوم القيامة، لكن على التأويل الأول يكون قوله: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ عطفاً على (أنْ) الأولى؛ أي: أمر الله ألَّا تعبدوا إلّا إياه، وأن تحسنوا بالوالدين إحساناً، وعلى هذا الاحتمال الذي ذكرناهُ يكون قوله: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ مقطوعاً من الأول، فإنه أخبرهم بقضاء الله، ثم أمرهم بالإحسان إلى الوالدين.

و﴿إِمَّا﴾ شَرْطِيَّةٌ.

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه أحمد بن منيع في مسنده (٦/ ٢٢٩ ـ إتحاف) من طريق الفرات بن السائب، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، والفرات بن السائب متفق على تضعيفه.

(٢) انظر تفسير القرطبي (١٠/ ٢٣٧).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١٣)، وتفسير السمعاني (٣/ ٢٣١)، ولفظة «ثلاثاً» الثانية زيادة من المطبوع.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿يَبۡلُغَنَّ﴾، ورُوي عن ابن ذكوان (يبلُغَنْ) بتحفيف النون.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿يَبْلُغَانِّ﴾، وهي قراءة أبي عبد الرحمن، ويحيى، وطلحة، والأعمش، والجحدري[1]، وهي النون الثقيلة دخلت مُؤَكِّدَة، وليست بنون تثنية، فعلى القراءتين الأُولَيَيْن يكون قوله: ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ فاعلاً، وقوله: ﴿أَوۡ كِلَاهُمَا﴾ معطوفاً عليه، وعلى هذه القراءة الثالثة يكون قوله: ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ بدلاً من الضمير في ﴿يَبْلُغَانِّ﴾، وهو بدل مُقَسِّم كقول الشاعر:

وكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيحَة ... ورِجْلٍ رَمَى فيها الزَّمَانُ فَشَـلَّتِ[2] [الطويل]

ويجوز أن يكون ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ فاعلاً، وقوله: ﴿أَوۡ كِلَاهُمَا﴾ عطف عليه، ويكون ذلك على لغة من قال: أكلوني البراغيثُ، وقد ذكر هذا في هذه الآية بعضُ النحويين، وسيبويه لا يرى لهذه اللغة مدخلاً في القرآن[3].

وقرأ أبو عمرو: ﴿أُفِّ﴾ بكسر الفاء وترك التنوين، وهي قراءة حمزة، والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر.

وقرأ نافع، والحسن، والأعرج، وأبو جعفر، وشيبة، وعيسى: ﴿أُفٍّ﴾ بالكسر والتنوين.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر: ﴿أُفَّ﴾ بفتح الفاءِ[4].

---

(١) الأولى والثالثة سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٩)، والثانية ليست من الطرق، وتابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٣٥).

(٢) البيت لِكُثَـيِّرِ عزَّة كما في مجاز القرآن (١/ ٨٧)، والجمل في النحو (ص: ٢٠٧)، والكتاب لسيبويه (١/ ٤٣٢)، وأمالي القالي (٢/ ١٠٨).

(٣) انظر كلامه على هذه اللغة في الكتاب (١/ ١٩).

(٤) هذه القراءات الثلاث سبعية كما في السبعة (ص: ٣٧٩)، عن عاصم، ومثله في التيسير (ص: ١٣٩)، وزادا مع نافع حفصاً.

وقرأ أبو السَّمَّال: (أُفُّ) بضم الفاء، وقرأ ابن عباس: (أُفْ) خفيفة، وهذا كله بناءٌ، إلَّا أن قراءة نافع تعطي التنكير(١)، كما تقول: إِيْهٍ، وفيها لغاتٌ لم يُقْرأْ بها:

(أُفٌّ) بالرفع والتنوين، على أن هارون حكاها قراءة(٢).

و«أُفّاً» بالنصب والتنوين، و«أُفِّيْ» بياءٍ بعد الكسرة، حكاها الأخفش الكبير(٣).

و«أُفَا» بأَلف بعد الفتحة، و«أُفّ» بسكون الفاء المشددة، و«أَفْ» مثل رَبْ.

ومن العرب من يُميل «أُفَا»، ومنهم من يزيد فيها هاءَ السَّكْت فيقول: «أُفَاهْ»(٤).

قال القاضي أبو محمد: ومعنى اللفظة أنها اسم فعل، كأَن الذي يريد أن يقول: أَضْجَرُ، أو: أَتَقَذَّرُ، أَو: أَكْرَهُ، أو نحوَ هذا، يُعبِّر إيجازاً بهذه اللفظة، فتعطي معنى الفعل المذكور، وجعل الله تعالى هذه اللفظة مثلاً لجميع ما يمكن أن يقابَل به الآباءُ مِمَّا يكرهون، فلم تُرَدْ هذه اللفظة في نفسها، وإنما هي مثالُ الأعظمِ منها والأقلِّ، فهذا هو مفهوم الخطاب الذي(٥) المسكوتُ عنه حكمُه حكمُ المذكور.

و«الانْتِهَارُ»: إظهار الغضب في الصوت واللفظ.

و«القولُ الكريم»: الجامعُ للمحاسن، من اللِّين، وجودة المعنى، وتَضَمُّن البر، وهذا كما تقول: ثوبٌ كريم، تريد أنه جَمُّ المحاسن.

و«الأُفُّ»: وسَخ الأظفار، فقالت فرقة: إن هذه اللفظة التي في هذه الآية مأْخوذة من ذلك.

---

(١) في الأصل ونور العثمانية: «التكثير».

(٢) وهي شاذة كالقراءتين قبلها، انظر قراءتي أبي السمال وابن عباس، وقول هارون في المحتسب (٢/ ١٨).

(٣) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٧٠).

(٤) انظر لغات (أف) في المحتسب (٢/ ١٨).

(٥) ليست في المطبوع.

وقال مجاهد في قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾: معناه: إذا رأيت منهما في حال الشَّيخ[(١)] الغائط والبول الذي رأَياه منك في حال[(٢)] الصغر، فلا تَقْذرْهُمَا، ولا تقل: أُفٍّ[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: الآية أعمُّ من هذا القول، وهو داخلٌ في جملة ما تقتضيه.

قال أبو الهدّاج التُّجِيبي[(٤)]: قلت لسعيد بن المسيب: كلُّ ما في القرآن من بِرِّ الوالدين قد عرفته إلَّا قوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، ما هذا القول الكريم؟ قال ابن المسيب: قولُ العبد المذنب للسيد الفَظِّ[(٥)].

وقوله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ استعارة؛ أي: أقطعهما جانب الذل منك، ودمِّث[(٦)] لهما نفسك وخُلُقك.

وبُولغ بذكر الذُّلِّ هنا، ولم يذكر في قوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وذلك بحسب عِظَم الحق هنا.

وقرأ الجمهور: ﴿ٱلذُّلِّ﴾ بضم الذال، وقرأ سعيد بن جبير، وابن عباس، وعروة ابن الزبير: (الذِّلِّ) بكسر الذال، ورويت عن عاصم بن أبي النُّجود[(٧)]، و«الذُّل في الدواب»: ضدُّ الصُّعوبة، ومنه: الجَمَلُ الذَّلُول، والمعنى يتقارب، وينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل

---

(١) الشَّيْخُ: الشَّيْخُوخةُ، وهما مصدر «شَاخَ»: إذا أَسَنَّ وكبر.

(٢) من الأصل فقط.

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٤١٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٣٢٣٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٩).

(٤) في المطبوع: السَّرَّاج، وهو: سليمان بن الهداج، التجِيبي المصري، من الثالثة، وثقه ابن حبان. المعجم الصغير لرواة الطبري (٢/ ٧٦٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٤)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٩٣).

(٦) من أحمد٣ والحمزوية ونجيبويه، وفي المطبوع: «ودَيِّثْ»، وكتبت في الأصل: «وذمت»، وفي نور العثمانية: ومد.

(٧) وهي شاذة، نسبها في المحتسب (٢/ ١٨) لابن عباس وعروة، ونسبها لابن جبير في مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، وزاد الجحدري وحماداً الأسدي عن أبي بكر رضي الله عنه، ونسبها الهذلي في الكامل (ص: ٥٨٧) لرواية الحكم بن ظهير عن عاصم، وزاد ابن أبي عبلة.

الإنسان نفْسه مع أبويه في حيِّز ذلَّةٍ في أقواله واستكانته[١] ونظره، ولا يُحِدُّ إليهما بصره، فإن تلك هي نظرة الغاضب، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «أبعَدَه الله وأسحَقَه»، قالوا: مَن يا رسول الله؟ قال: «من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يُغفَرْ له»[٢].

وقوله: ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾، ﴿مِنَ﴾ هنا لبيان الجنس؛ أي: إن هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنَّة في النفس، لا بأن يكون ذلك استعمالاً، ويصح أن تكون لابتداء الغاية.

ثم أمر الله تعالى عباده بالتَّرَحُّم على آبائهم، وذكر مِنَّتهما على الإنسان في التربية؛ ليكون تذكُّر تلك الحالة / مما يزيد الإنسانَ إشفاقاً لهما، وحناناً عليهما، وهذا كله في الأبوين المؤمنين، وقد نهى القرآن عن الاستغفار للمشركين الأموات ولو كانوا أُولِي قُرْبى، وذُكر عن ابن عباس هنا لفظ النسخ[٣]، وليس هذا موضعَ نَسْخ. [٣/ ١٦٧]

وقوله: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ﴾؛ أي: من اعتقاد الرحمة بهما، والحُنُوِّ عليهما، أو من غير ذلك، ويجعلون ظاهر بِرِّهِمَا رِياءً.

ثم وَعَدَ في آخر الآية بالغفران مع شرط الصلاح والأوبة [بعد الأوبة][٤] إلى طاعة الله.

واختلفت عبارة الناس في (الأوَّابِين):

فقالت فرقة: هم المصحلون، وقال ابن عباس: هم المسبِّحون[٥]، وقال أيضاً: هم

---

(١) في المطبوع: «وسَكَنَاتِهِ».

(٢) ضعيف بهذا اللفظ، أخرجه ابن قانع في معجمه (ص: ٧) من طريق زرارة بن أوفى، عن أبي مالك، عن النبي ﷺ، مرفوعاً به. وزرارة بن أوفى كثيراً ما يرسل عن الصحابة، ولم أجد من أثبت سماعه من أبي مالك، وقد رواه مسلم في صحيحه (٢٥٥١) بلفظ: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة».

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٢١) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، ولم يلقه.

(٤) ليس في المطبوع.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٢٢) من طريق أبي كدينة، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به، وعطاء هو ابن السائب، كان قد اختلط، والراوي عنه هو يحيى بن المهلب، أبو كدينة، =

المطيعون والمحسنون[١]، وقال ابن المنكدر: هم الذين يصلُّون بين المغرب والعشاء[٢]، وذلك أن رسول الله ﷺ سئل عن الصلاة في ذلك الوقت فقال: «تلك صلاة الأَوَّابين»[٣]، وقيل غير ذلك من المستغفرين ونحوه، قال عَوْن العَقِيليُّ: هم الذين يصلون صلاة الضحى[٤].

وحقيقة اللفظة أنها من: آبَ يَؤُوبُ إذا رَجَع، وهؤلاء كلهم لهم رجوع أبداً[٥] إلى طاعة الله تعالى، ولكنها لفظة لزم عرفها أهل الصلاح، قال ابن المسيب: هو العبد يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب[٦].

وفسَّر الجمهور «الأَوَّابين» بالرجَّاعين إلى الخير.

وقال ابن جبير: أراد بقوله: (غَفُوراً للأَوَّابِين) الزَّلَّة والفَلْتَة تكون من الرجل لأحد أبويه، وهو لم يُصِرَّ عليها بقلبه، ولا علمها اللَّهُ من نفسه[٧].

وقالت فرقة: «خَفْضُ الجناح» هو ألَّا يمتنع من شيءٍ يريدانه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

= ولم يذكر فيمن سمع منه قبل الاختلاط.

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٢٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٣)، وتفسير السمعاني (٣/ ٢٣٤).

(٣) ضعيف، أخرجه ابن عدي في كامله (٢/ ٢٠) من طريق بشير بن زاذان، عن عمر بن صبيح، عن نافع، عن ابن عمر، مرفوعاً به، وبشير بن زاذان هذا متفق على تضعيفه، ولما ترجم له ابن عدي في كامله (٢/ ٢٠) أورد حديثه هذا في مناكيره.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٣)، وتفسير السمعاني (٣/ ٢٣٤).

(٥) ليست في المطبوع.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٣).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٤) فقد ذكر عنه قال: «الراجعين إلى الخير».

اختلف المتأولون في ذي القُرْبَى:

فقال الجمهور: الآية وصيَّةٌ للناس كلهم بصلة قرابتهم، خوطب بذلك النبي ﷺ والمراد الأُمة، و(الْحَقُّ) في هذه الآية: ما يتعيَّن له من صلة الرَّحِم، وسَدِّ الخَلَّة، والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه، قال بنحو هذا الحسنُ، وعكرمة، وابن عباس[١]، وغيرهم.

وقال عليُّ بن الحسين في هذه: هم قرابة النبي ﷺ، أُمر رسول الله ﷺ بإعطائهم حقوقهم من بيت المال[٢]، والقول الأول أبين، ويعضده العطف بالمسكين وابن السبيل.

و(ابْنُ السَّبيل) هنا يعم الغني والفقير؛ إذْ لكل واحد منهما حق وإن اختلفا، وابنُ السبيل في آية الصدقة أخصُّ.

و«التَّبْذِيرُ»: إنفاق المال في إفساد، أو في سرف في مباح، وهو من البذر، ويحتمل قوله: ﴿ٱلْمُبَذِّرِينَ﴾ أن يكون اسم جنس، ويحتمل أن يعني أهل مكة مُعَيَّنين، وذكره النقاش[٣].

وقوله: ﴿إِخْوَٰنَ﴾ يعني: في حكمهم؛ إذ المبذِّر ساعٍ في فسادٍ، والشيطان أبداً ساعٍ في فسادٍ، والإخوان: جمع أخٍ من غير النسب، وقد يشذُّ، ومنه قوله تعالى في سورة النور: ﴿إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، والإخْوَةُ: جمع أخٍ في النسب، وقد يشذُّ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥١)، وفي تاريخه الكبير (١/ ٢٣٦) من طريق محمد بن أبي موسى، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به. ومحمد بن أبي موسى هذا أورده الذهبي في الميزان (٤/ ٥٠) وقال: لا يعرف.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٦)، والهداية لمكي (٦/ ٤١٨٢).

(٣) لم أقف عليه.

وقرأ الحسن، والضحاك: (إخوانَ الشَّيْطانِ) على الإفراد، وكذلك ثبت في مصحف أنس بن مالك[١].

ثم ذكر تعالى كُفْر الشيطان؛ ليقع التحذير من التَّشَبُّه به في الإفساد مستوعباً بَيِّناً.

وقوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ الآية؛ الضمير في ﴿عَنْهُمُ﴾ عائد على مَن تقدم ذكره من المساكين وبني السبيل، فأمر الله تعالى نبيَّه ﷺ في هذه الآية إذا سأله منهم أحدٌ فلم يجد عنده ما يعطيه، فقابله رسولُ الله ﷺ بالإعراض تأَدُّباً منه في أن يردَّه تصريحاً، وانتظاراً لرزق من الله تعالى يأتي فيُعطي منه أن يكون يُؤنسه بالقول الميسور، وهو الذي فيه الترجية بفضل الله، والتأنيس بالميعاد الحسن، والدعاءُ في توسعة الله وعطائه.

ورُوي: أنه ﷺ كان يقول بعد نزول هذه الآية إذا لم يكن عنده ما يُعطي: «يرزقنا الله وإياكم من فضله»[٢]، فالرَّحمة على هذا التأويل: الرزقُ المنتظَرُ، وهذا قول ابن عباس[٣]، ومجاهد، وعكرمة.

وقال ابن زيد: الرَّحمة: الأجر والثواب[٤]، وإنما نزلت الآية في قومٍ[٥] كانوا يسألون رسول الله ﷺ فيأبى أن يعطيهم؛ لأنه كان يعلم منهم نفقة المال في فساد، فكان يعرض عنهم رغبة الأجر في منعهم؛ لئلا يعينَهم على فسادهم، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم قولاً ميسوراً يتضمن الدعاء في الفتح لهم والإصلاح[٦].

---

(١) فهي شاذة، نسبها للحسن في مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، والكامل للهذلي (ص: ٥٨٧)، وللكل في البحر المحيط (٧/ ٣٥).

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٣١) من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس، ولم يسمع منه، ولا من أحد من الصحابة.

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (١٧/ ٤٣١، ٤٣٢)، وانظر: الهداية لمكي (٦/ ٤١٨٥).

(٥) في الأصل: «يوم».

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٣٢) بإسناد صحيح إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، من قوله.

وقال بعض أهل التأويل الأول: نزلت الآية في عمّار بن ياسر وصنفه[١].

و«المَيْسُورُ»: مفعولٌ من لفظة اليُسْرِ، تقول: يَسَّرْتُ لك كذا: إذا أعدَدْتَه.

وقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ ﴾ الآية؛ رُوي عن قالون: (كلَّ البَصْطِ) بالصاد، ورواه الأعشى عن أبي بكر[٢].

واستعير لليد المقبوضة جملةً عن الإنفاق المتَّصِفَةِ بالبخل الغَلُّ إلى العنق، واستعير لليد التي تستنفد جميع ما عندها غايةُ البسط، ضد الغَلِّ، وكل هذا في إنفاق الخير، وأما إنفاق الفساد فقليله وكثيره حرام.

وهذه الآية ينظر إليها قول النبي ﷺ: «مَثَل البخيل والمتصدق...» الحديث بكماله[٣].

والملامة هنا لاحقة ممن يطلب من المستحقين فلا يجد ما يُعطى.

و«المَحْسُورُ»: الـمُنفَه[٤] الذي قد استنفدت[٥] قُوَّتُه، تقول: حَسَـرْتُ البعير: إذا أَتْعَبْتَهُ حتَّى لم تبق له قوة، فهو حسير، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]

لَهُنَّ الْوَجَالِمْ كُنَّ عَوْناً على السُّرَى ... ولا زَال مِنْهَـا ظَالِـعٌ وَحَسِـيرٌ[٦]

ومنه: البصر الحسير، وهو الكالُّ.

---

(١) لم أقف عليه مسنداً.

(٢) ليست من التيسير، بل هي رواية أحمد بن صالح عن قالون، والشموني عن الأعشى عن شعبة كما في جامع البيان (٣/ ١٠٢٤)، وفي المطبوع والإماراتية ونجيبويه: «الأعمش»، بدل «الأعشى».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (١٠٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٤) في المطبوع: «المقعد»، وفي نجيبويه: «المنفد».

(٥) في المطبوع: «استُنْفِذت»، وفي فيض الله: «استنفرت».

(٦) البيت بلا نسبة في الكامل للمبرد (٢/ ٢١٢).

وقال ابن جريج وغيره في معنى هذه الآية: لا تُمْسك عن النفقة فيما أمرتك به من الحق، ولا / تبسطها كلَّ البسط فيما نهيتك عنه، وقال قتادة: التبذيرُ: النَّـفَقَةُ في معصية الله[١]، وقال مجاهد: لو أنفق الإنسانُ ماله كلَّه في حق لم يكن تبذيراً، ولو أنفق مُدّاً في باطل كان تبذيراً[٢]. [٣/ ١٦٨]

قال القاضي أبو محمد: وهذا فيه نظر، ولا بعض[٣] البَسْط معنى لم يُبح فيما نهي عنه، ولا يقال في المعصية: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ﴾، وإنما يُقَال: ولا تُنفق ولو باقتصادٍ وقَوام، ولله درُّ ابن عباس، وابن مسعود فإنَّهما قَالا: التبذير: الإنفاق في غير حق[٤]، فهذه عبارة تَعُمُّ المعصية والسَّرف في المباح، وإنما نهت[٥] هذه الآية عن استفراغ الجهد فيما يطرأُ أولاً من سؤال المؤمنين؛ لِئَلَّا يبقى من يأْتي بعد ذلك لا شيءَ له، أو لِئَلَّا يُضَيِّع المنفقُ عيالاً، ونحوُه من كلام الحكمة: ما رأَيتُ قطُّ سَرَفاً إلَّا ومعه حقٌّ مضيَّع[٦].

وهذه من آيات فقه الحال، ولا يبين حكمها إلَّا باعتبار شخص شخص[٧] من الناس.

وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ﴾ المعنى: كن أنت يا محمد على ما رسم لك من الاقتصاد وإنفاق القَوام، ولا يهمنك فقر مَن تراه كذلك، فإنه بِمَرْأىً من الله ومَسْمَع، وبمشيئة.

﴿وَيَقْدِرُ ﴾ معناه: ويُضَيِّق.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٧/ ٤٣٥)، والهداية لمكي (٦/ ٤١٨٦).

(٢) انظره في تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٩)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٩٦).

(٣) في المطبوع: «يُعطي».

(٤) أثر ابن مسعود أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٤٤)، والطبري (١٧/ ٤٢٨) من طرق صحيحة، عن أبي العبيدين، عن ابن مسعود رضي الله عنه، به. وأبو العبيدين، هو معاوية بن سمرة، ثقة، انظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ١٧٣)، وأما أثر ابن عباس رضي الله عنه، فأخرجه الطبري (١٧/ ٤٢٩) بإسناد فيه الحسين بن داود، سنيد، وهو ضعيف الحديث، انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٢٣٦).

(٥) في المطبوع والإماراتية: «نبَّهت».

(٦) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٥١).

(٧) «شخص» الثانية ليست في المطبوع.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾؛ أيْ: يعلم مصلحة قوم في الفقر، ويعلم[١] مصلحة آخرين في الغنى.

وقال بعض المفسرين ـ وحكاه الطبري ـ: إن الآية إشارة إلى حال العرب التي كانت يُصلحها الفقر، وكانت إذا شبعت طغت وقتلت غيرها وأَغارتْ، وإذا كان الجوع والقحط شغلهم[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ٣١ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣﴾.

قرأ الأعمش، وابن وثاب: (ولا تُقَتِّلُوا) بتضعيف الفعل[٣].

وهذه الآية نهيٌ عن الوَأْد الذي كانت العرب تفعل، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ﴾ [التكوير: ٨]، ويقال: كان جهلهم يبلغ إلى أن يغذو[٤] واحدٌ منهم كلبه ويقتل ولده، و﴿خَشۡيَةَ﴾ نصب على المفعول من أجله، و«الإِمْـلَاقُ»: الفقر وعدم الملك[٥]، أَمْلَقَ الرجلُ: لم يبق له إلَّا الـمَلَقَاتُ، وهي الحجارة العظام المُلْس السُّودُ.

وقرأ الجمهور: ﴿خِطۡـٔٗا﴾ بكسر الخاء وسكون الطاء، وبالهمز والقصر، وقرأ ابن عامر: ﴿خَطَأً﴾ بفتح الخاء والطاء والهمزة مقصورة، وهي قراءة أبي جعفر[٦]،

---

(١) «يعلم» من المطبوع ونجيبويه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٣٥ و٤٣٦)، فقد ذكره من قول ابن زيد.

(٣) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (٧/ ٤٣٩).

(٤) في المطبوع: «يعزّ».

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «المال».

(٦) وهما سبعيتان، وكذلك قراءة ابن كثير الآتية، انظر: التيسير (ص: ١٣٩)، والسبعة (ص: ٣٨٠)، والنشر (٢/ ٣٠٧).

وهاتان قراءتان مأخوذتان من: خَطِئَ إذا أتى الذنبَ على عمد، فهي: كحِذْر وحَذَر، ومِثْل ومَثَل، وشِبْه وَشَبَه اسم ومصدر، ومنه قول الشاعر:

الـخِـطْءُ فَـاحِـشَـةٌ والبِـرُّ نَـافـلَـةٌ كَعَجْوَةٍ غُرسَتْ في الأَرْض تُؤْتَبَـرُ[١] [البسيط]

قال الزجاج: يقال خَطِئ الرجلُ يَخْطَأُ خِطْئاً، مثل: أَثِمَ يَأْثَمُ إثْماً، فهذا هو المصدر، وخَطَأٌ اسمٌ منه[٢].

وقال بعض العلماء: خَطِئ معناه: واقعَ الذنبَ عامداً[٣]، [ومنه قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٧٣]][٤]، وأخطأ: إذا واقع الذنبَ عن غير تعمُّد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة: ٢٨٦].

وقال أبو علي الفارسي: قد يقع هذا موضع هذا، وهذا موضع هذا، فأخطأ بمعنى: تعمَّد في قول الشاعر:

عِـبَـادُكَ يُـخْـطِـئُـونَ وَأَنْـتَ رَبٌّ كَـرِيـمٌ لا يَـلِـيـقُ بـكَ الـذُّمُـومُ[٥] [الوافر]

وخطئ بمعنى لم يتعمد في قول الآخر:

والنَّـاسُ يَلْحُـوْنَ الأَميـرَ إذا هُـمُ خَطِئُوا الصَّوَابَ وَلا يُلامُ الـمُرْشِـدُ[٦] [الكامل]

وقد رُوي عن ابن عامر[٧]: (خَطْأً) بفتح الخاء وسكون الطاء وهمزة.

وقرأ ابن كثير: ﴿خِطَاءً﴾ بكسر الخاء وفتح الطاء ومدِّ الهمزة، وهي قراءة الأعرج

---

(١) بلا نسبة في تفسير الطبري (١٧/ ٤٣٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٣٦).

(٣) في المطبوع: «مع التعمد».

(٤) ما بين القوسين ليس في المطبوع، وليس في نور العثمانية إلى: «قوله تعالى».

(٥) البيت لأمية بن أبي الصلت كما في تفسير الطبري (١٦/ ٦١)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٢٠٢)، والمحتسب (٢/ ٢٠).

(٦) البيت لعبيد بن الأبرص كما في المحتسب (٢/ ٢٠)، وانظر الحجة للفارسي (٥/ ٩٧).

(٧) في المطبوع: ابن عباس رضي الله عنه، وليست من طرق التيسير، وقد نقلها عنه في المحتسب (٢/ ١٩).

بخلاف وطلحة، وشبل، والأعمش، وعيسى، وخالد بن إلياس، وقتادة، والحسن بخلاف عنه[١].

قال النحاس: ولا أعرف لهذه القراءة وجهاً[٢]، وكذلك جعلها أبو حاتم غَلَطاً[٣].

قال أبو علي الفارسي: هي مصدر خاطأ يخاطئ، وإن كنَّا لم نجد خاطَأ، ولكنا وجدنا تخاطأ، وهو مضارع خاطأ، فَدَلَّنا عليه، ومنه قول الشاعر:

[المتقارب] تَـخَـطـأَتِ الـنَّـبْـلُ أَحْـشَـاءَهُ ... وَوخَّـرَ يَـوْمِـي فَلَمْ أَعْـجَـلِ[٤]

وقال الآخر في صفة كمأة:

[الطويل] تَـخَاطَأَهُ الْـقَـنَّـاصُ حَـتَّى وَجَـدْتُهُ ... وَخُرطُومُهُ في مِنْقَعِ الْـمَاءِ رَاسِبُ[٥]

فكأن هؤلاء الذين يقتلون أولادهم يخاطئون الحق والعدل[٦].

وقرأ الحسن فيما رُوي عنه: (خَطَاءً) بفتح الخاء والطاء والمدِّ في الهمزة.

قال أبو حاتم: لا يُعْرفُ هذا في اللغة، وهي غلط غير جائز، وليس كما قال أبو حاتم، قال أبو الفتح: الخَطَاءُ من «أَخْطَأْتُ» بمنزلة العَطَاءِ من أعطَيتُ، هو اسمٌ بمعنى المصدر[٧].

---

(١) تقدم أنها سبعية.

(٢) لفظه في معاني القرآن (٤/ ١٤٨): فأما من قرأ كان (خطاءً) بالكسر والمد، والفتح والمد فلا يعرف في اللغة، ولا في كلام العرب.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) هذا بيت قاله أَوْفَى بن مَطَر المازني كما في سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (١/ ٤٦٥)، وفي المطبوع: «وأَخَّر».

(٥) أنشده مع بيت آخر قبله في الحجة (٥/ ٧٩) عن محمد بن السري، وفي محاضرات الأدباء (٢/ ٦١٢) أنه لرجل من بني بكر.

(٦) الحجة للفارسي (٥/ ٧٩).

(٧) والقراءة شاذة، انظرها مع تضعيف أبي حاتم، ورد ابن جني عليه في المحتسب (٢/ ١٩).

وقرأ الحسن بخلاف: (خَطاً) بفتح الخاء والطاءِ مُنَوَّنةً من غير همْز، وقرأ أبو رجاءٍ، والزهري: (خِطاً) بكسر الخاءِ وفتح الطاءِ كالتي قبلها[١]، وهاتان مخففتان من: خَطَأٍ وخِطأٍ.

وقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ تحريم، والزنى يُمَدُّ ويُقصر، فمِنْ قصْرِهِ الآية، وهي لغة جميع كتاب الله، ومِنْ مَدِّه قول الفرزدق:

أَبَا حَازِمٍ مَنْ يَزْنِ يُعْرَفْ زِنَاؤُهُ وَمَنْ يَشْرَبِ الْخُرْطُومَ يُصْبِحْ مُسَكَّرَا[٢] [الطويل]

ويُرْوى: أبا خالد.

و«الفَاحشة»: ما يُستتر به من المعاصي لقبحه.

و﴿سَبِيلًا﴾ نصب على التمييز، والتقدير: وسَاءَ سبيلُه سبيلاً؛ أي: لأنه يؤدي إلى النار.

وقوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ﴾ وما تقدم قبله من الأفعال جزم بالنهي.

وذهب الطبري إلى أنها عطف على قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ ﴾[٣]، والأول أصوب، وأبرع للمعنى.

والألف واللام التي في ﴿ٱلنَّفْسَ﴾ هي للجنس، و(الحَقّ) الذي تقتل به النفس هو ما فسَّره النبي ﷺ في قوله: «لا يُحِلُّ دمَ المسلم إلَّا إحدى ثلاث خصال: كفرٌ بعد إيمان، أو زِنىً بعد إحصان، أو قتلُ نفسٍ أُخرى»[٤].

وتتصل بهذه أشياءُ هي / راجعة إليها، فمنها قَطْعُ الطريق؛ لأنه في معنى قتل [٣/ ١٦٩]

---

(١) وهما شاذتان، انظر عزوهما لهم في المحتسب (٢/ ٢٠).

(٢) عزاه له في مجاز القرآن (١/ ٣٧٧)، والصحاح (٢/ ٦٨٨)، والمقاييس (٣/ ٢٦)، بلفظ: «أبا حاضر»، وفي المخصص (٥/ ١٥): «خالد».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٣٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٧٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مرفوعاً بنحوه، وفي أحمد٣: «بغير حق».

النفس، وهي الحِرَابَة[١]، ومن ذلك الزندقة[٢]، ومسألة ترك الصلاة لأنها في معنى الكفر بعد الإيمان[٣]، ومنه قَتْلُ أبي بكر رضي الله عنه مَنَعَةَ الزكاة[٤]، وقتلُ مَن امتنع في المدن من فروض الكفاية[٥].

وقوله: ﴿مَظْلُومًا﴾ نصب على الحال، ومعناه: بغير هذه الوجوه المذكورة.

و«الْوَلِيُّ»: القائم بالدَّم وهو من وَلَدَ المَيِّتَ، أَوْ وَلَدَهُ الْمَيِّتُ، أَوْ جَمَعَهُ وإياه أبٌ، ولا مدخل للنساءِ في ولاية الدم عند جماعة من العلماء[٦]، ولـهُنَّ ذلك عند أخرى[٧].

و«السُّلْطَانُ»: الحجة، والملك الذي جعل الله إليه من التَّخيير في قبول الديَة أو العفو، قاله ابن عباس[٨] والضحاك، وقال قتادة: السلطانُ: القود[٩].

وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ بالياء، وهي قراءة الجمهور؛ أي الوليُّ لا يتعدَّ أمرَ الله، والتَّعدِّي هو أن يقتل غير قاتل وَلِيِّه من سائر القبيل، أو يقتل اثنين بواحد، وغير ذلك من وجوه التعدي، وهذا كله كانت العرب تفعله، فلذلك

---

(١) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٤/ ١٩١٨-١٩١٩).
(٢) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٤/ ١٩٣١).
(٣) هذا إذا تركها جاحداً لها اتفاقاً، وكذا إذا تركها كسلًا أو تهاوناً عند الأئمة الثلاثة، وقال أبو حنيفة والزهري وجماعة: يحبس ويضرب حتى يصلي، انظر المغني لابن قدامة (٢/ ١٥٦)، وبداية المجتهد (١/ ٩٠)، ومنهاج الطالبين (٣/ ١٦-١٧)، وحاشية ابن عابدين (١/ ٢٤٨).
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٨٥٥) ومسلم (٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) انظر في ذلك: حاشية الدسوقي (١/ ٣١٩)، والمغني (٢/ ١١١)، وفتح الباري لابن حجر (٢/ ١٢٦).
(٦) وهو قول مالك وأصحابه، وربيعة والليث والأوزاعي، انظر: الكافي (٢/ ١١٠١)، والأوسط (١٣/ ١١٥).
(٧) وهو قول الشافعي وأحمد والثوري وجماعة، وروي عن مالك، انظر: الأم (٦/ ٢٢)، والإنصاف (٩/ ٤٨١)، والأوسط (١٣/ ١١٤).
(٨) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
(٩) انظر قول قتادة والضحاك في تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٠)، وتفسير السمعاني (٣/ ٢٣٨).

وقع التحذير منه، وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ من أَعْتَى[١] الناس [على الله][٢] ثلاثة: رجل قتل غير قاتل وليّه، أو قتل بذَحْل[٣] الجاهلية، أو قتل في حَرَم الله»[٤].

وقالت فرقة: المراد بقوله: ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ القاتلُ الذي يتضمنه الكلام، والمعنى: فلا يكن أحد من المسرفين بأن يقتل نفساً، فإنه يحصل في ثقاف[٥] هذا الحكم.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿فلا تُسْرِفْ في القَتلِ﴾ بالتاء من فوق، وهي قراءة حذيفة، ويحيى بن وثاب، ومجاهد بخلاف، والأعمش، وجماعة[٦].

قال الطبريُّ: على معنى الخطاب للنبي ﷺ والأئمة[٧] بعده؛ أي: فلا تقتلوا غيرَ القاتلِ[٨].

قال القاضي أبو محمد: يصحُّ أن يراد به الوليُّ؛ أي: فلا تسرف أيها الوليُّ في قتل أحد يتحصل في هذا الحكم[٩].

---

(١) في أحمد٣: «أجرأ» مع الإشارة إلى النسخة الأخرى، وفي فيض الله: «أغنى الناس عن الله».

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) في المطبوع: «بدخن»، قال في الحاشية: «والدخن الفساد»، والصواب: «الذحل»، وهو الثأر والعداوة.

(٤) مختلف في الاحتجاج بإسناده، أخرجه الإمام أحمد (١١/ ٢٦٤، ٣٧٠) من طريقين صحيحين، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، مرفوعاً به. ونسخة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مختلف في الاحتجاج بها.

(٥) في المطبوع: «سياق».

(٦) انظر: التيسير (ص: ١٤٠)، والنشر (٢/ ٣٠٧)، إلا أن قراءة ابن عامر بالتاء ليست في شيء من طرقهم، وأشار في البحر المحيط (٧/ ٤٥) إلى أن نسبتها لابن عامر في نسخة من ابن عطية ووهَّمها، ولعله لم يقف على نقل ابن مجاهد لها عنه في السبعة وجهاً واحداً (ص: ٣٨٠)، وتابعه أبو علي في الحجة (٥/ ٩٩)، والأزهري في معاني القراءات (٢/ ٩٤)، وهي رواية التغلبي عن ابن ذكوان عنه كما في جامع البيان (٣/ ١٢٨٤) والكامل للهذلي (ص: ٥٨٧)، والنقاش عن ابن ذكوان كما في تفسير النيسابوري (٤/ ٣٣٧).

(٧) في المطبوع: «ولأمته».

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٤١) وليس هذا قول الطبري، بل حكاه فيها أحد ثلاثة أقوال، انظرها فيه.

(٩) هذا مما حكاه الطبري في التفسير (١٧/ ٤٤١)، وجعله من الأوجه الصحيحة للآية.

وقرأ أبو مسلم السَّراج صاحب الدعوة العباسية[١]: (فلا يُسرِفُ) بالياء [وضم الفاء][٢] على معنى الخبر، لا على معنى النهي، والمراد على هذا التأويل: الوليُّ فقط، وفي الاحتجاج بأبي مسلم في القراءة نظر[٣].

وفي قراءة أُبي بن كعب: (فلا تُسرفوا في القتْل إنَّ وليَّ المقتول كان منصوراً)[٤].

والضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائد على الوليِّ، وقيل: على المقتول، وهو عندي أرجح الأقوال؛ لأنه المظلوم، ولفظة النصر تقابل أبداً الظلم، كقوله ﷺ: «وَنَصْرِ المظلومِ، وإِبْرَار القَسَمِ»[٥]، وكقوله ﷺ: «انصُـرْ أخاك ظالماً، أو مظلوماً»[٦]، إلى كثير من الأمثلة. وقيل: على القتل.

وقال أبو عبيد[٧]: على القاتل؛ لأنه إذا قُتلَ في الدنيا، وخلص بذلك من عذاب الآخرة فقد نُصر[٨]، وهذا ضعيف بعيد المقصد.

وقال الضحاك: هذه أول ما نزل من القرآن بشأن القتل، وهي مكِّـيَّة[٩].

---

(١) هو أبو مسلم الخراساني، عبد الرحمن بن مسلم، كان فصيحاً بالعربية والفارسية، وفارساً، داهية، حازماً، وهو صاحب الفضل في قيام الدولة العباسية، قتله المنصور سنة (١٣٧هـ)، تاريخ الإسلام (٨/ ٥٨١)، قال في حاشية المطبوع: وفي هامش النسخة التونسية بالخط الكبير أَمَامَ قوله: أبو مسلم السَّراج عنوان كبير يقول: أبو مسلم الخراساني، وقال الزمخشري: «أبو مسلم صاحب الدولة».

(٢) ليست في الأصل، وأثبتت من النسخ الأخرى، وعكسها بالياء.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٢٠)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٦٦٤).

(٤) وهي شاذة، انظر الهداية لمكي (٦/ ٤٢٠١)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٦٦٥)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢١٧).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٨٢)، ومسلم (٢٠٦٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٦) أخرجه البخاري (٢٣١٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٧) في المطبوع: «عبدة»، وفي نجيبويه وفيض الله والإماراتية ونور العثمانية: «عبيدة».

(٨) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٤٣١)، وفيه: «أبو عبيد».

(٩) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٢)، تفسير الثعلبي (٦/ ٩٧).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

الخطاب في هذه الآية للأوصياء الذين هم مُعَدُّونَ لقُرْبِ مال اليتامى، ثم هي لمن تَلَبَّسَ بشيءٍ من أمْرهم من غير وصيٍّ.

و﴿ٱلْيَتِيمِ﴾: الفَرْدُ من الأبناء، و«اليُتْمُ»: الانفراد، يقال: يتَمَ الصبيُّ يَيْتَم: إذا فقد أباه، وقال ابن السكيت: اليُتْمُ في البشر من قِبَلِ الأب، وفي البهائم من قِبَلِ الأُم، وفي كتاب الماوردي: إنَّ اليُتْمَ في البشر من قِبَلِ الأُم أيضاً[1]، وجمعه: أَيْتام، كشَـرِيف وأَشْراف، وشَهِيد وأَشْهاد، ويُجمع يَتَامَى كأَسِير وأَسَارَى، كأَنها من الأمور المكروهة التي تدخل على المرء غلبة، قال ابن سيده: وحكى ابن الأعرابي: يَتْمَان في يتيم[2]، وأنشد في ذلك:

فَبِـتُّ أُشَـوِّي صِبْيَتِـي وَحَلِيلَتِـي ... طَرِيّاً وجرْوُ الذِّئْبِ يَتْمَانُ جَائِعُ[3] [الطويل]

ويجوز أن يكون يَتَامَى جمعَ يَتْمان، وفي الحديث: «لا يُتْمَ بعدَ حُلُمٍ»[4].

---

(١) تقدم التعليق عليه، ومثله عنه في تفسير ابن كثير (١/ ٣١٧)، وتفسير القرطبي (٢/ ١٤).

(٢) المحكم لابن سيده (٩/ ٥٢٩).

(٣) البيت لأبي العارم الكلابي، كما في المحكم (٩/ ٥٢٩)، و(أُشَوِّي): أُطعم الشِّواء، و(جَرْوُ الذئب): صغيره.

(٤) ضعيف جداً، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٣٩) من طريق جويبر، عن الضحاك، عن النزال ابن سبرة، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مرفوعاً به. وجويبر هو ابن سعيد الأزدي، متروك الحديث، وقد استنكر علي بن المديني، وغيره حديثه هذا عليه، انظر: تهذيب الكمال (٥/ ١٦٧)، وأخرجه ابن عدي (٢/ ٤٤٧) من طريق حرام بن عثمان، عن عبد الرحمن ومحمد وأبي عتيق، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، مرفوعاً به. وحرام هذا متروك الحديث، انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٤٦٨).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ يريد: إلَّا بأحسن الحالات.

قال القاضي أبو محمد: وذلك في الوصيِّ الغنِيِّ، أن يُثَمِّر المال ويحوطه، ولا يمس[١] منه شيئاً على جهة الانتفاع به، هذا هو [الورع والأولى، إلا أن يكون يشتغل في مال اليتيم ويشحُّ، فله بالفقه][٢] أن تُفرَض له أُجرةٌ[٣].

وأمَّا الوصي الفقير الذي يشغله مال اليتيم عن معاشه، فاختلف الناسُ في أكله منه بالمعروف، كيف هو؟:

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يتسَلَّف منه، فإذا أَيْسَرَ ردَّ فيه[٤].

وقال ابن المسيَّب: لا يشرب الماء من مال اليتيم، قيل: فما معنى: ﴿فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾[النساء: ٦]، قال: إنما ذلك لخدمته، وغسل ثوبه[٥].

وقال مجاهد: لا يَقْرَبُ إلا بتجارة، ولا يستقرض منه[٦]، قال: وقوله تعالى: ﴿فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ معناه: من مال نفسه، وقال أبو يوسف: لعلَّ قوله: ﴿فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ منسوخٌ بقوله: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨][٧].

وقال ابن عباس: يأكل منه الشَّرْبَة من اللَّبن، والطُّرْفة من الفاكهة، ونحو هذا مما

---

(١) في المطبوع: «يحبس».

(٢) في المطبوع بدلًا منه: «الورع، والأولى ألا يكون يشتغل في مال اليتيم ويشح عليه فالفقه إلخ».

(٣) نقل ابن رشد هذا القول في البيان والتحصيل (١٢/ ٤٥٧) بصيغة التمريض دون أن ينسبه لقائل معين.

(٤) في إسناده مقال، الأثر أخرجه الطبري (٧/ ٥٨٢)، وابن المنذر (٢/ ٥٧٤) في تفسيرهما من طريق أبي إسحاق السَّبِيعي، عن حارثة بن مضرب، عن عمر رضي الله عنه، به. وأبو إسحاق قد عنعنه، ولا يعرف سماع حارثة من عمر، وانظر: الأوسط (٨/ ١٦٩).

(٥) انظر قول ابن المسيب في تفسير السمعاني (٣/ ٢٤٠)، وليس فيه ذكر السؤال وجوابه.

(٦) انظر قول مجاهد في تفسير القرطبي (٥/ ٤٢).

(٧) انظر قول أبي يوسف في أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٣٥٩-٣٦٠).

يخدمه، ويلطُّ[1] الحوض، ويجُذُّ النَّخل، ويَنْشُد الضَّالَّة، فيأكل غير مُضرٍّ بِنَسْل، ولا ناهِك في الحلب[2].

وقال زيد بن أسلم: يأكل منه بأطراف أصابعه بُلْغَةً من العيش بتَعَبِهِ[3].

قال القاضي أبو محمد: وهذه استعارة للتَّقَلُّل، وقال مالك رحمه الله، وغيره: يأخذ منه أجرة بقدر تعبه[4]، فهذه كلُّها تدخل فيما هو أَحْسَن.

وكمال تفسير هذه المعاني في سورة النساء بحسب ألفاظ تلك الآيات، وفي الخبر عن قتادة: أن هذه الآية لما نزلت شَقَّت على المسلمين، وتجنبوا الأكل معهم في صحفة ونحوه[5]، فنزلت: / ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠][6].

وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ غايةُ الإمساك عن مال اليتيم، ثم ما[7] بعد الغاية قد بينته[8] آية أُخرى، وما بعد هذه الغايات أبداً موقوف حتى يقوم فيه دليل شرعي، أو يقتضي ذلك الإنصاف في النازلة.

ومثل هذا قول عائشة رضي الله عنها: أنا فَـتَلْتُ قلائدَ هَدْي رسول الله ﷺ بيدي، وبعثت بها، فلم يحرم على رسول الله ﷺ شيءٌ أحلَّه اللهُ له حتَّى نحرَ الهَدْيَ[9].

---

(١) في المطبوع: ويَلُوط، ومنه في القاموس المحيط (ص: ٦٨٦): لاطَ الحوضَ: طيَّنه، ومن الأول حديث: «تلطُّ حوضها»، قال في تاج العروس (٢٠/ ٦٧): تلصقه بالطين حتى تسد خلله.

(٢) منقطع، أخرجه الطبري (٤/ ٣٥٣) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، ولم يلقه.

(٣) انظر قول زيد بن أسلم في: تفسير الطبري (٧/ ٥٩٣)، وتفسير القرطبي (٥/ ٤٢-٤٣).

(٤) انظر قول مالك في: البيان والتحصيل (١٢/ ٤٥٧)، وهو أيضاً قول عطاء كما في تفسير الماوردي (١/ ٤٥٤).

(٥) ليست في المطبوع، وفي أحمد٣: «واحدة».

(٦) لم أقف على تخريج سبب نزول الآية هذا.

(٧) ليست في المطبوع.

(٨) في المطبوع: «سنَّتُهُ».

(٩) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٦٠٩)، ومسلم (١٣٢١)، من حديث عائشة رضي الله عنها، به.

و«الأشُدّ»: جمع (شَدٍّ) عند سيبويه، وقال أبو عبيدة: لا واحدَ له من لفظه[١]، ومعناها: قُوَاهُ في العقل والتجربة والنظر لنفسه، وذلك لا يكون إلَّا مع البلوغ، فالأَشُدُّ في مذهب مالك أمران[٢]: البلوغ بالاحتلام، أو ما يقوم مقامه حسب الخِلاف في ذلك، والرُّشدُ في المال)[٣].

واختلف هل من شروط ذلك الرُّشد في الدِّين؟ على قولين: فابن القاسم لا يراعيه إذا كان ضابطاً لماله، وراعاه غيره من أصحاب مالك[٤]، ومذهبُ أبي حنيفة: أن الأشُدَّ هو البلوغ فقط، فلا حجر عنده على بالغ إلَّا أن يعرف منه السَّفَه[٥].

قال القاضي أبو محمد: ولستُ من هذا التقييد في قوله على ثقة.

وقال أبو إسحاق الزَّجاج: الأشُدُّ في قولٍ: أن يأتي على الصبي ثماني عشرة سنة[٦]، وإنما أراد أنه بعض ما قيل في حدِّ البلوغ لمن لا يحتلم، وأمَّا أن يكون بالغ رشيد تقي[٧] فلا يدفع إليه مالُه حتَّى يبلغ هذه المدَّة فَشَيْءٌ لا أحفظُ مَن يقوله.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلۡعَهۡدِ﴾لفظ عام لكل عهد وعقد بين الإنسان وبين ربه، أو بينه وبين المخلوقين في طاعة، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾؛ أي: مطلوباً ممن عُهِد إليه، أو عُوهِد، هل وفَّى به أم لا؟

وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾ الآية؛ أمر الله تعالى في هذه الآية أهل التَّجر والوزن والكيل أن يعطوا الحق في كيلهم ووزنهم، ورُوي عن ابن عباس: أنه كان يقف

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٩٩).

(٢) في المطبوع: «إقران».

(٣) انظر في ذلك: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٢٢-١٢٣)، والبيان والتحصيل (١٨/ ٣٥٨).

(٤) انظر قول ابن القاسم وقول غيره من أصحاب مالك في: النوادر (١١/ ٣١٢).

(٥) انظر مذهب أبي حنيفة في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢١٥)، وكتبت في المطبوع: «السفة».

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٣٨).

(٧) ليست في المطبوع، وفيه: «بالغاً رشيداً»، بالنصب.

في السوق ويقول: يا معشر الموالي، إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم، هذا المكيال، وهذا الميزان[١].

قال القاضي أبو محمد: وتقتضي هذه الآية أن الكيل على البائع؛ لأن المشتري لا يقال له: (أَوْفِ الكيلَ)، هذا هو ظاهر اللفظ، والسابق منه.

و(القِسْطَاسُ) قال الحسن: هو القَبَّان، ويقال فيه: القَفَّان، وهو الفلسطون[٢]، ويقال: القرسطون[٣]، وقيل: القِسْطَاسُ: الميزان كان صغيراً أو كبيراً، وقال مجاهد: القِسْطاسُ: العَدْلُ، وكان يقول: هي لغة رومية، فكأَنَّ الناسَ قيل لهم: زنُوا بمَعدِلةٍ في وزنكم[٤].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿بالقُسْطَاسِ﴾ بضم القاف.

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾، بكسر القاف[٥].

وهما لغتان، واللفظة منه للمبالغة من القِسْط، والمراد بها في الآية جنس الموازين العدْلة على أي صفة كانت.

قال أبو حاتم: إنَّما قرأ بكسر القاف أهلُ الكوفة، وكلُّ قراءة لا تجاوز الكوفة إلى الحرمين والبصرة فاقرأ بغيرها.

وقرأت فرقة: (بِالْقِصْطَاسِ) بالصاد[٦].

---

(١) منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤٦) من طريق قتادة، قال: أُخبِرت أن ابن عباس قال:...فذكره.

(٢) في المطبوع: «القاسْطُون»، وفي الأصل: «الفلسطون».

(٣) في المطبوع: «القَرْطَسُون».

(٤) انظر قول الحسن ومجاهد في تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٥)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٩٨).

(٥) انظر: التيسير (ص: ١٤٠)، والسبعة (ص: ٣٨٠).

(٦) هي رواية الأعشى عن شعبة كما في جامع البيان (٣/ ١٠٢٤)، وزاد الشموني عنه، والكامل للهذلي (ص: ٥٠٧)، وزاد أنها رواية عن قنبل، وعزاها مكي في الهداية (٦/ ٤١٩٩) للأعمش عن أبي بكر.

وكان مذهب مجاهد في هذا، وفي ميزان القيامة، وكل ذلك، أنها استعاراتٌ للعدل[١]، وقوله: (ميزان القيامة) مردودٌ، وعقيدة أهل السُّنَّة أنه ميزان له عَمودٌ وكِفَّتان[٢].

وسمعت أبي رضي الله عنه يقول: رأيت الواعظ أبا الفضل بن الجوهري في جامع عمرو بن العاص يعظ الناسَ في الوزن، فقال في جملة كلامه: إنَّ في هيئة اليد بالميزان عظةً، وذلك أن الأصابع تجيءُ منها صورة المكتوبة[٣]: ألِفٌ ولامان وهاءٌ، فكأن الميزان يقول: الله الله، وهذا وعظٌ جميلٌ.

و«التَّأْويلُ» في هذه الآية: المآلُ، قاله قتادة[٤]، ويحتمل أن يكون (التَّأْويلُ) مصدرَ تأوَّل؛ أي: يتأول عليكم الخير في جميع أموركم إذا أحسنتم في الكيل والوزن.

والفرض[٥] من أمر[٦] الكيل والوزن تحرِّي الحق، فإن غلب الإنسان بعد تَحَرِّيه لشيء يسير من تطفيف شاذّاً[٧] لم يقصده، فذلك[٨] نزرٌ موضوعٌ عنه إثْمُه، وذلك ما لا يكون الانفكاك عنه في وُسْعٍ.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ معناه: وَلَا تَقُلْ ولا تَتَّبِعْ، لكنها لفظة تستعمل في القذف والعَضْه[٩]، ومنه قول النبي ﷺ: «نحن بنو النضر لا نَقْفُو أُمَّنَا، ولا ننتفي من أبينا»[١٠]،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٠٩)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢١٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/ ١٢٢) (١٧/ ٣٣)، معاني القرآن للنحاس (٣/ ١١)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١١٢)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٠١).

(٣) أي: لفظ الجلالة.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٠٦)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٧٦٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٢٤)، وتفسير الماوردي (١/ ٥٠٠).

(٥) في المطبوع: «والغرض»، وفي نور العثمانية: «العرض».

(٦) ليست في المطبوع، وفي نور العثمانية: «في أمر».

(٧) في المطبوع «شاذٍ أو لم»، بدل «شاذا ولم».

(٨) في الأصل: «بذلك».

(٩) في المطبوع: «والعظة»، وفي الحمزوية: «العضو».

(١٠) أخرجه الإمام أحمد (٣٦/ ١٦٠)، وابن ماجه (٢٦١٢) وغيرهما من طريق عقيل بن طلحة، =

وتقول: فلان قِفْوتي؛ أي: موضع تُهْمَتي، وتقول العرب[(١)]: رُبَّ سامِع عِذْرَتي، ولمْ يسْمَع قِفْوَتِي؛ أي: ما رُمِيتُ به، وهذا مثل للذي يُفْشي سرَّه ويعتذر من ذنب لم يسمعه المُعْتَذَرُ إليه، وقد قال ابن عباس أيضاً[(٢)]، ومجاهد: وَلا تَقْفُ: معناه: لا تَـرْمِ[(٣)]، ومن هذه اللفظة قول الشاعر:

ومِثْلُ الدُّمَى شُـمُّ العَرَانِينِ سَـاكِنٌ ... بِهِنَّ الْحَيَاءُ لا يُشِـعْنَ التَّـقَافِيَا[(٤)] [الطويل]

وقال الكميت:

وَلا أَرْمـي الْبَـرِيءَ بِغيْـرِ ذنْـب ... وَلَا أَقْفُـو الحواصِـنَ إنْ قُفِينَا[(٥)] [الوافر]

وأصل هذه اللفظة من اتِّـبَاع الأثر، تقول: قَفَوْتُ الأثر، ويُشْبِه أن هذا مأخوذ من (القَفَا)، ومنه قافية الشِّعر؛ لأنها تَقفُو البيتَ، وتقول: قُفْتُ الأثر، ومن هذا: هو القائف، وتقول: فقوت[(٦)] الأثر بتقديم الفاء على القاف، ويشبه أن يكون هذا من تلعُّب العرب في بعض الألفاظ، كما قالوا: (رَعَمْلِي) في (لَعَمْري)، وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت: قَفَا وقَافَ، مثل [عثا وعاث][(٧)]، فمعنى الآية: ولا تتبع لسانك من القول ما لا

= عن مسلم بن هيصم، عن الأشعث بن قيس رضي الله عنه، مرفوعاً به، ومسلم بن هيصم لم يوثق توثيقاً معتبراً، لكن أخرج له مسلم (١٧٣١) في المتابعات.

(١) ليست في المطبوع، وهي في الإماراتية ملحقة في الهامش.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٥٥).

(٤) البيت للنابغة الجعدي، كما في مجاز القرآن (١/ ٣٧٩)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٩٩)، والزاهر لابن الأنباري (١/ ٣٦٧).

(٥) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٦/ ٩٩)، وتفسير الزمخشري (٢/ ٦٦٦)، والحواصِنُ: العفائف، وفي الأصل: «الحواضن».

(٦) في المطبوع: «فُقْتُ».

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٨)، وفي المطبوع: «عَتَا وعاتَ».

علم لك به، وذهب مُنْذر بن سعيد إلى أن قفا وقاف مثل جَبَذَ وجَذَبَ[١]، فهذه الآية بالجملة تنهى عن قول الزُّور والقذف وما أشبه ذلك من الأقوال الكاذبة الرديئة.

وقرأ الجمهور: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾، وقرأ بعض الناس فيما حكى الكسائي: (ولا تَقُفْ) بضم القاف وسكون الفاء[٢].

[٣/ ١٧١] وقرأ الجراح: (وَالْفَوَادَ) بفتح / الفاء، وهي لغة، وأنكرها أبو حاتم وغيره[٣].

وعبَّر عن السَّمع والبصر والفؤاد بـ(أولئك)؛ لأنها حواسُّ لها إدراك، وجعلها في هذه الآية مسؤولة فهي حالة مَن يعقل، فلذلك عبَّر عنها بـ(أولَئِكَ)، وقد قال سيبويه رحمه الله في قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[يوسف: ٤][٤]: إنه إنما قال: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ في نجوم؛ لأنه لما وصفها بالسجود وهو مَن فعل من يعقل عبَّر عنها بكناية من يعقل.

وحكى الزجاج: أن العرب تعبِّر عما يعقل وعما لا يعقل بـ(أولئك)[٥]، وأنشد هو والطبري:

[الكامل] ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللِّوَى ... والْعَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الأَيَّامِ[٦]

فأمَّا حكاية أبي إسحاق عن اللغة فأَمْرٌ يوقف عنده، وأمَّا البيت فالرواية فيه (الأقوامِ).

والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يعود على ما ليس للإنسان به علمٌ، ويكون المعنى: إن

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) وهي شاذة، نقلها مكي في الهداية (٦/ ٤٢٠١) بلا ضبط، ونقلها جامع معاني القرآن للكسائي عن ابن عطية عنه (ص: ١٨٢).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، والمحتسب (٢/ ٢١).

(٤) انظر: الكتاب لسيبويه (٢/ ٤٧).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٣٩)، وفي المطبوع بدل أولئك: «بالإدراك»، وهو تصحيف.

(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٣٩)، وعزاه لجرير وكذا تفسير الثعلبي (٦/ ٩٩)، والمفصل في صنعة الإعراب (ص: ١٨٠)، والعقد الفريد (١/ ٣٣٩)، والمخصص (٤/ ٢٦٢).

الله تعالى يسأل سمع الإنسان وبصره وفؤاده عما قال مما لا علم له به، فيقع تكذيبه من جوارحه، وتلك غاية الخِزْي.

ويحتمل أن يعود الضمير في ﴿عَنْهُ﴾ على ﴿كُلُّ﴾ التي هي للسمع والبصر والفؤاد، والمعنى: إن الله تعالى يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده، فكأنه قال: كل هذه كان الإنسان عنه مسؤولاً؛ أي عمَّا حصل لهؤلاء من الإدراكات، ووقع منها من الخطايا، فالتقدير: عن أعمالها مسؤولاً، فهو على حذف مضاف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

قرأ الجمهور: ﴿مَرَحًا﴾ بفتح الراء، مصدرٌ من: مَرِحَ يَمْرَحُ إذَا تسيَّب[1] مسروراً بدنياه مقبلاً على راحته، فهذا هو المَرَحُ، فَنُهِيَ الإنسانُ في هذه الآية أن يكون مشيه في الأرض على هذا الوجه، ثم قيل له: إنك لن تقطع الأرض وتمسحها بمشيك، ولن تبلغ أطوال الجبال فتنالها طولاً، فإذا كنت لا تستوي في الأرض بمشيك فقصرُكَ[2] نفسَك على ما يوجبه الحقُّ من المشي والتَّصرف أَوْلى وأحقُّ.

وخوطب النبي ﷺ بهذه الآية والمراد الناسُ كلهم، وإقبال الإنسان على الصيد ونحوه تنزهاً دون حاجة إلى ذلك داخل في هذه الآية، وأما الرجل يستريح في اليوم النادر والساعة من يومه فيجمُّ فيها نفسه في التفرُّج والراحة ليستعينَ بذلك على شغل من البِرِّ كقراءة عِلْم أو صلاةٍ، فليس ذلك بداخل في هذه الآية.

---

(١) في المطبوع: «تَبَخْتَر»، وفي الأصل ونجيبويه: «تسبب».

(٢) كتبت في الأصل: «قبصرك»، وفي هامشه: «بقصرك» وعليها إشارة بحرف العين.

وقرأت فرقة فيما حكى يعقوب: (مَرِحاً) بكسر الراء على بناء اسم الفاعل[١]، وهذا المعنى يترتب على هذه القراءة، ولكن يحسُنُ معها معنى آخرُ ذكره الطبري مع القراءة الأُولى، وهو بهذه القراءة أَلْيَـق، وهو أن قوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ أراد به: إنك أيها المرح المختال الفخور لا تخرق الأرض، ولا تطاول الجبال بفخرك وكبرك[٢]، وذهب بالألفاظ إلى هذا المعنى، ويحسن ذلك مع القراءة بكسر الراء من المرح؛ لأن الإنسان نُهي حينئذ عن التَّخلُّق بالمرح في كل أوقاته؛ إذ المشي في الأرض يفارقه، فلم يُنْهَ إلَّا عن أن يكون مرحاً، وعلى القراءة الأُخرى إنما نُهِيَ مَن ليس بمرِح عن أن يمشي في بعض أوقاته مرَحاً، فيترتَّب في المرِح ـ بكسر الراء ـ أن يؤخذ بمعنى المتكبر المختال.

و«خَرْقُ الأرض»: قطعها، و«الخرق»: الواسع من الأرض، ومنه قول الشاعر:

[المتقارب] وخَـرْقٍ تَـجَـاوَزْتُ مَجْهُولَهُ ... بِوجْنَاءَ خرْقٍ تَشَكَّى الْكَلالا[٣]

ويقال لنقب[٤] الأرض: خَرْق، وليس هذا المعنى في الآية، ومنه قول رؤْبة بن العجاج:

[الرجز] وقَاتِمِ الأَعمَاقِ خَاوي المُخْتَرقْ[٥] ... .

(١) وهي شاذة، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٧٢)، ونقلها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٨٠) عن يحيى بن يعمر.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٩، ٤٥٠).

(٣) البيت للشاعرة جنوب أخت عمرو ذي الكلب أحد بني كاهل كما في المنصف للضبي (ص: ١٧٥)، بلاغات النساء (ص: ١٧٢)، والفاضل (ص: ٥٩)، وعيار الشعر (ص: ٢١٥)، والصناعتين (ص: ١٤٢)، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (٢/ ٣١).

(٤) في المطبوع والإماراتية: «لثقب».

(٥) البيت لرؤبة كما في مجاز القرآن (١/ ٣٨٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٢٢)، والمحتسب (٢/ ٣٦٢)، وفي الأصل: «وقائم».

وقرأ الجراحُ الأعرابي: (لن تَخْرُقَ الأرضَ) بضم الراء، قال أبو حاتم: لا تُعرف هذه اللغة[1].

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ الآية؛ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، والأعرج: ﴿سَيِّـئَةً﴾.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، والحسن، ومسروق: ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ على إضافة (سَيِّئ) إلى الضمير[2]، والإشارة على القراءة الأُولى: إلى ما تقدم ذكره مما نهي عنه، كقول: أُفٍّ، وقَذْف الناس، والمرح، وغير ذلك، والإشارة على القراءة الثانية: إلى جميع ما ذكر في هذه الآيات من بِرٍّ ومَعْصية، ثم اختصَّ ذكر السَّيِّئ منه بأنه مكروه عند الله تعالى.

فأمَّا من قرأ: ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ بالإضافة إلى الضمير فإعرابُ قراءته بيِّنٌ، و(سَيِّئ): اسم (كَانَ)، و﴿مَكْرُوهًا﴾ خبرُه، وأما من قرأ: ﴿سَيِّـئَةً﴾ فهي الخبر لـ(كَانَ).

واختلف الناس في إعراب قوله: ﴿مَكْرُوهًا﴾.

فقالت فرقة: هو خبرٌ ثان لـ(كَانَ)، حمله على لفظ (كُلُّ)، و﴿سَيِّـئَةً﴾ محمول على المعنى في جميع هذه الأشياء المذكورة قبْلُ.

وقال بعضهم: هو نعتٌ لـ﴿سَيِّـئَةً﴾؛ لأنه لما كان تأنيثها غير حقيقي جاز أن توصف بمذكر، وضعَّفه أبو علي الفارسي، وقال: إن المؤنث إذا ذكر فإنما ينبغي أن يكون ما بعده وفْقه، وإنما التساهل أن يتقدم الفعلُ المسنَدُ إلى المؤنث وهو في صيغةِ ما يُسنَدُ إلى المذكَّر، ألا ترى أن قول الشاعر:

[المتقارب]

فَــلَا مُـزْنَــةٌ وَدَقَـــتْ وَدْقَــهَــا   وَلا أَرْضَ أَبْـقَـلَ إِبْـقَـالَـهَــا[3]

---

(١) وهي شاذة، وسماه في مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، والجراح القاضي، وكلام أبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ٥٠).

(٢) انظر: التيسير (ص: ١٤٠)، والسبعة (ص: ٣٨٠)، والنشر (٢/ ٣٠٧)، وقراءة الباقين في البحر المحيط (٧/ ٥٠).

(٣) البيت لعامر بن جُوَيْن الطائي أحد الخُلَعَاءِ الفُتَّاك كما في مجاز القرآن (٢/ ٦٧)، والكتاب =

مُسْتَقْبَح عندهم؟ ولو قال قائل: أَبْقَلَ أَرْضٌ لم يكن قبيحاً.

قال أبو عليٍّ: ولكن يجوز في قوله: ﴿مَكْرُوهًا﴾ أن يكون بدلاً من قوله: ﴿سَيِّئَةً﴾، قال: ويجوز أن يكون حالاً من الذكر الذي في قوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾، ويكون قوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في موضع الصفة لـ﴿سَيِّئَةً﴾[1].

[٣/ ١٧٢] وقرأ عبد الله بن مسعود: (كَانَ سَيِّئَاتُهُ)، وروي عنه: (كان سَيِّئَاتُ) بغير هاءٍ، / ورُوي عنه: (كَانَ خبيثُه)[2].

وذهب الطبري إلى أن هذه النواهي كلها معطوفة على قوله أولاً: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾[3]، وليس ذلك بالبَيِّن.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ الآية؛ الإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى هذه الآداب التي تضمنتها هذه الآياتُ المتقدمة؛ أي: هذه من الأفعال المُحكمة التي تقتضيها حكمة الله في عباده، وخلقه لهم محاسن الأخلاق.

و﴿ٱلْحِكْمَةِ﴾: قوانين المعاني المحكمة، والأفعال الفاضلة.

ثم عطف قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ﴾ على ما تقدم من النواهي، والخطاب للنبي ﷺ، والمرادُ كلُّ من سمع الآية من البشر.

و«المَدْحُورُ»: المُهَانُ المُبعَد.

وقوله: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ الآية، خطاب للعرب التي كانت تقول: الملائكة بناتُ الله،

= لسيبويه (٢/ ٤٦)، والأصول في النحو (٢/ ٤١٣)، والكامل للمبرد (٢/ ٢٠٧)، وإيضاح الشواهد (١/ ٤٩٩)، والمحكم (٨/ ٢١٩)، ونسب للأعشى في التفسير الوسيط للواحدي (٢/ ٢٩١)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٦٩٣)، ولعله خطأ.

(١) الحجة للفارسي (٥/ ١٠٣).

(٢) كتبت في الأصل: «خبيثة»، وكلها شاذة، انظرها في البحر المحيط (٧/ ٥٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٥١).

فَقَرَّرَهم الله على هذه الحجة؛ أي: أنتم أيها البشر لكم الأعلى من النسل ولله الإناث؟[١]، فلما ظهر هذا التباعد الذي في قلوبهم عظّم الله عليهم فساد ما يقولونه وشُنعته، ومعناه: عظيماً في المنكر والوخامة.

و(أَصْفَاكُمْ) معناه: جعلكم أصحاب الصَّفوة، وحكى الطبري عن قتادة عن بعض أهل العلم أنه قال: نزلت هذه الآية في اليهود؛ لأنهم قالوا هذه المقالة، من أن الملائكة بنات الله[٢]، والأول هو الذي عليه جمهور المفسرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.

قرأ الجمهور: ﴿صَرَّفْنَا﴾ بتشديد الراء، على معنى: صرفنا فيه الحِكَم والمواعظ، وقرأ الحسن: (صَرَفْنَا) بتخفيف الراء[٣]، على معنى: صَرَفنا فيه الناس إلى الهدى بالدعاء إلى الله.

وقال بعض من شَدَّد الراء: إن قوله: ﴿فِي﴾ زائد، والتقدير: صَرَّفْنَا هذا القرآنَ، وهذا ضعيف.

وقرأ الجمهور: ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾، وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ بسكون الذَّال وضم الكاف، وهي قراءة طلحة، ويحيى، والأعمش[٤]، وما في ضمن الآية من ترجٍّ وطماعية[٥]

---

(١) في المطبوع ونجيبويه وفيض الله: «البنات».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٥٣).

(٣) وهي شاذة، انظر إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٥٨).

(٤) انظر: التيسير (ص: ١٤٠)، والسبعة (ص: ٣٨٠)، والعزو للباقين في البحر المحيط (٧/ ٥٣).

(٥) كتبت في الأصل: «وطاعية».

فهو في حق البشر، وبحسب ظنهم فيمَن يفعل الله معه هذا.

و«النُّفُورُ»: عبارة عن شِدَّة الإعراض، تشبيهاً بنفور الدَّابة، وهو في هذه الآية مصدرٌ لا غير، ورُوي: أن في الإنجيل في معنى هذه الآية: يا بني إسرائيل، شوَّقناكم فلم تشتاقوا، ونُحْنَا لكم فلم تبكوا[(١)].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ﴾ الآية، إخبار بالحجة.

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾.

فحكى الطبري وغيره من المفسرين أن معناه: لَطَلَبَ هؤلاء الآلهة الزُّلْفَى إلى ذي العرش، والقُرْبَةَ إليه بطاعته[(٢)]، فيكون (السَّبِيلُ) على هذا التأويل بمعناها في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩].

وقال سعيد بن جُبَيْر، وأبو علي الفارسي، والنقاش[(٣)]، وقاله المتكلِّمون، أبو منصور وغيره: إن معنى الكلام: لابْتَغَوْا إليه سبيلاً في إفساد مُلْكِهِ، ومُضَاهاته في قدرته[(٤)].

وعلى هذا التأويل تكون الآية بياناً للتمانع[(٥)]، وجاريةً مع قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢][(٦)].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٥٣ و٤٥٤).

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٥٩)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٤٥).

(٤) انظر: البحر المحيط (٧/ ٥٣).

(٥) المراد بالتمانع هنا هو: امتناع وجود إلهين؛ لأن إرادتهما ستكون متعارضة بحيث إذا أراد أحدهما خلق شيء منعه الآخر، وللتوسع في مفهوم دليل التمانع عند المتكلمين انظر: تمهيد الأوائل للباقلاني (١/ ٢٢٢)، والمواقف للإيجي (٢/ ١١٨-١٢٠)، وشرح المقاصد (٢/ ٦٢).

(٦) وللتوسع في التمانع انظر: تمهيد الأوائل للباقلاني (١/ ٢٢٢)، والمواقف للإيجي (٢/ ١١٨)، وشرح المقاصد (٢/ ٦٢).

قال القاضي أبو محمد: ونَقْتَضِبُ شيئاً من الدليل على أنه لا يجوز أن يكون مع الله تبارك وتعالى غيره، وذلك على ما قال أبو المعالي وغيره: إنَّا لَوْ فَرَضْنَاهُ لَفَرَضْنَا أن يريد أحدهما تسكين جسم، والآخر تحريكه، ومستحيل أن تنفذ الإرادتان، ومستحيل ألّا تنفذا جميعاً، فيكونَ الجسم لا متحركاً ولا ساكناً، فإذا صحَّت[1] إرادة أحدهما دون الآخر فإن الذي لم تتم إرادته ليس بإله، فإن قيل: نفرضهما لا يختلفان، قلنا: اختلافهما جائز غير ممتنع عقلاً، والجائز في حكم الواقع.

ودليلٌ آخر: أنه لو كان الاثنان لم يمتنع أن يكونوا ثلاثة، وكذلك إلى ما لا نهاية له.

ودليل آخر: أن الجزء الذي لا يتجزَّأُ من المخترعات لا تتعلق به إلا قدرة واحدة لا يصح فيها اشتراك، والآخر كذلك، والآخر كذلك دأباً[2]، فكل جزءٍ إنما يخترعه واحد[3]، وهذه نُبْذَة شَرْحُهَا بحسب التقصي يطول.

وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾ بالياء من تحت، وقرأ الجمهور: ﴿كما تقولون﴾ بالتاء[4].

و﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ مصدرٌ لفعل متروكٍ إظهارُه، فهو بمعنى التنـزيه، فموضعه هنا موضعُ: تَنَـزَّه، فلذلك عطف الفعل عليه في قوله: (تعالى).

و«التَّعَالي»: تفاعُلٌ، أما في الشاهد[5] والأجرام فهو من اثنين؛ لأن الإنسان إذا صعد في منـزلة أو في جبل، فكأن ذلك يُعاليه وهو يُعالي ويرتقي، وأما في جهة[6] الله تعالى فالتعالي هو بالقدر، لا بالإضافة إلى شيءٍ آخر.

---

(١) في المطبوع: «تمت».

(٢) في المطبوع هنا زيادة: «فكل جزءٍ فيها اشتراك، والآخر كذلك، والآخر كذلك دأباً»، ولعله تكرار.

(٣) انظر: تفسير الثعالبي (٢/ ٣٤٤).

(٤) «بالتاء»: زيادة من المطبوع، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٣٨١)، والتيسير (ص: ١٤٠).

(٥) في المطبوع: «في المشاهد».

(٦) في الأصل ونور العثمانية وفيض الله: «ذكر».

وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ بالياء.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿تقولون﴾ بالتاء من فوق[(١)].

و﴿عُلُوًّا﴾: مصدرٌ على غير الفعل، فهو كقوله: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، وهذا كثير.

وقوله تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ الآية، المعنى: يُنَـزِّهه عن هذه المقالة التي لكم، والإشراك الذي أنتم بسبيله، السماواتُ السبعُ والأرضُ، ثم أعاد على السماوات والأرض ضميرَ من يعقل لمَّا أسند إليها فعل العاقل وهو التسبيح، وقوله: ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ يريد الملائكة والإنس والجن، ثم عمَّ بعد ذلك الأشياء كلَّها في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾؛ أي: يُنَزِّهُ الله ويحمده[(٢)] ويمجده.

واختلف أهل العلم في هذا التسبيح:

فقالت فرقة: هو تجوُّز، ومعناه أن كل شيءٍ تبدو فيه صنعة الصانع الدَّالَّة عليه، فتدعو رؤْية ذلك إلى التسبيح من الـمُعْتَبِر، ومن حُجَّة هذا التأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ﴾ [ص: ١٨].

وقالت فرقة: قوله: ﴿مِّن شَيۡءٍ﴾ لفظ عموم ومعناه الخصوص في كل حيٍّ ونامٍ، وليس ذلك في الجمادات البَحْتة، فمن ذلك قول عكرمة: الشجرة / تُسَبِّح، والأسطوانة لا تُسَبِّح[(٣)]. [٣/ ١٧٣]

وقال يزيد الرقاشي للحسن وهما في طعام وقد قدم الخوان: أَيُسَبِّح هذا الخوان

---

(١) وبقي عليه ابن عامر وهو مع الأولين، انظر: التيسير (ص: ١٤٠)، والسبعة (ص: ٣٨١).

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٥٥)، إلا أن فيه أنه قال: الشجرة تسبح، والأسْطوانة تسبح.

يا أبا سعيد؟ قال: قد كان يُسبِّح مرة[١]، يريد أن الشجرة في زمان نموِّها واغتذائها[٢] كانت تسبح، فمذ صارت خِواناً مدهوناً ونحوه صارت جماداً.

وقالت فرقة: هذا التسبيح حقيقة، وكل شيءٍ على العموم، ويسبح تسبيحاً لا يسمعه البشر ولا يفقهه، ولو كان التسبيح ما قاله الآخرون من أنه أثر الصنعة لكان أمراً مفهوماً، والآية تنطق بأن هذا التسبيح لا يُفْقَهُ.

قال القاضي أبو محمد: وينفصل عن هذا الاعتراض بأن يريد بقوله: ﴿لَّا تَفْقَهُونَ﴾ الكفار والغَفَلَة؛ أي: إنهم يُعرضون عن الاعتبار، فلا يفقهون حكمة الله تعالى في الأشياء.

وقال الحسن: بلغني أن معنى هذه الآية في التوراة، ذكر فيه ألف شيءٍ مما يُسبح، سبحت له السماوات، وسَبَّحَتْ له الأرض، سبَّح كذا، سبَّح كذا[٣].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر: ﴿يُسَبِّحُ له﴾ بالياء، وقرأ أبو عمرو، وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي: ﴿تُسَبِّحُ﴾ بالتاء، والقراءتان حسنتان[٤].

وقرأ عبد الله بن مسعود، وطلحة، والأعمش: (سَبَّحَتْ لَهُ السَّمَاوات)[٥].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ فيه تنبيه على إملائه لهم، وصَفْحه عنهم في الدنيا، وإمهاله لهم، مع شنيع هذه المقالة؛ أي: تقولون قولاً يُنَزِّهه عنه كل شيءٍ من المخلوقات، إنه كان حليماً غفوراً، فلذلك أمهلكم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٥٦)، ويزيد هو ابن أبان الرقاشي أبو عمرو البصري، روى عن أنس وغيره، وعنه شيخه الحسن وقتادة والأوزاعي وجماعة، وكان أحد الوعاظ البكاءين. ضعفه الدارقطني وغيره. تاريخ الإسلام (٨/ ٣٠٢).

(٢) في المطبوع: «واعتدالها».

(٣) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٤٤).

(٤) انظر: التيسير (ص: ١٤٠)، والسبعة (ص: ٣٨١).

(٥) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٧/ ٥٥)، ونقلها ابن زنجلة في حجة القراءات (ص: ٤٠٥) عن أبي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾.

هذه الآية تحتمل معنيين: أحدهما: أن الله تعالى أخبر نبيَّهُ ﷺ أنه يحميه من الكفرة؛ أهل مكة الذين كانوا يؤذونه في وقت قراءته القرآن وصلاته في المسجد، ويريدون مدَّ اليد إليه، وأحوالهم في هذا المعنى مروية مشهورة.

والمعنى الآخر: أنه تعالى أعلمه أنه يجعل بين الكفرة وبين فهم ما يقرؤه محمد ﷺ حجاباً، فالآية على هذا التأويل في معنى التي بعدها، وعلى التأويل الأول هما آيتان لمعنيَيْن.

وقوله: ﴿مَّسْتُورًا﴾ أظهرُ ما فيه أن يكون نعتاً للحجاب؛ أي: مستوراً عن أعين الخلق، لا يدركه أحد برؤية كسائر الحُجُب، وإنما هو من قدرة الله وكفايته، أو إضلاله بحسب التأويلين المذكورين، وقيل: التقدير: مستوراً به، على حذف العائد.

وقال الأخفش: مَسْتُور بمعنى: ساتر، كَمَشْؤُوم وميمون، بمعنى: شائم ويامن[1].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ـ لغير داعية إليه ـ تكلُّف، وليس مثاله بمُسَلَّم.

وقيل: هو على جهة المبالغة، كما قالوا: شعرٌ شاعرٌ، وهذا معترض بأن المبالغة أبداً إنما تكون باسم الفاعل ومن اللفظ الأول، فلو قال تعالى: (حجاباً حاجباً)[2] لكان التنظير صحيحاً.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ الآية؛ الأكِنَّةُ: جمع كنان، وهو ما غطَّى الشيء، ومنه كنانة النبل، والوَقْرُ: الثقل في الأذن المانع من السمع، [فهو الصمم][3]، وهذه

---

(١) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٢٥).

(٢) أشار في أحمد٣ إلى أن في نسخة أخرى: «محجوباً».

(٣) ليس في الأصل.

كلها استعاراتٌ للإضلال الذي حفهم الله به، فعبَّر عن كثرة ذلك وعِظَمه بأنهم بمثابة من غُطِّي قلبه، وصُمَّت[١] أذنه.

قوله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ﴾ الآية، يريد: إذا جاءت مواضع التوحيد في القرآن أثناء قراءتك فرَّ كفار مكة من سماع ذلك إنكاراً له واستبشاعاً؛ إذ فيه رفْضُ آلهتهم واطِّراحها.

وقال بعض العلماء: إنَّ ملأ قريش دخلوا على أبي طالب يزورونه، فدخل عليهم رسول الله ﷺ، فقرأ ومرَّ بالتوحيد، قال: «يا معشر قريش: قولوا: لا إله إلا الله تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم»، فَوَلَّوْا ونفروا، فنزلت هذه الآية[٢].

وأن تكون الآية وصْفَ حالِ الفارِّين عنه في وقت توحيده في قراءته أبْيَنُ وأجرى مع اللَّفظ.

وقوله: ﴿نُفُورًا﴾ يصحُّ أن يكون مصدراً في موضع الحال، ويصح أن يكون جمع نافر، كشاهد وشهود؛ لأن فُعُولاً من أبنية فاعل في الصفات، ونصبه على الحال، أي: نافرين.

وقوله: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾، ﴿أَن﴾ نصب على المفعول؛ أي: كراهة أن، أو منعَ أنْ، والضمير في ﴿يَفْقَهُوهُ﴾ عائد على القرآن.

وحكى الطبريُّ عن فرقة أنها قالت: إنما عنى بقوله: ﴿وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ الشياطين، وأنهم يفرون من قراءة القرآن[٣]، يريد أن المعنى يدل عليهم وإنْ لم يَجْرِ لهم ذكْرٌ في اللفظ.

وهذا نظير قول النبي ﷺ: «إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطانُ له حُصاصٌ»[٤].

وقوله: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ الآية؛ هذا كما تقول: فلان يستمع بحرص

---

(١) كتبت في الأصل: «وضمت».

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٥٩).

(٤) أخرجه مسلم (٣٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً به.

وإقبال، أو بإعراضٍ وتغافل واستخفاف، فالضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾ عائدٌ على (ما)، وهي بمعنى: (الذي)، والمراد بـ(الذي): ما ذكرناه من الاستخفاف والإعراض، فكأنه قال: نعم أعلم بالاستخفاف والاستهزاء الذي يستمعون به؛ أي: هو ملازمهم، ففضح الله بهذه الآية سرَّهم، والعاملُ في ﴿إِذْ﴾ الأولى وفي المعطوف عليها: ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ الأولى.

وقوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ وصفهم بالمصدر، كما قالوا: قومٌ رَضىً وعدْلٌ، وقيل: المراد بقوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ اجتماعهم في دار الندوة، ثم انتشرت عنهم.

وقوله: ﴿مَّسْحُورًا﴾ الظاهر فيه أن يكون من السِّحْر، فشبهوا الخبالَ[1] الذي عنده بزعمهم، وأقوالَه الوخيمةَ برأيهم بما يكون من المَسْحور الذي قد خبلَ السِّحْرُ عقلَه، وأفسد كلامه، وتكون الآية على هذا شبيهةً بقول بعضهم: (بِهِ جِنَّـةٌ)، ونحو هذا.

وقال أبو عبيدة: ﴿مَّسْحُورًا﴾ معناه: ذا سَحْر[2]، وهي الرئة، يقال لها: سَحْر وسُحْر، بضم السِّين، ومنه قول / عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله ﷺ بين سَحْري ونَحْري[3]، ومنه قولهم للجبان: انْتَفخَ سحْرُه؛ لأن الفازع[4] تنتفخ رئته. [٣/ ١٧٤]

فكأن مقصد الكفار بهذا التشبيه على أنه بشر، أي: ذا رِئَةٍ، قال: ومن هذا يقال لكل من يأكل ويشرب من آدمي وغيره: مَسْحور ومُسحَّر، ومنه قول امرئ القيس:

.... ونُسْـحَر بالطَّعَامِ وبالشَّـرابِ[5] [الوافر]

---

(١) ليس في الأصل، وفي نور العثمانية: «الجبال».

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٨١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٢٣)، ومسلم (٢٤٤٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) في المطبوع: «الجازع».

(٥) صدره: أَرَانَا مُوضِعِينَ لأَمْرِ غَيْبٍ، انظر نسبته في غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٥٦)، والعين (٣/ ١٣٥)، وجمهرة اللغة (١/ ٥١١)، والبيان والتبيين (١/ ١٦٧)، والفاخر (ص: ١٦٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٦)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٧٩)، والصناعتين (ص: ١١١)، وقد عزاه الرازي في التفسير (٣/ ٦١٩)، والجصاص في أحكام القرآن (١/ ٥٠) للبيد،=

وقول لبيد:

فَـإِنْ تَسْـأَلِينَا فيـمَ نَحْـنُ فَإِنَّنَـا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأَنَامِ الـمُسَحَّرِ[1] [الطويل]

ومنه: السَّحور، وهو إلى هذه اللَّفظة أقرب منه إلى السِّحْر، ويشبه أن يكون من السَّحَر كالصَّبُوح من الصباح، والآية التي بعد هذا تُقَوِّي أن اللفظة التي في الآية من السِّحْر بكسر السِّين؛ لأن[2] حينئذ في قولهم ضَرْبُ مثل له، وأما على أنها من السَّحْر الذي هو الرِّئة، ومن التَّغذِّي، وأن تكون الإشارة إلى أنه بشر، فلم يُضرب له في ذلك مثل، بل هي صفة حقيقية له.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾.

«ضَرْبُ المثل له» هو قولهم: مسحور، ساحر، مجنون، متكهِّن؛ لأنه لم يكن عندهم مُتيقَّناً بأحد هذه، فإنما كانت منهم على جهة التشبيه، ثم رأى الوليد بن المغيرة أن أقرب هذه الأمور على تخيُّل الطارئين عليهم هو أنه ساحر، ثم حكم الله عليهم بالضلال.

وقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: لا يستطيعون سبيلاً إلى الهدى والنظر المُؤَدِّي إلى الإيمان،

= ولعله التبس بالبيت الذي يستشهد به معه، وإن كان يفهم من قول الجوهري في الصحاح (٢/ ٦٧٩): (ويُنشَد لامرئ القيس) وجودُ خلاف فيه.

(١) البيت للبيد كما في تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٤٣)، ومسائل نافع بن الأزرق (ص: ٧٦)، ومجاز القرآن (١/ ٣٨١)، والعين (٣/ ١٣٥)، والزاهر للأنباري (١/ ٢٠٦)، والبيان والتبيين (١/ ١٦٧)، والفاخر (ص: ١٦٤).

(٢) قال في حاشية المطبوع: في جميع الأصول يوجد بياض بين قوله: (لأن)، والأقرب أن تكون الكلمة الساقطة من الجملة «مَسْحُوراً».

فتجري الآيةُ مجرى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الإسراء: ٤٦]، [وهي قبل هذا بقليل][(١)]، ونحو هذا.

والآخر: لا يستطيعون سبيلاً إلى إفساد أمرك، وإطفاء نور الله فيك بِضرْبهم الأمثال لك، واتِّباعهم كل حيلةٍ[(٢)] في جهتك.

وحكى الطبري أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه[(٣)].

وقوله: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا﴾؛ هذه الآية في إنكارهم البعث، وهذا منهم تعجُّبٌ وإنكارٌ واستبعادٌ.

و«الرُّفَاتُ» من الأشياء: ما مرَّ عليه الزَّمن حتى بلغ به غاية البِلَى، وقرَّبَه من حالة التراب، يقال: رُفِتَ رَفْتاً فهو مَرْفُوتٌ، وفُعَالٌ بناءٌ لهذا المعنى، كالحُطَامِ والفُتات والرُّضاض والدُّقاق، وقال ابن عباس: رُفَاتاً: غباراً[(٤)]، وقال مجاهد: تراباً[(٥)].

واختلف القراءُ في هذين الاستفهامين:

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا﴾ جميعاً بالاستفهام، غير أن أبا عمرو يَمُدُّ الهمزة ثم يأتي بالياء ساكنة، وابن كثير يأتي بياء ساكنة بعد الهمزة من غير مَدّة.

وقرأ نافع في الأولى مثل أبي عمرو، واختلف عنه في المَدِّ، وقرأ الثانية: ﴿إِنَّا﴾ مكسورة على الخبر، ووافقه الكسائي في اكتفائه بالاستفهام الأول من الثاني، غير أنه كان يهمز همزتين.

وقرأ عاصم، وحمزة: ﴿أَءِذَا﴾، ﴿أَءِنَّا﴾ بهمزتين فيهما.

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «واتباعهم كلَّ خليقة».

(٣) عزاه الطبري (١٧/ ٤٦٢) لمجاهد.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٦٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٦٢).

وقرأ ابن عامر: ﴿إذا كنَّا﴾ مكسورة الألف من غير استفهام ﴿آئِنَّا﴾ يهمز ثم يمد ثم يهمز، وروي عنه مثل قراءة حمزة، وفي سورة الرعد توجيه هذه القراءات[١].

و(جَدِيد) صفة لما قرب حدوثه من الأشياء، وهكذا يوصف به المذكر والمؤنث، فيقال: ملحفة جديدٌ، وقولهم: جديدةٌ لغة ضعيفة، كذا قال سيبويه[٢].

قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ الآية؛ المعنى: قل لهم يا محمد: كونوا إن استطعتم هذه الأشياء الصعبة الممتنعة التأتِّي، لا بُدَّ من بعثكم.

وقوله: ﴿كُونُواْ﴾ هو الذي يُسَمِّيه المتكلمون التعجيز، من أنواع لفظة: «افْعَل»، وبهذه الآية مَثَّل بعضهم[٣]، وفي هذا عندي نظر، وإنما التعجيز حيث يقتضي بالأمر فعل ما لا يقدر عليه المخاطَب، كقوله تعالى: ﴿فَادْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]، ونحوه[٤]، وأما هذه الآية فمعناها: كونوا بالتوهُّم والتقدير كذا وكذا، الذي فطركم كذلك هو يعيدكم.

وقال مجاهد: أراد بالخلق الذي يكبر في الصدور: السماواتِ والأرضَ والجبالَ[٥]، وقال ابن عمر، وابن عباس، [وعبد الله بن عمرو][٦]، والحسن وابن جبير، والضحاك: أراد الموتَ[٧].

---

(١) هذا هو الموضع الثاني من الاستفهام المكرر وهذه القراءات كلها سبعية كما قد تقدم في الآية (٥) من سورة الرعد.

(٢) لفظه في الكتاب لسيبويه (١/ ٦٠): وهو كقول بعضهم: هذه ملحفة جديدة، في القِلَّةِ.

(٣) ممن قال ذلك ابن حزم في الإحكام (٣/ ٣٨٧)، والجويني في البرهان (١/ ٢١٨)، والغزالي في المستصفى (١/ ٧٠).

(٤) انظر ما ذهب إليه المؤلف من ضرب المثل بهذه الآية للتعجيز في البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٢٥١).

(٥) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ٢٤٨)، والهداية لمكي (٦/ ٤٢٢١).

(٦) ليس في المطبوع، والأثر أخرجه الطبري (١٧/ ٤٦٤) بإسنادين، كلاهما من طريق عطية العوفي، عن ابن عمر، وابن عباس، رضي الله عنهم، وأما عن عبد الله بن عمرو بن العاص فلم أقف عليه.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٦٣، ١٦٤).

وقال قتادة ومجاهد: بل أحال على فكرتهم[١] عموماً، ورجَّحه الطبري[٢]، وهذا هو الأصح؛ لأنه بدأ بشيء صلب، ثم تدرج القول إلى أقوى منه، ثم أحال على فكرهم[٣] إن شاء، وفي أَشَدَّ من الحديد، فلا وجه للتخصيص بشيءٍ دون شيء.

ثم احتجَّ عليهم عزَّ وجلَّ في الإعادة بالفطرة الأولى من حيث خلقهم واخترعهم من تراب، فكذلك يعيدهم إذا شاء، لا رَبَّ غيره.

وقوله: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ معناه: يرفعون ويخفضون يريد على جهة التكذيب، قال ابن عباس: والاستهزاء[٤]، قال الزجاج: تحريك من يُبطل الشيء ويستبطئه[٥]، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] أَنْغَضَ نحْوِي رَأْسَهُ وَأَقْنَعَا ... كَأَنَّمَا أَبْصَرَ شَيْئاً أَطْمَعَا[٦]

ويقال: نَغَضَت السِّنُّ إذا تحركت، وقال ذو الرُّمَّة:

[الطويل] ظَعَائِنُ لَمْ يَسْكُنَّ أَكْنَافَ قَرْيَةٍ ... بِسيفٍ ولَمْ تَنْغُضْ بِهِنَّ الْقَنَاطِرُ[٧]

وقال الطبري، وابن سلام: (عَسى) من الله واجبةٌ[٨]، فالمعنى: وهو قَرِيب.

قال القاضي أبو محمد: وهذه إنما هي من النبي ﷺ، ولكنها بأمر الله تعالى له،

---

(١) في المطبوع: «فطرتهم».
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٥).
(٣) في المطبوع: «فِطْرَتهم».
(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٦٧) من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس، ولم يسمع منه، وكذلك أخرجه الطبري من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.
(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٤٤).
(٦) بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٣٤٣)، وتفسير الطبري (١٧/ ٣١)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٣٢٥).
(٧) انظر نسبته لذي الرمة في مجاز القرآن (١/ ٣٨٣)، والبحر المحيط (٧/ ٦١)، والكَنَف وهو ناحية الشيء، والسِّيفُ: ساحل البحر.
(٨) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٧).

فيقربها ذلك من الوجوب، ولذلك قال ﷺ: «بُعِثت أنا والساعةُ كهاتين»[١].

وفي ضمن اللفظة توعُّدٌ لهم.

/ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝٥٤ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝٥٥﴾. [٣/ ١٧٥]

﴿يَوْمَ﴾ بدل من قوله: ﴿قَرِيبًا﴾، ويظهر أن يكون المعنى: هو يوم، جواباً لقولهم: ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾، ويريد: يدعوكم من قبوركم بالنفخ في الصُّور لقيام الساعة.

وقوله: ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾؛ أي: بالقيام والعودة والنهوض نحو الدعوة.

وقوله: ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾، حكى الطبري عن ابن عباس أنه قال: معناه: بأمرِه[٢]، وكذلك قال ابن جريج، وقال قتادة: معناه: بطاعته ومعرفته.

وهذا كله تفسير لا يعطيه اللفظ، ولا شك أن جميع ذلك فبأمر الله تعالى، وإنما معنى ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: إمَّا أن جميع العالمين كما قال ابن جبير يقومون وهم يحمدون الله ويُمَجِّدونه؛ لما يظهر لهم من قدرته، وإمَّا أن قوله: ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ هو كما تقول لرجل إذا خاصمته أو حاورته في علم: قد أخطأت بحمد الله، وكأن النبي ﷺ يقول لهم في هذه الآيات: عسَى أن الساعة قريبة يوم تُدعون فتقومون، بخلاف ما تعتقدون الآن، وذلك بحمد الله تعالى على صدق خبري، نحا هذا النحوَ الطبريُّ، ولم يُلَخِّصهُ[٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦١٣٩)، ومسلم (٢٩٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٦٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وفي الإماراتية: «يخلصه»، مع التنبيه على المثبت.

(٣) انظره مع الأقوال السابقة كلها في تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٩)، وانظر قول ابن جبير في تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٤).

وقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه أخبر أنهم لما رجعوا إلى حالة الحياة وتصرف الأجساد، وقع لهم ظن أنهم لم ينفصلوا عن حال الدنيا إلَّا قليلاً، لمغيب علم مقدار الزمن عنهم؛ إذْ مَنْ في الآخرة لا يقدر زمن الدنيا؛ إذْ هم لا محالة أشدُّ مفارقة لها من النائمين، وعلى هذا التأويل عوَّل الطبري، واحتج بقوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٣].

والمعنى الآخر: أن يكون الظن بمعنى اليقين، فكأنه قال لهم: يومَ تُدعون فتستجيبون بحمد الله، وتَتَيَقَّنُونَ أنكم إنما لبثتم قليلاً، من حيث هو مُنْقَضٍ منحصر[١]، وهذا كما يقال في الدنيا بأسْرِهَا: متاع قليل، فكأنه قلة قدر، على أن الظَنَّ بمعنى اليقين يقلق هاهنا؛ لأنه شيءٌ قد وقع، وإنما يجيءُ الظن بمعنى اليقين فيما لم يخرج بعد إلى الكون والوجود، وفي الكلام تقوية للبعث كأنه يقول: أنت أيها المكذِّب بالحشر الذي تعتقد أنك لا تبعث أبداً لا بُدَّ لك أن تُدْعَى للبعث فتقوم وترى أنك إنما لبثت قليلاً مُنْقَضِياً منصرماً.

وحكى الطبري عن قتادة: أنهم لمَّا رأوا هول يوم القيامة احتقروا الدنيا، فظنوا أنهم لبثوا فيها قليلاً[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ الآية؛ اختلف النحويون في قوله: ﴿يَقُولُوا۟﴾، فمذهب سيبويه أنه جواب شرط مقدر، تقديره: وقل لعبادي، إنك إن تقل لهم يقولوا، وهذا على أصله في أن الأمر لا يُجاب، وإنما يجاب معه شرط مقدر، ومذهب الأخفش أن الأمر يُجاب، وأن قوله تعالى هاهنا: ﴿يَقُولُوا۟﴾ إنما هو جواب ﴿قُل﴾.

قال القاضي أبو محمد: ولا يصح المعنى على هذا بأن يجعل (قُلْ) مختصة بهذه الألفاظ، على معنى أن يقول لهم النبي: قُولوا التي هي أحسنُ، وإنما يصحُّ بأن يكون ﴿قُل﴾

---

(١) في المطبوع ونجيبويه والإماراتية والحمزوية: «مُنْحَسِر».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٩).

أمْراً بالمحاورة في هذا المعنى بما أمكن من ألفاظٍ، كأنه قال: بَيِّنْ لعبادي، فتكون ثمرة ذلك القولِ والبيان قولَهم التي هي أحسن، وهذا المعنى يُجَوِّزُه مذهب سيبويه الذي قدمنا.

ومذهب أبي العباس: أنَّ ﴿يَقُولُواْ﴾ جوابٌ لأمر محذوف، تقديره: وقلْ لعبادي قولوا التي هي أحسن يقولوا» فحذف وطُوي الكلامُ، ومذهب الزجاج: أن ﴿يَقُولُواْ﴾ جزم بالأمر، بتقدير: قُلْ لعبادي ليقولوا، فحذفت اللام لتقدم[1] الأمر.

وحكى أبو علي في «الحلبيات»[2] في تضاعيف كلامه: أن مذهب أبي عثمان المازني في ﴿يَقُولُواْ﴾ أنه فعلٌ مبني؛ لأنه مضارعٌ حلَّ محل المبني الذي هو فعل الأمر؛ لأن المعنى: قلْ لعبادي: قولوا.

واختلف الناس في ﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾:

فقالت فرقة: هي «لا إله إلَّا الله»، ويلزم على هذا أن يكون قوله: ﴿لِّعِبَادِي﴾ يريد به جميع الخلق؛ لأن جميعهم مدعُوٌّ إلى «لا إله إلَّا الله»، ويجيءُ قوله بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡ﴾ غير مناسب للمعنى إلَّا على تكرُّه، بأن يجعل ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ بمعنى خِلالَهم وأثناءَهم، ويُجعل النَّـزْغُ بمعنى الوسوسة والإضلال.

وقال الجمهور: التي هي أحسن هي المحاورة الحسنى، بحسب معنى معنى، قال الحسن: بقول: يغفر الله لك، يرحمك الله[3].

وقوله: ﴿لِّعِبَادِي﴾ خاصٌّ بالمؤمنين، فكأن الآية بمعنى قوله ﷺ: «وكونوا عبادَ الله إخواناً»[4]، ثم اختلفوا؛ فقالت فرقة: أمر الله المؤمنين فيما بينهم بحسن الأدب، وخفْض الجناح، وإلانَةِ القول، واطِّراح نزغات الشيطان.

---

(١) في المطبوع: «لتقدير»، وفي فيض الله والإماراتية: «بتقدير».

(٢) تصحف في المطبوع إلى: «الحليتان»، والحلبيات كتاب مشهور لأبي علي، وقد ذكر هذه الآية (ص٢٦٩)، ولكنه لم ينقل فيها عن المازني شيئاً، والله أعلم.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٧١٧) ومسلم (٢٥٦٣) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

وقالت فرقة: إنما أمر الله في هذه الآية المؤمنين بإلانَةِ القول للمشركين بمكة أيام المهادنة.

وسبب الآية: أن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه بعض الكفرة، فسبَّه عمر وهمَّ بقتله، فكاد أن يثير فتنة، فنزلت الآية(١)، وهي منسوخة بآية السيف(٢).

وقرأ الجمهور: ﴿يَنزَغُ﴾ بفتح الزاي.

وقرأ طلحة بن مصرِّف: (يَنْزِغُ) بكسر الزاي، على الأصل، قال أبو حاتم: لعلَّها لغةٌ، والقراءةُ بالفتح(٣).

ومعنى النَّزغ حركةُ الشيطان بسرعة ليوجبَ فساداً، ومنه قول النبي ﷺ: «لا يُشِرْ أحدُكم على أخيه بالسِّلاح لا ينزغ الشيطان في يده»(٤)، فهذا يخرج اللفظ عن الوسوسة، وعداوةُ الشيطان البيِّنةُ هي من قصته مع آدم عليه السلام فيما بعد.

[٣/ ١٧٦] وقوله / تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ الآية؛ هذه الآية تُقَوِّي أن التي قبلها هي ما بين العباد المؤمنين وكفار مكة، وذلك أن هذه المخاطبة في قوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ هي لكفار مكة، بدليل قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾، فكأن الله عزَّ وجلَّ أمر المؤمنين ألا يخاشنوا الكفار في الدين، ثم قال للكفار: إنه أعلم بهم، ورَجَّاهم وخَوَّفهم.

ومعنى ﴿يَرْحَمْكُمْ﴾ بالتوبة عليكم من الكفر، قاله ابن جريج وغيره(٥).

ثم قال للنبي ﷺ: فإنما عليك البلاغ، ولست بوكيل على إيمانهم ولا بد، فتتناسب الآيات بهذا التأويل.

---

(١) قاله الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٠٤) بلا إسناد، ولم أجده عند غيره.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص: ١٩٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٤٩).

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٦٧٢)، وكلام أبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ٦٧).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٩).

ثم قال تبارك وتعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، وهو الذي فضل بعض الأنبياء على بعض بحسب علمه فيهم، فهذه إشارة إلى محمد ﷺ، وإلى استبعاد قريش أن يكون الرسل بشراً، والمعنى: لا تُنكروا أمر محمد ﷺ وأن أوتي قرآناً، فقد فُضِّل النَّبِيُّون، وأُوتي داود زبوراً، فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

وتفضيل بعض الرسل هو إمَّا بهذا الإخبار المجمل دون أن يُسَمَّى المفضول، وعلى هذا يتَّجه لنا أن نقول: محمد أفضل البشر، وقد نهى ﷺ عن تَعْيِين أحد منهم في قصة موسى ويونس، وإما أن يكون التفضيل مُقَسَّماً فيهم: أُعطي هذا التكليم، وأُعطي هذا الخُلَّة، ومحمدٌ الخمس، وعيسى الإحياء، فكلُّهم مفضولٌ في وجه، فاضل على الإطلاق.

وقوله: ﴿بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الباءُ متعلقة بفعل تقديره: عَلِم بمن في السماوات، ذهب إلى هذا أبو عليٍّ؛ لأنه لو علَّقها بـ(أَعْلَمُ) لاقتضى أنه ليس بأعلم بغير ذلك.

قال القاضي أبو محمد: وهذا لا يلزم، ويصح تعلقها بـ﴿أَعْلَمُ﴾، ولا يلتفت إلى دليل الخطاب.

وقرأ الجمهور: ﴿زَبُورًا﴾ بفتح الزاي، وهو فَعُولٌ بمعنى مَفْعول، وهو قليل، لم يجئْ إلَّا في قروع[1] ورَكُوب وحَلُوب، وقرأ حمزة، ويحيى، والأعمش: ﴿زُبُوراً﴾ بضم الزاي[2]، وله وجهان: أحدهما أن يكون جمع زَبور بحذف الزائد، كما قالوا في جمع [ظَريف، ظُروف][3]، والآخر أن يكون جمع زَبْر، كأن ما جاء به داود جُزِّئ أجزاءً، كلُّ جزءٍ منها زَبْرٌ، سُمِّي بمصدر زَبَرَ يَزْبُر، ثم جمع تلك الأجزاء على زُبُور، فكأنه قال: آتينا داود كُتُباً، ويحتمل أن يكون جمع (زَبْر) الذي هو العَقْل، وسَدادُ النَّظَرِ؛

---

(١) في الأصل: «قدُوع»، وفي نور العثمانية: «جدوع».

(٢) انظر: التيسير (ص: ٩٨)، وانظر موافقة الأعمش ويحيى بن وثاب لحمزة في تفسير الثعلبي (٣/ ٤١٥).

(٣) في المطبوع: «طَريق طُرُوق»، وفي نجيبويه: «ضريب ضروب»، وفي الإماراتية: «طريف طروف».

لأن داود أُوتي من المواعظ والوصايا كثيراً، ومن هذه اللفظة قول النبي ﷺ في آخر «كتاب مسلم»: «وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبْـرَ له»(١).

قال قتادة: زبور داود مواعظ وحِكَم ودعاءٌ، ليس به حلالٌ ولا حرام(٢).

قوله عز وجل: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾.

الذين أُمر رسول الله ﷺ أن يقول لهم في هذه الآية ليسوا عبَدةَ الأصنام، وإنما هم عبَدةُ من يعقلُ، واختلف في ذلك: فقال ابن عباس: هي في عبدة العُزَيْر والمسيح وأُمه ونحوهم(٣)، وقال ابن عباس أيضاً، وابن مسعود: [هي في عبدة الملائكة(٤).

---

(١) صحيح مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٧٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٥)، وتفسير ابن أبي زمنين (٣/ ٢٦)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٠٧).

(٣) في أسانيده كلام، أخرجه الطبري (١٤/ ٦٢٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: قال: كان أهل الشرك يقولون: نعبد الملائكة وعُزَيراً، وهم الذين يدعون، يعني الملائكة والمسيح وعُزيراً. والعوفي ضعيف، وأخرجه كذلك (١٤/ ٦٣١) من طريق شعبة، عن إسماعيل السدي، عن أبي صالح باذام، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: قال: عيسى وأمه وعُزير. وباذام مولى أم هانئ ضعيف، وأخرجه أيضاً (١٤/ ٦٣١) (من طريق مغيرة، عن إبراهيم قال: كان ابن عباس يقول في قوله ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ قال: هو عُزير والمسيح والشمس والقمر، وعنعنة مغيرة لا تقبل، لاسيما عن إبراهيم، وإبراهيم لم يسمع من ابن عباس، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٣٨٤) لابن أبي حاتم، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وانظر: فتح الباري (٨/ ٣٩٧).

(٤) في إسناده ضعف، أخرجه الطبري (١٤/ ٦٣٠) من طريق يحيى بن السكن، عن أبي العوّام، عن =

وقال ابن مسعود أيضاً: هي في عبدة الشياطين كانوا في عهد رسول الله ﷺ، فأَسلم أولئك الشياطين، وعبدتهم بقوا[١] يعبدونهم، فنزلت الآية في ذلك[٢].

وقال ابن عباس أيضاً][٣]: هي في عبدة الشمس[٤] والقمر والكواكب وعُزَيْر والمسيح وأُمه[٥].

وأيَّ ذلك كان فمعنى الآية: قُل لهؤلاء الكفرة: ادْعُوا عند الشدائد والضُّرِّ هؤلاء المعبودين فإنهم لا يملكون كشفه ولا تحويله عنكم.

ثم أخبرهم على قراءة ابن مسعود، وقتادة: (تَدْعُونَ) بالتاء[٦]، أو أخبر النبي ﷺ، على قراءة الجمهور: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء من تحت أن هؤلاء المعبودين يطلبون التقرُّب إلى الله والتَّزلُّف إليه، وأن هذه حقيقة حالهم[٧].

وقرأ ابن مسعود: (إلى رَبِّكَ)[٨].

والضمير في ﴿رَبِّهِمُ﴾ للمُتَّبِعين، أو للجميع.

و«الْوَسِيلَةُ»: هي القربةُ، وسبَبُ الوصول إلى البُغية، وتوسَّل الرجلُ إذا طلب

= قتادة، عن عبد الله بن معبد الزِّمَّاني، عن ابن مسعود قال: كان قبائل من العرب يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم: الجنّ، ويقولون: هم بنات الله، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ معشر العرب ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾، ويحيى ضعيف، وانظر الميزان (٤/ ٣٨٠)، وأثر ابن عباس تقدم.

(١) في أحمد٣: «وبقوا»، وفي المطبوع: «وبقي عبدتهم يعبدونهم».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧١٥)، ومسلم (٣٠٣٠) بنحو رواية المصنف، وذكر نزول الآية عند مسلم وحده.

(٣) ليس في نجيبويه.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «الأوثان».

(٥) انظر أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما المتقدم.

(٦) وهي شاذة، عزاها لابن مسعود في مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، ولهما في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨١).

(٧) في الحمزوية: «مآلهم».

(٨) وهي شاذة، عزاها له في البحر المحيط (٧/ ٧٠).

الدُّنُوَّ والنيلَ لأمر مَّا، وقال عنترة:

[الكامل] إنَّ الرِّجَـالَ لَهُـمْ إِلَيْـكِ وسِـيلةٌ ....[١]

ومنه قول النبي ﷺ: «مَن سأل اللهَ لي الوسيلةَ» الحديث[٢].

و﴿أَيُّهُمْ﴾ ابتداءٌ، و﴿أَقْرَبُ﴾ خبره، و﴿أُوْلَتَئِكَ﴾ يراد به المعبودون، وهو ابتداءٌ خبره ﴿يَبْتَغُونَ﴾، والضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ للكفار، وفي ﴿يَبْتَغُونَ﴾ للمعبودين، والتقدير: نظرهم وَوَكْدُهُمْ[٣] أَيُّهم أقرب، وهذا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الرَّاية بخيبر: فبات الناس يَدُوكُون[٤] أيهُّم يُعطاها؟[٥]، أي: يتبارون في طلب القرب.

وطفَّف الزجاج في هذا الموضع، فتأمله[٦].

وقال ابن فُورك، وغيره: إن الكلام من قوله: ﴿أُوْلَتَئِكَ﴾ راجع إلى النَّبِيِّين المتقدم ذكرهم[٧]، فـ﴿يَدْعُونَ﴾ على هذا من الدعاء بمعنى الطلبة إلى الله، والضمائر لهم في ﴿يَدْعُونَ﴾ وفي ﴿يَبْتَغُونَ﴾، وباقي الآية بَيِّنٌ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾ الآية، أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه ليس مدينة من المدن إلَّا هي هالكة قبل يوم القيامة بالموت والفناء، وهذا مع السلامة وأخذها جزءاً جزءاً، أو هي معذبة مأخوذة مرة واحدة، فهذا عموم في كل مدينة، و﴿مِّن﴾ لبيان الجنس، وقيل: المراد الخصوص[٨]، وإن مِنْ قَرية ظالمة.

---

(١) تقدم في تفسير الآية (٣٥) من سورة المائدة.

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) الوُكْدُ بضم الواو: السَّعْيُ والجهد، والوَكْد بضم الواو وفتحها: القَصْد والمرادُ والهَمُّ.

(٤) في نجيبويه: «يكودون».

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد، ولم أقف عليه من قول عمر.

(٦) انظر كلامه في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٦).

(٧) لم أقف عليه.

(٨) في المطبوع زيادة: «والتقدير»، قال في الحاشية: لتوضيح المعنى وسلامة العبارة.

وحكى النقاش: أنه وُجد في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسير هذه الآية / [٣/ ١٧٧] استقراءُ البلاد المعروفة اليوم، وذكر لهلاك كل قطر منها صفة، ثم ذكر نحو ذلك عن وهب بن منبه، فذكر فيه أن هلاك الأندلس وخرابها يكون بسنابك الخيل واختلاف الجيوش فيها، وتركْتُ سائرها لعدم الصحة في ذلك(١)، والمعلوم أن كل قرية تهلك إما من جهة القحوط والخسف غرقاً، وإمَّا من جهة(٢) الفِتن، أو منهما، وصور ذلك كثيرة لا يعلمها إلَّا الله عزّ وجل، فأمَّا ما هلك بالفتنة فعن ظُلْم ولا بُدَّ، إمَّا في كفرٍ أو معاصٍ أو تقصير في دفاع وحزامة(٣)، وأما القحط فيصيب الله به من يشاءُ وكذلك الخسف.

وقوله: ﴿مُهۡلِكُوهَا﴾ الضمير لها وفي ضمن ذلك الأهـل، وقوله: ﴿مُعَذِّبُوهَا﴾ هو على حذف مضاف، فإنه لا يعذب إلَّا الأهل.

وقوله: ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يريد: في سابق القضاء، وما خطَّه القلم في اللوح المحفوظ.

و«المَسْطُورُ»: المكتوب أسْطَاراً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ﴾ الآية، هذه العبارة في معناها(٤) هي على ظاهر ما تفهم العرب، فسمَّى سَبْقَ قضائه بتكذيب من كذَّب وتعذيبه مَنْعاً، و﴿أَن﴾ الأولى في موضع نصب، والثانية في موضع رفع، والتقدير: وما مَنَعَنَا الإرسالَ إلَّا التَّكذيبُ.

وسبب هذه الآية أن قريشاً اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصَّفَا ذهباً، واقترح بعضهم أن يُزيل عنهم الجبال حتى يزرعوا الأرض، فأوحى الله إلى محمد ﷺ: إن شئت أن أفعل ذلك لهم، فإن تأخروا عن الإيمان عاجلتهم العقوبة، وإن شئت استأنيت بهم عسى أن أجْتبي منهم مؤمنين، فقال رسول الله ﷺ: «بل تَسْتَأْني بهم يا رب»(٥).

---

(١) لم أقف على نقل النقاش، وقول الضحاك ووهب ورد في البحر المحيط (٧/ ٧٢).

(٢) ليست في الإماراتية وفيض الله ونور العثمانية.

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) في المطبوع والإماراتية ونور العثمانية: «مَنَعَنَا».

(٥) صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٢٥٨)، والنسائي في الكبرى (١١٢٢٦)، والطبري (١٧/ ٤٧٦)، =

فأخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لم يمنعه من إرسال الآيات المُقْتَـرَحة إلَّا الاستيناءُ؛ إذْ إنه[١] قد سلفت عادته بمعاجلة الأمم الذين جاءتهم الآيات المُقْتَـرَحة فلم يُؤْمنوا.

قال الزجاج: أخبر الله تعالى أن موعد كفار هذه الأمة الساعة؛ لقوله: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ ﴾ [القمر: ٤٦][٢]، فهذه الآية تنظر إلى ذلك.

ثم ذكر الله تعالى أمر ثمود احتجاجاً إن قال منهم قائل: نحن كنا نؤمن لو جاءتنا آية اقترحناها ولا نكفر بوجه، فذكر الله تعالى ثمود، بمعنى: لا تأمنون أن تَظْلِمُوا[٣] بالآية كما ظلمت ثمود بالناقة.

وقرأ الجمهور: ﴿ثَمُودَ﴾ بغير تنوين، قال هارون: أهل الكوفة يُنَـوِّنون﴿ثَمُودَاْ﴾ في كل وجه، قال أبو حاتم: لا تُنَـوِّنُ العامة والعلماءُ بالقراءات[٤] (ثَمُودَ) في وجه من الوجوه[٥]، وفي أربعة مواطن أَلِفٌ مكتوبة، ونحن نقرؤُها بغير ألف[٦].

وقوله: ﴿مُبۡصِرَةً ﴾ على جهة النسب؛ أي: معها إبصارٌ، كما قال: ﴿ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً ﴾ [الإسراء: ١٢]؛ أي: مَعَهَا إبصارٌ ممن ينظر، وهذه عبارة عن بيان أمرها، ووضوح إعجازها.

= والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٢)، والبزار (٢٢٢٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٥٥) والضياء في المختارة (١٠/ ٧٩-٨٠) من طرق عن جرير، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه، مرفوعاً، وقال البزار: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ من وجه صحيح إلا من هذا الوجه.

(١) من المطبوع.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٤٧)، والعزو له ليس في نجيبويه.

(٣) في نجيبويه: «تضلوا بالآية كما ضلت».

(٤) في نجيبويه: «بالقرآن».

(٥) في أحمد٣: «من وجوه النسب».

(٦) غير متقن، وقد نقل كلام هارون وأبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ٧٢)، وقد نقل الهذلي في الكامل (ص: ٥٥٤) تعميم التنوين عن الأعمش وابن مقسم خاصة، ولم نجده لغيرهم من الكوفيين، مع اتفاق المصاحف هنا على كتابته بلا ألف.

وقرأ قومٌ: (مُبْصَرَةً) بضم الميم وفتح الصاد، حكاه الزجاج[١]، ومعناه: مُتَـبَيَّـنَةً.

وقرأ قتادة: (مَبْصَرَةً) بفتح الميم والصاد[٢]، وهي مَفْعَلَةٌ من البصر، ومنه قوله عنترة:

. . . . والكُفْـرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْـسِ الْمُنْعِمِ[٣] [الكامل]

وقوله: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾؛ أي: وضعوا الفعل غير موضعه، أي: بعَقْرها، وقيل: بالكفر في أمرها. ثم أخبر تعالى أنه إنما يرسل بالآياتِ غير المُقْتَـرَحَة تَخْوِيفاً للعباد، وهي آيات معها إمْهالٌ لا معاجلة، فمن ذلك الكسوف والرعد والزَّلزلة وقوس قُـزَح وغير ذلك، قال الحسن: والموت الذريع[٤].

وروي: أن الكوفة رجفت في مدة عبد الله بن مسعود، فقال: أيها الناس، إن ربكم يستعتبكم، فأعتبوه[٥].

ومن هذا قول النبي ﷺ في الكسوف: «فافْزَعُوا إلى الصَّلَاةِ» الحديث[٦].

وآياتُ الله المُعْتَبر بها ثلاثة أقسام:

فقسم عامٌّ في كل شيءٍ؛ إذ حيثما وضعت نظرك وجدتَ آية، وهنا فكرة العلماء.

وقِسْم معتادٌ غِبّاً كالرعد والكسوف ونحوه، وهنا فكرة الجهلة فقط.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٤٧) بلا نسبة، وهي شاذة.

(٢) وهي شاذة، نقلها عنه الكرماني في الشواذ (ص:٢٨٢)، وزاد له كسر الصاد، وهي في مختصر الشواذ (ص: ٨٠) بلا ضبط.

(٣) وصدره: نُبئْت عَمْراً غَيْرَ شاكِرِ نِعْمَتي، انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٦٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٧٦)، والصحاح للجوهري (١/ ٢٨١)، وشرح المعلقات التسع للشيباني (ص: ٢٤٩)، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/ ٢٨٣).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٤٧٨).

(٥) إسناده منقطع، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٧٨) من طريق قتادة قال: ذُكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود، فقال: يأيها الناس إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه.

(٦) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (١٠٤٦) في باب النداء بالصلاة جامعة في الكسوفِ.

وقسم خارق للعادة، وقد انقضى بانقضاء النبوة، وإنما يُعتبر به توهماً لما سلف منه.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾.

قال الطبري: معنى قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾؛ أي: في منعك يا محمد، وحياطتك، وحفظك، فالآية إخبارٌ له بأنه محفوظ من الكفرة، آمِنٌ أن يُقتل أو يُنال بمكروه عظيم؛ أي: فلتُبَلغ[1] رسالةَ ربك، ولا تتهيَّبْ أحداً من المخلوقين[2].

وهذا تأويلٌ بيِّنٌ جار مع اللفظ، وقد رُوي نحوه عن الحسن بن أبي الحسن، والسُّدي[3]، إلاَّ أنه لا يناسب ما بعده مناسبةً شديدةً.

ويحتمل أن يجعل الكلام مناسباً لما بعده، توطئةً له، فأَقولُ: اختلف الناسُ في الرُّؤْيا: فقال الجمهور: هي رؤيا عينٍ ويقظةٍ، وهي ما رآه رسول الله ﷺ في ليلة الإسراء، قالوا: فلما أخبر رسول الله ﷺ صبيحة الإسراء بما رأى في تلك الليلة من العجائب، قال الكفار: إنَّ هذا لعجب[4]، تخبُّ الـحُداةُ إلى بيت المقدس شهرين إقبالًا وإدباراً، ويقول محمد إنه جاءه من ليلته وانصرف منه، فافتتن بهذا التَّلْبيس قومٌ من ضعفة المسلمين فارتَدُّوا، وشق ذلك على رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآيات[5].

فعلى هذا يحسن أن يكون معنى قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾؛ أي: في إضلالهم وهدايتهم، وأنَّ كلَّ واحد مُيَسَّر لما خلق[6] له؛ أي: فلا تهتم أنت

---

(١) في الأصل: «في تبليغ».

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٧٩).

(٣) انظر قول الحسن في تفسير الطبري (١٧/ ٤٧٩)، وقول السدي في البحر المحيط (٧/ ٧٤).

(٤) في الأصل والمطبوع: «لعجيب».

(٥) انظر قصة الإسراء والمعراج في البخاري (٣٤٩، ٣٨٨٦- ٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢-١٧٥).

(٦) في نجيبويه والإماراتية: «يسر».

بِكُفْرِ من كَفر، ولا تحزن عليهم، فقد قيل لك[١]: إن الله محيطٌ بهم، مالِكٌ لأمرهم، وهو جعل رؤياك[٢] هذه فتنةً ليكفر من سبق عليه الكفر.

وسُمِّيت الرُّؤْية في هذا / التأويل رُؤيا؛ إذ هما مصدران من: رأى. [٣/ ١٧٨]

قال النقاش: جاء ذلك على اعتقاد من اعتقد أنها منامة وإن كانت الحقيقة غيرَ ذلك[٣].

وقالت عائشة: الرؤيا في الإسراء رؤيا منام[٤].

وهذا قولٌ الجمهورُ على خلافه، وهذه الآية تقضي بفساده، وذلك أن رؤيا المنام لا فتنة فيها، وما كان أحد لينكرها، وقد ذُكر هذا مُسْتَوْعباً في صدر السورة.

وقال ابن عباس: الرُّؤْيَا التي في هذه الآية هي رؤيا رسول الله ﷺ أن[٥] يدخل مكة، فعجَّل في سَنَة الحديبية، فَرُدَّ، فافتتن المسلمون لذلك، فنزلت الآيات[٦].

وقال سهلُ بن سعد: إنما هذه الرؤيا أن رسول الله ﷺ كان يرى بني أمية ينزون على منبره نزْوَ القردةِ، فاهتَمَّ لذلك وما استجمع ضاحكاً من يومئذ حتى مات[٧]، فنزلت الآية

---

(١) في المطبوع زيادة: «لا تحزن عليهم».

(٢) ليست في المطبوع، ولا نجيبويه.

(٣) انظر: البحر المحيط (٧/ ٧٤).

(٤) ضعيف، أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص ٢٧٥)، قال: حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة أنها كانت تقول: ما فُقِد جسد رسول الله ﷺ، ولكن الله عز وجل أسرى بروحه، ومن طريقه أخرجه الطبري (١٧/ ٣٥٠)، وفي تهذيب الآثار (٧٣٣) وسنده ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق.

(٥) في أحمد٣: «أنه».

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٨٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، والعوفي ضعيف.

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٨٣) قال: حُدثتُ عن محمد بن الحسن بن زبالة، قال: ثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد، قال: ثني أبي، عن جدّي، به، ومحمد بن الحسن بن زبالة كذبوه، وانظر التقريب (٥٨١٥)، وشيخه عبد المهيمن بن عباس ضعيف، وانظر: التقريب (٤٢٣٥)، =

مخبرة أن ذلك من ملكهم وصعودهم على المنابر، إنما يجعلها الله فتنة للناس وامتحاناً.

ويجيءُ قوله: ﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾؛ أي: بإقداره، وأن كل ما قدَّره نافذ، فلا تهتم بما يكون بعدك من ذلك، وقد قال الحسن بن علي في خطبته في شأن بيعته لمعاوية: ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١][(١)].

وفي هذا التأويل نظر، ولا يدخل في هذه الرُّؤيا عثمان بن عفان، ولا عمر بن عبد العزيز، ولا معاوية.

وقوله: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ معطوفة على قوله: ﴿ٱلرُّءْيَا﴾؛ أي: جعلنا الرؤيا[(٢)] والشجرة فتنةً.

والشَّجَرَةُ هنا في قول الجمهور هي شجرة الزقُّوم، وذلك أن أمرها لما نزل في سورة الصَّافَّات قال أبو جهل وغيره: هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنها تُنبتُ الشَّجر، [والنار تأكل الشجر][(٣)]، وما نعرف الزَّقوم إلاَّ التمر بالزبد، ثم أمر أبو جهل جاريةً له فأحضرت تمراً وزبداً وقال لأصحابه: تَزَقَّمُوا، فافْتتن أيضاً بهذه المقالة بعض الضعفاء[(٤)].

= وله شاهد بإسناد فيه كلام، أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٤٦١) من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رأى في المنام كأن بني الحكم ينزون على منبره وينزلون، فأصبح كالمتغيظ، وقال: «ما لي رأيت بني الحكم ينزون على منبري نزو القردة؟» قال: فما رئي رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً بعد ذلك حتى مات ﷺ، بدون ذكر الآية. وله طرق أخرى عن أبي هرير ضعيفة، وانظر العلل المتناهية (٢/ ٧٠١-٧٠٢).

(١) لم أقف عليه.

(٢) في المطبوع: «الرؤية».

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) صحيح لغيره، أخرجه البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ٥٧) من طريق علي بن أبي طلحة، وأبو يعلى في مسنده (٢٧٢٠) من طريق عكرمة مولى ابن عباس، والطبري (١٧/ ٤٨٤) من طريق عطية العوفي، جميعاً (علي، وعكرمة، والعوفي) عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

فأخبر الله نبيَّه أنه إنما جعل الإسراء وذِكْرَ شجرة الزَّقوم فتنة واختباراً ليكفر من سبق عليه الكفر، ويُصدِّق من سبق له الإيمان، كما رُوي أن أبا بكر الصديق قيل له صبيحة الإسراء: إن صاحبك يزعم أنه جاء البارحة بيت المقدس وانصرف منه، فقال: إن كان قال ذلك فقد صدق، فقيل له: أفتصدِّق قبل أن تسمع منه؟ فقال: أين عقولكم؟ أنا أصدقه بخبر السماء، فكيف لا أصدقه بخبر بيت المقدس، والسماءُ أبعد منها بكثير؟[1].

(١) روي من طرق أجودها مرسل، أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٤٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٢٤)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٤/ ٧٧٣) من طريق محمد بن كثير الصنعاني، عن معمر بن راشد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، مرفوعاً بنحوه، ومحمد بن كثير بن أبي عطاء الثقفي، أبو يوسف الصنعاني ثم المصيصي صدوق كثير الغلط، وروايته عن معمر ضعفها أحمد، وقال: هو منكر الحديث، وقال: يروي أشياء منكرة، وقال أبو حاتم: كان رجلاً صالحاً سكن المصيصة، وأصله من صنعاء اليمن، وفي حديثه بعض الإنكار، وقال صالح بن محمد: صدوق كثير الخطأ، وقال البخاري: لين جداً، وقد وثقه ابن معين، قلت: ومحمد بن كثير لا يحتج به إذا انفرد، وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ٤١٥-٤١٧)، وللحديث شاهد أخرجه البزار في مسنده (٣٤٨٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٢٧)، والطبراني في معجمه (٧١٤٢)، وفي مسند الشامين (١٨٩٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٤١) من طريق إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصي، ابن زبريق، عن عمرو بن الحارث، عن عبد الله بن سالم، عن الزبيدي، عن الوليد بن عبد الرحمن أن جبير بن نفير قال حدثنا شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله كيف أسري بك ليلة أسري بك؟.. فأتاني أبو بكر فقال: يا رسول الله أين كنت الليلة فقد التمستك في مكانك، فقال: إني أتيت بيت المقدس الليلة فقال: يا رسول الله إنه مسيرة شهر فصفه لي ففتح لي شراك كأني أنظر إليه لا يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم عنه، فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله، فقال: المشركون انظروا إلى أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة قال نعم: وقد مررت بِعير لكم بموضع كذا وكذا قد أضلوا بعيراً لهم بمكان كذا وكذا، وإسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصي، ابن زبريق قال فيه أبو حاتم: شيخ لا بأس به، ولكنهم يحسدونه، وقال النسائي: ليس بثقة، وروى الآجري عن أبي داود: أن محمد بن عون قال: ما أشك أن إسحاق بن زبريق يكذب، وقواه ابن معين، وانظر التهذيب (١/ ٢١٥-٢١٦)، وقال ابن كثير: لا شك أن هذا الحديث المروي عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي، ومنها ما هو منكر، كالصلاة في بيت لحم، =

وقالت فرقة: الشجرة إشارةٌ إلى القوم المذكورين قبْلُ في الرُّؤْيا.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول ضعيف مُحْدَث، وليس هذا عن سهل بن سعد ولا مثله، وقال الطبري عن ابن عباس: إن الشجرة الملعونة: يعني: الملعون آكلها؛ لأنها لم يجرِ[(١)] لها ذكر[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: ويصح أن يراد: الْمَلْعُونَةَ هنا، فأكَّد الأمر بقوله: ﴿فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾.

وقالت فرقة: الملعونة: الـمُبْعَدَةُ[(٣)] المكروهةُ، وهذا أراد؛ لأنه لَعَنَها بلفظ اللَّعنة المتعارف، وهذا قريب في المعنى من الذي قبله، وأيضاً فما ينبتُ في أصل الجحيم فهو في نهاية البعد من رحمة الله.

وقوله: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾، يريد: إمَّا كُفَّارَ مكَّة، وإمَّا الملوك من بني أميَّة بعد الخلافة التي قال فيها النبي ﷺ: «الخلافةُ بعدي ثلاثون سنة[(٤)]، ثم تكون ملكاً عَضُوضاً»[(٥)].

= وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس، وغير ذلك.، وله شاهد ثان أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٤٥) من طريق الزهري قال أبو سلمة ابن عبد الرحمن: فتجهز ناس من قريش إلى أبي بكر فقالوا له: هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه قد جاء بيت المقدس، ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة، فقال أبو بكر: أوقال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: فأشهد، لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: فتصدقه بأن يأتي الشام في ليلة واحدة، ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء. قال أبو سلمة: فبها سمي أبو بكر الصديقَ، وهذا مرسل جيد.

(١) في المطبوع: «يجيء».

(٢) أخرجه ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور (٩/ ٣٩٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: ملعونة؛ لأن طلعها كأنه رؤوس الشياطين، وهم ملعونون، وأخرجه الطبري (١٤/ ٦٥٣) من قول ابن جريج، بنحوه.

(٣) ليست في نجيبويه.

(٤) «سنة»: ليست في المطبوع وفيض الله والإماراتية ونور العثمانية.

(٥) في المطبوع «عضوداً»، والأثر صححه أحمد وغيره، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده =

والأول منها أصوب كما قلنا قبْلُ.

وقوله: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا﴾ يريد كفرهم وانهماكهم[١] فيه، كقول أبي جهل في الزقوم والتَّزقُّم، فقد قال النقاش: إن في ذلك نزلت[٢]، وفي نحوه.

وقرأ الأعمش: (وَيُخَوِّفُهُمْ) بالياء[٣]، وقرأ الجمهور: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بالنون.

= (١٩٤٤)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٢٠)، والبزار في مسنده (٣٨٢٨)، والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٠٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ٤١٤)، والطبراني في الكبير (١٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٩٤٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧١) من طريق حماد بن سلمة، والطيالسي في مسنده (١٢٠٣)، وأحمد (٥/ ٢٢١)، والترمذي (٢٢٢٦)، والطبراني في الكبير (٦٤٤٢)، من طريق حشرج بن نباتة العبسي، وأبو داود (٤٦٤٨)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٥)، وابن حبان في صحيحه (٦٦٥٧) من طريق عبد الوارث بن سعيد، وأبو داود (٤٦٤٩)، والنسائي في الكبرى (٨٠٩٩)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٤٠٣-١٤٠٤)، والطبراني في الكبير (١٣٦-٦٤٤٣) من طريق العوام بن حوشب، جميعاً (حماد، وحشرج، وعبد الوارث، والعوام) عن سعيد بن جهمان، عن سفينة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: الخلافة في أمَّتي ثلاثون سنةً ثمَّ يكون ملكٌ، ثمَّ قال سفينة: أمسك، خلافة أبي بكرٍ وخلافة عمر ثنتا عشرة سنةً وستَّة أشهرٍ وخلافة عثمان ثنتا عشرةَ سنةً وستَّة أشهرٍ ثمَّ خلافة عليٍّ تكملةُ الثَّلاثين قلت: فمعاوية؟ قال: كان أوَّل الملوك، والروايات مطولة ومختصرة، قال الخلال: أخبرنا المروذي قال: ذكرت لأبي عبد الله حديث سفينة، فصححه، وقال: هو صحيح، قلت: إنهم يطعنون في سعيد بن جمهان؟ فقال: سعيد بن جمهان ثقة، روى عنه غير واحد، منهم: حماد وحشرج والعوام. قلت: إن عباس بن صالح حكى عن علي بن المديني، عن يحيى القطان أنه تكلم فيه؟ فغضب، وقال: باطل، ما سمعت يحيى يتكلم فيه، وأخبرني محمد ابن علي، قال: سمعت محمد بن مطهر المصيصي ذكر أبو عبد الله: حماد بن سلمة، عن سعيد بن جمهان، عن سفينةَ ـ في الخلافة، وقال: علي ـ عندنا ـ من الخلفاء الراشدين المهديين، وحماد بن سلمة ـ عندنا ـ ثقة، وما نزداد كل يوم فيه إلا بصيرة. انظر: المنتخب من علل الخلال (١/ ٣٠).

(١) في نجيبويه ونور العثمانية والإماراتية وفيض الله: «وانتهاكهم».

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٨٤)، وفي نجيبويه: «الناس» بدل «النقاش»، وقوله لم أقف عليه.

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٠).

قوله عز وجل ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾.

المعنى: واذكر إذ قلنا، وكذلك ﴿وَإِذْ﴾ في الآية المتقدمة هي منصوبة بفعل مضمر، وقد تقدم في غير موضع ذِكْرُ خلق آدم وأمْر السجود له.

واختلف في قوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فقيل: هو استثناءٌ منقطع؛ لأن إِبْلِيسَ لم يكن من الملائكة.

وقيل: هو متصل؛ لأن إبليس من الملائكة.

وقوله: ﴿طِينًا﴾ يصحُّ أن يكون تمييزاً، ويصحُّ أن يكون حالاً، وقاسَ إِبْلِيسُ في هذه النازلة فأخطأ؛ وذلك أنه رأى الفضيلة لنفسه من حيث رأى أن النار أفضل من الطين، وجهل أن الفضائل في الأشياء إنما تكون حيث خصصها الله تعالى، ولا يُنْظر إلى أصولها.

وذكر الطبري عن ابن عباس: أن إبليس هو الذي أمره الله، فأخذ من أديم الأرض طينة، فخلق آدم[1]، والمشهور أنه مَلَك الموت.

وكُفر إبليس في أن جهل صفة العدل من الله تعالى حين لحقته الأنفة والكبر، وكان أصل ذلك الحَسَد، ولذلك قيل: أولُ ما عُصي اللَّهُ تعالى بالحسد[2]، وظهر ذلك

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٨٨) عن محمد بن حميد الرازي، عن يعقوب القمي، عن جعفر ابن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، ومحمد بن حميد ضعيف، والمشهور أن ملك الموت هو الذي فعل هذا، ولفظة: «فخلق» ليست في نجيبويه.

(٢) ورد في تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ١٥١)، على أنه خبر.

من إبليس من قوله: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾، ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] حسبما ذكر الله في آية أُخرى، فهذا هو النَّصّ بأن فعلك غير مستقيم.

والكاف في قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ هي كاف خطاب ومبالغة في التَّنبيه، لا موضع لها من الإعراب؛ فهي زائدة، ومعنى ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾: أَتَأَمَّلْتَ، ونحوه، كأن المخاطِب بها يُنَبِّه المخاطَبَ ليستجمع لما ينُصُّه عليه بعْدُ، وقال سيبويه: هي بمعنى: أخبرني، ومثَّل بقوله: أَرَأَيْتَك زيداً أَبُو مَنْ[1] هو؟[2]، وقاله الزجاج في آيتِنا، ولم يُمثِّل[3].

وقول سيبويه صحيح حيث يكون بعدها استفهام / كمثاله، وأما[4] هذه الآية فهي كما قلْتُ، وليست التي[5] ذكر سيبويه رحمه الله. [٣/ ١٧٩]

وقرأ ابن كثير: ﴿أَخَّرْتَني﴾ بياء في الوصل والوقف، وهذا هو الأصل، وليس هذا الموضع كالقافية التي يحسن فيها الحذف، كمثل قول الأعشى:

فَهَلْ يَمْنَعَنِّي ارْتِيَادِي الْبِلا دَمِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنْ[6] [المتقارب]

وقرأ نافع، وأبو عمرو بالياء في الوصل وبحذفها في الوقف، وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿أَخَّرْتَنِ﴾ بحذف الياء في الوصل والوقف[7]، وهذا تشبيه بياء (قاضٍ) ونحوه؛ لكونها ياءً متطرفة قبلها كسرة، ومنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥].

---

(١) في المطبوع: «أيؤمن»، بدل: «أبو من».
(٢) الكتاب لسيبويه (١/ ٢٣٩).
(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٩).
(٤) في نجيبويه: «وما في».
(٥) في المطبوع وأحمد٣: «وليس الذي».
(٦) تقدم في تفسير الآية (٢٢) من سورة آل عمران.
(٧) انظر: السبعة (ص: ٣٨٦)، والتيسير (ص: ١٤٢).

وقوله: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ﴾ معناه: لأُمِيلَنَّ ولأَجُرَّنَّ، وهو مأخوذ من تحنيك الدَّابَّة، وهو أن يُشَدَّ على حنكها بحبل أو غيره فتنقاد، والسَّنة تَحْتَنِكُ المال؛ أي: تجترُّه، ومنه قول الشاعر:

[الرجز]
نَشْكُو إِلَيْكَ سَنَةً قَدْ أَجْحَفَتْ جَهْداً إِلَى جَهْدٍ بِنَا فَأَضْعَفَتْ
واحْتَنَكَتْ أَمْوَالَنَا وجَلَّفَتْ[١]

ومن هذا الشعر قال الطبري: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ﴾ معناه: لأَسْتَأْصِلَنَّ[٢]، وعبَّر ابن عباس في ذلك بـ(لأَسْتَوْلِيَنَّ)[٣]، وقال ابن زيد: لأُضِلَّنَّ[٤]، وهذا بدل اللفظ لا تفسير.

وحكم إبليس بهذا الحكم على ذرية آدم من حيث رأى الخِلْقة مجوفة مختلفة الأجزاء، وما اقترن بها من الشهوات والعوارض كالغضب ونحوه، ثم استثنى القليل لعلمه أنه لا بدَّ أن يكون في ذريته من يصلب في طاعة الله.

وقوله: ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ وما بعده من الأوامر هي صيغة (افْعَلْ) بمعنى التهديد، كقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠]، و﴿تَبِعَكَ﴾ معناه: في طريق الكفر [الذي تدعو إليه][٥]، فالآية في الكفار، وفيمن ينفذ عليه الوعيد من العصاة.

وقوله: ﴿جَزَآءً﴾ مصدر في موضع الحال، و«الـمَوْفورُ»: المكتمل[٦].

---

(١) البيتان الأول والثاني مثبتان ضمن الأرجوزة السادسة في بقية ديوان الزفيان السعدي، عطاء بن أُسيد الراجز، وعزاهما له في تهذيب اللغة (٢/ ٣٣٤)، وتاج العروس (٢٤/ ٣٨١)، وهي ملحقة بديوان العجاج المطبوع في ليبزج سنة ١٩٠٣ (ص: ٦٥).
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٨٨).
(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٨٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.
(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٤٨٩).
(٥) ليس في نجيبويه.
(٦) في نجيبويه ونور العثمانية وفيض الله: «المكمل».

و﴿استَفزِزْ﴾ معناه: استخفَّ واخْدَعْ[١] حتَّى يقع في إرادتك، تقول: اسْتَفَزَّني فلانٌ في كذا: إذا خدعك حتَّى تقع في أمرٍ أراده[٢].

ومن الخفة قيل لولد البقرة: فَـزٌّ، ومنه قول زهير:

كَمَـا اسْـتَغَاثَ بِسَـيْءٍ فَـزُّ غَيْطَلَـةٍ خَافَ الْعُيُونَ فَلَمْ يُنْظَر بِهِ الْحَشَكُ[٣] [البسيط]

و«الصَّوْتُ» هنا قيل: هو الغناءُ والمزامير والملاهي؛ لأنها أصوات كلها مختصة بالمعاصي، فهي مضافة إلى الشيطان، قاله مجاهد[٤]، وقيل: معناه: بدعائك إياهم إلى طاعتك.

قال ابن عباس: صوته دعاءُ كل داع دعا[٥] إلى معصية الله[٦].

قال القاضي أبو محمد: والصواب أن يكون الصَّوْتُ يعُمُّ جميع ذلك.

وقوله: ﴿وَأَجْلِبْ﴾؛ أي: هَوِّلْ، و«الجَلَبَةُ»: الصوت الكثير المختلط الهائل.

وقرأ الحسن: (وَاجْلُبْ) بوصل الألف وضمِّ اللام[٧].

وقوله: ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ قيل: هذا مجازٌ واستعارة بمعنى: اسْعَ سعيك، وابلغ جهدك، وقيل: معناه أن له من الجن خيلاً ورجلاً، قاله قتادة.

---

(١) في نجيبويه: «واجزع».
(٢) في أحمد٣: «أراده بك».
(٣) انظر عزوه له في الاشتقاق (١/ ١٢٠)، وأمالي القالي (١/ ٧٨)، والمحكم (٣/ ٣٠)، وإصلاح المنطق (١/ ٢٩)، وتهذيب اللغة (١/ ٤٦٨)، والسَّيْءُ: ما يكون في الضَّرع من اللبن قبل نزول الدِّرَّة، والغيطلة: البقرة. والحَشَكُ: سرعة تجمع اللبن في الضرع.
(٤) تفسير الثعلبي (٦/ ١١٣).
(٥) في المطبوع: كل عاص وفي نجيبويه كذلك وسقطت منه ومن نور العثمانيةكلمة: «دعا».
(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٩١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.
(٧) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص:٢٨٢).

وقيل: المرادُ فرسان الناس ورجالتهم المتصرفون في الباطل، فإنهم كلهم أعوان لإبليس على غيرهم، قاله مجاهد[١].

وقرأ الجمهور: ﴿وَرَجْلِكَ﴾ بسكون الجيم، وهو جمع راجِلٍ، كتاجِرٍ وتَجْر، وصاحِبٍ وصَحْب، وشارِبٍ وشَرْب.

وقرأ حفصٌ عن عاصم: ﴿وَرَجِلِكَ﴾ بكسر الجيم، على وزن فَعِل، وكذلك قرأ الحسن، وأبو عمرو بخلاف عنه[٢]، وهي صفةٌ، تقول: فلانٌ يمشي رَجِلًا؛ أي: غير راكب، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] أَمَـا أُقَاتِلُ عَنْ دِينِي عَلَى فَرَسِـي ... ولا كَـذَا رَجِـلاً إِلَّا بِأَصْحَابِ[٣]

وقرأ قتادة وعكرمة: (بخَيلك ورِجَالِك)[٤].

وقوله[٥]: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ عامٌّ لكلِّ معصية يصنعها الناسُ بالمال، فإن ذلك المصرف في المعصية هو حظُّ إبليس، فمن ذلك البحائر[٦] وشبهها، ومن ذلك مهر البغيِّ وثمن الخمر وحلوان الكاهن والرِّبا وغير ذلك مما يوجَد في النَّاس دأباً.

وقوله: ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ عامٌّ لكل ما يصنع في أمر الذرِّيَّة من المعاصي، فمن ذلك

---

(١) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٦/ ١١٣).

(٢) انظر: التيسير (ص: ١٤٠)، وانظر رواية أبي عمرو، وهي خارج الطرق، وقراءة الحسن في البحر المحيط (٧/ ٨٠).

(٣) البيت: ليحيى بن وائل، أحدُ بني مازن حارثي كما في نوادر أبي زيد (ص: ٥)، وأنساب الأشراف (٧/ ١٨٤)، وضبطت «رجلاً» في المطبوع بالضم، ولعل الصواب: «رجِلاً» بكسر الجيم؛ ليصح الاستشهاد، والله أعلم.

(٤) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، والبحر المحيط (٧/ ٨٠)، ونقلها الزمخشري في الكشاف (٢/ ٦٧٨) بلا نسبة.

(٥) من المطبوع.

(٦) في المطبوع: «السجائر»!.

الإيلادُ بالزِّنَى، ومن ذلك تسميتهم عبد شمس، وعبد الحارث، وأبا الكويفر، وكل اسم مكروه، ومن ذلك الوأْد الذي كانت العرب تفعله، ومن ذلك صنعهم[1] في أديان الكفر، وغير هذا، وما أدخل النقاش من وطء الجن وأنه يحبل المرأة من الإنس فضعيف كلُّه[2].

وقوله: ﴿وَعِدۡهُمۡ﴾؛ أيْ: مَنِّهم بما لا يتمُّ لهم، وبأنهم غير مبعوثين، فهذا مشاركة في النفوس، ثم أخبر الله تعالى أنه إنما يعدهم غروراً منه؛ لأنه لا يُغني عنهم شيئاً.

وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ الآية قولٌ من الله تعالى لإبليس، وقوله: ﴿عِبَادِى﴾ يريد المؤمنين في الكفر، والـمُتَّقِين في المعاصي، وخَصَّهم باسم[3] العباد، وإن كان اسْماً عامّاً لجميع الخلق من حيث قصد تشريفهم والتنويه بهم، كما يقول رجلٌ لأَحَدِ بَنِيهِ إذا رأى منه ما يحب: هذا ابني، على معنى التَّنْبيه منه، والتشريف له، ومنه قول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقَّاص: «هذا خالي، فَلْيُرِني امرؤٌ خالَه»[4].

---

(١) في المطبوع والحمزوية وأحمد٣: «صبغهم».

(٢) تفسير الثعالبي (٣/ ٤٨٤).

(٣) في المطبوع: «بأنهم».

(٤) ضعيف، أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٣١٢)، والترمذي (٤٠٨٥)، وأبو يعلى في مسنده (٢٠٤٩-٢١٠١)، والبلاذري في أنساب الأشراف (٣/ ٢٩٣)، والطبراني في الكبير (٣٢٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٩٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ١٣٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٣٢-٣٣٣) من طرق عن مجالد بن سعيد الهمداني، عن الشعبي، عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما به، ومجالد بن سعيد أكثر النقاد على تضعيفه وتليينه، وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث مجالد.اهـ. ومثله في تحفة الأشراف (٢٣٥٢)، وكان سعد بن أبي وقاص من بني زهرة، وكانت أم النبي ﷺ من بني زهرة، فلذلك قال النبي ﷺ: «هذا خالي». اهـ، وقد وقع في إسناد الحاكم: إسماعيل بن أبي خالد بدلاً من مجالد بن سعيد، ونبه عليه ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ٢٨٠). والظاهر أنه وهم، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١٠١٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ١٣٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٣٣) من طريق: عبد الوهاب بن الضحاك قال: ثنا إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو السكسكي، عن ماعز التميمي، عن جابر، به. وعبد الوهاب متروك وكذبه بعضهم.

و«السُّلْطَانُ»: الملكة[١] والتغلُّب[٢]، وتفسيره هنا بالحُجَّة قَلِقٌ، ثم قال تعالى لِنَبيِّه ﷺ: وكفى بِرَبِّك يا محمد حافظاً للمؤمنين، وقَيِّماً على هدايتهم.

قوله عز وجل: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾.

«الإِزْجَاءُ»: سوقُ الثَّقيل السَّيْرِ؛ إمَّا لضعفٍ أو ثِقَل حمل أو غيره، فالإبل الضعاف تُزْجَى، ومنه قول الفرزدق:

[البسيط] .... عَلَى زَوَاحِفَ نُزْجِيهَا مَحَاسِيرِ[٣]

والسَّحابُ تُزْجَى، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ [النور: ٤٣]، والبضاعة الـمُزْجَاةُ هي التي تحتاج / لاختلالها أن تُساقَ بشفاعةٍ، وتُدْفع بمُعاوِنٍ إلى الذي يقبضها، وإزجاءُ الفُلْك سوقُه بالريح اللَّيِّنة والمجاديف. [٣/ ١٨٠]

و﴿ٱلْفُلْكَ﴾ هنا جمع، و﴿ٱلْبَحْرِ﴾: الماءُ الكثير عذباً كان أو مِلْحاً، وقد غلب الاسم على هذا المشهور، والفلك تجري فيهما.

وقوله: ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ لفظ يعم التجر[٤] وطلَب الأجر في حجٍّ أو غزوٍ ونحوه، ولا خلاف في جواز ركوبه للحجِّ والجهاد والمعاش[٥].

---

(١) في المطبوع: «الملكية».

(٢) في نجيبويه: «والتغليب».

(٣) تقدم في تفسير الآية (١٣) من سورة الأنفال، برواية: (تُزجَى مخُّها رِيرُ).

(٤) في المطبوع: «البحر».

(٥) انظر الاتفاق على جواز ركوب البحر للحج والجهاد في: البيان والتحصيل (١٧/ ٢٥)، ولم أقف عليه في المعاش.

واختُلف في وجوبه للحجِّ، أعني الكثير منه[١].

واختُلف في كراهيته للثروة وتزيداً للمال[٢].

وقد أخبر رسول الله ﷺ بركوبه للغزو في حديث أمِّ حَرامٍ[٣]، وقد رُوي عنه أنه قال: «البحر لا أركبه أبداً»[٤]، وهذا حديث يحتمل أنه رأي رآه لنفسه، ويحتمل أنه أوحي إليه ذلك، وهذه الآية توقيف على آلاءِ الله وفضله على عباده.

و﴿ٱلضُّرُّ﴾ لفظ يعمُّ خوف الغرق[٥]، والإمساك[٦] عن المشي، وأهول حالاته اضطرابه وتموجه.

وقوله: ﴿ضَلَّ﴾ معناه: تلف وفقد، وهي عبارة تحقير لمن يدعي إلهاً من دون الله، والمعنى في هذه الآية أن الكفار إنما يعتقدون في أصنامهم أنها شافعة، وأن لها فضلاً، وكل واحد منهم بالفطرة يعلم علماً لا يقدر على مدافعته أن الأصنام لا فعل لها في الشدائد العظام، فَوَقَفَهُم الله من ذلك على حالة البحر.

[وقوله: ﴿أَعۡرَضۡتُمۡ﴾؛ أي: لم تفكّروا في صنع الله وقتَ حاجتكم إليه][٧].

وقوله: ﴿كَفُورًا﴾؛ أي: بالنِّعَم.

و﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ هنا للجنس، وكل واحد لا يكاد يؤدي شكر الله تعالى كما يجب.

---

(١) الوجوب لجمهور المالكية كما في حاشية الدسوقي (٢/ ٨-٩)، والحنابلة كما في شرح منتهى الإرادات (١/ ٥١٨)، وهو الأصح عند الحنفية كما في البحر الرائق (٢/ ٣٣٨)، والشافعية كما في المجموع (٧/ ٨٣)، ومقابل القول الأصح عندهم: لا يجب.

(٢) لمزيد من التوسع انظر: الاستذكار (٥/ ١٢٧-١٢٨)، والبيان والتحصيل (١٧/ ٢٥)، وشرح النووي على مسلم (١٣/ ٥٩).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) لم أقف عليه مسنداً.

(٥) في نجيبويه: «الغزو».

(٦) في نجيبويه والإماراتية: «الامتساك».

(٧) ليس في المطبوع ونجيبويه.

وقال الزجاج: الإِنْسانُ يراد به الكفار(١).

قال أبو محمد: وهذا غير بارع.

وقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ الآية، المعنى: أفأمنتم أيها المعرضون النَّاسون الشِّدَّة حين صِرْتم إلى الرخاء أن يخسف الله بكم مكانكم من البر؛ إذْ أنتم في قبضة القدرة في البحر والبر.

و«الحاصِبُ»: العارضُ الرامي بالبَـرَد والحجارة ونحو ذلك، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] مُسْـتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّـام تَضْرِبُنَا ... بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ(٢)

ومنه قول الأخطل:

[الكامل] ترْمِي العِضَاهَ بِحَاصِبٍ مِنْ ثَلْجِهَا ... حَتَّى يَبِيـتَ عَلَى العِضَاهِ جُفَالا(٣)

ومنه الحاصِبُ الذي أصاب قوم لوط، والحَصْبُ: الرَّمْيُ بالحصباءِ، وهي الحجارة الصغار.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يَخْسِفَ﴾ بالياء، على معنى: يخسف اللَّهُ، وكذلك ﴿يُرْسِلَ﴾ و﴿يُعِيدَكُمْ﴾ و﴿فَيُرْسِلَ﴾ و﴿فَيُغْرِقَكُم﴾، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو ذلك كلَّه بالنون(٤).

وقرأ أبو جعفر، ومجاهد: ﴿تُغْرِقَكُمْ﴾ بالتاء؛ أي: الريحُ(٥).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٥١).

(٢) البيت للفرزدق كما في تفسير الثعلبي (٦/ ١١٤)، ومجاز القرآن (١/ ٣٨٥)، والطبري (٢٠/ ٣٦)، والكامل للمبرد (٣/ ٤٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٤٧٢)، ونديف القطن: قطع القطن المتناثرة، يريد البَـرَد، شبَّهَهُ بنديف القطن في اللون.

(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٤٩٩)، والجفال: ما تراكم من الثلج بعضه فوق بعض.

(٤) انظر: التيسير (ص: ١٤٠).

(٥) وهي عشرية لأبي جعفر في تفسير الثعلبي (٦/ ١١٤)، والنشر (٢/ ٣٠٨)، وزاد رويساً، ولمجاهد في البحر المحيط (٧/ ٨٣).

وقرأ حميد: ﴿نُغْرِقْكُمْ﴾ بالنون خفيفة، وأدغم القافَ في الكاف، ورويت عن أبي عمرو، وابن محيصن، وقرأ الحسن، وأبو رجاءٍ: (يُغَرِّقَكُمْ) بشدِّ الراء[1].

و«الوَكِيلُ»: القائم بالأُمور، و«القَاصِفُ»: الذي يكسر كلَّ ما يَلْقَى ويقْصِفُه.

و﴿تَارَةً﴾ جمعُهَا تاراتٌ وتِيَرٌ، معناها: مرَّة أُخرى.

وقرأ أبو جعفر: ﴿من الرِّيَاحِ﴾ بالجمع[2].

و«التَّبِيعُ»: الذي يطلب ثأراً أو دَيْناً أو نحو هذا، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]

غَدَوْا وَغَدَتْ غِزْلانُهُمْ فكَأَنَّهَا ... ضَوَامِنُ غُرْمٍ لَزَّهُنَّ تَبِيعُ[3]

ومن هذه اللَّفظة قول النبي ﷺ: «إذا أُتْبع أحدكم على مَلِيٍّ فلْيَتَّبع»[4].

فالمعنى: لا تجدون من يتبع فعلنا بكم، ويطلب نُصرتكم.

قوله عز وجل: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾.

---

(١) قراءة أبي عمرو من رواية السوسي على قاعدته، انظر التيسير (ص: ٢٢)، وانظر عزو القراءة الثانية للحسن في الكامل للهذلي (ص: ٥٨٨)، والنشر (٢/ ٣٠٨)، وزادا: ابن مقسم وقتادة، والكل في البحر المحيط (٧/ ٨٣).

(٢) على قاعدته، انظر: النشر (٢/ ٢٢٣).

(٣) هكذا أورده الطبري في التفسير (١٧/ ٥٠٠)، والجليس الصالح الكافي (ص: ٦١٢)، بلا نسبة، وهو في ديوان الطرماح (١/ ٨٣) بلفظ: ضوامنُ غرمٍ ما لهنَّ تبيعُ، وكذلك ورد بلا نسبة في الدر المصون (١/ ٢٩٩٤)، واللباب في علوم الكتاب (١٢/ ٣٣٩).

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (٢٢٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿كَرَّمْنَا﴾: تضعيف (كرم)، فالمعنى: جعلنا لهم كَرَماً؛ أي: شرفاً وفضلاً، وهذا هو كرم نَفْي النقصان، لا كرم المال، وإنما هو كما تقول: ثوبٌ كريمٌ؛ أي: جَمَّةٌ محاسنُه.

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآية عدَّدَ الله تعالى فيها على بني آدم ما خصَّهم به من بين[١] سائر الحيوان، والحيوان[٢] والجِنُّ هو الكثير المفضول، والملائكة هم[٣] الخارجون عن الكثير المفضول، وحَمْلُهم في الْبَـرِّ وَالْبَحْرِ مما لا يصح لحيوان سوى بني آدم أن يكون يتَحَمَّل بإرادته وقصده وتدبيره في البرِّ والبحر جميعاً، والرَّزقُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لا يتسع به حيوان اتساعَ[٤] بني آدم؛ لأنهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان، ويلبسون الثياب، ويأكلون المركَّبات من الأطعمة، وغاية كل حيوان أن يأكل لحماً نَـيِّـئاً، أو طعاماً غيرَ مركَّب، و«الرِّزْقُ»: كل ما صحَّ الانتفاع به.

وحكى الطبري عن جماعة أنهم قالوا: التفضيل هو أن يأكل بيديه، وسائر الحيوان بالفم[٥].

وقال غيره: وأن ينظر من إشرافٍ أكثر من كل حيوان، ويمشي قائماً، ونحو هذا من التفضيل.

وهذا كله غير محذق، وذلك أن للحيوان من هذا النوع ما كان يفضل به ابن آدم، كجري الفرس وسمعه وإبصاره، وقوة الفيل وشجاعة الأسد وكرم الديك، وإنما التكريم والتفضيل بالعقل الذي به يملك الحيوانَ كله، وبه يعرف الله، ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه.

وقالت فرقة: هذه الآية تقضي بفضل الملائكة على الإنس من حيث هم المستثنَون، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[النساء: ١٧٢]، وهذا غير لازم من

---

(١) في المطبوع: «دون».

(٢) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٣) في المطبوع: «منهم».

(٤) في المطبوع: «ينتفع»، «انتفاع».

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠١).

الآية، بل التفضيل بين الإنس والجن لم تعن له الآية، بل يحتمل أن الملائكة أفضل، ويحتمل التساوي، وإنما صحَّ تفضيل الملائكة من مواضع أُخرى من الشرع.

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ ﴾ الآية، يحتمل قوله: ﴿ يَوْمَ ﴾ أن يكون منصوباً على الظرف، والعامل فيه فعل مضمر تقديره: اذْكر، أو فعل يدلُّ عليه قوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ ﴾، تقديره: ولا يُظْلمون / يومَ ندعو، ثم فسره ﴿يُظْلَمُونَ ﴾ الأخير. [٣/ ١٨١]

ويصح أن يعمل فيه ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ ﴾، وذلك أن فضل البشر يوم القيامة على سائر الحيوان بيِّن؛ لأنهم الـمُنَعَّمون الـمُكَلَّمُون المُحَاسَبونَ الذين لهم القدر، أما[١] أنَّ هذا يردُّه أن الكفار يومئذ أخسرُ[٢] من كل حيوان؛ إذ يقول الكافر ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ [النبأ: ٤٠].

ولا يعمل فيه ﴿نَدْعُواْ ﴾؛ لأنه مضاف إليه.

ويحتمل أن يكون ﴿ يَوْمَ ﴾ منصوباً على البناء لمَّا أُضيف إلى غير متمكن، ويكون موضعه رفعاً بالابتداء، والخبر في التقسيم الذي أتى بعْدُ في قوله: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَن كَانَ ﴾.

وقرأ الجمهور: ﴿نَدْعُواْ ﴾ بنون العظمة، وقرأ مجاهد: (يَدْعُو) بالياء، على معنى: يدعو اللَّهُ، ورُويت عن عاصم، وقرأ الحسن: (يُدْعَوْا) بضم الياء وسكون الواو[٣]، وأصلها: يُدْعَى، ولكنها لغة لبعض العرب، يقلبون هذه الألف واواً فيقولون: أَفْعَوْ، وحُبْلَوْ، ذكرها[٤] أبو الفتح وأبو عليٍّ في ترجمة (أعمى) بعد[٥].

وقرأ الحسن: (كُلُّ) بالرفع، على معنى: يُدْعَى كلٌّ.

---

(١) في المطبوع: «إلَّا».

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «أخسُّ».

(٣) وهي شاذة، انظر قراءة مجاهد في مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، وزاد قتادة، وقراءة الحسن في المحتسب (٢/ ٢٢).

(٤) في المطبوع: «ذكر هاتين أبو الفتح».

(٥) انظر: المحتسب (٢/ ٢٢)، والحجة للفارسي (٥/ ١١٢).

وذكر أبو عمرو الداني عن الحسن أنه قرأ: (يُدْعَى كُلُّ)[١].

و«الأُناسُ»: اسْـمُ جمع لا واحد له مـن لفظه، وقوله: ﴿بِإِمَٰمِهِمۡ﴾ يحتمل أن يريد: باسـم إمامهـم، ويحتمل أن يريـد: مع إمامهم، فعلـى التأويل الأول يقال: يـا أُمَّةَ محمد، ويا أتباع فرعون، ونحو هذا، وعلى التأويل الثاني تجيءُ كلُّ أُمَّة معها إمامُها من هادٍ أو مُضِلٍّ.

واختلف المفسرون في الإمام: فقال مجاهد، وقتادة: نَبِيُّهم، وقال أبو زيد: كتابهم الذي نزل عليهم[٢]، وقال ابن عباس[٣]، والحسن: كتابهم الذي فيه أعمالهم، وقالت فرقة: مُتَّبَعُهُم من هادٍ ومُضل، ولفظة الإمام تعمُّ هذا كله؛ لأن الإمام هو ما يُؤْتَمُّ به ويُهتدى به في المقصد، ومنه قيل لخَيْط البَنَّاء: إمامٌ، وقال الشاعر يصف قدَحاً:

[الطويل]

وقَوَّمْتُـهُ حَتَّـى إذَا تَـمَّ واسْـتَوَى ... كَمُخَّـةِ سـاقٍ أو كَمَتْـنِ إِمَـامِ[٤]

ومنه قيل للطريق: إمامٌ؛ لأنه يُؤْتَمُّ به في المقاصد حتَّى ينتهي إلى المراد.

وقوله: ﴿فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ حقيقة في أن في القيامة صحائف[٥] تتطاير وتوضع في الأَيْمَان لأهل الإيمان، وفي الشمائل لأهل الكفر، وتوضع في أيمان المذنبين الذين ينفذ عليهم[٦] الوعيد، فيستفيدون منها أنهم غير مخلدين في النار.

وقوله: ﴿يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ﴾[٧]، عبارة عن السرور بها؛ أي: يُـرَدِّدُونها ويتأملونها[٨].

---

(١) وهما شاذتان، انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٦٠)، ولم أقف على نقل الداني.

(٢) انظرهما مع قول الحسن في تفسير الطبري (١٧/ ٥٠٢، ٥٠٣)، وفيه: «يحيى بن زيد»، وفي نور العثمانية والإماراتية وأحمد٣: «ابن زيد».

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) البيت للراعي كما في غريب الحديث لابن قتيبة (٣/ ٧٢٦)، وجاء بلا نسبة في الأمالي للقالي (٢/ ١٢٢)، وأساس البلاغة (١/ ٢١).

(٥) ليست في نجيبويه.

(٦) في المطبوع هنا زيادة: «هم».

(٧) في المطبوع بدل الآية: «يوم ندعوا».

(٨) في المطبوع: «ويتناقلونها».

وقوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾؛ أي: ولا أقلَّ ولا أكثر، فهذا هو مفهوم الخطاب، حُكْم المسكوت عنه كحُكْم المذكور[(١)]، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وكقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، وهذا كثير.

ومعنى هذه الآية: أنهم لا يُبخَسون من جزاء أعمالهم الصالحة شيئاً.

و«الفَتِيلُ»: هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، يُضرب به المثل في القلَّة وتفاهة القدر.

وقوله: ﴿وَمَن كَانَ﴾ الآية: قال محمد بن أبي موسى: الإشارة بـ ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إلى النعم التي ذكرها في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾؛ أي: مَنْ عَمِيَ عن شكر هذه النعم والإيمان بِمُسْديها فهو في أمور الآخرة وشأنها أعمى[(٢)].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل ﴿أَعْمَىٰ﴾ الثاني أن يكون بمنزلة الأول، على أنه تشبيه بأعمى البصر، ويحتمل أن يكون صفةَ تفضيل؛ أي: أشدَّ عمًى، والعَمَى في هذه الآية هو عَمَى القلب في الأول والثاني.

وقال ابن عباس[(٣)]، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد: الإشارة بـ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إلى الدنيا[(٤)]؛ أي: مَن كان في هذه الدار أعمى عن النظر في آيات الله وعِبَره والإيمان بآياته[(٥)] فهو في الآخرة أعمى، إمَّا أن يكون على حذف مضاف؛ أي: في شأن الآخرة، وإما أن يكون: فهو في يوم القيامة أعمى، على معنى أنه حيران لا يتوجه له صواب، ولا يلوح له نُجح، قال مجاهد: فهو في الآخرة أعمى عن حجَّته[(٦)].

---

(١) انظر: الإحكام للآمدي (٣/ ٧٤)، والبحر المحيط للزركشي (٣/ ٩٠).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠٤-٥٠٥).

(٥) في نجيبويه والإماراتية: «بأنبيائه»، وفي نور العثمانية: «بلسانه».

(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠٦).

قال القاضي أبو محمد: والظاهر عندي[١] أن الإشارة بـ﴿هَٰذِهِۦ﴾ إلى الدنيا؛ أي: مَن كان في دنياه هذه، ووقتَ إدراكه وفهمه أعمى عن النظر في آيات الله، فهو في يوم القيامة أشدُّ حيرةً وأعمى؛ لأنه قد باشر الخيبة، ورأى مخايل العذاب، وبهذا التأويل تكون معادلةً للتي قبلها مِن ذِكْرِ مَنْ يُؤْتَى كتابه بيمينه، وإذا جعلنا قوله: ﴿فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ بمعنى: في شأن الأخرة لم تطَّرد المعادلة بين الآيتين[٢].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿أَعْمَىٰ﴾ في الموضعين بغير إمالة، وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم بخلاف عنه في الموضعيْن بإمالة، وقرأ أبو عمرو بإمالة الأول وفتح الثاني[٣]، وتأَوَّله بمعنى: أشد عَمًى ولذلك لم يُمِلْه، قال أبو علي[٤]: لأن الإمالة إنما تحسُنُ في الأواخر، وأَعْمَى ليس كذلك[٥]؛ لأن تقديره: أعمى من كذا، فليس يتم إلَّا في قولنا مِنْ كذا [فهو إذا ليس بآخر، ويقوي هذا التأويل قوله عطفا عليه وَأَضَلُّ سَبِيلاً فإنما عطف أَضَلُّ الذي هو أفعل مِنْ كذا][٦] على ما هو شبيه به.

وإنما جعله في الآخرة أضلَّ سبيلاً لأن الكافر في الدنيا ممكن أن يؤمن فينجو، وهو في الآخرة لا يمكنه ذلك، فهو أضلُّ سبيلاً، وأشدُّ حيرة، وأقرب إلى العذاب.

وقولُ سيبويه رحمه الله: لا يقال أعمى مِن كذا، كما لا يقال[٧]: ما أَيْدَاهْ[٨]، إنما هو

---

(١) ليست في نجيبويه.

(٢) في المطبوع: «الاثنين».

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٨٣)، والتيسير (ص: ١٤٠)، وزاد لورش بين بين.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «عمرو».

(٥) انظر: الحجة (٥/ ١١٣)، وانظر نقل مكي في الهداية (٦/ ٤٢٥٢) عن أبي عمرو.

(٦) ليس في المطبوع.

(٧) في الأصل ونور العثمانية والمصرية: «كما يقال».

(٨) من المطبوع، وفي الأصل والحمزوية وأحمد٣ ونجيبويه: «أبداه»، والتصحيح من كتاب سيبويه، ونصه (٤/ ٩٨): زعم الخليل أنهم إنما منعهم من أن يقولوا في هذه ما أفعَلَه؛ لأن هذا صار عندهم بمنزلة اليد والرجل وما ليس فيه فعلٌ من هذا النحو، ألا ترى أنك لا تقول: ما أيداه، ولا ما أرجله، إنما تقول: ما أشد يده، وما أشد رجله، ونحو ذلك.

في عَمَى العين الذي لا تفاضل فيه، وأما في عمى القلب فيقال ذلك؛ لأنه يقع فيه التفاضل.

وذكر مكي في هذه الآية أن العمى الأول هو عمى العين عن الهُدى[١]، وهذا بيِّن الاختلال، والله المعين.

قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الآية، (إنْ) هذه عند سيبويه المخَفَّفَة من الثقيلة، واللام في قوله: ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ لام تأكيد، و(إنْ) هذه عند الفراء بمعنى ما، واللام بمعنى إلا[٢].

والضمير في قوله: ﴿كَادُواْ﴾ قيل: هو لقريش، وقيل: لثقيف، فأمَّا لقريش فقال ابن جبير، ومجاهد: نزلت الآية لأنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لا ندعك تستلم الحجر الأسود حتَّى تمسَّ أيضاً[٣] أوثانـَنا، على جهة التشرع بذلك[٤]، قال الطبري وغيره: فـهَمَّ رسول الله ﷺ أن يظهر لهم ذلك وقلْـبُه له منكر، فنزلت الآية في ذلك[٥]، قال الزجاج: وقال رسول الله ﷺ في نفسه: وما عَليَّ أن أفعل لهم ذلك والله / تعالى يعلم ما في نفسي؟[٦]. [٣/ ١٨٢]

وقال ابن إسحاق وغيره: إنهم اجتمعوا إليه[٧] ليلة فعظَّموه وقالوا له: أنت سيدنا،

---

(١) الهداية لمكي (٦/ ٤٢٥٣).

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «إنما»، وانظر هذا الخلاف بين البصريين (سيبويه) والكوفيين (الفراء) في الدر المصون (١/ ٢٩٩٩).

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) مرسل ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٦) عن محمد بن حميد الرازي، عن يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، مرسلاً، ومحمد بن حميد الرازي ضعيف، وقد استنكره ابن الجوزي، وقال: وهذا باطل لا يجوز أن يظن برسول الله ﷺ. اهـ. انظر: زاد المسير (٣/ ٤٢)، وأما قول مجاهد فأخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٧) من طريق ابن جريج، عن مجاهد من قوله.

(٥) هذا جزء من حديث سعيد بن جبير المتقدم قريباًعن الطبري (١٧/ ٥٠٦).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٥٤)، وتقدم في حديث سعيد بن جبير.

(٧) ليست في المطبوع.

ولكن: أقْبِل على بعض أمرنا، ونُقْبل على بعض أمرك، فنزلت الآية في ذلك[١]، فهي في معنى قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

وحكى الزجاج أن الآية قيل: إنها فيما أرادوه من طرد فقراء أصحابه[٢].

وأمَّا لثقيفٍ فقال ابن عباس وغيره: لأنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يؤخِّرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللَّات، وقالوا: إنَّا نريد أن نأخذ ما يهدى لها، ولكن إن خفت أن تنكر ذلك عليك العربُ فقل: أوحى الله ذلك إليَّ، فنزلت الآية في ذلك[٣]، ويلزم قائلَ هذا القولِ أن يجعل الآيةَ مدنيةً، وقد رُوي ذلك، ورَوَى قائلو الأقوال الأُخر أنَّها مكيَّة.

قال القاضي أبو محمد: وجميع ما أُريد من النبي ﷺ بحسب هذا الاختلاف قد أوحى الله إليه خلافه، إمَّا في مُعْجز، وإمَّا في غير معجز، وفعله هو ـ إن لو وقع ـ افتراءٌ [على الله، إذ][٤] أفعاله وأقواله إنما هي كلها شرع.

وقوله: ﴿وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا﴾ توقيفٌ على ما نجَّاه الله منه من مُخالَّتِه[٥] الكفارَ، والولاية لهم.

وقوله: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ﴾ الآية: تعديد نِعَمِهِ على النبي ﷺ، ورُوي أن رسول الله ﷺ لمَّا نزلت هذه الآية قال: «اللَّهُمَّ لا تَكِلْنِي إلى نفسي طَرْفةَ عَينٍ»[٦].

و«الرُّكُونُ»: شدُّ الظهر إلى الأمر، أو الجزم على جهة السكون إليه، كما يفعل الإنسان بالركن من الجدران، ومنه قوله تعالى حكاية: ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٨٠].

وقرأ الجمهور: ﴿تَرۡكَنُ﴾ بفتح الكاف.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٥٤)، وفي المطبوع: «إنما هي»، بدل «إنها».

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه.

(٤) في نجيبويه بدله: «على أن».

(٥) في نجيبويه والإماراتية: «مخاللته»، وفي المطبوع: «مخالفته»، وفي أحمد **٣** ونور العثمانية «مخالفة».

(٦) مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٨) من طريق قتادة مرسلًا، وقد ورد هذا الدعاء في كثير من دعوات النبي ﷺ مطلقاً.

وقرأ ابن مصرِّف، وقتادة، وعبد الله بن أبي إسحاق: (تَـرْكُنُ) بضم الكاف[(١)].

ورسول الله ﷺ لم يركن، ولكنه كاد بحسب همِّه بموافقتهم طمعاً منه في استئلافهم، وذهب ابن الأنباري إلى أن معناه: لقد كاد أن يخبروا عنك أنك ركنْتَ[(٢)] ونحو هذا، ذهب في ذلك إلى نفي الهمِّ بذلك عن النبي ﷺ، فحمَّل اللفظ ما لم يحتمل، وقوله: ﴿شَيْـًٔا قَلِيـلًا ﴾ يبطل ذلك.

وهذا الهمُّ من النبي ﷺ إنما كان خَطْرَةً مما لا يمكن دفعه، ولذلك قيل: ﴿كِدتَّ﴾، وهي تُعطي أنه لم يقع رُكُون[(٣)]، ثم قيل: ﴿شَيْـًٔا قَلِيـلًا ﴾؛ إذ كانت المقاربة التي تتضمنها (كِدْتَ) قليلة، خَطرَةً لم تتأكد في النفس، وهذا الهمُّ هو كهَمِّ يوسف عليه السلام، والقول فيهما واحد.

وقوله تعالى: ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ﴾ [الآية يبطل أيضاً ما ذهب إليه ابن الأنباري.

وقوله:][(٤)] ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾، قال ابن عباس[(٥)]، ومجاهد، وقتادة، والضحاك: يريد: ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات[(٦)].

قال القاضي أبو محمد: على معنى أن ما يستحقه هذا المذنب من عقوبتنا في الدنيا والآخرة كنَّا نضعِّفُه لك[(٧)]، وهذا التضعيف شائع[(٨)] مع النبي ﷺ في أجره، وفي ألمه وعقاب أزواجه، وباقي الآية بيِّن.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لقتادة وطلحة في الشواذ للكرماني (ص: **٢٨٣**)، وللثلاثة في البحر المحيط (٧/ ٩٠).

(٢) الهداية لمكي (٦/ ٤٢٥٨-٤٢٥٩).

(٣) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «ولم يقع ركون».

(٤) ليس في نجيبويه.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠٩).

(٧) في أحمد**٣**: «له».

(٨) في نجيبويه والإماراتية ونور العثمانية: «سائغ».

قوله عز وجل: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾.

قال حضرمي: الضمير في ﴿كَادُواْ﴾ ليهود المدينة وناحيتها[١]، كَحُيَيِّ بن أخطب وغيره، وذلك أنهم ذهبوا إلى المكر برسول الله ﷺ فقالوا له: إن هذه الأرض ليست بأرض أنبياء، وإنما أرض الأنبياء بالشام، ولكنك تخاف الرُّوم، فإن كنت نبيّاً فاخرج إليها، فإن الله سيحميك كما حمى غيرك من الأنبياء، فنزلت الآية في ذلك[٢]، وأخبر الله عز وجل أن رسوله ﷺ لو خرج لم يُلْبِثْهُم بعده إلَّا قليلاً.

وحكى النقاش: أن رسول الله ﷺ خرج بسبب قولهم، وعسكر بذي الحليفة، وأقام ينتظر أصحابه، فنزلت الآية عليه فرجع[٣]، وهذا ضعيف، لم يقع في سيرة، ولا في كتاب يُعتمَد عليه، وذو الحليفة ليس في طريق الشام [من المدينة][٤].

وقالت فرقة: الضمير في ﴿كَادُواْ﴾ هو لقريش.

وحكى الزجاج أن استفزازهم هو ما كانوا أجمعوا عليه في دار الندوة من قتله، والأرض على هذا عامة في الدنيا[٥]، كأنه قال: لِيُخْرِجُوكَ من الدنيا، وعلى سائر الأقوال هي أرض مخصوصة، إمَّا مكة وإمَّا المدينة، كما قال تعالى: ﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥١٠).

(٢) ضعيف للانقطاع، أخرجه الطبري (١٧/ ٥١٠) من طريق المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم الحضرمي فذكره.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ليس في المطبوع ونجيبويه.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٥٤).

[المائدة: ٣٣]، فإنما معناه: من الأرض التي فيها تصرفهم وتمعشهم[١].

وقال ابن عباس، وقتادة: استفزاز قريش هو ما كانوا ذهبوا إليه من إخراج رسول الله ﷺ من مكة، كما ذهبوا قبْلُ إلى حصره في الشِّعب[٢].

ووقع استفزازهم هذا بعد نزول الآية، وضيقوا عليه حتى خرج واتبعوه إلى الغار وغير ذلك، ونفذ[٣] عليهم الوعيد في أن لم يلبثوا خلفه إلَّا قليلًا يوم بدر.

وقال مجاهد: ذهبت قريش إلى هذا ولكنه لم يقع منها؛ لأنه لمَّا أراد الله استبقاء قريش وألَّا يسْتَأْصلها أذن لرسوله في الهجرة، فخرج من الأرض بإذن الله لا بقهر قريش، واستُبقِيت قريش يُسْلم[٤] منها ومن أعقابها مَن أسلم، قال: ولو أخرجته قريش لعُذِّبوا، فذهب مجاهد رحمه الله إلى أن الضمير في ﴿يَلْبَثُونَ﴾ عامٌّ في جميعهم[٥].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وَإِذاً لَا يَلْبَثُوا) بحذف النون[٦] وإعمال (إذاً)، وسائر القراء أَلْغَوْهَا وأثبتوا النون.

وقرأ عطاءُ بن أبي رباح: (يُلَبِّثُونَ) بضم الياء وفتح اللام وشد الباء، وروي مثله عن يعقوب إلَّا أنه كسر الباء[٧].

وقرأ عطاءٌ: (بَعْدَكَ إِلَّا قَلِيلاً)[٨].

---

(١) في المطبوع: «تمتعهم».

(٢) انظر قول قتادة في تفسير الطبري (١٧/ ٥١٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤١)، وأما قول ابن عباس فلم أقف عليه.

(٣) في نجيبويه: «ونجز».

(٤) في نجيبويه والإماراتية وفيض الله ونور العثمانية: «ليسلم».

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥١١)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١١٩).

(٦) وهي شاذة لمخالفة الرسم، انظر: البحر المحيط (٧/ ٩٢)، وزاد أبياً، وعزاها لأبي في مختصر الشواذ (ص: ٨٠).

(٧) شاذتان، انظر قراءة عطاء في مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، وزاد قتادة والحسن، والرواية عن يعقوب في النشر (٢/ ٣٠٨).

(٨) البحر المحيط (٧/ ٩٢).

وقرأ الجمهور: ﴿خَلْفَكَ﴾، وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿خِلَافَكَ﴾[١]، والمعنى واحد، ومنه قول الشاعر / : [٣/ ١٨٣]

[الكامل] عَقَبَ الرَّذَاذ خِلافَهَا فكَأَنَّمَا بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرَا[٢]

ومنه قوله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١]، على بعض تأويلاته؛ أي: بعد خروج رسول الله ﷺ.

وهذه اللفظة قد لزم فيها حذف المضاف؛ لأن التقدير في آيتنا: خلافَ خُروجِك، وفي بيت الشاعر: خلاف انبساط الشمس أو نحوه، قال أبو عليٍّ: أصابوا، هذه الظروف تضاف إلى الأسماء الأعيان التي ليست أحداثاً، فلم يَسْتَحِبُّوا[٣] إضافتها إلى غير ما جرى عليه كلامهم، كما أنها لما جرت[٤] منصوبة في كلامهم تركوها على حالها إذا وقعت في غير موضع[٥] النصب، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[الجن: ١١]، وقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾[الممتحنة: ٣].

وقوله: ﴿سُنَّةَ﴾ نصب على المصدر، وقال الفراءُ: نصبه على حذف الخافض[٦]؛ لأن المعنى: كَسُنَّةِ، فحذف الكاف ونصب، ويلزمه على هذا ألا يقف على قوله: ﴿قَلِيلًا﴾.

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٨٣)، والتيسير (ص: ١٤١).

(٢) تقدم في تفسير الآية (٨١) من سورة التوبة، أنه للحارث بن خالد المخزومي كما في العين (٤/ ٢٦٦)، الأغاني (٣/ ٣٣٦)، ومجاز القرآن (١/ ٢٦٤)، ونقل عنه الفخر الرازي (١/ ٢٢٦٧)، وابن عادل في اللباب (١٠/ ١٥٩) نسبته للأحوص، ولعله خطأ منهما.

(٣) في نجيبويه: «يستخفوا».

(٤) في نجيبويه: «خرجت».

(٥) في المطبوع: «في موقع».

(٦) نقله في البحر المحيط (٦/ ٦٤)، ولفظ الفراء في معاني القرآن (٤/ ٣٥): أنه منصوب لاتصاله بمَا قبله على مذهب حقّاً وشبهه.

ومعنى الآية الإخبارُ أنَّ سُنَّةَ الله تعالى في الأمم الخالية وعادَتَه أنها إذا أخرجت نَبِيَّها من بين أظهرها نالها العذاب، واستأصلها الهلاك، فلم تلبث بعده إلَّا قليلاً.

وقوله: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الآية، هذه بإجماع من المفسرين إشارة إلى الصلوات المفروضة.

فقال ابن عمر، وابن عباس، وأبو بُرْدة[1]، والحسن، والجمهور: دُلوك الشمس:

(١) صحيح، أثر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى بن يحيى، وابن أبي شيبة في المصنف (٦٣٣٠)، وابن المنذر في الأوسط (٢/ ٣٢٢)، والطبري (١٧/ ٥١٥)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٣٥٨-٣٦٤) من طريق نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بلفظ: دلوك الشمس ميلها، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٥٢)، وابن المنذر في الأوسط (٢/ ٣٢٢) من طريق معمر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه بلفظ: دلوك الشمس زياغها بعد نصف النهار وذلك وقت الظهر.
وقد اختلف على الزهري، فرواه عنه معمر موقوفاً على ابن عمر، وخالفه عمر بن قيس، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، مرفوعاً، بلفظ: دلوك الشمس: زوالها، أخرجه البزار في مسنده (٦٠١٥) وقال: وهذا الحديث إنما يروى موقوفاً عن ابن عُمَر، ولم يسنده عن الزهري إلا عُمَر بن قيس وكان لين الحديث.اهـ.
وأما أثر بن عباس رضي الله عنهما فقد أخرجه مالك في الموطأ (٢٠) رواية يحيى بن يحيى، ومن طريقه ابن أبي شيبة في المصنف (٦٣٢٩)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٣٥٨) من طريق داود بن الحصين، قال: أخبرني مخبر أن عبد الله بن عباس كان يقول: دلوك الشمس إذا فاء الفيء وغسق الليل اجتماع الليل وظلمته، قال ابن عبد البر: المخبر هاهنا عكرمة، وكذلك رواه الدراوردي عن عكرمة عن ابن عباس، وكان مالك يكتم اسمه لكلام سعيد بن المسيب فيه، وقد صرح به في (كتاب الحج). اهـ. انظر الاستذكار (١/ ٦٤).
وأخرجه الطبري (١٧/ ٥١٤)، وابن المنذر في الأوسط (٢/ ٣٢٢) من طريق مغيرة، عن الشعبي، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: دلوكها زوالها، وأخرجه الطبري (١٧/ ٥١٤) من طريق معمر، عن الزهري، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: دلوك الشمس زيغها بعد نصف النهار؛ يعني: الظهر. وإسناده منقطع لعدم سماع الزهري من عبد الله بن عباس.
وأما حديث أبي برزة الأسلمي فقد أخرج البخاري (٥٤١)، ومسلم (٦٤٧) من حديثه قال: كان النبي ﷺ يصلي الصبح وأحدنا يعرف جليسه، ويقرأ فيها ما بين الستين إلى المئة، ويصلي الظهر إذا زالت الشمس....

زوالها[١]، والإشارة إلى الظهر والعصر، وغَسَق اللَّيْلِ أُشير به إلى المغرب والعشاء، وَقُرْآن الْفَجْرِ أريد به صلاة الصبح، فالآية على هذا تعُمُّ جميع الصلوات.

وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريلُ لدلوك الشمس حين زالت، فصلَّى بي الظهر»[٢].

وروى جابر أن النبي ﷺ خرج من عنده وقد طعم وزالت الشمس، فقال: «اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس»[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥١٥).

(٢) فيه اضطراب، والصواب من حديث أبي مسعود الأنصاري، هذا الحديث أخرجه الطبراني في الكبير (٧١٨)، ومن طريقه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٤٠٩)، والبيهقي في معرفة السنن (٢/ ١٩١)، وابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٢٣)، والباغندي في مسند عمر بن عبد العزيز (٤٥) من طريق أيوب بن عتبة، عن أبي بكر بن حزم، أن عروة بن الزبير كان يحدث عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ أمير المدينة في زمن الحجاج والوليد بن عبد الملك، وكان ذلك زماناً يؤخرون فيه الصلاة، فحدث عروةُ عمرَ قال: حدثني أبو مسعود الأنصاري أو بشير بن أبي مسعود، قال: كلاهما قد صحب النبي ﷺ أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ.. فذكره بلفظ مطول.

وأيوب بن عتبة اليمامي ضعيف وقد اضطرب فيه، فرواه على الوجه الذي تقدم، ورواه أيضاً عن أبي بكر ابن حزم، عن عروة بن الزبير، عن ابن أبي مسعود، عن أبيه، وقد خالفه يحيى بن سعيد الأنصاري فرواه عن أبي بكر بن حزم، عن أبي مسعود الأنصاري بدون ذكر عروة بن الزبير، وبشير بن أبي مسعود أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥١٧)، والباغندي في مسند عمر بن عبد العزيز (٤٥). وأبو بكر بن حزم لم يسمع من أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، ورواه زفر، عن يحيى بن سعيد، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أناس من أصحاب النبي ﷺ. أخرجه الدارقطني في العلل (٦/ ١٨٧).

وقد سئـل عنه الدارقطني في العلل (٦/ ١٨٦-١٨٧)، فذكر الخلاف فيه وتكلم على طرقه وألفاظه فانظره هناك فإنه مفيد، وكذلك ابن رجب الحنبلي، وانظر فتح الباري (٣/ ١٢).

وفي رواية التمهيد: أن الذي فسر الدلوك بمعنى الزوال هو أبو بكر بن حزم، وهذا لفظه قال: إن جبريل جاء إلى النبي ﷺ حين دلكت الشمس قال أيوب: فقلت: وما دلوكها؟ قال: حين زالت، فلفظ: الدلوك بمعنى الزوال مدرج من قول أبي بكر بن حزم.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥١٨) من طريق محمد بن أبي ليلى، عن رجل، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، به، بنحوه، وهذا إسناد ضعيف؛ لإبهام شيخ ابن أبي ليلى، وقد رواه الطبري =

وقال ابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن أسلم: (دُلوك الشمس): غروبها[١]، والإشارة بذلك إلى المغرب، و(غَسَق الليل): اجتماع ظُلْمته، فالإشارة إلى العتمة، و(قُرْآن الْفَجْرِ): صلاة الصبح، ولم تقع إشارة على هذا التأويل إلى الظهر والعصر.

والقول الأول أصوب لعمومه الصلوات، وهما من جهة اللغة حَسَنان، وذلك أن الدُّلوك هو الـمَيْل في اللغة، فأوَّل الدُّلوك هو الزوال، وآخره هو الغروب، ومن وقت الزوال إلى الغروب يُسَمَّى دُلُوكاً؛ لأنها في حالة ميل، فذكر الله الصلوات التي في حالة الدُّلوك وعنده، فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب، ويصح أن تكون المغرب داخلة في غسق اللَّيل.

ومن الدُّلوك الذي هو الميْل قولُ الأعرابي للحسن بن أبي الحسن: أَيُدَالِكُ الرجلُ امرأته؟ يريد: أيميل بها إلى الـمَطْل في دَيْنِها؟ فقال له الحسن: نعم إذا كان مُلفَجاً[٢]؛ أي: عديماً.

ومنه قول ذي الرُّمَّة:

مَصَابيحُ لَيْسَـتْ باللَّوَاتي تَقُودُهَا نُجُـومٌ وَلا بالآفـلاتِ الدَّوَالِكِ[٣] [الطويل]

= أيضاً من طريق الأسود بن قيس، عن نبيح العنزي، عن جابر بن عبد الله به، بنحوه، ونبيح العنزي مجهول.

(١) صحيح، أثر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦٣٣٤)، وابن المنذر في الأوسط (٢/ ٣٢٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ١٥٤)، والطبري (١٧/ ٥١٤)، والطبراني في الكبير (٩١٣٠-٩١٣٥-٩١٣٦) من طرق صحيحة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأما أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقد أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٨٤)، والطبري (١٧/ ٥١٣) من طريق الثوري، عن منصور، عن مجاهد، به، وإسناده صحيح ومن طريق عبد الرزاق أخرجه ابن المنذر في الأوسط (٢/ ٣٢٣)، ولم أجده من قول زيد لكن نقله الطبري (١٧/ ٥١٤) عن ابن زيد.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥١٦).

(٣) عزاه له في مجاز القرآن (١/ ١٩٩)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٢٠)، وتفسيرالطبري (١١/ ٤٨٥) وتفسير الماوردي (٢/ ١٣٧).

ومن ذلك قول الشاعر:

[الرجز] هَــذَا مَكَــانُ قَـدَمَــيْ رَبَــاحِ غـدْوَة حـتَّـى دَلَـكَـت بَـرَاحِ[1]

يروى: بِرَاح بكسر الباء، قال أبو عبيدة، والأصمعي، وأبو عمر الشيباني: ومعناه: براحة الناظر يستكفُّ بها أبداً؛ لينظر كيف ميلُها، وما بقي لها[2]، وهذا نحو قول العجاج:

[الرجز] والشَّـمْسُ قَـدْ كانَتْ تكُـونُ دَنَفَا أَدْفَعُـهـا بالـرَّاحِ كَـيْ تَزَحْلَفَـا[3]

وذكر الطبري عن ابن مسعود أنه قال: دَلَكَتْ بِرَاح، يعني: بِرَاح مكاناً[4]، قال: فإن كان هذا من تفسير ابن مسعود فهو أعلم، وإن كان من كلام راوٍ فأهل الغريب أعلم بذلك، ويُرْوَى البيت الأول: (غُدوَةَ حتَّى هَلَكَتْ[5] بَـرَاحِ) بفتح الباء، على وزن قَطَام وحَذَامِ، وهو اسم من أسماء الشمس.

و﴿غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾: اجتماعه وتكاثف ظلمته، قال الشاعر:

[المديد] آبَ هَـذَا الـلَّـيْـلُ إذْ غَـسَـقَـا[6] ....

---

(١) البيت بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٣٨٧)، ومجالس ثعلب (ص: ٣٧٣)، ونوادر أبي زيد (ص: ٣١٥)، جمهرة اللغة (١/ ٢٧٤).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥١٧).

(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٥١٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣٨٨)، وأساس البلاغة (١/ ١٩٧) وفي المطبوع ونور العثمانية والإماراتية وفيض الله: «كادت».

(٤) في اتصاله نظر، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٨٤)، والطبري (١٧/ ٥١٣) من طريق الثوري، عن أبي إسحاق السَّبِيعي، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود، بنحوه، وأبو إسحاق السبيعي مدلس وقد عنعن، ولكن قال أبو بكر البرديجي: وقد حدث عن الأسود، فقال قوم: سمع منه، وهو عنه صحيح، وربما حدث عن عبد الرحمن بن يزيد عن أخيه الأسود.اهـ. انظر: جامع التحصيل (١/ ٢٤٥).

(٥) في الحمزوية: «دلكت».

(٦) تمامه: واشْتَكَيْتُ الْهَمَّ والأرَقَا، وهو لعبيد الله بن قيس الرُّقَـيَّات كما في مجاز القرآن (١/ ٣٨٨)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٢٢).

وقال ابن عباس: غَسَقُ اللَّيْل: بدؤُه[١].

ونُصب قوله: ﴿وَقُرْءَانَ﴾ بفعل مضمر، تقديره: واقرأ قرآنَ، ويصحُّ أن يُنْصب عطفاً على ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: وأقِـمْ[٢] قرآنَ الفجر، وعبَّر عن صلاة الصبح خاصةً بالقرآن؛ لأن القرآن هو عُظْمُهَا؛ إذْ قراءتُهَا طويلة مجهور[٣] بها، ويَصِح أن ينصب قولُه: ﴿وَقُرْءَانَ﴾ على الإغراء.

وقوله: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ معناه: يشهده حفظة النهار وحفظة اللَّيل من الملائكة حسبما ورد في الحديث المشهور من قوله ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فيكم ملائكة باللَّيل وملائكة بالنَّهار، ويجتمعون في الصبح وصلاة العصر» الحديث بطوله من رواية أبي هريرة وغيره[٤]، وعلى القول بذلك مضى الجمهور.

وذكر الطبريُّ حديثاً عن ابن عَسْكَر، من طريق أبي الدرداء في قوله: ﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾، قال محمد بن سهل بن عسكر[٥]: يشهده الله وملائكته[٦]، وذكر في ذلك الحديث أن الله تعالى ينزل في آخر الليل، ونحو هذا مما ليس بالقوي[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٥١٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٢) في نجيبويه: «ونعم».

(٣) في المطبوع ونور العثمانية: «مجهودٌ».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٤٢٩)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) محمد بن سهل بن عسكر أبو بكر التّميميّ، مولاَهُمُ الْبُخَارِيّ نزيل بغداد، سمع: عَبْد الرّزّاق، ووهب ابن جرير، وغيرهم، وعنه: ابن أبي عاصم، والبَغَوِيّ، وابن صاعد، وخلق، قَالَ النَّسائيّ: ثقة، توفي سنة: (٢٥١هـ). تاريخ الإسلام (١٩/ ٢٩١).

(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٥٢٠).

(٧) منكر، أخرجه عثمان بن سعيد في الرد على الجهمية (ص: ٣٢)، وابن أبي شيبة في العرش (ص٨٦)، ومحمد بن نصر في قيام الليل (٨٠)، والبزار في مسنده (٤٠٧٩)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٢١٠)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٢٢)، والطبراني في الأوسط (٨٦٣٥)، وفي الدعاء (١٣٥)، والدارقطني في المؤتلف والمختلف (٣/ ١١٥١-١١٥٢)، وابن بطة في الإبانة =

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ (مِنْ) للتبعيض، والتقدير: ووقتاً من الليل؛ أي: وأَقِمْ وقْتاً من الليل، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على هذا المقدر، ويحتمل أن يعود على القرآن وإن كان لم يجرِ له ذكرٌ مطلق، كما هو الضمير مطلق، لكن جرى مضافاً إلى الفجر.

و(تَهَجَّدْ) معناه: اطرَح الهجودَ عنك، و«الهجودُ»: النومُ، يقال: هَجَدَ يَهْجُدُ ـ بضم الجيم ـ هُجُوداً: إذا نامَ، ومنه قول ذي الرمة:

[الطويل] أَلا طَرَقَتْنَا والرِّفَاقُ هُجُودُ فباتَتْ بِعَلَّاتِ النَّوَالِ تَجُودُ[١]

ومنه قول الحطيئة:

[الطويل] فَحَيَّاكِ وُدٌّ ما هَدَاكِ لِفِتْيَةٍ وَخُوصٍ بِأَعْلَى ذِي طوالَةَ هُجَّدِ[٢]

وهذا الفعل جار مجرى: تحوَّب[٣] وتحرَّج وتأثَّمَ وتحَنَّث، ومثله ﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴾

= (٣/ ٢١٥)، واللالكائي في شرح السنة (٣/ ٤٤٢)، وأبو نعيم في صفة الجنة (١/ ٣٦)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٨) من طريق الليث بن سعد، عن زيادة بن محمد الأنصاري، عن محمد بن كعب، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء، مرفوعاً، بلفظ: «إن الله تبارك وتعالى ينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل فيفتح الذكر الساعة الأولى الذي لم يره أحد غيره، فيمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء، ثم ينزل الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي التي لم يرها غيره ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة: النبيين والصديقين والشهداء، ثم يقول: طوبى لمن دخلك، ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى سماء الدنيا فيقول: ألا مستغفر فيستغفرني فأغفر له، ألا من سائل يسألني فأعطيه، ألا من داع يدعوني فأجيبه؟ حتى تكون صلاة الفجر، وكذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ قال: تشهده ملائكة الليل والنهار». قال ابن الجوزي: هذا الحديث من عمل زيادة بن محمد لم يتابعه عليه أحد، قال البخاري: هو منكر الحديث، وقال ابن حبان: هو منكر الحديث جداً يروي المناكير عن المشاهير، فاستحق الترك. اهـ.

(١) في المطبوع بدل «ذي الرمة»: «قال الشاعر»، البيت لخارجة بن فليح الـمَلَليّ كما في الأمالي للقالي (١/ ١٦)، وحماسة الخالديين (ص: ٩٢)، وأما بيت ذي الرمة فلعله: ألا طرقتنا مية ابنة منذر* فما أيقظ النيام إلا سلامها، كما في المخصص (١/ ٤٩٣)، ويعزى لغيره.

(٢) انظر عزوه له في الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٦٦)، وتهذيب اللغة (٦/ ٢٥).

(٣) في المطبوع: «تحرب».

[الواقعة: ٦٥]، فمعناه: تَنَدَّمون؛ أي: تطرحون الفاكهة عن أنفسكم، وهي انبساط النفس وسرورها، يقال: رجلٌ فَكِهٌ: إذا كان كثير السرور / والضحك، فالمعنى: وَوَقْتاً من اللَّيل اسْهَرْ به في صلاةٍ وقراءة. [٣/ ١٨٤]

وقال الأسود، وعلقمة، وعبد الرحمن بن الأسود: التَّهَجُّد بعد نومة، وقال الحجاج ابن عمرو[١]: إنما التَّهَجُّد بعد رقدة، وقال الحسن: التَّهَجُّد ما كان بعد العشاء الآخرة[٢].

وقوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ قال ابن عباس وغيره: معناه: زيادةً لك في الفرض[٣]، قالوا: وكان قيام الليل فرضاً على النبي ﷺ[٤].

قال القاضي أبو محمد: وتحتمل الآية أن يكون هذا على وجه[٥] الندب في التَّنفل، ويكون الخطاب للنبي ﷺ والمرادُ هو وأمته، كخطابه في قوله: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الآية.

وقال مجاهد: إنما هي نافلة للنبي ﷺ؛ لأنه مغفور له، والناس يحطون بمثل ذلك خطاياهم[٦]، وبيِّنٌ أن النبي ﷺ منذ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر عام الحديبية، فإنما كانت نوافله واستغفاره فضائل من العمل، وقُرَباً أشرف من نوافل أُمَّته؛ لأن هذه إما أن تجبر[٧] بها فرائضهم [حسب الحديث][٨]، وإمَّا أن تحط بها خطيئاتهم، وقد يتصور من لا

---

(١) هو الحجاج بن عمرو بن غزيّة بن ثعلبة بن خنساء النجاري الأنصاري الخزرجي، له صحبة، وهو الذي ضرب مروان يوم الدار حتى سقط، وشهد صفّين مع عليّ، وروى عنه ضمرة بن سعيد وعبد اللّه بن رافع وغيرهما، الإصابة (٢/ ٣٠).

(٢) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (١٧/ ٥٢٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٢٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ يعني بالنافلة أنها للنبيّ ﷺ خاصة، أُمر بقيام الليل وكُتب عليه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٥٢٦).

(٥) في نجيبويه: «جهة».

(٦) تفسير الثعلبي (٦/ ١٢٣).

(٧) في المطبوع: «تجيء».

(٨) لم أقف عليه، وليس في المطبوع ونجيبويه والإماراتية.

ذنب له يتنفَّل، فيكون تنفُّله فضلاً، كنصراني يسلم وصبي يحتلم، وضعَّفَ الطبري قول مجاهد[١].

وقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ عِدَةٌ من الله عز وجل لرسوله، وهو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياءُ حتى ينتهي إليه ﷺ، والحديث بطوله في «البخاري» و«مسلم»[٢]، فلذلك اختصرناه، ولأجل ذلك الاعتمال[٣] الذي له في مرضاة جميع العالم مؤمنهم وكافرهم قال: «أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ، ولا فَخْرَ»[٤].

و﴿عَسَىٰٓ﴾ من الله واجبة، و﴿مَقَامٗا﴾ نصب على الظرف.

ومن غريب حديث الشفاعة اقتضابه المعنى، وذلك أن صدر الحديث يقتضي أن النبي ﷺ يُستنهض للشفاعة في[٥] أن يُحَاسَب الناس، وينطلقون من الموقف، فيذهب لذلك، وينص بأثر ذلك على أنه شفع في إخراج المذنبين من النار، فمعناه الاقتضاب والاختصار؛ لأن الشفاعة في المذنبين لم تكن إلا بعد الحساب والزوال من الموقف ودخول قومٍ الجنةَ، ودخول قومٍ النارَ، وهذه الشفاعة الثانية[٦] لا يتدافعها الأنبياءُ، بل يشفعون ويشفع العلماءُ، وذكر الطبري عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «المقامُ المحمودُ هو المقام الذي أشفَعُ فيه لأمَّتي»[٧].

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) في المطبوع: «الاحتمال».

(٤) صحيح بشواهده، أخرجه الترمذي (٣١٤٨-٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨) من طريق علي بن زيد ابن جدعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر،... وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»، وقد أخرجه مسلم (٢٢٧٨) دون قوله: «ولا فخر»، من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفَّع»، وله شواهد منها حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٤٧٨).

(٥) ليست في المطبوع.

(٦) من المطبوع والحمزوية والإماراتية.

(٧) صحيح المعنى دون هذا اللفظ الصريح، أخرجه بهذا اللفظ: أحمد (٢/ ٤٤١، ٤٤٤، ٤٧٨، ٥٢٨)،=

قال القاضي أبو محمد: وينبغي أن يُتأوَّل هذا ـ على ما قلناه ـ لأمته وغيرها، أو يُقال: [إن كل مقامٍ منها محمودٌ][1]، قال النقاش: لرسول الله ﷺ ثلاث شفاعات: العامة، وشفاعة في السبق إلى الجنة، وشفاعة في أهل الكبائر[2].

والمشهور أنهما شفاعتان فقط، حكى الطبري عن فرقة منها مجاهد أنها قالت: المقام المحمود هو أن الله عزَّ وجلَّ يُجْلِس محمداً معه على عرشه[3]، وروَتْ في ذلك حديثاً[4]، وعضَّد الطبري جواز ذلك بِشَطَطٍ من القول، وهو لا يخرج إلاَّ على تَلَطُّف

= والترمذي (٣١٣٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٤٨) ط الألباني، والمروزي في زوائده على الزهد (١٣١٢)، والطبري (١٧/ ٥٢٩)، والدولابي في الكنى (٢٠٦٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ٥٠)، والإسماعيلي في معجمه (٢/ ٦٦٤)، واللالكائي في شرح السنة (٦/ ١١١٣، ١١١٤)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٧٢)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٢/ ٧٣-٧٤) من طرق عن داود بن يزيد الأودي، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه به، بنحوه، وبعض الرواة عن داود يرويه مختصراً: أن المقام المحمود هو الشفاعة، وداود بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي الزعافري أبو يزيد الكوفي، ضعيف، وأبوه مقبول، وانظر التقريب (١٨١٨/ ٧٧٤٦)، وللحديث شواهد صحيحة، انظر صحيح البخاري (١٤٧٥) (٤٧١٨)، وباقي أحاديث الشفاعة.

(١) في المطبوع: «كل منهما مقام محمود».

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٣١٠).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٣١).

(٤) منكر، أخرجه الذهبي في العلو (١/ ٩٣) من طريق سلمة الأحمر، عن أشعث بن طليق، عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً. وسلمة بن صالح الأحمر الجعفي أبو إسحاق قاضي واسط متروك، قال الذهبي: هذا حديث منكر لا يُفرح به، وسلمة هذا متروك الحديث، وأشعث لم يلحق ابن مسعود، وفي الباب عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه من قوله، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٨٤-٨٥) معلقاً، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٦٠)، والطبري (١٧/ ٥٣٢)، والخلال في السنة (٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨) من طرق عن سعيد الجريري، عن سيف السدوسي، عن عبد الله ابن سلام قال: إذا كان يوم القيامة جِيءَ بنبيكم ﷺ فأُقعِدَ بين يدي الله تبارك وتعالى على كرسيه، وسيف السدوسي مجهول، ولا يعرف له سماع من عبد الله بن سلام كما قال البخاري، وأما أثر مجاهد فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٣٠٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٦٧)، والطبري (١٧/ ٥٢٩)، والخلال في السنة (٢٣٩)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥٧) وغيرهم =

في المعنى، وفيه بُعْدٌ، ولا يُنْكر مع ذلك أن يُرْوى، والعلم يتأوله، وقد ذكر النقاش عن أبي داود السجستاني[(١)] أنه قال: من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم، ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا[(٢)].

[قال القاضي أبو محمد: من أنكر جوازه على تأويله][(٣)].

قوله عز وجل: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾.

ظاهر هذه الآية والأحسن فيها أن يكون دعاءً في أن يُحَسِّن الله حالته في كل ما يتناول من الأُمور، ويحاول من الأسفار والأعمال، وينتظر[(٤)] من تصرف المقادير في الموت والحياة، فهي على أتَمِّ عموم، معناه: ربِّ أصلح لي وِرْدي في كل الأمور وصَدَري.

وذهب المفسرون[(٥)] إلى أنها في غرض مخصوص، ثم اختلفوا في تعيينه:

= من طرق عن محمد بن فضيل، عن ليث، عن مجاهد ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: يوسع له على العرش فيجلسه معه، وليث هو ابن أبي سليم، اختلط جداً، ولم يتميز حديثه فترك، وقال الذهبي: فأما قضية قعود نبينا على العرش فلم يثبت في ذلك نص بل في الباب حديث واهٍ، وما فسر به مجاهد الآية كما ذكرناه فقد أنكره بعض أهل الكلام. اهـ. انظر العلو للعلي الغفار (١/ ١٧٠)، ويراجع التمهيد (٧/ ١٥٧).

(١) في الأصل: «السختياني».

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٣١١)، والبحر المحيط (٧/ ١٠١).

(٣) ليس في فيض الله، وفيه: «كمل السفر السادس من التفسير بحمد الله وعونه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، يتلوه في أول السابع: قوله تعالى: وقل رب».

(٤) في المطبوع: «وينتصر».

(٥) في أحمد٣: «بعض المفسرين».

فقال ابن عباس[١]، والحسن، وقتادة: أراد: أدخِلْني المدينة، وأخرِجْني من مكة[٢]، وتقدم في هذا التأويل المتأخِّرُ في الوقوع[٣]، فإنه مقدم في القول؛ لأن الإخراج من مكة هو المتقدم، اللهم إنَّ مكان الدخول والقرار[٤] هو الأهم.

وقال أبو صالح، ومجاهد: أَدْخِلْنِي في أمر تبليغ الشرع، وَأَخْرِجْنِي منه بالأداء التام[٥].

وقال ابن عباس: الإدخال بالموت في القبر، والإخراج البعث[٦].

وما قدمت من العموم التام الذي يتناول هذا كلَّه أصوبُ.

وقرأ الجمهور: ﴿مُدْخَلَ﴾ و﴿مُخْرَجَ﴾ بضم الميم، فهو جري على: أدخلني وأخرجني.

وقرأ أبو حيوة، وقتادة، وحميد: (مَدْخَلَ) و(مَخْرَجَ) بفتح الميم[٧]، فليس بجارٍ على: أَدخِلْني، ولكن التقدير: أَدْخِلْني فأَدْخُلَ مَدْخَلَ؛ لأنه إنما يجري على دخَلَ.

---

(١) روي عنه مرفوعاً، وهو ضعيف، أخرجه أحمد (١/ ٢٢٣)، والترمذي (٣١٣٩)، والطبري (١٧/ ٥٣٣)، والطبراني في الكبير (١٢٦١٨)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٤٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٩)، وفي دلائل النبوة (٢/ ٥١٦)، والضياء في المختارة (٥٢٢-٥٢٣) من طرق عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبيّ ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فأنزل الله تبارك وتعالى اسمه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية، وقابوس ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥٣٣)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٢٧)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٦٦).

(٣) في المطبوع: «الموضوع».

(٤) في المطبوع: «والفرار».

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥٣٤)، وفي المطبوع: «بالإعداد»، بدل «الأداء».

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٣٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٧) وهي شاذة، عزاها لابن أبي عبلة وأبي حيوة الكرمانيُّ في الشواذ (ص: ٢٨٣)، وللثلاثة في الدر المصون (٧/ ٤٠١)، وقد عزاها للحسن الثعلبي (٦/ ١٢٧)، ولعلي وأبي في مختصر الشواذ (ص: ٨١)، وقال الطبري (٨/ ٢٥٩): لم يبلغنا عن أحد أنه قرأ بها.

و«الصدق»: هنا صفة تقتضي رفع المذامِّ، واستيعاب المدح، كما تقول: رجل صدق[١]؛ أي: جامع للمحاسن.

وقوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾، قال مجاهد وغيره: حُجَّةً، يريد: تنصرني ببيانها على الكفار، وقال الحسن وقتادة: يريد: مَنَعَةً ورياسةً وسيفاً ينصر دين الله[٢].

فطلب رسول الله ﷺ ذلك بأمر الله إياه به رغبةً في نصر الدين، فرُوي: أن الله وعده بذلك، ثم أنجز له في حياته، وتَمَّمه بعد وفاته.

وقوله: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ الآية، قال قتادة: ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: القرآن، و﴿ٱلۡبَٰطِلُ﴾: الشيطان[٣]، وقالت فرقة: الحقُّ: الإيمان، والباطلُ: الكفر، وقال ابن جريج: الحق: الجهاد، والباطلُ: الشِّرْك[٤]، وقيل غير ذلك.

[٣/ ١٨٥] والصواب تعميم اللَّفظ / بالغاية الممكنة، فيكون التفسير[٥]: جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه، وزهق الكفر بجميع ما انطوى فيه، والباطلُ: كلُّ ما لا ينال به غاية نافعة.

وقوله: ﴿كَانَ زَهُوقٗا﴾ ليست ﴿كَانَ﴾ إشارة إلى زمن مضى، بل المعنى: كان وهو يكون، وهذا كقولك: كان الله عالماً قادراً، ونحوَ هذه.

وهذه الآية نزلت بمكة، ثم إن رسول الله كان يستشهد بها يوم فتح مكة، وقت طعنه الأصنام، وسقوطها لطعنه إياها بمخصرة، حسبما في السير لابن هشام وغيرها[٦].

---

(١) في نجيبويه: «صدوق».

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥٣٦) وفي نجيبويه: «سعة»، بدل «منعة».

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٣٧)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٢٨)، والهداية لمكي (٦/ ٤٢٧٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ١٨٦).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٥٣٧).

(٥) في المطبوع: «التعبير».

(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٤١٧).

وقرأ الجمهور: ﴿ وَنُنَزِّلُ ﴾ بالنون، وقرأ مجاهد: (وَيُنْزِلُ) بالياء خفيفة، ورواها المروذي[١] عن حفْصٍ[٢].

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ يصحُّ أن تكون ﴿مِنَ ﴾ لابتداء الغاية، ويصحُّ أن تكون لبيان الجنس، كأنه قال ونُنَـزِّل ما فيه شفاءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وأنكر بعض المتأولين أن تكون ﴿مِنَ ﴾ للتَّبْعيض؛ [لأنه تحفَّظ][٣] من أن يلزمه أن بعضه لا شفاءَ فيه.

قال القاضي أبو محمد: وليس يلزمه هذا، بل يصح أن يكون ﴿مِنَ ﴾ للتَّبعيض بحسب أن إنزاله إنما هو مُبَعَّض، فكأنه قال: ونُنَـزِّل مِنَ الْقُرْآنِ شيئاً شيئاً ما فيه كله شفاءٌ، واستعارته الشفاء للقرآن هو بحسب إزالته للرَّيب، وكشفه غطاء القلب لفهم المعجزات والأمور الدَّالَّة على الله تعالى، المقرِّرة لشرعه، ويحتمل أن يراد بالشفاء نفعه من الأمراض في الرُّقى والتعويذ ونحوه، وكونه رحمة ظاهر[٤].

وقوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ بمعنى[٥] أنه عليهم عمًى؛ إذ هم معرضون بحالة من لا يفهم ولا يلقن.

وقوله: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا ﴾ الآية، الإنسانُ في هذه الآية لا يُرَادُ به العموم، وإنما يراد به بعضه وهم الكفرة، وهذا كما تقول عند غضب: لا خير في الأصدقاء، ولا أمانة في الناس، فأنت تعمم مبالغة، ومرادك البعض، وهذا بحسب ذكر الظالمين والخسارة في الآية،

---

(١) هو الحسين بن محمد بن أحمد أبو أحمد المروذي، روى عن إسماعيل بن جعفر وحفص، وعنه أحمد بن منيع، غاية النهاية (١/ ٢٤٩)، وفي المطبوع ونور العثمانية: «المروزي».

(٢) انظر قراءة الجمهور بالنون في التيسير (ص: ٧٥)، وكلهم بالتشديد إلا أبا عمرو بالتخفيف على قاعدته، وانظر القراءة بالياء عن حفص في جامع البيان (٣/ ١٢٩٤) ولـمجاهد في البحر المحيط (٧/ ١٠٣).

(٣) ليس في نجيبويه.

(٤) في المطبوع: «ظاهرة».

(٥) من المطبوع والحمزوية وأحمد٣، وفي الأصل: «معنى».

قبلُ[١]، فاتَّصل ذكر الكفرة، ويحتمل أن يكون[٢] الإنسان في هذه الآية عامّاً للجنس، على معنى: إن هذا الخُلُق الذميم في سجيته، فالكافر يبالغ في الإعراض، والعاصي[٣] يأخذ بحظه منه، وقد قال رسول الله ﷺ في مؤمن: «فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ الله عنه»[٤].

ومعنى ﴿أَعۡرَضَ﴾ وَلَّانا عُرْضَه، ﴿وَنَـَٔا﴾؛ أي: بَعُدَ، وهذه استعارة، وذلك أنه يفعل أفعال المُعْرِض النائي في تركه الإيمان بالله، وشكر نعمه عليه.

وقرأ ابن عامر وحده: ﴿وَنَاءَ﴾[٥]، ومعناه: نهض، أي: متباعداً، هذا قول طائفة، وقالت أخرى: هو قلب الهمزة بعد الألف في (نَأَى) بعينه، وهي لغةٌ كَرَأَى ورَاءَ، ونحو هذه اللفظة قول الشاعر في وصف رامٍ:

[الرجز] حَتى إذَا ما الْتَأَمَتْ مَفَاصِلُهُ وَنَاءَ في شِقِّ الشِّمَالِ كَاهِلُه[٦]

أي: نهض مُتَوَرِّكاً على شماله، والذي عندي أن (نَاءَ) و(نَأَى) فعلان متباينان، وناء بجانبه عبارة عن التَّحير والاستبداد، ونَأَى عبارة عن البُعْد والفراق.

ثم وصف الكفرة بأنهم إذا مَسَّهم شرٌّ من مرض أو مصيبة في مال أو غير ذلك يَئِسُوا من حيث لا يؤمنون بالله، ولا يرجون تصرُّف أقداره.

---

(١) في المطبوع: «قيل».

(٢) في نجيبويه: «يراد».

(٣) من المطبوع والحمزوية، وفي الأصل: «المعاصي».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦) من حديث أبي واقد الليثي مرفوعاً في خبر النفر الثلاثة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه».

(٥) السبعة (ص: ٣٨٤)، وفي التيسير (ص: ١٤١) من طريق ابن ذكوان خاصة، وكذا في النشر (٢/ ٣٠٨)، وزاد أبا جعفر.

(٦) البيت بلا نسبة في تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٢)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٣٤)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٢٨٢)، عن بعض العرب.

ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾؛ أي: على طريقته وبحسب نِيَّتِهِ ومذهبه الذي يشبهه، وهو شِكْل له، وهذه تدل دلالة[1] على أن الإنْسَان أولاً لم يُرَدْ به العموم؛ أي: إن الكفار بهذه الصفات، والمؤمنون بخلافها، وكلٌّ منهم يعمل على ما يليق به، والرَّبُّ أعلم بالمهتدي.

وقال مجاهد: ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ معناه: على طبيعته، وقال أيضاً: معناه: على حِدَته[2].

وقال ابن عباس: معناه: على ناحيته[3]، وقال قتادة: معناه: على ناحيته، وعلى ما ينوي، وقال ابن زيد: معناه: على دينه[4].

وأرجح هذه العبارات قول ابن عباس وقتادة.

وفي قوله: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ توعُّدٌ بيِّنٌ.

قوله عز وجل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾.

الضمير في (يسألونك) قيل: هو لليهود، وأن الآية مدنية، وروى عبد الله بن مسعود: أنه كان مع رسول الله ﷺ، فَمَرَّ على حَرْث بالمدينة، ويروى على خَرِب، وإذا فيه جماعة من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سَلُوه عن الرُّوح، فإن أجاب فيه عرفتم أنه ليس بنبي، وذلك أنه كان عندهم في التوراة أن الرُّوح مما انفرد الله بعلمه، ولا يُطْلع عليه أحداً من عباده.

---

(١) في نجيبويه زيادة: «ما».

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥٤١).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٤١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) انظرهما في تفسير الطبري (١٧/ ٥٤١)، وفي المطبوع ونجيبويه: «حدته»، بدل «ناحيته».

قال ابن مسعود: وقال بعضهم: لا تسألوه لئَلَّا يأتي فيه بشيءٍ تكرهونه، يعني ـ والله أعلم ـ من أنه لا يفسِّره، فتقوى الحجةُ عليهم في نبوته، قال: فسألوه، فوقف رسول الله ﷺ مُتَوَكِّئاً على عَسِيب، فظننت أنه يوحى إليه، ثم تلا عليهم الآية[١].

وقيل: الآية مكيَّة، والضمير لقريش، وذلك أنهم قالوا: نسأل عن محمد أهل الكتاب من اليهود، فأرسلوا إليهم إلى المدينة النَّضْر بن الحارث وعُقبة بن أبي مُعَيط، فقال اليهود لهما: جرِّباه بثلاث مسائل، سلوه عن أهل الكهف وعن ذي القرنين وعن الرُّوح، فإن فسَّر الثلاثة فهو كذاب، وإن سكت عن الرُّوح فهو نبيٌّ، فسألته قريش عن الرُّوح، فيروى أن النبي ﷺ قال لهم: «غداً أخبركم به»، ولم يقل: «إن شاءَ الله»، فاستمسك الوحي عنه خمسة عشر يوماً معاتبةً على وعده لهم دون استثناء، ثم نزلت هذه الآية[٢].

واختلف الناس في الرُّوح المسؤول عنه، أيُّ روح هو؟:

[٣/ ١٨٦] فقالت فرقة هي / الجمهور: وقع السؤال عن الأرواح التي في الأشخاص الحيوانية، ما هي؟ فالروح اسمُ جنس على هذا، وهذا هو الصواب، وهو المشكل الذي لا تفسير له.

وقال قتادة: الرُّوح المسؤول عنه جبريل[٣]، قال: وكان ابن عباسٍ يكتمه[٤].

وقالت فرقة: هو عيسى بن مريم.

وقال علي بن أبي طالب: مَلَك له سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٥)، ومسلم (٢٧٩٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٩٢) من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثني شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره مطولاً، وهذا إسناد ضعيف؛ لإبهام شيخ ابن إسحاق.

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٤٤).

(٤) صحيح إلى قتادة، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٨٨)، والطبري (١٧/ ٥٤٤) من طريق معمر، عن قتادة فذكره، وفي تفسير عبد الرزاق: عن معمر، عن الحسن وقتادة.

لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة، يسبح الله سبحانه[١] بكل تلك اللُّغات، فيُحلق[٢] من كل تسبيحة مَلَك يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة، ذكره الطبري[٣].

وما أظن القول يصحُّ عن علي.

وقالت فرقة: الرُّوح: القرآن، وهذه كلها أقوال مفسِّرة، والأول أظهرها وأصوبها.

وقوله: ﴿مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ يحتمل تأويلين: أحدهما أن يكون الأَمْرُ اسم جنس للأُمُور؛ أي: الرُّوح من جملة أُمور الله التي استأثر بعلمها، فهي إضافة خلْق إلى خالق، والثاني أن يكون مصدراً، من أمر يأْمُرُ؛ أي: الرُّوح مِمَّا أَمَره[٤] أَمْراً بالكَوْن فكان.

وقرأ ابن مسعود، والأعمش: (وما أوتوا)[٥]، ورواها ابن مسعود عن النبي ﷺ[٦].

وقرأ الجمهور: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾.

واختلف فيمن خوطب بذلك: فقالت فرقة: السائلون فقط، ترجم الطبري بذلك، ثم أدخل تحت الترجمة عن قتادة أنهم اليهود[٧].

وقالت فرقة: المراد اليهود بجملتهم، وعلى هذا هي قراءة ابن مسعود، وقالت فرقة: العالم كله، وهذا هو الصحيح؛ لأن قول الله له: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ﴾ إنما هو أمر بالقول

---

(١) في المطبوع: «لسانُه».

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «فيخلق». وفي نجيبويه: «يخلق».

(٣) غريب منكر، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٤٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٨١)، وأبو الشيخ في العظمة (٤٠٨) من طريق أبي هزان يزيد بن سمرة، عمن حدثه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فذكره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة شيخ يزيد بن سمرة، وهو غريب وعجيب كما قال ابن كثير.

(٤) في نجيبويه والإماراتية زيادة: «الله».

(٥) وهي شاذة لمخالفة الرسم، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ١٠٧).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) تفسير الطبري (١٧/ ٥٤٥).

لجميع العالم؛ إذ كذلك هي أقواله كلها، وعلى ذلك تمَّت الآية من مخاطبة الكل.

ويحتمل أيضاً أن تكون مخاطبة من الله للنبي ﷺ ولجميع الناس، ويتَّصف ما عند جميع الناس من العلم بالقِلَّة بإضافته إلى علم الله عزَّ وجلَّ الذي هو بهذه الأمور التي عندنا من عِلْمها[١] طرف يسير جدّاً، كما قال الخَضرُ لموسى عليهما السلام: ما نقص علمي وعلمُك وعلمُ الخلائق من علم الله إلَّا كما نقص هذا العصفورُ من البحر[٢].

وأراد الخَضِرُ علم الله تعالى بهذه الموجودات التي عند البشر من علمها طرف يسير جدّاً نِسْبَةً إلى ما يخفى عليهم[٣]، نِسْبة النقطة إلى البحر، وأمَّا عِلْم الله على الإطلاق فغير مُتَنَاهٍ، ويحتمل أن يكون التجوز في قول الخَضِرِ: كما نقص هذا العصفور؛ أي: إنَّا[٤] لا ينقص عِلْمنا شيئاً من علم الله تعالى على الإطلاق، ثم مثَّل بنقرة العصفور في عدم النقص؛ إذ نقصه غير محسوس فكأنه معدوم، فهذا احتمال، ولكن فيه نظر.

وقد قالت اليهود لرسول الله ﷺ: كيف لم نُؤْتَ من العلم إلَّا قليلاً، وقد أُوتينا التوراة وهي الحكمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً؟ فعارضهم رسول الله ﷺ بعلم الله فَغُلِبوا[٥]، وقد نصَّ رسول الله ﷺ في بعض الأحاديث بقوله: «كُلًّا»، يعني أنَّ المراد بـ ﴿أُوتِيتُم﴾ جميع العالم، وذلك أن يهود قالت له: أَنَحْنُ عنيت أم قومك؟ فقال: «كُلّاً»[٦].

---

(١) في الأصل: «علمنا».

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) في نجيبويه: «عنهم».

(٤) في الأصل: «إمَّا».

(٥) مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٤٢) من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة فذكره مرسلًا.

(٦) ضعيف مرسل، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٤٤-٥٤٥) من طريق محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار من قوله، وهذا إسناد فيه جهالة، وانقطاع.

وفي هذا المعنى نزلت: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧]، حكى ذلك الطبري رحمه الله[١].

وقوله: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا ﴾ الآية، فيها شدَّة على النبي ﷺ، وهي عتابٌ على قوله: «غَداً أُعْلِمُكُمْ»، فأُمر أن يقول: «الروح من أمر ربي»، فَـيُذْعِن بالتسليم لله في أنه يُعْلِمُ بما شاء، ويُمْسك عن عباده ما شاء، ثم قيل له: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ أنت[٢] يا محمد وجميع الخلائق مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قليلاً، فالله تعالى يُعْلِمُ من عِلْمِهِ بما شاءَ، ويَدَعُ ما شاءَ، ولئن شاءَ لذهب بالوحي الذي آتاك، ثم لا ناصر لك منه؛ أي: فليس بعظيم أَلَّا تجيءَ بتفسير في الرُّوح الذي أردتَ تفسيره للناس ووعدتهم بذلك.

وروى ابن مسعود: أنه ستخرج ريح حمراءُ مِن قِبَلِ الشَّام فتزيل القرآن من المصاحف ومن الصدور، وتذهب به، ثم يتلو هذه الآية[٣]، أراد ابن مسعود بتلاوة

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥٤٢).

(٢) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٣) صحيح بطرقه، هذا الأثر بهذا اللفظ أخرجه الطبري (١٧/ ٥٤٥-٥٤٦) من طريق إسحاق بن يحيى، عن المسيب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، به. وهو بهذا الإسناد ضعيف؛ لضعف إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي، ولعدم سماع المسيب بن رافع من ابن مسعود كما قاله أحمد، وانظر جامع التحصيل (٧٦٨)، وقد أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥٩٨٠)، ومن طريقه الطبراني في الكبير (٨٦٩٨) عن الثوري، عن أبيه، عن المسيب بن رافع، عن شداد بن معقل، عن ابن مسعود رضي الله عنه، به، وقد أخرجه عبد الرزاق (٥٩٨٠)، وابن أبي شيبة (٣٠٨١٩-٣٨٧٤٠)، والبخاري في خلق أفعال العباد (٢٦٥-٢٦٦)، والطبري (١٧/ ٥٤٦)، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٢٦٩)، والمروزي في الفتن (١٦٦٩-١٦٨٥)، والطبراني في الكبير (٨٦٩٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٣)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٢٨٩)، وفي شعب الإيمان (٢٠٢٧) من طريق عبد العزيز بن رفيع، عن شداد بن معقل، عن عبد الله به، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٨١٨) عن علي بن مسهر، عن أبي إسحاق الشيباني واسمه سليمان بن أبي سليمان، عن واصل بن حيان، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن عبد الله قال: كيف أنتم إذا أسري على كتاب الله فذهب به؟ قال: يا أبا عبد الرحمن، كيف بما في أجواف الرجال، قال: يبعث الله ريحاً طيبة فتكفت كل مؤمن. وإسناده صحيح.

الآية أن يُبْدي أن الأمر جائز الوقوع؛ ليظهر مصداق خبره من كتاب الله تعالى.

و«الوكيل»: القائم بالأمر في الانتصار أو المخاصمة ونحو ذلك من وجوه النفع.

وقوله: ﴿إِلَّا رَحۡمَةً﴾ استثناءٌ منقطع؛ أي: لكن رحمةً من ربك يمسك ذلك عليك، وهذا الاستثناءُ المنقطع يُخَصِّص تخصيصاً مَّا، وليس كالمتصل؛ لأن المتصل يُخَصِّص من الجنس أو الجملة، والمنقطع يُخَصص أجنبيّاً من ذلك، ولا ينكر وقوع المنقطع في القرآن إلَّا أعجمي، وقد حُكي ذلك عن ابن خويز منداد[1].

ثم عدَّد عليه عزَّ وجلَّ كِبَرَ فضله في اختصاصه بالنبوَّة، وحمايته من المشركين، إلى غير ذلك مما لا يُحصى.

وقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ﴾ الآية، سبب هذه الآية: أن جماعةً من قريش قالت لرسول الله ﷺ: يا محمد، جئنا بآية غريبة غير هذا القرآن، فإنَّا نقْدِر نحن على المجيء بمثل هذا[2]، فنزلت هذه الآية المصرِّحة بالتعجيز، الـمُعْلِمة بأن جميع الخلائق لو تعاونوا إنساً وجِنّاً على ذلك لم يقدروا عليه.

---

(١) في المطبوع: «مقداد»، وهو خطأ، وانظر نقل القول عنه في: البحر المحيط للزركشي (٢/ ٤٢٤)، وابن خويز منداد هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله، تفقه على الأبهري، وله كتاب كبير في الخلاف، وكتاب في أصول الفقه، وكتاب في أحكام القرآن، وعنده شواذ عن مالك، وله اختيارات، توفي سنة (٣٩٠) تقريباً. انظر الوافي بالوفيات (٢/ ٣٩)، والديباج المذهب (ص: ٢٦٨).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٤٧) من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: أتى رسولَ الله ﷺ محمود بن سيحان، وعمر بن أضا، وبحري بن عمرو، وعزيز بن أبي عزيز، وسلام بن مِشْكم، فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به حقّ من عند الله عزّ وجلّ، فإنا لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أما والله إنَّكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم، ولو اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثله ما جاؤوا بِهِ»، وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، وقال ابن كثير: وفي هذا نظر؛ لأن السورة مكية، وسياقها كله مع قريش، واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة، فالله أعلم.اهـ. انظر: تفسير ابن كثير (٩/ ٧٧)، وقد أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١/ ٥٧٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٤٤٢) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وفيه: «جماعة من اليهود»، وفي لفظ المؤلف سبب هذه الآية أن جماعة من قريش!

والعجز في[1] معارضة القرآن إنما وقع في النظم والرصف لمعانيه، وعلَّة ذلك الإحاطة التي لا يتَّصف بها إلَّا الله عز وجل، والبَشَر مقصِّر ضرورة بالجهل والنسيان والغفلة وأنواع النقص، فإذا نظم كلمة خفي عنه ـ لِلْعِلَل التي ذكرنا ـ أليقُ الكلام بها في المعنى، وقد ذكرتُ هذه المسألة في صدر هذا الديوان.

وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ في موضع رفع، و(لا) مُلْتقيةٌ قَسَماً، واللام في قوله: ﴿وَلَئِنِ﴾ مؤذنة غير لازمة، قد تحذف أحياناً، وقد تجيءُ هذه اللام مؤكدة فقط، ويجيءُ الفعل المنفي مجزوماً، وهذا اعتمادٌ على الشرط، ومنه قول الأعشى:

لَئِـنْ مُنِيـتَ بِنَا عَـنْ غِـبِّ مَعْرَكَةٍ لَا تُلْفِنَا عنْ دِماءِ الْقَوْمِ نَنْـتَفِلُ[2] [البسيط]

و«الظَّهِيرُ»: المُعِينُ، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ [التحريم: ٤] الآية / . [٣/ ١٨٧]

وفَهِمت العربُ بخلوص فَهْمها في مَيْز الكلام ودُرْبتها به ما لا نفهمه نحن، ولا كل من خالطته حضارة، ففهموا العجز عنه ضرورةً ومُشاهدةً، وعَلِمَه الناسُ بعدهم استدلالاً ونظراً، ولكلٍّ حصل علمٌ قطعي لكن ليس في مرتبة واحدة، وهذا كما علمت الصحابةُ شَرْعَ النبي وأعمالَه مشاهدةً عِلْمَ ضرورة، وعلمنا نحنُ المتواتِرَ من ذلك بنقل التَّواتر، فحصل للجميع القَطْعُ، لكن في مرتبتين، وفَهِم إعجازَ القرآن أربابُ الفصاحة الذين لهم غرائب في مَيْز الكلام، ألا ترى إلى فَهْم الفرزدق شعْرَ جرير في شعر ذي[3] الرُّمَّة في قوله:

يَـعُـدُّ الـنَّاسِـبُون إلـى تَـمِـيمٍ[4] .... [الوافر]

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «عن».

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٥٤٨)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٦٢).

(٣) كتبت في المطبوع: «ذل».

(٤) انظر عزوه له في أمالي القالي (٢/ ١٤١)، والأغاني (٨/ ٦٢)، وتقدمت الإشارة إليه في مقدمة الكتاب المتعلقة بإعجاز القرآن.

الأبيات كلها، وألا ترى قصة جرير في توارده[١] مع الفرزدق في قول الفرزدق: (عَلامَ تَلَفَّتِينَ) وفي قوله:

[الوافر] تَلَفَّتُ أَنَّهَا تَحْتَ ابْنِ قَيْنٍ[٢] ....

وألا ترى إلى قول الأعرابي: عزَّ فحكم فقطع[٣]؟ وألا ترى إلى استدلال الآخر على البعث بقوله: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٤][٤]، فقال: إن الزيارة تقتضي الانصراف[٥].

ومنه علم بشار بقول أبي عمرو بن العلاء في شعر الأعشى:

[البسيط] وأَنْكَرَتْني وَمَا كَانَ الذِي نَكِرَتْ[٦] ....

ومنه قول الأعرابي للأصمعي: مَن أَحْوَجَ الكريم إلى أن يقسم؟[٧].

ومن فهمهم أنهم[٨] ببدائههم يأتون بكلمة منثورة تفْضُل الـمُنَقَّح من الشعر، وأمثلة ذلك محفوظة، ومن ذلك أجْوبتُهم الـمُسْكتة، إلى غير ذلك من براعتهم في الفصاحة وكونهم فيها النهاية، كما كان السِّحرُ في زمن موسى، والطبُّ في زمن عيسى، فهم مع هذه الأفهام أَقَرُّوا بالعجز، ولجأ الـمُحَادُّ منهم إلى السيف، ورضي بالقتل والسباء وكشف الحُرَم، وهو كان يجد المندوحة عن ذلك بالمعارضة.

---

(١) في الأصل والحمزوية: «نوادره».

(٢) في أحمد٣: «ابن قيس»، انظر عزوه له في الزاهر للأنباري (٢/ ٤٢)، وأمالي القالي (٢/ ٢٣٥)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ١٥١).

(٣) تقدم في مقدمة الكتاب المتعلقة بإعجاز القرآن.

(٤) ليست الآية في نجيبويه.

(٥) البحر المحيط (٧/ ١٠٩)، ومثل هذا المعنى في تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٩) عن ميمون بن مهران وعمر بن عبد العزيز.

(٦) تقدم في مقدمة الكتاب المتعلقة بإعجاز القرآن.

(٧) تفسير البحر المحيط (٧/ ١١٠).

(٨) ليست في نجيبويه.

وكذلك التحدي بالعشر السُّور، والتحدي بالسُّورة، إنما وقع كله على حدٍّ واحد في النظم خاصة، وقيَّد العشر بالافتراء؛ لأنهم قالوا: إن القرآن مفترى، فدعاهم بعقب ذكر[١] ذلك إلى الإتيان بعشر سُوَر مفتريات، ولم يذكر الافتراء في السُّورة؛ لأنهم لم يجر عنهم ذكر ذلك قَبْلُ، بل قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ [البقرة: ٢٣]، على أنه قد جاء ذكر السُّورة مع ذكرهم الافتراء في سورة هود.

وقد اختلف الناس في هذا الموضع: فقيل: دُعُوا إلى السورة مع المماثلة في النظم والغيوب وغير ذلك من الأوصاف، وكان ذلك من تكليف ما لا يطاق، فلما عسر عليهم خُفِّفَ بالدعوة إلى المفتريات، وقيل غير هذا مما ينحلُّ عند تحصيله.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾.

هذه آية تنبيه على فضل الله في القرآن على العالم، وتوبيخ للكفار منهم على قبيح فعلهم.

و«تَصْريف القول»: هو ترديد البيان عن[٢] المعنى.

وقرأ الجمهور: ﴿صَرَّفْنَا﴾ بتشديد الراء، وقرأ الحسن: (صرَفْنَا) بفتح الراء خفيفة[٣].

وقوله: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يجوز أن تكون ﴿مِن﴾ لابتداء الغاية، ويكون المفعول بـ﴿صَرَّفْنَا﴾ مقدراً، تقديره: ولقد صرَّفنا في هذا القرآن التنبيه والعِبَـرَ من كل مثل

---

(١) ليست في نجيبويه.

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية: «على».

(٣) وهي شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (٦/ ١٠١).

ضربناه، ويجوز أن تكون مؤكدة زائدة، والتقدير: ولقد صرَّفنا كلَّ مثل، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقوله: ﴿فَأَبَىٰ﴾ عبارة عن تكسُّب الكفار الكفر، وإعراضهم عن الإيمان، وفي العبارة بـ﴿أَبَىٰ﴾ تغليظ، والكفر بالخلق والاختراع هو من فعل الله تعالى، وبالتَّكسُّب والدُّؤوب هو من الإنسان، و﴿كُفُورًا﴾ مصدر كالخروج.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ الآية، قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿حتى تُفَجِّرَ لنا﴾، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ﴾ بفتح التاء وضم الجيم[1]، وفي القرآن ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠]، وانْفَجَرَ مطاوع فَجَرَ، فهذا ممَّا يقوي القراءة الثانية، وأمَّا الأولى فتقتضي المبالغة في التفجير.

و«الينبوع»: الماءُ النابع، وهي صفة مبالغة إنما تقع للماء الكثير.

وطلبت قريش هذا من رسول الله ﷺ بمكَّة، وإيَّاها عنوا بـ(الأَرْضِ)، وإنما يراد بإطلاق لفظة الأرض هنا: الأرضُ التي يكون فيها المعنى المتكلم فيه، كقوله: ﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣]، فإنما يُرادُ: من أرض تصرُّفهم وقطعهم السُّبل ومعاشهم، وكذلك أيضاً اقتراحهم بالجنَّة إنما هو بمكة لامتناع ذلك فيها، وإلَّا ففي سائر البلاد كان ذلك يمكنه، وإنما طلبوه بأمر إلهي في ذلك الموضع الجدب.

وقرأ الجمهور: ﴿جَنَّةٌ﴾، وقرئ: (حبة)، ذكره المهدوي[2].

وقوله: ﴿فَتُفَجِّرَ﴾ تضعيف مبالغة، لا تضعيف تعدية، كغلَّق الأبواب[3].

و﴿خِلَٰلَهَا﴾ ظرف، ومعناه: أثناءَها وفي داخلها.

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٨٤)، والتيسير (ص: ١٤١).

(٢) في أحمد٣: «جنات»، بدل: «حبة»، وهي شاذة، والذي في التحصيل (٤/ ١٤٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٨٣) أن قتادة قرأ: (أو يكون له جنة) بياء.

(٣) في المطبوع: «كقوله: وغلقت الأبواب».

ورُوي في قول هذه المقالة لرسول الله ﷺ حديث طويل، مقتضاه أن عتبة وشيبة ابني ربيعة، وعَبْد الله بن أبي أُمية، والنضْر بن الحارث، وغيرهم من مشيخة قريش وسادتها اجتمعوا فعرضوا عليه أن يُمَلِّكوه إن أراد الـمُلْك، ويجمعوا له كثيراً من المال إن أراد الغنى، أو يطبُّوه إن كان به داءٌ، ونحو هذا من الأقاويل، فدعاهم رسول الله ﷺ عند ذلك إلى الله، وقال: «إنما جئتكم [من عند الله](١) بأمر فيه صلاح دينكم ودنياكم، فإن سمعتم وأطعتم فحسن، وإلَّا صبرت لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم بما شاء»، فقالوا له حينئذ: فإن كان ما تزعمه حقّاً فَفَجِّر ينبوعاً ونؤمن لك، ولتكن لك جنة، إلى غير ذلك مما كلَّفوه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «هذا كله إلى الله، ولا يلزمني اقتراح(٢) هذا ولا غيره، وإنما أنا مستسلم لأمر الله»(٣)، / هذا هو معنى الحديث، وفي الألفاظ اختلاف وروايات متشعِّبة يطول سَوْقُ جميعها، فاختصرتُ لذلك. [٣/ ١٨٨]

قوله تعالى: ﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ﴾ الآية، قرأ الجمهور: ﴿أَوۡ تُسۡقِطَ﴾ بضم التاء ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ نصب، وقرأ مجاهد: (أو تَسْقُطَ السماءُ)(٤) برفع السَّماءِ وإسناد الفعل إليها.

وقوله: ﴿كَمَا زَعَمۡتَ﴾ إشارة إلى ما تَلا عليهم قبل ذلك في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: ٩] الآية.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿كِسْفاً﴾ بسكون السين، إلَّا في الرُّوم، فإنهم حرَّكوها، ومعناها: قطعاً واحداً، قال مجاهد: السماء جميعاً(٥).

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٥٥-٥٥٦) من طريق محمد بن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة، وتارة عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً بلفظ مطول، والطريق الأول ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق، والثاني أيضاً ضعيف؛ لجهالة محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت.

(٤) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٨١)، والشواذ للكرماني (ص: **٨٣**)، وزاد كردابا.

(٥) تفسير الطبري (**١٧/ ٥٥١**).

وتقول العرب: كَسَفْتُ الثَّوْبَ ونحوه: قطعته، فالكِسَف ـ بفتح السين ـ المصدر، و«الكِسْف»: الشيءُ المقطوع، قال الزجاج: المعنى: أَوْ تُسقط السماءَ علينا طبَـقاً[١]، واشتقاقه من: كَسَفْتُ الشيء إذا غَطَّيْتَهُ.

قال القاضي أبو محمد: وليس بمعروف في دواوين اللغة: كَسفَ بمعنى غَطَّى، وإنما هو بمعنى قَطعَ، وكأن كسوف الشمس والقمر قطع منهما[٢].

وقرأ نافع، وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿كِسَفًا﴾ بفتح السِّين[٣]؛ أي: قِطَعاً، جمع كِسْفَة.

وقوله: ﴿قَبِيلًا﴾ معناه: مقابلةً وعِياناً، وقيل: معناه: ضامناً وزعيماً بتصديقك، ومنه القبالة، وهي الضمان، و«القَبيلُ»: الـمُتَقَبِّلُ الضامن، وقيل: معناه: نوعاً وجنساً لا نظير له عندنا.

وقرأ الأعرج: (قُبُلاً)[٤]، وهو[٥] بمعنى المقابلة.

قوله عز وجل: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾.

قال المفسرون: «الزُّخْرُف»: الذهب في هذا الموضع، و«الزخرف»: ما تُزُيِّن به، كان بذهب أو غيره، ومنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [يونس: ٢٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٥٩).

(٢) في نجيبويه والإماراتية: «بينهما».

(٣) وحفص وابن عامر بالفتح، كما في التيسير (ص: ١٤١)، وفي جامع الداني (٣/ ١٢٩٥) عن هبيرة عن حفص وابن بكار عن ابن عامر الإسكان، وليس من طرق التيسير.

(٤) وهي شاذة، إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٩٩).

(٥) في الأصل: «وقيل».

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ)[١].

[قال مجاهد: ما كنا نعرف الزخرف حتى قرأنا في حرف عبد الله: (من ذهب)][٢].

وقوله: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ يريد: في الهواءِ عُلُوّاً، والعربُ تسمِّي الهواءَ علوّاً سماءً؛ لأنه في حيِّز السُّمُوِّ، ويحتمل أن يريد السماء المعروفة، وهو أظهر؛ لأنه أعلمهم أنَّ إله الخَلْق فيها، وأنه يأْتيه خبرها، و﴿تَرْقَىٰ﴾ معناه: تصعد، و«الرُّقِيُّ»: الصعود.

ويُرْوى أن قائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أُمية، فإنه قال لرسول الله ﷺ: إنا لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب [أراك هابطاً به][٣]، فيه: من الله عزَّ وجلَّ إلى عبد الله ابن أبي أُمية[٤]، ورُوي أن جماعتهم طلبت هذا النحو منه، فأمره الله عز وجل أن يقول: ﴿سُبۡحَانَ رَبِّي﴾؛ أي: تنزيهاً له من الإتيان إليكم مع الملائكة قبيلاً، ومن أن يخاطبكم بكتاب كما أردتم، ومن أن أقترح أنا عليه هذه الأشياء، وهل أنا إلَّا بشر منكم[٥] أُرسلتُ إليكم بالشريعة، فإنما عليَّ التبليغ فقط.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر: ﴿قال سبحان ربي﴾، على معنى الخبر عن رسول الله ﷺ أنه سبَّح عند قولهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ﴾ هذه الآية على معنى التوبيخ والتَّلَهُّف من النبي ﷺ والبشر، كأنه يقول متعجباً منهم: ما شاء الله كان، ما منع الناس أن يؤمنوا

---

(١) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٩٥)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٣٥).

(٢) ليس في المطبوع، وانظر: تفسير الطبري (١٧/ ٥٥٣)، والهداية لمكي (٦/ ٤٢٨٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٧٣).

(٣) في المطبوع: «أراد هنا كِتابَه»، وهو تصحيف بين، وفي أحمد٣: «حتى تأتيني بكتاب من السماء أرى فيه بطاقة من الله... إلخ».

(٤) ذكره الواحدي في تفسيره (٣/ ١٢٨).

(٥) في أحمد٣ والحمزوية ونور العثمانية: «مثلكم».

إذْ جاءهم الهدى إلَّا هذه العلَّةُ النزرة، والاستبعاد[١] الذي لا يستند إلى حجَّة، وبعثةُ الْبَشِر رُسُلاً غير بدع ولا غريب، فَبِهَا يقع[٢] الإفهامُ والتمكنُ من النظر، كما لَوْ كانَ في الأرْضِ مَلائِكَةٌ يسكنونها مطْمَئِنِّينَ؛ أي: وادعين فيها مُقيمين لكان الرسول إليهم من الملائكة، لِيقَع الإفْهام، وأمَّا البَشَر فلو بُعث إليهم مَلَك لنفرت طبائعهم من رؤيته، ولم تحتمله أبصارهم، ولا تجلَّدت له قلوبهم، وإنما أراد الله جري أحوالهم على معتادها.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾.

روي: أن الملأَ من قريش الذين[٣] قالوا لرسول الله ﷺ المقالات التي تقدم ذكرها، من عرض الـمُلْك عليه والغنى وغير ذلك، وقالوا له في آخر قولهم: فَلْتَجِئْ معك طائفة من الملائكة تشهد لك بصدقك في نبوتك[٤]، قال المهدوي: رُوي أنهم قالوا له: فمن يشهد لك؟[٥].

قال القاضي أبو محمد: ومعنى أقوالهم إنما هو طلب شهادة دون أن يذكروها، ففي ذلك نزلت هذه الآية؛ أي: الله يشهد بيني وبينكم، الذي له الخبر والبصر بجميعنا، صادقنا وكاذِبنا، ثم ردَّ الأمر إلى خلق الله تعالى واختراعه الهدى والضلال في قلوب البشر؛ أي: ليس بيدي من أمركم أكثر من التبليغ، وفي قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ وعيدٌ.

---

(١) في المطبوع: «واستبعاد».

(٢) «يقع» ليس في الأصل.

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) لم أهتد إليه، وفي العلمية: روى البخاري، ولم نجده في شيء من النسخ الأخرى.

(٥) لم أقف عليه، وانظر التحصيل للمهدوي (٤/ ١٤٠).

ثم أخبر عز وجل أنهم يحشرون على الوجوه عُمْياً وبُكْماً وصُمّاً، وهذا قد اخْتُلِف فيه، فقيل: هي استعارات، إمَّا لأنهم من الحيرة والهَمِّ والذهول يشبهون أصحاب هذه الصفات، وإمَّا من حيث لا يرون ما يسرهم، ولا يسمعونه، ولا ينطقون بحجَّة، وقيل: هي حقيقة كلها، وذلك عند قيامهم من قبورهم، ثم يردُّ الله تعالى إليهم أبصارهم وسمعهم ونطقهم، فعند ردِّ ذلك إليهم يرون النار، ويسمعون زفيرها، ويتكلمون بكل ما حكي عنهم في ذلك.

ويقال للمنصرف عن أمرٍ خائباً مهموماً: انْصَرَفَ على وجهه، ويقال لِلْبَعِير المتفه[1]: كأنما يمشي على وجهه / . [٣/ ١٨٩]

ومَنْ قال: ذَلِكَ في الآية حقيقةٌ، قال: أقدرهم الله تعالى على النُّقلة على الوجوه، كما أقدرهم في الدنيا على النقلة على الأقدام، وفي هذا المعنى حديثٌ؛ قيل: يا رسول الله، كيف يمشي الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجلين قادراً أن يُمشِيَه في الآخرة على وجهه؟»، قال قتادة: بلى وعزَّة ربنا[2].

وقوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾؛ أي: كلما فرغت من إحراقهم، فيسكن اللهيب القائِمُ عليهم قدر ما يُعادُون ثم يثور، فتلك زيادة السعير، قاله ابن عباس[3].

فالزيادة في حَيِّزهم، وأما جهنم فعلى حالها من الشِّدّة لا يصيبها فتور، وخَبَت

---

(١) ليس في المطبوع، وفي أحمد٣: «للبعير المثقل»، وفي نجيبويه: «المتفه».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) حسن لغيره، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٦١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: كلما أحرقتهم تسعر بهم حطباً، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئاً صارت جمراً تتوهَّج، فذلك خُبُوُّها، فإذا بدّلوا خلقاً جديداً عاودتهم، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف العوفي، وأخرجه الطبري أيضاً (١٧/ ٥٦١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: سكنت، ومن طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه، وهو منقطع لعدم سماع ابن جريج منه.

النَّارُ معناه: سكن اللهبُ[١] والجمر على حاله، وخَمَدَت معناه: سكن الجمر وضعف، وهمدت معناه: طفيت جملة، ومن هذه اللَّفظة قول الشاعر:

[مجزوء الوافر]

لِـمَـنْ نَـارٌ قُـبَـيْـلَ الصُّبْـ ـح عِـنْـدَ الْـبَـيْـتِ ما تَخْبُو
إذا مـا أُخْـمِـدَتْ يُـلْـقَـى عَـلَيْـهَـا الْـمَنْـدَلُ الـرَّطْـبُ[٢]

ومنه قول عدِيِّ بن زيد:

[الخفيف]

وَسْـطَهُ كَالْيَـرَاعِ أَوْ سُـرُجِ المِجْـ ـدَلِ طـوراً تَخْبُـو وحينـاً تُثِيـرُ[٣]

ومنه قول القطامي:

[الوافر]

.... فَيَخْبُـو سَـاعَةً ويَهُـبُّ سَـاعَا[٤]

قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم﴾ الآية إشارة إلى الوعيد المتقدم بجهنم.

وقوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعُمُّ الدلائل والحُجَج التي جاء بها محمد ﷺ، ويَعُمُّ آيات القرآن وما تضمَّن من خبر وأمر ونهي.

ثم عظم عليهم أمر إنكار البعث، وخصَّه بالذكر مع كونه في عموم الكفر بآيات القرآن، وَوَجْهُ تخصيصه التعظيم له، والتنبيه على خطارة الكفر في إنكاره، وقد تقدم اختلاف القراء في الاستفهامين في غير هذا الموضع.

و«الرُّفاتُ»: بقية الشيء التي قد أصارها البِلَى إلى حال التراب.

---

(١) في أحمد٣: «اللهيب».

(٢) البيتان لعمر بن أبي ربيعة، كما في لسان العرب (١١/ ٦٥٣)، وبلا نسبة في الكامل للمبرد (٣/ ٨٧)، وتهذيب اللغة (٥/ ٧٦)، والأغاني (١/ ٣٠٥) مع اختلاف ألفاظ، في نجيبويه: «أمن زينب ذي النار»، «إذا خمدت».

(٣) عزاه له الطبري (١٧/ ٥٦٠)، ولسان العرب (٧/ ٤٢٩)، وتاج العروس (٢٠/ ١٧٧)، وفي المطبوع: «حينا يخبو وحينا ينير».

(٤) صدره: وكُنا كالْحَرِيقِ أَصَابَ غَاباً، عزاه له تفسير الطبري (١٧/ ٥٦٠)، والصحاح للجوهري (٣/ ٣٦٨).

و«الْبَعْثُ»: تحريك الشيء الساكن، وهذا الاستفهام منهم هو على جهة الإنكار والاستبعاد للمحال[١] بزعمهم.

قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾.

هذه الآية احتجاج عليهم فيما استبعدوه من البعث، وذلك أنهم قُـرِّروا على خلق الله تعالى واختراعه لهذه الجملة التي البشر جزءٌ منها، فهم لا ينكرون ذلك، فكيف يصح لهم أن يُقرُّوا بخلقه للكل، وإخراجه من خمول العدم، وينكرون إعادته للبعض؟ فحصل الأمر في حيِّز الجواز، وأخبر الصادق الذي قامت دلائل معجزاته بوقوع ذلك الجائز.

و«الرؤية» في هذه الآية رؤية القلب.

و«الأَجَلُ» هاهنا يحتمل أن يريد القيامة، ويحتمل أن يريد أجل الموت، والأَجَلُ على هذا التأويل اسم جنس؛ لأنه وضعه موضع الآجال، ومقصد هذا الكلام بيان قدرة الله عزَّ وجلَّ وملكه لخلقه، وبتقرير[٢] ذلك يقوى جواز بعثه لهم حين يشاء لا إله إلاَّ هو.

وقوله: ﴿فَأَبَى﴾ عبارة عن تكسُّبهم وجنوحهم، وقد مضى تفسير هذه الآية آنفاً.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ الآية، حكم (لَوْ) أن يليها الفعلُ، إمَّا مُظهراً وإمَّا مضمراً يفسره الظاهر بعد ذلك، فالتقدير هنا: قل لو تملكون أنتم تملكون خزائن، فـ(أَنْتُمْ) رفع على تبع الضمير.

و«الرَّحْمَةُ» في هذه الآية: المالُ والنعم التي تصرف في الأرزاق، ومن هذا سميت رحمة.

---

(١) في الأصل: «للحال».

(٢) في المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣: «تقدير».

و«الإِنْفَاقُ المعروف»: ذهابُ[١] المال، وهو مؤدٍّ إلى الفقر، فكأن المعنى: خشيةَ عاقبة الإنفاق، وقال بعض اللغويِّين: أنفق الرجلُ معناه: افتقر، [كما تقول أترب وأقتر][٢].

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾؛ أي: مُمْسكاً، يريد أن في طبعه ومُنتهى نظره أن الأشياء تتناهى وتفنى، فهو لو مَلَكَ خزائن رحمة الله لأمسك خشية الفقر، وكذلك يظن أن قدرة الله تعالى تقف[٣] دون البعث، والأمر ليس كذلك، بل قدرته لا تتناهى، فهو يخترع من الخلق ما يشاءُ، ويخترع[٤] من الرحمة الأرزاق[٥]، فلا يخاف نفاد خزائن رحمته، وبهذا النظر تلتبس هذه الآية بما قبلها، والله وليُّ التوفيق برحمته، ومن الإقتار قول أبي دُوَاد:

[الخفيف] لا أَعُدُّ الإِقْتَارَ عُدْماً وَلَكِنْ فَقْدُ مَنْ قَدْ رُزِئْتُه الإِعْدَامُ[٦]

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾، اتفق المتأولون والرواة أن الآيات الخمس التي في سورة الأعراف هي من بين[٧] هذه التِّسع، وهي: الطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم.

واختلفوا في الأربع: فقال ابن عباس: هي يَدُه، ولسانُه حين انحلَّت عقدتُه، وعصاه، والبحر[٨]، وقال محمد بن كعب القرظي: هي: البحر، والعصا، والطَّمْسة،

---

(١) في نجيبويه والإماراتية: «إذهاب».
(٢) ليس في المطبوع.
(٣) من المطبوع وأحمد٣ والحمزوية.
(٤) في المطبوع: «ويختزن».
(٥) في أحمد٣ زيادة: «ما شاء».
(٦) عزاه له تفسير الطبري (١٧/ ٥٦٣)، والفاخر (ص: ٩٠)، والأصمعيات (١/ ٣٠)، والأغاني (٢/ ١٥٩)، والعمدة في محاسن الشعر (١/ ٢٩)، وغيرهم، وفي الأصل: «فقد من رزيته»، في أحمد٣ والحمزوية: «أبي داود».
(٧) من المطبوع.
(٨) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٦٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣١٠) من طريقين عن عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والحجَر، وقال: سألني عن ذلك عمر بن عبد العزيز فأخبرته، فقال لي: وما الطَّمْسَةُ؟ فقلت: دعا موسى وأمَّن هارون، فطمس الله أموالهم وردَّها حجارة، فقال عمر: وهل يكون الفقه إلَّا هكذا؟ ثم دعا بخريطة فيها غرائب كانت لعبد العزيز بن مروان جمعها بمصر، فاستخرج منها الحوزة[١] والبيضة والعدسة، وهي كلها حجر كانت من بقايا أموال آل فرعون[٢].

وقال الضحاك: هي إلقاءُ العصاء مَرَّتين، واليد، وعُقدة لسانه.

وقال عِكْرمة، ومطر الورَّاق، والشعبي: هي العصا، واليد، والسنون، ونقص الثمرات[٣].

وقال الحسن: هي العصا في كونها ثعباناً، واليد، والسنون[٤]، وتلقف العصا ما يأفكون[٥].

وقال ابن عباس: هي السنون في بواديهم، ونقص الثمرات في قراهم، واليد، والعصا[٦].

وروى مطرِّف عن مالك: أنها العصا، واليد، والجبل إذ نتق، والبحر، وروى ابن وهب عنه / مكان البحر الحَجَر[٧]. [٣/ ١٩٠]

والذي يلزم من الآية أن الله تعالى خصَّ من آيات موسى ـ إذْ هي كثيرة جداً تنيف

(١) في نجيبويه ونور العثمانية: «الجوزة».
(٢) تفسير الثعلبي (٦/ ١٣٨).
(٣) انظر أقوالهم مع قول الضحاك في تفسير الثعلبي (٦/ ١٣٧).
(٤) «اليد والسنون»: ليس في الأصل، وأثبتناه من المطبوع وأحمد٣ والحمزوية.
(٥) انظر قول الحسن في تفسير الطبري (١٧/ ٥٦٦).
(٦) منقطع، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٩١)، ومن طريقه الطبري (١٧/ ٥٥٦) عن معمر، عن قتادة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة لم يسمع من ابن عباس.
(٧) انظر الروايتين في الهداية لمكي (٦/ ٤٣٠١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢١٦)، في أحمد٣: «ابن منبه»، وفي المطبوع: «مصرف».

على أربع وعشرين ـ تسعاً بالذكْر، ووصفها بالبيان ولم يعيّنها، واختلف العلماءُ في تعيينها بحسب اجتهادهم في بيانها، أو روايتهم التوقيفية[(١)] في ذلك.

وقالت فرقة: آياتُ موسى إنما أريد بها آياتُ التوراة التي هي أوامرُ ونواهٍ، روى في هذا صفوان بن عسَّال[(٢)]: أن [يهوديّاً من] يهود المدينة قال لآخر: سِرْ بنا إلى هذا النبي نسأله عن آيات موسى، فقال له الآخر: لا تقل إنه نبيٌّ، فإنه لو سمعك صار له أربعة أعين، قال: فساروا إلى رسول الله ﷺ، فسألاه، فقال: «هن[(٣)] ألاَّ تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلَّا بالحق، ولا تمشوا ببريءٍ إلى سلطان ليقتله، ولا تسحروا[(٤)]، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنة، ولا تفِرُّوا يوم الزحف، وعليكم خاصة يهود: أن لا تعدوا في السبت»[(٥)].

وقرأ الجمهور: ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

---

(١) في نجيبويه: «التوفيق»، وفي نور العثمانية والإماراتية: «التوقيف».

(٢) صفوان بن عسّال، المرادي، مشهور له صحبة ورواية، وغزا اثنتي عشرة غزوة، سكن الكوفة، الإصابة (٣/ ٣٥٣).

(٣) في أحمد٣ والحمزوية ونور العثمانية: «هي».

(٤) في المطبوع: «تسخروا».

(٥) منكر، أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٢٦٠)، وأحمد (٤/ ٢٣٩-٢٤٠)، والترمذي (٢٧٣٣-٣١٤٤)، والنسائي في الكبرى (٣٥٢٧-٨٦٠٢)، وابن ماجه (٣٧٠٥) مختصراً، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢١٦)، والطبري (١٧/ ٥٥٦-٥٥٧)، وابن أبي حاتم (٦٢١٢-١٦١٦١) في تفسيرهما، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٢١٥)، وفي شرح مشكل الآثار (٦٣-٦٤-٦٥)، والطبراني في الكبير (٧٣٩٦)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ١١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٦٦)، وفي دلائل النبوة (٦/ ٢٦٨)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٩٧-٩٨)، وغيرهم من طريق عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن صفوان بن عسال المرادي، به.
وعبد الله بن سلمة المرادي الكوفي تكلم فيه النقاد بسبب سوء حفظه. قال النسائي: وهذا حديث منكر، وحُكي عن شعبة قال: سألت عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة؟ فقال: تعرف وتنكر.اهـ وقال البخاري: لا يتابع في حديثه، وقال أبو أحمد الحاكم: ليس حديثه بالقائم. وانظر الضعفاء =

وروي عن الكسائي: ﴿فَسَلْ﴾[١] على لغة من قال: سَالَ يَسَالُ.

وهذا كله على معنى الأمر لمحمد ﷺ؛ أي: اسأل معاصريك عمَّا أعلمناك به من غيب القصة، ثم قال: ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾، يريد: آباءهم، وأدخلهم في الضمير إذ[٢] هم منهم.

ويحتمل أن يريد: فاسْأَل بَنِي إِسْرائِيلَ الأولين الذين جاءهم موسى، وتكون إحالته إياه على سؤالهم بطلب أخبارهم والنظر في أحوالهم وما في كتبهم، نحو قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وهذا كما تقول لمن تعظه: سَلِ الأُمم الخالية هل بقي منها مخلد؟ ونحو هذا مما يجعل النظر فيه مكان السؤال، قال الحسن: سؤالك إياهم نظرُك في القرآن[٣].

وقرأ ابن عباس: (فَسَأَلَ بني إسرائيلَ)[٤]؛ أي: فسأل موسى فرعونَ[٥] بني إسرائيل؛ أي: طلبهم لينجيَهم من العذاب.

وقوله: ﴿مَسْحُورًا ﴾ اختلف فيه المتأولون، فقالت فرقة: هو مفعول على بابه؛ أي: إنك قد سُحِرتَ، فكلامك مختلٌّ، وما تأتي به غيرُ مستقيم، وقال الطبري: هو مفعول بمعنى فاعل، كما قال: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥]، وكما قالوا: مَشْؤُومٌ وَمَيْمُون، وإنما هو: شائِمٌ ويامن[٦].

= للعقيلي (٢/ ٢٦١)، والميزان (٢/ ٤٣١). ولذلك قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٩/ ٨٨): وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات، فإنها وصايا في التوراة، لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون. والله أعلم. اهـ.

(١) وهي سبعية له ولابن كثير، على قاعدتهما، انظر: التيسير (ص: ٩٥)، والسبعة (ص: ٢٣٢).

(٢) في المطبوع: «إذا» وهو خطأ.

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٦٨).

(٤) وهي شاذة، انظر المصاحف لابن أبي داود (ص: ٢٦٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٠٠)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٣٨).

(٥) ليس في المطبوع.

(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٥٦٨).

قال القاضي أبو محمد: وهذا لا يتخرج إلَّا على النَّسب؛ أي: ذا سِحْرٍ مَلَكْتَه وعَلِمْتَه، فأنتَ تأتي بهذه الغرائب لذلك، وهذه مخاطبةُ تَنَقُّصٍ، فيستقيم أن يكون ﴿مَسْحُورًا﴾ مفعولاً على ظاهره، وعلى أن يكون بمعنى: ساحر يعارضنا ما حُكيَ عنهم أنهم قالوا له على جهة المدح: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]، فإمَّا أن يكون القائلون هنالك ليس فيهم فرعون، وإمَّا أن يكون فيهم، لكنه تنقَّل[1] من تَنَقُّصه إلى تعظيمه، وفي هذا نظر.

قوله عز وجل: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾.

رُوي عن عليٍّ بن أبي طالب، وغيره، أنه قرأ: (عَلِمْتُ) بتاء التكلم مضمومة، وقال: وما علم عدوُّ الله قط، وإنما علم موسى[2].

وتتقوى هذه القراءة لمن تأوَّل ﴿مَسْحُورًا﴾ على بابه، فلمَّا رماهُ فرعون بأنه قد سُحر فَفَسَد نظره وعقله وكلامه، ردَّ هو عليه بأنه يعلم آيات الله تعالى، وأنه ليس بمسحور، بل مُـحَرِّر لما يأتي به، وهي قراءة الكسائي[3].

وقرأ الجمهور: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بتاء المخاطب مفتوحة، فكأن موسى عليه السلام رماهُ بأنه يكفر عناداً.

ومن قال بوقوع الكفر عناداً فَلَه تعلُّق بهذه الآية، وجعلها كقوله عزَّ وجلَّ:

---

(١) في أحمد٣: «ينفك»، وفي نور العثمانية: «يعقل».

(٢) ضعيف، أخرجه الفراء في معاني القرآن (٢/ ١٣٢) عن قيس وأبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن شيخ من مراد، عن علي رضي الله عنه، وإسناده ضعيف؛ لجهالة شيخ أبي إسحاق، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٤٥٥) لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: التيسير (ص: ١٤١)، وانظر نسبتها لعلي في تفسير الثعلبي (٦/ ١٣٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٠١).

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ [النمل: ١٤]، وقد حكى الطبري ذلك عن ابن عباس[١]، ونحا إليه الزَّجاج[٢].

وهي بعدُ معرضة للاحتمال على أن يكون قول موسى عليه السلام إبلاغاً على فرعون في التوبيخ؛ أي: أنت بحال من يعلم هذا، وهي من الوضوح بحيث تعلمها، ولم يكن ذلك على جهة الخبر عن علم فرعون، [ومن يريد من الآية وقوع الكفر عناداً فإنما يجعل هذا خبرا من موسى عن علم فرعون، والإشارة بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى التسع الآيات][٣].

وقوله تعالى: ﴿بَصَآئِرَ﴾ جمع بصيرة، وهي الطريقة؛ أي: طرائق يهتدى بها، وكذلك غلب على البصيرة أنها تستعمل في طريقة النفس في نظرها واعتقادها، ونصب ﴿بَصَآئِرَ﴾ على الحال.

و«الـمَثْبُورُ»: الـمُهْلَك، قاله مجاهد، وقال ابن عباس[٤]، والضحاك: هو المغلوب.

وقال ابن زيد: هو المخبول[٥]، وروي عن ابن عباس أنه فسَّره بالملعون[٦].

وقال بعض العلماء: كان موسى عليه السلام في أول أمره يجزع، ويُؤْمر بالقول اللَّيِّن، ويطلب الوزير، فلما تقوَّتْ نفسه بقوى النبوَّة وتجلَّد قابل[٧] فرعون بأكثر مما أُمر

---

(١) إسناده لين، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٦٩) عن القاسم بن الحسن بن يزيد الهمداني، وهو ثقة، عن الحسن بن داود الملقب بسنيد المصيصي، عن هشيم، عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وسنيد فيه كلام، وهشيم يدلس.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٦٣).

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٧٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر الأقوال كلها في تفسير الطبري (١٧/ ٥٧١).

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٧٠) من طريق علي بن أبي طلحة، ومن طريق عمر بن عبد الله الثقفي، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، كلاهما عنه به، وفي الإسنادين ضعف.

(٧) من المطبوع، وفي الأصل: «وقاتل».

به، بحسب اجتهاده الجائز له، قال ابن زيد: اجترأ موسى أن يقول له فوق ما أمره الله[١].

وقالت فرقة: بل المثبور: المغلوب المختدع[٢]، وما كان موسى عليه السلام ليكون لعَّاناً، ومن اللفظة قول عبد الله بن الزِّبَعْرى:

[الخفيف] إذْ أُجاري الشَّيطانَ في سَنَنِ الغَيْـ ـي، وَمَـنْ مـالَ مَيْلَـهُ مَثْبـورُ

وقوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ الآية، ﴿يَسْتَفِزَّهُم﴾: معناه: يَستخفّهُم ويُقلقهم، إمَّا بقتل أو بإجلاءٍ، والأرْض أرض مصر، وقد تقدم أنه متى ذكرت الأرض عموماً فإنما يراد بها ما يناسب القصة المتكلَّم فيها، وقد يحسُن عمومها في بعض القصص.

قال القاضي أبو محمد: واقتضبت هذه الآية قصص بني إسرائيل[٣] مع فرعون، وإنما ذَكَرَتْ عُظْمَ الأمر وخطيره، وذلك طَرَفَاه: أراد فرعون غلَبتهم وقتْلهم، وهذا كان بدْءَ الأمر، فأغرقه الله وأغرق جنوده، وهذا كان نهاية الأمر، ثم ذكر تعالى أمر بني إسرائيل بعد إغراق فرعون بسُكْنى أرض الشَّام.

[٣/ ١٩١] و﴿وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾: هو يوم القيامة، و«اللَّفِيفُ»: الجمع المختلِط الذي قد / لُفَّ بعضه ببعض، فليس ثَمَّ قبائل ولا انحياز، وقال بعض اللُّغويِّين: هو من أسماء الجموع، ولا واحد له من لفْظِهِ.

وقال الطبريُّ: هو بمعنى المصدر كقول القائل: لَفَفْتُه لَفّاً ولفِيفاً[٤]، وفي هذا نظر فتأمله.

قوله عز وجل: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥٧١).
(٢) في المطبوع: «المُخرَّع».
(٣) في الأصل: «قصص موسى».
(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٥٧٣).

الضمير في قوله: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ عائد على القرآن المذكور في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء: ٨٩]، ويجوز أن يكون الكلام آنفاً، وأشار بالضمير إلى القرآن على غير ذكر متقدمٍ لشهرته، كما قال: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، وهذا كثيرٌ.

قال الزهراوي: معناه: بالواجب الذي هو المصلحة والسَّداد للناس بالحق في نفسه.

وقوله: ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ يريد: بِالْحَقِّ في أوامره ونواهيه وأخباره[١]، فبهذا التأويل يكون تكرار اللَّفظ لمعنىً غيرِ الأول، وذهب الطبري إلى أنهما بمعنى واحد[٢]؛ أي: بأخباره وأوامره، وبذلك نزل.

قوله: ﴿وَقُرْءَانًا﴾ مذهب سيبويه أن نصبه بفعل مضمر يفسره الظاهر بعد[٣]، أي: وفرَقنا قرآناً، ويصح أن يكون معطوفاً على الكاف في ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾ من حيث كان إرسال هذا وإنزال هذا لمعنىً واحد.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ بتخفيف الراء، ومعناه: بيَّـنَّاه وأوضحناهُ وجعلناه فرقاناً.

وقرأ ابن عباس، وقتادة، وأبو رجاء، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وأبيُّ ابن كعب، والشعبي، والحسن بخلاف، وحُمَيْد، وعمرو بن فائد[٤]: (فَرَّقْنَاهُ) بتشديدِ الراء[٥]، إلَّا أن في قراءة ابن مسعود، وأُبي بن كعب: (فَرَّقْنَاهُ عَلَيْكَ لِتَقْرَأَهُ)[٦]؛ أي: أنزلناه شيئاً بعد شيء، لا جملةً واحدة، ويتناسق هذا المعنى مع قوله: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ

---

(١) البحر المحيط (٧/ ١٢٢).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥٧٣).

(٣) البحر المحيط (٧/ ١٢٣)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٣٣٩).

(٤) في المطبوع: «قائد».

(٥) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٢٣): وزاد عمر بن ذر، وأبا عمرو.

(٦) شاذة، انظر عزوها لأبي في تفسير الثعلبي (٦/ ١٤٠)، ولهما في البحر المحيط (٧/ ١٢٤).

عَلَىٰ مُكۡثٖ ﴾، وهذا كان لما أراد الله من نزوله بأسباب تقع في الأرض من أقوال وأفعال في أزمان محدودة معيَّنة.

واختلف أهلُ العلم، في كم نزل القرآن من المدة؟ فقيل: في خمس وعشرين سنة، وقال ابن عباس: في ثلاث وعشرين[١]، وقال قتادة: في عشرين سنة[٢]، وهذا بحسب الخلاف في سنِّ رسول الله ﷺ، وذلك أن الوحي بدأ وهو ابن أربعين[٣]، وتَمَّ بموته.

وحكى الطبريُّ عن الحسن البصري أنه قال: نزل القرآن في ثماني عشرة سنة[٤].

وهذا قولٌ مُخْتَلٌّ[٥]: لا يصح عن الحسن، والله أعلم.

وتأولت فرقة قوله عز وجل: ﴿عَلَىٰ مُكۡثٖ ﴾؛ أي: على ترسُّلٍ في التلاوة، وهو ترتيل، هذا قول مجاهد، وابن عباس[٦]، وابن جريج، وابن زيد[٧]، والتأويل الآخر، أي: على مُكْثٍ وتطاول في المدة شيئاً بعد شيء.

وقوله: ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ مبالغة وتأكيد بالمصدر للمعنى المتقدم ذكره في ألفاظ الآية.

---

(١) المشهور المسند عن ابن عباس أنه قال: في عشرين سنة، وإسناده صحيح، أخرجه أبو عبيد القاسم ابن سلام في فضائل القرآن (٣٦٦-٣٦٧)، والنسائي في الكبرى (١١٣٠٨)، والطبري (١٧/ ٥٧٤)، وحفص بن عمر في جزء فيه قراءات النبي (٧٥)، وابن منده في الإيمان (٧٠٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٢٣-٣٦٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٣١-١٣٢)، وفي الأسماء والصفات (٤٩٧)، من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وما هنا لم أقف عليه مسنداً.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٤٧).

(٤) أسباب النزول للواحدي (١/ ٣).

(٥) في الأصل: «محتمل».

(٦) أخرج الطبري (١٧/ ٥٧٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: على تأييد.

(٧) انظره مع قول مجاهد في تفسير الطبري (١٧/ ٥٧٥، ٥٧٦).

وأجمع القراءُ على ضمِّ الميم من ﴿مُكْثٍ﴾[(١)]، ويقال: مُكْثٌ ومَكْثٌ بفتح الميم، ومِكْثٌ بكسرها.

وقوله: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ﴾ الآية، هذه آية تحقير للكفار، وفي ضمنه ضربٌ من التوعُّد، والمعنى: إنكم لستم بحُجَّة، فسواءٌ علينا آمنتم أو كفرتم، وإنما ضررُ ذلك على أنفسكم، وإنما الحُجَّةُ أهلُ العلم من قبله، وهم بالصفة المذكورة.

واختلف الناس في المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾.

فقالت فرقة: هم مؤمنو أهل الكتاب.

وقالت فرقة: هم ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، ومن جرى مجراهما.

وقيل: إن جماعة من أهل الكتاب جلسوا وهم على دينهم فتذاكروا أمر النبي ﷺ وما أنزل عليه، وقرئ عليهم منه شيءٌ فخشعوا وسبَّحوا الله [وسجدوا له][(٢)]، وقالوا: هذا وقتُ نُبُـوَّة المذكور في التوراة، وهذه صفته، ووعْدُ الله به واقع لا محالة، وجنحوا إلى الإسلام هذا الجنوح، فنزلت الآية فيهم[(٣)].

وقالت فرقة: المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ محمد ﷺ، والضمير في ﴿قَبْلِهِۦٓ﴾ عائد على القرآن، حَسَب الضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾، ويُبَيِّن ذلك قوله: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ﴾، وقيل: الضميران لمحمد، واستأنف ذكر القرآن في قوله: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ﴾.

وقوله: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾؛ أي: لِنَاحِيَتها، وهذا كما تقول: تساقِط لليد والفم؛ أي: لِنَاحِيَتِهما وعليهما، قال ابن عباس: المعنى: لِلْوجوه[(٤)]، وقال الحسن: المعنى لِلِّحَى[(٥)].

---

(١) وفتح الميم شاذ، نقله في مختصر الشواذ (ص: ٨١)، عن قتادة، ونقله الهذلي في الكامل (ص: ٥٨٩) عن آخرين.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) ذكره الطبري (١٥/ ٥٧٨) عن ابن جريج من قوله بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٧٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥٧٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٨٠).

و(الأذقان) أسافل الوجوه حيث يجتمع اللَّحْيانِ، وهي أقرب ما في رأس الإنسان إلى الأرض لا سيَّما عند سجوده، وقال الشاعر:

[الطويل] فَخـرُّوا لأَذْقَـانِ الْوُجُـوهِ تَنُوشُـهُمْ سِـبَاعٌ مِنَ الطَّيْرِ الْعَوَادِي وَتَنْتِفُ[١]

و﴿إِن﴾ في قوله: ﴿إِن كَانَ﴾ هي عند سيبويه المخففة من الثقيلة، واللام بعدها لام التأكيد، وهي عند الفراء النافية، واللام بمعنى: (إلَّا).

ويتوجَّه في هذه الآية معنى آخر، وهو أن يكون قوله: ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ مخلصاً للوعيد دون التحقير، والمعنى: فَسَتَرَوْن ما تُجَازَوْن به، ثم ضرب لهم المثَلَ ـ على جهة التقريع ـ بمن تقدم من أهل الكتاب؛ أي: إن الناس لم يكونوا كما أنتم في الكفر، بل كان الذين أوتوا التوراة والإنجيل والزبور والكتب المنزَّلة في الجملة إذا يُتْلى عليهم ما نزل عليهم خشعوا وآمنوا.

قوله عز وجل: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩) قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١١٠) وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)﴾.

هذه مبالغة في صفتهم، ومدْحٌ لهم، وحضٌّ لكل من يوسم[٢] بالعلم وحصَّل منه شيئاً أن يجري إلى هذه الرُّتبة، وحكى الطبريُّ عن التَّيْمِيِّ أنه قال: / إن من أوتي [٣/ ١٩٢] من العلم ما لم يُبْكِه لخليق ألَّا يكون أوتي علماً ينفعه؛ لأن الله تعالى نعت العلماء ثم تلا هذه الآية كلها[٣].

---

(١) البيت في الدر المصون (١/ ٣٠٣٣)، واللباب في علوم الكتاب (١٢/ ٤٠٨)، والبحر المحيط (٦/ ٦٧)، بلا نسبة.

(٢) في الأصل والإماراتية: «ترسم»، وفي المطبوع: «توسم».

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٧٩).

وقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية أن المشركين سمعوا رسول الله ﷺ يدعو: يا الله، يا رحمن، فقالوا: كان محمد يأمرنا بدعاء إله واحد، وهو يدعو إلهين، قاله ابن عباس[١]، وقال مكحول[٢]: تهجّد رسول الله ﷺ ليلةً، فقال في دعائه: يا رحمن يا رحيم، فسمعه رجل من المشركين ـ وكان باليمامة رجلٌ يسمى الرحمان ـ فقال ذلك السامع: ما بالُ محمد يدعو رحمانَ اليمامة؟ فنزلت الآية مبينة أنها أسماءٌ لشيء واحد[٣]، فإن دعوتموه بالله فهو ذلك، وإن دعوتموه بالرحمن فهو ذلك.

وقرأ طلحة بن مصرِّف: (أَيّاً مَنْ تَدْعُو فَلَهُ الأَسْمَاءُ)[٤]؛ أي: وله سائر الأسماء الْحُسْنَى؛ أي: التي تقتضي أفضل الأوصاف.

وهي بتوقيف، لا يصحُّ وضع اسم لله بنظر إلَّا بتوقيف من القرآن والحديث، وقد رُوي: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً» الحديث[٥]، ونصها كلها الترمذي وغيره بسندٍ صحيح[٦]، وتقدير الآية: أيُّ الأسماء تدعو به فأنت مصيب، له الأسماءُ الحُسْنى.

ثم أمر رسول الله ﷺ ألَّا يجهر بصلاته، وألا يخافِتَ بها، وهو الإسْرَارُ الذي يسمعه[٧] المتكلم به، هذه هي حقيقته، ولكنه في الآية عبارة عن خفض الصوت وإن لم يَنْتَه إلى ما ذكرناه.

واختلف المتأولون في الصَّلاة، ما هي؟:

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٨٠) من طريق محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به، بنحوه، ومحمد بن كثير المصيصي قد ضعفه جمع من الأئمة.

(٢) في المطبوع: «مكي»، ولعله خطأ لما سيأتي في المصدر.

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (١٥/ ٥٨٠) من طريق عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن مكحول الشامي، به.

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٤).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) «صحيح» من المطبوع، والحديث شاذ، وقد تقدم الكلام عليه عند الآية (١٨٠) من سورة الأعراف.

(٧) في أحمد٣ والحمزوية: «لا يسمعه».

فقال ابن عباس[(١)]، وعائشة[(٢)]، وجماعة: هي الدعاءُ.

وقال ابن عباس أيضاً: هي قراءة القرآن في الصلاة، فهذا على حذف مضاف، التقدير: وَلا تَجْهَرْ بقراءة صلاتك، قال: والسبب أن رسول الله ﷺ جهر بالقراءة[(٣)] فسمعه المشركون فسبُّوا القرآن ومن أنزله، فأُمر رسول الله ﷺ بالوسط؛ لِيُسْمع أصحابه المصلين معه، ويذهب عنه أذى المشركين[(٤)].

وقال ابن سيرين: كان الأعراب يجهرون بتشهُّدهم، فنزلت الآية في ذلك[(٥)].

وكان أبو بكر رضي الله عنه يُسِرُّ قراءته، وكان عمر يجهر بها، فقيل لهما في ذلك، فقال أبو بكر: إنما أناجي ربِّي، وهو يعلم حاجتي، وقال عمر: أنا أطرد[(٦)] الشيطان، وأوقظ الوسنان، فلما نزلت هذه الآية قيل لأبي بكر: ارفع أنت قليلاً، وقيل لعمر: اخفض أنت قليلاً[(٧)].

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨١٧٩)، وأحمد بن منيع في مسنده كما في الإتحاف (٦/ ٢٣١)، والطبري (١٧/ ٥٨١)، والطبراني في الكبير (١١٧١٠)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ١٨٤) من طريق أشعث بن سوار، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: كانوا يجهرون بالدعاء: اللهم ارحمني، فلما نزلت هذه الآية أمروا أن يجهروا ولا يخافتوا. وأشعث بن سوار الكندي ضعيف، وأخرجه الطبري (١٧/ ٥٨٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: قال هي في: الدعاء والمسألة، وسيأتي عن ابن عباس بإسناد متفق عليه قولٌ آخر.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٣٢٧)، ومسلم (٤٤٧).

(٣) في الأصل: «بالقرآن».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٤٤٦).

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥٨٧).

(٦) في المطبوع: «أطرح»، ولعله تحريف.

(٧) له شواهد قد تدل أن له أصلًا، لكن دون قول النبي ﷺ لأبي بكر: «ارفع أنت قليلا»، ولعمر: «اخفض أنت قليلاً»، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٨٦) من طريق سلمة بن علقمة، عن محمد بن سيرين قال: نبئت أن أبا بكر... وهذا منقطع، وله شاهد أخرجه أبو داود (١٣٢٩)، والترمذي (٤٤٧)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٦١) من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الله بن رباح، =

وقالت عائشة أيضاً: الصلاة يُراد بها في هذه الآية التشهدُ[(١)].

وقال ابن عباس[(٢)]، والحسن: المراد والمعنى: لا تُحَسِّن صلاتك في الجهر، ولا تُسِئْها في السِّر، بل اتَّبع طريقاً وسطاً يكون دائماً في كل حالة[(٣)].

وقال ابن زيد: معنى الآية النهيُ عما يفعله أهل الإنجيل والتوراة من رفع الصوت أحياناً فيرفع الناس معه، ويخفض أحياناً فيسكت من خلفه.

= عن أبي قتادة، مرفوعاً فذكره، قال الترمذي: هذا حديث غريب، وإنما أسنده يحيى بن إسحاق عن حماد بن سلمة، وأكثر الناس إنما رووا هذا الحديث عن ثابت عن عبد الله بن رباح مرسلاً. اهـ، وروي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أبو داود (١٣٣٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٢٨٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٢/ ١٦٤) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، به، بهذه القصة لم يذكر قوله لأبي بكر: «ارفع من صوتك شيئاً»، ولعمر: «اخفض شيئاً» لكن فيه قول النَّبِيِّ ﷺ: «كُلُّكُمْ قَدْ أَصَابَ». ونسخة محمد بن عمرو هذه فيها كلام، وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٠٩)، وفي فضائل الصحابة (١٠٠)، والضياء في المختارة (٧٨٥-٧٨٦-٧٨٧) من طريق زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق السبيعي، عن هانئ بن هانئ، عن علي بن أبي طالب فذكره مرفوعاً، بنحو حديث أبي هريرة وفيه: كله طيب، وأبو إسحاق السبيعي مدلس وتغير بأخرة، ورواية زكريا بن أبي زائدة عنه بعد تغيره، وهانئ بن هانئ الهمداني مستور الحال، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ١٨٨)، وعبد الرزاق في المصنف (٤٢١٠) من طريق عبد الرحمن بن حرملة، عن ابن المسيب، مرسلاً، بنحوه.

(١) صح عن عائشة خلافه، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٨٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٧٠٧) عن أبي السائب سلم بن جنادة، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٣٠) من طريق أبي كريب محمد بن العلاء، كلاهما (أبو السائب، وأبو كريب) عن حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزلت هذه الآية في التشهد ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، وحفص بن غياث تغير حفظه قليلاً فى الآخر، وقد خالف أصحاب هشام بن عروة؛ فإنهم رووه عن هشام عن عائشة رضي الله عنها أن هذه الآية نزلت في الدعاء كما تقدم.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٨٨)، والطبراني في الكبير (١٣٠٢٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ قال: لا تصل مراءاة الناس، ولا تدعها مخافة.

(٣) انظره مع قول ابن زيد الذي بعده في تفسير الطبري (١٧/ ٥٨٧).

وقال ابن عباس في الآية: إن معناها: وَلا تَجْهَرْ بصلاة النهار، وَلا تُخافِتْ بصلاة اللَّيل، وابتغ سبيلاً من امتثال الأمر كما رسم لك[١]، ذكره يحيى بن سلام، والزهراوي[٢].

وقال عبد الله بن مسعود: لم يُخافِتْ مَن أسمعَ أذنَه[٣].

وما رُوي من أنه قيل لأبي بكر: «ارفع أَنْتَ قليلاً» يردُّ هذا، ولكن الذي قال ابن مسعود هو أصل اللُّغة، ويستعمل الخفوتُ بعد ذلك في أرفع من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الآية هذه الآية رادَّةٌ على اليهود والنصارى والعرب في قولهم أفذاذاً: عُزَيْر وعيسى والملائكة ذرِّيَّة لله، سبحانه وتعالى عن أقوالهم! ورادَّةٌ على العرب في قولهم: لولا أولياءُ الله لذلَّ، وقيَّد لفظُ الآية نفي الولاية لله عزَّ وجلَّ بطريق الذل، وعلى جهة الانتصار؛ إذ ولايته موجودةٌ بتفَضُّله ورحمته لمن وَالى من صالح عباده.

قال مجاهد: المعنى: لم يُحالف أحداً، ولا ابتغى نصر أحد[٤].

وقوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرَۢا﴾ أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال، ثم أكَّدها بالمصدر تحقيقاً لها، وإبلاغاً في معناها.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٤٦٥) لابن أبي حاتم، وابن مردويه بلفظ أطول من هذا.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) إسناده صحيح، أخرجه سفيان الثوري في تفسيره (ص: ١٧٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٨١٧٥)، والطبري (١٧/ ٥٨٩)، والطبراني في الكبير (٩٣٩٨) من طريق أشعث بن أبي الشعثاء، عن الأسود ابن هلال، عن ابن مسعود رضي الله عنه، به قال ابن رجب: وهو يدل على أدنى الجهر: أن يسمع نفسه، ومنتهى الجهر: أن يسمع من خلفه إن أمكن ذَلِكَ من غير مشقة، وقد كانَ عمر بن الخطاب يسمع قراءته في المسجد من خارجه. اهـ. من فتح الباري (٤/ ٤٣٨).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٥٩٠)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٤٢)، والهداية لمكي (٦/ ٤٣١٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٨٧).

وروى مُطَـرِّفٌ عن عبد الله بن كعب قال: افتتحت التوراةُ بفاتحة سورة الأنعام، وختمت بخاتمة هذه السورة[١].

نجز تفسير سورة (سبحان)، والحمد لله رب العالمين، ولله الحمد والمِنَّة[٢].

❋ ❋ ❋

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٤٥).

(٢) «ولله الحمد والمنة»: من المطبوع.



هذه السُّورة مكِّيَّة في قول جميع المفسرين، ورُوي عن فرقة: أن أول السُّورة نزل بالمدينة، إلى قوله: ﴿جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨]، والأول أصح.

وهي من أفضل سور القرآن، رُوي أن رسول الله ﷺ قال: «ألَا أُخبركم بسورة[١] عِظَمُهَا ما بين السماوات والأرض، ولمن جاء بها من الأجر مثل ذلك؟» قالوا: أيُّ سورة هي يا رسول الله؟ قال: «سورة الكهف، من قرأ بها يوم الجمعة غفر له ما بين الجمعة إلى الجمعة الأخرى ـ وزيادة ثلاثة أيام[٢] في رواية أنس ـ ومن قرأ بها أُعطي نوراً بين السماء والأرض، وَوُقي بها فتنة القبر»[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾

---

(١) في المطبوع زيادة: «ملأ»، قال في الحاشية: زيادة عن القرطبي وفتح القدير.

(٢) ضعيف، أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٩/ ٤٧٧)، والديلمي كما السلسلة الضعيفة (٢٤٨٢) عن عبد الرحمن بن هشام المخزومي، عن أبيه، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مرفوعاً، وزاد ابن مردويه في روايته: «ومن قرأ العشر الأواخر منها عند نومه بعثه الله أيَّ الليل شاء». وهشام بن عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن المخزومي من أهل المدينة، يَروي عن هشام بن عروة ما لا أصل له من حديثه كأنه هشام آخر. انظر: المجروحين (٣/ ٩١).

(٣) ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٣٩)، والطبراني في الكبير (٤٤٣)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٧٦)، والبغوي في شرح السنة (١٢٠٥) وغيرهم من طريق زبان، عن سهل بن معاذ، عن أبيه مرفوعاً بنحوه. وزبان بن فائد المصري ضعيف مع صلاحه وعبادته.

مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾.

كان حفص عن عاصم يسكت عند قوله: ﴿عِوَجَا﴾ سكتةً خفيفةً، وعند ﴿مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢][1].

[٣/ ١٩٣] وسبب هذه البُدَاءَةِ في هذه السورة أن رسول الله ﷺ / لما سألته قريش عن المسائل الثلاث: الرُّوح والكهف وذي القرنين ـ حسبما أمرتهم به يهود ـ قال لهم رسول الله ﷺ: «غداً أُخبركم بجواب سؤالكم»، ولم يقل: «إن شاء الله»، فعاتبه الله عز وجل بأن استمسك عنه الوحي خمسة عشر يوماً، فأرجف به كفار قريش، وقالوا: إن محمداً قد تركه رِئيُّه الذي كان يأتيه من الجن، وقال بعضهم: قد عجز عن أكاذيبه، إلى غير ذلك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، وبلغ منه، فلما أن قضي الأمر الذي أراد الله عتاب محمد إليه، جاءه الوحي من الله بجواب الأسئلة وغير ذلك[2].

فافتتح الوحي بحمد الله الذي أنزلَ على عبدِهِ الكتابَ؛ أي: بزعمكم أنتم يا قريش، كما تقول لرجل يحبُّ مساءَتَك فلا يرى إلَّا نعمتك: الحمد لله الذي أنعم عليَّ وفعل بي كذا، على جهة النعمة[3] عليه.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو القرآن.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾؛ أي: لم يُزِلْه عن طريق الاستقامة، و«العِوَجُ»: فقدُ الاستقامة، وهو بكسر العين في الأمور والطرق وما لا يحسُّ منتصباً شخصاً، والْعَوَجُ بفتح العين في الأشخاص؛ كالعصا والحائط ونحوه، وقال ابن عباس: معناه لم يجعله مخلوقاً[4].

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٤٢).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٥٩٢-٥٩٣) من طريق محمد بن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في نور العثمانية وأحمد٣ والحمزوية: «النقمة».

(٤) لم أهتد إليه.

وقوله: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ يعم هذا وجميع ما ذكر[١] من أنه لا تناقض فيه، ومن أنه لا خَلَلَ ولا اختلاف فيه.

وقوله: ﴿قَيِّمٗا ﴾ نصب على الحال من ﴿ٱلۡكِتَٰبَ ﴾، فهو بمعنى التقديم مُؤَخَّر في اللفظ؛ أي: أنزل الكتاب قيِّماً، واعترض بين الحال وذي الحال قوله: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾، ذكر الطبريُّ هذا التأويل عن ابن عباس[٢].

ويجوز أن يكون مَنْصُوباً بفعل مضمر تقديره: أنزله، أو جعله قيِّماً.

وفي بعض مصاحف الصحابة: (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً وَلَكِنْ جَعَلَهُ قَيِّماً)، قاله قتادة[٣].

ومعنى قَـيِّم: مستقيم، هذا قول ابن عباس[٤]، والضحاك[٥].

وقيل: معناه أنه قَـيِّمٌ على سائر الكتب بتصديقها[٦]، ذكره المهدوي[٧].

وهذا محتمل، وليس من الاستقامة، ويحتمل أن يكون معنى قَـيِّم قيامُه بأمر الله تعالى على العالم، وهذا المعنى يؤيده ما بعده من النِّذارة والبشارة اللَّذَيْنِ عَمَّا العالم.

و«البَأْسُ الشَّديدُ»: عذابُ الآخرة، ويحتمل أن يندرج معه في النِّذارة عذابُ الدنيا ببدْرٍ وغيرها، ونصبه على المفعول الثاني، والمعنى: لِيُنْذر العالَم.

وقوله تعالى: ﴿مِّن لَّدُنۡهُ ﴾؛ أي: من عنده ومِنْ قِبَله، والضمير في ﴿لَّدُنۡهُ ﴾ عائد على الله.

---

(١) في أحمد٣ والإماراتية٢ والحمزوية: «ما ذكر الناس»، وفي الإماراتية١: «ما ذكره الناس».

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٩٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٥٩١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٢) دون نسبة لمعين.

(٤) انظر قول ابن عباس رضي الله عنهما المتقدم، وليس فيه لفظ «مستقيماً».

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥٩١).

(٦) في المطبوع: «بتصديقها».

(٧) انظر: التحصيل للمهدوي (٤/ ١٥٩).

وقرأ الجمهور: ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ بضم الدال وسكون النون وضم الهاء، وقرأ عاصم من رواية أبي بكر: ﴿مِّن لَدْنِهِ﴾ بسكون الدال وإشْمام الضم فيها وكسر النون والهاء[١].

وفي (لدن) لغات، يقال: لَدُن مثل سَبُع، ولَدْن بسكون الدال، ولُدْن بضم اللام، ولَدَن بفتح اللام والدال، وهي لفظة مبنية على السكون، ويلحقها حذف النون مع الإضافة.

وقرأ عبد الله، وطلحة: (وَيَبْشُرَ) بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين[٢].

وقوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا﴾ تقديره: بأن لهم أجراً، و«الأجر الحسن»: نعيم الجنة، ويتقدمُه خير الدنيا.

و﴿مَّٰكِثِينَ﴾: حالٌ من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾، و﴿أَبَدًا﴾ ظرف؛ لأنه دالٌّ على زمن غير متناهٍ.

قال القاضي أبو محمد: وقد أشرنا في تفسير هذه الآية إلى أمر اليهود قريشاً بسؤال النبي ﷺ عن المسائل الثلاث، وينبغي أن نَنُصَّ كيف كان ذلك.

ذكر ابن إسحاق عن ابن عباس بسند أنه قال: بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهما: سلاهم عن محمد، وصِفَا لهم صفته، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة، فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ، فقالت لهما أحبار اليهود: سَلُوهُ عن ثلاث، [نأمركم بهنَّ][٣]، فإن أخبركم بهنَّ فهو نبيٌّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوِّل فَرَوْا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، وما كان من أمرهم؟ فإنهم كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طوَّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٤٢)، والسبعة (ص: ٣٨٨).

(٢) أبعد النجعة، فالتخفيف هنا قراءة سبعية لحمزة والكسائي على قاعدتهما انظر: السبعة (ص: ٢٠٦)، والتيسير (ص: ٨٧).

(٣) ليس في المطبوع.

نبؤه؟ وسلوه عن الرُّوح، فأقبل النَّضْرُ وعُقْبة إلى مكة، وسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، وكان من الأمر ما ذكرناه[١].

وقوله: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ﴾ الآية، أهل هذه المقالة هم بعض اليهود في عُزَير، والنصارى في المسيح، وبعض العرب في الملائكة.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يحتمل أن يعود على القول الذي يتضمنه ﴿قَالُواْ﴾ المتقدم، وتكون جملة قوله: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ في موضع الحال؛ أي: قالوا جاهلين.

ويحتمل أن يعود على الولد؛ [أي: لا علم لهم بهذا الولد][٢] الذي ادَّعَوْه، فتكون الجملة صفةً للولد[٣]، قاله المهدوي[٤].

وهو معترض؛ لأنه لا يصفه إلَّا القائل، وهم ليس في قصدهم أن يصفوه، والصواب عندي أنه نفي مُؤْتَنف، أخبر الله تعالى بجهلهم في ذلك، فلا موضع للجملة من الإعراب.

ويحتمل أن يعود على الله عز وجل، وهذا التأويل أذَمُّ لهم، وأقضى بالجهل التَّامِّ عليهم، وهو قول الطبري[٥].

وقوله: ﴿وَلَا لِأَبَآئِهِمْ﴾ يريد الذين أخذ هؤلاء هذه المقالةَ عنهم.

وقرأ الجمهور: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ بنصب الكَلِمَة، كما تقول: نعم رجلاً زيد، وفسَّر الكلمة وصْفُها بالخروج من أفواههم.

وقال بعضهم: نصبها على التفسير، على حدِّ نصب قوله تعالى: ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

---

(١) تقدم تخريجه في أول السورة.

(٢) ليس في الأصل، وفي نور العثمانية: «بهذا الوجه».

(٣) في المطبوع: لقوله: ﴿أَبَدًا﴾.

(٤) انظر: التحصيل للمهدوي (٤/ ١٧٧).

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٥٩٥).

وقالت فرقة: نصبها على الحال، التقدير: كبرت فِرْيَتُهم ـ أو نحو هذا ـ كلمةً، وسُمِّيت هذه الكلمات كلمةً من حيث هي مقالة واحدة، كما يقولون للقصيدة: كلمة.

وهذه المقالة قائمة هي في التفسير[١] معنىً واحداً، فيَحْسُن أن تُسَمَّى كلمة.

[٣/ ١٩٤] وقرأ الحسن، ويحيى بن يَعْمر، وابن محيصن[٢]، / والقواس عن ابن كثير: (كَلِمَةٌ) بالرفع[٣] على أنها فاعلةٌ بـ﴿ كَبُرَتْ ﴾.

وقوله: ﴿إِلَّا كَذِبًا ﴾؛ أي: ما يقولون إلَّا كذباً، فهي النافية.

قوله عز وجل: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾.

هذه آية تسلية للنبي ﷺ، وقوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ ﴾ تقرير وتوقيف بمعنى الإنكار عليه، أي: لا تكن كذلك.

و«الباخِعُ نفْسَهُ»: هو مُهْلِكُها وَجْداً وحزناً على أمرٍ ما، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] أَلا أَيّهـذَا الباخِـعُ الوَجْـدُ نفْسَـهُ لِشَـيْءٍ نحَتْهُ عَنْ يدَيْهِ الْمَقادِرُ[٤]

يريد: نَحَّتْه فخفف.

وقوله: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾ استعارة فصيحة، من حيث لهم إدبارٌ وتباعد عن الإيمان، وإعراضٌ عن الشرع، فكأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا، فهو في آثارهم يحزن عليهم.

---

(١) في الإمارتية١ ونور العثمانية وأحمد٣: «في النفس»، بدل: «في التفسير».

(٢) في المطبوع: «محيض».

(٣) وهي شاذة، نقلها عن الأولين في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٤)، والمحتسب (٢/ ٢٤)، ولهما ولابن محيصن الكرماني في الشواذ (ص: ٢٨٤)، وانظر رواية القواس في البحر المحيط (٧/ ١٣٨)، وفي المطبوع بدله: «محيض».

(٤) البيت لذي الرمة كما في مجاز القرآن (١/ ٣٩٣)، وتفسير الطبري (١٧/ ٥٩٧)، والسيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٤١).

وقوله: ﴿بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾؛ أي: بالقرآن الذي نحدثك به، و﴿أَسَفًا﴾ نصب على المصدر، قال الزجاج: والأَسَفُ: المبالغة في حُزْن أو غضب[١].

و«الأسف» في هذا الموضع الحزن؛ لأنه على من لا يملك ولا هو تحت يد الآسِفِ، ولو كان الأَسَفُ من مُقْتدرٍ على من هو في قبضته ومُلْكه لكان غضباً، كقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥]؛ أي: أغضبونا، وإذا تأملت هذا في كلام العرب اطَّرَد، وذكره منذر بن سعيد[٢].

وقال قتادة هنا: أَسَفاً: غضباً، قال مجاهد: أَسَفاً: جَزَعاً، وقال قتادة أيضاً: حُزْناً[٣].

ومن هذه اللفظة قول الأعشى:

أَرَى رَجلاً مِنْكُمْ أَسِيفاً كَأَنَّمَا ... يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفّاً مُخَضَّبا[٤] [الطويل]

يريد: حزيناً كأنه مقطوع اليد.

وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً﴾ الآية بَسْطٌ في التَّسلية؛ أي: لا تهتمَّ للدنيا وأهلها، فأمرها وأمرهم أقلُّ لفنائه وذهابه، فإنا إنما جعلناها على الأرض زينة، أو امتحاناً وخبرة[٥].

واختُلف في المراد بها: فقال ابن جبير عن ابن عباس: أراد الرجال، وقاله مجاهد[٦].

وروى عكرمة عن ابن عباس أن الزينة الخلفاءُ، والعلماءُ، والأمراءُ[٧].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٦٩).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٧/ ٥٩٨).

(٤) انظر عزوه له في معاني القرآن للفراء (١/ ١١٤)، والزاهر فى معاني كلمات الناس (١/ ١٨٨)، وجمهرة اللغة (١/ ٢٩١)، والكامل للمبرد (١/ ٢٤)، والأسيف: الحزين، والكَشْحان: مُثَنّى كَشْح، وهو ما بين الخاصرة والضلوع، والمُخَضَّب: المصبوغ بالدم.

(٥) ليست في أحمد٣، وفي الأصل: «حيرة».

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٤٨٥) لابن المنذر، وابن مردويه.

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٤٨٥) لأبي منصور السجزي في «الإبانة» بلفظ: العلماء زينة الأرض.

وقالت فرقة: أراد النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه ونحو هذا مما فيه زينة، ولم يدخل في هذا الجبال الصم وكل ما لا زيْن فيه كالحيَّات والعقارب.

وقالت فرقة: أراد كل ما على الأرض، وليس شيءٌ إلا وفيه زينة من جهة خلقه وصنعته وإحكامه، وفي معنى هذه الآية قول النبي ﷺ: «الدنيا حلوةٌ خَضِرة، وإن الله مستخلِفُكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتَّقوا الدنيا، واتَّقوا النساء»[١].

و﴿زِينَةً﴾: مفعول ثان، أو مفعول من أجلهِ بحسب معنى جعلَ.

وقوله: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ معناه: لنختبرهم، وفي هذا وعيدٌ مَّا.

قال سفيان الثوري: أحسنهم عملاً أزهدُهم في الدنيا[٢].

وقال أبو عاصم[٣] العسقلاني: أَحْسَنُ عَمَلًا: أَتْرَكُ لها[٤].

قال القاضي أبو محمد: وكان أبي رضي الله عنه يقول: أَحْسَنُ العمل: أَخْذٌ بحق، وإنفاق في حق مع الإيمان، وأداءُ الفرائض، واجتنابُ المحارم، والإكثارُ من المندوب إليه.

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾؛ أي: يرجع كلُّ ذلك تراباً غير مُتَزَيِّن بنباتٍ ونحوه، و«الْجُرُزُ»: الأرض التي لا شيء فيها من عمارة وزينة، فهي البلقع، وهذه حالة الأرض [الغامرة الخالية بالدين][٥]، ولا بُدَّ لها من هذا في الدنيا جزءاً جزءاً من الأرض، ثم يعمُّهَا ذلك بأجمعها عند القيامة، يقال: جُرِزَت الأرضُ بقَحْط أو جَرادٍ ونحوه: إذا ذهب نباتُها وبقيت لا شيءَ فيها ولا نفعَ، وأرضُونَ أَجْرازٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) من نجيبويه وفي النسخ الأخرى: «أزهدهم فيها».

(٣) في المطبوع: «عصام»، وهو رواد [أو وارد] بن الجراح أبو عاصم [أو عصام]، العسقلاني عن الأوزاعي وخليد بن دعلج، وعنه ابن معين ووثقه، وعباس الترقفي، له مناكير، الكاشف (١/ ٣٩٨)، وانظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٣٣٦)، وتاريخ دمشق (١٨/ ٢١٠).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٥٩٩).

(٥) في المطبوع والإماراتية١: «العامرة بالزَّيْن»، وفي أحمد٣ ونجيبويه ونور العثمانية: «العامرة الحالية بالزين»، وفي الحمزوية: «الخالية بالزين».

وقال الزجاج: الجُرُزُ: الأرض التي لا تُنْبِتُ[١]، وإنما ينبغي أن يقول: التي لم تُنْبت.

و«الصَّعيدُ»: وجه الأرض، وقيل: الصَّعيد: التراب خاصة، وقيل: الصعيد: الأرض الطيبة، وقيل: الصعيد: الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة.

وقوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ﴾ الآية، مذهب سيبويه في (أَمْ) إذا جاءت دون[٢] أن يتقدمها ألف استفهام أنَّها بمعنى (بَلْ) وأَلِف الاستفهام، كأنه قال: بل أَحَسِبْتَ؟ إضراباً عن الحديث الأول واستفهاماً عن الثاني، وقال بعض النحويين: هي بمنزلة ألف الاستفهام.

وأما معنى الكلام فقال الطبريُّ: هو تقرير للنبي ﷺ على حسابه أن أصحاب الكهف كانوا[٣] عجباً، بمعنى إنكار ذلك عليه؛ أي: لا تُعَظِّم ذلك بحسب ما عظَّمه عليك السائلون من الكفرة، فإن سائر آيات الله أعظم من قصتهم وأشنع، وهو قول ابن عباس[٤]، ومجاهد، وقتادة، وابن إسحاق[٥].

وذكر الزهراوي: أن الآية تحتمل معنىً آخر، وهو أن تكون استفهاماً له، هل عَلِمَ أن أصحاب الكهف كانوا[٦] عجباً؟ بمعنى إثبات أنهم عجبٌ، وتكون فائدة تقريره جمع نفسه للأمر[٧]؛ لأن جوابه أن يقول: لم أحسب ذلك، ولا علمته، فيقال له وَصْفُهُم عند ذلك، والتَّجوز في هذا التأويل هو في لفظة ﴿حَسِبۡتَ﴾، فتأمَّله.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٦٩).

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «قبل».

(٣) في الأصل والمطبوع: «أتوا».

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٦٠١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ يقول: الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم.

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٦٠١).

(٦) ليست في الأصل والحمزوية ونور العثمانية والإماراتية٢، وكذا أحمد٣ إلا أن فيه: «عجبٌ» بالرفع، وهي في الإماراتية١ ملحقة بالهامش.

(٧) في أحمد٣: زيادة: «المذكور»، والزهراوي لم أقف عليه.

و﴿ٱلۡكَهۡفِ﴾: النَّقْب[1] الـمُتَّسع في الجبل، وما لم يتسع منها فهو غارٌ، وحكى النحاسُ عن أنس بن مالك أنه قال: الكهْفُ: الجبلُ[2]، وهذا غير شهير في اللغة.

واختلف الناس في (الرَّقيم):

فقال كعب: الرَّقيم: القرية التي كانت بإزاء الكهف.

وقال ابن عباس[3]، وقتادة: الرَّقيم: الوادي الذي كان بإزائه، وهو واد كان بين عصبان[4] وأيلة، دون فلسطين.

وقال ابن عباس أيضاً: هو الجبل الذي فيه الكهف[5].

وقال السدي: الرَّقيم: الصخرة التي كانت على الكهف[6].

وقال ابن عباس: الرَّقيم: كتابٌ مرقوم كان عندهم، فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى[7]، وقيل: من دين قبل عيسى.

وقال ابن زيد: كتاب عمَّى الله علينا أمره، ولم يشرح لنا قصَّته[8].

[٣/ ١٩٥] وقالت فرقة:/ الرَّقيم: كتاب في لوح نحاس، وقال ابن عباس: في لوحي رصاص كَتَب فيهما القومُ الكفارُ الذين فرَّ الفتية منهم قصَّتَهم، وجعلوها تاريخاً لهم، ذكروا وقت فقدهم، وكم كانوا، وبني من كانوا[9]، وقال سعيد بن جبير: الرَّقيم: لوح

---

(١) في المطبوع ونجيبويه والإماراتية١: «الثُّقب».

(٢) في أحمد٣ ونور العثمانية: «النقاش»، انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٧)، ولم أقف عليه مسنداً.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٦٠٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في المطبوع: «غضبان».

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٦٠٣) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو منقطع.

(٦) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٧).

(٧) أخرجه الطبري (١٥/ ٦٠٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً.

(٨) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٧/ ٦٠٢)، وما بعدها.

(٩) إسناده لا بأس به، أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في تغليق التعليق =

من حجارة كتبوا فيه قصة أصحاب الكهف، ووضعوه على باب الكهف[١].

ويظهر من هذه الروايات أنهم كانوا قوماً مؤرخين للحوادث، وذلك من قبل المملكة[٢]، وهذا أمر مفيد.

وهذه الأقوال مأخوذة من الرَّقْم، ومنه: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩]، ومنه: الأَرْقَمُ لِتَخْطيطه[٣]، ومنه: رَقْمَةُ الْوَادي؛ أي: مكان جَرْيِ الماء وانعطافه، يقال: عليك بالرَّقْمة، وخَلِّ الضِّفة.

وقال النقاش عن قتادة: الرَّقيم: دراهِمُهُم[٤].

وقال أنس بن مالك[٥]، والشعبي: الرَّقيم: الكلب[٦].

وقال عكرمة: الرَّقيم: الدَّواة[٧].

وقالت فرقة: الرَّقيم كان لِفِتْيَـة آخرين في السَّراة[٨] جرى لهم ما جرى لأصحاب الكهف[٩].

= (٤/ ٢٤٤-٢٤٥)، من طريق يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ مطول.

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٦٠٣).

(٢) في نجيبويه والإماراتية١ وأحمد٣: «من نُبْل المملكة»، (أي مما يتصف به أهلها من النُّبْل)، فهم يدوِّنون التاريخ لمن بعدهم، وفي الإماراتية٢: «من قبل المفلقة»، وفي نور العثمانية: «من قبل الهلكة».

(٣) الأرقم: نوع من الحيَّات فيه سوادٌ وبياضٌ.

(٤) مثله في «غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٦٥٠)، وتفسير السمرقندي (٢/ ٣٣٥)، عن قتادة.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٤٨٩) لابن أبي حاتم.

(٦) تفسير الماوردي (٣/ ٢٨٧) عزاه لابن جبير، ولم يعزه للشعبي.

(٧) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٧).

(٨) ليس في المطبوع.

(٩) تفسير الماوردي (٣/ ٢٨٧) عزاه لسعيد بن جبير.

وروي عن ابن عباس أنه قال: ما أدري ما الرَّقيم، أَكِتَابٌ أَمْ بُنْيَانٌ؟[١].

وروي أنه قال: كلُّ القرآن أعلمه إلَّا: الحَنَان، والأوَّاه، والرَّقيم[٢].

قوله عز وجل: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾.

﴿ٱلْفِتْيَةُ﴾ فيما رُوي: قومٌ من أبناء أشراف مدينة دَقْيوس الملك الكافر، ويقال فيه: دَقْليوس، ويقال: دقينوس، ورُوي: أنهم كانوا مُطَوَّقين مُسوَّرين بالذهب، وهم من الرُّوم، واتبعوا دين عيسى، وقيل: كانوا قبل عيسى، وأما أسماؤهم فهي أعجميَّة والسَّند في معرفتها واهٍ، ولكن التي ذكر الطبريُّ هي هذه: مَكْسَيْلَمينيا، وهو أكبرهم والمتكلم عنهم، ومَجْسَيْلَمينيَا، وتَمْلِيخا، وهو الذي مضى بالورِق إلى المدينة عند بعثهم من رقدتهم، ومَرْطوس، وكَشُوطُوقش، وبَيْرُونس[٣]، ودِينَمُوس، ويُطُونِس[٤].

واختلف الرواة في قصص هؤلاءِ الفتية، وكيف كان اجتماعهم وخروجهم إلى الكهف، وأكْثَرَ المؤرخون في ذلك، ولكن نختصر من حديثهم، ونذكر ما لا تستغني الآية عنه، ونذكر من الخلاف عيونه بحول الله:

روى مجاهد عن ابن عباس: أن هؤلاء الفتية كانوا في دين ملِك يعبد الأصنام، ويذبح لها، ويكفر بالله، وقد تابعه على ذلك أهل المدينة، فوقع لِلْفِتية علم من بعض الحواريِّين[٥]

---

(١) جيد، أخرجه الطبري (١٧/ ٦٠٤) من طريق ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس به.

(٢) في إسناده لين، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٩٧) ومن طريقه الطبري (١٧/ ٦٠٤) عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) في نجيبويه: «طبرونس»، وهذه الأسماء كلها أعجمية، يصعب التأكد من رسمها في المخطوطات.

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٦٠٧).

(٥) في الأصل: «النحويين»، ولعله سبق قلم.

حسبما ذكره النقاش، أو من بعض[١] مؤمني الأمم قبلهم بحسب الخلاف الذي ذكرناه، فآمنوا بالله، ورأوْا ببصائرهم قبيح فعل الناس، فأخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله، فَرُفع أمرهم إلى الملك، وقيل له: إنهم قد فارقوا دينك، واستخَفُّوا بآلهتك وكفروا بها، واستحضرهم الملك في مجلسه، وأمرهم باتباع دينه والذبح لآلهته، وتوعَّدهم على فراق ذلك بالقتل، فقالوا له فيما روي: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ [الكهف: ١٤-١٦][٢].

ورُوي: أنهم قالوا نحو هذا الكلام، وليس به، فقال لهم الملك: إنكم شبان[٣] أغمارٌ، لا عقول لكم، وأنا لا أعجل بكم بلْ أسْتأْني، فاذهبوا إلى منازلكم ودبِّرُوا رأيكم[٤] وارجعوا إلى أمري، وضرب لهم في ذلك أجلًا، ثم إنه سافر خلال الأجل، فتشاور الفتية في الهروب بأديانهم، فقال لهم أحدهم: إني أعرف كهفاً في جبل كذا كان أبي يدخل فيه غنمه، فلنذهب إليه فنختفي فيه حتى يفتح الله لنا، فخرجوا فيما رُوي يلعبون بالصولجان والكُرَة، وهم يدحرجونها إلى نحو طريقهم لئلا يشعر الناس بهم، وقيل: إنهم كانوا مُثَقَّفين فحضر عيد أخرجوا له فركبوا في جملة الناس، ثم أخذوا في اللعب بالصولجان حتى خلصوا بذلك.

وروت فرقة: أن أمر أصحاب الكهف إنما كان أنهم كانوا من أبناء الأشراف، فحضر عيدٌ لأهل المدينة، فرأى الفتيانُ ما يمتثله الناس في ذلك العيد من الكفر وعبادة الأصنام والذبح لها، فوقع الإيمان في قلوبهم، وأجمعوا على مفارقة الناس؛ لئلَّا ينالهم العذاب معهم، فزايلوا الناس وذهبوا إلى الكهف.

---

(١) «بعض»: من المطبوع.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٧/ ٦٠٧-٦٠٩) عن محمد بن حميد الرازي، عن سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، به، بلفظ مطول، ومحمد بن حميد الرازي ضعيف، وسلمة بن الفضل الرازي صدوق كثير الخطأ، ومحمد بن إسحاق مدلس، وقد عنعن.

(٣) في المطبوع: «شباب».

(٤) في المطبوع: «أمركم».

وروى وهبُ بن منبه: أن أمرهم إنما كان أن حواريّاً لعيسى ابن مريم جاء إلى مدينة أصحاب الكهف يريد دخولها، فأجر نفسه من صاحب الحمَّام، فكان يعمل فيه، فرأى صاحب الحمَّام في أعماله بركة عظيمة، فألقى إليه بكل أمره، وعرف ذلك الرجلَ فتيانٌ من أهل المدينة، فنشر فيهم الإيمان، وعرَّفهم الله تعالى، فآمنوا واتبعوه على دينه، واشتهرت خُلْطتهم به، فأتى يوماً إلى ذلك الحمَّام وَلَدُ الملك بامرأة بَغِيٍّ أراد الخلوة بها، فنهاه ذلك الحواري فانتهى، ثم جاءه مرَّة أخرى فنهاه فشتمه، وأمضى عزمه في دخول الحمَّام مع البغي، فدخل فماتا به جميعاً، فاتُّهم ذلك الحواري وأصحابه بقتله، ففروا جميعاً حتى دخلوا الكهف[١].

وقال عبيد بن عمير: إن أصحاب الكهف كانوا فتية من أبناء العظماء مطوَّقين مسوَّرين ذوي ذوائب، قد داخلهم الإيمان أفذاذاً، وأزمع كل واحد منهم الفرار بدينه من بلد الكفر، فأخرجهم الله في يوم واحد لما أراد بهم، فخرج أحدهم فجلس في ظِلِّ شجرة على بعد من المدينة، فخرج ثانٍ، فلما رأى الجالس جلس إليه، ثم الثالث، ثم الباقون حتى كمل جمعهم في ظلِّ الشجرة، فألْقى الله في نفوسهم أن غرضهم واحد، فتساءلوا، ففزع بعضهم من بعض وتكتموا، ثم تراضوا برجليْن منهم، وقالوا: انْفَرِدَا وتَوَاثقَا ولْيُفْشِ كلُّ واحد منكما سرَّه إلى صاحبه، فإن اتَّفَقْتُما كنَّا معكما، فنهضا بعيداً وتكلما[٢] فأفصحا بالإيمان والهروب بالدين، فرجعا وفضحا الأمر، / وتابعهما الآخرون، ونهضوا إلى الكهف[٣]. [٣/ ١٩٦]

وأما الكَلْبُ فرُوي: أنه كان كلب صيد لبعضهم، ورُوي: أنهم وجدوا في طريقهم راعياً له كلبٌ، فاتَّبعهم الراعي على رأيهم، وذهب الكلب معهم، واسم الكلب حمران، وقيل: قطمير، فدخلوا الغار على جميع هذه الأقوال.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٦١٢).

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٦٠٩).

فروت فرقة: أن الله ضرب على آذانهم عند ذلك لِـمَا أراد من سترهم، وخفي على أهل[1] المملكة مكانهم، وعجب الناسُ من غرابة فقدهم، فأرَّخوا ذلك ورقموه في لوحين من رصاص أو نحاس، وجعلوه على باب المدينة، فيه أسماؤُهم وأسماءُ آبائهم وذكر شرفهم، وأنهم فقدوا بصورة كذا في وقت كذا، وقيل: إن الذي كتب هذا وتهَمَّمَ به رجلان قاضيان مؤمنان يكتمان إيمانهما من أهل بيت المملكة، وتسَتَّرا بذلك ودفنا اللوحين عندهما، وقيل على هذه الرواية: بأن الملك أتى باب الغار، وأنهما دفنا ذلك في بناء الملك على الغار.

وروت فرقة: أن الملك لما ذهب الفتية أمر بقَصِّ آثارهم، فانتهى ذلك لـمُتَّبِعِيهِم إلى باب الغار، فعرف الملك فركب في جنده حتى وقف عليه، فأمر بالدخول عليهم، فهاب الرجال ذلك، فقال له بعض وزرائه: أَلَسْتَ أيها الملك إنْ أخرجتهم قتلتهم؟ قال: نعم، قال: فأي قتلة أبلغ من الجوع والعطش، ابنِ عليهم باب الغار ودعهم يموتون فيه، فَفَعَل، وقد ضرب الله على آذانهم قبل ذلك لما أراد من تأمينهم، وأرَّخ الناسُ أمرهم في اللوحين، أو أرخه الرجلان بحسب الخلاف، واسم أحد الرجلين فيما ذكر الطبري بندروس، واسم الآخر روناس[2].

ورُوي: أن هذا الملك الذي فرَّ الفتية من دينه كان قد امتحن الله به المؤمنين، حيث أحسَّ بهم يقتلهم يُعَلِّقهم أشخاصاً ورؤوساً على أسوار مدينته، وكان يريد أن يذهب [فيما ذكر][3] دين عيسى، وكان هو وقومه من الرُّوم.

ثم أخبر الله تعالى عن الفتية أنهم لما أَوَوْا إلى الكهف؛ أي: دخلوه وجعلوه مأوىً لهم، وموضعَ اعتصام، دعوا الله تعالى بأن يُؤْتيهم من عنده رحمةً، وهي الرِّزْق

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٦٠٩)، والأول في المطبوع: «يندروس»، وفي أحمد٣: «نيدروس».

(٣) في المطبوع بدله: «في ذلك كما ذكر».

فيما ذكره المفسرون، وأن يُهَيِّئَ لهم من أمرهم رشداً؛ أي: خلاصاً جميلاً[(١)].

وقرأ الجمهور: ﴿رَشَدًا﴾ بفتح الراء والشين، وقرأ أبو رجاءٍ: (رُشْداً) بضم الراء وسكون الشين[(٢)]، والأولى أرجح؛ لشبهها بفواصل الآيات قبلُ وبعدُ.

وهذا الدعاءُ منهم كان في أمر دنياهم، وألفاظه تقتضي ذلك، وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة ورحمتها.

وينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فقط، فإنها كافية، ويحتمل ذكر الرحمة أن يُراد بها أمْرُ الآخرة، وقد اختصرتُ هذا القَصَصَ، ولم أُغْفِل من مُهِمِّه شيئاً بحسب اجتهادي، والله المعين برحمته.

وقوله: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ الآية، عبارة عن إلقاء الله تعالى النوم عليهم، ويُعَبَّر عن هذا ونحوه بالضرب لتبين[(٣)] قوةُ المباشرة وشدةُ اللصوق في الأمر المتكلَّم فيه، والإلزام، ومنه ضَرْبُ الذلة والمسكنة، ومنه ضَرْبُ الجزية، وضربُ البعث، ومنه قول الفرزدق:

[الكامل] ضَرَبَتْ عَلَيْكَ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا ... وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الكِتَابُ المُنْزَلُ[(٤)]

فهذا يستعمل في اللزوم البليغ، وأما تخصيص الآذان بالذكر فلأنها الجارحة التي منها عُظْم فساد النوم، وقلَّما ينقطع نوم نائم إلَّا من جهة أُذنه، ولا يستحكم النوم إلَّا مع تعطُّل السَّمع، ومن ذِكر الأُذن في النوم قوله ﷺ: «ذلك رجلٌ بال الشيطان في أُذنه»[(٥)]، أشار ﷺ إلى رجل طويل النوم، لا يقوم باللَّيْل.

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣٨٠).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له ولأبي بشر في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٤).

(٣) في المطبوع: «لِتَتَبَيَّنَ».

(٤) انظر عزوه له في معاني القرآن للنحاس (١/ ١٦١)، والموشح للمرزباني: (ص: ٣٣)، والكامل للمبرد (١/ ٢٧).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٤٤)، ومسلم (٧٧٤) عن عبد الله بن مسعود قال: ذكر عند رسول الله ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح، قال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، أو قال: في أذنه».

وقوله: ﴿عَدَدًا﴾ نعتٌ لِلسِّنين، والقصد به العبارة عن التكثير؛ أي: تحتاج إلى عدد، وهي ذاتُ عدد، قال الزجاج: ويجوز أن يكون نصب ﴿عَدَدًا﴾ على المصدر[١].

و«البَعْثُ»: التحريك بعد سكون، وهذا مطردٌ مع لفظة البعث حيث وقعت، وقد يكون السكون في الشخص، أو عن الأمر المبعوث فيه وإن كان الشخص متحركاً.

وقوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ عبارة عن خروج ذلك الشيء إلى الوجود، وهذا على نحو كلام العرب؛ أي: لنعلم ذلك موجوداً، وإلَّا فقد كان الله تعالى عَلِمَ أيُّ الحزبَيْن أحصى الأمَد؟

وقرأ الزهري: (لِيَعْلَمَ) بالياء[٢].

و«الْحِزْبانِ»: الفريقان، والظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفتية؛ إذ ظنوا لبثهم قليلاً، والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بُعث الفتية على عهدهم حتى[٣] كان عندهم التاريخ بأمر الفتية، وهذا قول الجمهور من المفسرين.

وقالت فرقة: هما حزبان من الكافرين اختلفا في مدة أصحاب الكهف.

وقالت فرقة: هما حزبان من المؤمنين[٤]، وهذا لا يرتبط من ألفاظ الآية.

وأمَّا قوله: ﴿أَحْصَىٰ﴾ فالظاهر الجيد فيه أنه فعل ماض، و﴿أَمَدًا﴾ منصوب به على المفعول، و«الأَمَدُ»: الغاية، ويأتي عبارة عن المدة من حيث للمدة غاية هي أمدها على الحقيقة.

وقال الزجاج: ﴿أَحْصَىٰ﴾ هو أَفعَلُ[٥]، و﴿أَمَدًا﴾ على هذا نصب على التفسير،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧١).

(٢) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٧/ ١٤٥)، وفي مختصر الشواذ (ص: ٨١) عن الأخفش أنها في مصحف عثمان بالياء.

(٣) في الإمارتية١ ونور العثمانية وأحمد٣ والحمزوية: «حين».

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٦١٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧١).

ويلحق هذا القولَ من الاختلال أن (أَفْعَلَ) لا يكون من فعل رباعي إلَّا في الشَّاذ، و﴿أَحْصَىٰ﴾ فعل رباعي، ويحتج لقول أبي إسحاق بأن (أَفْعَل) من الرباعي قد كثر[١]، كقولك: ما أعطاه للمال، وآتاه للْخير، وقال النبي ﷺ في صفة جهنم: «هي أسودُ من القارِ»[٢]، وقال في صفة حوضه ﷺ: «ماؤه[٣] أبيضُ من اللَّبنِ»[٤]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فهو لما سواها أضْيَعُ[٥]، وهذه كلها (أَفْعَل) من الرباعي.

وقال مجاهد: ﴿أَمَدًا﴾ معناه: غايةً، وهذا تفسير بالمعنى، وعلى جهة التقريب.

وقال الطبري: نصب ﴿أَمَدًا﴾ بـ﴿لَبِثُوٓاْ﴾[٦]، وهذا غير مُتَّجه.

قوله عز وجل: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ / وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾. [٣/ ١٩٧]

---

(١) في المطبوع: «مذكر»، ولا وجه له.

(٢) صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (١٨٠٥) عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ليست في المطبوع والإماراتية١.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٥٧٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ومسلم (٢٣٠٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٥) منقطع، أخرجه مالك في الموطأ (٦) راوية يحيى الليثي، ومن طريقه أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٣٨)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ١٩٣)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٤٤٥) عن نافع مولى عبد الله بن عمر قال: إن عمر بن الخطاب قال: فذكره. ونافع لم يسمع من عمر بن الخطاب. وانظر: جامع التحصيل (٨٢٣).

(٦) انظره مع قول مجاهد في تفسير الطبري (١٧/ ٦١٤).

لما اقتضى قوله: ﴿لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ﴾ اختلافاً وقع في أمر الفتية عقَّب بالخَبر عن أنه عزَّ وجلَّ يعلم من أمرهم بالحق الذي وقع.

وفي مجموع هذه الآيات جواب قريش عن سؤالهم الذي أمَرَتْهم به بنو إسرائيل.

و«القَصُّ»: الإخبارُ بأمر يُسرد، لا بكلام يُرْوَى شيئاً شيئاً؛ لأن تلك المخاطبة ليست بقصص.

وقوله: ﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾، أي: يَسَّرْناهم للعمل الصالح، والانقطاع إلى الله عزَّ وجلَّ، ومباعدة الناس، والزهد في الدنيا، وهذه زيادات على الإيمان.

وقوله: ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ عبارة عن شدَّة عزم وقوة صبر أعطاها الله لهم، ولما كان الفزع وخوَرَ النفس يشبه بالتناسب الانحلال، حَسُن في شِدَّة النفس وقُوَّة التَّصميم أن يشبه الرَّبْط، ومنه يقال: فلانٌ رابط الجأش: إذا كان لا تفترق نفسه عند الفزع[1] والحرب وغيرها، ومنه الرَّبط على قلب أُمِّ موسى.

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَامُواْ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون هذا وصفَ مقامهم بين يدي الملك الكافر، فإنه مقام يحتاج إلى الرَّبط على القلب، حيث طُلِبوا[2] عليه، وخالفوا دينه، ورفضوا في ذات الله هيبته.

والمعنى الثاني: أن يُعَبَّر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب إلى الله ومنابذة الناس، كما تقول: قام فلان إلى أمر كذا: إذا اعتزم عليه بغاية الجد، وبهذه الألفاظ التي هي: ﴿قَامُواْ فَقَالُواْ﴾ تعلَّقت الصوفية في القيام والقول[3].

وقرأ الأعمش: (إذْ قَامُوا قِيَاماً فقالوا)[4].

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «الجزع».

(٢) في أحمد٣ والحمزوية ونور العثمانية والإماراتية١: «صلبوا».

(٣) انظر نسبة هذا التعلق للصوفية في: تفسير الجواهر الحسان للثعالبي (٢/ ٣٧١).

(٤) شاذة لمخالفة الرسم، ولم أجدها لغير المؤلف.

وقولهم: ﴿لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾؛ أي: لو دعونا من دون ربنا إلهاً، و«الشَّطَطُ»: الجَوْرُ، وتعدِّي الحدِّ، والغُلُوُّ بحسب أمْرٍ أمْرٍ، ومنه: اشْتَطَّ الرجل في السَّوْم: إذا طلب في سلعته فوق قيمتها، ومنه: شطوط النَّوى والبعد، ومن اللفظة قول الشاعر:

[الطويل] أَلا يا لَقَوْمِي قَدْ أَشَطَّتْ عَواذلي وَيَزْعُمْنَ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّيَ بَاطِلِي[1]

وقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا﴾ مقالة يصلح أن تكون مما قالوه في مقامهم بين يدي الملك، ويصح أن تكون من قول بعضهم لبعض عند قيامهم للأمر الذي عزموا عليه.

وقولهم: ﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ﴾ تَحْضِيضٌ بمعنى التعجيز؛ لأنه تَحْضِيضٌ على ما لا يمكن، وإذا لم يمكنهم ذلك لم يجب أن تُلفت دعواهم.

و«السُّلْطَان»: الحُجَّة، وقال قتادة: المعنى: بِعُذْرٍ بيِّن[2]، وهذه عبارة محلقة.

ثم عظَّموا جُرْم الداعين مع الله آلهةً وظُلْمَهم بقوله على جهة التقرير: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾.

وقولهم: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ الآية، إنْ كان القيامُ في قوله: ﴿إِذۡ قَامُواْ﴾ عَزْماً ـ كما تضمن التأويل الواحد، وكان القول منهم فيما بينهم ـ فهذه المقالةُ يصح أن تكون من قولهم الذي قالوه عند قيامهم، وإن كان القيام المذكور مقامَهم بين يدي الملك فهذه المقالة لا يترتب أن تكون من مقالهم بين يدي الملك، بل يكون في الكلام حذف تقديره: وقال بعضهم لبعض.

وبهذا يترجَّح أن قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ﴾ إنما المراد به: إذْ عزموا ونفذوا لأمرهم.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ إن فرضنا الكفار الذين فَرَّ أهل الكهف منهم لا يعرفون الله، ولا

---

(١) البيت للأحوص كما في تفسير الطبري (٢١/ ١٧٦)، ومجاز القرآن (٢/ ١٨٠)، والكامل (١/ ٧٠)، في المطبوع: «عوازلي».

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٦١٧).

عِلْمَ لهم به، إنَّما يعتقدون الأُلوهية في أصنامهم فقط، فهو استثناءٌ منقطع ليس من الأول، وإن فرضناهم يعرفون الله ويعظمونه كما كانت تفعل العرب، لكنهم يشركون أصنامهم معه في العبادة، فالاستثناءُ متصل؛ لأن الاعتزال وقع في كل ما يعبد الكفَّار إلَّا في جهة الله تعالى.

وفي مصحف ابن مسعود: (وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)، قال قتادة: هذا تفسيرها.

قال هارون: وفي بعض مصاحفه: (وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِنَا)(١).

فعلى ما قال قتادة تكون ﴿إِلَّا﴾ بمنزلة غَيْر، و(ما) من قوله: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ في موضع نصب عطفاً على الضمير في ﴿ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾.

وَمُضَمَّن هذه الآية أن بعضهم قال لبعض: إذْ فارَقْنَا الكفار وانفردنا بالله تعالى فَلْنَجْعَل الكهف مَأْوى، ونتَّكل على الله تعالى، فإنه سيبسط لنا رحمته، وينشرها علينا، ويُهَيِّئْ لنا من أمرنا مرفقاً، وهذا كله دعاءٌ بحسب الدنيا، وعلى ثقة كانوا من الله تعالى في أمر آخرتهم.

وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿مَرْفِقاً﴾ بفتح الميم وكسر الفاء، وهو مصدر كالرِّفْق فيما حكى أبو زيد، وهي قراءة أبي جعفر، والأعرج، وشيبة.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرٍو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، والحسن، وطلحة، والأعمش، وابن أبي إسحاق: ﴿مِّرْفَقًا﴾ بكسر الميم وفتح الفاء(٢).

ويقالان جميعاً في الأمر، وفي الجارحة، حكاه الزجاج(٣).

وذكر مكيٌّ عن الفراء أنه قال: لا أعرف في الأمر وفي اليد وفي كل شيءٍ إلَّا كسر

---

(١) شاذتان، انظر الأولى في تفسير الثعلبي (٦/ ١٥٩)، وقول قتادة عند الطبري (١٧/ ٦١٧)، والكل في البحر المحيط (٧/ ١٥٠).

(٢) انظر: في التيسير (ص: ١٤٢)، والسبعة (ص: ٣٨٨)، والنشر (٢/ ٣١٠)، والباقون في البحر المحيط (٧/ ١٥١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧٢).

الميم[١]، وأنكر الكسائي أن يكون المرفقُ من الجارحة إلاَّ بفتح الميم وكسر الفاء[٢]، وخالفه أبو حاتم وقال: الـمَرْفِق بفتح الميم: الموضعُ كالمسجد، وهما بعد لغتان.

قوله عز وجل: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ / عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾. [٣/ ١٩٨]

بيْن هاتَيْن الآيَتَيْن اقتضاب يُبَيِّنُه ما تقدم من الآيات، وتقديره: فأَوَوْا، وضَرَب الله على آذانهم، ومكثوا كذلك.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: ﴿تَزَّاوَرُ﴾ بتشديد الزاي وإدغام التاء.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ بتخفيفها، بتقدير: تَتَزَاوَرُ، فحذفت إحدى التاءين، وقرأ ابن عامر، وابن أبي إسحاق، وقتادة: ﴿تَزْوَرُّ﴾ في وزن: تَحْمَرُّ.

وقرأ الجحدري، وأبو رجاءٍ: (تَزْوَارُّ) بألف بعد الواو[٣].

ومعنى اللفظة على كل هذا التصريف: تَعْدِلُ وتزوغُ وتميل، وهذه عباراتُ المفسرين، أما إن الأخفش قال: تَزْوَرُّ معناه: تنقبض[٤]، و«الزَّوَرُ»: الـمَيْلُ، والْأَزْوَرُ في العين: المائل النظر إلى ناحية، ويستعمل في غير العين، كقول ابن أبي ربيعة:

---

(١) الهداية لمكي (٦/ ٤٣٤١).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٦١٨)، والهداية لمكي (٦/ ٤٣٤٠)، وانظر قول أبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ١٥١).

(٣) الثلاث الأولى سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٨٨)، والتيسير (ص: ١٤٢)، والرابعة شاذة كما في مختصر الشواذ (ص: ٨٢).

(٤) في الأصل: «تنتقض»، وانظر تهذيب اللغة (١٣/ ١٦٥).

.... وجَنْبي خيفَةَ الْقَوْم أَزْوَرُ[١] [الطويل]

ومن اللفظة قول عنترة:

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ[٢] .... [الكامل]

ومنه قول بشر بن أبي خازم:

تَؤُمُّ بهَا الحُدَاةُ مِيَاهَ نَخْلٍ وفيهَا عَنْ أَبَانَيْنِ ازْوِرَارُ[٣] [الوافر]

وفي حديث غزوة مُؤْتة أن رسول الله ﷺ رأى في سرير عبد الله بن رواحة ازْوِراراً عن سرير جعفر وزيد بن حارثة[٤].

وقرأ الجمهور: ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ بالتاء، وفرقة: (يَقْرِضُهُمْ) بالياء[٥]؛ أي: الكهفُ، كأَنه من القَرْضِ وهو القطع؛ أي: يَقْتَطِعُهم الكهفُ بظلِّه من ضوء الشمس.

وجمهور من قرأ بالتاء فالمعنى أنهم كانوا لا تصيبهم شمسٌ ألبتَّةَ، وهو قول ابن عباس[٦]، فيتأولون ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ بمعنى: تتركهم؛ أي: كأنها عنده تقطع كل ما لا تناله

(١) أوله: ونفضت عني النوم أقبلت مشية الحباب... إلخ. انظر نسبته له في الأغاني (١/ ١٥٥)، والحيوان (٤/ ٢٦٥)، والكامل (٢/ ١٨٣).

(٢) وتمامه: وشَكَا إِليَّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُم، عزاه له في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٠٧)، والزاهر للأنباري (١/ ٢٣١)، واللامات (١/ ١٣٦).

(٣) عزاه له في معجم البلدان (١/ ٦٣)، وتفسير الطبري (١٧/ ٦١٩)، والاختيارين للأخفش (ص: ٩٣)، والمفضليات (١/ ٦١).

(٤) ذكره ابن إسحاق معضلًا من قوله، أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٤٧٨) من طريق: أحمد بن عبد الجبار، قال: حدثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: فلما أصيب القوم، وعزاه الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٣٣) للطبراني وقال: رجاله ثقات.اهـ. ولم أقف عليه.

(٥) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ لمجاهد (ص: ٢٨٤)، بالياء وضمه وكسر الراء.

(٦) لا بأس بإسناده، أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في تغليق التعليق (٤/ ٢٤٤-٢٤٥)، والطبري (١٧/ ٦٢٠) من طريق يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لو أن الشمس تطلع عليهم =

عن نفسها، وفرقة ممن قرأ بالتاء تأولت أنها كانت بالعشيِّ تنالهم فكأنها تقرضهم؛ أي: تقطعهم مما لا تناله[١]، وقالوا: كان في مسِّها لهم بالعشيِّ صلاح لأجسامهم.

وحكى الطبريُّ أن العرب تقول: قرضتُ[٢] موضع كذا؛ أي: قطعتهُ، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

[الطويل] إلى ظُعُـنٍ يَقْـرِضْنَ أَجْوَازَ مُشْـرِفٍ ... شِـمالاً وَعَنْ أَيْمَانِهِـنَّ الفَوَارِسُ[٣]

ومنه: أقرِضْني درهماً؛ أي: اقطَعْه لي من مالك، وهذه الصفة مع الشمس تقتضي أنه كان لهم حاجبٌ من جهة الجنوب، وحاجب من جهة الدَّبور، وهم في زاويته.

وحكى الزجاج وغيره قال: كان باب الكهف ينظر إلى بنات نعش[٤]، وقاله عبد الله بن مسلم[٥]، وهذا نحو ما قلناه، غير أن الكهف كان مستور الأعلى من المطر.

وذهب الزجاج إلى أن فِعْل الشمس كان آية من الله تعالى دون أن يكون باب الكهف إلى جهة توجب ذلك[٦].

وقوله: ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ يحتمل أن يريد: ذات يمين الكهف، بأن تقدر باب الكهف بمثابة وجه إنسان، فإن الشمس تجيءُ منه أول النهار عن يمين، وآخره عن شمال.

= لأحرقتهم، ولو أنهم يقلبون لأكلتهم الأرض، هذا لفظ الطبري، ورواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم بلفظ مطول.

(١) في أحمد٣: «لا ينالوه».

(٢) من المطبوع، وفي الأصل: «فرضت»، وهي خطأ، انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٦٢١).

(٣) عزاه له في العين (٥/ ٥٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧٣)، ومجاز القرآن (١/ ٣٩٦)، والسيرة النبوية (٢/ ١٤٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧٣) أورده بصيغة التمريض، وقال: إنه ليس ببيِّـن، فتأمل.

(٥) في المطبوع: «وقال عبد الله»، وهو خطأ، انظر قوله هذا في البحر المحيط (٧/ ١٥٢).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧٤).

ويحتمل أن يريد: ذات يمين الشمس وذات شمالها، بأن تقدر الشعاع الممتد منها إلى الكهف بمثابة وجه الإنسان، والوجه الأول أصح[(١)].

و«الْفَجْـوَةُ»: المُتَّسَـع، وجَمْعها فِجـىً[(٢)]، قـال قتـادة: في فضـاءٍ منـه[(٣)]، [قال الزجاج][(٤)]: ومنه الحديث: كان رسول الله ﷺ يَسِيرُ العَنَقَ، فإذا وجد فجوةً نصَّ[(٥)].

وقال ابن جبير: ﴿فِي فَجْوَةٍ﴾: في مكان داخل[(٦)].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الإشارة إلى الأمر بجُمْلته، وعلى قول الزجاج: إن الشمس كانت تَـزَّاور وتَقْرض دون حجاب[(٧)]، تكون الإشارة إلى هذا المعنى خاصة.

ثم تابع بتعظيم الله عزَّ وجلَّ، والتسليم له، وما يقتضي صرف الآمال إليه.

وقوله: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ﴾ الآية، صفةُ حالٍ قد انقضت، وجاءت أفعالها مستقبَلَةً تَجَوُّزاً واتِّساعاً.

و﴿أَيْقَاظًا﴾: جمع يَقُظ، كَعَضُدٍ وأعضاد، وهو الـمُنْـتَبِه، قال أهل التفسير: كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون، فلذلك كان الرائي يحسبهم أيقاظاً[(٨)].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن يحسب الرائي ذلك لشدة الحفظ الذي كان عليهم، وقِلَّة التَّغير، وذلك أن الغالب على النُّـوَّام أن يكون لهم استرخاءٌ وهيئات تقتضي النوم، ورُبَّ نائم على أحوال لم تتغير على حالة اليقظة، فيحسبه الرائي يقظاناً

(١) في المطبوع والإماراتية١: «أوضح».
(٢) في المطبوع: «فجاء».
(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٢).
(٤) ما بين معقوفين زيادة من أحمد٣، ولم أجد الحديث في كتابه.
(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٦٦٦)، ومسلم (١٢٨٦) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.
(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٢).
(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧٤).
(٨) تفسير الماوردي (٢/ ٤٦٧).

وإن كان مسدود العين، ولو صحَّ فتح أعينهم بسند يقطع العذر كان أَبْيَن في أن يحسب عليهم التيقُّظ.

وقرأ الجمهور: ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ﴾ بنون العظمة، وقرأ الحسن: (وَتَقَلُّبُهُم) بالتاء المفتوحة وضم اللام والباء، وهو مصدر مرتفع بالابتداء، قاله أبو حاتم[١].

وحكى ابن جنِّي القراءة عن الحسن بفتح التَّاء وضم اللام وفتح الباء، وقال: هذا نصب بفعل مقدر، كأنه قال: وتَـرَى، أو تُشاهد تَقَلُّبَهُمْ، وأبو حاتم أثبت[٢].

ورأت فرقة أن التَّـقَلُّب هو الذي من أجله كان الرائي يحسبهم أيقاظاً، وهذا ـ وإن كان التَّقَلُّب لمن صادف رؤيته دليلاً على ذلك ـ فإن ألفاظ الآية لم تَسُقْه إلَّا خبراً مُسْتَأْنفاً.

وقال أبو عياض[٣]: كان هذا التقلب مرتين في السنة[٤]، وقالت فرقة: كل سنة مرة.

وقالت فرقة: كل سبع سنين مرة، وقالت فرقة: إنما قُلِّـبُوا في التسع الأواخر، وأما الثلاث مئة فَلَا، وذكر بعض المفسرين أن تَقَلُّبهم إنما كان حِفْظاً من الأرض[٥].

ورُوي عن ابن عباس أنه قال: لو مسَّتهم الشمس لأحرقتهم، ولولا التقلُّب لأكلتهم الأرضُ[٦].

---

(١) نقلها عنه أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ١٥٣)، قال: وذكرها ابن خالويه عن اليماني.

(٢) وكلاهما شاذة، انظر الثانية في المحتسب (٢/ ٢٦)، والأولى وقول أبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ١٥٣)، وهي في مختصر الشواذ (ص: ٨٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٨٦) غير مضبوطة الباء، وزاد له وجهين آخرين.

(٣) في الإماراتية١: «ابن عياض»، وفي المطبوع وأحمد٣: «ابن عباس».

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (٣/ ٥٢)، والهداية لمكي (٦/ ٤٣٤٤).

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٤).

(٦) تقدم تخريجه قريباً عند آية (١٧)، ولا بأس بإسناده.

قال القاضي أبو محمد: وآية الله في نومهم هذه المدة الطويلة، وحياتِهم دون تَغَذٍّ أذهبُ في الغرابة من حفظهم مع مَسِّ الشمس ولزوم الأرض، ولكنها روايات تجلب[1] وتُتَأَمَّل بعدُ، وظاهر كلام المفسرين أن التقليب كان بأمر الله تعالى، وفِعْل ملائكته.

ويحتمل أن يكون ذلك بإقدار الله إياهم على ذلك وهم في غمرة النوم لا ينتبهون كما يعتري كثيراً من النوام؛ لأن القوم لم يكونوا موتى.

وقوله: ﴿وَكَلۡبُهُم﴾ أكثر المفسرين على أنه كلْبٌ حقيقة، كان لصيد أحدهم فيما رُوي، وقيل: كان / لراعٍ مَرُّوا عليه فصحبهم وتَبِعَه الكلبُ. [٣/ ١٩٩]

قال القاضي أبو محمد: وحدَّثني أبي رضي الله عنه قال: سمعتُ أبا الفضل بن الجوهر[2] في جامع مصر يقول على مِنْبر وعظه سنة تسع وستين وأربع مئة: إنَّ من أحب أهل الخير نال من بركتهم، كلْبٌ أحبَّ أهل فضل وصَحِبَهم، فذكره الله في محكم تنزيله.

وقيل: كان أَنْمر، وقيل: كان أحمر[3].

وقالت فرقة: كان رجلاً طباخاً لهم، حكاه الطبري ولم يُسَمِّ قائله[4].

وقالت فرقة: كان أحدَهم، وكان قعد عند باب الغار طَليعةً لهم.

قال القاضي أبو محمد: فَسُمِّي باسم الحيوان الملازم لذلك الموضع من الناس، كما سُمِّي النجم التابع للجوزاء كلباً؛ لأنه منها كالكلب من الإنسان، ويقال له: كلب الجبَّار.

أما إن هذا القول يضعفه ذكر بسط الذراعين، فإنهما في العرف في صفة الكلب

---

(١) في المطبوع: «تختلف»، وفي نجيبويه والإماراتية١: «تجتلب»، وفي الحمزوية: «تحمل».

(٢) «بن»: ليست في أحمد٣، في أحمد٣ والحمزوية: «الجوهري».

(٣) النُّمْرَةُ: النكتة من أي لون كان، والأَنْمَر: الذي فيه نُمْرَةٌ بيضاءُ وأخرى سوداءُ، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ١٩٢).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٤).

حقيقة، ومنه قول النبي ﷺ: «ولا يبتسط[١] أحدكم ذراعيه في السجود ابتساطَ الكلبِ»[٢].

وقد حكى أبو عُمَرَ المطَـرِّزُ[٣] في كتاب «اليواقيت» أنه قرئ: (وكالئُهم[٤] باسِطٌ ذِرَاعَيْه)[٥]، فيحتمل أن يريد بالكالئ هذا الرجل على ما رُوي؛ إذْ بَسْط الذراعين واللُّصوق بالأرض مع رفع الوجه للتطلع هي هيئة الربيئة المستخفي بنفسه، ويحتمل أن يريد بالكالئ الكلب.

وقوله: ﴿بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيۡهِ﴾ أعمل اسم الفاعل وهو بمعنى الـمُضِيِّ؛ لأنها حكاية حال[٦]، ولم يقصد الإخبار عن فعل الكلب.

و(الوَصِيدُ): العتَبَةُ التي لباب الكهف، أو موضعها حيث ليست.

وقال ابن عباس[٧]، ومجاهد، وابن جبير: الوصيدُ: الفِناءُ[٨].

---

(١) في المطبوع ونجيبويه والإماراتية: «يبسط»... «انبساط الكلب».

(٢) متفق عليه بنحوه، أخرجه البخاري (٨٢٢)، ومسلم (٤٩٣) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب».

(٣) هو محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أبو عمر الزاهد، المطرز اللغوي، غلام ثعلب، قال التنوخي: لم أر قط أحفظ منه، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة، ولسعة حفظه نسب إلى الكذب، توفي سنة (٣٤٥هـ). بغية الوعاة (١/ ١٦٤).

(٤) في المطبوع ونور العثمانية: «وَكَالِبُهُمْ»، وكذلك الكالئ في الموضعين: «الكالب».

(٥) وهي شاذة، نقلها بالباء الثعلبي (٦/ ١٦٠) عن جعفر الصّادق، ومثله في البحر المحيط (٧/ ١٥٢)، ثم قال ص ١٥٣: وحكى أبو عمر الزاهد غلام ثعلب أنه قرئ: (وكالئهم) اسم فاعل من كلأ إذا حفظ.

(٦) «حال» ليست في المطبوع.

(٧) صحيح، أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في تغليق التعليق (٤/ ٢٤٤) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ مطول، وأخرجه الطبري (١٧/ ٦٢٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٥١٠) لابن المنذر.

(٨) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٥).

وقال ابن عباس أيضاً: الوصيد: الباب[١].

وقال ابن جُبير أيضاً: الوصيدُ: الترابُ[٢].

والقول الأول أصحُّ، والبابُ الموصد هو المغْلق؛ أي: قد وقف على وصيده.

ثم ذكر الله عزَّ وجلَّ ما حفَّهم من الرُّعب واكتنفهم من الهيبة.

وقرأ: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ﴾ بكسر الواو جمهورُ القراء، وقرأ الأعمش، وابن وثاب: (لَوُ اطَّلَعْتَ) بضمها، وقد ذُكر ذلك عن نافع، وشيبة، وأبي جعفر[٣].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عباس، وأهل مكة والمدينة: ﴿وَلَـمُلِّئْتَ﴾ بشدِّ اللَّام على تضعيف المبالغة، أي: مُلِئْتَ ثم مُلِئْتَ، وقرأ الباقون: ﴿وَلَمُلِئْتَ﴾ بتخفيف اللام[٤]، والتخفيف أشهر في اللغة، وقد جاء التثقيل في قول الـمُخَبَّل السعدي:

وَإِذْ فَتَـكَ النُّعْمَـانُ بالنَّـاسِ مُحْرِماً فَمُلِّئَ مِنْ كعْبِ بن عوْفٍ سلاسِلُه[٥] [الطويل]

وقالت فرقة: إنما حفَّهم هذا الرعب؛ لطول شعورهم وأظفارهم، ذكره المهدوي والزجاج[٦]، وهذا قولٌ بعيد، ولو كانت حالهم هكذا لم يقولوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ﴾ [الكهف: ١٩]، وإنما الصحيح في أمرهم أن الله عزَّ وجلَّ حفظ لهم الحالة التي ناموا[٧]

---

(١) فيه ضعف، أخرجه الطبري (١٧/ ٦٢٥) من طريق أبي عاصم النبيل، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وشبيب بن بشر البجلي فيه لين.

(٢) انظر مع قول مجاهد وابن جبير في تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٥)، وانظر: تفسير الثعلبي (٦/ ١٦٠)، والهداية لمكي (٦/ ٤٣٤٤).

(٣) شاذة، انظر عزوها للأولين في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٦)، وللباقين في البحر المحيط (٧/ ١٥٤).

(٤) كما في السبعة (ص: ٣٨٩)، والتيسير (ص: ١٤٣)، وانظر قراءة ابن عباس في البحر المحيط (٧/ ١٥٤).

(٥) عزاه له الأخفش في الاختيارين (ص: ١١١)، والقرطبي في التفسير (١٠/ ٣٧٤).

(٦) انظر قول المهدوي في التحصيل (٤/ ١٦٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٥).

(٧) في نجيبويه والمطبوع: «قاموا»، وفي أحمد٣: «ماتوا».

عليها؛ لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية، فلم يبلَ لهم ثوب، ولا تغيَّرت صفة، ولا أنكر الناهض إلى المدينة إلَّا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه أهم، ولروي ذلك.

وقرأ الجمهور: ﴿رُعْبًا﴾ بسكون العين.

وقرأ ﴿رُعُباً﴾ بضمها أبو جعفر وعيسى، قال أبو حاتم: هما لغتان[1].

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

الإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الأمر الذي ذكره الله في جهتهم، والعِبْرة التي جُعِلَت فيهم.

و«البَعْثُ»: التحريك عن سكون، واللام في قوله: ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟﴾ لام الصيرورة؛ لأن بعثهم لم يكن لنفس تساؤُلهم، وقول القائل: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ يقتضي أنه هجس بخاطره طول نومهم، واستشعر أن أمرهم خرج عن العادة بعض الخروج، وظاهر أمرهم أنهم انتبهوا في حال من الوقت والهواء الزمني لا تباين التي ناموا فيها، وأما أن يُحَدِّدَ الأمر جدّاً فذلك[2] بعيد.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ بكسر الراء.

---

(١) إبعادٌ وتابعه عليه في البحر المحيط (٧/ ١٥٥)، وهي سبعية لابن عامر والكسائي كما في التيسير (ص: ٩١)، والنشر (٢/ ٢١٦).

(٢) «ذلك»: من المطبوع.

وقرأ أبو عمرٍو، وحمزة[١]، وأبو بكر عن عاصم: ﴿بِوَرْقِكمْ﴾ بسكون الراء[٢]، وهما لغتان.

وحكى الزجاج قراءة: (بِورْقِكُمْ) بكسر الواو وسكون الراء دون إدغام[٣].

ورُوي عن أبي عمرو الإدغام، وإنما هو إخفاءٌ؛ لأن الإدغام مع سكون الراء متعذر.

وأدغم ابن محيصن القاف في الكاف، قال أبو حاتم: وذلك إنما يجوز مع تحريك الراء[٤].

وقرأ علي بن أبي طالب: (بِوَارِقِكُمْ)[٥]، اسم جمع كالجامل[٦] والباقر.

وقرأ أبو رجاءٍ: (بِوِرِقكمْ) بكسر الواو والراء والإدغام[٧].

ويروى أنهم انتبهوا جياعاً[٨]، وأن المبعوث هو تَمْلِيخا، وروي: أنهم صلَّوا كأنهم ناموا ليلة واحدة، وبعثوا تَمْلِيخا في صبيحتها.

وروي أن باب الكهف انهدم بناءُ الكفار منه بطول السنين[٩].

وروي أن راعياً هدمه ليدخل فيه غنمه، فأخذ تَمْلِيخا ثياباً رثَّة منكرة ولبسها

---

(١) في الأصل: «وحده»، وهو خطأ.

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٨٩)، والتيسير (ص: ١٤٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧٥).

(٤) والمأخوذ به للسوسي من طرق التيسير الإظهار لفقد شرط تحريك ما قبلها (ص: ٢٢)، والإدغام رواية روح عن أحمد بن موسى، كما في السبعة (ص: ٣٨٩) قال: وكان يشمها شيئا من التثقيل، وهي رواية إسماعيل عن ابن مُحَيْصِن كما في الكامل للهذلي (ص: ٥٩٠).

(٥) البحر المحيط (٧/ ١٥٦).

(٦) في الأصل: «كالحائل»، وفي المطبوع: «كالجائل»، وفي نور العثمانية: «كالحامل».

(٧) المحتسب (٢/ ٢٤)، والبحر المحيط (٧/ ١٥٦)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٨٢) دون ضبط الراء لابن محيصن.

(٨) في المطبوع: «أحياناً».

(٩) تفسير الماوردي (٢/ ٤٦٧).

وخرج من الكهف فأنكر ذلك البناء المهدوم؛ إذ لم يعرفه بالأمس، ثم مشى فجعل يذكر الطريق والمعالم ويتحير، وهو في ذلك لا يشعر شعوراً تامّاً، بل يكذب ظنه فيما تغير عنده، حتى بلغ باب المدينة، فرأى على بابها أمارة الإسلام فزادت حيرته، وقال: كيف هذا ببلد دقنيوس وبالأمس كنا معه تحت ما[1] كنَّا، فنهض إلى باب آخر / فرأى [٣/ ٢٠٠] نحواً من ذلك حتى مشى الأبواب كلها، فزادت حيرته ولم يميز بشراً، وسمع الناس يقسمون باسم عيسى فاستراب بنفسه، وظن أنه جُنَّ، أو انفسد عقله، فبقي حيران يدعو الله تعالى.

ثم نهض إلى بائع الطعام الذي أراد شراءه، فقال: يا عبد الله بعني من طعامك بهذا الورق، فدفع إليه دراهم كأخفاف الرُّبَع[2]، فيما ذكر، فعجب لها البياع ودفعها إلى آخر يُعَجِّبُه، وتعاطاها الناسُ وقالوا له: هذه دراهم عهد فلان الملك، من أين أنت؟ وكيف وجدت هذا الكنز؟ فجعل يبهت ويعجب، وقد كان بالبلد مشهوراً هو وبيته[3]، فقال: ما أعرف غير أني وأصحابي خرجنا بالأمس من هذه المدينة، فقال الناس: هذا مجنون، اذهبوا به إلى الملك، ففزع عند ذلك.

فذُهب به حتى جيء به الملك، فلما لم ير دقيوس الكافر تأنس، وكان ذلك الملك مؤمناً فاضلاً يُسمَّى ببدوسيس[4]، فقال له الملك: أين وجدت هذا الكنز؟ فقال له: إنما خرجت أنا وأصحابي أمس من هذه المدينة، فأوينا إلى الكهف الذي في جبل أنجلوس، فلما سمع الملك ذلك قال ـ في بعض ما روي ـ: لعل الله قد بعث لكم أيها الناسُ آية، فَلْنسر إلى الكهف معه حتى نرى أصحابه، فسار.

ورُوي أنه ـ أو بعض جلسائه ـ قال: هؤلاء هم الفتية الذين أُرِّخ أمرهم على عهد

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «حيثما».

(٢) الرُّبَع: الفصيل ينتج في الربيع.

(٣) في المطبوع: «وفتيته».

(٤) في المطبوع: «تَيْرُوسيس»، وفي نجيبويه: «تيدوسس»، ويصعب التحقق منها في أكثر المخطوطات.

دقيوس الملك، وكتب على لوح النحاس بباب المدينة، فسار الملك إليهم وسار الناسُ معه، فلما انتهوا إلى الكهف قال تَمْليخا: أدْخُل عليهم؛ لئلا يُرعَبوا، فدخل عليهم وأعلمهم بالأمر وأن الأمة أُمَّة إسلام، فيروى أنهم سُرُّوا وخرجوا إلى الملك وعظموه وعظمهم، ثم رجعوا إلى كهفهم، وأكثر الروايات على أنهم ماتوا حين حدثهم تَمْلِيخا، فانتظرهم الناس، فلما أبطأَ خروجهم دخل الناس إليهم، فرُعِب كلُّ مَن دخل، ثم أقدموا فوجدوهم موتى، فتنازعوا بحسب ما يأتي في الآية التي بعد هذه.

وفي هذا القصص من اختلاف الروايات والألفاظ ما تضيق به الصحف، فاختصرته وذكرتُ المهم الذي به تتفسَّر ألفاظ هذه الآية، واعتمدتُ الأصح، والله المعين برحمته.

وفي هذه البعثة بالوَرِق الوكالةُ وَصِحَّتُها[١]، وقد وكَّل علي بن أبي طالب أخاه عقيلاً عند عثمان رضي الله عنهم[٢].

وقرأ الجمهور: ﴿فَلْيَنظُرْ﴾ بسكون لام الأمر، وقرأ الحسن: (فَلِيَنْظُر) بكسرها[٣].

و﴿أَزْكَىٰ﴾ معناه: أكثر، فيما ذكر عكرمة. وقال قتادة: معناه: خير. وقال مقاتل: المرادُ: أطيب. وقال ابن جُبَيْر: المراد: أَحَلُّ[٤].

---

(١) وقد نقل ابن قدامة الإجماع على جواز الوكالة في الجملة، انظر: المغني (٥/ ٥١).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٣٦٣٨) عن يعلى بن عبيد، عن محمد بن إسحاق، عن جهم بن أبي الجهم، عمن سمع عبد الله بن جعفر يحدث أنَّ علياً كان لا يحضر الخصومة، وكان يقول: إنَّ لها قحماً يحضرها الشَّيطان، فجعل خصومته إلى عقيل، فلمَّا كبر ورقَّ حوَّلها إليَّ، فكان عليٌّ يقول: ما قضي لوكيلِي فلي، وما قضي على وكيلي فعليَّ. وأخرجه البيهقي في الكبرى (٦/ ٨١) عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن جعفر، به. وجهم بن أبي جهم لا يعرف، وانظر: الميزان (١٥٨٣).

(٣) على قاعدته، وقد تقدمت مراراً، وكذا (فليتلطَّفْ)، وانظر: البحر المحيط (٧/ ١٥٦).

(٤) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٧/ ٦٣٨)، وانظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٦).

قال القاضي أبو محمد: من جهة ذبائح الكفرة وغير ذلك، فروي أنه أراد شراء زبيب، وقيل: بل شراء تمر.

وقوله: ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾؛ أي: في اختفائه وتَحَيُّله[١].

وقرأ الحسن: (وَلِيَتَلَطَّف) بكسر اللام.

والضمير في ﴿إِنَّهُمۡ﴾ عائد على الكفار آل دقيوس، و﴿يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ﴾ معناه: يثقفوكم بعلوِّهم[٢] وغلبتهم.

وقولهم: ﴿يَرۡجُمُوكُمۡ﴾، قال الزجاج: معناه: بالحجارة[٣]، وهو الأصح؛ لأنه كان عازماً على قتلهم لو ظفر بهم، والرجْم فيما سلف هي كانت ـ على ما ذُكر ـ قِتْلة مخالف دين الناس؛ إذْ هي أشفى لحَمَلة[٤] ذلك الدين، ولهم فيها مشاركة.

وقال حجاج[٥]: ﴿يَرۡجُمُوكُمۡ﴾ معناه: بالقول، وباقي الآية بَيِّنٌ.

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾﴾.

الإشارة بـ(ذلك) في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ إلى ﴿بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ﴾؛ أي: كما بعثناهم أعثرنا عليهم.

و(أَعْثَرَ) تعْدية عَثَر بالهمزة، وأصل العِثَار في القدم[٦]، فلما كان العاثر في الشيء

---

(١) في أحمد٣: «وتحمله».

(٢) في المطبوع: «بعلومهم».

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٦).

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «لجملة».

(٥) من روايته عن ابن جريج كما في تفسير الطبري (١٧/ ٦٣٩)، وفي أحمد٣: «الزجاج»، وهو خطأ، فالذي في معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ٢٧٦): أي يقتلوكم بالرجم، والرجْمُ مِنْ أخبَثِ القَتْل، وانظر: تفسير الثعلبي (٦/ ١٦٢)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٩٥).

(٦) في المطبوع: «القوم».

مُنْـتَبِهاً[١] له شُبِّه به، من تنبه لعلم[٢] بشيءٍ: عنَّ له، وثار بعد خفائه.

والضمير في قوله: ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ يحتمل أن يعود على الأمة المسلمة الذين بعث أهل الكهف على عهدهم، وإلى هذا ذهب الطبري[٣].

وذلك أنهم ـ فيما روي ـ دخلتهم حينئذ فتنة في أمر الحشر وبعث الأجساد من القبور، فشك في ذلك بعض الناس واستبعدوه، وقالوا: إنما تحشر الأرواح، فشق على ملكهم ذلك، وبقي حيران لا يدري كيف يبيِّن أمره لهم حتى لبس الـمُسُوح، وقعد على الرماد، وتضرع إلى الله في حُجَّة وبيَان، فأعثر الله على أهل الكهف، فلما بعثهم الله وتبيَّن الناسُ أمرهم سُرَّ الملك، ورجع مَن كان شكَّ في بعث الأجسام إلى اليقين به، وإلى هذا وقعت الإشارة بقوله: ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡ﴾ على هذا التأويل.

ويحتمل أن يعمل في ﴿إِذۡ﴾ على هذا التأويل ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾، ويحتمل أن يعمل فيه ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾.

والضمير في قوله: ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ يحتمل أن يعود على أصحاب الكهف؛ أي: يجعل الله أمرهم آية لهم دالَّة على بعث الأجساد من القبور، وقوله: ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ على هذا التأويل ابتداءُ خبر عن القوم الذين بُعثوا على عهدهم، والعامل في ﴿إِذۡ﴾ فعل مضمر تقديره: واذكر.

ويحتمل أن يعمل فيه: ﴿فَقَالُواْ﴾، [ويكون المعنى: فقالوا إذْ][٤] يَتَنازَعُونَ: ابْنُوا عَلَيْهِمْ، والتَّنازع ـ على هذا التأويل ـ إنما هو في أمر البناء والمسجد، لا في أمر القيامة.

و«الرَّيْبُ»: الشَّك، والمعنى: إنَّ الساعة في نفسها وحقيقتها لا شك فيها، وإن

---

(١) في نجيبويه والمطبوع: «مشبها».

(٢) في الأصل والمطبوع: «شبه العلم».

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٦٣٧).

(٤) من المطبوع وأحمد٣ والحمزوية.

كان الشك قد وقع لِنَاسٍ فذلك لا يلحقها منه شيءٌ، وقد قيل: إن التنازع إنما هو في أن اطَّلعوا عليهم فقال بعضهم: أمواتٌ، وبعضهم: أحياءٌ.

ورُوي: أن بعض القوم ذهب إلى طمس الكهف عليهم، وتركهم فيه مغيَّبين، فقالت الطائفة الغالبة على الأمر: لنتخذن عليهم مسجداً، فاتَّخذوه.

وقال قتادة: الذين غَلَـبُوا هم الوُلاة[١].

وقرأ الحسن، وعيسى الثقفي: (غُلِبُوا) بضم الغين وكسر اللام[٢]، والمعنى: إن الطائفة التي أرادت المسجد كانت أولًا تريد ألَّا يبنى عليهم شيءٌ وألا يعرض / [٣/ ٢٠١] لموضعهم، فرُوي: أن طائفة أخرى مؤمنة أرادت ولا بُدَّ طمس الكهف، فلمَّا غُلِبت الأولى على أن يكون بنيان ولا بُدَّ قالت: يكون مسجداً، فكان.

وروي: أن الطَّائفة التي دعت إلى البنيان إنما كانت كافرة أرادت بناءَ بيعة أو مصنع لكفرهم، فمانعهم المؤمنون وقالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[٣].

ورُوي عن عبيد بن عمير: أن الله عَمَّى على الناس حينئذ أمرهم وحَجَبَهم عنهم، فلذلك دعا إلى بناء البنيان ليكون مَعلَماً لهم[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

---

(١) الهداية لمكي (٦/ ٤٣٥٣).

(٢) وهي شاذة، عزاها للحسن في مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، ولعيسى في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٦).

(٣) انظر الروايتين في تفسير الثعلبي (٦/ ١٦٢).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٠)، والهداية لمكي (٦/ ٤٣٥٣).

الضمير في قوله: ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ يراد به أهل التوارة من معاصري محمد ﷺ، وذلك أنهم اختلفوا في عدد أهل الكهف هذا الاختلافَ المنصوص.

وقرأ الجمهور: ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾، وقرأ ابن محيصن: (ثَلَاثٌّ) بإدغام التاء في الثاء[١].

وقرأ شبل عن ابن كثير: (خَمَسَةٌ) بفتح الميم إتباعاً لِعَشَرة.

وقرأ ابن محيصن: (خِمِسَةٌ) بكسر الخاء والميم[٢].

وقوله: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِ﴾ معناه: ظَنّاً، وهو مستعارٌ من الرجم، كأن الإنسان يرمي الموضع الـمُشكل المجهول عنده بِظَـنِّه المرَّة بعد المرَّةِ، يرجمه به عسى أن يصيب، ومن هذا: الترجمان، وتَرْجَمة الكتب، ومنه قول زهير:

وَمَـا الْحَرْبُ إِلَّا ما عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرَجَّم[٣] [الطويل]

والواو في قوله: ﴿وَثَامِنُهُمۡ﴾ طريق النحويِّين فيها أنها واو عطف دخلت في آخر إخبار عن عددهم، لتفصل أمرهم، وتدل على أن هذا نهاية ما قيل، ولو سقطت لصح الكلام، [ولو كانت فيما قبل من قوله: ﴿رَّابِعُهُمۡ﴾ و﴿سَادِسُهُمۡ﴾ لصَحَّ الكلام][٤].

وتقول فرقة منها ابن خالويه: هي واو الثمانية[٥]، وذكر ذلك الثعلبي عن أبي بكر ابن عياش، وأن قريشاً كانت تقول في عددها: ستة، سبعة، وثمانية، تسعة، فتدخل الواو في الثمانية[٦].

---

(١) وهي شاذة، عزاها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٧).

(٢) وهما شاذتان، عزاهما لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٧)، وزاد لابن كثير النصب في ثلاثة وخمسة.

(٣) من معلقته المشهورة، ونسبه له في مجاز القرآن (١/ ٣٩٨)، وتفسير الطبري (٣/ ٣٥١)، والعين (٦/ ١٢٠)، وتهذيب اللغة (٤/ ٧).

(٤) زيادة من المطبوع وأحمد٣ والحمزوية.

(٥) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٢)، والبحر المحيط (٧/ ١٦٠).

(٦) تفسير الثعلبي (٦/ ١٦٢) لكن ليس فيه ذكر أبي بكر بن عياش، وهو شعبة راوي عاصم.

قال القاضي أبو محمد: وقد تقدم شرحها، وهي في القرآن في قوله: ﴿ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢]، وفي قوله: ﴿وَفُتِحَتِ﴾ [النبأ: ١٩].

وأما قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥]، وقوله: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧] فتُوُهِّم في هذين الموضعين أنها واو الثمانية، وليست بها، بل هي لازمةٌ لا يستغني الكلام عنها.

وقد أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ في هذه الآية أن يَرُدَّ عِلْم عدَّتهم إليه عزَّ وجلَّ، ثم أخبر أن عالِم ذلك من البشر قليل، والمراد به قومٌ من أهل الكتاب.

وكان ابن عباس يقول: أنا من ذلك القليل[(١)]، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم.

ويُستدل على هذا من الآية بأن[(٢)] القرآن لما حكى قول من قال: ثلاثة، وخمسة قَرَن بالقول أنه رَجْمٌ بالغيب، فقدح ذلك فيها، ثم حكى هذه المقالة ولم يقدح فيها بشيءٍ، بل تركها مسجلة، وأيضاً فيَقْوَى ذلك على القول بواو الثمانية؛ لأنها إنما تكون حيث عدد الثمانية صحيح.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ معناه على بعض الأقوال؛ أي: بظاهر ما أوحيناه إليك وهو ردُّ علم عِدَّتهم إلى الله تعالى، وقيل: معنى الظاهر أن يقول: ليس كما تقولون، ونحوَ هذا، ولا يحتج هو على أمْرٍ مقرر[(٣)] في ذلك، فإن ذلك يكون مراءً

(١) له طرق عدة تقويه، أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٥٥٧)، والطبري (١٧/ ٦٤٢) من طريق عكرمة، والطبري (١٧/ ٦٤٢) من طريق عطاء الخرساني، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٦)، والبلاذري في أنساب الأشراف (١/ ٤٥٩)، والطبراني في الأوسط (٦/ ١٧٥)، من طريق الضحاك، والبلاذري أيضاً من طريق أبي صالح باذام مولى أم هانئ جميعهم (عكرمة، وعطاء، والضحاك، وأبو صالح) عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه. ولا تسلم هذه الطرق من مقال، ولكن إذا اجتمعت جعلت للأثر قوة والله أعلم، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤٠٠)، والطبري (١٧/ ٦٢٤) من طريق قتادة... فذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا أيضاً منقطع.

(٢) في المطبوع: «فإن».

(٣) في المطبوع: «مقدَّرٍ».

في باطن من الأمر، وقال التبريزي[١]: «ظَاهِراً معناه: ذاهباً»[٢]، وأنشد:

.... وَتِلْكَ شَـكاةٌ ظَاهِرٌ عَنْـك عَارُهَا[٣] [الطويل]

ولم يُبِح له في هذه الآية أن يماري، ولكن قوله: ﴿إِلَّا مِرَآءً﴾ استعارةٌ من حيث يماريه أهل الكتاب سُمِّيت مراجعته لهم مراءً، ثم قُيِّد بأنه ظاهر، ففارق المراءَ الحقيقي المذموم.

و«المِرَاءُ»: مشتق من المِرْية، وهي الشَّك، فكأنه الـمُشَاكَكَةُ، والضمير في قوله: ﴿فِيهِم﴾ عائد على أهل الكهف، وفي قوله: ﴿مِّنْهُمْ﴾ عائد على أهل الكتاب المعاصرين.

وقوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ يعني: في عِدَّتهم، وحُذِفَت العِدَّةُ؛ لدلالة ظاهر القول عليها.

قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾ الآية، عاتب الله تعالى فيها نبيَّه ﷺ على قوله للكفار: «غَداً أُخبركم بجواب أسئلتكم»، ولم يستثنِ في ذلك، فاحتبس عنه الوحيُ خمسة عشر يوماً حتى شق ذلك عليه، وأرجف الكفار به، فنزلت عليه هذه السُّورة مفرجة، وأمر في هذه الآية ألَّا يقول في أمر من الأمور: إني أفعل غداً كذا وكذا إلَّا وأن يُعلِّق ذلك بمشيئة الله عزَّ وجلَّ.

واللام في قوله: ﴿لِشَاْىْءٍ﴾ بمنزلة (في)، أو كأنه قال: لأجل شيءٍ.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ في الكلام حذف يقتضيه الظاهر، ويُحَسِّنه الإيجاز،

---

(١) في الأصل: «البيريزي»، وهو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني، التبريزي، الخطيب، اللغوي، أحد الأعلام في علم اللسان، رحل إلى الشام، ألف شرح الحماسة، وشرح المعلقات، توفي سنة (٥٠٢هـ). تاريخ الإسلام (٣٥/ ٧٣).

(٢) نقله عنه في البحر المحيط (٧/ ١٦٢).

(٣) صدره: وَعَيَّرَهَا الوَاشونَ أنِّي أُحِبُّهَا، وهو لأبي ذؤيب الهذلي كما في تهذيب اللغة (٢/ ٣٢٠)، ومقاييس اللغة (٣/ ٤٧٢).

تقديره: إلَّا أن تقول: «إلَّا أن يشاءَ الله»، أو إلَّا أن تقول «إن شاء الله»، فالمعنى: إلَّا أن تذكر مشيئة الله، فليس ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ من القول الذي نُهي عنه.

وقالت فرقة: قوله: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ استثناءٌ من قوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ ﴾، وهذا قولٌ حكاه الطبري[١]، ورُدَّ عليه، وهو من الفساد بحيث كان الواجب ألَّا يُحْكَى.

وقوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ قال ابن عباس[٢]، والحسن: معناه والإشارة به إلى الاستثناء، أي: وَلْتَسْتَثْنِ بعد مُدَّة إذا نسيت الاستثناء أوَّلاً؛ لتخرجَ من جملة مَن لم يعلِّق فعله بمشيئة الله، وقال عكرمة: المعنى: واذكر ربَّك إذا غضبتَ[٣].

وتكلم الناس في هذه الآية في الاستثناء في اليمين، والآية ليست في الأيمان، وإنما هي في سنة الاستثناء في غير اليمين، ولكن من حيث تكلم الناس فيها ينبغي أن نذكر شيئاً من ذلك.

أما مالك رحمه الله، وجميع أصحابه فيما علمت، وكثير من العلماء فيقولون: لا ينفع الاستثناءُ ويُسقط الكفارةَ إلَّا أن يكون متصلاً باليمين[٤].

[٣/ ٢٠٢] وقال عطاءٌ: / له أن يستثني في قدر حَلْب النَّاقة الغزيرة، وقال قتادة: إن استثنى

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٥).

(٢) إسناده جيد، أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في تغليق التعليق (٤/ ٢٤٤-٢٤٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥/ ١٨٢) من طريق يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم المكي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه في حديث أصحاب الكهف ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ قال: إذا قلت شيئاً فلم تقل: إن شاء الله، فقل إذا ذكرت: إن شاء الله.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٩٩)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٥).

(٤) وهو قول المذاهب الأربعة والثوري وأبي عبيد وإسحاق وغيرهم، انظر للمالكية بداية المجتهد (١/ ٤١٢-٤١٣)، وللحنفية فتح القدير (٤/ ١٣٩-١٤٠)، وللشافعية الحاوي للماوردي (١٥/ ٢٨٢-٢٨٣)، وللحنابلة والباقين المغني (٩/ ٤١٢-٤١٣).

قبل أن يقوم [أو يتكلم][١] فَلَه ثُنْياه، وقال ابن حنبل: له الاستثناءُ ما دام في ذلك الأمر، وقاله ابن راهويه، وقال طاووس، والحسن: ينفع الاستثناءُ ما دام الحالف في مجلسه، وقال ابن جبير: ينفع الاستثناءُ بعد أربعة أشهر فقط[٢].

وقال ابن عباس: ينفع الاستثناءُ ولو بعد سنةٍ[٣]، وقال مجاهد: بعد سنتين، وقال أبو العالية: ينفع أبداً[٤].

واختلف الناس في التأويل عن ابن عباس، فقال الطبري وغيره: إنما أراد ابن

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) انظر قول عطاء وقتادة وطاووس والحسن وابن جبير في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٨١)، وقول أحمد وإسحاق في مسائل أحمد وإسحاق (١٧٤٦).

(٣) إسناده لين لكن يُحتمل، أخرجه الطبري (١٧/ ٦٤٥)، والطبراني في الكبير (١١٠٦٩)، وفي الأوسط (١١٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٣)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٤٨) وغيرهم من طرق عن الأعمش، عن مجاهد عن ابن عباس: أنه كان يرى الاستثناء ولو بعد سنة ثم قرأ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ يقول: إذا ذكرت. فقيل للأعمش: سمعت هذا من مجاهد؟ فقال: حدثني به الليث عن مجاهد، ورواية ليث بن أبي سليم عن مجاهد تساهل النقاد فيها؛ لكونها في التفسير خاصة؛ وكذلك لأنها من كتاب صحيح، قال يحيى بن سعيد القطان: تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث، ثم ذكر ليث بن أبي سليم، وجويبر بن سعيد، والضحاك، ومحمد بن السائب، وقال: هؤلاء لا يحمد أمرهم ويكتب التفسير عنهم اهـ. انظر الجامع لأخلاق الراوي (١٥٩٩)، وقال ابن حبان: لم يسمع التفسير من مجاهد أحد غير القاسم بن أبي بزة، وأخذ الحكم، وليث بن أبي سليم، وابن أبي نجيح، وابن جريج، وابن عيينة من كتابه ولم يسمعوا من مجاهد. اهـ. انظر الثقات (٧/ ٣٣٠-٣٣١)، قال ابن كثير: ومعنى قول ابن عباس: أنه يستثني ولو بعد سنة؛ أي: إذا نسي أن يقول في حلفه أو كلامه: إن شاء الله، وذكر ولو بعدَ سنة، فالسُّنة له أن يقول ذلك، ليكون آتياً بسُنَّة الاستثناء، حتى ولو كان بعد الحنث، قال الطبري رحمه الله: ونص على ذلك، لا أن يكون ذلك رافعاً لحنث اليمين، ومسقطاً للكفارة. وهذا الذي قاله الطبري رحمه الله هو الصحيح، وهو الأليق بحمل كلام ابن عباس عليه، والله أعلم. اهـ. انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٩).

(٤) انظر قول مجاهد في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٨١)، وقول أبي العالية في: تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٥).

عباس أنه ينفع في أن يحصل[١] الحالف في رتبة المستثنِينَ بعد سنَةٍ مِن حَلِفِه، وأما الكفارة فلا تسقط عنه.

قال الطبري: ولا أعلم أحداً يقول: ينفع الاستثناءُ بعد مُدَّةٍ، يقول بسقوط الكفارة.

قال: ويَرُدُّ ذلك قولُ النبي ﷺ: «مَن حلف على يمين ثم رأى غيرها خيراً منها فلْيُـكَفِّر، وَلْيَأْتِ الذي هو خيرٌ»[٢]، فلو كان الاستثناءُ يسقط الكفارة لكان أخف على الأُمَّة، ولم يكن لذكر الكفارة فائدة[٣].

وقال الزهراوي: إنما تكلَّم ابن عباس في أن الاستثناء بعد سنة لمن قال: أنا أفعل، لا الحالف[٤] أراد حلَّ يمينه[٥].

وذهبت فرقة من الفقهاء إلى أن مذهب ابن عباس سقوطُ الكفارة، وألزموا كل من يقول: ينفع الاستثناءُ بعد مدة، إسقاط الكفارة، وردُّوا على القول بعدم إلزامه[٦].

وليس الاستثناءُ إلَّا في اليمين بالله، لا يكون في طلاق ونحوه، ولا في مشي إلى مكة، وهذا قول مالك وجماعة[٧].

وقال الشافعي، وأصحاب الرأي، وطاووس، وحماد: الاستثناءُ في ذلك جائز[٨]،

---

(١) في المطبوع: «يجعل».

(٢) أخرجه مسلم (١٦٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٦).

(٤) في أحمد٣: «لا لحالف».

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ١٨٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٤٢)، وشرح النووي على مسلم (١١/ ١١٩).

(٧) قاله مالك وابن عباس وابن المسيب والأوزاعي وابن أبي ليلى والليث وغيرهم، انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ١٨٣).

(٨) انظر قول الشافعي في: شرح النووي على مسلم (١١/ ١١٩)، وانظر: قول أصحاب الرأي في: فتح القدير (٤/ ١٤٠)، وانظر قول طاووس وحماد في: المغني (٩/ ٤١٥).

وليس في اليمين الغموس استثناءٌ ينفع[١].

ولا يكون الاستثناءُ بالقلب[٢]، وإنما يكون قولًا ونطقاً.

وقوله: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ﴾ الآية، قال محمد[٣] الكوفي المفسِّر: إنَّها بألفاظها مِـمَّـا أُمر أن يقولها كلُّ مَن لم يستثنِ، وإنها كفارة لنسيان الاستثناء[٤].

وقال الجمهور: هو دعاءٌ مأمورٌ به دون هذا التخصيص.

وقرأ الجمهور: ﴿يَهْدِيَنِي﴾ بإثبات الياء، وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو.

وقرأ طلحة بن مصرِّف: ﴿يَهْدِيَنِ﴾ دون ياءٍ في الوصل، وهي قراءة ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي[٥].

والإشارة بـ﴿هَٰذَا﴾ إلى الاستدراك الذي يقع من ناسي الاستثناء.

وقال الزجاج: المعنى: عسى أن يُيَسِّر الله من الأدلَّة على نبوتي أقرب من دليل أصحاب الكهف[٦].

قال القاضي أبو محمد: وما قدَّمته أصوب؛ أي: عسى أن يرشدني فيما أستقبِل من أمري، وهذه الآية مخاطبة للنبي ﷺ، وهي بعدُ تَعُمُّ جميع أُمته؛ لأنه حكم يتردد في الناس بكثرة وقوعه، والله الموفق.

---

(١) انظر فيما ذكره المؤلف عن يمين الغموس: فتح الباري لابن حجر (١/ ١٦٣).

(٢) زيادة من المطبوع، وفي الأصل: «بالقول»، نقل النووي في شرح مسلم (١١/ ١١٩-١٢٠) هذا القول عن كافة العلماء.

(٣) في أحمد٣: «مجاهد».

(٤) انظر ما نسبه المؤلف لمحمد الكوفي في: تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٦)، ولم أقف له على ترجمة.

(٥) انظر: السبعة في القراءات (ص: ٤٠٣)، والذي في التيسير (ص: ١٤٧) والنشر (٢/ ٣١٦) أن ابن كثير أثبتها في الحالين، فهي قراءة ثالثة، ولم أجد من ذكر طلحة هنا، لكن الأصل أنه موافق للكوفيين.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧٨).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ۝٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٧ ﴾.

قال قتادة، ومطر الوراق، وغيرهما: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ﴾ الآية حكاية عن بني إسرائيل أنهم قالوا ذلك[١].

واحتَجَّا بأن في قراءة عبد الله بن مسعود وفي مصحفه: (وقَالوا لَبِثُوا في كَهْفِهِمْ)[٢]، وذلك عند قتادة ـ على غير قراءة عبد الله ـ عطفٌ على ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾، ذكره الزهراوي[٣].

ثم أمر الله تعالى نبيَّه بأن يرُدَّ العلم إليه ردّاً على مقالهم، وتفنيداً لهم[٤].

قال الطبري: وقال بعضهم: لو كان ذلك خبراً من الله لم يكن لقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾ وجهٌ مفهومٌ[٥].

قال القاضي أبو محمد: أين ذُهِب بهذا القائل؟ وما الوجه المفهوم البارع إلَّا أن تكون الآية خبراً عن لبثهم، ثم قيل لمحمد ﷺ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾ فخبره[٦]، هذا هو الحق من عالم الغيب، فليزُل اختلافُكم أيُّها المتخرِّصون.

وقال المحققون: بل قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ﴾ الآية خبر من الله تعالى عن مدة لبثهم، ثم اختلف في معنى قوله بعد الإخبار: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾:

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٦).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٢٦)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٦٥).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في الأصل: «وتقييداً له».

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٩).

(٦) في المطبوع: «بخبره»، وفي نور العثمانية: «فخبر».

فقال الطبريُّ: إن بني إسرائيل اختلفوا فيما مضى لهم من المدة بعد الإعثار عليهم إلى مدة النبي ﷺ، فقال بعضهم: إنهم لبثوا ثلاث مئة سنة وتسع سنين، فأخبر الله تعالى نبيَّه أن هذه المدة في كونهم نياماً، وأن ما بعد ذلك مجهول للبشر، فأمره الله أن يُرُدَّ علم ذلك إليه[1].

فقوله على هذا التأويل: ﴿لَبِثُوا۟﴾ الأول يريد: في نوم الكهف، و﴿لَبِثُوا۟﴾ الثاني يريد: بعد الإعثار موتى إلى مدة محمد ﷺ، إلى وقت عدمهم بالبلى، على الاختلاف الذي سنذكره بعد.

وقال بعضهم: إنه لمَّا قال: ﴿وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ لم يَدْرِ الناسُ أهي ساعاتٌ أم أيَّام أم جُمَع أم شهور أم أعوام؟ واختلف بنو إسرائيل بحسب ذلك، فأمره الله برَدِّ العلم إليه، يريد: في التسع، فهي على هذا مبهمة.

وظاهر كلام العرب والمفهوم منه أنها أعوامٌ، والظاهر من أمرهم أنهم قاموا ودخلوا الكهف بعد عيسى بيسير، وقد بقيت من الحواريِّين بقية.

وحكى النقاش ما معناه أنهم لبثوا ثلاث مئة سنة شمسية بحساب الأُمم، فلما كان الإخبار هنا للنبي العربي ذكرت التِّسع؛ إذ المفهوم عنده من السنين القمرية، فهذه الزيادة هي ما بين الحسابين[2].

وقرأ الجمهور: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ بتنوين ﴿مِاْئَةٍ﴾ ونصب ﴿سِنِينَ﴾ على البدل من ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾، أو عطف البيان، وقيل: على التفسير والتمييز.

وقرأ حمزة، والكسائي، ويحيى، وطلحة، والأعمش بإضافة مِائَةِ إلى السِّنين وترْك التنوين[3]، وكأنهم جعلوا﴿سِنِينَ﴾ بمنزلة سَنَة؛ إذ المعنى بهما واحد، قال

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٩).

(٢) البحر المحيط (٧/ ١٦٤).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٩٠)، والتيسير (ص: ١٤٣)، وانظر قراءة الباقين في البحر المحيط (٧/ ١٦٤).

أبو علي: إذ هذه الأعداد التي تضاف في المشهور[١] إلى الآحاد نحو ثلاث مئة رجل وثوب قد تضاف إلى الجموع[٢].

وأنْحى أبو حاتم / على هذه القراءة[٣]. [٣/ ٢٠٣]

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (ثلاث مئة سنةٍ)، وقرأ الضحاك: (ثَلَاثَ مئةٍ سنون) بالواو[٤].

وقرأ أبو عمرو بخلاف: (تَسْعاً) بفتح التاء[٥]، وقرأ الجمهور: ﴿تِسۡعًا﴾ بكسر التاء.

وقوله: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ﴾؛ أي: ما أبصرَه وأسمعَه! قال قتادة: لا أحد أبصرُ من الله، ولا أسمعُ[٦].

وهذه عباراتٌ عن الإدراك، ويحتمل أن يكون المعنى: أبصِرْ به، أيْ: بوحيه وإرشاده هداك وحُججَك والحقَّ من الأمور، وأسمِعْ به العَالَمَ، فيكونان أمْرَيْن لا على وجه التعجب.

وقوله: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾ يحتمل أن يعود الضمير في ﴿لَهُم﴾ على أصحاب الكهف؛ أي: هذه قُدرتُه وحده، لم يُوَالِهِم غيرُه بتلَطُّف لهم، ولا اشترك معه أحد في هذا الحكم، ويحتمل أن يعود الضمير في ﴿لَهُم﴾ على معاصري رسول الله ﷺ من الكفار ومُشَاقِّيه، وتكون الآية اعتراضاً بتهديد.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣ والحمزوية: «الشهور».

(٢) الحجة للفارسي (٥/ ١٣٧).

(٣) نقله في البحر المحيط (٧/ ١٦٤)، قال: ولا يجوز له ذلك.

(٤) وهما شاذتان، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٧)، إلا أنه عزا الأولى لأبي، وعزاها في البحر المحيط (٧/ ١٦٤) لهما.

(٥) شاذة، وهي رواية اللؤلؤي عنه كما في الكامل للهذلي (ص: ٥٩١)، والحلواني كما في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٧).

(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٦٥٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٦).

وقرأ الجمهور: ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ بالياء من تحت، [الكاف مرفوعة][(١)] على معنى الخبر عن الله تعالى.

وقرأ ابن عامر[(٢)]، والحسن، وأبو رجاءٍ، وقتادة، والجحدري: ﴿ولا تشرِكْ﴾ بالتاء من فوق، على جهة النهي للنبي ﷺ، ويكون قوله: (ولا تُشرِكْ) عطفاً على: (أَبْصِرْ) و(أَسْمِعْ).

وقرأ مجاهد: (ولا يُشرِكْ) بالياء من تحت وبالجزم، قال يعقوب: لا أعرف وَجْهَهُ[(٣)].

وحكى الطبري عن الضحاك بن مزاحم أنه قال: نزلت هذه الآية ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾ فقط، قال الناس: أهِيَ أَشْهُرٌ أم أَيَّامٌ أم أَعْوامٌ؟ فنزلت ﴿سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾[(٤)].

وأما هل دام أهل الكهف وبقيت أشخاصهم محفوظة بعد الموت؟ فاختلفت الروايات في ذلك:

فروي عن ابن عباس أنه مرَّ بالشام في بعض غزواته مع ناسٍ على موضع الكهف وجبله، فمشى الناس إليه فوجدوا عظاماً، فقالوا: هذه عظام أصحاب الكهف، فقال لهم ابن عباس: لا[(٥)]، أولئك فنوا وعدموا منذ مدة طويلة، فسمعه راهب فقال: ما كنت أحسب أن أحداً من العرب يعرف هذا، فقيل له: هذا ابن عمِّ نبينا، فسكت[(٦)].

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من أحمد٣.

(٢) في أحمد٣: «ابن عباس»، وهو خطأ، فهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٣٩٠).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٧)، وقول يعقوب في البحر المحيط (٧/ ١٦٥).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٦٤٨)، وفي الأصل «هي» بلا همز.

(٥) زيادة من المطبوع والإماراتية١ ونجيبويه.

(٦) منقطع، أخرجه عبد الرزاق (١/ ٣٦٥-٣٦٦)، والطبري (١٥/ ٦٢٨-٦٢٩) في تفسيرهما، وفي تاريخه (٢/ ٩-١٠) من طريق معمر بن راشد، عن قتادة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة لم يسمع من ابن عباس.

وروت فرقة: أن رسول الله ﷺ قال: «لَيَحُجَّن عيسى بن مريم ومعه أصحاب الكهف فإنهم لم يحجوا بعد»[١].

قال القاضي أبو محمد: وبالشَّام على ما سمعتُ من ناس كثير كهف كان فيه موتى يزعم مجاوروه أنهم أصحاب الكهف، وعليه مسجد وبناءٌ يُسَمَّى الرَّقيم، ومعهم كلب رمة، وبالأندلس في جهة غرناطة بقرب قرية تُسَمَّى لوشة كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة، وأكثرهم قد انجرد لحْمُه، وبعضهم متماسكٌ، وقد مضت القرون السالفة ولم نجد مِن علم شأنهم أَثَارةً، ويزعم ناسٌ أنهم أصحاب الكهف، دخلت إليهم فرأيتهم سنة أربع وخمس مئة وهم بهذه الحالة، وعليهم مسجد، وقريب منهم بناءٌ رومي يسمَّى الرَّقيم، [كأنه قصر محلق قد بقي بعض جدرانه، وهو في فلاة من الأرض حزنة، وبأعلى حضرة غرناطة][٢] مما يلي القبلة، آثار مدينة قديمة رومية يقال لها: مدينة دقيوس، وجدنا في آثارها غرائب في قبور ونحوها.

قال القاضي أبو محمد: وإنما استسهلت ذكر هذا مع بُعْده؛ لأنه عجب يتخلد ذكره ما شاء الله عزَّ وجلَّ.

قوله: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ﴾ الآية، من قرأ: ﴿ولا تُشْرِكْ﴾ بالنهي عطف قوله: ﴿وَٱتۡلُ﴾ عليه، ومن قرأ: ﴿وَلَا يُشۡرِكُ﴾ جعل هذا أمراً بُدِئ به كلام آخر ليس من الأول.

وكأن هذه الآية في معنى الإعتاب للنبي ﷺ عقب العتاب الذي كان على تركه الاستثناء، كأنه يقول: هذه أجوبة الأسئلة، فاتْل وحْيَ الله إليك، أي: اتبع في أعمالك، وقيل: اسْرُد بتلاوتك ما أُوحي إليك من كتاب ربك، لا نقض[٣] في قوله، ولا مبدل لكلماته، وليس لك سواه جانب تميل إليه وتستند.

---

(١) لم أهتد إليه.

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) في المطبوع ونور العثمانية: «نقص».

و«الـمُلْتَحَدُ»: الجانب الذي يُمال إليه، ومنه اللَّحْدُ، كأنه الميْلُ في أحد شقَّي القبر، ومنه: الإلحادُ في الحق، هو الميل عن الحق، ولا يفسد قوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ أمر النسخ؛ لأن المعنى إمَّا أن يكون: لا مُبَدِّلَ سواهُ فتبقى الكلماتُ على الإطلاق، وإما أن يكون أراد من الكلمات الخَبَر ونحوه مما لا يدخله النسخ(١).

والإجماع أن الذي لا يتبدل هو الكلام القائم بالذات الذي بِحَسبه يجري القدر، فأما الكتب المنزلة فمذهب ابن عباس أنها لا تبدَّل إلَّا بالتأويل(٢).

[ومن العلماء من يقول: إن بني إسرائيل بدَّلوا ألفاظ التوراة](٣).

قوله عز وجل: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾.

سبب هذه الآية أن عظماء الكفار ـ قيل: من أهل مكة، وقيل: عُيَيْنَة بن حصن وأصحابه، والأول أصوب؛ لأن السورة مكية ـ قالوا لرسول الله ﷺ: لو أبعدتَ هؤلاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك، يريدون: عمَّار بن ياسر، وصهيب بن سنان، وسلمان الفارسي، وابن مسعود، وغيرهم من الفقراء كبلال ونحوه، وقالوا: إن ريح جِبَابهم تؤذينا، فنزلت الآية بسبب ذلك(٤).

---

(١) انظر عدم دخول النسخ في الخبر في: البحر المحيط للزركشي (٣/ ١٧٦).
(٢) لم أقف عليه.
(٣) ليس في الأصل.
(٤) أخرج مسلم (٢٤١٣) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه، وفيه قالوا: اطرد هؤلاء لا يجترؤون علينا... لكن وقع فيه: فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وروي: أن رسول الله ﷺ خرج إليهم، وجلس بينهم، وقال: «الحمد لله الذي جعل من أُمتي مَن أُمِرتُ أن أصبرَ نفسي معَه»[(١)].

وروي أنه قال لهم: «رُحباً[(٢)] بالذين عاتبني فيهم ربي»[(٣)].

[٣/ ٢٠٤] وروى سلمان أن المؤلفةَ / قلوبُهم عُيَيْنَة بن حصن، والأقرع بن حابس، وذويهم قالوا ما ذُكر، فنزلت الآية في ذلك[(٤)]، فالآية على هذا مدنية، ويُشبه أن تكون الآية مكية، وفَعَل المؤلفةُ فعل قريش فردَّ عليهم[(٥)].

---

(١) في إسناديه مقال، أخرج ابن منده في معرفة الصحابة، وابن قانع في معجم الصحابة كما في الإصابة (٥/ ٣٨)، والطبري (١٥/ ٢٣٩) ط التركي، وسقط من ط شاكر، من طريق أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبي حازم، عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض أبياته ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ فخرج يلتمس، فوجد قوماً يذكرون الله، منهم ثائر الرأس، وجافّ الجلد، وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم، فقال: «الحمد لله الذي جعل لي في أمَّتي من أمرني أن أصبر نفسي معه»، وأسامة بن زيد بن أسلم ضعيف من قبل حفظه كما في التقريب (٣١٥).
وعبد الرحمن بن سهل بن حنيف ذكره ابن أبي داود، وابن قانع في الصحابة، ولا تصح صحبته، وقال في الإصابة (٥/ ٣٨): لا يبعد أن يكون له رؤية وإن لم يكن له صحبة. اهـ.
وله شاهد مرسل أخرجه عبد الرزاق (١/ ٤٠١) عن معمر، والطبري (١٥/ ٢٤٠) من طريق سعيد ابن أبي عروبة كلاهما عن قتادة قال: ذُكر لنا أنه لما نزلت هذه الآية، قال نبيّ الله ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمَّتي من أمرت أن أصبر نفسي معه».

(٢) في المطبوع: «مرحباً»، وأشار لها في هامش أحمد٣.

(٣) لم أهتد إليه بهذا اللفظ، ولكن ورد قريب من هذا اللفظ في قصة عبد الله بن أم مكتوم كما سيأتي في سورة عبس.

(٤) منكر، أخرجه الطبري (١٨/ ٧-٨)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٢٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٤٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٩٤) من طريق الوليد بن عبد الملك الحراني، عن سليمان بن عطاء، عن مسلمة بن عبد الله الجهني، عن عمه أبي مشجعة بن ربعي، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، وسليمان بن عطاء الحراني منكر الحديث، قال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال البخاري: في حديثه بعض المناكير، وقال ابن حبان: يروي عن مسلمة، عن عمه أشياء موضوعة، فالتخليط منه أو من مسلمة، انظر: الميزان (٣٤٩٣).

(٥) زيادة من المطبوع.

و(اصْبِرْ) معناه: احْبِس، ومنه المصبورة التي جاء فيها الحديث: نهى رسول الله ﷺ عن صبر الحيوان[١]؛ أي: حبسه للرَّمي ونحوه.

وقرأ الجمهور: ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾، وقرأ ابن عامر[٢]: ﴿بِالْغُدْوَةِ﴾، وهي قراءة نصر ابن عاصم، ومالك بن دينار، وأبي عبد الرحمن، والحسن[٣]، وهي في الخَطِّ على القراءَتين بالواو، فمن يقرؤها ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ يكتبها (بِالْغُدْوة) كما تكتب (الصَّلوةُ) و(الزَّكوةُ)، وفي قراءة من قرأ: ﴿بِالْغُدْوة﴾ ضعف؛ لأن غُدْوة اسم معرَّف، فحقُّه ألا يدخل عليه الألف واللام.

ووجه القراءة بذلك أنهم ألحقوها ضرباً من التنكير؛ إذ قالوا: جئتُ[٤] غُدْوةً، يريدون: من الغَدَوات، فَحَسُن دخول الألف واللام، كقولهم: الفَيْنَة، وفَيْنَةُ اسم مُعَرَّف.

والإشارة بقوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ إلى الصلوات الخمس، قاله ابن عمر[٥]، ومجاهد، وإبراهيم، وقال قتادة: المراد صلاة الفجر وصلاة العصر[٦].

قال القاضي أبو محمد: ويدخل في الآية من يدعو في غير صلاة، ومن يجتمع لمذاكرة علم، وقد روي عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَذِكْر الله بالغداة والعشي أفضل من حطْم السيوف في سبيل الله، ومن إعطاء المال سَحّاً»[٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥١٣)، ومسلم (١٩٥٦).

(٢) في المطبوع: «ابن عباس رضي الله عنه»، ولعله خطأ، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٣٩٠)، والباقين في البحر المحيط (٤/ ٥٢١).

(٣) انظر قراءة من ذكر مع ابن عامر في البحر المحيط (٤/ ٥٢١) وزاد أبا رجاء العطاردي.

(٤) غير واضحة في الأصل.

(٥) إسناده لين، أخرجه الطبري (٩/ ٢٥٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٣٤١) من طريق سعيد بن أبي مريم، عن يحيى بن أيوب الغافقي، عن محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنه، بنحوه. ويحيى بن أيوب الغافقي ومحمد بن عجلان فيهما لين.

(٦) انظر القولين في الهداية لمكي(٣/ ٢٠٣٥)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٩٨)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٦٦).

(٧) لا يصح مرفوعاً، وروي موقوفاً بسند ضعيف، أخرجه الحسين المروزي في زوائده على زهد =

وقرأ أبو عبد الرحمن: (بِالْغُدُوِّ) دون هاءٍ.

وقرأ ابن أبي عبلة: (بالغَدَوَاتِ والعَشِيات) على الجمع[١].

وقوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾؛ أي: لا تتجاوز عنهم[٢] إلى أبناء الدنيا والملابس من الكفار.

وقرأ الحسن: (ولا تُعَدِّ عينيك) بضم التاء وفتح العين وشدّ الدال المكسورة؛ أي: لا تُجاوِزْها أنت عنهم، ورُوي عنه: (ولا تُعْدِ عينيك) بضم التاء وسكون العين[٣].

وقوله: ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا﴾، قيل: إنه أراد بذلك مُعَيَّناً وهو عُيَيْنَة بن حصن، والأقرع، قاله خبَّاب[٤]، وقيل: إنما أراد مَن هذه صفته، وإنما المراد أوَّلًا كفار قريش؛ لأن الآية مكية.

وقرأ الجمهور: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ بنصب الباء، على معنى: جعلناه غافلاً.

= ابن المبارك (١١١٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٠٦٩-٣٦١٩٥)، والخطيب في المتفق والمفترق (٢/ ١١٢) من طريق هشيم، عن يعلى بن عطاء، عن بشر بن عاصم الطائفي، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه موقوفاً عليه، وهشيم مدلس، وبشر مجهول، وقد رُوي مرفوعاً ولا يصح كما أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٧٦)، والديلمي في مسند الفردوس من طريق الحسن بن علي العدوي، عن خراش، قال حدثنا مولاي أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لذكر الله بالغداة والعشي خيرٌ من حَطْم السيوف في سبيل الله»، وخراش مجهول، والحسن بن علي العدوي كذاب كما قاله محمد بن طاهر المقدسي في ذخيرة الحفاظ (٤٤٣٧).

(١) وهما شاذتان كما تقدم في الأنعام، وانظر البحر المحيط (٤/ ٥٢١).

(٢) ليست في المطبوع، وكذا لفظ «عينيك» في القراءتين بعد.

(٣) في أحمد٣ زيادة: «وكسر الدال»، وهما شاذتان، التخفيف في المحتسب (٢/ ٢٧)، والتشديد في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٦٥)، والوجهان في مختصر الشواذ (ص: ٨٢)، ويحتملهما الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٧).

(٤) فيه لين، أخرجه البزار (٢١٢٩)، وأبو يعلى كما في المطالب (٣٩٧٧)، والطبري (١٨/ ٨) عن الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، وأخرجه ابن ماجه (٤١٢٧)، وابن أبي حاتم (٧٣٣١-٧٣٤٦) من طريق عمرو بن محمد العنقزي، عن أسباط، عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي، عن أبي الكنود، عن خباب، فذكره بلفظ مطوَّل، وسيأتي الكلام عليه في الأثر القادم.

وقرأ عمرو بن فائد، وموسى الأسواري: (أَغْفَلَنا قلبُه) على معنى: أهملَ ذكْرَنا وتركَه، قال ابن جِنِّي: المعنى: مَن ظَنَّنَا غافلين عنه، وذكر أبو عمرو الداني: أنها قراءة عمرو بن عبيد[١].

و«الْفُرُط» يحتمل أن يكون بمعنى التفريط والتَّضْييع؛ أي: أمره الذي يجب أن يلتزم، ويحتمل أن يكون بمعنى الإفراط والإسراف؛ أي: أمْرهُ وهواه الذي هو بسبيله، وقد فسَّر المتأولون بالعبارتين؛ أعني: التَّضْييع، والإسراف.

وعبَّر عنه خبَّاب بالهلاك[٢]، وداودُ بالندامة، وابن زيد بالخلاف للحق.

وهذا كله تفسير بالمعنى.

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ ﴾ الآية، المعنى: وقل لهم يا محمد: هذا الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ، أي: هذا القرآن، أو هذا الإعراض عنكم، وتَرْكُ الطاعة لكم، وصَبْرُ النفس مع المؤمنين.

---

(١) وهي شاذة، عزاها لابن فائد في مختصر الشواذ (ص: ٨٣)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٨٧)، والمحتسب (٢/ ٢٨) مع التوجيه، وللثلاثة في البحر المحيط (٧/ ١٦٨)، ولعل ذكر موسى هنا خطأ، فالأسواري هو عمرو بن فائد كما تقدم في البقرة، وموسى الأسواري لم أجده.

(٢) من حديث طويل غريب، هذا اللفظ جزء من حديث طويل أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣١٨٥)، وفي مسنده (٤٧٧)، وابن ماجه (٤١٢٧)، والبزار في مسنده (٢١٢٩)، والطبري (٩/ ٢٦٠-٢٦١)، وابن أبي حاتم (٧٣٣١-٧٣٤٤) في تفسيرهما، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٣٣٩-٣٤٠)، والطبراني في الكبير (٣٦٩٣)، والآجري في أخلاق حملة القرآن (٤٧) من طرق عن أسباط بن نصر، عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي، عن أبي الكنود، عن خباب بن الأرت فذكره بلفظ مطول، وأسباط ابن نصر الهمداني صدوق كثير الخطأ يُغرِب، وأبو سعد الأزدي الكوفي، ويقال: أبو سعيد، مجهول، وأبو الكنود الأزدي الكوفي عبد الله بن عامر كذلك، فالأثر على هذا ضعيف جداً، وقد استغربه ابن كثير فقال: وهذا حديث غريب، فإن هذه الآية مكية، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر. اهـ. انظر: التفسير (٣/ ٢٦٠)، وقد أخرجه الخطيب البغدادي في الأسماء المبهمة (ص: ١٩٦) من طريق حسين بن يحيى بن عياش القطان، عن أحمد بن محمد بن يحيى بن سعد الأزدي، عن أبي الكنود به، بنحوه، انظر قول ابن زيد وداود في تفسير الطبري (١٨/ ٩).

وقرأ قَعْنَب أبو السَّمَّال: (وَقُلَ) بفتح اللام، قال أبو حاتم: وذلك رديءٌ في العربية[١].

وقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن﴾ الآية، تَوَعُّدٌ وتهديد؛ أي: فلْيَخْتر كلُّ امرئٍ لنفسه ما يجده غداً عند الله عزَّ وجلَّ.

وتأولت فرقة: فمن شاء الله إيمانَهُ فلْيُؤْمِنْ، ومَنْ شاءَ كفْرَهُ فلْيَكْفُر، وهو متوجه؛ أي: فحقُّه الإيمان، وحقُّه الكفر، ثم عبَّر عن ذلك بلفظ[٢] الأمر إلزاماً وتحريضاً، ومن حيث للإنسان في ذلك التَّكَسُّبُ الذي به يتعلق ثواب الإيمان وعقاب الكفر.

وقرأ الحسن، وعيسى الثقفي: (فلِيؤمِنْ)، و(لِيكفُرْ) بكسر اللامين[٣].

و﴿أَعْتَدْنَا﴾: مأخوذ من العتاد، وهو الشيءُ الـمُعَدُّ الحاضر.

و«السُّرَادِقُ»: هو الجدار المحيط كالحجرة[٤] التي تدور وتحيط بالفسطاط، قد تكون من نوع الفسطاط أديماً أو ثوباً أو نحوه، ومنه قول رُؤْبة:

[الرجز] يَـا حَكَـمَ بْـنَ الْمُنْـذِرِ بنَ الْجَـارُودْ ... سُـرَادِقُ الْمَجْـدِ عَلَيْكَ مَمْـدُودْ[٥]

ومنه قول سلامة بن جندل:

[الطويل] هُـوَ الْـمُولِـجُ النُّعْمَـانَ بَيْتاً سَـمَاؤُهُ ... صُدُورُ الْفُيُولِ بَعْدَ بَيْت مُسَـرْدَقِ[٦]

---

(١) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ٨٣)، في أحمد٣ والحمزوية: «السماك»، وانظر قول أبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ١٦٩).

(٢) في المطبوع: «بلغة».

(٣) على قاعدتهما التي تقدمت مراراً، وانظر: البحر المحيط (٧/ ١٦٩).

(٤) في المطبوع: «كالحجارة».

(٥) عزاه له في مجاز القرآن (١/ ٣٩٨)، وتفسير الطبري (١٨/ ١٠)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٤٩٦)، وعزاه للكذاب الحرمازي في الشعر والشعراء (٢/ ٦٧٣)، وأنساب الأشراف (٤/ ٢١٦)، وتاريخ دمشق (٥٦/ ٥٠٣) قال: واسمه: عبد الله بن الأعور بن قراد.

(٦) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٩٩)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٦٧)، وأنساب الأشراف (٤/ ١٩٨)، وتفسير الطبري (١٨/ ١١).

وقال الزجاج: السُّرادق: كلُّ ما أحاط بشيء[١].

قال القاضي أبو محمد: وهو عندي أخصُّ مما قال الزجاج.

واختُلف في سرادق النار: فقال ابن عباس: سُرَادقها حائط من نار[٢]، وقالت فرقة: سُرادِقُها دخان محيط بالكفار، وهو قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ [المرسلات: ٣٠].

وقالت فرقة: الإحاطة هي في الدنيا، والسرادق: البحر، ورُوي هذا المعنى عن النبي ﷺ من طريق يَعْلَى بن أُميَّة، فيجيءُ قوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ﴾؛ أي: بالبشر، ذكر الطبريُّ الحديث عن يَعْلَى، قال: قال رسول الله ﷺ: «البحرُ هو[٣] جهنَّمُ»، وتلا هذه الآية، ثم قال: «والله لا أدخلُه أبداً، أو ما دمْتُ حيّاً»[٤].

وروي عنه أيضاً ﷺ من طريق أبي سعيد الخدري أنه قال: «لسُرادق النَّارِ أربعةُ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١١) من طريق ابن جريج، قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما فذكره، وهو منقطع.

(٣) ليست في نور العثمانية، وفي الأصل: «هي».

(٤) ضعيف غريب، أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٣)، والبخاري معلقاً في التاريخ الكبير (١/ ٧٠)، ويعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٨)، والطبري (١٨/ ١٢)، وابن قانع في معجم الصحابة (٣/ ٢١٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٩٥)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٣٤)، وفي البعث والنشور (٤٣٥-٤٣٦)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ٤٢٥) من طريق أبي عاصم النبيل، عن عبد الله بن أبي أمية، عن محمد بن حيي، عن صفوان بن يعلى، عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «البحر هو جهنم». قالوا ليعلى فقال: ألا ترون أن الله عز وجل يقول: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ قال: لا والذي نفس يعلى بيده لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله عز وجل، ولا يصيبني منها قطرة حتى ألقى الله عز وجل، وهذا إسناد ضعيف؛ لأن محمد بن حيي مجهول، وعبد الله بن أبي أمية لم يرو عنه غير أبي عاصم، قال ابن كثير: هذا تفسير غريب، وحديث غريب جداً، والله أعلم. اهـ. من التفسير (٦/ ٢٨٩)، وقد سقط من إسناد الحاكم محمد بن حيي، وسقط من إسناد البيهقي في السنن، وفي البعث عبد الله ابن أبي أمية، وفي معجم الصحابة: عن أبي عاصم، عن عبد الله بن أمية، عن رجل، عن صفوان به.

جُدُرٍ[(١)] كُثُف، عرض كل جدارٍ مسيرة أربعين سنة»[(٢)].

وقوله عز وجل: ﴿يُغَاثُواْ﴾؛ أي: يكون لهم مقام الغَوث، وهذا نحو قول الشاعر:

[الوافر] .... تَحِيَّـةُ بَيْنِهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِيـعُ[(٣)]

أي: القائم مقام التحية.

و«المُهْل»، قال أبو سعيد عن النبي ﷺ: «هو دُرْدي[(٤)] الزيت إذا انتهى حدُّه»[(٥)].

وقالت فرقة: هو كل مائع سَخُنَ حتى انتهى حرُّه، وقال ابن مسعود وغيره: كل ما أُذيب من ذهب أو فضة أو رصاص أو نحو هذا من الفِلِزِّ[(٦)] حتى يميع[(٧)].

---

(١) في الأصل: «جدور»، وفيه: «سرادق»، دون لام قبلها.

(٢) ضعيف، أخرجه أحمد (٣/ ٢٩)، وابن المبارك في الزهد كما في زيادات نعيم بن حماد (٣١٦)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٦)، والترمذي (٢٥٨٤)، وأبو يعلى في مسنده (١٣٨٩)، والطبري (١٨/ ١٢)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٦٠٠-٦٠١)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩٣٦) من طرق عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد به، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السمح ـ في روايته عن أبي الهيثم، وهو سليمان بن عمرو العتواري.

(٣) هذا عجز بيت لعمرو بن معدي كرب، وتمامه: وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ، وقد تقدم الاستشهاد به مراراً.

(٤) الدُّرْدِي: ما رسب أسفل العَسَل والزيت ونحوهما من كل شيء مائع كالأشربة والأدهان.

(٥) بهذا اللفظ لم أقف عليه من قول أبي سعيد الخدري، وإنما ورد هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره، والذي جاء عن أبي سعيد الخدري كما أخرجه أحمد (٣/ ٧٠)، وابن المبارك في الزهد (٣١٦) كما في زيادات نعيم بن حماد، وعبد بن حميد في مسنده (٩٣٠)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٧٧)، والترمذي (٢٥٨١-٢٥٨٤)، وأبو يعلى في مسنده (١٣٧٥)، والطبري (١٨/ ١٢)، وابن حبان (٧٤٧٣)، والطبراني في الأوسط (٣١٣٧)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٥٠١-٤/ ٦٠٣)، والبيهقي في البعث (٥٣٥) من طرق عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ﴿كَالْمُهْلِ﴾ قال: كعكر الزيت إذا قربت إليه سقطت فروة وجهه فيه، وهذا إسناد ضعيف كما سبق.

(٦) في نجيبويه: «الفلذ»، وفي نور العثمانية: «الكفر»، وفي الإماراتية: «القطر» مع الإشارة للمثبت في الهامش.

(٧) في المطبوع ونجيبويه والإماراتية١: «تَمَيَّع».

وروي: أن عبد الله بن مسعود أُهديت إليه سِقاية من ذهب أو فضة فأمر بها فأُذيبت حتى تميَّعت وتلَوَّنت ألواناً، ثم دعا مَنْ ببابه من أهل الكوفة فقال: ما رأيت في الدنيا شيئاً أدنى شبهاً بالـمُهْل من هذا[١]، يريد: أدنى شبهاً بشراب أهل النار.

وقالت فرقة: الـمُهْلُ: الصديد والدم إذا اختلطا، ومنه قول أبي بكر الصدِّيق في الكفن: إنما هو للمُهْلةِ[٢]، يريد: لما يسيل من الميت في قبره، ويقوى هذا بقوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٦] الآية.

وقوله: ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ رُوي في معناه عن / النبي ﷺ أنه قال: «تُقَـرَّبُ الشَّرْبَةُ من الكافر، فإذا دَنَت تَكَرَّهَها، فإذا دنت أكثر شوَتْ وجهَه، وسقطت فيها فروةُ وجهه، وإذا شرب تقطَّعت أمعاؤُه»[٣]. [٣/ ٢٠٥]

و«الـمُرْتَفَقُ»: الشيء الذي يُرْتَفَق به؛ أي: يطلب رفقه، والـمُرْتَفَق الذي هو الـمُتَّكَأُ

---

(١) منقطع، أخرجه عبد الرزاق (١/ ٤٠٢)، والطبري (١٨/ ١٢-١٣) في تفسيرهما من طريق قتادة قال: ذُكر لنا أن ابن مسعود أهديت إليه سِقاية من ذهب وفضة...به.

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (١٣٨٧).

(٣) غريب وفي إسناده من لا يعرف، أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٥)، وعبد الله ابنه في زوائده على الزهد (ص٢٠)، وابن المبارك في الزهد ـ زوائد نعيم بن حماد (٣١٤)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٧٤)، والترمذي (٢٥٨٣)، والنسائي في الكبرى (١١١٩٩)، والطبري (١٣/ ٦٢٠-٦٢١- ١٥/ ٢٥١)، وابن أبي حاتم (١٣٠٨٥) في تفسيرهما، والطبراني في الكبير (٧٤٦٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٢-٣٦٩-٤٥٨)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٣٤) من طريق عبد الله ابن المبارك، عن صفوان بن عمرو، عن عبيد الله بن بسر، عن أبي أمامة به مرفوعاً، وعبيد الله بن بسر قد اختلف في تعيينه، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وهكذا قال محمد بن إسماعيل: عن عبيد الله بن بسر، ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث، وقد روى صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ غير هذا الحديث، وعبد الله بن بسر له أخ قد سمع من النبي ﷺ وأخته قد سمعت من النبي ﷺ وعبيد الله بن بسر الذي روى عنه صفوان بن عمرو هذا الحديث رجل آخر ليس بصاحب. اهـ. وفي رواية الطبري والطبراني والحاكم والبيهقي تصحف عبيد الله ابن بسر لعبد الله ابن بسر، وفي الزهد لأحمد: عبد الله بن بشير.

أخصُّ من هذا الذي في الآية؛ لأنه في شيء واحد من معنى الرِّفق، على أن الطبريَّ فسَّر الآية به، والأظهر عندي أن يكون الـمُرْتَفَق بمعنى: الشيء الذي يطلب رفقه بِاتِّـكَاءٍ وغيره.

وقال مجاهد: المرتفق: المجتمع، كأنه ذهب بها إلى موضع الرِّفاقة، ومنه الرفقة، وهذا كلُّه راجع إلى الرِّفق.

وأنكر الطبري أن يعرف لقول مجاهد معنى(١)، والقول بيِّن الوجه، والله المعين.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ اعتراضٌ مُؤَكِّد للمعنى، مذكِّر بأفضال الله، مُنَبِّه على حُسْن جزائه، بيْن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، فقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ ابتداءٌ وخبرٌ، جملةٌ هي خبر ﴿إِنَّ﴾ الأولى، ونحو هذا من الاعتراض قول الشاعر:

إِنَّ الْخَلِيفَةَ، إِنَّ اللَّهَ أَلْبَسَهُ ... سِرْبَالَ مُلْكٍ، بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ(٢) [البسيط]

قال الزجاج: ويجوز أن يكون خبر (إن) في قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾؛ لأن المحسنين هم المؤمنون، فكأن المعنى: لا نضيع أجرهم(٣).

قال القاضي أبو محمد: ومذهب سيبويه أن الخبر في قوله: ﴿لَا نُضِيعُ﴾ على حذف العائد، تقديره: مَن أحسن عملاً منهم.

---

(١) انظر قولي الطبري ونقله عن مجاهد في تفسير الطبري (١٨/ ١٦).

(٢) البيت لجرير كما في الكشاف للزمخشري (٣/ ١٤٩)، والبحر المحيط (٦/ ٣٣٣)، واللباب (١٤/ ٤١)، ومفاتيح الغيب (٢٣/ ١٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٨٣).

و«العَدْنُ»: الإقامة، ومنه الـمَعْدِنُ؛ لأن حَجَرَهُ مقيمٌ فيه ثابت.

وقوله: ﴿مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ يريد: تحت غُرَفهم ومبانيهم.

وقرأ الجمهور: ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾.

وروى أبان عن عاصم: (مِنْ أَسْوِرَة) من غير ألف وبزيادة هاءٍ[١].

وواحد الأساور: إسوارٌ حذفت الياءُ من الجمع؛ لأن الباب: أساوير، وهي ما كان في الذراع من الحلي، وقيل: أساور جمع أَسْوِرَةٍ، وأَسْوِرَةٌ جمع سِوَار، وإنما الإِسْوَارُ بالفارسية القائد ونحوه، ويقالُ في حُلِيِّ الذراع: إِسْوَارٌ، ذكره أبو عبيدة معمر ابن المثنى[٢]، ومنه قول الشاعر:

[الرجز]

والـلَّـهِ لَـوْلَا صِـبْـيَـةٌ صِـغَـارُ كَـأَنَّـمَـا وُجُـوهُـهُـمْ أَقْـمَـارُ
تَـضُـمُّـهُـمْ مـن الْـعَـتِـيـكِ دَارُ أَخَـافُ أَنْ يُـصِـيبَـهُـمْ إِقْـتَـارُ
أَوْ لاطِـمٌ لَـيْـسَ لَـهُ إِسْـوَارُ لَـمَـا رَآنِـي مَـلِـكٌ جَـبَّـارُ
بِـبَـابِـهِ مَـا وَضَـحَ الـنَّـهَـار

أنشده أبو بكر بن الأنباري حاشيةً في كتاب أبي عبيدة[٣].

و«السُّنْدُسُ»: رقيق الديباج، و«الإِسْتَبْـرَقُ»: ما غلظ منه، وقال بعض الناس: هي لفظة أعجمية عربت، وأصلها: استبره، وقال بعضهم: بل هو الفعل العربي سُمِّي به، فهو استبرق، من البريق، فغُيِّر[٤] حين سُمِّي به بقطع الألف.

ويُقَوِّي هذا القول أن ابن محيصن قرأ: (من سندس واستبرق)، فجاء به موصول

---

(١) وهي هنا شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٨).

(٢) «بن المثنى» زيادة من أحمد٣، وانظر مجاز القرآن (١/ ٤٠١).

(٣) الزاهر لابن الأنباري (٢/ ١٥٨)، بلا نسبة، ونسبها ابن أبي الدنيا في النفقة على العيال لرجل من العتيك (١/ ٣٣٧).

(٤) في المطبوع ونور العثمانية: «فعبر»، وفي أحمد ٣: «فغبر».

الهمزة حيث وقع، ولا يَجُرُّه بل يفتح القاف، ذكره الأهوازي[١]، وذكره أبو الفتح، وقال: هذا سهْوٌ أو كالسَّهْو[٢].

و﴿ٱلۡأَرَآئِكِ﴾: جمع أريكة، وهو السرير في الحِجَال[٣].

والضمير في قوله: ﴿وَحَسُنَتۡ﴾ للجنات.

وحكى النقاش عن أبي عمران الجوني أنه قال: الإستبرق: الحرير المنسوج بالذهب[٤].

وحكى مكي والزهراوي وغيرهما حديثاً مُضَمَّنه أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية نزلت في[٥] أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، سأل أعرابي رسول الله ﷺ عن الآية، فقال النبي ﷺ للأعرابي: «أَعْلِمْ قومك أنها نزلت في هؤلاء الأربعة»، قال[٦]: وهم حضور[٧].

قوله عز وجل: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾﴾.

الضمير في ﴿لَهُم﴾ عائد على الطائفة المتجبرة[٨] التي أرادت من النبي ﷺ أن يطرد فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، وعلى أولئك الداعين أيضاً،

---

(١) في المطبوع: «الأسواري».

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها في مختصر الشواذ (ص: ٨٢)، والمحتسب (٢/ ٢٩)، مع ما نقل عنه، وقول الأهوزاي لم أقف عليه.

(٣) في الأصل: «الحجال».

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ١٧).

(٥) في أحمد٣ زيادة: «الخلفاء».

(٦) من نجيبويه.

(٧) لم أهتد إليه، وانظر: الهداية لمكي (٦/ ٤٣٧٤).

(٨) في المطبوع: «المتحيرة».

فالمثل مضروب للطائفتين؛ إذ الرجل الكافر صاحب الجنَّتين هو بإزاء متجبِّري قريش، أو بني تميم، على الخلاف المذكور أولاً، والرجل المؤمن المقر بالربوبية هو بإزاء بلالٍ وعمَّارٍ وصُهَيْب وأقرانهم.

و(حففناهما) بمعنى: جعلنا ذلك لها من كل جهة، تقول: حفَّك الله بخير؛ أي: عمَّك به من جميع جهاتك، و«الحِفاف»: الجانب من السرير والفدان[١] ونحوه.

وظاهر هذا المثل أنه بأمر وقع وكان موجوداً، وعلى هذا فسَّره أكثر أهل هذا[٢] التأويل.

ويحتمل أن يكون المثل[٣] مضروباً بمن هذه صفته وإن لم يقع ذلك في وجودٍ قط، والأول أظهر.

ورُوي في ذلك أنهما كانا أخويْن من بني إسرائيل ورثا أربعة آلاف دينار، فصنع أحدهما بماله ما ذكر، واشترى عبيداً وتزَوَّج وأثرى، وأنفق الآخر ماله في طاعات الله عز وجل حتى افتقر، والتقيا ففخر الغني ووبَّخ المؤمن، فجرت بينهما هذه المحاورة.

ورُوي: أنهما كانا شريكين حدَّادين، كسبا مالاً، كثيراً وصنعا نحو ما رُوي في أمر الأخوين، فكان من أمرهما ما قصَّ الله في كتابه[٤].

وذكر إبراهيم ابن القاسم الكاتب[٥] في كتابه «في عجائب البلاد»: أن بحيرة تِنِّيس[٦] كانت ما بين هاتين الجنتين، وكانت للأخوين، فباع أحدهما نصيبه من الآخر،

(١) ليست في والمطبوع.
(٢) ليست في نور العثمانية والمطبوع ونجيبويه.
(٣) من المطبوع والإماراتية١ وأحمد٣.
(٤) تفسير الثعلبي (٦/ ١٧٠-١٧١).
(٥) إبراهيم بن القاسم يعرف بالرقيق القيرواني، فاضل أديب له تصانيف كثيرة كان حيا في سنة (٣٩٠هـ)، معجم الأدباء (١/ ٩٧).
(٦) تنيس بكسرتين وتشديد النون، والسين مهملة: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر بين الفرما ودمياط، معجم البلدان (٢/ ٥١).

وأنفق في طاعة الله حتى عيَّره الآخر، فجرت بينهما هذه المحاورة، فغَرَّقها اللَّهُ في ليلة، وإيَّاها عنى بهذه الآية[١].

وفي بسط قصصهما طول فاختصرته واقتصرت على معناه لقلَّة صحته، ولأن في هذا ما يفي / بفهم الآية. [٣/ ٢٠٦]

وتأمل هذه الهيئة التي ذكر الله، فإن المرء لا يكاد يتخيل أجمل[٢] منها في مكاسب الناس: جنَّتا عنب أحاط بها[٣] نَخْلٌ، بينهما فسحة هي مزدرعٌ لجميع الحبوب، والماءُ الغَيْلُ[٤] يسقي جميع ذلك من النهر الذي قد جمَّل هذا المنظر، وعظَّم النفع، وقرَّب الكد، وأغنى عن النواضح وغيرها.

وقرأ الجمهور: ﴿كِلْتَا﴾، وفي مصحف عبد الله: (كِلا)[٥].

والتاءُ في ﴿كِلْتَا﴾ منقلبة عن واو عند سيبويه[٦]، وهو بالتَّاءِ أو بغير التَّاء اسم مفرد واقع على الشيء الـمُثنَّى، وليس باسمٍ مُثَنَّى، ومعناه: كل واحدة منهما.

و«الأُكُلُ»: ثمرها الذي يُؤكل منها.

قال الفراءُ: وفي قراءة ابن مسعود: (كلُّ الجَنَّتَيْن أَتَى أُكله)[٧].

وقوله: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لم تنقص عن العرف [الأتم الذي يشبه فيها][٨].

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٤٠١)، والبحر المحيط (٧/ ١٧٤).

(٢) في المطبوع: «أجلَّ».

(٣) في أحمد٣: «بهما».

(٤) في أحمد٣: «الماء العد»، (الغَيْل): الماءُ الجاري على وجه الأرض، وفي البحر المحيط: «والماءُ المعين».

(٥) وهي شاذة، انظر: الهداية لمكي (٦/ ٤٣٨٠).

(٦) الكتاب لسيبويه (٣/ ٣٦٣).

(٧) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٤٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٩٤).

(٨) ليس في المطبوع.

ومنه قول الشاعر:

تَظَلَّمَنِـي مالـي كذا وَلَـوَى يَدِي لَـوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذي هُـو غَالِبُه[١] [الطويل]

وقرأ الجمهور: ﴿وَفَجَّرۡنَا﴾ بتشديد الجيم.

وقرأ سلَّام، ويعقوب، وعيسى بن عمر: (وَفَجَرْنَا) بفتح الجيم دون شدٍّ[٢].

وقرأ الجمهور: ﴿نَهَرٗا﴾ بفتح الهاء.

وقرأ أبو السَّمَّال، والفياض بن غزوان، وطلحة بن سليمان: (نَهْراً) بسكون الهاء[٣].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وابن عباس، ومجاهد، وجماعة قراء المدينة ومكة: ﴿ثُمُرٌ﴾ وَ﴿بِثُمُره﴾[٤] بضم الثاء والميم، جمع ثمارٍ.

وقرأ أبو عمرو، والأعمش، وأبو رجاء بسكون الميم فيهما تخفيفاً، وهي في المعنى كالأولى، ويتَّجه أن يكون جمع ثَمَرَة، كَبَدَنَةٍ وبُدْن.

وقرأ عاصم: ﴿ثَمَرٌ﴾ و﴿بِثَمَرِهِۦ﴾ بفتح الميم والثاء فيهما، وهي قراءة أبي جعفر، والحسن، وجابر بن زيد، والحجاج[٥].

واختلف المتأولون في الثُّمُرِ بضم الثاء والميم، فقال ابن عباس[٦]، وقتادة:

---

(١) البيت لفُرْعان بن الأعرف كما في نوادر المخطوطات (ص: ١٥٧)، والمحكم والمحيط الأعظم (٥/ ١١).

(٢) وهي شاذة، عزاها لسلام ويعقوب في مختصر الشواذ (ص: ٨٢) وللثلاثة في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٨).

(٣) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٧/ ١٧٥).

(٤) الكهف: (٤٢).

(٥) وكلها سبعية، انظر السبعة (ص: ٣٩٠)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والباقين في البحر المحيط (٧/ ١٧٥)، مع بعض الزيادات.

(٦) منقطع، أخرجه الطبري (١٨/ ٢١) من طريق سعيد بن أبي عَروبة، عن قتادة، قال: قرأها ابن عباس: «وكَانَ لَهُ ثُمُرٌ» بالضمّ، وقال: يعني أنواع المال.

الثُّمُر: جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، ويستشهَد لهذا القول ببيت النَّابغة الذبياني:

[البسيط] .... وَمَا أُثَمِّرُ مِنْ مالٍ ومِنْ وَلَدِ[1]

وقال مجاهد: يراد بها الذهب والفضة خاصة.

وقال ابن زيد: الثُّمُر هي الأصول التي فيها الثَّمَر[2].

قال القاضي أبو محمد: كأنها ثمارٌ وثُمُرٌ، ككتابٍ وكُتُب، وأما من قرأ بفتح الثاء والميم فلا إشكال في أن المعنى ما في رؤوس الشجر من الأكل، ولكن فصاحة الكلام تقتضي أن يعبر إيجازاً عن هلاك الثَّمر والأصول بهلاك الثَّمر فقط، خصَّها بالذكر إذْ هي مقصد المستغل، وإذ هلاك الأصول إنما يسوءُ منه هلاك الثَّمر الذي كان يُرجى في المستقبل، كما يقتضي قوله: إنَّ له ثمراً، أنَّ له أصولاً، كذلك يقتضي الإحاطة المطلقة بالثمرات والأصول قد هلكت.

وفي مصحف أُبي: (وآتيناه ثمراً كثيراً).

وقرأ أبو رجاءٍ: (وكان له ثمرٌ) بفتح الثاء وسكون الميم[3].

و«الـمُحَاوَرَةُ»: مراجعة القول، وهو من: حارَ يحور.

واستدلَّ بعض الناس من قوله: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ على أنه لم يكن أخاه، وقال المناقض: أراد بالنَّفَر العَبيدَ والخَوَلَ؛ إذْ هُمُ الذين ينفرون في رغائبه، وفي هذا الكلام من الكِبْر والزَّهْو والاغترار ما بيانه يغني عن القول فيه.

---

(١) صدره: مهلًا فداءً لك الأقوام كلهم، انظر عزوه له في شرح المعلقات التسع (ص: ٩٦)، والصحاح للجوهري (٦/ ٣٠٣).

(٢) انظر أقوال ابن زيد وقتادة ومجاهد في تفسير الطبري (١٨/ ٢١)، والحيوان ليست في المطبوع.

(٣) وهما شاذتان، انظر الأول في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٨) وزاد ابن مسعود، والثانية في البحر المحيط (٧/ ١٧٥).

وهذه المقالة بإزاء قول عُيَيْنة والأقرع للنبي ﷺ: نحن سادات العرب، وأهل الوَبَر والمَدَر، فَنَحِّ عنَّا سلمان وقرناءَه[١].

قوله عز وجل: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩﴾.

أفرد الجنة من حيث الوجود كذلك؛ إذ لا يدخلهما معاً في وقت واحد.

و«ظُلْمُه لِنَفْسِهِ»: كفرُهُ وعقائده الفاسدة في الشك في البعث، فقد نصَّ على ذلك قتادة، وابن زيد[٢].

وفي شكِّه في حدوث العالم، إن كانت إشارته بـ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إلى الهيئة من السماوات والأرض وأنواع المخلوقات، وإن كانت إشارته إلى جنته فقط فإنما في الكلام تساخف واغترارٌ مفرط[٣] وقلَّة تحصيل، كأنه من شدَّة العجب بها والسرور أَفْرط في وصفها بهذا القول، ثم قاس أيضاً الآخرة على الدنيا، وظنَّ أنه لم يُمْلِ له في الدنيا إلا لكرامة يستوجبها في نفسه، قال: فإن كان ثم رجوعٌ كما يزعم فسيكون حالي كذا وكذا، وليست مقالة العاصي بن وائل لِخَباب[٤] على حدِّ هذه، بل قصد العاصي الاستخفاف على جهة التصميم على التكذيب.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وابن الزبير، وثبت في مصاحف المدينة ﴿مِنۡهُمَا﴾ يريد الجنتين المذكورتين أولاً.

---

(١) تقدم ذكر هذا الحديث وغيره بألفاظ مختلفة عند آية (٢٩).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٢٣).

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) إشارة لحديث أخرجه البخاري (٤٧٣٣) سيأتي في سورة مريم.

وقرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، والعامة، وكذلك هو في مصحف أهل[١] البصرة: ﴿مِّنْهَا﴾[٢]، يريد الجنة المدخولة.

وقوله: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ حكاية أن المؤمن من الرجلين لـمَّا سمع كلام الكافر وَقَفَه ـ على جهة التوبيخ ـ على كفره بالله تعالى.

وقرأ أُبيُّ بن كعب: (وهو يخاصمه)، وقرأ ثابت البناني: (وَيْلَكَ أَكَفَرْتَ)[٣].

ثم جعل يعظم الله تعالى عنده بأوصاف تضمنت النعم، والدلائل على جواز البعث من القبور.

وقوله: ﴿مِن تُرَابٍ﴾ إشارة إلى آدم عليه السلام، وقوله: ﴿سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ كما تقول: سوَّاك شخصاً أو حيّاً أو نحو هذا من التأكيدات، وقد يحتمل أنه قصد تخصيص الرجولة على وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أُنثى ولا خُنثى، وذكر الطبري نحو هذا[٤].

واختلفت القراءة في قوله: ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾، فقرأ ابن عامر، ونافع في رواية المسيبي: ﴿لَكِنَّا﴾ في الوصل والوقف، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، ﴿لَكِنَّ﴾ في الوصل، و﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ في الوقف، ورجَّحها الطبري، وهي رواية ورش، وقالون عن نافع[٥].

وقرأ ابن مسعود، وأُبيُّ بن كعب، والحسن: (لَكِنْ أَنَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي).

وفي قراءة عيسى الثقفي، والأعمش بخلاف: (لكِنْ هُوَ اللَّهُ رَبِّي)[٦].

---

(١) زيادة من الإماراتية١ ونجيبويه.

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٩٠)، وانظر: المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٤٠).

(٣) وهما شاذتان، مخالفتان للمصحف، تابعه عليهما في البحر المحيط (٧/ ١٧٧).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٢٣).

(٥) انظر: التيسير (ص: ١٤٣)، ورواية المسيبي في السبعة (ص: ٣٩١)، وفي المطبوع: «المَسِيليِّ»، وعرف به في الحاشية!

(٦) وهما شاذتان، انظر نسبة الأولى لأبي في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٨٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٩٥)، ومع الحسن في مختصر الشواذ (ص: ٨٢)، ومع الثانية في المحتسب (٢/ ٢٩)، ولم أجدها للأعمش، وانظر البحر المحيط (٧/ ١٧٩).

فأما هذه الأخيرة فَـبَيِّنٌ[١] على الأمر والشأن، وأما التي[٢] قبلها فعلى / [٣/ ٢٠٧] معنى: لكن أنا أقول[٣]، ومن هذه الفرقة من قرأ: (لَكِنَنَا) على حذف الهمزة وتخفيف النونين[٤]، وفي هذا نظر، وأما من قرأ: ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ فأصله عنده (لكِنْ أَنَا)، حذفت الهمزة على غير قياسٍ، وأُدغمت النون في النون، وقال بعض النحويين: نُقلت حركة الهمزة إلى النون فجاءَ (لَكِنَنَا)، ثم أُدغمت بعد ذلك فجاء ﴿لكِنَّا﴾، فرأى بعض القُرَّاءِ أنَّ بالإدغام استُغني عن الألف الأخيرة، فمنهم من حذفها في الوصل، ومنهم من أثبتها في الوصل والوقف؛ لتدلَّ على أصل الكلمة.

ويتوجَّه في ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أن تكون (لَكِنْ) لحقتها نون الجماعة التي في خَرَجْنَا وَضَرَبْنَا، ووقع الإدغام لاجتماع المِثْلين، ووحَّد في ﴿رَبِّي﴾ على المعنى، ولو اتبع اللفظ لقال: رَبُّنَا، ذكره أبو علي[٥].

ويترجَّح بهذا التعليل قولُ مَن أثبت الألف في حالي الوصل والوقف، ويتوجه في ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أن تكون المشهورةَ من أخوات (إنَّ)، المعنى: لكنَّ قولي هو الله ربِّي.

أما إنِّي[٦] لا أعرف من يقرأ بها وصلًا ووقفاً، وذلك يلزم من يُوَجِّه هذا الوجه.

وَرَوى هارون عن أبي عمرو: (لَكِنَّهُ هو اللَّهُ رَبِّي)[٧] بضمير لَحِقَ (لَكِنَّ)، وباقي الآية بَيِّنٌ.

---

(١) في أحمد٣: «فتبنى».
(٢) في المطبوع: «الذي».
(٣) في المطبوع: «لكن إنما أقول».
(٤) في المطبوع: «التنوين».
(٥) الحجة للفارسي (٥/ ١٤٦).
(٦) في المطبوع: «إلَّا أني»، وفي أحمد٣: «إما لأني».
(٧) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٨)، ونقل في مختصر الشواذ (ص: ٨٢) عن أبي عمرو: أنه يقف بالهاء.

وقوله: ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ ﴾ الآية، وصيةٌ من المؤمن للكافر، و(لولا) تحضيض بمعنى: هَلَّا، و﴿مَا﴾ يحتمل أن تكون بمعنى: الذي، بتقدير: الذي شاء الله كائن، وفي ﴿شَآءَ﴾ ضمير عائد، ويحتمل أن تكون شَرْطِيَّة بتقدير: ما شاء الله كان، ويحتمل أن تكون خبر ابتداء محذوف تقديره: هو ما شاء الله، أو الأمر ما شاء الله.

وقوله: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ تسليمٌ وصدٌّ لقول الكافر: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴾، وروي عن النبي ﷺ أنه قال لأبي هريرة: «ألا أَدُلُّك على كلمة من كنز الجنة؟» قال: بلى يا رسول الله، قال: «لَا قُوَّة إِلَّا بالله، إذا قالها العبد قال الله عزَّ وجلَّ: أسلمَ عبدي واستسلمَ»[1].

وفي حديث أبي موسى: أن النبي ﷺ قال له: «يا عبد الله بن قيس: ألا أَدُلُّك على كنز من كنوز الجنة؟» قال: افعل يا رسول الله، قال: «لا حول ولا قوَّة إِلَّا بالله العلي العظيم»[2].

---

(١) أسانيده لا تخلو من مقال وله شاهد في الصحيح، أخرجه علي بن الجعد في مسنده (١٧٠٧)، وإسحاق بن راهويه (٢٥٢)، وأحمد (٢/ ٢٩٨)، وابن منده في التوحيد (١٧٩)، والنسائي في الكبرى (٩٧٥٧)، وفي عمل اليوم والليلة (١٣)، والطبراني في الدعاء (١٦٣٣-١٦٣٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١)، والبيهقي في الدعوات الكبير (١٣٥) من طرق عن أبي بلج واسمه يحيى ابن أبي سليم، عن عمرو بن ميمون الأودي، عن أبي هريرة رضي الله عنه به مرفوعاً، وهذا إسناد جيد مع لين فيه؛ لأجل يحيى بن أبي سليم أبي بلج الفزاري، وقد أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٥٤٧)، وابن أبي شيبة (٣٦٤١٢)، وأحمد (٢/ ٣٠٩-٥٢٠-٥٢٥-٥٣٥)، والنسائي في الكبرى (١٠١١٨) من طريق كميل بن زياد، عن أبي هريرة بلفظ: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا ملجأ من الله إلا إليه»، وفيه ذكر حق الله على العباد، وحق العباد على الله، وهو غريب في هذا الحديث، وليس فيه: قال الله عز وجل: أسلم عبدي واستسلم، وعلى كل حال فكميل وإن وثق إلا أنه لا يحتج بما ينفرد به، وله طرق أخرى عن أبي هريرة لا تسلم من علة، ويقويه حديث أبي موسى الآتي.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

واختلفت القراءة في حذف الياء من ﴿تَـرَنِ﴾ وإثباتها، فأثبتها ابن كثير وصلاً ووقفاً، وحذفها ابن عامر، وعاصم، وحمزة فيهما، وأثبتها نافع، وأبو عمرو في الوصل فقط[1].

وقرأ الجمهور: ﴿أَقَلَّ﴾ بالنصب على المفعول الثاني.

وقوله: ﴿أَنَا۠﴾ فاصلة مُلْغَاةٌ.

وقرأ عيسى بن عمر: (أَقَلُّ) بالرفع[2] على أن يكون (أَنَا) مبتدأ، و(أَقَلُّ) خبره، والجملة في موضع المفعول الثاني، و«الرُّؤْية» رؤْية القلب في هذه الآية.

قوله عز وجل: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾.

هذا التَّرَجِّي بـ(عسى) يحتمل أن يريد به: في الدنيا، ويحتمل أن يريد: في الآخرة، وتمني ذلك في الآخرة أشرف مقطعاً، وأذهب مع الخير والصلاح، وأن يكون ذلك يراد به الدنيا أذهبُ في نكاية هذا[3] المخاطب، وأشد إيلاماً لنفسه.

و«الحُسْبَانُ»: العذاب كالبرد والصر ونحوه، واحِدُ الحُسْبَان: حُسْبَانة، وهي المرامي من هذه الأنواع المذكورة، وهي سهام تُرمى دفعة بآلة لذلك.

---

(١) وكلها سبعية، والكسائي مع حمزة وعاصم، انظر: السبعة (ص: ٣٩١)، وفي التيسير (ص: ١٤٧) عن ورش الحذف في الحالين.

(٢) وهي شاذة، انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٨٩)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٨٨) لابن أبي عبلة.

(٣) في أحمد٣: «العدو»، بدل: «هذا».

و«الصَّعِيدُ»: وجهُ الأرض، و«الزَّلَقُ»: الذي لا تثبت فيه قدم، يعني أنه تذهب أشجاره ونباته، ويبقى أرضاً قد ذهبت منافعها حتى منفعةُ المشي، فهي وحْل لا تُنْبت ولا تَثْبُت فيه قدم.

و«الغَوْرُ» مصدر يوصف به الماءُ المفرد والمياه الكثيرة، كقولك: رجل عَدْل وامرأة عَدْل ونحوه، ومعناه: ذاهباً في الأرض لا يُستطاع تناوله.

وقرأت فرقة: (غُوراً) [بضم الغين][1]، وقرأت فرقة: (غُؤُراً) بضم الغين وهمز الواو[2].

وغَوْرٌ مثل نَوْح يوصف به الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] تَظَلُّ جِيَادُهَا نَوْحاً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَا[3]

وهذا كثير، وباقي الآية بيِّن.

وقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ الآية، هذا خبر من الله عن إحاطة العذاب بحال هذا الـمُمَثَّل به.

وقد تقدم القول في الثَّمر، غير أن الإحاطة كناية عن عموم العذاب والفساد.

و﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ يريد: يضع بطن إحداهما على ظهر الأخرى، وكذلك فِعْل المتلهِّف المتأسِّف على فائتٍ أو خسارة أو نحوها، ومن عبَّر بـ(يُصَفِّق) فلم يُتقن.

وقوله: ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يريد أن السقوف وقعت، وهي العروش، ثم تهدَّمت الحيطان عليها فهي خاوية، والحيطان على العروش.

---

(١) ليس في الأصل، وهي شاذة عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٨٨) للبرجمي عن شعبة.

(٢) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (٧/ ١٨٠).

(٣) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته، انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٤٠٣)، والمحتسب (٢/ ٨٠)، ومقاييس اللغة (٤/ ٨٦).

﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ قال بعض المفسرين: هي حكاية عن قول الكافر هذه المقالة في الآخرة، ويحتمل أن يريد أنه قالها في الدنيا على جهة التوبة بعد حُلُول المصيبة، ويكون فيها زجرٌ للكفرة من قريش أو غيرهم؛ لئلا تجيء لهم حالٌ يؤمنون فيها بعد نِقَمٍ تحل بهم.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم، وأبو عمرو، والحسن، وأبو جعفر، وشيبة: ﴿وَلَمۡ تَكُن﴾ بالتاء على لفظة الْفِئَة.

وقرأ حمزة، والكسائي، ومجاهد، وابن وثاب: ﴿ولم يكن﴾ بالياء[١] على المعنى.

و«الفِئَةُ»: الجماعة التي يلجأُ إلى نصرها، وقال مجاهد: هي العشيرة[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهي عندي من: فاءَ يفيءُ، وزنها فِعْلة؛ فِـيْئَة[٣] حذفت العين تخفيفاً، وقد قال أبو علي وغيره: هي من فَأَوْتُ وليست من فاء، وهذا الذي قالوه أدخل في التصريف، والأول أحكم في المعنى.

وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ﴾[٤].

وقوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ يحتمل أن يكون ظرفاً لقوله: ﴿مُنتَصِرًا﴾، ويحتمل أن / [٣/ ٢٠٨] تكون ﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ﴾ مبتدأ، و﴿هُنَالِكَ﴾ خبره.

وقرأ حمزة، والكسائي، والأعمش، ويحيى بن وثاب: ﴿الوِلايَةُ﴾ بكسر الواو، وهي بمعنى الرياسة والزعامة ونحوه، وقرأ الباقون: ﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ﴾ بفتح الواو[٥]، وهي بمعنى الموالاة والصلة ونحوه.

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٤٣)، والسبعة (ص: ٣٩٢)، وللباقين البحر المحيط (٧/ ١٨١).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٢٨).

(٣) كتبت في الأصل: «فئة».

(٤) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٨٩).

(٥) انظر: التيسير (ص: ١٤٣)، والسبعة (ص: ٣٩٢)، والباقين في البحر المحيط (٧/ ١٨١).

وحُكي عن أبي عمرو، والأصمعي: أن كَسْرَ الواو هنا لحن؛ لأن فِعَالَة إنما تجيءُ فيما كان صنعة أو معنىً متقلَّداً، وليس هنا تولي أمر[١].

وقرأ أبو عمرو، والكسائي: ﴿الحَقُّ﴾ بالرفع على جهة النعت[٢] لـ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾.

وقرأ الباقون: ﴿ٱلْحَقِّ﴾ بالخفض على النعت للَّهِ عزَّ وجلَّ.

وقرأ أبو حيوة: (لله الحَقَّ) بالنصب[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿عُقُباً﴾ بضم العين والقاف، وقرأ عاصم، وحمزة، والحسن: ﴿عُقْبًا﴾ بضم العين وسكون القاف وتنوين الباء[٤].

وقرأ عاصم أيضاً: (عُقْبَى) بياءِ التأنيث[٥].

و«العُقْب»[٦] و«العُقُبُ» بمعنى: المعاقبة.

قوله عز وجل: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾.

قوله: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يريد حياة الإنسان بما يتعلق بها من نعم وترفُّهٍ[٧].

---

(١) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ١٦٦).

(٢) في الأصل: «البعث».

(٣) الأولى والثانية سبعيتان، انظر: السبعة (ص: **٣٩٢**)، والتيسير (ص: **١٤٣**) وقراءة أبي حيوة شاذة كما في مختصر الشواذ (ص: **٨٣**).

(٤) انظر: السبعة (ص: **٣٩٢**)، والتيسير (ص: **١٤٣**)، وزاد في نجيبويه: «الكسائي» في الثانية، ولعله خطأ.

(٥) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: **٢٨٩**) لرواية المفضل من طريق الخبازي.

(٦) ليست في نور العثمانية.

(٧) في المطبوع ونجيبويه والإماراتية: «وثروة».

وقوله: ﴿كَمَآءٍ﴾ يريد: هي كماءٍ، وقوله: ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ﴾؛ أي: فاختلط النَّباتُ بعضه ببعض بسبب الماء، فالباءُ في ﴿بِهِۦ﴾ باءُ السبب؛ فـ﴿أصبحَ﴾ عبارة عن صيرورته إلى ذلك، لا أنه[1] أراد اختصاصاً بوقت الصباح، وهذا كقول الرَّبيع بن ضَبُع:

[المنسرح]

أَصْبَحْتُ لا أَحْمِلَ السِّلاحَ وَلا أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا[2]

و«الهَشِيمُ»: الـمُتَفَتِّت من يابس العُشب، ومنه قوله تعالى: ﴿كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١]، ومنه: هشم الثريد.

و﴿تَذۡرُوهُ﴾ بمعنى: تُفَرِّقُه، وقرأ ابن عباس: (تُذْرِيهِ)[3]، والمعنى: تقلعه وترمي به.

وقرأ الحسن: (تَذْرُوهُ الرِّيحُ) بالإفراد، وهي قراءة طلحة، والنَّخعي، والأعمش[4].

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ عبارة للإنسان عن أن الأمر قبل وجود الإنسان هكذا كان؛ إذ نفسه حاكمة بذلك في حال عقله، هذا قول سيبويه، وهو معنى صحيح.

وقال الحسن: (كَانَ) إخبارٌ عن الحال قبل إيجاد الموجودات[5]؛ أي: إن القُدرة كانت، وهذا أيضاً حسَنٌ.

[وقوله: ﴿كُلِّ شَيۡءٍ﴾ يريد: من الأشياء الـمُقَدَّرَة.

قال القاضي أبو محمد: لا الـمُحَالات وغيرها من الأشياء التي لا يوصف الله تعالى بالقدرة عليها، ولا بالعجز عنها، وهذا على تسمية المحال شيئاً، من حيث هو

---

(١) في نجيبويه: «إلا أنه»، وفي حاشية المطبوع: «في أكثر الأصول: لأنَّه»، وهو خطأ من النساخ، ولم أجدها في نسخة مما عندنا.

(٢) تقدم الاستشهاد به مراراً.

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٣)، ونقل عن ابن مسعود يذريه بالياء.

(٤) أبعد النجعة، فهي سبعية لحمزة والكسائي كما في التيسير (ص: ٧٨)، والسبعة (ص: ١٧٣)، وخلف كما في النشر (٢/ ٢٢٣)، وأغرب منه أن أبا حيان لم يزد عليه (٧/ ١٨٥) إلا: زيد بن علي وابن أبي ليلى وابن محيصن وخلف وابن عيسى وابن جرير.

(٥) انظر قولي سيبويه والحسن في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٩١)، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٩٧).

معقول لا واقع، وقد جاء أن زلزلة الساعة شيءٌ][١].

فمعنى هذا التأويل[٢]: تشبيه حال المرء في حياته وماله وعزته وزَهْوه وبَطَره بالنبات الذي له خُضرة ونَضرة عن المطر النَّازل، ثم يعود بعد ذلك هشيماً، ويصير إلى عدم، فمن كان له عمل صالح يبقى في الآخرة فهو الفائز، فكأن الحياة بمثابة الماء، والخضرة، والنضارة بمنزلة النعيم والعزة ونحوه.

وقوله: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لفظه لفظ الخبر، لكن معه قرينة الضَّعَة للمال والبنين؛ لأنه في المثل قبْلُ حقَّر أمر الدنيا وبيَّـنَهُ، فكأنه يقول في هذه: فإنما[٣] المالُ والبنون زينة هذه الحياة الدنيا المحقَّرة، فلا تُتْبِعُوهَا أنفسكم.

وقوله: ﴿زِينَةُ﴾ مصدرٌ، وقد أخبر به عن أشخاص، فإما أن يكون على تقدير محذوف، تقديره: مَقَر زينة الحياة الدنيا[٤]، وإما أن نضع المال والبنين بمنزلة الغنى والكثرة.

واختلف الناسُ في (البَاقِيَات الصَّالِحَات):

فقال ابن عباس[٥]، وابن جبير، وأبو ميسرة، وعَمْرُو بن شُرَحْبيل: هي الصلوات الخمس[٦].

---

(١) زيادة من المطبوع ونجيبويه والإماراتية١.

(٢) في المطبوع ونور العثمانية ونجيبويه: «المثال».

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٣٢) عن محمد بن إبراهيم الأنماطي وهو ثقة، عن يعقوب بن حميد بن كاسب، عن عبد الله بن عبد الله الأموي، عن عبد الله بن يزيد بن هرمز، عن عبيد الله بن عتبة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. ويعقوب بن كاسب ضعفه النقاد، وقال الذهبي: كان من علماء الحديث، لكنه له مناكير وغرائب، وعبد الله بن عبد الله الأموي لم أعرفه، وعبد الله بن يزيد ابن هرمز قال أبو حاتم: ليس بقوي يكتب حديثه، وهو أحد فقهاء أهل المدينة. وأخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٢)، ومن طريقه الطبري (١٨/ ٣٢)، وابن أبي حاتم (١١٢٧١) من طريق عبد الله بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وعبد الله بن مسلم بن هرمز المكي ضعيف.

(٦) انظر أقوالهم مع قول الجمهور الآتي في تفسير الطبري (١٨/ ٣٢).

وقال الجمهور: هي الكلماتُ المأثور فضلها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلِّي العظيم.

ورُوي في هذا حديث: «أكثِرُوا من الباقيات الصالحات»[1]، وقاله أيضاً ابن عباس[2].

ورُوي عن رسول الله ﷺ من طريق أبي هريرة وغيره: أن هذه الكلمات هي الباقياتُ الصالحاتُ[3].

وقال ابن عباس أيضاً: الباقيات الصالحات: كلُّ عمل صالح من قولٍ أو فعل

---

(١) ضعيف، أخرجه أحمد (٣/ ٧٥)، وأبو يعلى في مسنده (١٣٨٤)، والطبري (١٨/ ٣٤-٣٥)، وابن حبان في صحيحه (٨٤٠)، والطبراني في الدعاء (١٦٩٦-١٦٩٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥١١)، والبيهقي في الدعوات (١١٠) من طريق دراج، عن أبي السمح، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «أكثروا من الباقيات الصالحات» قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الملة» قيل: وما هي؟ قال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله». وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السمح ـ في روايته عن أبي الهيثم، وهو سليمان بن عمرو العتواري.

(٢) روي عنه مرفوعاً بإسناد منقطع، أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما عند السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٥٥٦) من طريق الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يثبطكم الليل فلم تقوموه وعجزتم عن النهار فلم تصوموه، وبخلتم بالمال فلم تعطوه، وجبنتم عن العدو فلم تقاتلوه، فأكثروا من سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن الباقيات الصالحات».

(٣) حديث فرد في إسناده مقال، أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦١٧)، والطبري (١٨/ ٣٤)، والطبراني في الأوسط (٤٠٢٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٤٠) من طريق عبد العزيز بن مسلم القسملي، عن محمد بن عجلان، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا جُنَّـتَـكم» قلنا: يا رسول الله من عدو قد حضر؟ قال: «لا، جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنها يأتين يوم القيامة منجيات ومقدمات، وهن الباقيات»، ومحمد بن عجلان القرشي اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة، قال يحيى القطان: كان سعيد المقبري يحدث عن أبي هريرة، وعن أبيه عن أبي هريرة، وعن رجل عن أبي هريرة، فاختلطت عليه فجعلها كلها عن أبي هريرة. اهـ.

يبقى للآخرة، ورجحه الطبري[١]، وقول ابن عباس بكل الأقوال[٢] دليل على قوله بالعموم.

وقوله: ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾؛ أي: صاحبها ينتظر الثواب، وينبسط أَمَلُه على خير من حال ذي المال والبنين دون عمل صالح.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ الآية، التقدير: واذكر يوم، وهذا أفصح ما يُتَأَوَّل في هذا هنا.

وقرأ نافع، والأعرج، وشيبة، وعاصم، وابن مصرِّف، وأبو عبد الرحمن: ﴿نُسَيِّرُ﴾ بنون العظمة، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والحسن، وشبل، وقتادة، وعيسى: ﴿تُسَيَّرُ﴾ بالتاء وفتح الياء المشددة ﴿الجِبَالُ﴾ رفعٌ[٣].

وقرأ الحسن: (يُسَيَّـرُ) بياءٍ مضمومة، والثانية مفتوحة مشددة (الجِبَالُ) رفعاً.

وقرأ ابن محيصن: (تَسِيرُ) بتاءٍ مفتوحة وسين مكسورة، أسند الفعل إلى الجبال.

وقرأ أُبيٌّ بن كعب: (وَيَوْمَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ)[٤].

وقوله: ﴿بَارِزَةً﴾ إمَّا أن يريد أن الأرض لذهاب الجبال والظراب والشجر برزت وانكشفت، وإما أن يريد بروز أهلها والمحشورين من سكان بطنها.

(حَشَرناهُم)؛ أي: أقمناهم من قبورهم، وجمعناهم لعرصة[٥] القيامة.

وقرأ الجمهور: ﴿نُغَادِرْ﴾ بنون العظمة، وقرأ قتادة: (تُغَادِرْ) على الإسناد إلى

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في المطبوع: «لكل الأقوام».

(٣) وهما سبعيتان، وحمزة والكسائي مع نافع، انظر: السبعة (ص: ٣٩٣)، والتيسير (ص: ١٤٤)، وانظر للباقين البحر المحيط (٧/ ١٨٧).

(٤) ثلاث قراءات شاذة، انظر الثانية في مختصر الشواذ (ص: ٨٣)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٨٩)، والكل في البحر المحيط (٧/ ١٨٧).

(٥) في المطبوع: «لعرضة»، وهي محتملة في بعض النسخ الخطية.

القدرة أو إلى الأرض، وروى أبان بن زيد عن عاصم: (يُغَادَرُ) بياءٍ مضمومة وفتح الدال (أَحَدٌ) بالرفع، وقرأ الضحاك: (فَلَمْ نُغْدِرْ) بنون مضمومة وكسر الدال وسكون الغين[١].

و«المغادرةُ»: التَّرْكُ، ومنه: غدير الماء، وهو ما تركه السيل.

وقوله: ﴿صَفًّا﴾ إفرادٌ نُزِّلَ منزلة الجمع؛ أي: صفوفاً، وفي الحديث الصحيح: «يجمع اللَّهُ الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفاً، يُسْمِعُهُم الداعي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ» الحديث بطوله[٢].

وفي حديث آخر: «أهل الجنة يوم القيامة مئة وعشرون صفّاً، أنتم منها ثمانون صفّاً»[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ إلى آخر الآية، مقاولةٌ[٤] للكفار والمنكرين للبعث، ومُضَمَّنها / التقريع والتوبيخ، والمؤمنون المعتقدون في الدنيا أنهم يبعثون يوم [٣/ ٢٠٩]

---

(١) ثلاث قراءات شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص:٢٩٠)، والبحر المحيط (٧/ ١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لا يصح، أخرجه الحاكم (١/ ١٥٥) من طريق: محمد بن فضيل، ثنا أبو سنان ضرار بن مرة، عن محارب بن دثار، عن ابن بريدة، عن أبيه مرفوعاً. ومن طريق مؤمل بن إسماعيل وعمرو بن محمد المنقري ـ مفرقين ـ عن: سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه كذلك، وقال الحاكم عقبه: أرسله يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي عن الثوري. اهـ. وهذا أثبت بلا شك أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٣٧٣)، وأحمد (١/ ٤٥٣)، والبزار في مسنده (١٩٩٩)، وأبو يعلى في مسنده (٥٣٥٨)، والطبراني في الكبير (١٠٣٥٠)، وفي الأوسط (٥٣٤)، وفي الصغير (٨٢) جميعاً من طريق عفان بن مسلم، عن عبد الواحد بن زياد، عن الحارث بن حصيرة، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود. وعبد الرحمن لم يسمع من أبيه وخولف عفان في هذه الرواية، فأخرج الطبراني في الكبير (١٠٣٩٨) من طريق أحمد بن محمد بن نيزك الطوسي عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي ثنا عبد الواحد بن زياد عن الحارث بن حصيرة عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود، به، بنحوه. ورواية عفان أثبت، وعلى كل حال فهو حديث الحارث بن حصيرة، وليس بحجة، ولفظة «بطوله» ليست في المطبوع.

(٤) في الحمزوية: «مقالة»، وفي الإماراتية١: «منازلة الكفار المنكرين».

القيامة لا تكون هذه المخاطبة لهم بوجه، وفي الكلام حذف يقتضيه القول ويُحَسِّنه الإيجاز، تقديره: يقال للكفرة منهم: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ يفسره قول النبي ﷺ: «إنكم تحشرون إلى الله حُفاةً عراةً غُرْلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]»[١].

قوله عز وجل: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾.

﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ اسم جنس يراد به كُتُب الناس التي أحصاها الحفظة لواحدٍ واحدٍ، ويحتمل أن يكون الموضوع كتاباً واحداً حاضراً، و«إِشْفَاقُ الْمُجْرِمِينَ»: فزعُهم من كشفه لهم وفَضْحه، فشكاية المجرمين إنما هي من الإحصاء، لا من ظلم ولا حيف.

وقدَّم الصغيرة اهتماماً بها؛ لِيُنَبِّه منها، ويدلَّ أن الصغيرة إذا أُحصيت فالكبيرة أحرى بذلك، والعرب أبداً تقدم في الذكر الأقل من كل مقترنَين، ونحو هذا هو قولهم: القمران، والعمران، سَمَّوا باسم الأَقَلِّ تنبيهاً منهم، وقال ابن عباس: الصغيرة: الضحك[٢]، وهذا مثالٌ، وباقي الآية بَيِّنٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الآية، هذه الآية مُضَمَّنها تقريع الكفرة، وتوقيفهم على خطئهم[٣] في ولايتهم العدوَّ دون الذي أنعم بكل نعمة على العموم، صغيرها وكبيرها، وتقدير الكلام: واذكر إذْ قلنا، وتكررت هذه العبارة حيث تكررت هذه القصة؛ إذ هي توطئة

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) فيه من لم أعرفه، أخرجه الطبري (١٨/ ٣٨) من طريق محمد بن موسى، عن الزيال بن عمرو، عن ابن عباس، ومحمد بن موسى هو الواسطي كما وقع عند الطبري في موضع آخر، والزيال ـ كذا وقع ـ ابن عمرو، لم أقف له على ترجمة، والله أعلم.

(٣) من أحمد ٣، وكتبت في المطبوع وأغلب النسخ: «خطابهم»، وفي الحمزوية: «حظهم».

النازلة، فأما ذكر النازلة هنا فمقدمة للتوبيخ، وذكرها في (البقرة) إعلامٌ بمبادئ الأُمور.

واختلف المتأولون في السجود لآدم:

فقالت فرقة: هو السجود المعروف، ووضع الوجه بالأرض، جعله الله تعالى من الملائكة عبادةً له، وتَـكْرِمَةً لآدمَ، فهذا كالصلاة للكعبة.

وقالت فرقة: بل كان إيماءً منهم نحو الأرض، وذلك يُسَمَّى سجوداً؛ لأن السُّجود في كلام العرب عبارة عن غاية التواضع، ومنه قول الشاعر:

.... تَـرَى الأُكْمَ فيه سُـجَّداً لِلْحَوَافِرِ[١] [الوافر]

وهذا جائز أن يكلفه [الخالقُ للفاضل، وجائز أن يتكلَّفه الفاضل للفاضل][٢]، ومنه قول النبي ﷺ: «قوموا إلى سيِّدكم»[٣]، ومنه تقبيل أبي عبيدة بن الجراح يدَ عمر ابن الخطاب حين تلقَّاه في سفرته إلى الشام، ذكره سعيد بن منصور في «مُصَنَّفه»[٤].

وقوله: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ قالت فرقة: هو استثناءٌ منقطع؛ لأن إِبْلِيسَ ليس من الملائكة، بل هو من الجن، وهم الشياطين المخلوقون من مارج من نار، وجميع الملائكة إنما خلقوا من نور، واختلفت هذه الفرقة: فقال بعضها: إبليس من الجن، وهو أولهم وبدأتهم، كآدم من الإنس، وقالت فرقة: بل كان إبليس وقَبِيله جنّاً، لكن جميع الشياطين اليوم من ذريته، فهو كنوح في الإنس، واحتجوا بهذه الآية، وتعنيف إِبْلِيسَ على عصيانه يقتضي أنه أُمر مع الملائكة.

---

(١) تقدم الاستشهاد به مراراً.

(٢) في الإماراتية١: «قوم» بدل «الخالق»، وهي في الإماراتية٢ والأصل وأحمد٣ ونور العثمانية والحمزوية بدلٌ من هذا كله.

(٣) هذا جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد، فأتاه على حمار، فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيدكم، أو خيركم»...

(٤) لم أقف عليه في الجزء المطبوع من «سنن سعيد بن منصور».

وقالت فرقة: إن[1] الاستثناء متصل، وإبليس من قبيل من الملائكة خلقوا من نار، فإبليس من الملائكة، وعُبِّر عن الملائكة بالجن من حيث هم مستترون، فهي صفة تعم الملائكة والشياطين، وقال بعض هذه الفرقة: كان في الملائكة صنف يُسَمَّى الجن، وكانوا في السماء الدنيا وفي الأرض، وكان إبليس مدبِّر أمرهم.

ولا خلاف أن إبليس كان من الملائكة في المعنى؛ إذ كان متصرفاً بالأمر والنهي مرسلاً، والـمَلكُ مشتق من الـمَأْلُكَة وهي الرسالة، فهو في عداد الملائكة يتناوله قول: ﴿ٱسْجُدُواْ﴾، وفي سورة البقرة وسورة الأعراف استيعاب هذه الأمور.

وقوله: ﴿فَفَسَقَ﴾ معناه: فخرج وانتزح، وقال رؤْبة:

[الرجز] تَهْوِينَ في نَجْدٍ وغَوْرٍ غَائِرَا فَوَاسِقاً عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِرَا[2]

ومنه يقال: فَسَقَت الرُّطَبَةُ إذا خرجت عن قشرتها، [وفسقت النواة إذا خرجت عن الثمرة][3]، وفَسَقت الفأْرة إذا خرجت من جحرها، وجميع هذا الخروج المستعمل في هذه الأمثلة إنما هو في فساد، وقول النبي ﷺ: «خمسُ فواسقَ يُقتَلْنَ في [الحِلِّ و][4] الحرمِ»[5]، إنما هن مفسدات.

وقوله: ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ يحتمل أن يريد: خرج عن أمر ربّه إيَّاه؛ أي: فارقَه، كما يفعل الخارج عن طريق واحد؛ أي: منه، ويحتمل أن يريد: فخرج عن الطاعة بعد أمر ربِّه بها، و(عَنْ) قد تجيءُ بمعنى (بَعْد) في مواضع كثيرة، كقولك: أطعمتني عن جوع،

---

(١) في المطبوع والإماراتية١ ونجيبويه: «بل».

(٢) انظر عزوه له في تفسير الماوردي (٣/ ٣١٤).

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) زيادة من المطبوع وأحمد٣ والحمزوية.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣١٤)، ومسلم (١١٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ونحوه، فكأن المعنى: فسق بعد[١] أمر ربِّه بأن يطيع، ويحتمل أن يريد: فخرج بأمر ربِّه؛ أي: بمشيئته ذلك له، ويعبر عن المشيئة بالأمر؛ إذْ هي أحد الأُمور، وهذا كما تقول: فعلت ذلك عن أمرك؛ أي: بجدِّك، وبحسب مرادك.

وقال ابن عباس في قصص هذه الآية: كان إبليس من أشرف صنف، وكان له سلطان السماء[٢] وسلطان الأرض، فلما عصى صارت حاله إلى ما تسمعون[٣].

وقال بعض العلماء: إذا كانت خطيئة المرء من الخطإ فلْتَرْجُه كآدم، وإذا كانت من الكبر[٤] فلا تَرْجُه كإبليس[٥].

ثم وقف عزَّ وجلَّ الكفرة على جهة التوبيخ بقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ يريد: أَفَتَتَّخِذُونَ إبليس.

وقوله: ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ ظاهر اللَّفظ يقتضي الـمُوَسْوِسِينَ مِنَ الشياطين الذين

---

(١) ليست في نور العثمانية، وفي المطبوع والإماراتية١ ونجيبويه: «بسبب».

(٢) في الحمزوية: «الملائكة».

(٣) له طرق لا تخلو من مقال تدل أن له أصلًا، أخرجه الطبري (١/ ٥٣٧-١٥/ ٢٨٧) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنه، بنحوه، وأخرجه أيضاً الطبري (١٨/ ٤٠) من طريق حبيب ابن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان إبليس من خزان الجنة، وكان يدير أمر سماء الدنيا، وأخرجه الطبري (١٨/ ٤٠) من طريق الضحاك قال: كان ابن عباس يقول: إن إبليس كان من أشراف الملائكة، وأكرمهم قبيلة، وكان خازناً على الجنان، وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض، وكان مما سولت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفاً على أهل السماء، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله، فاستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم، فاستكبر وكان من الكافرين، فذلك قوله للملائكة: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يعني: ما أسرَّ إبليسُ في نفسه من الكبر. وله طرق أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تسلم من ضعف، والله أعلم.

(٤) في المطبوع ونور العثمانية: «الكفر».

(٥) ممن نقل عنه هذا القول ابن عباس، كما في الهداية لمكي (٦/ ٤٤٠٢-٤٤٠٣).

يأمرون بالمنكر ويحملون على الباطل، وذكر الطبري أن مجاهداً قال: ذُرِّيَّةُ إبليس الشياطين، وكان يعدُّهم: زَلَنْبُور صاحب الأسواق، يضع رايته في كل سوق، وتُبن[١] صاحب المصائب، والأعورُ صاحب الربا[٢]، ومِسْوَطٌ صاحب الأخبار، يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس ولا يجدون لها أصلاً، ودَاسِمٌ الذي إذا دخل الرجل بيته فلم يسلِّم ولم يذكر اسم الله بصَّره من المتاع ما لم يرفع[٣].

[٣/ ٢١٠] قال القاضي أبو محمد: وهذا وما جانسه مـمَّا لم يأتِ به / سند صحيح فلذلك اختصرته، وقد طوَّل النقاش في هذا المعنى، وجلب حكايات تبعد من الصحة[٤]، فتركتها إيجازاً، ولم يمر بي في هذا صحيح إلَّا ما في «كتاب مسلم» من أن للوضوء[٥] والوسوسة شيطاناً يُسَمَّى خِنْـزَب[٦]، وذكر الترمذي أن للوضوء شيطاناً يسمى الولهان[٧].

---

(١) جاء في حاشية المطبوع: هكذا في الأصول، والذي وجدناه في الطبري والقرطبي هو «ثُـبَر» بالراء، وعلى كل فجميع هذه الأسماء موضع تحريف، وما أصدق ابن عطية حين أعرض عن ذكر الكثير من ذلك، وقال: «وهذا وما جانسه مما لم يأتِ به خبر صحيح».

(٢) في المطبوع: «الرياء».

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٤٣)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣١٣).

(٤) تفسير القرطبي (١٠/ ٤٢١).

(٥) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «من أن للصلاة».

(٦) أخرجه مسلم (٢٢٠٣) من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه.

(٧) منكر، أخرجه أبو داود الطيالسي (٥٤٩)، وأحمد (٥/ ١٣٦)، والترمذي (٥٧)، وابن ماجه (٤٢١)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢٢)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٥٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٦٢)، والبيهقي في الكبرى (١/ ١٩٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٤٥-٣٤٨) من طريق خارجة بن مصعب، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن عُتي بن ضمرة، عن أُبي بن كعب مرفوعاً. وخارجة بن مصعب الضبعي متروك، وكان يدلس عن الكذابين، وقال الترمذي: حديث أبي ابن كعب حديث غريب، وليس إسناده بالقوي؛ لأنا لا نعلم أحداً أسنده غير خارجة، وخارجة ليس بالقوي عند أصحابنا. وضعفه ابن المبارك. اهـ. وقال الحاكم: وأنا أذكره محتسباً، لما أشاهده من كثرة وسواس الناس في صب الماء. اهـ. وقال البيهقي: وهذا الحديث معلول برواية الثوري عن بيان عن الحسن بعضه من قوله غير مرفوع، وباقيه عن يونس بن عبيد من قوله =

والله العليم[١] بتفاصيل هذه الأمور، لا ربَّ غيره.

وقوله: ﴿وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوٌّۢ﴾؛ أي: أعداءٌ، فهو اسم الجنس.

وقوله: ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾؛ أي: بدل ولاية الله عزَّ وجلَّ بولاية إبليس وذريته، وذلك هو التعوض من الحق بالباطل، وهذا هو نفس الظلم؛ لأنه وَضْع الشيء في غير موضعه.

قوله عز وجل: ﴿۞مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾﴾.

الضمير في ﴿أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾ عائد على الكافر[٢]، وعلى الناس بالجملة، فتَتضمَّن الآية الردَّ على طوائف من[٣] المنجمين وأهل الطبائع والمتحكمين من الأطباء وسواهم من كلِّ من يتخوض[٤] في هذه الأشياء[٥].

= غير مرفوع، ثم ساقه، وقال: هكذا رواه خارجة بن مصعب، وخارجة ينفرد بروايته مسنداً، وليس بالقوي في الرواية، وسئل عنه أبو زرعة فقال منكر. اهـ. انظر: العلل (١/ ٥٩٦-٥٩٨) وقد أخرج ابن عبد الهادي في شرح علل ابن أبي حاتم (١/ ٢٨) هذا الحديث موقوفاً على الحسن.

(١) في المطبوع ونجيبويه: «أعلم».

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية والإماراتية١: «الكفار».

(٣) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٤) في المطبوع: «مُتَخَرِّصٍ دون من قبلها»، وفي نجيبويه والإماراتية١: «يتخرص»، وفي نور العثمانية: «يتحرض».

(٥) المنجمون هم من يقول بنسبة خلقة الأشياء إلى الأفلاك والنجوم، انظر تعريفهم ونسبة القول لهم في: تمهيد الأوائل (١/ ٦٦-٦٧)، وشرح المقاصد (٢/ ٨٦)، وأهل الطبائع هم القائلون بنسبة خلقة الأشياء إلى عناصر الطبيعة وامتزاجها، انظر في تعريفهم ونسبة القول لهم: الرسالة الصفدية لابن تيمية (١/ ٢٤٢)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي (١/ ٤١)، ولمزيد من التوسع انظر: الملل والنحل (١/ ٧٣).

قال القاضي أبو محمد: وحدثني أبي رضي الله عنه قال: سمعتُ الفقيه أبا عبد الله محمد بن معاذ[١] المهدوي بالمهدية يقول: سمعت عبد الحق الصقلِّي[٢] يقول هذا القول ويتأول هذا التأويلَ في هذه الآية، وأنها رادَّة على هذه الطوائف، وذكر هذا بعض الأُصوليين[٣].

وقيل: الضمير في ﴿أَشْهَدتُّهُمْ﴾ عائد على ذُرِّيَّة إبليس، فهذه الآية على هذا تتضمن تحقيرهم، والقول الأول أعظم فائدة، وأقول: إن الغرض المقصود أولاً بالآية هم إبليس وذرِّيَّته، وبهذا الوجه يتَّجه الردُّ على الطوائف المذكورة، وعلى الكهان والعرب المصدقين لهم والمعظِّمين للجن حين يقولون: أعوذ بعزيز هذا الوادي؛ إذ الجميع من هذه الفِرق متعلقون بإبليس وذرِّيَّته، وهم أضلوا الجميع، فهم المرادُ الأول بالـمُضِلِّين، وتندرج هذه الطوائف في معناهم.

وقرأ الجمهور: ﴿أَشْهَدتُّهُمْ﴾.

[وقرأ أبو جعفر وعون[٤] العقيلي، وأيوب السَّخْتِياني: ﴿أَشْهَدْنَاهُم﴾[٥].

وقرأ الجمهور: ﴿وَمَا كُنتُ﴾][٦].

---

(١) في الأصل ونور العثمانية: ونجيبويه «معاد»، وقد سماه المؤلف في فهرسه (ص: ٦٥): أبا عبد الله محمد بن معاذ التميمي القيرواني، وذكر أن أباه عبد الحق قرأ عليه صحيح البخاري بالمهدية قبل طلوعه إلى الحج سنة (٤٦٩هـ).

(٢) هو عبد الحقّ بن محمد بن هارون أبو محمد السَّهمي الصَّقلي، الفقيه المالكي، أحد علماء المغرب، حجّ فلقي القاضي عبد الوهاب وأبا ذر الهروي، وجالس بمكّة بعد ذلك إمام الحرمين، له كتاب النُّكَت، تُوفي سنة (٤٦٦هـ). تاريخ الإسلام (٣١/ ٢٠١).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١).

(٤) وفي المطبوع: «عوف»، وأصلحناه من هذه النسخة، والمصادر المذكورة في تخريج القراءة.

(٥) عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣١١)، وعزاها لهم في مختصر الشواذ (ص: ٨٣).

(٦) ليس في الأصل ونور العثمانية والإماراتية٢.

وقرأ أبو جعفر والجحدري[1]، والحسن بخلاف: ﴿وما كنتَ﴾[2].

والصفة بـ﴿ٱلْمُضِلِّينَ﴾ تترتب في الطَّوائف المذكورة، وفي ذرِّيَّة إبليس لعنه الله.

و«العَضُد» استعارة للمعين والـمُؤَازر، وهو تشبيه بعَضد الإنسان الذي يستعين به.

وقرأ الجمهور: ﴿عَضُدًا﴾ بفتح العين وضم الضاد، وقرأ أبو عمرو، والحسن بضمهما، وقرأ الضحاك بكسر العين وفتح الضاد، وقرأ عكرمة: (عُضْداً) بضم العين وسكون الضاد، وقرأ عيسى بن عمر: (عَضَداً) بفتح العين والضاد[3]، وفيه لغات غير هذا لم يُقْرأ بها.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾، الآية وعيدٌ، المعنى: واذكر يومَ.

وقرأ طلحة، ويحيى، والأعمش، وحمزة: ﴿نَقُولُ﴾ بنون العظمة، وقرأ الجمهور بالياء[4]، أي: يقول الله تعالى للكفار الذين أشركوا به من الدنيا سواه: ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِىَ﴾ على وجه الاستغاثة بهم.

وقوله: ﴿شُرَكَآءِىَ﴾، أي: على دعواكم أيها المشركون، وقد بَيَّن هذا بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾.

وقرأ ابن كثير وأهل مكة: (شُرَكَايَ)[5] بياءٍ مفتوحة، وقرأ الجمهور: ﴿شُرَكَآءِىَ﴾

---

(١) في المطبوع: «أبو جعفر الجحدري» بلا واو على أنها صفة له، وهو خطأ.

(٢) عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣١١)، وعزاها لهم في البحر المحيط (٧/ ١٩١) وزاد شيبة.

(٣) أربع قراءات شاذة، عزا الأولى في الكامل (ص: ٥٩٢) لهارون، وخارجة، والخفاف، وأبي زيد عن أبي عمر في قول أبي علي، والثالثة لنعيم، وعباس، وعزاها في الكشاف (٢/ ٧٢٨) للحسن، وعزا الرابعة في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٦٨) للحسن، وفي مختصر الشواذ (ص: ٨٤) له وللجحدري ويزيد، والكل في البحر المحيط (٧/ ١٩١).

(٤) انظر: السبعة (ص: ٣٩٣)، والتيسير (ص: ١٤٤)، وانظر موافقة الباقين لحمزة في البحر المحيط (٧/ ١٩١).

(٥) كتبت في المطبوع: «شركائي»، بالهمز قبل الياء مثل قراءة الجمهور، ولعله خطأ.

بهمزة، فمنهم من حقَّقها، ومنهم من خَفَّفَها[(١)].

و«الزَّعْمُ» إنما هو مستعمل أبداً في غير اليقين، بل أغلبه في الكذب، ومنه هذه الآية.

وأرفع مواضعه أن تستعمل (زعم) بمعنى: (أخبر) حيث تلقي[(٢)] عهدة الخبر على المخبر، كما يقول سيبويه رحمه الله: زعم الخليل[(٣)].

وقوله: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ ظاهره أن ذلك يقع حقيقة، ويحتمل أن يكون استعارة، كأن فكرة الكفار ونظرهم في أن تلك الجمادات لا تغني شيئاً ولا تنفع هي بمنزلة الدعاء وترك الإجابة، والأول أَبْيَن.

واختلف المتأولون في قوله: ﴿مَّوْبِقًا﴾: قال عبد الله بن عمرو[(٤)]، وأنس بن مالك[(٥)]، ومجاهد: هو وادٍ في جهنم يجري بدمٍ وصَديدٍ[(٦)]، قال أنس: يحجز بين أهل

---

(١) الثانية متواترة، والأولى نقلها في السبعة (ص: ٣٧١) في سورة النحل عن البزي عنه، قال في النشر (٢/ ٣٠٣) وذكره الداني حكاية لا رواية، وأما الثالثة فلم أقف عليها.

(٢) في أحمد٣ ونور العثمانية والحمزوية والإماراتية١: «تبقى».

(٣) تكررت في الكتاب كثيراً، انظر مثلًا: (١/ ٧٢).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٤٦)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٢١) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: ذكر لنا أن عمراً البكالي حدث عن عبد الله بن عمرو، قال: هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلال. وهذا إسناد منقطع؛ لعدم سماع قتادة من عمرو البكالي.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص: ٣١١، ٣١٢)، والطبري (١٨/ ٤٧)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٣٨٦)، وابن حبان في الثقات (٥/ ٥٣٨)، والبيهقي في البعث (٥٢٠) من طريق عبد الصمد ابن عبد الوارث، عن يزيد بن درهم، قال سمعت أنس بن مالك يقول في قول الله جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ قال: واد في جهنم من قيح ودم، ويزيد بن درهم أبو العلاء العجمي قال فيه ابن معين: ليس بشيء، وقال ابن حبان: يخطئ كثيراً، وذكر له هذا الحديث، وذكره العقيلي في الضعفاء بهذا الحديث، وقال ابن عدي: لا أعرف له كثير رواية إلا مقاطيع عن التابعين وعن الصحابة، ووثقه عبد الصمد بن عبد الوارث لمَّا روى عنه، وكذا الفلاس. وانظر: الجرح والتعديل (٩/ ٢٦٠)، والثقات لابن حبان (٥/ ٥٣٨).

(٦) تفسير الطبري (١٨/ ٤٧).

النار وبين المؤمنين[١]، فقوله على هذا: ﴿بَيْنَهُم﴾ ظرفٌ، وقال الحسن: ﴿مَّوْبِقًا﴾ معناه: عداوةً[٢]، و﴿بَيْنَهُم﴾ على هذا ظرفٌ، وبعض هذه الفرقة يرى أن الضمير في قوله: ﴿بَيْنَهُم﴾ يعود على المؤمنين والكافرين، ويحتمل أن يعود على المشركين ومعبوداتهم [في الدنيا، وأما التأويل الأول فالضمير فيه عائد على المشركين ومعبوداتهم][٣].

وقال ابن عباس: ﴿مَّوْبِقًا﴾ معناه: مهلكاً[٤]، بمنزلة: موضع، وهو من قولك: وَبِقَ الرجلُ، وأَوْبَقَه غيرُه: إذا أهلكه، فقوله: ﴿بَيْنَهُم﴾ على هذا التأويل يصح أن يكون ظرفاً، والأظهر فيه أن يكون اسماً بمعنى: وجعلنا تواصلهم[٥] أمراً مهلكاً لهم، ويكون ﴿بَيْنَهُم﴾ مفعولاً أولاً لـ﴿وَجَعَلْنَا﴾، وعبَّر بعضهم عن الـمَوْبِق بالوعيد، وهذا ضعيف.

ثم أخبر عزَّ وجلَّ عن رؤية المجرمين النار ومعاينتهم لها، ووقوع العِلْم لهم بأنهم مُبَاشِرُوها، وأطلق الناس أن الظَّنَّ هنا بمعنى اليقين، ولو قال بدل (ظَنُّوا): أَيْقَنُوا لكان الكلام مُتَّسقاً على مبالغة فيه، ولكن العبارة بالظَّن لا تجيءُ أبداً في موضع يقين تام قد ناله الحسُّ[٦]، بل أعظم درجاته أن يجيءَ في موضع عِلْم متحقق لكنه لم يقع ذلك المظنون، وإلَّا فما[٧] يقع ويُحَسُّ لا يكاد توجد في كلام العرب العبارة عنه بالظَّنِّ، وتأمل هذه الآية، وتأمل قول دُرَيْد:

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ[٨] .... [الطويل]

---

(١) هذا بقية حديث عبد الله بن عمرو المتقدم، ولم أجده من كلام أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) تفسير الماوردي (٣/ ٣١٦)، وتفسير الطبري (١٨/ ٤٦).
(٣) زيادة من المطبوع والإماراتية١ ونجيبويه.
(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٥) في المطبوع: «تواصهم».
(٦) في نور العثمانية: «قاله الحسن».
(٧) في نجيبويه والإماراتية١: «فمذ»، وفي نور العثمانية: «فقد».
(٨) صدر بيت قاله دُرَيْدُ بن الصِّمَّة من قصيدة له يرثي بها أخاه عبد الله، وقد تقدم مراراً.

وقرأ الأعمش: (فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُلاقُوهَا)، وكذلك في مصحف ابن مسعود، وحكى أبو عمرو الداني عن علقمة أنه قرأ: (مُلافُّوهَا) بالفاء مشددة، من لفَّفت[1]، وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن الكافر لَيَرَى جهنَّمَ ويظنُّ أنها مواقعتُه من مسيرة أربعين سنة»[2].

[٣/ ٢١١] و«المَصْرِفُ»: المَعْدِلُ والمراغ[3]، ومنه قول أبي كبير الهذلي:/

[الكامل] أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفِ ... أَمْ لا خُلُودَ لِباذِلٍ مُتكَلِّفِ[4]

وهو مأخوذ من الانصراف من شيءٍ إلى شيءٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ الآية، المعنى: ولقد خَوَّفنا ورَجَّيْنا وبالغنا في البيان، وهذا كله بتمثيل وتقريب للأذهان.

وقوله: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾؛ أي: من كلِّ مثل له نفعٌ في الغرض المقصود بهم، وهو الهداية.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ خبرٌ مُقْتَضَب في ضمنه: فلم ينفع فيهم تصريف الأمثال، بل هم قوم[5] منحرفون يجادلون بالباطل.

وقوله: ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يريد به الجنس، ورُوي: أن سبب الآية هو النضر بن الحارث،

---

(١) البحر المحيط (٧/ ١٩٢).

(٢) ضعيف، أخرجه أحمد (١٨/ ٢٤٢، ٢٤٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٣٨٥)، والطبري (١٥/ ٢٩٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٩٧) من طريق دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري فذكره.. مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السمح في روايته عن أبي الهيثم، وهو سليمان بن عمرو العتواري.

(٣) ليست في المطبوع ونجيبويه والإماراتية١.

(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٤٠٧)، وتفسير الطبري (١٨/ ٤٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣١٧)، والمحكم لابن سيده (٧/ ٣٦).

(٥) من المطبوع والإماراتية١.

وقيل: ابن الزِّبَعْرى[١]، ورُوي: أن رسول الله ﷺ دخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد نام عن صلاة الليل فأَيقظه وعاتبه[٢]، فقال له عليٌّ: إنما نفسي بيد الله، ونحو هذا، فخرج رسول الله ﷺ وهو يضرب فخذه بيده ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾[٣]، فقد استعمل الآية على العموم في جميع الناس.

و«الجَدَلُ»: الخصام والمدافعة بالقول، فالإنسان أكثر جَدَلاً من كلِّ ما يجادِلُ من ملائكة وجِنٍّ وغير ذلك إن فُرض.

وفي قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ تعليم تَفَجُّع مَّا على الناس، ويبين فيما بعد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾.

هذه آية تأَسُّف عليهم، وتنبيهٌ على فساد حالهم؛ لأن هذا المنع لم يكن بِقَصْد منهم أن يمتنعوا لِيجيئَهم العذابُ، وإنما امتنعوا هم مع اعتقادهم أنهم مصيبون، لكن الأمر في نفسه يسوقهم إلى هذا، فكأن حالهم تقتضي التَّأَسُّف عليهم.

---

(١) يشير المؤلف إلى قصة رواها الطبري (١٨/ ٥٣٩) من طريق محمد بن إسحاق قال: جلس رسول الله ﷺ فيما بلغني يوماً مع الوليد بن المغيرة، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم... وأقبل عبد الله ابن الزِّبَعْرى بن قيس بن عديّ السهمي حتى جلس..لكن فيه: فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾... إلى ﴿خَـٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] وليس فيه آية سورة الكهف.

(٢) ليست في الأصل ونجيبويه.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٢٧)، ومسلم (٧٧٥) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

و﴿ٱلنَّاسَ﴾ يُرادُ به كفار عصر رسول الله ﷺ الذين تَوَلَّوْا دفع الشريعة وتكذيبها.

و﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ هو شرع الله، والبيانُ الذي جاء به محمد ﷺ.

و«الاسْتِغْفَارُ» هنا طلب المغفرة على فارط الذَّنب كُفْراً وغيره.

و«سُنَّـةُ الْأَوَّلِينَ»: هي عذابُ الأمم المذكورة من الغَرَق والصيحة والظُّلَّة والريح وغير ذلك.

قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾؛ أي: مقابلةً عياناً، والمعنى عذاب غير المعهود، فتظهر فائدة التقسيم، وكذلك صدق هذا الوعيد في بدر.

وقال مجاهد: ﴿قُبُلًا﴾ معناه: فجأة[1].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، ومجاهد، وعيسى بن عمر: ﴿قِبَلاً﴾ بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ عاصم، والكسائي، وحمزة، والحسن، والأعرج: ﴿قُبُلًا﴾ بضم القاف والباء[2].

ويحتمل مَعْنَـيَيْن: أحدهما أن يكون بمعنى: (قِبَل)؛ لأن أبا عبيدة[3] حكاهما بمعنى واحد في المقابلة[4]، والآخر أن يكون جمع قَبِيل؛ أي: يجيئهم العذاب أنواعاً وألواناً.

وقرأ أبو رجاءٍ، والحسن أيضاً: (قُبْلاً) بضم القاف وسكون الباء[5].

قولـه: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الآيـة، كأنـه لـمَّـا تفجَّـع عليهم وعلـى ضلالهم

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٩)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٧٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٠).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٩٣)، والتيسير (ص: ١٤٤)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٧/ ١٩٤)، وزاد آخرين.

(٣) في المطبوع: «أبا عيسى».

(٤) نقله في البحر المحيط (٧/ ١٩٤)، وفي مجاز القرآن (١/ ٤٠٧): إن فتحوا أولها فالمعنى: «استئنافاً»،.. وإن ضمّوا فالمعنى: «مقابلة».

(٥) وهي شاذة، عزاها للحسن في الشواذ للكرماني (ص: ٢٩١)، ولهما في البحر المحيط (٧/ ١٩٤).

ومصيرهم بآرائهم إلى الخسار، قال: وليس الأمر كما ظنُّوا، والرُّسُلُ لم نبعثهم لِيُجَادَلُوا، ولا لِتُتَمَنَّى عليهم الاقتراحات، وإنما بعثناهم مبشرين مَنْ آمن بالجنَّة، ومُنذرين من كفر بالنار.

و(يُدْحِضُوا) معناه: يزهقوا، و«الدَّحض»: الطِّين الذي يُزْلَق فيه، ومنه قول الشاعر:

وردت ونَجَّى الْيَشْكُرِيَّ نجاؤه   وحَادَ كما حَادَ الْبَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ[1]   [الطويل]

و قوله: ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ﴾ إلى آخر الآية توعُّد، والآيات تجمع آيات القرآن والعلامات التي ظهرت على لسان محمد ﷺ.

وقوله: ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾ يريد: من عذاب الآخرة، والتقدير: وما أُنذروه، فحذف الضمير، و«الهُزْءُ»: السخر والاستخفاف، كقولهم: أساطير الأولين، وقولهم: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١].

وقوله: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ استفهام بمعنى التقرير، وهذا من أفصح التقرير، أن يُوقف المرء[2] على مالا جواب له فيه إلَّا الذي يريد خَصْمُه، فالمعنى: لا أحد أَظْلَمُ مِمَّنْ هذه صفتُه، أن يُعرض عن الآيات بعد الوقوف عليها بالتذكير، وينسى ويَطَّرح كبائره التي أسلفها، هذه غاية الانهمال، ونسب السيئات إلى اليَدَيْن من حيث كانت اليدان آلة التَّكسُّب في الأُمور الجِرْمِيَّة، فجعلت كذلك في المعاني استعارةً.

ثم أخبر الله عز وجل عنهم وعن فعله بهم جزاءً عن إعراضهم وتكسُّبهم القبيح فإنه تعالى: جعل عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً، وهي جمع كِنانٍ، وهو كالغلاف الساتر.

واختلف الناسُ في هذا وما أشبهه من الخَتْم والطَّبْع ونحوه، هل هو حقيقة أو مجاز؟ والحقيقة في هذا غير مستحيلة، والتَّجوُّز أيضاً فصيح، أي: لما كانت هذه

(١) البيت لطرفة بن العبد كما في مجاز القرآن (١/ ٤٠٨)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٧٨)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٠٣)، والزاهر للأنباري (١/ ٢٩١) واليَشْكُرِيُّ الحارث بن حِلِّزَة، وفي المطبوع أول البيت: «رَدِيتُ»، وفيه: «حِذَارُهُ»، بدل «نجاؤه».

(٢) في الأصل: «الأمر».

المعاني مانعةً في الأجسام وحائلة[١] استُعيرت للقلوب التي قد أقساها[٢] الله تعالى وأقْصاها عن الخير.

وأمَّا «الْوَقْرُ في الآذانِ» فاستعارة بيِّنةٌ لأنا نحس الكفرة[٣] يسمعون الدعاء إلى الشَّرع سماعاً تامّاً، ولكن لـمَّا كانوا لا يُؤَثِّر ذلك فيهم إلَّا كما يؤثِّر في الذي به وَقْر فلا يَسْمع، شُبِّهوا به، وكذلك العمى والصمم والبكم كلها استعارات، وإنما الخلاف في أوصاف القلب، هل هي حقيقة أو مجاز؟ والوَقْرُ: الثِّقل في السَّمع.

ثم أخبر تعالى عنهم أنَّهم وإن دُعُوا إلى الهدى فإنهم لا يهتدون أبداً، وهذا يُخَرَّجُ على أحد تأويلين: أحدهما أن يكون هذا اللفظ العام يراد به الخاصُّ ممَّن حتم الله عليه أنه لا يؤمن ولا يهتدي أبداً، ويَـخْرُج عن العموم/ كل من قضى الله بهداه في ثاني حالٍ، والآخر أن يريد: وإن تَدْعُهُم إلى الهدى فلن يؤمنوا جميعاً أبداً، أي: أنهم ربما آمن منهم الأفراد، ويضطرنا إلى أحد هذين التأويلين أنَّا نجد الـمُخْبَر عنهم بهذا الخبر قد آمن منهم واهتدى كثيرٌ. [٣/ ٢١٢]

قوله عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾.

لمَّا أخبر تعالى عن القوم الذين حتم بكفرهم أنهم لا يهتدون أبداً، عقَّب ذلك بأنه للمؤمنين الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ، ويتحصل للكفار من صفته تعالى بالغفران والرَّحمة تَرْكُ الـمُعاجلة، ولو أُخِذوا بحسب ما يستحقُّونه لبادرهم بالعذاب المبيد[٤] لهم، ولكنه

(١) في الأصل: «وحاملة».

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «أنساها».

(٣) في نور العثمانية: «لأنا لا نحس الكفرة»، وفي المطبوع: «لأن الكفرة».

(٤) في المطبوع: «المُيَسَّر».

تعالى أخَّرهم إلى موعد لا يجدون عنه منجىً، قالت فرقة: هو أجل الموت، وقالت فرقة: هو عذاب الآخرة، وقال الطبري: هو يوم بدر والحشر[١].

و«الـمَوْئِلُ»: الـمَنْجَى، يقال: وأَلَ الرَّجُلُ يَـئِلُ: إذا نَجَا، ومنه قول الشاعر:

لا وَأَلَــتْ نَـفْسُــكَ خَلَّيْتَـهَــا   لِلْعَــامِرِيَّـيْن وَلَـمْ تُـكْـلَــمِ[٢]   [السريع]

ومنه قول الأعشى:

وقَـدْ أُخَالِسُ رَبَّ الْبَيْـتِ غَفْلَـتَهُ   وَقَـدْ يُحَاذِرُ مِنِّـي ثُمَّ مـا يَـئِلُ[٣]   [البسيط]

ثم عقَّب تعالى توعُّدَهم بذكر الأمثلة من القرى التي نزل بها ما توعَّد هؤلاء[٤] بمثله.

وفي قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ حذف مضاف، تقديره: وتلك أهل القُرى، [يدل على ذلك قوله: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾، فرد الضمير على أهل القرى][٥].

و﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾: المدن، وهذه الإشارة إلى عادٍ وثمودَ ومَدْين وغيرهم، و(تِلْكَ) ابتداءٌ، و﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ صفة، و﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ خبر، ويصحّ أن يكون (تِلْكَ) منصوباً بفعل يدل عليه ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾.

وقرأ الجمهور: ﴿لِـمُهْلَكِهِمْ﴾ بضم الميم وفتح اللام، وهو من (أَهْلَكَ)، ومُفْعَل في مثل هذا يكون لزمن الشيء، ومكانه، ويكون مصدراً، فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول.

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٥٢).

(٢) وفي الأصل: «خيلتها»، وهو لضمرة بن ضمرة النهشلي، أورده أبو زيد في نوادره (ص: ٥٥)، وانظر: خزانة الأدب (٩/ ٣٨٦).

(٣) البيت من لامية الأعشى المعروفة (ودع هريرة إن الرَّكب مرتحل)، نسبه له في مجاز القرآن (١/ ٤٠٨)، وتفسير الطبري (١٨/ ٥٢)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٧٩)، وفي نجيبويه: «وما أخالس»، وفيها أيضاً: «ثم لا يئل»، ويئل: ينجو.

(٤) في المطبوع: «هو لا».

(٥) ليس في المطبوع.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿لِـمَهْلَكِهِمْ﴾ بفتح الميم واللام، وقرأ في رواية حفص: ﴿لِمَهْلِكِهِم﴾ بفتح الميم وكسر اللام[١]، وهذا مصدر من: (هَلَكَ)، وهو في مشهور اللُّغة غير مُتَعَدٍّ، فالمصدر على هذا مضاف إلى الفاعل؛ لأنه بمعنى: وجعلنا لأنْ هلَكُوا موعداً، وقالت فرقة: إنَّ (هَلَكَ) يتعدَّى، تقول: أَهْلَكْتُ الرَّجلَ وهَلَكْتُهُ بمعنىً واحد.

وأنشد أبو عليٍّ في ذلك:

[الرجز] وَمَهْمَـهٍ هَالِـك مَـنْ تَعَرَّجَـا[٢] ....

فعلى هذا يكون المصدر في كل وَجْه مضافاً إلى المفعول.

وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ ﴾ الآية، ابتداءُ قصة ليست من الكلام الأول، والمعنى: واذكر واتْلُ، و﴿مُوسَىٰ ﴾ هو موسى بن عمران بمقتضى الأحاديث والتواريخ، وبظاهر القرآن؛ إذ ليس في القرآن موسى غير واحد، وهو ابن عمران، ولو كان في هذه الآية موسى غيره لَبَيَّـنَهُ، وقالت فرقة منها نوف البِكَالي: إنه ليس موسى بن عمران، وهو موسى بن مشنى[٣]، ويقال: موسى بن منسى[٤].

وأمَّا فتاه فعلى قول من قال[٥]: موسى بن عمران فهو يوشع بن نون بن إفراييل ابن يوسف بن يعقوب، وأما من قال: هو موسى بن مشنى فليس الفتى بيوشع بن نون، ولكنه قول غير صحيح ردَّه ابن عباس وغيره[٦].

و«الفتى» في كلام العرب: الشَّاب، ولما كان الخَدَمة أكثر ما يكونون فتياناً قيل

---

(١) البحر المحيط (٧/ ١٩٢).

(٢) الحجة للفارسي (٥/ ١٥٦)، والبيت للعَجَّاج كما في المقتضب (٤/ ١٨٠)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٨٣)، والمحتسب (١/ ٩١).

(٣) في المطبوع: «مَثْنَى»، وفي الإماراتية١: «مشي».

(٤) في المطبوع: «مَنْشَى».

(٥) في نجيبويه: زيادة: «هو».

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

للخادم: فتًى على جهة حسن الأدب، [وإنْ أَسَنَّ][1]، وندبت الشريعة إلى ذلك في قول النبي ﷺ: «لا يَقُل أحدكم: عَبْدي، ولا أَمَتي، وليقل: فَتَاي، وفَتَاتي»[2].

فهذا ندب إلى التواضع، والفتى في الآية: هو الخادم، ويوشع بن نون يقال: هو ابن أخت موسى عليه السلام.

وسبب هذه القصة فيما روي عن النبي ﷺ: أن موسى جلس يوماً في مجلس لبني إسرائيل، وخطب فأبلغ، فقيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: لا، فأوحى الله إليه: بَلَى، عبدنا خضر، فقال: يا رب، دلَّني على السبيل إلى لُقِيِّه، فأوحى الله إليه أن يسير بطول سِيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين، فإذا فقدت الحوت فإنه هنالك[3]، وأُمر أن يتزود حوتاً[4]، ويرتقب زواله عنه، ففعل موسى ذلك، وقال لفتاه على جهة إمضاء العزيمة: لا أَبْرَح أسير؛ أي: لا أزال، وإنما قال هذه المقالة وهو سائر، ومن هذا قول الفرزدق:

فَمَا بَرِحُوا حَتَّى تَهَادَتْ نِسَاؤُهُم ... بِبَطْحَاءِ ذي قارٍ عِيابَ اللَّطَائِمِ[5] [الطويل]

وذكر الطبريُّ عن ابن عباس قال: لـمَّا ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه بمصر، فلمَّا استقر الحال خطب يوماً، فذكَّر بآلاء الله وأيامه عند بني إسرائيل[6]، ثم ذكر نحو ما تقدَّم.

قال القاضي أبو محمد: وما مرَّ بي قطُّ أن موسى عليه السلام أنزل قومه بمصر

---

(١) من المطبوع ونجيبويه والإماراتية.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) من قصيدة يمدح بها عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني، عزاه له تفسير الطبري (١٨/ ٥٦)، وأساس البلاغة (١/ ٤٧٦).

(٦) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره بلفظ مطول.

إلَّا في هذا الكلام، وما أُراه يصح، بل المتظاهر أن موسى مات بفحص التِّيه قبل فتح ديار الجبَّارين، وفي هذه القصة من الفِقْه: الرحلةُ في طلب العلم، والتواضع للعالِم[1].

وقرأ الجمهور: ﴿مَجْمَعَ﴾ بفتح الميمين، وقرأ الضحاك: (مَجْمِعَ) بكسر الميم الثانية[2].

واختلف الناس في مَجْمَع البَحْرَيْنِ، أين هو؟ فقال مجاهد، وقتادة: هو مجتمع بحر فارس وبحر الروم[3].

قال القاضي أبو محمد: وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال إلى جنوب في أرض فارس من وراء أذربيجان، فالركن الذي لاجتماع البحرين ممَّا يلي برَّ الشام، وهو مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ [على هذا القول.

وقالت فرقة منهم محمد بن كعب: مجمع البحرين][4] هو عند طنجة، وهو حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه السائر من دَبُور إلى صَبَا.

[٣/ ٢١٣] وروي عن أُبيٍّ بن كعب أنه قال: مَجْمَع الْبَحْرَيْنِ بإفريقية[5]/ ، وهذا يقرب من الذي قبله.

وقال بعض أهل العلم: هو بحر الأندلس من البحر المحيط، وهذا كله واحد، حكاه النقاش[6].

---

(١) انظر في ذلك: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٧)، والهداية لمكي (٦/ ٤٤٢٦-٤٤٢٧)، وتفسير الرازي (٢١/ ١٢٢).

(٢) شاذة، انظر: البحر المحيط (٧/ ٢٠٠)، ونسبها في مختصر الشواذ (ص: ٨٤)، والمحتسب (٢/ ٣٠)، لعبد الله بن مسلم بن يسار.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٥٥).

(٤) زيادة من المطبوع وأحمد٣ والإماراتية١ والحمزوية.

(٥) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٩/ ٦٠٤)، وفتح الباري (٨/ ٤١٠) وضعف الحافظ إسناده.

(٦) تفسير القرطبي (١١/ ٩).

وهذا مما يُذكر كثيراً، ويذكر أن القرية التي أبَتْ أن تُضيِّـفَهما هي الجزيرة الخضراءُ.

وقالت فرقة: مَجْمَع الْبَحْرَيْنِ يريد بحراً ملحاً وبحراً عذباً، فعلى هذا إنما كان الخضر عند موقع نهر عظيم في البحر.

وقالت فرقة: البحران إنما هما كناية عن موسى عليه السلام والخضر؛ لأنهما بَحْرَا عِلْم، وهذا قول ضعيف، والأمر بيِّن من الأحاديث أنه إنما رُسِمَ له ماء بحر[(١)].

وقوله: ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ معناه: أوْ أمضي على وجهي زماناً.

واختلف القراءُ: فقرأ الحسن، والأعمش، وعاصم: (حُقْباً) بسكون القاف[(٢)].

وقرأ الجمهور: ﴿حُقُبًا﴾ بضمِّه، وهو تثقيل حُقْبٍ، وجمْع الحُقْب أحقابٌ.

واختلف في الحقب، فقال عبد الله بن عمرو: ثمانون سنة[(٣)]، وقال مجاهد: سبعون[(٤)].

وقال الفراءُ: الحُقب: سنةٌ واحدة[(٥)]، وقال ابن عباس[(٦)] وقتادة: أزمان غير محدودة[(٧)].

وقالت فرقة: الحُقب جمع حقبة وهي السنة، [كأنه قال: أو أمضيَ سِنِينَ][(٨)].

---

(١) في المطبوع والإماراتية١ وأحمد٣: «بحرٌ مًّا»، وفي نور العثمانية والإماراتية٢ ونجيبويه: «بحر ماء».

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٩١) لابن عمر وعمير عن أبي عمرو، وانظر: الكامل للهذلي (ص: ٥٢٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٦) من طريق أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، فذكره. وأبو بلج الفزاري، الكوفي، اسمه يحيى بن سليم بن بلج، مختلف فيه.

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٥٦).

(٥) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٠٥).

(٦) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٦-٥٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه، قوله: ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾. قال: دهراً.

(٧) تفسير الطبري (١٨/ ٥٧)، والهداية لمكي (٦/ ٤٤١٦)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٢٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٤).

(٨) ليس في المطبوع.

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿بَيْنِهِمَا﴾ للبحرين، قاله مجاهد[1]، وقيل: هو لموسى والخضر، والأول أصوب، وقرأ عبد الله بن مسلم: (مَجْمِعَ) بكسر الميم الثانية[2].

وقال: ﴿نَسِيَا﴾، وإنما كان النسيان من الفتى وحده، نسي أن يُعلِمَ موسى بما رأى من حاله من حيث كان لهما زاداً، وكان بسبب منه، فنسب فعل الواحد فيه إليهما، وهذا كما يقال: فَعَل بنو فلان الأمر، وإنما فعله منهم بعض.

ورُوي في الحديث: أن يوشع رأى الحوت قد حش[3] من المِكْتَل إلى البحر، فرآه قد اتَّخذ السرب، وكان موسى نائماً، فأشفق أن يوقظه، وقال: أُؤَخِّر حتَّى يستيقظ، فلما استيقظ نَسي يوشع أن يُعلِمَه[4]، ورحلا حتى جاوزا.

و«السَّبيلُ»: الـمَسْلَك، و«السَّربُ»: الـمَسْلَك في جوف الأرض، فشبه به مسلك الحوت في الماء حين لم ينطبق الماءُ بعده [بل بقي][5] كالطَّاقِ.

وهذا الذي ورد في الحديث عن النبي ﷺ[6]، وقاله جمهور المفسرين، إن

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٥٧).

(٢) تقدم عن مختصر الشواذ (ص: ٨٤)، في الموضع الأول، وعزاها هنا في البحر المحيط (٧/ ٢٠٠) للضحاك فقط، وفي الأصل: «عبيد الله».

(٣) في المطبوع: «حشر»، وفي نور العثمانية: «حس».

(٤) أخرجه البخاري (١٢٢) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، بنحو لفظ المؤلف.

(٥) ليس في المطبوع.

(٦) جاء هذا اللفظ في البخاري (٣٤٠١-٤٧٢٦) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

الحوت بقي موضع سلوكه [فارغاً، وقال قتادة][1]: [ماءً جامداً.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: بل][2] صار موضع سلوكه حجراً صلداً[3].

وقال ابن زيد: إنما اتَّخذ سبيله سرباً في البرِّ حتى وصل إلى البحر، ثم عام على العادة[4].

قال القاضي أبو محمد: وهؤلاء يتأولون ﴿سَرَبًا﴾ بمعنى: تصرُّفاً وجَوَلاناً، من قولهم: فَحْلٌ ساربٌ؛ أي: مُهْمَل يرعى من حيث يشاءُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]؛ أيْ: متصرف.

وقالت فرقة: اتَّخَذ سرباً في التُّراب من المكتل إلى البحر، وصادف في طريقه حجراً فثقبه[5].

وظاهر الأمر أن السَّرَب إنما كان في الماء، ومن غريب ما روي في «البخاري» عن ابن عباس في قصص هذه الآية: أن الحوتَ إنما حَيِيَ؛ لأنه مسَّه ماءُ عَيْن هنالك تدعى عين الحياة، ما مَسَّت شيئاً قط إلَّا حَيي[6]، ومن غريبه أيضاً: أن بعض المفسرين ذكر أن موضع سلوك الحوت عاد حجراً طريقاً، وأن موسى مَشَى عليه تبعاً للحوت حتى أفضى به ذلك الطريق إلى جزيرة في البحر، وفيها وجد الخضر[7].

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) ليس في الأصل والإماراتية.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٩) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، قال: لا يمسّ شيئاً من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة.

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٥٩).

(٥) في المطبوع: «فنقبه».

(٦) أخرجه البخاري (٤٧٢٧) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وانظر للأهمية فتح الباري (٨/ ٤١٥).

(٧) تفسير الطبري (١٨/ ٦٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٣)، والهداية لمكي (٦/ ٤٤٢٠)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٢٤).

وظاهر الروايات والكتاب: أنه إنما وجد الخضر في ضفة البحر، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾.

وروي في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: أن موسى عليه السلام نزل عند صخرة[1] عظيمة في ضفة البحر، فنسي يوشع الحوت هنالك[2]، ثم استيقظ موسى، ورحلا مرحلة بقية اللَّيل وصَدْر يومهما، فجاع موسى ولحقه تعب الطريق فاستدعى الغداء.

قال لي أبي رضي الله عنه: وسمعت أبا الفضل بن الجوهري يقول في وعظه: مشى موسى إلى المناجاة فبقي أربعين يوماً لم يحتج إلى طعام، ولمَّا مشى إلى بشر لحقه الجوع في بعض يوم.

و«النَّصَبُ»: التعب والمشقة.

وقرأ عبد الله بن عبيد بن عمير: (نُصُباً) بضم النون والصاد[3]، ويشبه أن يكون جمع نَصْبٍ، وهو تخفيف نَصَبٍ.

قوله: ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ الآية، حكى الطبري عن فرقة أنها قالت: الصخرة هي بالشام عند نهر الذيب[4]، وقد تقدم ذكر الخلاف في موضع هذه القصة.

وقوله: ﴿نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ﴾ يريد: نسيت ذكر ما جرى فيه لك.

وأمال الكسائي وحده: ﴿أَنْسَانِيهِ﴾، [وقرأت فرقة: ﴿أَنسَىٰنِيهُ﴾][5]، وقرأ ابن كثير في الوصل: ﴿أَنْسَانِيهِي﴾ بياءٍ بعد الهاء[6].

---

(١) في المطبوع: «شجرة».

(٢) انظر حديث أبي بن كعب رضي الله عنه المتقدم.

(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٤)، والبحر المحيط (٧/ ٢٠١).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٦٠).

(٥) ليس في المطبوع.

(٦) هذه ثلاث قراءات سبعية، والثانية لحفص، وبقي لورش التقليل، وللجمهور الكسر مقصوراً بلا إمالة، انظر: السبعة (ص: ٣٩٣).

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وَمَا أَنْسَانِيه أَنْ أُذَكِّرَ لَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ)[١].

وقوله: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلْحُوتَ﴾ بدل اشتمال.

وقوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ يحتمل أن يكون من قول يوشع لموسى؛ أي: اتَّخذ الحوت سبيله عجباً للناس.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ تمام[٢] الخبر، ثم استأْنف التعجُّب فقال من قِبَل نفسه: ﴿عَجَبًا﴾ لهذا الأمر، وموضع العجب أن يكون الحوت قد مات وأُكل شِقُّه الأيسر، ثم حيي بعد ذلك، قال أبو شجاع في كتاب الطبري: رأيته، أتيت به فإذا هو شقة حوت وعين واحدة، وشقٌّ آخر ليس فيه شيءٌ[٣].

قال القاضي أبو محمد: وأنا رأيته، [والشِّقُّ الذي ليس فيه شيءٌ عليه قشرة رقيقة يشفُّ تحتها شوكه وشقه الآخر][٤].

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾ الآية إخباراً من الله تعالى، وذلك على وجهين: إما أن يُخبر عن موسى أنه اتخذ سبيل الحوت من البحر عجباً؛ أي: تعجَّب منه، وإمَّا أن يخبر / عن الحوت أنه اتخذ سبيله عجباً للناس. [٣/ ٢١٤]

وقرأ أبو حيوة: (واتِّخاذَ سبيلِه)[٥]، فهذا مصدر معطوف على الضمير في ﴿أَذْكُرَهُۥ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ﴾ الآية، المعنى: قال موسى لفتاه: أمر الحوت وفقده هو الذي كنَّا نطلب، فإن الرجل الذي جئنا له ثَمَّ، فرجعا يقُصَّان أثرهما لئلا يخطئا[٦] طريقهما.

---

(١) وهي شاذة، وعزاها له في تفسير الطبري (١٨/ ٦٠) بلفظ: (أن أذكره)، وفي تفسير الزمخشري (٢/ ٧٣٣) بلفظ: (أن أذكركه).

(٢) في الأصل: «تام».

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٥٩).

(٤) في حاشية المطبوع: اختلفت الأصول في كتابة هذه العبارة.

(٥) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٤).

(٦) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية: «يخطئان».

وقرأ الجمهور: ﴿نَبْغِي﴾ بثبوت الياء، وقرأ عاصم وقومٌ: ﴿نَبْغِ﴾ دون ياءٍ، وكان الحسن يثبتها إذا وصل، ويحذفها إذا وقف(١).

و«قَصُّ الأَثَر»: اتِّباعه، وتطلُّبه في موضع خفائه(٢).

والعَبْدُ: هو الخضر في قول الجمهور بمقتضى الأحاديث، وخالف مَن لا يُعتدُّ بقوله فقال: ليس صاحب موسى بالخضر، بل هو عالمٌ آخر(٣).

والخضر نبيٌّ عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته؛ لأن بواطن أفعاله هل كانت إلَّا بوحي إليه؟(٤).

ورُوي في الحديث: أن موسى عليه السلام وجد الخضر مُسَجًّى في ثوبه مستلقياً على الأرض، فقال له: السلام عليك، فرفع الخضر رأسه وقال: وَأَنَّى بأرضك السلامُ؟ ثم قال له: من أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال له: ألم يكن لك في بني إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى هنا؟ قال: بلى، ولكني أحببتُ لقاءك وأن أتعلم منك، قال له: إنِّي على عِلْم من عِلْم الله علمنيه، لا تعلمه أنت، وأنت على عِلْم من عِلْم الله علَّمَكه الله لا أعلمه أنا(٥).

قال القاضي أبو محمد: كان علم الخضر معرفة بواطن قد أُوحيت إليه لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها، وكان علم موسى عليه السلام علم الأحكام والفُتْيَا بظاهر أقوال الناسِ وأفعالهم.

---

(١) والثلاث سبعية، قال في التيسير (ص: ١٤٧): أثبتها في الحالين ابن كثير، وفي الوصل نافع وأبو عمرو والكسائي.

(٢) في المطبوع: «خفاية».

(٣) ممن نقل عنه ذلك القشيري والجبائي، انظر: تفسير الرازي (٢١/ ١٢٧)، وتفسير القرطبي (١١/ ١٦).

(٤) في الأصل: «بوحي الله».

(٥) «أنا» ليست في المطبوع، والحديث أخرجه البخاري (١٢٢) من حديث أبي بن كعب، بنحو لفظ المؤلف.

ورُوي: أن موسى وجد الخضر قاعداً على ثبج البحر.

وسُمِّي الخضر خضراً؛ لأنه جلس على فروة يابسة فاهتزت تحته خضراء، رُوي ذلك عن النبي ﷺ[١].

و«الرَّحْمَةُ» في هذه الآية: النُّبُـوَّةُ.

وقد ذكرنا الحديث الـمُضَمَّن أن سبب هذه القصة أن موسى عليه السلام قيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: لا، وحكى الطبري حديثاً آخر، مُضَمَّنُهُ أن مُوسى عليه السلام قال من قِبَل نفسه: أيْ رَبِّ، أيُّ عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة خير تهديه، قال: رب، فهل في الأرض أحدٌ؟ قال: نعم، فسأل السبيل إلى لُقِيِّه[٢]، والحديث الأول في «صحيح البخاري»[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ بتشديد النون.

وقرأ أبو عمرو: ﴿من لدُنَا﴾ بضم الدال وتخفيف النون، قال أبو حاتم: هما لغتان[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾.

هذه مخاطبة المستنزل المبالغ في حُسْن الأدب، المعنى: هل يتَّفق لك ويخِفُّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٦٣) عن محمد بن حميد الرازي، عن يعقوب، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره بلفظ مطول. ومحمد بن حميد الرازي ليس بعمدة.

(٣) تقدم قريباً.

(٤) وهي شاذة، رواها عنه أبو زيد، انظرها مع قول أبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ٢٠٤).

عليك؟ وهذا كما في الحديث: هل تستطيع أن تُرِيَني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأُ[(١)]، وعلى بعض التأويلات يجيء كذلك قوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً﴾ [المائدة: ١١٢].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم[(٢)]: ﴿رُشْدًا﴾ [بتخفيف الشين، وهي قراءة حمزة، والكسائي.

وقرأ ابن عامر: (رُشُدا)][(٣)]، [بضم الراء والشين][(٤)].

وقرأ أبو عمرو: ﴿رَشَداً﴾ بفتح الراء والشين[(٥)].

ونصبه على وجهين: أحدهما أن يكون مفعولاً ثانياً بـ﴿تُعَلِّمَنِ﴾.

والآخر أن يكون حالاً من الضمير في قوله: ﴿أَتَّبِعُكَ﴾.

ثم قال الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾؛ أي: إنَّك يا موسى لا تُطيق أن تصبر على ما تراه من عملي؛ لأن الظواهر التي هي[(٦)] علمك لا تعطيه[(٧)]، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما تراه خطأً ولم تُخْبَر بوجه الحكمة فيه، ولا طريق[(٨)] الصواب؟ فقرب له موسى الأمر بِوَعْده أنه سيجده صابراً[(٩)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٥).

(٢) ليس في نجيبويه.

(٣) ليس في الأصل، وفي أحمد٣: «بسكون»، بدل «تخفيف»، وهي أوضح في المعنى.

(٤) ليس في المطبوع.

(٥) الأولى سبعية ـ وفيها ابن عامر ـ وكذا الثالثة، انظر: التيسير (ص: ١٤٤)، وانظر الثانية في السبعة (ص: ٣٩٤)، وليست في التيسير.

(٦) من المطبوع ونور العثمانية.

(٧) في أحمد٣: «لا تعطيك إياه».

(٨) في نجيبويه: «وجه».

(٩) من المطبوع.

ثم استثنى حين حكم على نفسه بأمر، فقوَّى الخضر وصاتَه، وأمره بالإمساك عن السؤال والإكنان لما يراه حتى يبتدئه الخضر بشرح ما يجب شرحه.

وقرأ نافع: ﴿فلا تَسْأَلَنِّي﴾ بفتح اللام وتشديد النون وإثبات الياء، وقرأ ابن عامر كذلك إلا أنه حذف الياء فقال: ﴿فلا تَسْأَلَـنِّ﴾، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿تَسْـَٔلْنِى﴾ بسكون اللام وثبوت الياء[1].

وقرأ الجمهور: ﴿خُبْرًا﴾ بسكون الباء، وقرأ الأعرج: (خُبُراً) بضمها[2].

وقوله: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ روي عن النبي ﷺ أنهما انطلقا ماشِيَيْن على سِيف البحر حتَّى مرَّت بهما سفينة، فعُرف الخضر، فَحُمِلا بغير نَوْلٍ إلى مقصدٍ أمَّه[3] الخضرُ.

وعُرِّفت ﴿ٱلسَّفِينَةِ﴾ بالألف واللام تعريف الجنس، لا لِعَهْد عَيْنها، فلمَّا ركبا عمد الخضر إلى وتد فجعل يضرب به[4] في جنب السفينة حتى قلع[5] به ـ فيما رُوي ـ لوحين من ألواحها، فذلك هو معنى ﴿خَرَقَهَا﴾، فلما رأى ذلك موسى غلبه ظاهر الأمر على الكلام حين رأى فعلاً يُؤَدِّي إلى غرق جميع[6] مَن في السفينة، فوقفه بقوله: ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾؟[7].

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ بالتاء.

وقرأ أبو رجاء: (لِتُغَرِّق) بشدِّ الراء وفتح الغين.

---

(١) وكلها سبعية، انظر: السبعة في القراءات (ص: ٣٩٤)، والتيسير (ص: ١٤٤)، وذكر حذف الياء لابن ذكوان خاصة (ص: ١٤٧).

(٢) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٤)، وزاد: ابن عباس، وأبا عمرو، والحسن، وعيسى.

(٣) في المطبوع: «أُمة»، والأثر أخرجه البخاري (١٢٢) من حديث أبي بن كعب الذي تقدم قريباً.

(٤) «به» من المطبوع ونجيبويه.

(٥) في المطبوع: «بلغ».

(٦) ليست في المطبوع.

(٧) هذا جزء من حديث أبي بن كعب الذي أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠) واللفظ له.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿ليغْرَقَ أهلُها﴾ برفع الأهل، وإسناد الفعل إليهم[١].

و(الإِمْرُ): الشَّنيعُ من الأمور كالداهية والإِدِّ ونحوه، ومنه: أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشةَ[٢]، ومنه: أَمِرَ الْقومُ: إذا كثروا، وقال مجاهد: الإمر المنكر[٣].

قال القاضي أبو محمد: والإِمْرُ أَخَصُّ من المُنْكرِ.

فقال الخضر مجاوباً لموسى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾، فتنبَّه موسى لما أتى معه[٤]، فاعتذر بالنسيان، وذلك أنه نسي العهد الذي كان بينهما، هذا قول الجمهور، وفي كتاب التفسير / من «صحيح البخاري»: أن النبي ﷺ قال: «كانت الأولى من موسى نسياناً»[٥]، وفيه عن مجاهد قال: كانت الأولى نسياناً، والثانية شرطاً، والثالثة عمداً[٦]. [٣/ ٢١٥]

وهذا كلام معترض؛ لأن الجميع شرطٌ، ولأن العمد يبعد على موسى عليه السلام، وإنما هو التأويل؛ إذ جنب صيغة السؤال أو النسيان.

وروى الطبري عن أُبيٍّ بن كعب أنه قال: إن موسى عليه السلام لم يَنْس، ولكن قوله هذا من معاريض الكلام[٧].

---

(١) الأولى والثالثة سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٣٩٥)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والثانية شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٤).

(٢) قائل هذه المقولة هو أبو سفيان بن حرب لما دخل على هرقل، والقصة أخرجها البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٣) ليس في المطبوع، وانظر: تفسير الطبري (١٨/ ٧٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٢٧).

(٤) في أحمد٣: «منه».

(٥) أخرجه البخاري (٤٧٢٥).

(٦) أخرجه البخاري (٢٧٢٨) من حديث أبي بن كعب مرفوعاً.

(٧) ضعيف، أخرجه الفراء في معاني القرآن (٢/ ١٥٥)، والطبري (١٨/ ٧٤) من طريق يحيى بن المهلب، عن رجل، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن أبي بن كعب الأنصاري فذكره.. وفي إسناده رجل مبهم.

ومعنى هذا القول صحيح، والطبريُّ لم يُبَيِّنه، ووجهه عندي أن موسى عليه السلام إنما رأى العهد في أن يسأل، ولم ير إنكار هذا الفعل الشنيع سؤالاً، بل رآه واجباً، فلما رأى الخضر قد أخذ العهد على أعمٍّ وجوهه فضمَّنه السؤال والمعارضة والإنكار وكلَّ اعتراضٍ ـ إذ السؤال أخف من هذه كلها ـ أخذ معه في باب المعاريض التي هي مندوحة عن الكذب، فقال له: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾، ولم يقل: له إنِّي نسيت العهد، بل قال لفظاً يعطي للمتأول أنه نسي العهد، ويستقيم أيضاً تأويله وطلبه مع أنه لم ينس العهد؛ لأن قوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ كلام جيد طلبه، وليس فيه للعهد ذكر، هل نسيه أم لا، وفيه تعريض أنه نسي العهد، فجمع في هذا اللَّفظ بين العذر والصدق، وما يخل بهذا القول إلَّا أن الذي قاله وهو أُبيُّ بن كعب روى عن النبي ﷺ أنه قال: «كانت الأولى من موسى نسياناً»[١].

و﴿تُرْهِقْنِي﴾ معناه: تكلِّفني وتضيِّق عليَّ.

ومِمَّا قُصَّ من أمرهما: أنهما لمَّا ركبا السفينة وجَرَتْ نَزَل عصفور على جنب السفينة، فنقر في الماء نَقْرة، فقال الخضر لموسى: ماذا ترى هذا العصفور نقص من ماء البحر؟ فقال موسى: قليلاً، فقال: يا موسى، ما نقص علمي وعلمُك من علم الله إلَّا ما نقص هذا العصفور من ماء البحر[٢].

قال القاضي أبو محمد: فقيل: معنى هذا الكلام وضع العلم موضع المعلومات، وإلَّا فَعِلْمُ الله تعالى لا يُشَبَّهُ بمتناهٍ؛ إذ لا يتناهى، والبحرُ لو فرضت له عصافير على عدد نقطه لانْتَهَى، وعندي أن الاعتراض [باق؛ لأن تناهي معلومات الله محال، إذ يتناهى العلم بتناهي المعلومات، وقيل فراراً عن هذا الاعتراض][٣]: يحتمل أن يريد: من علم الله

(١) في الأثر السابق، و«من موسى» ليست في المطبوع.
(٢) هذا جزء من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه المتقدم، والمؤلف يستشهد به على حسب الآيات.
(٣) ليس في المطبوع.

الذي أعطاه العلماء قبلهما وبعدهما إلى يوم القيامة، فتجيءُ نسبةُ [علمِهما إلى علم البشر نسبةَ][(١)] تلك النقطة إلى البحر.

وهذا قول حسن لولا أن في بعض طرق الحديث: «ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلَّا كنقرة هذا العصفور»[(٢)]، فلم يبق مع هذا إلَّا أن يكون التشبيه بتجوُّز؛ إذ لا يوجد في المحسوسات أقوى في القلَّة من نقطة بالإضافة إلى البحر، فكأنَّها لا شيءَ؛ إذ لا يوجد لها إلى البحر نسبة معلومة[(٣)]، [ولم يعن الخضر لتحرير موازنة بين المثال وبين علم الله تعالى][(٤)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ٧٤ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٥ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨﴾.

﴿فَٱنطَلَقَا﴾ في موضع نزولهما من السفينة، فمرَّا بغلمان يلعبون، فعمد الخضر إلى غلام حسن الهيئة وضيءٍ، فاقتلع رأسه، ويقال رضه بحجر، ويقال: ذبحه، وقال بعض الناس: كان الغلام لم يبلغ الحُلُم، ولذلك قال موسى: ﴿زَكِيَّةَۢ﴾؛ أي: لم تذنب، وقالت فرقة: بل كان بالغاً شاباً، والعرب تُبقي على الشاب اسم الغلام، ومنه قول ليلى الأَخْيَلَيَّة[(٥)]:

---

(١) في المطبوع: «علمه إلى علم البشر»، وفي حاشيته: سقطت هذه الفقرة كلها من التونسية، وفي نور العثمانية: «كنسبة»، بالكاف.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٢) (٣٤٠١) (٤٧٢٥) (٤٧٢٧)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٣) انظر مثل هذا في تفسير القرطبي (٣/ ٢٧٦)، وشرح النووي على مسلم (١٥/ ١٤١-١٤٢).

(٤) ليس في المطبوع.

(٥) ليلى الأخيلية: الشاعرة المشهورة، كانت من أشعر النساء، لا يقدم عليها في الشعر غير الخنساء، أدركت زمن الحجاج، ووقعت له معها محاورة، توفيت سنة (٨٠هـ). تاريخ الإسلام (٥/ ٥١٧).

.... غُـلامٌ إِذَا هَـزَّ الْقَنَـاةَ سَـقَاهَا[١] [الطويل]

وهذا في صفة الحَجَّاج، وفي الخبر: أن هذا الغلام كان يفسد في الأرض، ويُقسِم لأبويه أنه ما فعل، فيُقسِمان على قَسَمه، ويحميانه ممَّن يطلبه[٢].

وقرأ ابن عباس، والأعرج، وأبو جعفر، ونافع، والجمهور: ﴿زَاكِيَةً﴾.

وقرأ الحسن، وعاصم، والجحدري: ﴿زَكِيَّةً﴾[٣]، والمعنى واحد.

وقد ذهب قوم إلى الفَرْق، وليس بِبَيِّن.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يقتضي أنه لو كان عن قتل نَفْس لم يكن به بأْسٌ، وهذا يدل على كبر الغلام، وإلَّا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس، ولا بغير نفس.

وقرأ الجمهور: ﴿نُّكْرًا﴾، وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وأبو جعفر، وشيبة: ﴿نُكُراً﴾ بضم الكاف، واختلف عن نافع، ومعناه: شيءٌ يُنْكَر.

واختلف الناس أَيُّهما أبلغ؟ قوله: ﴿إِمْرًا﴾، أو قوله: ﴿نُّكْرًا﴾:

فقالت فرقة: هذا قتل بيِّنٌ، وهنالك مُتَـرَقَّب، فـ﴿نُّكْرًا﴾ أبلغ.

وقالت فرقة: هذا قتلُ واحدٍ، وذلك قتلُ جماعةٍ، فـ﴿إِمْرًا﴾ أبلغ.

وعندي أنهما لِـمَعْنَيَيْن: قوله: ﴿إِمْرًا﴾ أفظع وأهول من حيث هو متوقع عظيم، و﴿نُّكْرًا﴾ أبيَن في الفساد؛ لأن مكروهه قد وقع.

ونصف القرآن بِعَدِّ الحروف[٤] ينتهي إلى النون من قوله: ﴿نُّكْرًا﴾[٥].

---

(١) تمدح الحجاج، انظر عزوه لها في أشعار النساء (ص: ٤٧)، وأمالي القالي (١/ ٨٦).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما جاء عن سعيد بن جبير أنه قال: خشينا أن يحملهما حبُّه على أن يتابعاه على دينه، عزاه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٦١٦) لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) الثانية للكوفيين وابن عامر، انظر: التيسير (ص: ١٤٤).

(٤) في المطبوع: «بعْدَ الحرف «ن» أو ينتهي إلخ».

(٥) في حاشية المطبوع أن هذه الفقرة سقطت من بعض النسخ.

وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ زجرٌ وإغلاظٌ ليس في قوله أوَّلاً: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢].

وقوله: ﴿بَعْدَهَا﴾ يريد: بعد هذه القصة، فأعاد الضمير عليها وإن كانت لم يتقدم لها ذكرٌ صريح من حيث كانت في ضمن القول.

وقرأ الجمهور: ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِى﴾، ورواها أُبيّ عن النبي ﷺ[١].

وقرأ عيسى، ويعقوب: ﴿فلا تَصْحَبْني﴾.

وقرأ عيسى أيضاً: (فلا تُصْحِبْني) بضم التاء وكسر الحاء، ورواها سهلٌ عن أبي عمرٍو، والمعنى: فلا تُصْحِبْني علمَك[٢].

وقرأ الأعرج: (فلا تَصْحَبَنِّي) بفتح التاء والباء وشدِّ النون[٣].

[٣/ ٢١٦] وقوله: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾؛ أي: قد أَعْذَرْتَ إليَّ، وبلغتَ إلى العُذْر من قِبَلي، ويُشبه أن تكون هذه القصة أيضاً أصلاً للآجال في الأحكام التي هي ثلاثة، وأيام التلوُّم ثلاثة[٤]، فتأمله.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿مِن لَّدُنِّى﴾ بفتح اللام وضم الدال وشد النون، وهي (لَدُن) اتصلت بها نون الكناية التي في (ضرَبَني) ونحوه، فوقع الإدغام، وهي قراءة النبي ﷺ[٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهي قراءة السبعة.

(٢) ليست في نجيبويه.

(٣) قراءة يعقوب عشرية من رواية روح عنه كما في النشر (٢/ ٣١٣)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٨٤) لعيسى، وقراءة الأعرج رواية سهل في الشواذ للكرماني (ص: ٢٩٢)، وهما شاذتان.

(٤) انظر: بدائع الصنائع (١/ ٨٨، ٥/ ٥٣)، وشرح فتح القدير لابن الهمام (٦/ ٦٩).

(٥) صحيح أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده (٣٥/ ٦٢) عن محمد بن عبد الله بن نمير، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٨٩٦)، وابن حبان (٦٣٢٦) من طريق ابن نمير عن عمر بن سعد عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن حمزة الزيات عن أبي إسحاق السبيعي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، =

وقرأ نافع، وعاصم: ﴿لَدُنِي﴾ كالأولى إلَّا أن النون مُخَفَّفة، فهي (لَدُن) اتصلت بها ياءُ المتكلم التي في (غلامي)، وكُسِر ما قبل الياء كما كُسِر في هذه[1].

وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿لَدْني﴾ بفتح اللام وسكون الدال وتخفيف النون، وهي تخفيف (لَدُنِي) التي ذكرناها قبل هذه، ورُوي عن عاصم: (لُدْني) بضم اللام وسكون الدال.

قال ابن مجاهد: وهي غلط[2].

قال أبو عليٍّ: هذا التغليط يشبه أن يكون من جهة الرواية، فأما على قياس العربية فهي صحيحة[3].

وقرأ الحسن: (لَدْني) بفتح اللام وسكون الدال[4].

وقرأ الجمهور: ﴿عُذْرًا﴾، وقرأ أبو عمرو، وعيسى: (عُذُراً) بضم الذال[5]،

= عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قرأ: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ يثقلها، وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٤٣) من طريق إسحاق بن يوسف، عن حمزة بن حبيب، به، وأخرجه عبد الله بن أحمد أيضاً عن أبي عبد الله العنبري، عن أمية بن خالد، عن أبي الجارية العبدي، عن شعبة، عن أبي إسحاق به، وهذا إسناد ضعيف، فيه أبو الجارية العبدي البصري، وهو مجهول لا يعرف، لكنه قد توبع، وأخرجه المزي في ترجمة أبي الجارية العبدي من تهذيب الكمال (٣٣/ ١٨٠) من طريق عبد الله بن أحمد، بهذا الإسناد، وأخرجه أبو داود (٣٩٨٥)، والطبراني في الكبير (٥٤٣) من طريق أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن العنبري.

(١) فهما قراءتان سبعيتان، والمراد بعاصم في الأخيرة رواية شعبة عنه، والمشهور أنه رواها بإشمام الضم، انظر: التيسير (ص: ١٤٥).

(٢) انظر كلامه والروايتين عن عاصم في السبعة (ص: ٣٩٦)، وفي المطبوع ونجيبويه: «قال مجاهد» دون «ابن».

(٣) الحجة للفارسي (٥/ ١٦٣).

(٤) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٧/ ٢٠٩).

(٥) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٧/ ٢٠٩)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٩٢) للأعمش وسلام وابن عباس وعلي بن الحسين، قال: ورويت عن النبي ﷺ، وانظر: معاني القرآن للأخفش (١/ ١١٠).

وحكى الداني: أن أُبيّاً روى عن النبي ﷺ: (عُذْرِي) بكسر الراء وياءٍ بعدها[١].

وأسند الطبريُّ قال: كان رسول الله ﷺ إذا دعا لأحدٍ بدأ بنفسه، فقال يوماً: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لو صبر على صاحبه لرأى العجب، ولكنه قال: ﴿فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا﴾»[٢]، وفي «البخاري» عن النبي ﷺ: «يرحم الله موسى، لَوَدِدْنا أنه صبر حتَّى يقصَّ علينا من أمرهما»[٣].

ورُوي في تفسير هذه الآية: أن الله جعل هذه الأمثلة التي وقعت لموسى مع الخضر حجة على موسى وعجباً له، وذلك أنه لما أنكر خَرْق السفينة نودي: يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التَّابوت مطروحاً في اليم؟، فلما أنكر أمر الغلام قيل له: أين إنكارك هذا من وكزك للقبطيِّ وقضائك عليه؟، فلما أنكر إقامة الجدار نودي: أين هذا من رفعك حجَرَ البئرِ لبنات شعيب دون أجر؟[٤].

وقوله: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ يريد: انطلق الخضر وموسى يمشيان لارتياد الخضر أمراً ينفذ فيه ما عنده من علم الله، فمرَّا بقرية فطلبا من أهلها أن يطعموهما فأبَوْا، وفي حديث

---

(١) لم أهتد إليه، قال في البحر المحيط (٧/ ٢٠٩): ورويت عن أبي.

(٢) إسناده جيد، وله شاهد قوي في الصحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٨٣٦)، وأبو داود (٣٩٨٤)، والترمذي (٣٣٨٥)، وابن حبان في صحيحه (٩٨٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧٤) وغيرهم من طريق حمزة الزيات، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه، فذكره مرفوعاً، وهذا إسناد جيد، وله شاهد قوي أخرجه مسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب وفيه: قال رسول الله ﷺ عند هذا المكان: «رحمةُ الله علينا وعلى موسى، لولا أنه عجل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة، قال: ﴿إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا﴾ ولو صبر لرأى العجب»، قال: وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه رحمة الله علينا وعلى أخي كذا.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٢) (٣٤٠١) (٤٧٢٥) (٤٧٢٧)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٤) عزاه الحافظ في الفتح (٨/ ٤٢٠) للثعلبي، ولم أقف على شيء مسند في هذا مرفوعاً أو موقوفاً.

أنهما كان يمشيان على مجالس أولئك القوم يستطعمانهم[١].

وهذه عبرة[٢] مصرِّحة بهوان الدنيا على الله.

واختلف الناس في القرية:

فقال محمد بن سيرين: هي الأُبُـلَّة، وهي أبخل قرية، وأبعدها من السماء[٣].

وقالت فرقة: هي أَنْطَاكِيَة، وقالت فرقة: هي بَرقة.

وقالت فرقة: هي بجزيرة الأندلس، روي ذلك عن أبي هريرة وغيره[٤]، ويذكر أنها الجزيرة الخضراءُ.

وقالت فرقة: هي أبو حوران[٥]، وهي بناحية أَذْرَبِيجان.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله بحسب الخلاف في أيِّ ناحية من الأرض كانت قصة موسى؟ والله أعلم بحقيقة ذلك.

وقرأ الجمهور: ﴿يُضَيِّفُوهُمَا﴾ بفتح الضاد وشد الياء.

وقرأ أبو رجاءٍ: (يُضِيفُوهُمَا) بكسر الضاد وسكون الياء، وهي قراءة ابن محيصن، والزُّبير، والحسن، وأبي رزين[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٠) بلفظ: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ لئاماً، فطافا في المجالس ﴿اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾.

(٢) في المطبوع ونور العثمانية: «عبارة».

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٧٨).

(٤) لم أهتد إليه.

(٥) في المطبوع: «جودان»، وفي نجيبويه: «جوران»، وفي معجم البلدان (٢/ ٣١٧): حوران: كورة من أعمال دمشق من جهة القبلة.

(٦) وهي شاذة، عزاها لهم في مختصر الشواذ (ص: ٨٤) إلا الحسن، ونسبها لابن مُحَيْصِن وآخرين في الكامل (ص: ٥٩٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٧٠)، وعزاها لكلهم في البحر المحيط (٧/ ٢١٠)، وزاد آخرين، و«الحسن» ليس في المطبوع.

و«الضَّيْفُ»: مأخوذ من ضاف إلى المكان: إذا مال إليه، ومنه الإضافة: وهي إمالة شيءٍ إلى شيءٍ.

وقرأ الأعمش: (فَأَبَوْا أَنْ يُطْعِمُوهُمَا)[١].

وقوله في الجدار: ﴿يُرِيدُ﴾ استعارة، وجميع الأفعال التي حقُّها أن تكون للحيِّ الناطق متى أُسندت إلى جماد أو بهيمة فإنما هي استعارة؛ أي: لو كان مكانَ[٢] الجماد إنسانٌ لكان متمثِّلاً لذلك الفعل، فمن ذلك قول الأعشى:

[البسيط] أَتَنْتَهُونَ وَلَا يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ ... كالطَّعْنِ يَذْهَبُ فيهِ الزَّيْتُ والفُتُلُ[٣]

فأسند النَّهْي إلى الطَّعن، ومن ذلك قول الشاعر:

[الوافر] يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ ... وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عُقَيْلِ[٤]

ومنه قول عنترة:

[الكامل] .... وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ[٥]

وفَسَّر هذا المعنى بقوله:

[الكامل] لَوْ كَانَ يَدْرِي ما الْمُحَاوَرَةُ اشْتَكَى[٦] ....

---

(١) مخالفة للمصحف، أقرب للغلط، أو لعلها تفسير، ولم نجد له فيها سلفاً، ولا خلفاً.

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) البيت من قصيدته المعروفة: (وَدِّع هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحل)، كما تقدم في بداية الكتاب، وفي المطبوع: (هل تنتهون).

(٤) عزاه في مجاز القرآن (١/ ٤١٠)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٨٥) للحارثي، وهو في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٣)، بلا نسبة.

(٥) صدره: (فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ)، عزاه له تفسير الطبري (١٨/ ٧٩)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٠٧)، والهداية لمكي (٦/ ٤٤٣٥).

(٦) «اشتكى» زيادة من المطبوع، بدل لفظة: «البيت»، وعجز البيت: (ولَكانَ لَو عَلِمَ الكَلامَ مُكَلِّمِي).

البيتَ، ومنه قول الناس: داري تنظر إلى دار فلان، ومنه قول النبي ﷺ: «لا تَـرَاءَى ناراهُمَا»[(١)]، وهذا كثير جدّاً.

وقرأ الجمهور: ﴿يَنقَضَّ﴾؛ أي: يسقط.

وقرأ النبي ﷺ فيما روي عنه: (أنْ يُنْقَضَ) بضم الياء وتخفيف الضاد[(٢)]، وهي قراءة أُبيٍّ.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعكرمة: (أنْ ينقاصَ) بالصاد غير منقوطة[(٣)]، بمعنى: ينشقَّ طولًا، يقال: انْقَاصَ الجِدَارُ وَطَيُّ البئِرِ، وانقاصت السِّنُّ إذا انشقت طولاً، وقيل: إذا تصدعت كيف كان، ومنه قول أبي ذُؤَيب:

---

(١) الصواب فيه الإرسال، هذا جزء من حديث أخرجه أبو داود (٢٦٤٧)، والترمذي (١٦٠٤)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٤٢)، وفي شعب الإيمان (٩٣٧٤)، وابن عساكر في معجمه (١٢٢١) من طريق أبي معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله البجلي مرفوعاً، وفيه قول النبي ﷺ: «أنا بريءٌ من كلِّ مسلم يقيم بين أظهر المشركين»، قالوا: يا رسول الله لم؟ قال: «لا تراءى ناراهما». وقد تابع حفص بن غياث أبا معاوية، عن إسماعيل به. رواه البيهقي في الكبرى (٨/ ١٣١).

وقد اختلف على إسماعيل بن أبي خالد فرواه عنه أبو معاوية، وحفص بن غياث، وصالح بن عمرو، عن إسماعيل، عن قيس، عن جرير مرفوعاً، ورواه عبدة بن سليمان كما عند الترمذي (١٦٠٥)، وأبو خالد الأحمر سليمان بن حيان عند النسائي في الكبرى (٦٩٥٦) وجماعة عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس مرسلاً، قال أبو داود: رواه هشيم ومعتمر وخالد الواسطي وجماعة لم يذكروا جريراً. اهـ، وقال الترمذي: وأكثر أصحاب إسماعيل، عن قيس بن أبي حازم أن رسول الله ﷺ بعث سرية، ولم يذكروا فيه عن جرير، وقال: وسمعت محمداً ـ يعني البخاري ـ يقول: الصحيح حديث قيس عن النبي ﷺ مرسل.

قلت: وكذا قال الدارقطني في العلل (١٣/ ٤٦٤) أن الصواب هو المرسل، وقد أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ٢٧٤)، والطبراني في الكبير (٣٨٣٦) من طريق يوسف بن عدي، عن حفص بن غياث، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن خالد بن الوليد، مرفوعاً بنحوه، والمحفوظ الأول مرسل.

(٢) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣١).

(٣) وهما شاذتان، انظر قراءة أبي في البحر المحيط (٧/ ٢١٠)، وعزو الثانية في المحتسب (٢/ ٣١).

[الطويل] لِكُـلِّ أُنَـاسٍ [عَـبْـرَةٌ وحُـبُـورُ فِـرَاقٌ كقَيْـصِ السِّـنِّ فالصَّبْـرَ إنَّـهُ (١)

ويروى: عَثْرَةٌ وَجُبُورُ بالثاء والجيم] (٢).

وقرأ ابن مسعود، والأعمش: (يُرِيدُ لِيَنْقَضَّ) (٣).

واختلف المفسرون في قوله: ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾:

فقالت فرقة: هدمه وقعد يبنيه، ووقع هذا في مصحف ابن مسعود (٤)، ويؤيد هذا التأويلَ قولُ موسى: ﴿لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾؛ لأنه فعلٌ يستحقُّ أجراً.

وقال سعيد بن جبير: بلْ مَسَحَه بيده، وأقامه فقام (٥)، وَرُوي في هذا حديث، وهو الأشبه بأفعال الأنبياء عليهم السلام، فقال موسى للخضر: ﴿لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾؛ أي: طعاماً تأكله (٦).

وقرأ الجمهور: ﴿لَتَّخَذۡتَ﴾، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿لَتَخِذْتَ﴾، وهي قراءة ابن مسعود، والحسن، وقتادة (٧)، وأدْغَم بعض القراء الذَّال في التَّاء، ولم يدغمها بعضهم (٨)، ومن قولهم: (تَخِذَ) قولُ الشاعر:

[الطويل] وَقَدْ تَخِذَتْ رِجْلِي إلى جَنْبِ غَرْزِهَا نَسِيفاً كَأُفْحُوصِ الْقَطاةِ الـمُطَرَّقِ (٩)

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي كما في المحكم (٦/ ٤٨٦)، وأمالي القالي (٢/ ٢٥)، والصحاح للجوهري (٣/ ١٩١).

(٢) وهي التي في أغلب المصادر، وفي المطبوع: «عثرة وجبور، ويروى البيت: عبرةٌ وحبور؛ بالباء والحاء».

(٣) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣١).

(٤) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٧/ ٢١١).

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٨١)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٣١)، ولفظة «بل» من المطبوع.

(٦) ذكره البخاري (٤٧٢٦) من تفسير سعيد بن جبير أثناء الحديث، وهو قوله: أجراً نأكله.

(٧) انظر: التيسير (ص: ٤٤).

(٨) الإظهار لابن كثير وحفص عن عاصم، والإدغام للباقين، انظر: التيسير (ص: ٤٤).

(٩) البيت للمُمَزَّق العبدي، كما في مجاز القرآن (١/ ٤١١)، وقد تقدم في الآية (٥٠) من سورة البقرة.

وفي حرف أُبَيٍّ بن كعب: (لَوْ شِئْتَ لأوتيتَ عليهِ أجراً)[١].

ثم قال الخضر لموسى بحسب شرطهما: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، واشترط / [٣/ ٢١٧] الخضر، وأعطاه موسى ألَّا يقع سؤالٌ عن شيءٍ، والسؤالُ أقلُّ وجوه الاعتراضات، فالإنكار والتخطئة أعظم منه.

وقوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وإنْ لم يكن سؤالاً ففي ضمنه الإنكارُ لفعله، والقولُ بتصويب أخذ الأجر، وفي ذلك تخطئة ترك الأجر.

[و«البَيْنُ»: الصلاح الذي يكون بين المصطحِبَين ونحوهما، وذلك مستعار فيه من الظرفية، ويستعمل استعمال الأسماء][٢]، وأمَّا فصْله وتكريرُه ﴿بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، وعُدُولُه عن (بَيْنِنَا) فَلِمَعْنى التأكيد.

والسِّينُ في قوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ مُفَرقة بين المحاورتيْن والصحبتيْن، ومُؤْذنَةٌ بأن الأولى قد انقطعت، [ثم أخبره في مجلسه ذلك وفي مقامه بتَأوِيلِ تلك القصص، والتأويل هنا: المآلُ][٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾.

قرأ الجمهور: ﴿لِمَسَٰكِينَ﴾ بتخفيف السِّين، جمع مِسْكين، واختلف في صفتهم:

فقالت فرقة: كانت لقوم تجَّار، ولكنهم من حيث هم مسافرون على قَلَتٍ[٤]، وفي لجة بحر وبِحَالِ ضعف عن مدافعة غصبٍ[٥] جائرٍ، عَبَّر عنهم بـ(مَسَاكِينَ)؛ إذ هم في حالٍ يُشْفَق عليهم بسببها.

---

(١) وهي شاذة، لم أجدها لغير المؤلف.

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) على قَلَتٍ: على تَعَرُّضٍ للهلاك أو الخوف.

(٥) في نجيبويه: «دفع»، وفي نور العثمانية: «غضب».

قال القاضي أبو محمد: وهذا كما تقول لرجل غنِيٍّ إذا وقع في وهاء[١] أوْ خَطْبٍ: مِسْكين.

وقالت فرقة: كانوا عشرة إخوة أهْلَ عاهات، خمسة منهم عاملون في السفينة، وخمسة لا قدرة بهم على العمل.

وقرأت فرقة: (لِـمَسَّاكِينَ) بتشديدِ السين[٢]، واختلف في تأويل ذلك:

فقالت فرقة: أراد بالمَسَّاكين مَلَّاحي السفينة، وذلك أن المسَّاكَ هو الذي يُمسك رجل المركب، وكل الخدَمة يصلح لإمساكه، فسُمي الجميع مسَّاكين.

وقالت فرقة: أراد بالمسَّاكِين دَبَغَة الـمُسُوك وهي الجلود، واحدها: مَسْكٌ.

والأظهر في ذلك القراءة الأولى، وأنَّ معناها أنَّ السفينة لقوم ضعفاء ينبغي أن يُشفَقَ لهم[٣].

واحتج الناس بهذه الآية في أن المسكين الذي له البُلغة من العيش، كالسفينة لهؤلاء، وأنه أصلح حالاً من الفقير[٤]، واحتج من يرى خلاف هذا بقول الشاعر:

[البسيط] أَمَّـا الْفَقيرُ الـذي كانَـتْ حَلُوبَتُهُ وَفْقَ الْعِيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَ سَـبَدُ[٥]

وتحرير هذا عندي أنهما لفظان يدلَّان على ضعف الحال جدّاً، ومع المسكنة انكشافٌ وذلٌّ بسؤال، ولذلك جعلهما الله صنفين في قَسْم الصدقات[٦].

---

(١) أي: ضعف، وفي المطبوع ونور العثمانية ونجيبويه: «وَهَلَةٍ»، وفي العلمية: «وهدة».

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٩٣) لعلي رضي الله عنه، وعكرمة.

(٣) في المطبوع: «عليهم».

(٤) ذهب إلى ذلك الشافعية، انظر: الحاوي للماوردي (٨/ ٤٨٩).

(٥) البيت للراعي، وقد سبق الاستشهاد به في تفسير الآية (٦٠) من سورة التوبة.

(٦) انظر في ذلك: أحكام القرآن للطحاوي (١/ ٣٧١)، والاستذكار (٣/ ٢٠٧)، والأم (٢/ ٨٣)، والحاوي للماوردي (٨/ ٤٨٤).

فأمَّا حديث النبي ﷺ الذي هو: «ليس المسكين بهذا الطَّوَّاف»[١]، فجعل المساكين في اللغة أهل الحاجة الذين قد كشفوا وجوههم.

وأما قول الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ﴾ [البقرة: ٢٧٣] فجعل الفقراء أهل الحاجة[٢] الذين لم يكشفوا وجوههم، وقد تقدم القول في هذه المسألة بأوعبَ من هذا.

وقوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ قال قوم: معناه: أمامهم، وقالوا: (وراءُ) من الأضداد.

وقرأ ابن جبير، وابن عباس: (وكان أمامَهم مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صحيحة)[٣].

وقرأ عثمان بن عفان: (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ)[٤].

وقوله: ﴿وَرَآءَهُم﴾ هو عندي على بابه، وذلك أن هذه الألفاظ إنما تجيءُ مراعًى بها الزمن، وذلك أن الحادث المقدَّم الوجود: هو الأمام، وبين اليد: لما يأتي بعده في الزمن، والذي يأتي بعدُ: هو الوراءُ وهو ما خلف، وذلك بخلاف ما يظهر ببادئ الرأي، وتأمل هذه الألفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطرد، فهذه الآية معناها: إنَّ هؤلاء وعملهم وسعيهم يأتي[٥] بعده في الزمن غَصْبُ هذا الملك.

ومن قرأ: (أَمَامَهُمْ) أراد: في المكان؛ أي: إنهم كانوا يسيرون إلى بلده.

وقوله تعالى في التوراة والإنجيل: إنها[٦] بين يدَي القرآن، مطَّرد على ما قلنا في الزمان.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) «أهل الحاجة» ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٣) وهي شاذة، ذكرها الطبري (١٨/ ٨٣) عن قتادة قال: كان في القراءة، وفي المطبوع: «صَالِحَةٍ»، بدل «صحيحة».

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٧)، وتفسير الطبري (١٨/ ٨٤) لأبي، وابن مسعود.

(٥) في المطبوع: «يلي».

(٦) في نجيبويه وأحمد٣: «إنهما».

وقوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية: ١٠]، مطرد كما قلنا من مراعاة الزمن.

وقول النبي ﷺ: «الصلاة أمامَك»[١]، يريد في المكان، وإلاَّ فكونهم في ذلك الوقت كان أمام الصلاة في الزمن، وتأمل هذه المقالة فإنها مريحة من شَغْب هذه الألفاظ.

ووقع لقتادة في «كتاب الطبري»: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾، قال قتادة: أمَامَهم، ألا ترى أنه يقول: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية: ١٠][٢] وهي بين أيديهم، وهذا القول غير مستقيم، وهذه هي العجمة التي كان الحسن بن أبي الحسن يضجُّ منها، قاله الزجاج[٣].

ويجوز أن كان رجوعهم في طريقهم على الغاصب، فكان وراءهم حقيقة، وقيل: اسم هذا الغاصب هُدَد بن بُدَد، وقيل: اسمه الجَلَنْدى، وهذا كله غير ثابت.

وقوله: ﴿كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ عموم معناه الخصوص في الجِيادِ منها الصحاحِ المارَّةِ به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

تقدم القول في الغُلام والخلاف في بلوغه أو صغره، وفي الحديث: أن ذلك الغلامَ طُبِع يومَ طُبِع كافراً[٤]، وهذا يؤيد ظاهره أنه كان غير بالغ، ويحتمل أن يكون خبراً عنه مع كونه بالغاً، وقيل: اسم الغلام جَيْسور بالراء، وقيل: جَيسون بالنون، وهذا أمر كلُّه غير ثابت.

وقرأ أُبيُّ بن كعب: (فَكَانَ كَافراً وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ).

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (١٣٩)، ومسلم (١٢٨٠) من حديث أسامة بن زيد مرفوعاً.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٨٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٠٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٦١) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

وقرأ أبو سعيد الخدري: (فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤمِنَان)[١]، فجعلها (كان) التي فيها الأمر والشأن.

وقوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ قيل: هو في جهة الخضر، فهذا متخلص، والضمير عندي للخضر وأصحابه الصالحين الذين أهمَّهم الأمر وتكلموا فيه، وقيل: هو في جهة الله تعالى وعنه عبَّر الخضر، / قال الطبري: معناه: فَعَلِمْنَا، وقال غيره: معناه: فكَرِهْنَا[٢]. [٣/ ٢١٨]

والأظهر عندي في توجيه هذا التأويل ـ وإن كان اللَّفظ يدافعه ـ أنها استعارة؛ أي: على ظن المخلوقين والمخاطبين لو علموا حالَه لوقعت منهم خشيةُ الرَّهَق للأبوين.

وقرأ ابن مسعود: (فَخَافَ رُبُّكَ)[٣]، وهذا بيِّن في الاستعارة، وهذا نظير ما يقع في القرآن في جهة الله تعالى من (لَعَلَّ) و(عَسَى)، فإن جميع ما في هذا كله من تَـرَجٍّ وتَوَقُّع وخوف وخشية إنما هو بِحَسَبِكُم أَيُّهَا المخاطبون.

و﴿يُرۡهِقَهُمَا﴾ معناه: يُجَشِّمُهُما[٤] ويُكلِّفهما بشدَّة، والمعنى أن يلقيهما حُبُّهما في اتِّباعه.

وقرأ الجمهور: (أن يُبَدِّلَهما) بفتح الباء وشدِّ الدال.

وقرأ ابن محيصن، والحسن، وعاصم: ﴿أَن يُبۡدِلَهُمَا﴾ بسكون الباء وتخفيف الدال[٥].

---

(١) وهما شاذتان، انظر الأولى في تفسير الثعلبي (٦/ ١٨٧)، والهداية لمكي (٦/ ٤٤٣٩)، والثانية في المحتسب (٢/ ٣٣).

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (١٨/ ٨٥).

(٣) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (١٨/ ٨٥)، ومختصر الشواذ (ص: ٨٩)، وعزاها في معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٧)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٨٧)، وتفسير الزمخشري (٢/ ٧٤١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٩) لأبي.

(٤) من المطبوع ونجيبويه، وفي الأصل: «يخشهما»، وكتبت في العلمية: «يحثهما».

(٥) غير متقن، فالتشديد إنما هو لنافع وأبي عمرو خاصة، والتخفيف للجمهور، فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٤٥).

و«الزَّكَاةُ»: شرف الخُلُق والوقار والسكينة المنطوية على خير ونية[١].

و«الرُّحْمُ»: الرحمة، والمراد عند فرقة؛ أيْ: يرحمهما، وقيل: أي: يرحمانه.

ومنه قول رؤْبة بن العجاج:

[الرجز] يَـا مُنْـزِلَ الرُّحْـمِ عَلَـى إِدْرِيسَـا وَمُنْـزِلَ اللَّعْـنِ عَلَـى إِبْلِيسَـا[٢]

وقرأ ابن عامر: ﴿رُحُماً﴾ بضم الحاء، وقرأ الباقون: ﴿رُحْمًا﴾ بسكونها، واختلف عن أبي عمرو[٣].

وقرأ ابن عباس: (رَبُّهمَا أَزْكَى مِنْهُ وَأَقْرَبَ رُحْماً)[٤].

وروي عن ابن جريج: أنهما بُدِّلا غلاماً مُسلماً، وروي عن ابن جريج: أنهما بُدِّلا جارية، وحكى النقاش: أنها ولدت هي وذريتها سبعين نبيّاً[٥]، وذكره المهدوي عن ابن عباس[٦].

وهذا بعيد، ولا تعرف كثرة الأنبياء إلَّا في بني إسرائيل، وهذه المرأة لم تكن فيهم.

وروي عن ابن جريج: أن أُمَّ الغلام يوم قتل كانت حاملاً بغلام مسلم[٧].

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) انظر عزوه له في تفسير القرطبي (١١/ ٣٧)، والبحر المحيط (٦/ ١٤٧)، وتاج العروس (٣٢/ ٢٢٧)، ولسان العرب (١٢/ ٢٣٠).

(٣) انظر قراءة ابن عامر في التيسير (ص: ١٤٥)، والرواية عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٣٩٧).

(٤) وهي شاذة، لم أجدها هكذا لغير المؤلف، وانظر: تفسير القرطبي (١١/ ٣٧).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) لم أقف على قول ابن عباس رضي الله عنه، ولكن أخرج الثعلبي في تفسيره (٦/ ١٨٨) من طريق ميمون بن عبد الله القدّاح عن جعفر بن محمد عن أبيه في هذه الآية قال: أبدلهما جارية فولدت سبعين نبياً. وهذا إسناد واهٍ؛ لضعف ميمون القداح.

(٧) انظر أقوال ابن جريج في تفسير الطبري (١٨/ ٨٧)، وانظر: التحصيل للمهدوي (٤/ ٢٠٦).

وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ﴾ هذان الغلامان صغيران بقرينة وصفهما باليُتْم، وقد قال النبي ﷺ: «لا يُتْم بَعْد بُلُوغ»[1]، هذا الظاهر.

---

(١) له طرق كلها واهية، هذا الحديث قد ورد من حديث علي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وحنظلة ابن حذيم، وأنس رضي الله عنهم:

أولاً: حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وله عنه طرقٌ:

١ ـ عبد الله بن أبي أحمد، عنه أخرجه أبو داود (٢٨٧٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/ ١٣١)، والطبراني في الأوسط (٢٩٠)، وفي الصغير (٢٦٦)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٥٧) من طريق عبد الله بن خالد بن سعيد بن أبي مريم، عن أبيه، عن سعيد بن عبد الرحمن بن يزيد بن رقيش، أنه سمع شيوخاً من بني عمرو بن عوف ومن خاله عبد الله بن أبي أحمد قال: قال علي بن أبي طالب حفظت عن رسول الله ﷺ: «لا يتم بعد احتلام، ولا صمات يوم إلى الليل»، وعبد الله بن خالد بن سعيد بن أبي مريم مستور الحال، وعبد الله بن خالد وأبوه لا يُعرفان.

٢ ـ النزال بن سبرة، عنه أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١٤٥٠)، وابن عدي في الكامل (١/ ٣٦٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٣-١٥٥٠-٥٢٩٣)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٤٦١) من طريق معمر بن راشد، عن جويبر، عن الضحاك بن مزاحم، عن النزال بن سبرة، عن علي رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ أنه قال: «لا رضاع بعد الفصال، ولا وصال، ولا يتم بعد الحلم، ولا صمت يوم إلى الليل، ولا طلاق قبل النكاح» قال الثوري: يا أبا عروة إنما هو عن علي موقوف، فأبى عليه معمر إلا عن النبي ﷺ، وقال البيهقي: قال عبد الرزاق: قال سفيان لمعمر: إن جويبر حدثنا بهذا الحديث ولم يرفعه، قال معمر: وحدثنا به مراراً ورفعه.

قلت: وقد تُوبع معمر على رفعه كما ذكر الدارقطني في العلل (٤/ ١٤٢) من رواية أيوب بن سويد، عن الثوري وخالفه محمد بن كثير عن الثوري فوقفه، وكذلك رواه حماد بن زيد وإسحاق بن الربيع عن جويبر موقوفاً، وهو المحفوظ، وجويبر في الأصل متروك.

ثانياً: حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، وله عنه طريقان:

١ـ أبو عتيق عنه أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في المطالب العالية (٧/ ٤٥٤) من طريق حرام بن عثمان، عن أبي عتيق، به. وحرام بن عثمان الأنصاري السلمي ضعيف، قال محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول وذكر له حرام بن عثمان فقال: الحديث عن حرام بن عثمان حرام، وقال أبو حاتم: منكر الحديث متروك الحديث.

٢ـ أبو سعد سعيد بن المرزبان البقال، عن يزيد الفقير، عن جابر به أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٦٤١) من طريق عبد الحميد الحماني، عن أبي سعيد، عن يزيد الفقير، به. وزاد «ولا رهبانية فينا». وسعيد بن المرزبان العبسي، أبو سعد ضعيف. =

وقد يحتمل أن يبقى عليهما اسم[١] اليُتْم بعد البلوغ؛ أي: كانا يتيمين، على معنى التشفيق عليهما.

واختلف الناسُ في الكنز: فقال عكرمة وقتادة،: كان مالاً جسيماً[٢].

وقال ابن عباس: كان علماً في صحف مدفونة[٣].

وقال عمر مولى غُفْرَة[٤]: كان لوحاً من ذهب قد كتب فيه: عجباً للموقن بالرزق كيف يتعب، وعجباً للموقن بالحساب كيف يغفل، وعجباً للموقن بالموت كيف يفرح؟[٥] ورُوي نحو هذا مما هو في معناه[٦].

= **ثالثاً**: حديث حنظلة بن حذيم رضي الله عنه أخرجه الطبراني في الكبير (٣٥٠٢)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٨٥٧) من طريق سلم بن قتيبة بن الوليد قال: سمعت الذيال بن عبيد بن حنظلة ابن حذيم بن حنيفة سمع جده حنظلة يقول: سمع النبي ﷺ يقول: «لا يتم بعد احتلام، ولا يتم على جارية إذا هي حاضت». والذيال لا يحتمل مثل هذا.

رابعاً: حديث أنس رضي الله عنه أخرجه البزار في مسنده (٦٢٤٣)، والشهاب في مسنده (٨٣٩) من طريق يحيى بن يزيد بن عبد الملك بن المغيرة، عن أبيه، عن محمد بن المنكدر، عن أنس أن النبي ﷺ قال: لا يتم بعد حلم، قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن أنس إلا بهذا الإسناد، ويزيد بن عبد الملك لين الحديث، وقد روى عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه على لينه. اهـ ويزيد هو النوفلي مجمع على ضعفه.

(١) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٩٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٨٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قال: كان تحته كنز علم، وأخرجه أيضاً (١٨/ ٨٩) من طريق الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عتيبة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه؛ أنه كان يقول: ما كان الكنز إلا علماً. والحسن بن عمارة البجلي متروك.

(٤) هو عُمر بن عبد الله المدني، مولى غُفْرة، له عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، وعنه ابن لهيعة وجماعة. وثقه ابن سعد، وقال الإمام أحمد: ليس به بأس، لكن أكثر أحاديثه مراسيل، وضعفه ابن معين وغيره، مات سنة (١٤٥هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٢٢٩).

(٥) مرسل ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٨٩) من طريق عبد الله بن عياش، عن عمر مولى غفرة فذكره بلفظ أطول من هذا، وانظر بقية الروايات فيه (١٨/ ٨٩).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٨٩).

وقوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ ظاهر اللفظ والسابق منه أنه والدهما دِنْيَـةً، وقيل: هو الأب السابع، وقيل: العاشر، فحُفِظا فيه وإن لم يذكرا بصلاح.

وفي الحديث: «إن الله تعالى يحفظ الرجل الصالح في ذريته»[1].

وجاء في أنباء الخضر عليه السلام في أول قصة ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وفي الثانية ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾، وفي الثالثة ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ﴾، وإنما انفرد أوَّلاً في الإرادة؛ لأنها لفظة عَيْبٍ فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلَّا إلى نفسه، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، فأسند الفعل قبلُ وبعدُ إلى الله تعالى، وأسند المرض إلى نفسه؛ إذْ هو معنى نقْص ومصيبة، وهذا المنزع يطرد في فصاحة القرآن كثيراً، ألا ترى إلى تقديم فعل البشر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ﴾ [الصف: ٥]، وتقديم فعل الله تعالى في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾[التوبة: ١١٨].

وإنما قال الخضر في الثانية: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ لأنه أمل كان قد رَوَّاهُ هو وأصحابه الصالحون، وتكلم فيه في معنى الخشية على الوالدين وتمني البديل لهما.

وإنما أسند الإرادة في الثالثة إلى الله تعالى؛ لأنها في أمرٍ مستأنف في الزمن طويل غيب من الغيوب، فحسُن إفراد هذا الموضع بذكر الله تعالى، وإن كان الخضر قد أراد أيضاً ذلك الذي أعلمه الله تعالى أنه يريده، فهذا توجيه فصاحة هذه العبارة بحسب فهمنا المقصِّر، والله أعلم.

و«الأَشُدُّ»: كمالُ الخُلُق والعقل، واختلف الناسُ في قدر ذلك من السن: فقيل: خمس وثلاثون، وقيل: ست وثلاثون، وقيل: أربعون، وقيل غير هذا مما فيه ضعف.

---

(١) أخرج الحميدي في مسنده (٣٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٨٣٨) عن تحفة الأشراف، والطبري (١٨/ ٩٠-٩١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٩) وغيرهم من طريق عبد الملك بن ميسرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: حُفظا بصلاح أبيهما، وما ذكر منهما صلاح. وإسناده جيد.

وقول الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ يقتضي أن الخضر نبيٌّ، وقد اختلف الناسُ فيه، فقيل: هو نبيٌّ، وقيل: هو عبد صالحٌ، وليس بنبيٍّ.

وكذلك جمهور الناس على أن الخضر ماتَ صلى الله عليه وسلم، وتقول فرقة: إنه حيٌّ؛ لأنه شرب من عين الحياة، وهو باقٍ في الأرض، وأنه يحج البيت وغير هذا، وقد أطنب النقاشُ في هذا المعنى، وذكر في كتابه أشياء كثيرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره، كلها لا يقوم على ساق(١)، ولو كان الخضر عليه السلامُ حيّاً يحجُّ البيت(٢) لكان له في ملَّة الإسلام ظهور، والله العليم بتفاصيل الأشياء لا ربَّ غيره.

ومما يقضي بموت الخضر الآن قول النبي ﷺ: «أرأَيتَكم ليلتَكم هذه، فإنه لا يبقى [إلى رأس مئة سنة](٣) ممَّن هو اليومَ على ظهر الأرضِ أحدٌ»(٤).

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ﴾؛ أي: مآلُ.

وقرأت فرقة: (تَسْتَطِعْ)، وقرأ الجمهور: ﴿تَسْطِع﴾، قال أبو حاتم: كذا تُقرأ، نتبع المصحف(٥).

وانتزع الطبري من اتصال هذه القصة بقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨] أن هذه القصة إنما جُلبت على معنى المثل للنبي ﷺ في قومه؛ أي: لا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٤٣).

(٢) زيادة من نجيبويه.

(٣) ليس في الأصل والمطبوع والحمزوية والإمارتية٢، وهو في أحمد٣ مؤخر عن محله.

(٤) متفق عليه، أخرج البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧) أن عبد الله بن عمر قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد».

(٥) القراءة الأولى شاذة عزاها الكرماني في الشواذ (ص:٢٩٣) للحسن، والثانية هي المتواترة، وقول أبي حاتم لم أقف عليه.

تهتم بإملاء الله لهم، وإجراء النعم لهم على ظاهرها، فإن البواطن سائرة إلى الانتقام منهم، ونحو هذا مما هو محتمل لكن بتعسُّف مَّا، فتأمله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ / إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾. [٣/ ٢١٩]

اختلف فيمن سأله عن هذه القصة: فقيل: سألته طائفة من أهل الكتاب، وروى في ذلك عقبةُ بن عامر حديثاً ذكره الطبري[(١)]، وقيل: إنما سألتهُ قريش حين دلَّتها اليهود على سؤاله عن الرُّوح، والرَّجُلِ الطَّوَّاف، وفِتيَة ذهبوا في الدهر؛ ليقع امتحانه بذلك.

وذو القرنين: هو الإسكندر الملك[(٢)] اليوناني المقدوني[(٣)]، وقد تُشَدَّد قافُه فيقال: المَقَّدوني، وذكر ابن إسحاق في «كتاب الطبري»: أنه يوناني[(٤)]، وقال وهب ابن مُنبِّه: هو رومي[(٥)]، وذكر الطبري حديثاً عن النبي ﷺ أن ذا القرنين شابٌّ من الروم، وهو حديث واهي السند، فيه عن شيخين من تجيب[(٦)].

واختلف الناس في وجه تسمية بذِي الْقَرْنَيْنِ، فأَحْسَن الأقوال أنه كان ذا ضفيرتيْن من شعْرٍ هما قرناه، فَسُمِّي بهما، ذكره المهدوي وغيره[(٧)].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٩٢)، وابن عبد الحكم في فتوح مصر (ص: ٣٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٩٧٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٩٥-٢٩٦) من طريق عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم الإفريقي، عن شيخين من تجيب، قال: أحدهما لصاحبه: انطلق بنا إلى عقبة بن عامر نتحدّث،.. فذكره بلفظ مطول، والإفريقي ضعيف، وشيخاه مجهولان.

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) كتبت في الأصل: «المقذوني» بالذال في الموضعين، والتصويب من النسخ الأخرى.

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ١٠٤).

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٩٣).

(٦) ضعيف، وهو نفس الحديث السابق.

(٧) التحصيل للمهدوي (٤/ ٢٠٧).

والضفائر قرون الرأس، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] فَلَثَمْتُ فَاهَا آخِذاً بِقُرُونِهَا شُرْبَ النَّزِيفِ لِبَرْدِ ماءِ الحَشْرَجِ[(١)]

ومنه الحديث في غسل بنت النبي ﷺ، قالت أُمُّ عطية: فَضَفَرْنَا رأسَها ثلاثةَ قُرونٍ[(٢)]، وكثيراً تجيءُ تسمية النواصي قروناً.

ورُوي: أنه كان في أول مُلْكه يرى في نومه أنه يتناول الشمس، ويُمسك قرنين لها بيديه، فَقَصَّ ذلك، فَفُسِّر أنه سيغلب على ما ذَرَّت عليه، وسُمِّي ذا القرنين.

وقالت فرقة: سُمِّي ذا القرنين؛ لأنه بلغ المغرب والمشرق، فكأنه حاز قرني الدنيا.

وقالت فرقة: إنه لما بلغ مطلع الشمس كشف بالرؤية قَرْنيها فَسُمِّي بذلك، أو قرني الشيطان بها.

وقال وهب بن منبه: سُمِّي بذلك؛ لأن جَنْبَتَيْ رأسه كانتا من نحاس[(٣)].

وقال وهب بن منبه أيضاً: كان له قرنان تحت عمامته[(٤)]، وهذا كله بعيد.

وقال علي بن أبي طالب: إنَّما سُمِّي ذا القرنين؛ لأنه ضُرب على قَرْن رأسه فمات، ثم حيي، ثم ضرب على قرن رأسه الآخر فمات، فسُمِّي بذلك لأنه جُرح على قرني رأسه جرحين عظيمين في يومين عظيمين من أيام حربه، فسُمِّي بذلك[(٥)]، وهذا قريب.

---

(١) البيت لجميل كما سيأتي للمصنف في سورة الصافات، وكما في العين (٦/ ٢٥٤)، والمحكم (٤/ ٤٩)، والمستقصى في أمثال العرب (١/ ٢٣٩)، وبصائر ذوي التمييز (١/ ١٤٦٣)، وتاج العروس (٢٤/ ٣٩٩)، والعقد الفريد (٦/ ٦١)، ونسبه أيضاً لعمر بن أبي ربيعة، وهو كذلك في جمهرة اللغة (٢/ ١١٣٣)، والأغاني (١/ ١٩٧)، والتحرير والتنوير (١٦/ ١٩)، وانظر لسان العرب (٢/ ٢٣٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٥٤)، ومسلم (٩٣٩) من حديث أم عطية الأنصارية رضي الله عنها.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٩٣).

(٤) تفسير القرطبي (١١/ ٤٧).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣١٩١٣-٣١٩١٤)، والطبري (١٨/ ٩٣) من طريق أبي الطفيل =

و«التَّمْكِينُ له في الأرض»: أنه ملَكَ الدنيا، ودانت له الملوك كلُّها، فرُوي: أن جميع من ملك الدنيا كلها الأربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان سليمان بن داود، والإسكندر، والكافران نمرود وبختنصر.

وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ معناه: علماً في كل أَمْرٍ، وأَقْيِسَةً يتوصل بها إلى معرفة الأشياء.

وقوله: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ عموم معناه الخصوص في كل ما يمكن أن يعلمه ويحتاج إليه، وثَمَّ لا محالة أشياءُ لم يُؤْت منها سبباً يعلمها به.

واختلف في ذي القرنين، فقيل: هو نبيٌّ، وهذا ضعيف، وقيل: هو مَلَك ـ بفتح اللام ـ، ورُوي عن عمر بن الخطاب[1] أنه سمع رجلًا يدعو آخر: يا ذا القرنين، فقال: أما كفاكم أن تسمَّيتم بأسماء الأنبياء حتى تسَمَّيْتم بأسماء الملائكة؟[2].

وروي عن النبي ﷺ أنه سُئل عنه فقال: «مَلَك مَسَحَ الأرض من تحتها بالأسباب»[3].

وقيل: هو عبدٌ مَلِك ـ بكسر اللام ـ صالحٌ نصح اللَّهَ فأَيَّدَه، قاله عليٌّ بن أبي طالب، وقال: فيكم اليومَ مثلُه[4]، وعنى بذلك نفسَه، والله أعلم.

= عامر بن واثلة الليثي، عن علي رضي الله عنه فذكره بنحو لفظ المؤلف، وإسناده لا بأس به.

(١) في الأصل ونور العثمانية: «علي بن أبي طالب»، والمثبت هو الموافق للمصادر الآتية.

(٢) أخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر (ص: **٣٩**)، والطبري (**١٨/ ١٠٤-١٠٥**) من طريق ثور بن يزيد الكلاعي عن خالد بن معدان قال: سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول: يا ذا القرنين بنحوه، وخالد بن معدان لم يسمع من عمر رضي الله عنه.

(٣) مرسل، أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر (ص: **٣٩**)، والطبري (**١٨/ ١٠٤-١٠٥**)، وأبو الشيخ في العظمة (**٩٨٥-٩٨٧**) من طريق محمد بن إسحاق، عن ثور بن يزيد الكلاعي، عن خالد ابن معدان الكلاعي، عن النبي ﷺ به. وخالد ثقة عابد، يرسل كثيراً، ولم يسمع من النبي ﷺ.

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (**١٨/ ٩٣**) من طرق عن أبي الطفيل، عن علي رضي الله عنه به.

قوله: ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ الآية، قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: ﴿فاتَّبَعَ﴾ بشد التاء.

وقرأ عاصمٌ، وابن عامرٍ، وحمزة، والكسائي: ﴿فَأَتۡبَعَ﴾ بسكون التاء[١]، على وزن (أَفْعَلَ).

قال بعض اللغويين: هما بمعنىً واحدٍ، وكذلك (تَبِـعَ)، وقالت فرقة: أَتْبَعَ بقطع الألف هي عبارةٌ عن الـمُجِدِّ الـمُسْرع الحثيث الطلب، واتَّبَعَ إنما يتضمن معنى الاقتفاء دون هذه القرائن، قاله أبو زيد وغيره[٢].

قال القاضي أبو محمد: واستقراءُ هذا القائل هذه المقالة من القرآن، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾ [الصافات: ١٠]، وكقوله: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ﴾ [طه: ٧٨]، وكقوله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، وهذا قولٌ حكاه النقاش عن يونس ابن حبيب[٣].

وإذا تأملت (اتَّبَعَ) بشد التَّاءِ لم تربط[٤] لك هذا المعنى ولا بُدَّ.

و«السَّبَبُ» في هذه الآية: الطريقُ المسلوكة؛ لأنها سبب الوصول إلى المقصد.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ على وزن فَعِلَة؛ أي: ذات حمأةٍ.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر، والباقون: ﴿في عين حامية﴾[٥]؛ أي: حارَّة.

وقد اختلف في ذلك قراءة[٦] معاوية وابن عباس، فقال ابن عباس: (حَمِئَةٍ)،

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٤٥)، والسبعة (ص: ٣٩٧).

(٢) البحر المحيط (٧/ ٢٢٠).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «يرتبط».

(٥) انظر: السبعة (ص: ٣٩٨)، والتيسير (ص: ١٤٥).

(٦) في الحمزوية ونور العثمانية: «في قراءة ذلك». وفي أحمد٣: «واختلف فيها».

وقال معاوية: (حَامِيَةٍ)، فبعثا إلى كعب الأَحبار ليخبرهم بالأمر كيف هو في التوراة، فقال لهما: أمَّا العربية فأنتما أعلم بها منِّي، ولكني أجد في التوراة أنها تغرب في عين ثأْطٍ، والثَّأْط: الطين، فلما انفصلا قال رجل لابن عباس: لَوَدِدْتُ أني حضرت[١] يا أبا العباس فكنتُ أُنجدك بشعر تُبَّع الذي يقول فيه في ذكر ذي القرنين:

[الكامل]

قَدْ كَانَ ذو الْقَرْنَيْنِ جَدِّي مُسْلِماً ... مَلِكاً تَدينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَتُحْشَدُ

بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ يَبْتَغِي ... أَسْبَابَ أَمْرٍ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدِ

فَرَأَى مغار الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا ... في عَيْنِ ذي خُلُبٍ وَثَأْطٍ حَرْمَدِ[٢]

فالخُلُبُ: الطِّين، والثَّأْط: الحمأة، والحَرْمَد: الأَسْوَد[٣].

ومن قرأ: ﴿حَامِيَةٍ﴾ وجَّهها إلى الحرارة، وروي عن عبد الله بن عمرو[٤]: أن رسول الله ﷺ نظر إلى الشمس وهي تغيبُ، فقال: «في نار اللَّهِ الحامية، لولا ما يَزَعُها من الله لأحرقت ما على الأرض»[٥].

---

(١) «أني حضرت» ليست في المطبوع.

(٢) انظر عزوها له هكذا في تفسير الثعلبي (٦/ ١٩١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٨٧)، والماوردي (٣/ ٣٣٩)، والعين (٤/ ٢٧٠) إلا إن عند بعضهم: وتسجد، وعزاه في المحكم (٤/ ٧٢)، وتهذيب اللغة (٢/ ٤٩٥) لأمية، ولعله ابن أبي الصلت، وفي المطبوع: «مَغِيبَ الشمس».

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤١١)، والطبري (١٨/ ٩٦) من طريق إسماعيل ابن عُلَيَّةَ، عن عثمان بن حاضر قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول: قرأ معاوية هذه الآية، فقال: ﴿عَيْن حامِيَة﴾ فقال ابن عباس: إنها ﴿عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، قال: فجعلا كعباً بينهما، قال: فسألاه، فقال كعب: أما الشمس فإنها تغيب في ثأط، فكانت على ما قال ابن عباس، والثأط: الطين، وأخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٦١٢) من طريق أبي أسامة، عن عمرو بن ميمون، عن عثمان به، وعثمان بن حاضر الحميري لا بأس به، وأخرجه الطبري (١٨/ ٩٦) من طريق عبد الرحمن الأعرج يقول: كان ابن عباس يقول: ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ثم فسرها: ذات حمأة، قال نافع: وسئل عنها كعب، فقال: أنتم أعلم بالقرآن مني، ولكني أجدها في الكتاب: تغيب في طينة سوداء، وهذا منقطع.

(٤) في المطبوع ونور العثمانية: «بن عمر»، والمثبت هو الموافق لما في المصادر.

(٥) ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٠٧)، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأحمد بن منيع، وأبو يعلى =

وروى أبو ذرٍّ: أن رسول الله ﷺ نظر إلى الشمس عند غروبها فقال: «أتدري أين تغرب يا أبا ذَرٍّ؟» قلت: لا، قال: «إنها تغربُ في عين حاميةٍ»[١]، فهذا يدل على أن العين هناك حارَّة.

و﴿حَامِيَة﴾ هي قراءة طلحة بن عبيد الله[٢]، وعمرو بن العاص، وابنه، وابن عمر.

وذهب الطبري إلى الجمع بين الأمرين فقال: يحتمل أن تكون العين حارة ذات حمأة، / فكلُّ قراءةٍ وصفٌ بصفة من أحوالها[٣]. [٣/ ٢٢٠]

وذهب بعض البغداديين إلى أن (في) بمنزلة (عند)، كأنها مسامتة من الأرض فيما يرى الرائي لعَيْنٍ حمئة[٤].

وقال بعضهم: قوله: ﴿فِي عَيْنٍ﴾ إنما المراد أن ذا القرنين كان فيها؛ أي: هي آخر الأرض، وظاهر هذه الأقوال محتمل، والله أعلم.

قال أبو حاتم: وقد يمكن أن تكون ﴿حَامِيَةٍ﴾ مهموزة، بمعنى: ذات حمأةٍ، فتكون القراءتان بمعنىً واحد[٥].

= كما في إتحاف المهرة (٨/ ٢٢٣)، والمطالب العالية (٤٣٨)، والطبري في تفسيره (١٨/ ٩٧) من طريق يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب، قال: حدثني مولى لعبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص فذكره مرفوعاً. وفيه رجل لم يسمَّ.

(١) حديث فرد بإسناد فيه لين، وهو في الصحيح دون هذه العبارة، أخرجه أبو داود (٤٠٠٤)، والطبري (١٠/ ٢٠)، والبزار في مسنده (٤٠١٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٤٤) من طريق يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن الحكم بن عتيبة، عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً، وقد أخرجه البخاري (٣١٩٩) (٤٨٠٢)، ومسلم (١٥٩) من طرق عن الأعمش، ومسلم من طريق يونس بن عبيد، وخارج الصحيحين من طريق: فضيل بن عمير وهارون بن سعد وموسى بن المسيب وحبيب بن أبي الأشرس جميعاً عن إبراهيم التيمي بهذا الإسناد مطولاً ومختصراً، ولم يذكر: «إنها تغرب في عين حامية» إلا سفيان بن حسين عن الحكم بن عتيبة.

(٢) في المطبوع: «بن عبد الله»، وقد تقدم أنها سبعية متواترة.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٩٧).

(٤) البحر المحيط (٧/ ٢٢١).

(٥) لم أقف عليه.

واستدل بعض الناس على أن ذا القرنين نبيٌّ بقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾، ومن قال إنه ليس بنبي، قال: كانت هذه المقالة من الله له بإلهام.

وقوله: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ معناه[١]: بالقتل على الكفر، ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالإجمال[٢] على الإيمان واتباع الهدى، فكأنه قيل له: هذه لا تعطها إلاَّ إحدى خطتين: إمَّا أن تكفر فتعذبها، وإمَّا أن تؤمن فتحسن إليها.

وذهب الطبري إلى أن اتِّخاذ الْحُسْن هو الأسْرُ مع كفرهم[٣]، فالمعنى على هذا أنهم كفروا ولا بُدَّ، فخيَّره الله بين قتلهم أو أسرهم، ويحتمل أن يكون الاتِّخاذُ ضربَ الجزية، ولكن تَقْسيم ذِي الْقَرْنَيْنِ بعدُ هذا الأمرَ إلى كفر أو إيمان يرُدُّ هذا القول بعض الرَّدِّ، فتأمله.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١)﴾.

﴿ظَلَمَ﴾ في هذه الآية بمعنى: كفر.

ثم توعَّد الكافرين بتعذيبه إياهم قبل عذاب الله، وعقَّب لهم بذكر عذاب الله؛ لأن تعذيب ذي القرنين هو اللاحق[٤] عندهم، المحسوس[٥] لهم، الأقرب نكاية، فلما جاء إلى وعد المؤمنين قدَّم تنعيم الله تعالى الذي هو اللاحق عند المؤمنين، والآخر بإزائه حقير.

ثم عقَّب[٦] أخيراً بذكر إحسانه في قول اليُسْر، وجعله قولًا إذ الأفعال كلها خَلْق لله تعالى، فكأنه سلَّمها ولم يراع تكسُّبه.

---

(١) من المطبوع، وكذا: «قوله».

(٢) في المطبوع: «بالحمل»، وفي نور العثمانية: «بالإحيال».

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٩٨).

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «الأحق في الموضعين».

(٥) في المطبوع: «المحبوس».

(٦) في الأصل: «عبَّر».

وقرأت فرقة: ﴿نُكُراً﴾ بضم الكاف، وقرأت فرقة: ﴿نُّكْرًا﴾ بسكون الكاف[١]، ومعناه: المنكر الذي تنكره الأوهام لِعِظَمِه، وتستهوِلُه.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم ـ في رواية أبي بكر ـ وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿جَزاءُ الْحُسْنى﴾ بإضافة الجزاء إلى الحسنى، وذلك يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يريد بـ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة، والجنة: هي الجزاءُ، فأضاف ذلك، كما قال: ﴿دار الآخرة﴾، والدار: هي الآخرة[٢].

والثاني: أن يريد بـ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أعمالَهم الصَّالحة في إيمانهم، فوعدهم بجزاء الأعمال الصالحة.

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفصٌ عن عاصم: ﴿جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ بنصب الجزاء[٣] على المصدر في موضع الحال، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ابتداءٌ، خبره في المجرور، ويراد بها الجنة.

وقرأ عبد الله بن أبي إسحاق: (جَزَاءٌ) بالرفع والتنوين ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

وقرأ ابن عباس، ومسروق: (جَزَاءَ) بالنصب بغير تنوين ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ بالإضافة[٤].

قال المهدوي: يجوز حذف النون لالتقاءِ الساكنين، ووعدهم بعد ذلك بأنه يُيَسِّر عليهم أمور دنياهم[٥].

وقرأ ابن القعقاع: ﴿يُسُراً﴾ بضم السين[٦].

وقوله: ﴿ثُم اتَّبَعَ سبباً﴾، المعنى: ثم سلك ذو القرنين الطرق المؤدية إلى

---

(١) وهما سبعيتان، والضم لنافع وابن ذكوان وشعبة، انظر: التيسير (ص: ١٤٤).

(٢) في المطبوع: «والآخرة هي الدار».

(٣) انظر: التيسير (ص: ١٤٥)، والسبعة (ص: ٣٩٨).

(٤) وهما شاذتان، انظر عزوهما في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٠٦).

(٥) انظر: التحصيل للمهدوي (١/ ٢٢٣).

(٦) على قاعدته وهي عشرية، انظر: تحبير التيسير (ص: ٣٠٢)، والنشر (٢/ ٢١٦)، وفي أغلب طبعات النشر «أبو عمرو»، وهو خطأ.

مقصده، فهي سبب الوصول، وكانَ ذو القرنين ـ على ما وقع في كتب التواريخ ـ يدوس الأرض بالجيوش الثقال، والسِّيرة الحميدة، والإعداد الموفَّى، والحزم المستيقظ المتَّقد، والتأييد المتواصل، وتقوى الله عزَّ وجلَّ، فما لقي أُمَّةً ولا مَرَّ بمدينة إلَّا دانت له ودخلت في طاعته، وكلُّ من عارضه وتوقَّف عن أمره جعله عظةً وآية لغيره، وله في هذا المعنى أخبار كثيرة، وغرائب كرهْتُ التطويل بها؛ لأنها علْم تاريخ.

وقرأ الجمهور ﴿مَطۡلِعَ﴾ بكسر اللام، وقرأ الحسن ـ بخلاف ـ، وابن كثير، وأهل مكة: ﴿مَطۡلَعَ ٱلشَّمۡسِ﴾ بفتح اللام[١].

و«القوم»: الزَّنْج، قاله قتادة[٢]، وهم الهنود وما وراءهم.

وقال الناس[٣] في قوله: ﴿لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا﴾ معناه: إنهم ليس لهم بنيان؛ إذ لا تحتمل أرضهم البناء، وإنما يدخلون من حرِّ الشمس في أسراب[٤].

وقيل: يدخلون في ماء البحر، قاله الحسن، وقتادة، وابن جريج[٥].

وكثَّر النقاشُ وغيره في هذا المعنى[٦].

والظاهر من الألفاظ أنها عبارة بليغة عن قُرْب الشمس منهم، وفعلها بقدرة الله تعالى فيهم، ونَيْلها منهم، ولو كان لهم أسرابٌ تغني لكان لهم[٧] سِتْراً كثيفاً، وإنما هم في قبضة القدرة، سواءٌ كان لهم أسراب أو دُورٌ أَوْ لم يكن، ألا ترى أن السِّتْر عندنا

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٩٩).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ١٠٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٧)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٩٢). وتفسير الماوردي (٣/ ٣٤٠).

(٣) في العلمية: «النقاش».

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ١٠٠).

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (١٨/ ١٠٠)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٦)، والهداية لمكي (٦/ ٤٤٦٠).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) من نجيبويه.

نحن[(١)] إنما هو من السحاب والغمام وبَرْد الهواء، ولو سلَّط الله علينا الشمس لأحرقتنا، فسبحان المنفرد بالقدرة التامة.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ معناه: فَعَل معهم كفِعْله مع الأولين أهل المغرب، فأوجز بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، ثم أخبر الله تعالى عن إحاطته بجميع ما لدى ذي القرنين، وما تصرف من أفعاله.

ويحتمل أن يكون ﴿كَذَٰلِكَ﴾ استئناف قول، ولا يكون راجعاً على الطائفة الأولى، فتأمله، والأول أصوب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾.

قرأت فرقة: (اتَّبَعَ) بشدِّ التاءِ، وقرأت فرقة: (أَتبَعَ) بتخفيفها، وقد تقدم ذكره.

وهذه الآية تقتضي[(٢)] أنه لما بلغ مطلع الشمس؛ [أي: أدنى الأرض من مطلع الشمس][(٣)] اتَّبع بعد ذلك سبباً، أي: طريقاً آخر، فهو ـ والله أعلم ـ إمَّا يَمْنَة وإما يسْرَةً من مطلع الشمس.

و«السَّدَّان» فيما ذكر أهل التفسير: جبلان سدَّا مسالك تلك الناحية من الأرض، وبين طرفي[(٤)] الجبلين فَتْحٌ هو موضع الرَّدْم[(٥)].

[٣/ ٣٢١] قال ابن عباس: الجبلان اللذان بينهما السَّدُّ: أرمينية / وأذربيجان[(٦)].

---

(١) ليست في نجيبويه ونور العثمانية، وفي المطبوع: «بحق».
(٢) في المطبوع: «وهذا يقتضي».
(٣) ليس في المطبوع ونجيبويه.
(٤) في المطبوع: «طريقي».
(٥) في المطبوع: «الرُّوم».
(٦) منقطع، أخرجه الطبري (١٨/ ١٠٢) من طريق ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس =

وقالت فرقة: هما من وراء بلاد الترك، ذكره المهدوي[١].

وهذا كله غير متحقق، وإنما هما في طرف الأرض مما يلي المشرق، ويظهر من ألفاظ التواريخ أنه إلى ناحية الشمال، وأما تعيين موضع فضعيف.

وقرأ نافع[٢]، وعاصم وابن عامر: ﴿السُّدَّيْن﴾ بضم السين، وكذلك ﴿سُدّاً﴾ حيث وقع، وقرأ حفص عن عاصم بفتح ذلك كله من جميع القرآن[٣]، وهي قراءة مجاهد، وعكرمة، وإبراهيم النَّخَعي، وقرأ ابن كثير: ﴿ٱلسَّدَّيْنِ﴾ بفتح السِّين، وضم ﴿سُدّاً﴾ في (يس).

واختلف بعدُ: فقال الخليل وسيبويه: الضم هو الاسم، والفتح المصدر، وقال الكسائي: الضم والفتح لغتان بمعنىً واحد[٤]، وقال[٥] عكرمة، وأبو عمرو بن العلاء، وأبو عبيدة: ما كان من خلقة الله لم يشارك فيه أحد بعمل فهو بالضَّم، وما كان من صنع البشر فهو بالفتح[٦].

ويلزم أهلَ هذه المقالة أن يقرأ: (بَيْنَ السُّدَّيْنِ) بالضم، وبعد ذلك ﴿سَدًّا﴾ بالفتح، وهي قراءة حمزة، والكسائي[٧].

= رضي الله عنه به، وابن جريج لم يصرح بالسماع، وعطاء يرسل عن ابن عباس.

(١) التحصيل للمهدوي (٤/ ٢١١).

(٢) في الأصل بدلها: «وعاصم وابن عامر» مكررة.

(٣) في المطبوع: «القراءات».

(٤) انظر قول الكسائي في تفسير الطبري (١٨/ ١٠٢)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٩٣)، ومع قول الخليل وسيبويه في الهداية لمكي (٦/ ٤٤٦٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٠٦).

(٥) في الأصل: «وقرأ».

(٦) مجاز القرآن (١/ ٤١٤)، وقول عكرمة في تفسير الطبري (١٨/ ١٠٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٨).

(٧) وكلها سبعية، والحاصل أن الضم في «سُدّاً» لنافع وابن عامر وشعبة، وأن الضم في (السدين) لهم ولحمزة والكسائي، انظر: السبعة (ص: ٣٩٩)، والتيسير (ص: ١٤٥)، وانظر ما زاد على ذلك في البحر المحيط (٧/ ٢٢٤).

وحكى أبو حاتم عن ابن عباس وعكرمة عكْسَ ما قال أبو عبيدة[١].

وقال ابن إسحاق: ما رأته عيناك فهو سُدٌّ بالضم، وما لا يُرى فهو سَدٌّ بالفتح[٢].

والضمير في ﴿دُونِهِمَا﴾ عائد على الجبلين؛ أي: وجدهم في الناحية التي [تلي عمارة الناس][٣] إلى المغرب.

واختلف في القَوْم: فقيل: هم بشر، وقيل: جنٌّ، والأول أصح من وجوه.

وقوله: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلًا﴾ عبارة عن بُعد لسانهم عن ألسنة الناس، لكنهم فقهوا أو فهموا بالترجمة ونحوها.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿يُفْقِهُونَ﴾ من أفْقَهَ، وقرأ الباقون: ﴿يَفۡقَهُونَ﴾ من فَقهَ[٤].

والضمير في ﴿قَالُواْ﴾ للقوم الذين من دون السَّدَّيْن.

ويَأْجُوج وَمَأْجُوج: قبيلتان من بني آدم، لكنهم ينقسمون أنواعاً كثيرة اختلف الناس في عددها، فاختصرت ذكره لعدم الصحة، وفي خَلْقهم تشويه، منهم المفرط الطول، ومنهم المفرط القِصَر على قدر الشِّبْر[٥] وأَقَلُّ وأكْثَر، ومنهم صنف عظيم الآذان، الأذن الواحدة وبرة، والأُخرى زعراء[٦]، يصَيِّف في الواحدة ويشتو في الأُخرى وهي تعمُّه.

واختلفت القراءة: فقرأ عاصم وحده: ﴿يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ﴾ بالهمز، وقرأ الباقون: ﴿ياجوج وماجوج﴾ بغير همز[٧]، فأما من همز فاختلف:

---

(١) تفسير القرطبي (١١/ ٥٩).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/ ٤٤٦٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٠٦)، وفي أحمد٣ والإماراتية١ والحمزوية: «ابن أبي إسحاق».

(٣) ليس في المطبوع ونجيبويه وفيهما بدله: «تأتي».

(٤) انظر: التيسير (ص: ١٤٥)، والسبعة (ص: ٣٩٩).

(٥) في نجيبويه: «البشر».

(٦) كتبت في بعض النسخ الخطية: «زعرى» مقصورة.

(٧) انظر: السبعة (ص: ٣٩٩)، والتيسير (ص: ١٤٥).

فقالت فرقة: هو أعجمي، علَّتاه في منع الصرف [العجمةُ والتأنيثُ.

وقالت فرقة: هو معرب من أجج وأج، علتاه في منع الصرف][١] التعريف والتأنيث.

وأما من لم يهمز فإمَّا أن يراهما اسمين أعجَميَّيْن، وإما أن يُسَهِّل من الهمز.

وقرأ رؤبة بن العجَّاج: (آجُوج وماجُوج) بهمزة بدل الياء[٢].

واختلف الناس في إفسادهم الذي وصفوهم به:

فقال سعيد بن عبد العزيز: إفسادُهم أكلُ بني آدم[٣].

وقالت فرقة: إفسادهم إنما كان عندهم مُتَوَقَّعاً؛ أي: سيفسدون، فطلبوا وجه التحرز منهم.

وقالت فرقة: إفسادهم هو الظُّلم والغَشْم والقتل وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر، وهذا أظهر الأقوال؛ لأن الطائفة الشاكية إنما [تشكَّت من ضرر قد نالها][٤].

وقولهم: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ استفهامٌ على جهة حسن الأدب.

و«الْـخَرْجُ»: الـمُجْبَى، وهو الخراج، وقال قوم: الخَرْجُ: المال يخرج مرة، والخَرَاجُ: الـمُجْبَى المتكرر، فعرضوا عليه أن يجمعوا له أموالاً يقيم بها أمر السد.

وقال ابن عباس: ﴿خَرْجًا﴾: أجراً[٥].

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿خَرْجًا﴾، وقرأ حمزة، والكسائي:

(١) ليس في المطبوع، وهو في الإماراتية١ ملحق بالهامش، وفي المطبوع أيضاً قبله: «علته»، بالإفراد.

(٢) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٨٥)، قال: ورواها آخرون عن العجاج.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ١٠٤).

(٤) في المطبوع: «شكت من ضُرٍّ قد نالهم».

(٥) منقطع، أخرجه الطبري (١٨/ ١١٢) من طريق ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

﴿خَراجاً﴾، وهي قراءة طلحة بن مصرِّف، والأعمش، والحسن بخلاف عنه[١].

ورُوي في أمر يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ: أن أرزاقهم هي من التنين يرزقونها[٢] ويمطرونها، ونحو هذا مما لا يصح، ورُوي أيضاً: أن الذكر منهم لا يموت حتى يولد له ألف ولد، والأُنثى لا تموت حتى يخرج من بطنها ألف، فهم لذلك إذا بلغوا العدد ماتوا[٣].

ورُوي أيضاً: أنهم يتناكحون في الطرق كالبهائم، وأخبارهم تضيق بها الصحف فاختصرتها لضعف صحتها.

وقوله: ﴿قَالَ مَامَكَّنِّي﴾ الآية، المعنى: قال لهم ذو القرنين: ما بسطه الله لي من القدرة والملك خير من خَرْجكم وأموالكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان، وبعمل منكم بالأيدي.

وقرأ ابن كثير وحده: ﴿ما مكَّنَنِيْ﴾ بنونين.

وقرأ الباقون: ﴿مَامَكَّنِّي﴾ بإدغام النون الأولى في الثانية[٤].

وهذا: من تأييد الله تعالى لذي القرنين، فإنه تهدَّى في هذه المحاورة إلى الأنفع الأنزه، فإن القوم لو جمعوا له [خرجاً لم يمنعه][٥] منهم أحد، وَلَوكَلَوُهُ إلى البنيان، ومعونتهم له بالقوة أجمل به، وأمْرٌ يطاول مدة العمل، وربما أَرْبَى على الخَرْج.

والرَّدْمُ أبلغ من السَّدِّ؛ إذ السَّدُّ: كلُّ ما سُدَّ به، والرَّدْم: وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع، ومنه: رَدَّم ثوبَه إذا رَقَّعَهُ

---

(١) سبعيتان، ونافع وابن عامر بالسكون أيضاً، انظر: التيسير (ص: ١٤٦)، والسبعة (ص: ٤٠٠)، وللباقين البحر المحيط (٧/ ٢٢٦).

(٢) «يرزقونها و»: زيادة من المطبوع.

(٣) ذكر الطبري في تفسيره (١٨/ ١٠٤-١٠٦) بعض الروايات التي هي من كتب أهل الكتاب فانظره هناك.

(٤) في الأصل: «في الأولى»، وهو خطأ، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٠٠)، والتيسير (ص: ١٤٦).

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «خراجاً ومالًا لم يُعِنْه»، وفي نور العثمانية: «خرجا لم يغنه»، وفي الإماراتية: «خرجا لم يعنه».

برقاع متكاثفة[١] بعضها فوق بعض، ومنه قول عنترة:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ منْ مُتَرَدَّمِ[٢] .... [الكامل]

أي: مِن قولٍ يُركَّب بعضه على بعض.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَٰعُوٓا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَٰعُوا لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾.

قرأ عاصم وحمزة: ﴿ائْتُونِي﴾ بمعنى: جيئوني.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: ﴿ءَاتُونِي﴾[٣] بمعنى: أعطوني، وهذا كله متقارب[٤]، إنما هو استدعاءُ المناولة، لا استدعاءُ العطية والهبة؛ لأنه قد ارتبط من قوله ألَّا يأخذ منهم الخَرْجَ، فلم يبق إلا استدعاءُ المناولة، وأعمال القوة، و﴿ائْتُونِي﴾ أشبه بقوله: / ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، ونصب الزُّبَرَ به على نحو قول الشاعر: [٣/ ٢٢٢] أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ[٥]، حذف الجار فنصب الفعل.

وقرأ الجمهور: ﴿زُبَرَ﴾ بفتح الباء، وقرأ الحسن بضمها[٦].

---

(١) في المطبوع: «متكاتفة»، وفي نجيبويه: «متكانفة».

(٢) هذا هو مطلع المعلقة، وتمامه: أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ، انظر نسبته له في العين (٨/ ٣٦)، وجمهرة اللغة (٢/ ٦٣٩)، والأغاني (٩/ ٢٥٤)، والأمالي للقالي (٢/ ١٤٨)، والعقد الفريد (٥/ ١٣٢).

(٣) فهما سبعيتان، هذا في الموضع الثاني، والمقصود بعاصم، رواية شعبة بخلاف عنه، وأما الأولى فالخلاف فيها عن شعبة خاصة وليس لحمزة فيها ولا لحفص فيهما شيء، انظر: السبعة (ص: ٤٠١)، والتيسير (ص: ١٤٦)، والنشر (٢/ ٣١٥).

(٤) زيادة من المطبوع والإماراتية١.

(٥) هذا جزءٌ في صدر بيت تقدم التعليق عليه في تفسير الآية (٢٢٩) من سورة البقرة.

(٦) وهي شاذة انظرها في البحر المحيط (٧/ ٢٢٧)، والذي في الشواذ للكرماني (ص: ٢٩٥) عنه: سكونُ الباء.

وكل ذلك جمع زُبْرَة، وهي القطعة العظيمة منه، والمعنى: فَرَصَفَهُ وَبَنَاهُ حَتَّى إذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدْفَيْن، فاختصر ذلك؛ لدلالة الظاهر عليه.

وقرأ الجمهور: ﴿سَاوَىٰ﴾، وقرأ قتادة: (سَوَّى)[١].

و«الصَّدَفان»: الجبلان المتناوحان[٢]، ولا يقال للواحد: صدف، وإنما يقال: صدفان لاثنين؛ لأن أحدهما يصادف الآخر.

وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي: ﴿ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ بفتح الصَّاد وشدِّها [وفتح الدال][٣]، وهي قراءة عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو: ﴿الصُّدُفَيْن﴾ بضم الصاد والدال، وهي قراءة مجاهد، والحسن.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿الصُّدْفَيْن﴾[٤] بضم الصاد وسكون الدال، وهي قراءة أبي رجاءٍ، وأبي عبد الرحمن السُّلَمي[٥].

وقرأ الماجشون بفتح الصاد وضم الدال، وقرأ[٦] قتادة: (بَيْنَ الصَّدْفين) بفتح الصاد وسكون الدال[٧]، وكلٌّ ذلك بمعنى واحد، وهما الجبلان[٨] المتناوحان، وقيل: الصَّدفان: السطحان الأعليان من الجبلين، وهذا نحو من الأول.

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٩٤).

(٢) أي: «المتقابلان».

(٣) ليس في المطبوع ونجيبويه.

(٤) من المطبوع.

(٥) من المطبوع، وهذه القراءات الثلاث سبعية، وحفص مع نافع، انظر: التيسير (ص: ١٤٦)، والسبعة (ص: ٤٠١).

(٦) في الأصل: «وقراءة».

(٧) وهما شاذتان، انظر قراءة الماجشون في المحتسب (٢/ ٣٤)، وقتادة في مختصر الشواذ (ص: ٨٥).

(٨) في المطبوع: «الجانبان».

وقوله: ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾ إلى آخر الآية، معناه أنه كان يأمر بوضع طاقة من الزُّبَر والحجارة، ثم يوقد عليها حتى تحمى، ثم يُؤْتى بالنحاس المذاب أو بالرصاص أو بالحديد ـ بحسب الخلاف في الْقِطْر ـ فيفرغه على تلك الطاقة المنضدة، فإذا التأم واشتد استأنف رصف طاقة أخرى إلى أن استوى العمل.

وقرأ بعض الصحابة: (بِقطْرٍ أُفْرغْ عَلَيْه)(١).

وقال أكثر المفسرين: القِطْرُ: النحاس المذاب، ويؤيد هذا ما رُوي: أن رسول الله ﷺ جاءه رجلٌ فقال: يا رسول الله، إنِّي رأيتُ سدَّ يأجوج ومأجوج، قال: «كيف رأيتَهُ؟» قال: رأيته كالبُرْد الـمُحَبَّر، طريقة صفراءُ، وطريقة حمراءُ، وطريقة سوداءُ، فقال رسول الله ﷺ: «قد رأيتَه»(٢).

وقالت فرقة: القِطْر: الرصاص المذاب.

وقالت فرقة: القِطْر: الحديد الذائب، وهو مشتق من قَطَر يَقْطر.

والضمير في قوله: ﴿ٱسۡتَطَٰعُوٓاْ﴾ ليَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.

---

(١) لم أجدها، الظاهر أنها تفسير، انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ١٩)، وتفسير الطبري (١٩/ ٦٢١).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ١١٣) من طريق يزيد بن هارون، والطبراني في مسند الشامين (٢٧٥٨) من طريق أبي الجماهر، كلاهما عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن رجل، عن أبي بكرة الثقفي فذكره مرفوعاً، بنحوه. وقال أبو الجماهر: عن رجلين، عن قتادة.
وقد اختلف على سعيد بن بشير، فرواه عنه يزيد بن هارون، وأبو الجماهر كما تقدم، وخالفهم مسلمة بن علي فرواه عن سعيد، عن قتادة مرسلاً. أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١٦٣٢) وأخرجه ابن منيع في مسنده كما في تغليق التعليق (٤/ ١٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن رجل من أهل المدينة أنه قال للنبي ﷺ... لكن يبقى تدليس قتادة، وأخرجه البزار في مسنده (٣٦٦٨) بسند فيه ضعف عن يوسف بن أبي مريم الحنفي قال: بينما أنا قاعد مع أبي بكرة إذ جاء رجل فسلم عليه فقال: أما تعرفني؟ فقال له أبو بكرة: ومن أنت، قال: تعلم رجلاً أتى رسول الله فأخبره أنه رأى الرَّدْمَ؟ فقال له أبو بكرة: وأنت هو؟ قال: نعم، فذكره بلفظ مطول.

وقرأت فرقة: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ﴾ بسكون السين وتخفيف الطَّاءِ، وقرأت فرقة بشَدِّ الطَّاء[١]، وفيها تكلُّف للجمع بين السَّاكنين.

و﴿يَظْهَرُوهُ﴾ معناه: يَعْلُونه بصعود فيه، ومنه في «الموطأ»: «والشَّمس في حُجْرتها قَبْلَ أَنْ تَظْهَر»[٢].

﴿وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ لبُعد عرضه وقوته، ولا سبيل سوى هذين، إمَّا ارتقاءٌ وإمَّا نَقْبٌ، وروي: أن في طوله ما بين طرفي الجبلين مئة فرسخ وعرضه خمسون فرسخاً، ورُوي غير هذا مما لا ثبوت له، فاختصرناه إذْ لا غاية للتخرُّص.

وقوله في هذه الآية: ﴿ٱنفُخُواْ﴾ أي: بالأكيار[٣].

وقوله: ﴿ٱسْطَـٰعُوٓاْ﴾ بتخفيف الطاء على قراءة الجمهور، قيل: هي لغة بمعنى: استطاعوا، وقيل: بل استطاعوا بعينه كثر في كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التاء فقالوا: اسْطاعوا، وحذف بعضهم منه الطاء فقال: اسْتَاعَ يستيع، بمعنى استطاع يستطيع، وهي لغة مشهورة.

وقرأ حمزة وحده: ﴿فَمَا اسطّاعُوا﴾ بتشديد الطاء[٤]، وهي قراءة ضعيفة الوجه، قال أبو علي: هي غير جائزة[٥].

وقرأ الأعمش: (فما اسْتَطاعوا أن يَظهَروه وَما اسْتَطاعوا لَه نَقْباً) بالتاء في الموضعين[٦].

---

(١) ستأتي مكررة معزوة لصاحبها، وهو حمزة.

(٢) علقه مالك في الموطأ (٢)، والبخاري (٥٤٦)، ومسلم (٦١١) قال: قال عروة: حدثتني عائشة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر.

(٣) في المطبوع: «بالأكوار»، وفي الإماراتية١: «يريد بالأكيار».

(٤) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٤٦).

(٥) الحجة للفارسي(٥/ ١٧٨)، وكل هذ لا يليق، بل قال في جامع البيان (٣/ ١٣٢٧): والجمع بينهما في مثل ذلك جائز مسموع.

(٦) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٢٩٥)، والبحر المحيط (٧/ ٢٢٨).

وقوله: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ﴾ الآية، القائل ذو القرنين، وأشار بـ(هذا) إلى الرَّدْم، والقوة عليه، والانتفاع به.

وقرأ ابن أبي عبلة: (هذه رحمةٌ)[١].

و«الْوَعْدُ» يحتمل أن يريد به يوم القيامة، ويحتمل أن يريد به وقت خروج يأجوج ومأجوج.

وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿دَكًّا﴾ مصدر دَكَّ يَدُكُّ: إذا هدم ورضَّ.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿دَكَّاءَ﴾ بالمدِّ[٢]، وهذا على التشبيه بالناقة الدكَّاء، وهي التي لا سَنامَ لها، وفي الكلام حذف تقديره: جعله مثلَ دكَّاءَ.

وأما النصب في (دكّاً) فيحتمل أن يكون مفعولاً ثانياً بـ﴿جَعَلَ﴾.

ويحتمل أن يكون ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى خَلَق، وينصب (دَكّاً) على الحال، وكذلك أيضاً النصب في قراءة من مَدَّ يحتمل الوجهين.

والضمير في ﴿وَتَرَكْنَا﴾ لله عز وجل.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يحتمل أن يريد به القيامة؛ لأنه قد تقدم ذكره[٣]، [فالضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ على ذلك لجميع الناس.

ويحتمل أن يريد بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يومَ كمال السَّدِّ][٤].

فالضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ على ذلك لـيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، واستعارة الـمَوْج

(١) وهي شاذة، تخالف المصحف، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: **٢٩٥**)، والبحر المحيط (٧/ ٢٢٨).

(٢) انظر: التيسير (ص: ١٤٦)، وفي المطبوع: «ابن عمر» بدل «ابن عامر»، وهو خطأ.

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «ضميره».

(٤) ليس في نجيبويه.

لهم عبارة عن الحَيْرَة وتَرَدُّد بعضهم في بعض كالمولَّهين[١] من همٍّ وخوف ونحوه، فشَبَّهَهُم بموج البحر الذي يضطرب بعضه في بعض.

وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ إلى آخر الآية، معنيٌّ به يوم القيامة، فلا احتمال لغيره، فَمَنْ تأول الآية كلَّها في يوم القيامة اتَّسق تأويله، ومن تأول الآية إلى قوله: ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍۖ وَنُفِخَ﴾ في أمر يأجوج ومأجوج، تأول القول: وتركناهم يموجون دأباً على مرِّ الدهر وتناسل القرون منهم وفنائهم[٢]، ثم نفخ في الصُّور فيجتمعون.

و(الصُّوْرُ) في قول الجمهور وظاهر الأحاديث الصحاح هو القَرْن[٣] الذي يُنفَخُ فيه للقيامة، وفي الحديث: عن النبي ﷺ أنه قال: «كيف أنعَمُ وصاحبُ القَرْنِ قد التقمَ[٤] القرنَ، وحنَى الجبهةَ، وأصغَى بالأُذن متى يؤمَرُ؟»، فشقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: «قولوا: حسبنا الله، وعلى الله توكلنا، ولو اجتمع أهل منى ما أقلوا[٥] ذلك القرن»[٦].

---

(١) في المطبوع ونجيبويه والإماراتية١: «كالوالهين».

(٢) في المطبوع: «بينهم وقيامهم».

(٣) في أحمد٣ زيادة: «المرئي».

(٤) في المطبوع: «التقط».

(٥) في المطبوع: «ما أجلوا»، وفي نور العثمانية: «ما أقود».

(٦) أجود أسانيده وقع فيه اختلاف، والباقي ضعفه ظاهر، والحديث جوَّده ابن كثير في التفسير (١/ ٥٣٠)، ورد من حديث جماعة من الصحابة، أمثلها: أبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عباس، وزيد بن أرقم. لكن بتأمل الخلاف الواقع في أسانيدها يتبين أنه يعود بعضها إلى بعض.
وقد روي هذا الحديث عن الأعمش، واختلف عليه.
١ ـ فقيل عنه عن أبي صالح، عن أبي هريرة، رواه موسى بن أعين، عن الأعمش به، أخرجه إسحاق ابن راهويه في مسنده (٥٣٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٣٤٤) لم يذكر في هذا الطريق قوله: «ولو اجتمع أهل منى ما أقلوا ذلك القرن».
٢ ـ وقيل: عنه عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري، رواه جرير بن عبد الحميد عن الأعمش به، أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٣/ ٣٧٨) وابن حبان في صحيحه (٨٢٣) ورواه أبو يحيى التيمي عن الأعمش به، أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٨) وأبو يحيى التيمي واهٍ.
وروي أيضاً عن عطية العوفي، واختلف عليه. =

وأما النفخات فأسند الطبري إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الصُّور قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفحة الصعق، والثالثة نفخة القيام [لربِّ العالمين»][(1)].

وقال بعض الناس: النفخات اثنتان: نفخة الفزع وهي نفخة الصعق، ثم الأخرى التي هي للقيام.

ومَلَك الصُّور هو إسرافيل.

= ١ ـ فقيل عنه عن أبي سعيد، رواه: أبو العلاء خالد بن طهمان عن عطية به، أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٥٩٧)، وأحمد (١٩٣٤٦)، والترمذي (٢٤٣١) وقال: هذا حديث حسن وقد روي من غير وجه هذا الحديث عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ نحوه، ورواه: سفيان بن عيينة عن عمار الدهني عن عطية به. المعجم الأوسط (٢/ ٢٨٥)، والصغير (١/ ٤٩)، ورواه: موسى بن أعين عن عمران وهو البارقي عن عطية به، أخرجه الطحاوي (١٣/ ٣٨٠).

٢ ـ وقيل عنه عن عبد الله بن عباس، رواه: أسباط عن مطرف بن طريف عن عطية به، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٣٥٢)، وأحمد (٣٠٠٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٨)، وابن الأعرابي في معجمه (٣٤٥-٥١٠-١٢٦٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٢٨)، ورواه: أبو غسان مالك بن إسماعيل قال: حدثنا ذواد بن علبة عن عطية عن ابن عباس قال أبو غسان: وقال غيره عن أبي سعيد..أخرجه الطحاوي (١٣/ ٣٨٢)، لكن روى هذا ابن الأعرابي في معجمه (٣٤٥)، فقال: نا أبو غسان، نا ذواد بن علبة الحارثي، عن ليث، عن عطية، عن ابن عباس به.

ورواه: ابن أبي زائدة عن إدريس الأودي عن عطية كذلك، أخرجه ابن الأعرابي (١٢٦٦)، وابن بشران في الأمالي (٧٠٢)، وقيل: عنه عن زيد بن أرقم، رواه: محمد بن ربيعة ثنا خالد بن طهمان أبو العلاء الخفاف عن عطية به، مسند أحمد (١٩٣٤٥)، وأعقبه أحمد برواية خالد بن طهمان أبي العلاء عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري التي سبق إيرادها، وهذا الاضطراب من عطية العوفي، فضعفه معروف، وفي الباب عن جابر وأنس وأسانيدها ضعيفة.

(١) ليس في المطبوع، والحديث ضعيف، وهو جزء من حديث طويل أخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال (٥٥)، وإسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية (٣٣٠٩)، والطبري (١٨/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم (١٦٦٢١-١٦٦٢٧-١٦٦٢٩) من طرق عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد بن أبي زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة مرفوعاً، به، وإسماعيل ضعيف.

[٣/ ٢٢٣] وقالت فرقة: / الصُّور جمع صورة، فكأنه أراد صور البشر والحيوان نفخ فيها الروح، والأول أَبْيَن وأكثر في الشريعة.

وقوله: ﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ﴾ معناه: أبرزناها لهم لتجمعهم وتحطمهم، ثم أكَّد بالمصدر عبارةً عن شدة الحال، وروى الطبري في هذا حديثاً مضمَّنهُ: أن النار ترفع لليهود والنصارى كأنها السَّراب، فيقال لهم: هل لكم في الماء حاجة؟ فيقولون: نعم[1]، ونحو هذا مما لا صحة له.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ﴿١٠٢﴾ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾.

قوله: ﴿أَعۡيُنُهُمۡ﴾ كناية عن البصائر؛ لأن عين الجارحة لا نسبة بينها وبين الذِّكْر، والمعنى: الذين فِكْرهم بينها وبين ذكْري والنَّظَرِ في شرعي حجابٌ وعليها غطاءٌ، ثم قال: إنهم كانوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً، يريد: لإعراضهم ونِفارهم عن دعوة الحق.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ﴾ بكسر السين، بمعنى: أظَنُّوا.

وقرأ علي بن أبي طالب، والحسن البصري، وابن يَعْمر، ومجاهد، وابن كثير بخلاف عنه: (أفحسْبُ) بسكون السين وضم الباء[2]، بمعنى: أكافيهم ومنتهى غرضهم؟.

وفي مصحف ابن مسعود: (أَفَظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا)[3]، وهذه حجَّة لقراءة الجمهور.

---

(١) ضعيف، هذا جزء من أثر طويل أخرجه الطبري (١٨/ ١٢٣) من طريق سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن عبد الله بن مسعود فذكره. وأبو الزعراء هو عبد الله بن هانئ الكندي لم يوثقه إلا العجلي، وقال البخاري: لا يتابع في حديثه.

(٢) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٤) وزاد ابن عباس وعكرمة وقتادة، ونعيم بن ميسرة والضحاك ويعقوب وابن أبي ليلى.

(٣) وهي شاذة، انظرها في تفسير الزمخشري (٢/ ٧٤٩)، والبحر المحيط (٧/ ٢٢٩).

وقال جمهور المفسرين: يريد كلَّ من عُبد من دون الله، كالملائكة، وعُزَيْر، وعيسى، فيدخل في ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بعضُ العرب واليهودُ والنصارى، والمعنى: إن ذلك ليس كظنهم، بل ليس لهم من ولاية هؤلاء المذكورين شيءٌ، ولا يجدون عندهم منتفعاً.

و﴿أَعۡتَدۡنَا﴾ معناه: يَسَّرْنَا، والنُّـزُلُ: موضع النزول، والنُّـزُلُ أيضاً: مَا يُقَدَّم للضيف والقادم من الطعام عند نزوله، ويحتمل أن يراد بالآية هذا المعنى: أن الـمُعَدَّ لهم بدل النُّـزُل جهنم، كما قال الشاعر:

.... تحيَّـةُ بَيْنِهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِيـعُ[1] [الوافر]

[المعنى: القائمُ مقام التحية ضربٌ وجيع][2].

ثم قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾ الآية، المعنى: قل لهؤلاء الكفرة على جهة التوبيخ: هَلْ نخبركم بالذين خسر عملُهم وضلَّ سعيُهم في الحياة الدنيا، وهم مع ذلك يظنون أنهم يحسنون فيما يصنعونه صنعاً[3]؟ فإذا طلبوا ذلك فقل لهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ﴾.

وقرأ ابن وثاب: (قل سَنُنْبِئُـكُمْ)[4]، وهذه صفة المخاطبين من كفار العرب المكذبين بالبعث.

و﴿حَبِطَتۡ﴾ معناه: بطلت، و﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ يريد: ما كان لهم من عمل خير.

وقوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ يحتمل أن يريد أنه لا حسنة لهم توزن في موازين القيامة، ومن لا حسنة له فهو في النار لا محالة، ويحتمل أن يريد المجاز والاستعارة كأنه قال: فلا قَدْرَ لهم عندنا يومئذ، فهذا معنى الآية عندي.

---

(١) تقدم مراراً.

(٢) زيادة من نجيبويه.

(٣) زيادة من الإماراتية١ ونجيبويه.

(٤) لم أجدها، وفي الشواذ للكرماني (ص: **٢٩٥**): «سننبئك» بكاف الخطاب، وكل هذا شاذ.

وروى أبو هريرة: أن النبي ﷺ قال: «يُؤْتى بالأكول الشروب الطويل فلا يزن جناح بعوضة، ثم قرأ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾»[(١)].

وقالت فرقة: إن الاستفهام تَمَّ في قوله: ﴿أَعْمَٰلًا﴾، ثم قال: هم[(٢)] ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾:

فقال سعد بن أبي وقاص: هم عُبَّاد اليهود والنصارى وأهل الصوامع والديارات[(٣)].

وقال علي بن أبي طالب: هم الخوارج[(٤)]، وهذا إن صحَّ عنه فهو على جهة مثال فيمن ضلَّ سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن.

ورُوي: أن ابن الكواء سأله عن الأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً، فقال له: «أنت وأصحابك»[(٥)].

---

(١) متفق عليه بلفظ: «الرجل العظيم السمين»، وأخرجه الطبري (١٨/ ١٢٩)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠٢) من طريق أبي الزناد، وأخرجه البزار في مسنده (٨١٧٣)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٣٠)، والبيهقي في الشعب (٥٦٧٠) من طريق محمد بن عمار المؤذن، كلاهما (أبو الزناد، ومحمد بن عمار)، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة به، وأخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) من طريق آخر عن أبي هريرة، بلفظ: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين».

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢٨)، بلفظ: هم اليهود والنصارى... والحرورية ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ وكان سعد يسميهم الفاسقين، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠١) بلفظ: لكنهم أصحاب الصوامع، والحرورية قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم.

(٤) له أسانيد أحدها جيد، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤١٣)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٥١٦)، والطبري (١٨/ ١٢٧) من طريق سلمة بن كهيل، عن أبي الطفيل، قال: سأل عبد الله ابن الكواء علياً عن قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾. قال: أنتم يا أهل حَرُورَاء. وهذا إسناد جيد، وأخرجه الطبري (١٥/ ١٢٧) من طريق يحيى بن أيوب، عن أبي صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن أبي الصهباء البكري، عن علي بن أبي طالب، أن ابن الكواء سأله... وهذا إسناد لين، وأخرجه أيضاً (٤٢٧) من طريق موسى بن يعقوب بن عبد الله، قال: ثني أبو الحويرث، عن نافع بن جبير بن مطعم، قال: قال ابن الكواء لعلي بن أبي طالب، بنحوه. وهو إسناد لين أيضاً.

(٥) انظر التخريج السابق.

ويضعف هذا كلَّه قوله تعالى بعد ذلك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ﴾، وليس من هذه الطوائف من يكفر بلقاء الله، وإنما هذه صفة مشركي عَبَدة الأوثان، فاتجه بهذا ما قلناه أوَّلاً، وعليٌّ وسعدٌ رضي الله عنهما ذكرا أقواماً أخذوا بحظهم من صدر الآية.

وقوله: ﴿أَعۡمَٰلًا﴾ نصب على التمييز.

وقرأ الجمهور: ﴿فَحَبِطَتۡ﴾ بكسر الباء.

وقرأ ابن عباس، وأبو السَّمّالِ: (فحَبَطَتْ) بفتح الباء[١].

وقرأ كعب بن عُجْرَة، والحسن، وأبو عمرو، ونافع، والناس: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ﴾ بنون العظمة.

وقرأ مجاهد: (فلا يقيم) بياء الغائب، يريد: فلا يقيم اللهُ عزَّ وجلَّ.

وقرأ عبيد بن عمير: (فَلَا يَقُومُ)، ويلزمه أن يقرأ: (وَزْنٌ)، وكذلك قرأ مجاهد: (يقومُ لهم يومَ القيامةِ وزنٌ)[٢].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ترك إقامة الوزن، و﴿جَزَآؤُهُمۡ﴾ خبر الابتداء في قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾، وقوله: ﴿جَهَنَّمُ﴾ بَدَلٌ منه، و(ما) في قوله: ﴿بِمَا كَفَرُواْ﴾ مصدرية، و«الـهُزْءُ»: الاستخفاف والسخرية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾.

لما فرغ من ذكر الكفرة والأخسرين أعمالاً الضالين[٣] عقَّب بذكر حالة المؤمنين؛

(١) شاذة، انظر البحر المحيط (٧/ ٢٣١)، وقد تقدم مثلها.

(٢) وكلها شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٩٥).

(٣) ليست في المطبوع ونجيبويه والإماراتية.

ليظهر التباين، وفي هذا بعث النفوس على اتِّباع الحَسَن القويم.

واختلف المفسرون في ﴿ٱلۡفِرۡدَوۡسِ﴾: فقال قتادة: إنه أعلى الجنة وربوتها[١].

وقال أبو هريرة: إنه جبل تتفجَّر منه أنهار الجنة[٢].

وقال أبو أُمامة: إنه سُرَّة الجنة ووسَطُها[٣].

وروى أبو سعيد الخدري: أنه تتفجر منه أنهارُ الجنة[٤].

وقال عبد الله بن الحارث بن كعب[٥]: إنه جنات الكرم والأعناب خاصة من الثمار.

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ١٣٠)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٠٢)، والهداية الى بلوغ النهاية (٦/ ٤٤٨١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٤٦).

(٢) إنما رواه أبو هريرة بنحوه مرفوعاً، أخرج البخاري (٢٧٩٠) (٧٤٢٣) عن أبي هريرة مرفوعا: «إن في الجنة مئة درجة» وفي آخره: «فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة».

(٣) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٢٤٦)، وهناد بن السري في الزهد (٤٩)، والطبري (١٨/ ١٣٠) من طريق الفرج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي أمامة به. والفرج بن فضالة ضعيف، وقد أخرجه الطبراني في الكبير (٧٩٦٦)، والروياني في مسنده (١٢٦٥)، وعثمان بن أبي شيبة في العرش (١٢)، وابن بطة في الإبانة (١٣٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧١)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٤٦٩) من طريق جعفر بن الزبير، عن القاسم بن عبد الرحمن الشامي، عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «سلوا الله الفردوس، فإنها سرة الجنة، وإن أهل الفردوس ليسمعون أطيط العرش»، وهذا إسناد ضعيف من أجل جعفر بن الزبير الحنفي؛ فإنه متروك.

(٤) إنما أخرجه الطبري (١٨/ ١٣١)، والحاكم في مستدركه (١/ ١٥٣) من نفس طريق حديث البخاري الذي تقدم لكن وقع فيه: عن أبي هريرة، أو أبي سعيد الخدري، به مرفوعاً، هكذا على الشك، ويغني عنه حديث أبي هريرة السابق، ولا ذِكر لأبي سعيد فيه.

(٥) لم أجده هكذا، ولعل الصواب: عبد الله بن الحارث عن كعب، كما هي عبارة الطبري (١٨/ ١٣١)، وقد أورد في «المعجم الصغير لرواة ابن جرير» بعض من اسمهم عبد الله بن الحارث، فانظره (١/ ٣٠٦)، وما بعدها.

وقاله كعب الأَحبار[١]، واستشهد قومٌ لذلك بقول أُمَيَّة بن أَبي الصَّلْت / : [٣/ ٢٢٤]

كانَـتْ مَنَازِلُهُـمْ إِذْ ذَاكَ ظَاهِـرَةً فيها الْفَرَادِيسُ والْفُومَانُ والْبَصَلُ[٢] [البسيط]

وقال الزجاج: قيل: إن الفردوس سريانية[٣]، وقيل: رومية، ولم يسمع بالفردوس في كلام العرب إلَّا في بيت حسَّان بن ثابت:

وإنَّ ثَـوَابَ اللَّهِ كُـلَّ مُـوَحِّـدٍ جِنَانٌ مِـنَ الْفِرْدَوْسِ فِيهَـا يُخَلَّدُ[٤] [الطويل]

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس»[٥]، وقال فرقة: الفردوس: البستان بالرومية، وهذا اقتضابُ القول في ﴿ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ وعيونُ ما قيل فيه.

وقوله: ﴿نُزُلًا﴾ يحتمل الوجهين اللَّذيْن قدمناهما قَبْلُ.

و«الحِوَلُ» بمعنى: التحول، قال مجاهد: مُتَحَوَّلاً[٦]، ومنه قول شصار في بيته[٧]:

لِـكُـلِّ دَوْلَـةٍ أَجَـلْ ثُـمَّ يُـتَـاح لَـهَـا حِـوَلْ[٨] [مجزوء الكامل]

وكأنه اسم جمع، وكأنَّ واحده حِوَالَة، وفي هذا نظر، وقال الزجاج عن قوم: هي بمعنى الحِيلَةِ في التنقل[٩]، وهذا ضعيف متكلف.

---

(١) انظر قوله في تفسير الطبري (١٨/ ١٣١).

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٨/ ١٣٠)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٠٢)، ويروى: الفراريس بالراء، قال أبو الإصبع: «وهي البصل».

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣١٥).

(٤) انظر عزوه له في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٠٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣١٥).

(٥) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (٢٧٩٠) (٧٤٢٣) وقد تقدم قريباً.

(٦) تفسير الطبري (١٨/ ١٣٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٠١).

(٧) «في بيته» من نجيبويه، في نور العثمانية: «شمار»، وفي المطبوع: «الشاعر»، وشصار هو رئي خنافر ابن التوءم الحميري، انظر قصته معه وإسلامهما في: الإصابة (٢/ ٣٠٤).

(٨) انظر البيت في قصته معه في الأمالي للقالي (١/ ١٣٤)، والاكتفاء للكلاعي (١/ ١٣٢)، وجمهرة خطب العرب (١/ ٨٨).

(٩) في المطبوع: «الشغل».

وأما قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾ الآية، فروي أن سبب الآية: أن اليهود قالت للنبي ﷺ: كيف تزعم أنك نبيُّ الأمم كلِّها ومبعوث إليها، وأنك أُعطيت ما يحتاجه الناسُ من العلم، وأنت مُقَصِّرٌ قد سُئِلْتَ في الرُّوح ولم تجب فيه؟[١]، ونحو هذا من القول، فنزلت الآية مُعْلمة باتساع[٢] معلومات الله عزَّ وجلَّ، وأنها غير متناهية، وأن الوقوف دونها ليس ببِدْع ولا نكير، فعبَّر عن هذا بتمثيل ما يستكثرونه وهو قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾، و«الْكَلِمَاتُ»: هي المعاني القائمة بالنفس، وهي المعلومات، ومعلومات الله سبحانه وتعالى لا تتناهى، والبحر متناه ضرورةً.

وقرأ الجمهور: ﴿تَنفَدَ﴾ بالتاء من فوق، وقرأ عمرو بن عبيد: ﴿يَنْفَدَ﴾ بالياء[٣].

وقرأ عبد الله بن مسعود، وطلحة بن مصرِّف: (قَبْلَ أن تُقْضَى كلماتُ رَبِّي)[٤].

وقوله: ﴿مِدَادًا﴾؛ أي: زيادة، وقرأ الجمهور: ﴿مِدَادًا﴾.

وقرأ ابن عباس، وابن مسعود، والأعمش، ومجاهد، والأعرج: (مَدَداً)[٥]، فالمعنى: لو كان البحر مداداً تكتب به معلومات الله عزَّ وجلَّ لنفد قبل أن يستوفيها،

---

(١) لم أجده بهذه الألفاظ، وكأنها من تصرف المؤلف، لكن أخرج أحمد (٤/ ١٥٤)، والترمذي (٣١٤٠)، والنسائي في الكبرى (١١٣١٤)، وابن حبان (٩٩)، والحاكم (٢/ ٢٦٩)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢٦٩) من طريق يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قالوا أوتينا علماً كثيراً التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزلت: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ إلى آخر الآية، قال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢) في نجيبويه: «اتباع».

(٣) هي سبعية متواترة عن حمزة والكسائي كما سيأتي له قريباً، وانظر: البحر المحيط (٧/ ٢٣٣).

(٤) شاذة، نسبها لابن مسعود ابن أبي داود في المصاحف (ص: ١٧٩)، ولطلحة في مختصر الشواذ (ص: ٨٥).

(٥) شاذة، نسبها لهم في المحتسب (٢/ ٣٥) إلا الأعرج ففي الشواذ للكرماني (ص: ٢٩٦).

وكذلك إلى ما شِئت من العدد؛ لأن ما لا يتناهى أكثر منه، فليس بِبِدْعٍ أن أجهل شيئاً من معلوماته، وإنَّما أنا بشرٌ مثلكم لمْ أُعْطَ إلَّا ما أُوحي إليَّ، وكُشف لي.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يَنْفَدَ﴾ بالياء من تحت، وقرأ الباقون بالتاء من فوق[١].

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، المعنى: إِنَّما أَنا بَشَرٌ ينتهي علمي إلى حيث يُوحَى إليَّ، وَمُهِمٌّ مَا يوحَى إلي أنَّما إلهُكم إلهٌ واحد، وكان كفرهم بعبادة الأصنام، فلذلك خصص هذا الفصل مما أوحي إليه، ثم أخذ في الموعظة والوصاة البيِّنَةِ الرُّشد.

و﴿يَرْجُواْ﴾ على بابها، وقالت فرقة: ﴿يَرْجُواْ﴾ بمعنى: يخاف، وقد تقدم القول في هذا إذ المقصد: فمَنْ كان يؤمن بلقاء ربه، وكلُّ مؤمن بلقاء ربِّه فلا محالة أنه بحالتي خوف ورجاء، فلو عبَّر بالخوف كان المعنى تامّاً على جهة التخويف والتحذير، وإذا عبَّر بالرجاء فعلى جهة الإطماع وبَسْط النفوس إلى إحسان الله تعالى، أي: فَمَنْ كانَ يَرْجُو النعيم المؤبد من ربِّه فلْيَعْمَلْ [عملاً صالحاً][٢]، وباقي الآية بيِّن في الشِّرك بالله تعالى.

وقال سعيد بن جبير في تفسيرها: لا يرائي في عمله[٣].

وقد رُوي حديث: أنها نزلت في الرياء حين سئل النبي ﷺ عمَّن يجاهد ويحب أن يحمده الناس[٤].

---

(١) «من فوق»: من المطبوع ونور العثمانية، وهما سبعيتان، وابن عامر مع الجمهور بالتاء، انظر: التيسير (ص: ١٤٦)، والسبعة (ص: ٤٠٢)، والنشر (٢/ ٣١٦)، ورواية الياء عنه ليست في شيء من طرقهم، وإنما رواها التغلبي عن ابن ذكوان، كما في جامع البيان (٣/ ١٣٢٨).

(٢) ليس في الإماراتية والأصل ونور العثمانية.

(٣) تفسير الماوردي (٣/ ٣٥٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٠٣).

(٤) مرسل، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤١٤)، والطبري (١٨/ ١٣٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٩) من طريق معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن طاووس قال: جاء رجل، فقال: يا نبيّ الله إني أحبّ الجهاد في سبيل الله، وأحبّ أن يرى موطني ويرى مكاني، فأنزل الله عزّ وجلّ: =

وقال معاوية بن أبي سفيان: هذه آخر آية نزلت من القرآن[١].

كمل تفسير سورة الكهف، والحمد لله ربِّ العالمين[٢].

❁ ❁ ❁

= ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ وأخرجه الطبري أيضاً (١٨/ ١٣٦) من طريق ابن جريج، عن مجاهد ومسلم بن خالد الزنجي، عن صدقة بن يسار الجزري مرسلا، بنحوه. وزاد فيه: وإني أعمل العمل وأتصدق، وأحب أن يراني الناس.

(١) إسناده جيد، أخرجه الطبري (١٨/ ١٣٦) عن أبي عامر إسماعيل بن عمرو السكوني، قال: ثنا هشام ابن عمار، قال: ثنا ابن عياش، قال: ثنا عمرو بن قيس الكندي، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان...

(٢) هذه الفقرة زيادة من المطبوع، وفي الأصل: «كمل السفر الثالث من المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، يتلوه في أول الرابع إن شاء الله تعالى سورة مريم»، وفي الإماراتية١: «والحمد لله على ذلك كثيرا»، وفي أحمد٣: «تم الجزء بحمد الله تعالى وكرمه في يوم الأحد تاسع عشر جمادى الآخرة سنة؟ وأربعين وسبع مئة على يد العبد الضعيف إلى ربه المستغفر من ذنبه محمد بن أحمد»، وفي نجيبويه: «كمل تفسير سورة الكهف والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى ساداتنا آله وصحبه وكل من آمن به».



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة مريم

/ هذه السُّورة مكِّيَّة بإجماع، إلَّا السجدة منها، فقالت فرقة: هي مكيَّة، وقالت فرقة: هي مدنية(1). [٤/ ١]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿كٓهيعٓصٓ ١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦﴾.

اختلف الناس في الحروف التي في أوائل السُّور على قولين:

فقالت فرقة: هي سرُّ الله تعالى في القرآن، لا ينبغي أن يُعرض له، يُؤمن بظاهره ويُترك باطنه.

وقال الجمهور: بل ينبغي أن يُتَكَلَّم فيها وتطلب معانيها؛ فإن العرب قد تأتي بالحرف الواحد دالّاً على كلمة، وليس في كتاب الله تعالى ما لا يُفهم، ثم اختلف هذا الجمهور على أقوال قد استوفينا ذكرها في سورة البقرة، ونذكر الآن ما يختص بهذه السُّورة:

---

(1) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٧٢)، وتفسير السمعاني (٣/ ٢٧٦)، والهداية لمكي (٧/ ٤٤٨٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥).

قال ابن عباس[١]، وابن جبير، والضحاك: هي حروف دالَّةٌ على أسماءٍ من أسماءِ الله تعالى، الكافُ من «كبير»، وقال ابن جبير أيضاً: «الكاف من: كافٍ»، وقال أيضاً: هي من: «كريم» فمقتضى أقواله أنها دالة على كل اسم فيه كافٌ من أسماء الله تعالى[٢].

قالوا: والهاءُ من «هادٍ»، والياءُ من «عليٍّ»، وقيل: من «حكيم»، وقال الربيع بن أنس: هي من: «يا من يُجير ولا يُجارُ عليه»[٣].

قال ابن عباس: والعين من «عزيز»، وقيل: من «عليم»، وقيل: من «عدْل»، والصاد من «صادق»[٤].

وقال قتادة: بل «كهيعص» بجملته اسم السورة[٥]، وقالت فرقة: بل هي اسم من أسماء الله تعالى، وروي عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقول: «يا كهيعص اغفر لي»[٦].

---

(١) له طرق لا تثبت، أخرجه الثوري في تفسيره (ص: ١٨١)، والطبري (١٨/ ١٣٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٦٥)، والضياء في المختارة (٤٨) من طريق إسماعيل بن راشد، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله كهيعص قال: كاف كبير هاد أمين عزيز صادق، وإسماعيل بن راشد هو: ابن أبي إسماعيل السلمي الكوفي، روى عن سعيد بن جبير، وعنه حصين ابن عبد الرحمن السلمي، ذكره البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣٥٣)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ١٦٩) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وأخرجه الثوري أيضاً (ص: ١٨١) عن موسى ابن أبي عائشة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وموسى لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنه، وأخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٢/ ٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٦٤) من طريق ورقاء عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كاف من كافي ويا من حكيم وعين من عليم وها من هاد وصاد من صادق، وهذا ضعيف أيضاً.

(٢) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (١٨/ ١٣٧و١٣٨).

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ١٣٩) وفي الأصل: لا يجير، وحذفنا لا لعدم ورودها في النسخ الأخرى، ومنافاتها للمعنى.

(٤) انظر أثر ابن عباس رضي الله عنه الذي تقدم.

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ١٤١).

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ١٤١) من طريق أبي بكر الهذلي، عن عاتكة، عن فاطمة ابنة علي =

فهذا يحتمل أن تكون الجملة اسماً من أسماء الله تعالى.

ويحتمل أن يريد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينادي الله تعالى بجميع الأسماء التي تضمَّنها ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، كأنه أراد أن يقول: يا كريم يا هادي يا عليُّ يا عزيز يا صادق اغفر لي، فجمع هذا كله باختصار في قوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1].

وقال ابن المستنير وغيره: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ عبارة عن حروف المعجم[2]، ونسبه الزجاج إلى أكثر أهل اللغة[3]؛ أي: هذه الحروف منها: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾، وعلى هذا يتركب قول من يقول: ارتفع ﴿ذِكْرُ﴾ بأنه خبر عن ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، وهي حروف تهَجٍّ يوقف عليها بالسكون.

وقرأ الجميع: (كَافْ) بإثبات الألف والفاء، وقرأ نافع الهاءَ والياءَ بين الكسر والفتح، ولا يدغم الدال في الذال، وقرأ ابن كثير ونافع أيضاً بفتح الهاء والياء.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن بضم الهاء وفتح الياء، وقد رُوي عنه بضم الياء، ورُوي عنه أنه قرأ: (كافُ) بضم الفاء، قال أبو عمرو الداني: معنى الضم في الهاء والياء إشباع التفخيم، وليس بالضم الخالص الذي يوجب القلب.

وقرأ أبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء، وقرأ عاصم بكسرهما[4].

= رضي الله عنه، به، وأبوبكر الهذلي، اسمه سلمى بن عبد الله أو روح، أخباري متروك الحديث، انظر: اللسان (٧/ ٤٥٤)، وأخرجه أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على بشر المريسي (١/ ١٧٤) من طريق نافع بن أبي نعيم، عن فاطمة به، ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ، قال أحمد بن حنبل: كان يؤخذ عنه القرآن، وليس في الحديث بشيء.

(١) انظر هذه المعاني في تفسير الطبري (١٨ / ١٣٨-١٤١).

(٢) هو قطرب، وقد تقدم له مثل ذلك في فاتحة البقرة.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٧)، وفي المطبوع: «إلى أكثر هذه اللغات».

(٤) فتح الهاء والياء: ابن كثير وحفص، وقللهما نافع، وأمالهما شعبة والكسائي، وفتح الهاء وأمال الياء حمزة وابن عامر، وعكس أبو عمرو، وأما الدال فأظهرها نافع وابن كثير وعاصم، وأدغمها الباقون، هذا حاصل ما في التيسير (ص: ١٤٨)، وأما قراءتا الحسن فشاذتان، انظر: المحتسب (٢ / ٣٥)، وتوجيه الداني لم أقف عليه.

وقرأت فرقة بإظهار النون من (عَينْ)، وهي قراءة حفص عن عاصم، وهو القياس؛ إذ هي حروف منفصلة، وقرأ الجميع غيرَه[١] بإخفاء النون، جعلوها في حكم الاتصال.

وقرأ الأكثر بإظهار الدال من (صاد)، وقرأ أبو عمرو بإدغامه في الذال من قوله: ﴿ذِكْرُ﴾.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع بإظهار هذه الحروف كلها، وتخْليصِ بعضها من بعض[٢].

وارتفع قوله: ﴿ذِكْرُ﴾ فيما قالت فرقة بقوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، وقد تقدم وجه ذلك.

وقالت فرقة: ارتفع على خبر ابتداء تقديره: هذا ذكر، وقالت فرقة: ارتفع بالابتداء والخبر مُقدَّر، تقديره: فيما أُوحي إليك ذكْرُ.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن، وابن يَعْمر: (ذَكَّرَ رَحْمَةَ رَبِّكَ)، بفتح الذال والكاف والراء، على معنى: هذا الـمَتْلُوُّ ذَكَّرَ رحمةَ [بالنصب، هذه حكاية أبي الفتح، وحكى أبو عمرو الداني عن ابن يعمر أنه قرأ: (ذَكِّرْ رحمةَ) بفتح الذال وكسر الكاف المشددة ونصب الرحمة، وعبدَه نصب بالرحمة[٣]، التقدير ذكر أنْ رحِمَ][٤] ربك عبده، ومن قال: في الكلام تقديمٌ وتأخير، فقد تعسَّف.

وقرأ الجمهور: ﴿زَكَرِيَّاء﴾ بالمدِّ، وقرأ الأعمش، ويحيى، وطلحة: ﴿زَكَرِيَّآ﴾ بالقصر[٥]، وهما لغتان، وفيه لغات غيرهما.

---

(١) في المطبوع: (عَيين)، وكذلك كتبت فيه «عين» في الموضعين، والإظهار رواية ابن اليتيم عن أبي حفص عن حفص كما في السبعة (ص: ٤٠٦)، وليست من طرق التيسير.

(٢) وهي عشرية، وعبر عنه في النشر بالسكت، انظر (١/ ٤٢٤).

(٣) وكلاهما شاذة، انظر الأولى مع التوجيه في المحتسب (٢ / ٣٦)، والثانية عن الداني في البحر المحيط (٧/ ٢٣٨).

(٤) ليس في المطبوع، وفيه الكاف المشددة، وقال: «المشددة» زيادة من «المحتسب»، ولم يذكر أنها نسخة.

(٥) فيه قصور، فهي سبعية لحفص وحمزة والكسائي كما تقدم في (آل عمران).

وقوله: ﴿نَادَىٰ﴾ معناه: بالدعاء والرغبة، واختلف في معنى إخفائه هذا النداء:

فقال ابن جريج: ذلك لأن الأعمال الخفية أفضل وأبعد من الرياء[(١)]، ومنه قول النبي ﷺ: «خيرُ الذِّكْرِ الخفيُّ»[(٢)].

وقال غيره: يستحب الإخفاءُ بين العبد ومولاه في [الأعمال التي يزكو بها البشر، وفي][(٣)] الدعاء الذي هو في معنى العفو[(٤)] والمغفرة؛ لأنه يدل من الإنسان على أنه خير، فإخفاؤه أبعد من الرياء، وأما دعاءُ زَكَرِيًّا وطلبه فكان في أمر دنياوي[(٥)]، وهو طلب الولد، فإنما أخفاه لئلا يلومه الناس في ذلك، وليكون على أوَّل أمره، إن أُجيب نال بُغيته، وإن لم يُجَب لم يعرف أحد بذلك، ويقال: وصف بالخفاء؛ لأنه كان في جوف الليل.

و﴿وَهَنَ﴾ وَهنَ معناه: ضَعُفَ، و«الوَهَنُ في الشخص والأمر»: الضَّعْفُ.

وقرأ الأعمش: (وَهِنَ) بكسر الهاء[(٦)].

﴿وَٱشۡتَعَلَ﴾ مستعارةٌ للشيب من اشتعال النار، على التشبيه به، / و﴿شَيۡبٗا﴾ نصب [٤/ ٢] على المصدر في قول من رأى ﴿وَٱشۡتَعَلَ﴾ في معنى شابَ، وعلى التمييز في قول من لا

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨ / ١٤٢، ١٤٣).

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠١٥٧-٣٥٣٨٠)، وأحمد في مسنده (١/ ١٧٢، ١٨٠، ١٨٧)، وفي الزهد (١/ ١٠)، وعبد بن حميد في مسنده (١٣٧)، وأبو يعلى في مسنده (٧٣١)، وابن حبان في صحيحه (٨٠٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٤٨-٥٤٩)، والدينوري في القناعة (٣٨-٣٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ١٨) من طريق أسامة بن زيد، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة، أن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «خير الذكر الخفي، وخير الرزق أو العيش ما يكفي». ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة ضعيف كثير الإرسال، ولم يصرح بالسماع.

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) في المطبوع: «القبول».

(٥) في المطبوع: «دنيا».

(٦) وهي شاذة، وقد تقدم عزوه له ولآخرين في الآية (١٤٧) من آل عمران.

يرى ذلك، بل رآه فعلاً آخر، فالأمر عنده كقولهم: [تفقَّأت شحماً، و][(١)] امتلأتُ غيظاً.

قوله: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ شُكْر لله تعالى على سالف أياديه عنده، معناه: أي قد أحسَنْتَ إليَّ فيما سلف، وسعدتُ بدعائي إيَّاكَ، فالإنعام يقتضي أن يشفع آخرُه أولَه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ الآية، اختلف الناسُ في المعنى الذي من أجله خاف الموالي:

فقال ابن عباس[(٢)]، ومجاهد، وقتادة، وأبو صالح: خاف أن يَرِثُوا ماله، وأن تَرِثَه الكلالة، فأشفق من ذلك[(٣)].

وروى قتادة، والحسن عن النبي ﷺ أنه قال: «يرحم الله أخي زكريا، ما كان عليه مِمَّن يرث ماله؟»[(٤)].

وقالت فرقة: إنما كان مواليه مهملين للدِّين، فخاف بموته أن يضيع الدِّين، فطلب وليّاً يقوم بالدِّين بعده، حكى هذا القولَ الزجاج[(٥)]، وفيه أنه لا يجوز أن يسأل زكريا من يرث مالَه؛ إذ الأنبياءُ لا تورث.

قال القاضي أبو محمد: وهذا يؤيده قول النبي ﷺ: «إنَّا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا[(٦)] فهو صدقة»[(٧)]، ويوهنه ذكر العاقِر، والأكثر من المفسرين على أنه أراد وراثة المال.

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «ابن عامر»، وهو خطأ، وقد أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨ / ١٤٤).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٦) من طريق جابر بن نوح، عن مبارك، عن الحسن، مرسلًا، وجابر بن نوح بن جابر، ويقال: ابن المختار الحماني، ضعيف.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٢٠).

(٦) في المطبوع: «تركناه»، وليست فيه: «فهو».

(٧) متفق عليه بدون لفظ: «إنَّا معشر الأنبياء»، أخرجه البخاري (٦٧٢٥)، ومسلم (١٧٥٨) من حديث =

ويحتمل قول النبي ﷺ: «إنَّا معشر الأنبياء لا نورث» ألا يريد به العموم، بل على أنه غالب أمرهم، فتأمله.

والأظهر الأليق بزكريَّا عليه السلام أنه يريد وراثة العلم والدين، فتكون الوراثة مستعارة، ألا ترى أنه إنما طلب وليّاً ولم يخصص ولداً، فبلَّغه اللَّهُ أمله على أكمل الوجوه.

وقال أبو صالح وغيره: قوله: ﴿يَرِثُنِي﴾ يريد المالَ، وقوله: ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يريد به العلم والنبوة، وقال السدي: رغب زكريا في الولد[١].

و﴿خِفْتُ﴾ من الخوف، وهي قراءة الجمهور، وعليها هو هذا التفسير.

وقرأ عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وسعيد بن العاص، وابن يَعْمَر، وابن جُبَيْر، وعليُّ بن الحسين، وغيرهم: (خَفَّتِ) بفتح الخاء وفتح الفاء وشدِّها وكسر التاء[٢]، على إسناد الفعل إلى ﴿ٱلْمَوَٰلِيَ﴾، والمعنى على هذا: انقطع أوليائي وماتوا، وعلى هذه القراءة فإنما طلب وليّاً يقوم بالدِّين.

و﴿ٱلْمَوَٰلِيَ﴾: بنو العَمِّ والقرابة الذين يَلُون بالنسب.

وقوله: ﴿مِن وَرَآءِى﴾؛ أي: من بعْدي في الزمن، فهم الوراء[٣] على ما بيَّناه في سورة الكهف، وقال أبو عبيدة في هذه الآية: أي: من بين يديَّ ومِنْ أمامِي[٤]، وهذا قِلَّة تحرير.

وقرأ ابن كثير: ﴿مِنْ وَرائِيَ﴾ بالمدِّ والهمز وفتح الياء.

وقرأ أيضاً ابن كثير: (من ورايَ) بالياء المفتوحة مثل: عَصَايَ[٥].

= عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بلفظ: «لا نورث، ما تركنا صدقة»، وبهذا اللفظ الذي أورده المصنف أخرجه النسائي في الكبرى (٤/ ٦٤) وغيره.

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٨ / ١٤٣، ١٤٥)، وانظر: تفسير الماوردي (٣ / ٣٥٥).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوه لهم في المحتسب (٢ / ٣٦)، مع التوجيه.

(٣) كذا في النسخ، ويحتمل في الأصل أن تقرأ «الولاء».

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢).

(٥) الأولى سبعية في التيسير (ص: ١٥٠)، والثانية رواية شبل عنه كما في السبعة (ص: ٤٠٧).

والباقون همزوا ومدُّوا وسكَّنوا الياء.

و«العَاقِرُ من النساء»: التي لا تلد من غير كِبَر، وكذلك العاقر من الرجال.

ومنه قول عامر بن الطُّفَيْل:

[الطويل] لَبِئْسَ الْفَتَى إنْ كُنْتُ أَعْوَرَ عَاقِراً   جباناً فَمَا عُذْرِي لدَى كُلِّ مَحْضَرِ[١]

وزكريَّا عليه السلام لما رأى من حاله إنما طلب وليّاً، ولم يصرح بولد[٢]، لِبُعْدِ ذلك بسبب المرأة، ثم وصف الوليَّ بالصفة التي هي قصده، وهي أن يكون وارثاً.

وقالت فرقة: بل طلب الولد، ثم طلب أن تكون الإجابة في أن يعيش حتى يرثه، تحفُّظاً من أن تقع الإجابة في الولد لكن[٣] يُخْتَرَم، فلا يتحصل منه الغرض المقصود.

وقرأ الجمهور: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ برفع الثاء من[٤] الفعلين على معنى الصفة لِلْوَلِّي.

وقرأ أبو عمرٍو، والكسائي: ﴿يرثْني ويرثْ﴾ بجزم الفعلين[٥]، وهذا على مذهب سيبويه ليس هو جوابَ ﴿فَهَبْ﴾، إنما تقديره: إنْ تَهَبْهُ يَرِثْني، والأول أصوب في المعنى؛ لأنه طلب وارثاً موصوفاً، ويضعف الجزمَ أنه ليس كلُّ موهوب يرث.

وقرأ علي بن أبي طالب، وابن عباس، وغيرهما: (يَرِثُني وارثٌ من آل يعقوبَ).

قال أبو الفتح: وهذا معناه التجريد، والتقدير: يَرِثُني منه أَوْ بِهِ وارثٌ[٦].

وقرأ مجاهد: [(يرثَني ويرثَ) بنصب الفعلين.

---

(١) انظر عزوه في مجاز القرآن (١/ ٩٢)، والأصمعيات (ص: ٢١٥)، والمفضليات (ص: ٣٦٢)، وقد تقدم في الآية (٤١) من آل عمران.

(٢) زيادة من الإماراتية١ والإماراتية٢ وأحمد٣ ونور العثمانية، وظاهر المطبوع أنها ليست في أصوله.

(٣) في المطبوع: «ثم».

(٤) «الثاء من» زيادة من أحمد٣.

(٥) انظر: السبعة (ص: ٤٠٧)، والتيسير (ص: ١٤٨).

(٦) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٨)، مع التوجيه.

وقرأت فرقة:][1] (يَرِثُني أُوَيْرِثٌ من آلِ يَعْقُوبَ) على التصغير[2].

وقوله: ﴿مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ يريد: يرث منهم الحكمة والحبورة[3] والعلم والنبوة، والميراث في هذه كلها استعارة.

و«رَضِيًّ» معناه: مَرْضِيٌّ، فهو فَعِيْل بمعنى مفعول، [والله الموفق][4].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾.

المعنى: قيل له بأثر دعائه: يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ يولد لك اسْمُهُ يَحْيى.

وقرأ الجمهور: ﴿نُبَشِّرُكَ﴾ بفتح الباء وكسر الشِّين مشددة.

وقرأ أصحاب ابن مسعود: ﴿نَبْشُرُكَ﴾ بسكون الباء وضم الشين[5].

قال قتادة: سُمِّي يحيى؛ لأن الله تعالى أحياه بالنبوة والإيمان[6].

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) وهما شاذتان، أما الأولى فلم أقف عليها لمجاهد، وقد عزا في مختصر الشواذ (ص: ٨٦) (يرثَني وارث) بالفتح والتنوين لابن عباس والجحدري، وأما الثانية فعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٩٧) لابن جبير، وفي مختصر الشواذ (ص: ٨٦) للجحدري، وعزاها في البحر المحيط (٧/ ٢٤٢) وتابعيه لمجاهد، فكأن القراءة الأولى سقطت من نسخته من ابن عطية.

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) زيادة من الحمزوية.

(٥) تقصير، فهي سبعية لحمزة على قاعدته كما تقدم، وانظر: التيسير (ص: ٨٨).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٤٧).

وقال بعضهم: سُمِّي بذلك[(١)]؛ لأن الله أحيا به الناس بالهدى[(٢)].

وقوله: ﴿سَمِيًّا﴾ معناه في اللغة: لم نجعل له مشاركاً في هذا الاسم، أيْ: لم يُسَمَّ قبل بيحيى، وهذا قول قتادة، وابن عباس[(٣)]، وابن أسلم، والسّدي، وقال مجاهد وغيره: ﴿سَمِيًّا﴾ معناه: مِثْلاً ونظيراً[(٤)].

وهذا كأنه من المساماة والسمُوِّ، وفي هذا بُعْدٌ؛ لأنه لا يفضل على إبراهيم وموسى اللهم إلَّا أن يفضل في خاص كالسؤدد[(٥)] والحصر.

وقال ابن عباس: معناه: لم تلد العواقر مثله[(٦)].

وقول زكريا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ اختلف الناس فيه:

فقالت فرقة: إنما طلب الوليَّ دون تخصيص وَلَد، فلما بُشِّر بالولد استفهم عن طريقه مع هذه الموانع منه.

وقالت فرقة: إنما كان طلب الولد وهو بحال يرجو[(٧)] الولد فيها بزواج غير العاقر، أو تسرٍّ[(٨)]، ولم تقع إجابته إلَّا بعد مُدَّة طويلة / صار فيها إلى حال مَن لا يولد له، فحينئذ استفهم وأخبر عن نفسه بالكِبَر والعُتُوِّ فيه. [٣/ ٤]

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «بالتدين».

(٣) إسناده لين، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٤٣٦)، والفريابي في تفسيره كما في تغليق التعليق (٤/ ٣٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٣) من طريق إسرائيل بن يونس، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، ورواية سماك عن عكرمة فيها ضعف.

(٤) انظر هذه الأقوال كلها في تفسير الطبري (١٨/ ١٤٨)، وفي أحمد٣: «وهذا قول مجاهد وقتادة»... ثم قال: «وقال غيرهم».

(٥) في المطبوع: «إلا أن يفضل في السؤدد».

(٦) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) في المطبوع: «يوجد».

(٨) في المطبوع: «أوْ بُشِّرَ»، ولعله تحريف.

وقالت فرقة: بل طلب الولد، فلما بُشِّر به لحين الدعوة استفهم على جهة السؤال، لا على جهة الشك، كيف طريق الوصول إلى هذا؟ وكيف نفذ القدر به؟ لَا أنه بَعُد عنده هذا في قدرة الله.

و«العِتِيُّ» و«العِسِيُّ»[١]: المبالغة في الكِبَرِ، ويبْسُ العود، أو شيب الرأس، [أو عقيدة ما][٢]، ونحو هذا.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿عِتِيًّا﴾ بكسر العين، والباقون بضمها[٣].

وقرأ ابن مسعود: (عَتِيّاً) بفتح العين، وحكى أبو حاتم أن ابن مسعود قرأ: «عُسِيّاً» بضم العين وبالسين، وحكاها الداني عن ابن عباس أيضاً[٤].

وحكى الطبري عن ابن عباس أنه قال: ما أدري، أكان رسول الله ﷺ يقرأُ في الظهر والعصر؟ ولا أدري أكان يقرأُ: (عِتِيّاً) أو (عِسِيّاً) بالسين؟[٥].

وحكى الطبري عن السدي أنه قال: نادى جبريل زكريَّا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾، فلقيه الشيطان فقال له: إن ذلك الصوت لم يكن لِـمَلك وإنما كان لشيطان، فحينئذ قال زكريا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾؟ ليتَـثَـبَّت أن ذلك من عند الله[٦].

وزكريَّا هو من ذرية هارون عليه السلام، وقال قتادة: جرى له هذا الأمر وهو ابن

(١) في الإماراتية٢: «والعتي»، فتكون بضم العين.
(٢) ليس في المطبوع.
(٣) وهما سبعيتان، وحفص مع حمزة، انظر: التيسير (ص: ١٤٨).
(٤) وهما شاذتان، انظر المحتسب (٢/ ٣٨)، ونسبتها لابن عباس في معاني القرآن للفراء (٣/ ١١٤).
(٥) إسناده صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٢٤٩) (٢٢٤٦)، والطبري (١٨/ ١٥٠) وغيرهم من طريق: هشيم. وأحمد (١/ ٢٥٧) (٢٣٣٢) قال: من طريق جرير كلاهما (هشيم، وجرير) عن حصين بن عبد الرحمن، عن عكرمة، فذكره، وصرح هشيم بالسماع في الموضعين، وأخرجه أبو داود (٨٠٩) من طريق هشيم، وليس فيها محل الشاهد.
(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٤٩).

بضع وسبعين سنة، وقيل: ابن سبعين، وقال الزجاج: ابن خمس وستين[(١)].

فقد كان غلب على ظنه ألَّا يولد له.

وقوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾، قيل: إن المعنى: قال له المَلَك: كَذلِكَ فليكن الوجود، كما قيل لك: قال رَبُّك: خَلْقُ الغُلَام عليَّ هَيِّنٌ؛ أيْ: غَيْرُ بِدْعٍ، فكما خلقتك قَبْلُ وأخرجتك من عدم إلى وجودٍ كذلك أفعلُ الآن.

وقال الطبري: معنى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأمران اللذان ذكرتَ من المرأة العاقر والكِبَرة[(٢)] هو كذلك، ولكن قال ربُّك[(٣)].

والمعنى عندي: قال الملك: كَذلِكَ؛ أي: على هذه الحال قالَ رَبُّكَ: هُوَ عليَّ هَيِّنٌ.

وقرأ الجمهور: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ﴾، وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿وقد خلقناك﴾[(٤)].

وقوله: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾، أي: موجوداً.

قال زكريَّا: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾، علامةً أعرف بها صِحَّة هذا، وكونه من عندك، وروي: أن زكريَّا عليه السلام لما عَرَفَ ثمَّ طَلَبَ الآية بعد ذلك عاقبه الله تعالى بأن أصابه بذلك السكوت عن كلام الناس، وذلك إن لم يكن عن مرض ـ خرسٍ أو نحوه ـ ففيه على كل حال عقابٌ مَّا.

ورُوي عن ابن زَيْدٍ: أن زكريا لما حملت زوجُه منه بيحيى أصبح لا يستطيع أن يكلم أحداً، وهو مع ذلك يقرأ التوراة، ويذكر الله، فإذا أراد مناداة أحد لم يُطِقْه[(٥)].

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣١٩) فقد حكى الزجاج ثلاثة أقوال، وانظر قول قتادة في تفسير الطبري (١٨/ ١٥٠).
(٢) في المطبوع: «الكبر».
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٥١).
(٤) انظر: التيسير (ص: ١٤٨).
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٥٢).

ويحتمل مع هذا أن يكون قوله: ﴿ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ معناه: علامةً أعرف بها أن الحمل قد وقع، وبذلك فسَّر الزجاج[١].

ومعنى قوله: ﴿سَوِيًّا﴾ فيما قال الجمهور: صحيحاً من غير علَّة ولا خَرَسٍ.

وقال ابن عباس أيضاً: ذلك عائد على الليالي، أراد: كاملاتٍ مستوياتٍ[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ المعنى: أن الله تعالى أظهر الآية بأن خرج زكريَّا من محرابه وهو موضع الصلاة، و﴿ٱلْمِحْرَابِ﴾ أرفع المواضع والمباني؛ إذ هي تحارب مَن ناوأها، ثم خصَّ بهذا الاسم مبنى الصلاة، وكانوا يتخذونها فيما ارتفع من الأرض.

واختلف الناس في اشتقاقه:

[فقالت فرقة: هو مأخوذ من الْحَرْب، كأن مُلازِمه يحارب الشيطان والشهوات][٣].

وقالت فرقة: هو مأخوذ من الْحَرَب بفتح الراء، كأن مُلازِمه يلقَى منه حَرَباً وتعباً ونصباً، وفي اللفظ بعد هذا نظر.

وقوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾، قال قتادة، وابن منبه: كان ذلك بإشارة، وقال مجاهد: بل بأن كتبه في التراب[٤].

قال القاضي أبو محمد: وكلا الوجهين[٥] وحْيٌ.

وقوله: ﴿أَن سَبِّحُواْ﴾، ﴿أَنْ﴾ مُفَسِّرة، بمعنى: (أيْ)، و﴿سَبِّحُواْ﴾ قال قتادة: معناه: صلُّوا[٦]، و«السبحة»: الصلاة، وقالت فرقة: بل أمرهم بذكْر الله، وقَوْل: سبحان الله.

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٢١).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٥٢-١٥٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) ليس في أحمد٣ والحمزوية والإماراتية١.

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (١٨/ ١٥٤).

(٥) في المطبوع: «القولين».

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٥٤)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٥٩).

وقرأ طلحة: (أنْ سبِّحُوه) بضمير[١]، وباقي الآية بيِّن.

[ويقال: وحَى وأوْحَى بمعنىً واحد][٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾.

المعنى: فَوُلِدَ لَهُ، وقال الله تعالى للمولود: يا يَحْيَى، وهذا اختصار ما يدلُّ الكلامُ عليه.

و﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التوراة بلا خلاف؛ لأنه وُلد قبل عيسى، ولم يكن الإنجيل موجوداً عند الناس.

وقوله: ﴿بِقُوَّةٖ﴾؛ أي: العلم به، والحفظ له، والعمل به، والالتزام للوازمه.

ثم أخبر الله تعالى فقال: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾، واختلف في الحكم:

فقالت فرقة: الأحكام والمعرفة بها، و﴿صَبِيّٗا﴾ يريد: شابّاً لم يبلغ حدَّ الكهولة.

وقال الحسن: الحُكْمُ: النُّبوة[٣]، وفي لفظة (صَبِيٍّ) على هذا تجوُّز، واستصحابُ حال.

وقالت فرقة: الحُكْمُ: الحِكْمَة.

وروى معمر في ذلك: أن الصبيان دَعَوْهُ وهو طفل إلى اللعب، فقال لهم: إني لم أُخلق للَّعب، فتلك الحِكْمَة التي آتاه الله عزَّ وجلَّ وهو صبي [همُّ لِدَاته اللعبُ][٤].

---

(١) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٩٨).

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٧٩) و(١٩/ ٣٤١)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢١) و(٤/ ١٧٦، ٢٤١).

(٤) ليس في المطبوع وأحمد٣، وسقطت «اللعب» من الإماراتية١، وانظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٥٥)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٠٧).

وقال ابن عباس: مَن قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أُوتي الحُكْمَ صبيّاً[١].

وقوله: ﴿وَحَنَانًا﴾ عطف على قوله: ﴿ٱلْحُكْمَ﴾، و(زكاةً) عطف عليه، أُعمل في جميع ذلك (آتَيْنا)، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَحَنَانًا﴾ عطفاً على قوله: ﴿صَبِيًّا﴾، أي: وبحال حنانٍ مَّا، وتزكية له.

و«الحَنَانُ»: الرحمة والشفقة والمحبة، قاله جمهور المفسرين، وهو تفسير اللغة، وهو فعل من أفعال النفس، ويقال: حنانك وحنانيك، قيل: هما لغتان بمعنىً واحد، وقيل: حنانيك تثنية الحنان، وقال عطاءُ بن أبي رباح: (حَناناً مِنْ لَدُنَّا) بمعنى تعظيماً من لدنا[٢].

قال القاضي أبو محمد: والحنان في كلام العرب أيضاً ما عظم من الأمور في ذات الله تعالى.

ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل في خبر بلال بن رباح: والله لئن قتلتم هذا العبد لأَتَّخذنَّ قبره، [ويروى: قتلَه][٣]، حناناً[٤].

وقد روي عن عبد الله بن عباس أنه قال: والله ما أدري ما الحنان[٥].

و«الزَّكاةُ»: التَّطهير والتنمية في وجوه الخير / والبر. [٤/ ٤]

و«التَّقِي» فَعِيْلٌ من تقوى الله عزَّ وجلَّ، وروي في تفسير هذه الآية من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ أنه قال: «كلُّ ابن آدم يأتي يوم القيامة وله ذَنْبٌ إلَّا ما كان من يحيى بن زكريَّا»[٦].

---

(١) ضعيف، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٧٩٨) من طريق الحسن بن أبي جعفر، عن أبي الصهباء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه به، والحسن بن أبي جعفر عجلان ضعيف.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٥٧).

(٣) زيادة من أحمد٣، وفي المطبوع: «فيه»، بدل «قبره».

(٤) تفسير القرطبي (١١/ ٨٨)، وتفسير الثعالبي (٣/ ٥).

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ١٥٧) من طريق الحسين بن داود واسمه سنيد، عن حجاج بن محمد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسنيد ضعيف.

(٦) مرسل، أخرجه الطبري (١٨/ ١٦٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٣)، وابن عساكر في تاريخ =

وقال قتادة: إن يحيى عليه السلام لم يعصِ الله قطُّ بكبيرة ولا صغيرة ولا همَّ بامرأة[١].

قال قتادة: وكان طعامه صلوات الله عليه العُشب، وكان للدمع في خدِّه مجارٍ ثابتة[٢].

ومن الشواهد في الحنان قول امرئ القيس:

[الوافر] وتمْنحها بَنو شَمَجَى بنِ جَرْمٍ مَعيزَهُمُ، حَنَانَكَ ذَا الْحَنَانِ[٣]

وقول النابغة:

[الطويل] أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بَعْضَنَا حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ[٤]

وقال الآخر:

[الطويل] فقالت: حنانٌ ما أَتَى بِكَ هَاهُنَا أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بالْحَيِّ عَارِفُ[٥]

قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ الآية، «البرُّ»: الكثير البرِّ، و«الجبَّار»: المتكبِّر، كأنه

= دمشق (٦٤/ ١٧٤) من طريق محمد بن إسحاق، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن عمرو بن العاص، مرفوعاً، وسعيد بن المسيب لم يسمع من عمرو بن العاص رضي الله عنه، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٦) من طريق قتادة، عن سعيد بن المسيب، مرسلاً أيضاً.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٦٠).

(٢) انظر: الزهد لابن حنبل (ص: ٩٠)، والزهد لابن المبارك (ص: ٤٧)، والطيوريات (٣/ ٤٣)، والهداية لمكي (٢/ ١٠٠٥) و(٧/ ٤٥٠٧).

(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٨/ ١٥٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٠٢)، ومجاز القرآن (٢/ ٢).

(٤) البيت لطرفة بن العبد كما في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣١٦)، ومجاز القرآن (٢/ ٣)، والجمل في النحو (ص: ١٧٥)، والكتاب لسيبويه (١/ ٣٤٨)، وتهذيب اللغة (١/ ٤٤١)، والكامل للمبرد (٢/ ١٤٨)، والصحاح للجوهري (٥/ ٣٨٢) فنسبته للنابغة خطأ.

(٥) البيت للمنذر بن درهم الكلبي كما في فرحة الأديب (ص: ٢٨)، ومعجم البلدان (٣/ ٩٤)، وخزانة الأدب للبغدادي (٢/ ١١٣)، وهو بلا نسبة في الجمل في النحو (١/ ١٧٤)، والكتاب لسيبويه (١/ ٣٢٠)، وقال: سمعناه من بعض العرب الموثوق به.

يجبر الناس على أخلاقه، والنخلة الجَبَّارَةُ: العالية العظيمة، و«العَصِيُّ»: أَصْلُه عَصُويٌ، فَعُوْلٌ بمعنى: فاعل.

وروي: أن يحيى بن زكرياء عليه السلام لم يواقع معصية صغيرة ولا كبيرة، كما تقدم[١].

قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ﴾، قال الطبري وغيره: معناه: وأمانٌ[٢].

والأظهر عندي أنها التحية المتعارفة، فهي أشرف وأنبه[٣] من الأمان؛ لأن الأمان متحصِّل له بنفي العصيان، وهي أقلُّ درجاته، وإنما الشرف في أن سلَّم الله عليه وحيَّاهُ في المواطن التي الإنسان فيها في غاية الضعف والحاجة [وقلة الحيلة][٤] والفقر إلى الله وعظيم الهول.

وذكر الطبري عن الحسن: أن عيسى ويحيى التقيا، وهما ابنا[٥] الخالة، فقال يحيى لعيسى: ادْعُ لي فأَنت خير منِّي، فقال له عيسى: بل أنت ادْع لي فأنت خير منِّي، سلَّمَ الله عليك، وأنا سلَّمت على نفسي[٦].

قال القاضي أبو محمد: قال لي[٧] أبي رضي الله عنه: انتزع بعضُ العلماء من هذه الآية في التسليم فضل عيسى بأن قال: إدْلالُه في التسليم على نفسه ومكانته من الله التي اقتضت ذلك حين قرر وحكى في محكم التنزيل أعظمُ في المنزلة من أن يُسَلَّم عليه.

قال القاضي أبو محمد: ولكُلٍّ وَجْه.

---

(١) «كما تقدم»: ليست في المطبوع.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٦٠).
(٣) في المطبوع: «وأشبه».
(٤) ليس في أحمد٣.
(٥) «على التثنية»، وفي المطبوع: «أبناءُ».
(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٦٠).
(٧) «لي»: من المطبوع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾.

هذا ابتداءُ قصة ليست من الأولى، والخطاب لمحمد ﷺ، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن، و﴿مَرْيَمَ﴾: ابنةُ عمران، أُمُّ عيسى، أُخْتُ أُمِّ يحيى.

واختلف الناس لم انْتبَذَت؟ و«الانتباذ»: التَّـنَحِّي:

فقال السدي: انْتبَذَتْ لتطهر من حيض[١]، وقال غيره: لتعبد الله، وهذا أحسن؛ وذلك أن مريم كانت وقفاً على سدانة المتعبَّد وخدمته والعبادة فيه، فتنحَّت من الناس لذلك.

وقوله: ﴿شَرْقِيًّا﴾ يريد جهةَ الشرق من مساكن أهلها، وسبب كونه في الشرق أنهم كانوا يُعَظِّمُون جهة المشرق ومن حيث تطلع الأنوار، وكانت الجهات الشرقية من كل شيءٍ أفضلَ من سواها، حكاه الطبري[٢].

وحكي عن ابن عباس: إني لأَعْلَم الناس لِـمَ اتَّخذ النصارى المشرق قبلة؛ لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، فاتخذوا ميلاد عيسى قِبلة[٣].

وقال بعض الناس: الحجابُ هي اتَّخذته لِتَسْتَتِر به عن الناس لعبادتها، فقال السدي: كان من جدرات[٤]، وقيل: من ثياب، وقال بعض المفسرين: اتخذت المكان بشرقي المحراب[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٦٢)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٠٨).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ١٦٢).

(٣) إسناده جيد، أخرجه الطبري (١٨/ ١٦٢) عن إسحاق بن شاهين، عن خالد بن عبد الله الواسطي، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٦٣)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٦١)، وفي المطبوع: «جُدْران».

(٥) قاله السدي، كما في تفسير الطبري (١٨/ ١٦٢).

و«الـرُّوحُ»: جبريل، وقيل: عيسى، حَكَى الزجاج القولين[١]، فمن قال: إنه جبريل قدَّر الكلام: فتمثل هو لها، ومن قال: إنه عيسى قدَّر الكلام: فتمثَّل الـمَلَك لها.

قال النقاش: ومن قرأ: (رُوحَنَّا) مشددة النون[٢] جعله اسمَ مَلَك من الملائكة.

قال القاضي أبو محمد: ولم أر هذه القراءة لغيره.

واختلف الناس في نُـبُـوَّة مريم: فقيل: كانت نَبِيَّةً بهذا الإرسال، وبالمحاورة للملَك.

وقيل: لم تكن نبيَّةً، وإنما كلَّمها مِثَالُ بَشَرٍ، ورُؤْيتها للمَلَك كما رُئي جبريل في صفة دِحْيَةَ، وفي سؤاله عن الإيمان والإسلام[٣]، والأول أظهر.

وقوله تعالى: ﴿أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الآية، المعنى: قالت مريم للملك الذي تمثَّل لها بشراً لمَّا رأتهُ قد خرق الحجاب الذي اتخذته فأساءَتْ به الظن، قالت: إنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ ذا تُقًى، قال أبو وائل: علمَتْ أن التَّقِيَّ ذو نُهْية[٤]، وقال وهب بن منبه: تقي[٥] رجل فاجر كان في ذلك الزمن في قومها، فلما رأته مُتَسَوِّراً عليها ظنته إياه، فاستعاذت بالرحمن منه، حَكَى هذا مكيٌّ وغيره[٦]، وهو ضعيف ذاهب مع التَّخرص.

فقال لها جبريل عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾، جعل الْهِبَةَ من قِبَله لمَّا كان الإعلام بها من قبله.

وقرأ الجمهور: ﴿لِأَهَبَ﴾ كما تقدم، وقرأ أبو عمرو ونافع: ﴿لِيَهَبَ﴾ بالياء؛ أي:

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ٣٢٢).

(٢) وهي شاذة، انظر نقلها عن النقاش في البحر المحيط (٧/ ٢٤٨).

(٣) وقال عياض: هو مذهب الجمهور، ونقل أبو المعالي الجويني الإجماع عليه، انظر القولين في فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٧٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٦٤).

(٥) في المطبوع: «تعني اسم».

(٦) انظر: الهداية لمكي (٧/ ٤٥١٠).

لِيَهَبَ الله لَكِ، واختلف عن نافع[١]، وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (لِيَهَب اللهُ لَكِ)[٢].

فلما سمعت مريم ذلك واستشعرت ما طرأ عليها، استفهمت عن طريقه، وهي لم يمسَّها بشَر بنكاح، ولم تك زانية، و«الْبَغِيُّ»: المجاهرة المشتهرة[٣] في الزِّنا، فهي طالبة له، أصله[٤] بَغُوْي على وزن فَعُوْل كَبَتُوْلٍ وقَتُوْل[٥]، ولو كانت فَعِيْلًا لقويَ أن تلحقها هاءُ التأنيث فيقال: بَغِيَّة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾/ [٤/ ٥]

المعنى: قال لها الـمَلَك: كذلك هو كما وصَفْتِ، ولكن قال رَبُّكِ، ويحتمل أن يريد: على هذه الحال قالَ رَبُّكِ، والمعنى متقارب، و«الآيَةُ»: العِبْرة المعرضة للنظر.

والضمير في قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾ للغلام.

و(رحمةً منا)، معناه: طريق هُدًى لعالم كثير، فينالون الرحمة بذلك، ثم أعلمها بأن الأمر قد قُضي وانتجز، والأمر هنا واحدُ الأُمور، وليس بمصدر: أَمَرَ يَأْمُرُ.

وروي: أن جبريل عليه السلام حين قاولها[٦] هذه المقالة نفخَ في جَيبِ دِرْعها، فَسَرَت النفخة بإذن الله حتَّى حملتْ منها، قاله وهب بن منبه وغيره.

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٤٨).

(٢) وهي شاذة، ولعله خطأ، ففي معاني القرآن للفراء (٢/ ١٦٣): وفي قراءة عبد الله: (لِيَهَبَ لَكِ)، والمعنى: ليهبَ اللهُ لك.

(٣) في الأصل والإماراتية١ والإماراتية٢ وأحمد٣: «المنبهرة».

(٤) من المطبوع وأحمد٣ والإماراتية١.

(٥) ليست في المطبوع، وفي الحمزوية: «قبول».

(٦) في المطبوع: «قال لها».

وقال ابن جُرَيْج: نفخ في جيب دِرْعها وكمِّها[١].

وقال أُبيٌّ بن كعب: دخل الرُّوحُ المنفوخ من فمها[٢]، فذلك قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾؛ أي: فحملت الغلام.

ويُذكر أنها كانت بنت ثلاث عشرة سنة، فلمَّا حسَّت بذلك وخافت تعنيف الناس وأن يُظَنَّ بها الشر انتبذت به؛ أي: تنحَّت مكاناً بعيداً حياءً وفِرَاراً على وجهها.

وروي في هذا: أنها فرَّت إلى بلاد مصر ونحوها، قاله وهب بن منبه، وروي أيضاً: أنها خرجت إلى موضع يعرف ببيت لَحْم، بينه وبين إيلياء أربعة أميالٍ[٣].

و(أَجَاءَهَا) معناه: اضطرها، وأَجَاءَ هو تعدية جاءَ بالهمزة، وقرأ شُبيْلُ[٤] بنُ عَزْرَةَ، ورويت عن عاصم: (فَاجَأَهَا)، من المفاجأة.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (فَلَمَّا أَجَاءَهَا الْمَخَاضُ)[٥]، وقال زهير:

وجـارٍ سَـارَ مُـعْتَمِـداً إِلَـيْـكُـمْ أَجَـاءَتْـهُ الْمَخَـافَـةُ والـرَّجَاءُ[٦] [الوافر]

---

(١) في المطبوع: «وكفِّها»، وانظر القولين في تفسير الطبري (١٨/ ١٦٦).

(٢) ذكر ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٢٠) عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: إن روح عيسى عليه السلام من جملة الأرواح التي أخذ عليها العهد في زمان آدم، وهو الذي تمثل لها بشراً سويّاً، أي: روح عيسى، فحملت الذي خاطبها وحلَّ في فيها. قال ابن كثير: وهذا في غاية الغرابة والنكارة، وكأنه إسرائيلي.

(٣) انظر قول وهب في تفسير الطبري (١٨/ ١٧٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥١٨)، والقول الثاني في الهداية لمكي (٧/ ٤٥١٣).

(٤) في الأصل وأحمد٣ والإماراتية١و٢ ونور العثمانية: «شِبْلُ بن عَزْرة»، وفي أحمد٣ بن عروة، وهو شبيل بن عزرة أبو عمرو البصري الضبعي، أحد علماء العربية، روى عن أنس وابن حوشب، وعنه جعفر بن سليمان وشعبة، وثقه ابن معين. تاريخ الإسلام (٩/ ١٧٢).

(٥) وهما شاذتان، انظر عزوهما في تفسير القرطبي (١١/ ٩٢)، والأولى في المحتسب (٢/ ٣٨).

(٦) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٨/ ١٦٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٢٠)، ومجاز القرآن (٢/ ٤)، والصحاح (١/ ٤٤).

وقرأ الجمهور: ﴿ٱلْمَخَاضُ﴾ بفتح الميم، وقرأ ابن كثير فيما رُوي عنه بكسرها[١].

وهو الطَّلْقُ وشدَّةُ الولادة وأوجاعها، روي أنها بلغت إلى موضع كان فيه جذع نخلة بالٍ يابسٌ في أصله مذود[٢] بقرة على جرية ماءٍ، فاشتد بها الأمر هنالك، واحتضنت الجذع لشدة الوجع، وولدت عيسى عليه السلام، فقالت عند ولادته ـ لما رأته من الآلام والتغرب وإنكار قومها وصعوبة الحال من غير ما وَجْه ـ: يا لَيْتَنِي مِتُّ ولم يجْر عليَّ هذا القَدَر.

وقرأ الحسن، وأبو جعفر، وشيبة، وعاصم، وأبو عمرو، وجماعة: ﴿مُتُّ﴾ بضم الميم.

وقرأ الأعرج، وطلحة، ويحيى، والأعمش: ﴿مِتُّ﴾ بكسرها، واختلف عن نافع[٣].

وتمنَّت مريم الموت من جهة الدِّين؛ إذ خافت أن يُظن بها الشَّرُّ في دينها، وتُعَيَّر فيفتنها ذلك، [وهذا مباح][٤]، وعلى هذا الحدِّ تمناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٥]، وجماعة من الصالحين[٦]، ونَهْيُ النبي ﷺ عن تمني الموْتِ إنما هو لِضُـرٍّ

---

(١) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٨٧).

(٢) في المطبوع: «مدود».

(٣) بعيد من الدقة، فالقراءتان سبعيتان، الكسر لنافع وحفص وحمزة والكسائي، والضم للباقين، انظر: التيسير (ص: ٩١).

(٤) ليس في المطبوع، وانظر في هذا المعنى الاستذكار (٣/ ١١٨)، وشرح النووي على مسلم (١٧/ ٧-٨).

(٥) ضعيف، أخرجه مسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة (٧/ ٣٦٨)، وابن المبارك في الزهد (٢٣٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٦٢١)، وأبو داود في الزهد (٦٨)، وابن أبي الدنيا في المتمنين (١٢) من طريق شعبة، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض، فقال: ليتني هذه التبنة، ليتني لم أكُ شيئاً، ليت أمِّي لم تلدني، ليتني كنت نسياً منسيّاً، وعاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب ضعيف.

(٦) ففي تفسير الماوردي (٣/ ٨٥) أن يوسف أول نبي تمنى الموت، وفي الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٣٣٧): أن أبا هريرة تمناه.

نزل بالبدن[١]، وقد أباحه ﷺ في قوله: «يأْتي على الناس زمان يمُرُّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه»[٢].

قال القاضي أبو محمد: لأنه زمن فتَن يذهب[٣] بالدِّين.

وقالت[٤]: ﴿وكنتُ نِسْياً﴾؛ أي: شيئاً متروكاً محتقراً، والنِّسْيُ في كلام العرب: الشيءُ الحقير الذي شأنه أن يُنْسى فلا يُتَألَّم لفقده كالوتد والحبل للمسافر ونحوه، يقال: نِسْيٌ بكسر النون، ونَسْيٌ بفتحها.

وقرأ الجمهور بالكسر، وقرأ حمزة وحده بالفتح، واختلف عن عاصم، وكقراءة حمزة قرأ طلحة، ويحيى، والأعمش[٥].

وقرأ محمد بن كعب القُرظي بالهمز: (نِسْئاً) بكسر النون، وقرأ نوف البِكَالي: (نَسْئاً) بفتح النون، وحكاها أبو الفتح، والداني عن محمد بن كعب القُرظي.

وقرأ بكر بن حبيب[٦]: (نَسّاً) بشد السِّين وفتح النون دون همز[٧]، وقال الشَّنْفَرَى:

كأَنَّ لها في الأَرْض نِسْياً تَقُصُّهُ ... إذا ما غَدَتْ وإِنْ تُحَدِّثْكَ تَبْلَتِ[٨] [الطويل]

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٣٥١)، ومسلم (٢٦٨٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧١١٥)، ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في المطبوع: «تتصل».

(٤) من المطبوع.

(٥) فهما سبعيتان، ومع حمزة حفص، انظر: التيسير (ص: ١٤٨).

(٦) هو بكر بن حبيب السّهميّ من سهم باهلة، وهو والد عبد الله المحدّث، كان عالماً بالعربية فى طبقة أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر، وهو أكبر من الخليل بن أحمد، ولم يكن له شهرته. «إنباه الرواة» (١/ ٢٧٩).

(٧) ثلاث قراءات شاذة، انظر: الأولى والثالثة في: الشواذ للكرماني (ص: ٢٩٨)، والثانية فيه وفي المحتسب (٢/ ٣٩)، والقرطبي (١١/ ٩٣).

(٨) انظر: نسبته له في: مجاز القرآن (٢/ ٤)، والأغاني (١٠/ ١٩٢)، والكامل للمبرد (٣/ ٨٥)، والصحاح للجوهري (١/ ٢٦٦).

وحكى الطبري في قصصها: أنها لمَّا حملت بعيسى حملتْ أيضاً أُختُها بيحيى، فجاءتها أُختها زائرة فقالت: يا مريم، أشعرت أني حملتُ؟ فقالت لها مريم: أشعرتِ أنتِ أني حملتُ؟ قالت لها: وأنِّي أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك، وذلك أنه رُوي أنها أحسَّت جنينها يخرُّ برأسه إلى ناحية بطن مريم، قال السُّدِّي: فذلك قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩][١].

وفي هذا كلِّه ضعف، فتأمله.

وكذلك ذكر الطبري في قصصها: أنها خرجت فارَّة مع رجل من بني إسرائيل يقال له يوسف النجار كان يخدم معها المسجد[٢]، وطوَّل في ذلك فاختصرته لضعفه، وهذه القصة تقتضي أنها حملت واستمرت حاملاً على عرف البشر، واستحيت من ذلك وفرَّت بسببه وهي حامل، وهو قول جمهور المتأولين.

وروي عن ابن عباس: أنه قال: ليس إلَّا أن حملت فوضعت في ساعة واحدة[٣]، والله أعلم.

وظاهر قوله: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ يقتضي أنها كانت على عرف النساء، وتظاهرت الروايات أنها ولدته لثمانية أشهر؛ ولذلك قيل[٤]: لا يعيش ابن ثمانية أشهر حفظاً لخاصية عيسى عليه السلام[٥]، وقيل: ولدته لسبعة أشهر، وقيل: لِسِتَّة أشهر[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣٧٣).

(٢) المصدر السابق (١٨/ ١٧٠).

(٣) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٧) عن الثوري، عن رجل، عمَّن سمع ابن عباس رضي الله عنه، وأخرجه الطبري (١٨/ ١٧٠) من طريق ابن جريج أخبرني المغيرة بن عثمان، عن ابن عباس رضي الله عنهما، والمغيرة بن عثمان بن عبد الثقفي أو التيمي روى عن ابن عباس، وروى عنه ابن جريج، وترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٣١٨)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/ ٢٢٦)، وابن حبان في الثقات (٥/ ٤٠٩) ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) هو قول ابن عباس كما في الهداية لمكي (٢/ ١٠١٥).

(٦) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٨٥)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٢٠)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٦٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرٍو، وعاصم، وابن عامر، وابن عباسٍ، والحسن، وزِرُّ ابن حبيش، ومجاهد، والجحدري، وجماعة: ﴿فناداها مَن تحتها﴾ على أن (مَنْ) فاعلٌ بـ(نادى).

والمراد بـ﴿مَنۡ﴾ عيسى، أي: ناداها المولود، قاله مجاهد، والحسن، وابن جُبَيْر[١]، وأُبيُّ بن كعب[٢]، وقال ابن عباس: المراد جبريل، ولم يتكلم حتَّى أتت به قومها[٣].

وقال علقمة والضحاك، وقتادة: ففي هذه آية لها وأمارة أن هذا من الأمور الخارقة للعادة التي لله فيها مرادٌ/ عظيم[٤]، لا سيَّما والمنادي عيسى، فإنه يتبين به عذر مريم، [٤/ ٦] ولا تبقى به استرابة، فلذلك كان النداءُ ألَّا يقع حُزْن.

وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، والبراءُ بن عازب، والضحاك، وعمرو بن ميمون، وأهل الكوفة، وأهل المدينة، وابن عباس أيضاً، والحسن: ﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾[٥] بكسر الميم على أنها لابتداء الغاية.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٧٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٤٦)، والنكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٦٤).

(٢) إسناده لين، أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٧٣) من طريق: أبي جعفر الرازي عيسى بن عبد الله بن ماهان، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية الرياحي عن أبي بن كعب بنحوه.

(٣) لا يثبت، أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٢-١٧٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومن طريق ابن حميد، عن يحيى بن واضح، عن عبد المؤمن بن خالد الحنفي، عن ابن عباس به، ابن حميد ليس بعمدة، وعبد المؤمن لا يروي عن الصحابة.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٧٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٢٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٤٦).

(٥) فهما سبعيتان، والمقصود بعاصم في الأولى شعبة، انظر: التيسير (ص: ١٤٨).

واختلفوا: فقال بعضهم: المراد عيسى، وقالت فرقة: المراد جبريل المحاور[١] لها قَبْلُ، قالوا: وكان في سعة[٢] من الأرض أخفض من البقعة التي كانت هي عليها، والأول أظهر وأبين[٣]، وعليه كان الحسن بن أبي الحسن يقسم[٤].

وقرأ علقمة، وزِرُّ بن حبيش: (فَخَاطَبَهَا من تحتها)[٥].

وقرأ ابن عباس: (فَنَادَاهَا مَلَكٌ مِنْ تَحْتِهَا)[٦].

وقوله: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ تفسير للنداء، فـ(أنْ) مفسِّرة بمعنى: أيْ، و«السَّرِيُّ من الرجال»: العظيمُ الخصال السَّيِّدُ، و«السَّرِيُّ» أيضاً: الجدولُ من الماء، وبحسب هذا اختلف الناس في هذه الآية:

فقال قتادة، وابن زيد: أراد: جعل تحتك عظيماً من الرجال له شأن[٧].

وقال الجمهور: أشار لها إلى الجدول الذي كان قرب جذع النخلة، ورُوي: أن الحسن فسَّر الآية فقال: أجل، لقد جعله الله سريّاً كريماً، فقال حميد بن عبد الرحمن الحميري[٨]: يا أبا سعيد، إنما نعني بالسَّـري الجدولَ، وقال الحسن[٩]: لهذه وأشباهِها أُحبُّ قربك، ولكن غلبنا عليك الأمراءُ[١٠].

---

(١) في المطبوع: «المجاور».

(٢) في المطبوع والإماراتية١و٢، ونور العثمانية: «بقعة».

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٧٤)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٦٤)، وتفسير السمعاني (٣/ ٢٨٦).

(٥) وهي شاذة، نسبها لعلقمة الطبري في تفسيره (١٨/ ١٧٣)، ولهما الزمخشري في الكشاف (٣/ ١٤).

(٦) وهي شاذة، انظرها في تفسير القرطبي (١١/ ٩٤).

(٧) انظر تفسير الطبري (١٨/ ١٧٧).

(٨) هو حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري روى عن أبي هريرة، وأبي بكرة، وابن عمر، وعنه: عبد الله ابن بريدة، وابن سيرين، وجماعة، تابعي ثقة، قال ابن سيرين: هو أفقه أهل البصرة، توفي سنة (٨١هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٣٣٨).

(٩) ليست في المطبوع، وفي أحمد٣: «أبا محمد»، بدل «أبا سعيد».

(١٠) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٧٦).

ومن الشاهد في السَّرِيِّ قول لبيد:

فتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِراً قُلَّامُهَا[١] [الكامل]

ثم أمرها بهزِّ الجذع اليابس لترى آية أُخرى في إحياء موات الجذع، وقالت فرقة: كانت النخلة مطعمة رطباً، وقال السدي: كان الجذع مقطوعاً، وأُجري النهر تحتها لحينه[٢].

والظاهر من الآية أن عيسى هو المكلِّمُ لها، وأن الجذع كان يابساً، وعلى هذا تكون آياتٍ تُسَلِّيها، وتسْكُن إليها.

والباءُ في قوله: ﴿بِجِذْعِ﴾ زائدة مؤكدة، قال أبو علي: كما يقال: أَلْقى بيده؛ أي: أَلْقى يَدَه[٣].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا المثال عندي نظر، وأنشد الطبري:

بِوَادٍ يَمَانٍ يُنْبِتُ السِّدْرَ صَدْرُهُ وَأَسْفَلُهُ بالْمَرْخِ والشَّبَهَانِ[٤] [الطويل]

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، والجمهور من الناس: ﴿تَسَّاقطْ﴾ بفتح التاء وشدِّ السين، يريد النخلَة.

وقرأ البراءُ بن عازب، والأعمش: ﴿يَسَّاقَطْ﴾ بالياء[٥] يريد الجذع.

وقرأ حمزة وحده: ﴿تَسَاقط﴾ بفتح التاء وتخفيف السين، وهي قراءة مسروق،

---

(١) البيت من معلقته، وانظر عزوه له في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٢٥)، ومجاز القرآن (٢/ ٥)، وجمهرة اللغة (٢/ ٧٤٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٧٨).

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٠٠).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ١٧٩) بلا نسبة، وهو للأحْول اليشكري، كما في الأغاني (٢٢/ ١٥١)، وانظر: الصحاح (٦/ ٨٦).

(٥) ليست في المطبوع.

ويحيى ابن وثاب، وطلحة بن مصرِّف، وأبي عمرٍو[١] بخلاف.

وقرأت فرقة: (يُسَاقِطْ) بالياء على ما تقدم من إرادة النَّخْلَةِ أو الجذع.

وقرأ عاصم في رواية حفص: ﴿تُسَٰقِطۡ﴾ بضم التاء وتخفيف السين[٢].

[وقرأت فرقة: (يساقط) بالياء][٣].

وقرأ أبو حيوة: (يُسْقِطْ) [بالياء، وروي عنه (يسقط) بضم الياء، وقرأ أيضاً (تسقط)][٤].

وحكى أبو علي في «الحجة» أنه قرئ: (يَتَسَاقَطْ) بياءٍ وتاءٍ[٥].

وروي عن مسروق: (تُسْقِطْ) بضم التاء وكسر القاف، وكذلك عن أبي حيوة، وقرأ أبو حيوة أيضاً: (يَسْقُطْ) بفتح الياء وضم القاف، (رُطَبٌ جنيٌّ) بالرفع[٦].

ونصب ﴿رُطَبًا﴾ يختلف بحسب معاني القراءات المذكورة، فمرة يستند الفعل إلى الجذع، ومرة إلى الهزّ، ومرة إلى النخلة.

و﴿جَنِيًّا﴾ معناه: قد طابَ وصلح للاجتناءِ، وهو من جنيتُ الثمرةَ.

وقرأ طلحة بن سليمان: (جِنِيّاً) بكسر الجيم[٧].

---

(١) في نور العثمانية: «ابن عمر».

(٢) القراءة الأولى والثالثة والخامسة سبعية، كما في التيسير (ص: ١٤٩)، والثانية أيضاً سبعية عن شعبة لكن من طرق النشر (٢/ ٣١٨) وهي قراءة يعقوب أيضاً، والرابعة في جزء قراءات النبي ﷺ لحفص بن عمر (ص: ١٢٦)، وعزاها في المحتسب (٢/ ٤٠) لمسروق، وهي شاذة.

(٣) ليس في المطبوع، ولعله تكرار مع ما سبق.

(٤) ليس في المطبوع، وفيه فقط: بضم الياء، وكلاهما شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٩٩).

(٥) وهي شاذة، انظر الحجة للفارسي (٥/ ٢٠٠).

(٦) «بالرفع» ليست في المطبوع، وكلها شاذة، انظر قراءة مسروق في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٩)، والباقي في البحر المحيط (٧/ ٢٥٥).

(٧) وهي شاذة، انظر: المحتسب لابن جني (٢/ ٤٠).

وقال عمرو بن ميمون: ليس شيءٌ خيراً للنُّـفَسَاءِ من التمر والرطب[١].

وقال محمد بن كعب: كان رُطَبَ عجوة[٢].

وقد استدل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق وإن كان محتوماً فإن الله تعالى قد وكل ابن آدم إلى سعيٍ مَا فيه؛ لأنه أمرت مريم بهَزِّ الجذع لترى آية، وكانت الآية تكون بألا تهزَّ هي[٣].

وحكى الطبريُّ عن ابن زيد أنه قال: قال لها عيسى: لا تَحْزَنِي، فقالت: وكيف لا أحزنُ وأنت معي، لا ذات زوج[٤]، [فَأَقول من زوج][٥]، ولا مملوكة، فأقول من سيدي، أيُّ شيءٍ عذري عند الناس؟ ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾، فقال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام[٦].

وقوله: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي﴾ الآية، قرأ الجمهور: ﴿وَقَرِّي﴾ بفتح القاف.

وحكى الطبري قراءةً: (وَقِرِّي) بكسر القاف[٧].

و«قُرَّة العين»: مأخوذة من القَرِّ، وذلك أنه يحكى أن دمع الفرح بارد المسِّ[٨]، ودمع الحزن سخن المس، وضعَّفت فرقة هذا وقالت: الدمع كله سخن، وإنما معنى قُرة العين أن البكاء الذي يسخن العين ارتفع، إذ[٩]: لا حُزْن بهذا الأمر الذي قرت به العين.

---

(١) انظر قوله في: تفسير الطبري (١٨/ ١٧٩).
(٢) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٨٧).
(٣) انظر نقل هذا القول في: تفسير ابن جزي (٣/ ٤) بلا نسبة.
(٤) في الإماراتية١: «بعل»، وليست «ذات» في نور العثمانية.
(٥) من المطبوع، وكذلك: «فأقول من سيد».
(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٧٥، ١٨٣).
(٧) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٨٢).
(٨) ليست في المطبوع في الموضعين.
(٩) في المطبوع: «أيْ».

وقال الشيباني: ﴿وَقَرِّي عَيۡنًا﴾ معناه: نامي[١]، حضَّها على الأكل والشرب والنوم، وقوله: ﴿عَيۡنًا﴾ نصب على التمييز، والفعل في الحقيقة إنما هو للعين، فينقل ذلك إلى ذي العين، وينصب الذي كان فاعلاً في الحقيقة على التفسير، ومثله: طبتُ نفْساً، وتفقَّأْتُ شحماً، وتصبَّبْتُ عرقاً، وهذا كثير.

وقرأ الجمهور: ﴿تَرَيِنَّ﴾، [وأَصْلُه: تَرْأَيِينَ][٢]، حذفت النون للجزم، ثم نقلت حركة الهمزة إلى الراء، ثم قلبت الياء الأولى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فاجتمع ساكنان، الألف [المنقلبة عن الياء][٣]، والياءُ، فحذفت الألف فجاء: تَـرَيْ، وعلى هذا النحو هو قول الأفوه:

[السريع] إمَّا تَـرَيْ رَأْسـي أَزْرَى بِـهِ[٤] البيـت....................

ثم دخلت النون الثقيلة، وكسرت الياءُ لاجتماع ساكنين منها ومن النون، وإنما دخلت النون هنا بتوطئة، كما توطئ لدخولها أيضاً لام القسم.

وقرأ أبو عمرو فيما رُوي عنه: (تَـرَئِنَّ) بالهمز، وقرأ طلحة، وأبو جعفر، وشيبة: (تَـرَيْنَ) بسكون الياء وفتح النون خفيفة، قال أبو الفتح: وهي شاذة[٥].

ومعنى هذه الآية: أن الله تعالى أمرها ـ على لسان جبريل أو ابنها، على الخلاف

---

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٣).

(٢) ليس في الأصل.

(٣) من المطبوع.

(٤) تمامه: مَأسُ زمانٍ ذِي انْتِكاسٍ مؤوس، وهو للأفوه الأَوْدي، صلاءَة بن عمرو، كما في رسالة الملائكة (١/ ٢٤٢)، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٩٧)، والدر المصون (١/ ٣١٧١)، وهو في العين (٧/ ٣٢٤) بلا نسبة، وأَزْرَى به إزراءً: قصَّرَ به وحقَّرَه.

(٥) وهما شاذتان، انظر: المحتسب (٢/ ٤١) قال في جامع البيان (٣/ ١٣٤٢): وليس ذلك إلا من جهة أجوبة أبي عمرو لسائله عن اختلاف اللغات، فنسب ذلك إلى قراءته واختياره، وقلَّ مَن ميّز منهم اختياره، من أخباره وفصل بينهما.

[٤/ ٧] المتقدم ـ بأن تمسك عن مخاطبة البشر، وتُحيل على ابنها / في ذلك، ليرتفع عنها خجلها وتبين الآية فيقوم عُذرها، وظاهر الآية أنها أُبيح لها أن تقول هذه الألفاظ[١] التي في الآية، وهو قول الجمهور، وقالت فرقة: معنى (قُولي) بالإشارة لا بالكلام، وإلَّا فكان التناقض بَيِّناً في أمرها.

وقرأ ابن عباس، وأنس بن مالك: (إِنِّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ وصُمْتُ)[٢].

وقال قومٌ: معناه: صوماً عن الكلام؛ إذْ أصل الصيام الإمساكُ، ومنه قول الشاعر:

خَيْلٌ صِيَامٌ وأخرى غيرُ صائمةٍ[٣] .... [البسيط]

وقال ابن زيد، والسدي: كانت سُنَّةُ الصيام عندهم الإمساكَ عن الأكل والكلام[٤].

وقرأت فرقة: (إني نذرت للرحمن صمتاً)[٥].

[ولا يجوز في شرعنا أن ينذر أحد صمتاً][٦]، ولقد أمر ابن مسعود مَن فعل ذلك بالنطق والكلام[٧]، وقال المفسرون: أُمرت مريم بهذا ليكفيها عيسى الاحتجاج.

---

(١) في المطبوع: «الكلمات».

(٢) شاذة، أو لعلها خطأ، والذي في مختصر الشواذ (ص: ٨٧)، والشواذ للكرماني (ص:٣٠٠): (نذَرتُ للرحمن صوماً وصوتاً).

(٣) تقدم في سورة البقرة الآية (١٨٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٨٣، ١٨٤)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٢٧).

(٥) شاذة، تابعه عليها في تفسير الثعالبي (٤/ ١٥)، وعزاها في البحر المحيط (٧/ ٢٥٦) لمصحف عبد الله، وانظر ما تقدم عن أنس.

(٦) ليس في أحمد٣، وانظر في ذلك: البيان والتحصيل (١٨/ ١٥٧)، والمغني لابن قدامة (٣/ ٧٦).

(٧) إسناده لا بأس به، أخرجه الطبري (١٨/ ١٨٣) من طريق مصعب بن المقدام، عن إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق السبيعي، عن حارثة بن مضرب العبدي، بنحوه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾.

رُوي: أن مريم عليها السلام لمَّا اطمأَنت بما رأت من الآية، وعلمت أن الله سيبيِّن عذرها، أتت به تحمله مدلَّةً[1] من المكان القَصِيِّ الذي انتبذت فيه[2]، وروي: أن قومها خرجوا في طلبها، فلقوها وهي مقبلة به.

و«الفَرِيُّ»: العظيم الشَّنيع، قاله مجاهد والسدي[3]، [وأكثر استعماله في السوء، وهو من الفِرْيَة، فإن جاء الفريُّ بمعنى المتقَن فمأخوذ من فَريتُ الأديم للإصلاح، وليس بالبين][4].

وأما قولهم في المثل: [جاء يَفري الْفَرِيَّ][5]، فمعناه: جاء بعمل عظيم، من العمل في قول أو فعل مما قصد ضرب المثل له، وهو مستعمل فيما يختلق ويفعل، والفَرِيُّ من الأسقية: الجديدُ.

وقرأ أبو حيوة: (شيئاً فرْياً) بسكون الراء[6].

واختلف المفسرون في معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾ فقالت فرقة: كان لها أخٌ اسمه هارُون؛ لأن هذا الاسم كان كثيراً في بني إسرائيل تبركاً باسم هارون أخي موسى، وروى المغيرة بن شعبة: أن رسول الله ﷺ أرسله إلى نجران في أمر من الأمور، فقال له

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ١٨٤)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٢٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٨٥)

(٤) جاءت الفقرة في المطبوع هكذا: «وافتراه: اختلقه، وفَرَاه يفْرِيه: شَقَّه وأَفْسَدَه، وأَفْراهُ: أصلحه، من قولهم: فريت الأديم: قطعته على جهة الإصلاح»، وفي الإماراتية١: «كان»، بدل «جاء».

(٥) في المطبوع: «فلان يفري»، قال الفراء في معاني القرآن (٢/ ١٦٦): والعربُ تَقُولُ: يَفْرِي الْفَرِيَّ إذا هُوَ أجادَ العمل أو السَّقْيَ.

(٦) وهي شاذة انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٠).

النصارى: إن صاحبك يزعم أن مريم هي أخت هارون، وبينهما في المدة ست مئة سنة، قال المغيرة: فلم أدرِ ما أقول، فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ ذكرتُ ذلك له، فقال: «ألم يعلموا أنهم كانوا يُسمُّون بأسماء الأنبياء والصالحين؟»[١]، فالمعنى أنه اسمٌ وافق اسماً.

وقال السدي وغيره: بل نسبوها إلى هارون أخي موسى؛ لأنها كانت من نسله[٢].

وهذا كما تقول لرجل من قبيلة: يا أخا فلانة، ومنه قول النبي ﷺ: «إن أخا صُدَاءٍ أذَّن، ومن أذَّن فهو يقيمُ»[٣].

وقال كعب الأحبار بحضرة عائشة أُم المؤمنين: لَيْسَت بأُخت هارون أخي موسى، فقالت عائشة: كذبت، فقال لها: يا أُمَّ المؤمنين، إن كان رسول الله ﷺ قاله فهو أصدق وخير[٤]، وإلَّا فإني أجد بينهما من المدة ست مئة سنة، قال: فسكتت[٥].

وقال قتادة: كان في ذلك الزَّمَن في بني إسرائيل رجلٌ عابد منقطع إلى الله يُسمى هارون، فنسبوها إلى أُخُوَّته من حيث كانت على طريقته، قيل: إذْ كانت موقوفة على خدمة البِيَع[٦]؛ أي: يا هذه المرأة الصالحة ما كنت أهلًا لما أتيت به.

وقالت فرقة: بل كان في ذلك الزَّمن رجل[٧] فاجر اسمه هارون، فنسبوها إليه على جهة التَّعْيير والتوبيخ، ذكره الطبري ولم يُسَمِّ قائله[٨]، والمعنى: ما كان أَبُوكِ ولا

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٣٥) بنحوه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٨٧).

(٣) ضعيف، أخرجه أبو داود (٥١٤)، والترمذي (١٩٩)، وابن ماجه (٧١٧) من طريق عبد الرحمن ابن زياد الإفريقي، عن زياد بن نعيم الحضرمي، عن زياد بن الحارث الصدائي، مرفوعاً، وإنما يعرف من حديث الإفريقي كما قال الترمذي، لكن ذكر أن عليه العمل، والإفريقي ضعيف.

(٤) في المطبوع: «وأخبر».

(٥) منقطع، أخرجه الطبري (١٨/ ١٨٦-١٨٧) من طريق ابن سيرين، قال: نبئت أن كعباً قال فذكره.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٨٦).

(٧) ليست في المطبوع.

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٨٧).

أُمُّك أهلاً لهذه الفعلة، فكيف جئت بها أنتِ؟ و«البَغِيُّ»: التي تبغي الزِّنا؛ أيْ: تطلبه، أصْلُها: بَغُوْيٌ: فَعُوْلٌ، وقد تقدم ذكر ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾.

الْتَزَمَت مريم عليها السلام ما أُمرت به من ترك الكلام، ولم يرد في هذه الآية أنها نطقت بـ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾، وإنما ورد أنها أشارت إليه، فيقوى بهذا قولُ من قال: إن أمْرها في ﴿فَقُولِي﴾ إنما أُريد به الإشارة.

ويُرْوى أنهم لَمَّا أشارت إلى الطفل قالوا: استخفافُها بنا أشدُّ علينا من زِناها، ثم قالوا لها على جهة التقرير: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾؟ [و﴿كَانَ﴾ هنا ليس يرادُ بها المضيُّ؛ لأن كل واحد قد كان في المهد صبيّاً][(١)]، وإنما هي في معنى: هو[(٢)].

ويحتمل أن تكون الناقصةَ، والأظهر أنها التَّامة، وقد قال أبو عبيدة: ﴿كَانَ﴾ هنا لغْوٌ، وقال الزَّجَّاج والفراءُ: ﴿مَن﴾ شرطية في قوله: ﴿مَن كَانَ﴾[(٣)].

قال القاضي أبو محمد: ونظير ﴿كَانَ﴾ هذه قولُ رؤبة:

[الرجز]

أَبَعْدَ أَنْ لاحَ لَهُ قَتِيرُ ... والرَّأْسُ قَدْ كَانَ لَهُ شَكِيرُ[(٤)]

---

(١) ليس في الأصل، وتم إثباته من النسخ.

(٢) زاد في المطبوع هنا: «الآن»، قال في الحاشية: لزيادة المعنى، ولم يذكر أنها نسخة فلذلك لم نثبتها.

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٢٨).

(٤) عزاه له في خزانة الأدب (٩/ ٢٠٥)، والْقَتِيرُ: الشيبُ، وقيل: هو أوَّل ما يظهر منه.

و﴿صَبِيًّا﴾ إمَّا خبر ﴿كَانَ﴾ على تجوُّز وتخيل في كونها ناقصة، وإمَّا حالٌ يعمل فيه[١] لاستقرار المقرر[٢] في الكلام، ورُوي: أن المَهْدَ يُرادُ به حِجْر أُمِّه، قال لهم عيسى من مرقده: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ الآية، ورُوي: أنه قام متَّكئاً على يساره، وأشار إليهم بِسَبَّابته اليمنى.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: هو الإنجيل[٣].

ويحتمل أن يريد التوراة والإنجيل، [ويكون الإيتاء فيهما مختلفاً][٤].

و﴿ءَاتَىٰنِيَ﴾ معناه: قضى بذلك، وأنفذه في سابق حكمه، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، وغير هذا.

وأمال الكسائي: ﴿آتانِي﴾، و﴿أَوْصانِي﴾، والباقون لا يُميلون، قال أبو علي: الإمالةُ في (آتَانِيَ) أحسن؛ لأن في (أَوْصَانِي) مستعلياً[٥].

و﴿مُبَارَكًا﴾ قال مجاهد: معناه: نفَّاعاً[٦]، وقال سفيان الثوري[٧]: معناه: معلم خَير[٨].

وقيل: آمِراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، قال رجلٌ لبعض العلماء: ما الذي أُعْلِنُ من علمي؟ / قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإنه دِين الله الذي بعث به أنبياءَه[٩]. [٤/ ٨]

---

(١) ليست في المطبوع، لكنه زاد هنا: «إذَا قُدِّرَت زائدةً أو تامَّةً»، قال في الحاشية: زيادة للتوضيح قالها أبو حيان في «البحر»، ولم يذكر أنها نسخة فلذلك لم نثبتها.
(٢) في المطبوع والإماراتية٢ ونور العثمانية: «المقدر».
(٣) في المطبوع: «التوراة».
(٤) ليس في المطبوع.
(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٠١)، والقراءة سبعية.
(٦) تفسير الطبري (١٨/ ١٩١).
(٧) من المطبوع.
(٨) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «معلم غيره».
(٩) انظره مع القول الذي قبله في تفسير الطبري (١٨/ ١٩١).

وأسند النقاشُ عن الضحاك أنه قال: ﴿مُبَارَكًا﴾ معناه: قضَّاءً للحوائج[١].

قال القاضي أبو محمد: وقوله: ﴿مُبَارَكًا﴾ يعُمُّ هذه الوجوه وغيرها.

و(الصَّلاةُ) و(الزَّكاةُ) قيل: هما المشروعتان في البَدَن والمال، وقيل: زكاة الرؤوس[٢] في الفِطْر، وقيل: الصلاةُ الدعاءُ، والزكاةُ التطهير من كل عيب ونقص[٣] ومعصية.

وقرأ: ﴿دُمْتُ﴾ بضم الدالِ عاصمٌ وجماعة، وقرأ: (دِمْتُ) بكسرها أهلُ المدينة، وابن كثير، وأبو عمرو، وجماعة[٤].

وقرأ الجمهور: ﴿وَبَرًّا﴾ بفتح الباء، وهو الكثير البِرِّ، ونصبه عطفاً على قوله: ﴿مُبَارَكًا﴾.

وقرأ أبو نهيك، وأبو مجلز، وجماعة: (وَبِرّاً) بكسر الباءِ[٥]، فقال بعضهم: نصبه على العطف على قوله: ﴿مُبَارَكًا﴾، كأنه قال: ذا بِرٍّ، فاتصف بالمصدر كَعْدلٍ ونحوه.

وقال بعضهم: نصبه بقوله: ﴿وَأَوْصَانِي﴾؛ أي: وأَوْصَاني بِرّاً بوالدتي، حذف الجار، يريد: وأوصاني بِبِرٍّ والدتي.

وحكى الزهراوي هذه القراءة: (وَبِرٍّ) بالخفض عطفاً على ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾[٦].

وقوله: ﴿بِوَٰلِدَتِي﴾ بيانٌ؛ لأنه لا والِد لَهُ، وبهذا القول برَّأَها قومها.

و«الجَبَّارُ»: المتعظم، وهي خلق مقرونة بالشقاء؛ لأنها مناقضة لجميع الناس،

---

(١) انظر قول الضحاك في: تفسير السمعاني (٣/ ٢٩٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦/ ١٧٧).

(٢) في المطبوع: «البدن»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.

(٣) في المطبوع: «وتقصير».

(٤) غريب!، الضم للسبعة وغيرهم، والكسر شاذ، للأعمش ويحيى والسلمي، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٠).

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما المحتسب (٢/ ٤١).

(٦) وهي شاذة، نسبها النحاس في إعراب القرآن (٣/ ١٦) لابن نهيك.

فلا يلقى صاحبها من أحد إلَّا مكروهاً، وكان عيسى عليه السلام في غاية التواضع، يأكل الشجر، ويلبس الشَّعْر، ويجلس على التراب، ويأوي حيث جنه الليل إذْ[١] لا مسْكَنَ له، قال قتادة: وكان يقول: سلُوني، فإني ليِّن القلب، صغير في نفسي[٢].

وقد تقدم ذكر تسليمه على نفسه وإدلاله في ذلك، وذَكَر المواطن التي خصَّها، لأنها أوقات حاجة الإنسان إلى رحمة الله.

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه في هذه الآية: ما أشدَّها على أهل القدر، أخبر عيسى بما قضي من أمره، وبما هو كائن إلى أن يموت[٣].

وفي قصص هذه الآية عن ابن زيد وغيره أنهم لما سمعوا كلام عيسى [وهو في المهد][٤] أذعنوا، وقالوا: إن هذا لأمرٌ عظيم[٥].

ورُوي: أن عيسى عليه السلام إنما تكلم في طفولته بهذه الآية ثم عاد إلى حالة الأطفال حتى نشأ على عادة البشر[٦].

وقالت فرقة: إن عيسى كان أُوتي ذلك الكتاب وهو في ذلك السن، وكان يصوم ويصلي، وهذا في غاية الضعف، مُصَرِّح بجهالة قائله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

---

(١) من المطبوع.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٩٢)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٣٣)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢١٥).
(٣) انظر قول مالك في: تفسير القرطبي (١١/ ١٠٣).
(٤) من المطبوع والحمزوية والإماراتية ١.
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٩٠)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٧٠).
(٦) الكشاف للزمخشري (٣/ ١٧)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢١٣).

المعنى: قلْ يا محمد لمعاصريك من اليهود والنصارى: ذلك الذي هذه قصته عيسى ابن مريم، وإنما قدَّرنا في الكلام (قُلْ يا محمد)؛ لأنه يجيءُ في الآية بعْدُ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾، وهذه مقالة بشر، وليس يقتضي ظاهر الآية قائلاً من البشر سوى محمد ﷺ، وقد يحتمل أن يكون قوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى﴾ إلى قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ إخباراً لمحمد اعتراضاً أثناء كلام عيسى، ويكون قوله: ﴿وأنَّ﴾ بفتح الألف عطفاً على قوله: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾.

وقال وهب بن منبه: عهد عيسى إليهم أنَّ الله ربِّي وربكم[١].

ومن كسر الألف عطف على قوله: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو ونافع، وحمزة، والكسائي، وعامة الناس: ﴿قولُ الحق﴾، [برفع القول على معنى: هذا قولُ الحق][٢]، وقرأ عاصم، وابن عامر، وابن أبي إسحاق: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ بنصب القول على المصدر[٣].

وقال أبو عبد الرحمن المقري: كان يجالسني ضرير ثقة، فقال: رأيت النبي ﷺ في النوم يقرأ: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ نصباً، قال أبو عبد الرحمن: وكنت أقرأ بالرفع فحسبُ[٤]، فصرتُ أقرأُ بهما جميعاً.

وقرأ عبد الله ابن مسعود: (قالُ اللَّهِ)، بمعنى: كلمةُ اللَّهِ، وقرأ عيسى: (قالُ الْحَقِّ)[٥].

وقرأ نافع والجمهور: ﴿يَمْتَرُونَ﴾ بالياء على الكناية عنهم، وقرأ نافع أيضاً وأبو عبد الرحمن، وداود بن أبي هند: (تَمْتَرُونَ) بالتاء على الخطاب لهم[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٩٧).

(٢) ليس في المطبوع وأحمد٣.

(٣) فهما سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ١٤٩)، وليس «أبو عمرو» في المطبوع.

(٤) في الأصل والإماراتية وأحمد٣: «فجنبت»، ولم أقف على هذه الرؤيا.

(٥) شاذتان، عزاهما في مختصر الشواذ (ص:٨٧) لابن مسعود، وزاد في الشواذ للكرماني (ص:٣٠٠) في الثانية طلحة والأعمش ويحيى.

(٦) شاذة، عزاها لهم إلا نافعاً في الشواذ للكرماني (ص:٣٠٠)، ونقلها في البحر المحيط (٧/ ٢٦١) =

والمعنى: تختلفون أيها اليهود والنصارى، فيقول بعضهم: هو لِـزِنْيَة، ونحوَ هذا، [وهو اليهود][(١)]، ويقول بعضهم: هو ابن[(٢)] الله تعالى، فهذا هو امتراؤُهم، وسيأتي شرح ذلك من بعد هذا.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ﴾ معناه النفي، وهذا هو معنى هذه الألفاظ حيث وقعت، ثم يضاف إلى ذلك بحسب حال المذكور فيها، إمَّا نهي وزجرٌ كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وإمَّا تعجيزٌ كقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠]، وإمَّا تنزيه[(٣)] كهذه الآية.

وقوله[(٤)]: ﴿مِن وَلَدٍ﴾ دخلت ﴿مِن﴾ مؤكدةً للجَحْد، لنفي الواحد فما فوقه مما يحتمله نظيرُ هذه العبارة إذا لم تدخل (مِنْ).

وقوله: ﴿قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾؛ أيْ: واحداً من الأُمور، وليس بمصدر أَمَرَ يأْمُرُ، فمعنى (قَضَى): أوجد، وأخرج عن العدم، وهذه التصاريف في هذه الأفعال من مُضِيٍّ واستقبال هي بحسب تجوُّز العرب واتِّساعها، وقد تقدم القول في ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع: ﴿وأَنَّ الله﴾ بفتح الألف، وذلك عطف على قوله: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾، و﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَبِّى﴾ كذلك، وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿وَإِنَّ﴾ بكسر الألف[(٥)]، وذلك بَيِّنٌ على الاستئناف.

وقرأ أُبَيُّ بن كعب: (إنَّ) بكسر الألف دون واو[(٦)].

= عن نافع في رواية والكسائي، وفي جامع البيان (٣/ ١٣٤٣)، عن رواية الترمذي عن ابن ذكوان والجعفي عن شعبة.

(١) ليس في المطبوع، وفي الإماراتية٢و١: «هم اليهود».

(٢) في المطبوع: «هو ابن الله»، والمثبت من سائر النسخ الخطية.

(٣) في المطبوع والحمزوية: «تبرئة».

(٤) من المطبوع.

(٥) انظر: التيسير (ص: ١٤٩).

(٦) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ١٦٨).

وقوله: ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ وقف، ثم ابتدأ: ﴿هَذَا صِرَاطٌ﴾؛ أي: ما أعلمتكم به عن الله تعالى من وحدانية، ونَفْي الولد عنه، وغير ذلك مما يتنـزه عنه، طريقٌ واضح مُفْضٍ إلى النجاة ورحمته تعالى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٨) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)﴾ / [٤/ ٩]

هذا ابتداءُ خبر من الله تعالى لمحمد ﷺ بأن بني إسرائيل اختلفوا أحزاباً؛ أي: فِرَقاً، وقوله: ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ معناه أن الاختلاف لم يخرج عنهم، بل كانوا المختلفين، وروي في هذا عن قتادة: أن بني إسرائيل جمعوا من أنفسهم أربعة أحبار غاية في المكانة والجلالة عندهم، وطلبوهم بأن يُبيِّنُوا أمر عيسى.

فقال أحدهم: عيسى هو الله نزل إلى الأرض، فأحيا من أحْيا، وأمات من أمات، ثم صعِدَ، فقال له الثلاثة: كذَبْتَ، واتَّبعه اليعقوبية.

ثم قيل للثلاثة، فقال أحدهم: عيسى هو ابن الله، فقال له الاثنان: كذبْتَ، واتَّبعه النسطورية.

ثم قيل للاثنين، فقال أحدهما: عيسى أحد ثلاثة: الله إله، ومريم إله، وعيسى إله، فقال له الرابع: كَذَبْتَ، واتَّبعه الإسرائيلية.

فقيل للرابع، فقال: [عيسى عبد الله، وكلمته ألقاها إلى مريم](١)، فاتَّبع كلَّ واحد من الأربعة فريقٌ من بني إسرائيل، ثم اقتتلوا فغُلب المؤمنون وقُتلوا، وظهرت اليعقوبية على الجميع(٢).

---

(١) في أحمد٣ بدله: «مقالة الإسلام»، وفي المطبوع: «روح الله»، بدل «عبد الله».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٩٧، ١٩٨)، وتفسير ابن أبي زمنين (٤/ ١٩١).

وروي أن في ذلك نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١][(١)].

و«الْوَيْلُ»: الحُزْن[(٢)] والثُّبور، وقيل: الْوَيْلُ وادٍ في جهنم، ومَشْهَد اليوم العظيم هو مشهد يوم القيامة، ويحتمل أن يريد بمَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ: يوم قتل المؤمنين حين اختلف الأحزاب، وقد أشار إلى هذا المعنى قتادة[(٣)].

وقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾؛ أي: ما أسمَعَهم وأبصَرهم يومَ يرجعون إلينا ويرون ما نصنع بهم من العذاب، فإنَّ إعراضهم حينئذ يزول، ويُقبِلون على الحقيقة حين لا ينفعهم الإقبال عَلَيْها، وهم في الدنيا صمٌّ عُمْيٌ؛ إذ لا ينفعهم النظر مع إعراضهم، ثم قال: لكنهم اليوم في الدنيا فِي ضَلالٍ، وهو جهل المسلك، و«الْمُبِينُ»: البَيِّن في نفسه وإنْ لم يَتَبَيَّن لهم.

وحكى الطبريُّ عن أبي العالية أنه قال: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ بمعنى الأمر لمحمد ﷺ؛ أي: أَسْمع الناسَ اليوم وأبصرهم بهم وبحديثهم، ماذا يصنع بهم من العذاب إذا أَتَوْا محشورين مغلولين[(٤)].

[وقوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ الآية، الخطاب أيضاً في هذه الآية لمحمد ﷺ، والضمير في أَنْذِرْهُمْ لجميع الناس][(٥)].

واختلف في ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ فقال الجمهور: هو يوم ذبح الموت، وفي هذا حديث صحيح[(٦)] وقع في «البخاري» وغيره: أن الموت يجاءُ به في صورة كبش أملح، [وفي

---

(١) ذكره قتادة كما عند الطبري (١٨/ ١٩٨).

(٢) في أحمد٣: «الحرب».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٩٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٣١)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٤١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٩٩).

(٥) ليس في المطبوع.

(٦) في نور العثمانية: «حسن صحيح».

بعض الطرق: كأنه كبش أملح][1] ـ وقال عبيد بن عمير: كأنه دابَّة ـ فيذبح على الصراط بين الجنة والنار، وينادى: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت[2].

ويروى: أن أهل النار يشرئبُّون [إليه رجاء أن يُخرجوا مما هم فيه، وأن أهل الجنة يشرئبُّون][3] خوفاً على ما هم فيه[4].

و«الأمر المقضي»: هو ذبح الكبش الذي هو مثال الموت، وهذا عند حذاق العلماء كما يقال: تدفن الغوائل، ويجعل التراب تحت القدم، ونحو ذلك، وعند ذلك تصيب أهل النار حسرةٌ لا حسرة مثلها.

وقال ابن زيد وغيره: يومُ الحسرة هو يوم القيامة[5]، وذلك أن أهل النار قد حصلوا من أول أمرهم في سخط الله وأمارته، فهم في حال حسرة.

والأمر المقضي على هذا: هو الحتم عليهم بالعذاب، وظهور إنفاذ ذلك عليهم.

وقال ابن مسعود: يومُ الحسرة حين يرى الكفار مقاعدهم التي فاتتهم من الجنة لو كانوا مؤمنين[6].

ويحتمل أن يكون يومُ الحسرة اسم جنس؛ لأن هذه حسرات كثيرة في مواطن عِدَّة، ومنها يوم الموت[7]، ومنها وقت أخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك.

وقوله: ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ﴾ يريد: في الدنيا الآن وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ كذلك.

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٠١).

(٦) إسناده لين، أخرجه الطبري (١٨/ ٢٠٠) من طريق سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، بنحوه.

(٧) في المطبوع: «القيامة».

وقوله: ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾ تجوُّزٌ وعبارةٌ عن فناء المخلوقات وبقاء الخالق، فكأنها وراثة.

وقرأ عاصم، ونافع، وأبو عمرو، والحسن، والأعمش: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالياء[١].

وقرأ الأعرج: (تُرْجَعُونَ) بالتاء من فوق[٢].

وقرأ أبو عبد الرحمن، وابن أبي إسحاق، وعيسى: ﴿يَرْجِعُونَ﴾ بالياء مفتوحة وكسر الجيم[٣].

وحكى عنهم أبو عمرو: (تَرْجِعُونَ) بالتاء[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾.

قوله: ﴿وَٱذْكُرْ﴾ بمعنى: واتْلُ وشهر[٥]؛ لأن الله تعالى هو الذاكر، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو القرآن، وهذا وشبهه من لسان الصدق الذي ألقاه الله عليهم.

و«الصِّدِّيق»: فِعِّيل، بناءُ مبالغة من الصدق.

وقرأ أبو البَـرَهْسَمِ: (إنه كان صادقاً)[٦].

---

(١) هذه قراءة السبعة كلهم، وهي متواترة.

(٢) في الحمزوية: «الأعمش»، وهي شاذة، عزاها للأعرج الكرماني في الشواذ (ص:٣٠١).

(٣) تابعه في البحر المحيط (٧/ ٢٦٤)، وهي عشرية ليعقوب على قاعدته، كما في النشر (٢/ ٢٠٨)، وزاد في أحمد٣: «وفتح الياء».

(٤) وهي شاذة، انظر نقل الداني في البحر المحيط (٧/ ٢٦٤)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص:٣٠١) للسلمي وطلحة.

(٥) في المطبوع: «وَبَلِّغْ».

(٦) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٢٦٨).

والصِّدْق عُرفه في اللسان، وهو مُطَّردٌ في الأفعال والخُلُق، أَلَا ترى[١] أنَّه يُسْتعار لما لا يعقل، يقال: صدقني الطعام كذا وكذا قفيزاً، ويقال: عُودٌ صدْقٌ: للصلْب الجيِّد.

فكان إبراهيم عليه السلام يوصف بالصِّدْق على العموم في أفعاله وأقواله، وذلك يغترق[٢] صدق اللسان الذي يضاد الكذب، وأبو بكر رضي الله عنه وُصف بصدِّيق لكثرة ما صَدَقَ في تصديقه بالحقائق، وصدق في مبادرته إلى الإيمان وما يُقَرِّب من الله تعالى.

وللصِّدِّيق مراتب، ألا ترى أن المؤمنين صِدِّيقون لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩].

وقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ اختلف النحاة في التاء من (أَبَتِ): فمذهب سيبويه إلى أنها عِوَض من ياء الإضافة، فالوقوف عليها عنده بالهاء، ومذهبُ الفراء أن يوقف عليها بالتاء؛ لأن الياء التي للإضافة عنده منويَّة[٣].

وجمهور القراء على كسر التاء، وفي مصحف ابن مسعود: (وَا أَبَتِ)[٤] بواو للنداء.

[٤/ ١٠] وقرأ ابن عامر، والأعرج، وأبو جعفر: / ﴿يا أبتَ﴾ بفتح التاء[٥]، ووجهها أنه أراد: (يَا أَبتا) فحذف الألف، وترك الفتحة دالَّةً عليها، ووَجْه آخر أن تكون التاءُ المقحمة كالتي في قولهم: يا طلحَةَ أقبل[٦]، وفي هذا نظر، وقد لَحَّنَ هارون هذه القراءة[٧].

والذي لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ هو الصنم، ولو سمع وأبصر كما هي حال الملائكة

---

(١) في المطبوع: «إلا أنه».

(٢) في المطبوع: «وبذلك يفترق».

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٢)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٢١١)، وفي المطبوع: «منونه».

(٤) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٢٦٨).

(٥) وهي سبعية، انظر عزوها لهما في التيسير (ص: ١٢٧)، والنشر (٢/ ٢٩٣).

(٦) من المطبوع والإماراتية ١.

(٧) انظر: البحر المحيط (٧/ ٢٦٨).

وغيرهم مِمَّن عُبِد لم يحسن عبادتها، لكن بيَّن إبراهيم عليه السلام بِنَفْي السمع والبصر شُنْعَةَ الرأي في عبادتها وفَسَادَه.

وقوله: ﴿قَدْ جَآءَنِي﴾ يدلُّ على أن هذه المقالة بعد أن نُبِّئَ، و«الصِّرَاطُ السَّوِيُّ» معناه: الطريق المستقيم، وهو طريق الإيمان.

وقوله: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾ مخاطبة بِرٍّ واستعطاف على حالة كفره، وقوله: ﴿لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾ يحتمل أن يكون أبوه مِمَّن عَبد الجِن، ويحتمل أن يجعل طاعة الشيطان المُغْوِي[١] في عبادة الأوثان والكفر بالله عبادَةً له.

«العَصِيُّ»: فَعِيْلٌ من عَصَى يعصي: إذا خالف الأمر.

وقوله: ﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ﴾، قال الطبري وغيره: أَخَافُ بمعنى: أعلم[٢].

قال القاضي أبو محمد: والظاهر عندي أنه خوفٌ[٣] على بابه؛ وذلك أن إبراهيم عليه السلام لم يكن في وقت هذه المقالة آيساً من إيمان أبيه، فكان يرجو ذلك، وكان يخاف أَلَّا يؤمن ويتمادى على كفره إلى الموت فيمسُّه العذاب.

و«الوَليُّ»: الخالِص المصاحب القريب بنسب أو مَوَدَّة.

قال آزر ـ وهو تارح[٤] ـ: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى﴾، و«الرغبة»: مَيْلُ النفس، فقد تكون الرغبة في الشيء، وقد تكون عنه.

وقوله: ﴿أَرَاغِبٌ﴾ رفع بالابتداء، و﴿أَنتَ﴾ فاعل به[٥] يسد مَسَدَّ الخبر، وحسَّن ذلك وقرَّبه اعتمادُ (رَاغِبٌ) على ألف الاستفهام، ويجوز أن يكون (رَاغِبٌ)

---

(١) كتبت في الأصل: «المعنوي»، وفي أحمد٣: «المغري».

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٢٠٤).

(٣) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «أنه حرف».

(٤) في الحمزوية وأحمد٣: «تارخ».

(٥) ليست في المطبوع.

خبراً مقدماً، و﴿أَنتَ﴾ ابتداءً، والأول أصوب، وهو مذهب سيبويه.

وقوله: ﴿عَنْ ءَالِهَتِي﴾ يريد الأصنام، وكان ـ فيما روي ـ ينحتها وينجزها بيده ويبيعها ويحضُّ عليها، فقَرَّر ابنه إبراهيم على رغبته عنها على جهة الإنكار عليه، ثم أخذ يتوعَّده.

وقوله: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ اختلف فيه المتأولون: فقال السدي، وابن جريج، والضحاك: معناه: بالقول؛ أي: لأشتمنك، وَاهْجُرْنِي أنت إذا شئت مدة من الدهر، أو سالِماً، حسب الخلاف الذي سنذكره، وقال الحسن بن أبي الحسن: معناه: لَأَرْجُمَنَّكَ بالحجارة، وقالت فرقة: معناه: لأقتلنَّك، وهذان القولان بمعنىً واحد[1].

وقوله: ﴿وَٱهْجُرْنِي﴾ على هذا التأويل إنما يترتب بأنه أمر على حياله[2]، كأنه قال: إن لم تنتهِ لأقتلنك بالرجم، ثم قال له: وَاهْجُرْنِي؛ أي: مع انتهائك، كأنه جزم الأمر بالهجرة، وإلَّا فمع الرجم لا تترتب الهجرة.

و﴿مَلِيًّا﴾: معناه: دهراً طويلاً، مأخوذ من الملوَيْن، وهما الليل والنهار، هذا هو قول الجمهور: الحسن، ومجاهد، وغيرهما، فهو ظرفٌ[3].

وقال ابن عباس وغيره: ﴿مَلِيًّا﴾ معناه: سليماً منا سوِيّاً[4]، فهو حالٌ من إِبْرَاهِيم عليه السلام.

وتلخيص هذا أن يكون بمعنى قوله: مُسْتَبِدّاً بحالك عنِّي غنيّاً، مَلِيّاً بالاكتفاء.

---

(١) انظر قول السدي ومن معه في تفسير الطبري (١٨/ ٢٠٥)، ومع قول الحسن في تفسير الماوردي (٣/ ٣٧٤).

(٢) في المطبوع: «حياته».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٠٥، ٢٠٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٤٧)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٧٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة، وعطية العوفي ـ مفرقين ـ، عن ابن عباس، بنحوه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠﴾.

قرأ أبو البرهسم: (سَلَاماً عليك) بالنصب[١].

واختلف أهل العلم في معنى تسليمه عليه: فقال بعضهم: هي تحية مُفارق، وجوَّزوا تحية الكافر، وأن يُبدأ بها[٢]، وقال الجمهور: ذلك التسليم بمعنى المُسَالمة، لا بمعنى التحية.

وقال الطبري: معناه: أَمَنَةً منِّي لك[٣]، وهذا قول الجمهور، وهم لا يرون ابتداء الكافر بالسلام[٤].

وقال النقاش: حليمٌ خاطَبَ سفيهاً، كما قال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣][٥].

ورفع (السلام) بالابتداء، وجاز ذلك مع كونه نكرة؛ لأنها نكرة مُخَصَّصة، فقربت من المعرفة، ولأنه في موضع المنصوب الذي هو: سلَّمتُ سلاماً، وهذا كما يجوز ذلك فيما هو في معنى الفاعل، كقولهم: شرٌّ ما أَهَرَّ ذا ناب، وهذا مثال سيبويه[٦].

وقوله تعالى: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ﴾ معناه: سأدعو الله في أن يهديك، فيغفر لك بإيمانك.

وهذا أظهر من أن يُتأوَّل على إبراهيم الخليل ﷺ أنه لم يعلم أن الله لا يغفر لكافر،

---

(١) شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٢٧١).

(٢) أجاز بدء الكافر بالسلام عمر بن عبد العزيز وسفيان بن عيينة، كما في فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٠٧).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ٣٠٣)، وروضة الطالبين (١٠/ ٢٣٠-٢٣١)، والمغني (٨/ ٥٣٦).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١١١).

(٦) الكتاب لسيبويه (١/ ٣٢٩).

وقد يجوز أن يكون إبراهيم عليه السلام أولَ نبي أوحى الله إليه: أنَّ الله لا يغفر لكافر؛ لأن هذه العقيدة إنما طريقها السمع، فكانت هذه المقالة منه لأبيه قبل أن يوحى إليه ذلك، وإبراهيم عليه السلام إنما تبيَّن له في أبيه أنه عدوٌّ لله بأحد وجهين: إمَّا بموته على الكفر كما رُوي، وإمَّا بأن أوحى الله إليه الحتم عليه.

وقال مكيٌّ عن السدي: أخَّره بالاستغفار إلى السَّحَر[1]، وهذا تعَسُّفٌ، وإنما ذكر ذلك في أمر يعقوب وبنيه، وأما هذا فوعد باستغفار كثير مؤتنف، فالسين متمكنة.

و«الحَفِيُّ»: المهتبل[2] المتلطف، وهذا شكر من إبراهيم لنعم الله تعالى عليه.

ثم أخبره أنه يعتزلهم؛ أي: يصير عنهم بمَعزِل، ويروى: أنهم كانوا بأرض كوثا، فرحل إبراهيم عليه السلام حتى نزل الشام، وفي سفرته تلك لقي الجبار الذي أخدم هاجر لسارة... الحديث بطوله[3].

و﴿تَدْعُونَ﴾: تعبدون، وقوله: ﴿عَسَىٰٓ﴾ تَرَجٍّ، وفي ضمنه خوف شديد.

وقوله: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ﴾ إلى آخر الآية إخبارٌ من الله تعالى لنبِيِّه محمد ﷺ أنه لما رحل عن بلد أبيه وبلد قومه عوَّضه الله من ذلك ابنه إِسْحاقَ، وابن ابنه يَعْقُوبَ، وجعل له الولد تسلية وشدّاً لعضده، وإِسْحاق أصغر من إسماعيل؛ ولمَّا حملت هاجر بإسماعيل غارت سارة فحملت بإِسْحاقَ فيما رُوي[4].

---

(١) انظر: الهداية لمكي (٧/ ٤٥٤٩).

(٢) في الأصل: «المبتهل»، وفي حاشية المطبوع: لعلَّ الصواب: المحْتَفِلُ من الاحتفال بمعنى الاهتمام بالشيء.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي المطبوع: «هجرته»، بدل «سفرته».

(٤) ذكره الفاكهي في أخبار مكة (٥/ ١٢٠) عن علي رضي الله عنه قال: إن ابراهيم استوهب هاجر من سارة فوهبتها له، وشرطت عليه أن لا يسرها، فالتزم ذلك، ثم غارت منها فكان ذلك السبب في تحويلها مع ابنها إلى مكة.

وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ يريد العلم والمنزلة والشرف في الدنيا والنعيم في الآخرة، كل ذلك من رحمة الله.

و«لِسَانُ الصِّدْقِ»: هو الثناءُ الباقي عليهم آخرَ الأبدِ، قاله ابن عباس[1]، واللسان في كلام العرب: / المقالة[2] الذائعة كانت في خيرٍ أو شَرٍّ، ومنه قول الشاعر: [٤/ ١١]

[البسيط]
إنِّي أَتَـتْـنِي لِسَـانٌ لا أُسَـرُّ بِـهَـا ... مِنْ عَلْوَ لا كَذِبٌ فيها وَلَا سَخَرُ[3]

وقال آخر:

[الوافر]
نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنِّي[4] ... .

وإبراهيم عليه السلام وذريته[5] مُعَظَّم في جميع الأُمم والملل، صلى الله عليهم أجمعين.

قوله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٠٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في المطبوع والإماراتية٢ والحمزوية وأحمد٣: «القالة»، وهما بمعنًى.

(٣) البيت لأعشى باهلة كما في الكامل للمبرد (٤/ ٥٥)، والمحكم (٢/ ٣٥١)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٨٦)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ١١٧)، وإصلاح المنطق (١/ ٢٦)، والصحاح للجوهري (٢/ ٢٤٢)، وسمط اللآلي (١/ ٢٢) قال: واسم الأعشى هذا عمرو بن الحارث، ويكنى أبا قحافة. وقال قطرب: إنه للدعجاء بنت وهب، وإنها هي التي ترثي أخاها المنتشر، وفي أحمد٣: «لا غلو».

(٤) تتمته: (فَلَيْتَ بِأَنَّهُ في جَوْفِ عِكْمِ)، وهو للحطيئة كما في المحكم (١/ ٢٨٨)، وخزانة الأدب للبغدادي (٤/ ١٤٢).

(٥) غير واضحة في أحمد٣ والحمزوية، وفي نور العثمانية: «بنوه»، وفي الإماراتية١و٢: «بيته»، وفي المطبوع: «والممالك»، بدل «الملل».

هذا أمرٌ من الله عز وجل بذكر موسى بن عمران عليه السلام على جهة التشريف له، وأعلمه بأنه كان مُخْلَصاً.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر وعاصم: ﴿مُخْلِصاً﴾ بكسر اللام، وهي قراءة الجمهور، أي: أخلص نفسه لله، وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم: ﴿مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام، وهي قراءة أبي رزين، ويحيى، وقتادة[1]؛ أي: أخلصه الله للنبُوَّة والعبادة[2]، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ [ص: ٤٦].

والرسول من الأنبياء: الذي يكلف تبليغ أمة، وقد يكون نبيٌّ غيرَ رسول.

وقوله: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ هو تكليم الله تعالى، و﴿ٱلطُّورِ﴾: الجبل المشهور بالشام.

وقوله: ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ صفة للجانب، وكانت على يمين موسى بحسب[3] وقوفه، وإلَّا فالجبل نفسه لا يمنة له ولا يسرة، ولا يوصف بشيءٍ من ذلك إلَّا بالإضافة إلى ذي يمين ويسار.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ مأْخوذاً من اليُمْن، كأنه قال: الأَبْرك والأَسْعد، فيصح على هذا أن يكون صفة للجانب وللجبل بجملته.

وقوله: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [قال الجمهور]:[4] هو تقريب التشريف بالكلام والنبوة.

وقال ابن عباس: بل أُدني موسى للملكوت، ورفعت له الحجب حتى سمع

---

(١) انظر: التيسير (ص: ١٤٩)، إلا أن ذكر عاصم في الأولى ليس من طرقه، وإنما هي رواية المفضل عنه والكسائي عن شعبة كما في السبعة (ص: ٤١٠)، ونسبها في جامع البيان (٣/ ١٣٤٣) للجعفي والعجلي عن يحيى عن شعبة، وأبي عمارة عن حفص، وسقط «ابن عامر» من الإماراتية١، و«نافع» من نور العثمانية.

(٢) في المطبوع: «والقيادة».

(٣) في المطبوع: «عند»، وفي الحمزوية وأحمد٣ ونور العثمانية والإماراتية١: «بحسب».

(٤) ليست في المطبوع.

صريف الأقلام[١]، وقاله ميسرة[٢]، وقال سعيد: أردفه جبريل[٣].

و «النَّجِيُّ»: فَعِيْلٌ[٤]، من المناجاة، وهي المسارَّة بالقول، وقال قتادة: ﴿نَجِيًّا﴾ معناه: نجا بصدقه[٥].

وهذا مختلٌّ[٦]، وإنما النَّجِيُّ: المنفردُ بالمناجاة[٧].

وكان هارون عليه السلام أسنَّ من موسى، فطلب من الله أن يشُدَّ أَزْره بنُبوَّته ومعونته، فأجابه الله تعالى إلى ذلك، وعدَّها في نعمه عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَ﴾ هو أيضاً من لسان الصدق والشرف المضمون بقاؤه على آل إبراهيم عليه السلام، وإسماعيل هو أَبُو العرب اليوم، وذلك أن اليمنية والمضرية ترجع إلى ولد إسماعيل عليه السلام، وهو الذي أسكنه أبوه بوادٍ غير ذي زرع، وهو الذبيح في قول الجمهور، وقالت فرقة: الذبيح إسحاق.

قال القاضي أبو محمد: والأوَّلُ يترجح بجهات:

منها قول الله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾، فَوَلَدٌ قد بُشِّر أبواه أنه سيكون منه وَلَدٌ هو حفيد لهم كيف يؤمر بعد ذلك بذبحه، وهذه العِدَةُ قد تقدمت.

---

(١) إسناده جيد، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٥٠٦) ط عوامة، والطبري (١٨/ ٢١٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٣) وغيرهم من طريق سفيان الثوري، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء بن السائب صدوق اختلط؛ ولكن رواية الثوري عنه قبل الاختلاط.

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٢١١).

(٣) انظر: البحر المحيط (٧/ ٢٧٥)، وفي الدر المنثور (٥/ ٥١٥): أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، ونقل في تفسير الطبري (١٨/ ٢١١) مثله عن شعبة.

(٤) في المطبوع: «قيل»، وهو تحريف.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢١١).

(٦) في نور العثمانية والإماراتية١و٢: «محتمل».

(٧) في الإماراتية١: «بالمملكة».

وجِهة أخرى: هي أن أمر الذبح لا خلاف بين العلماء أنه كان بمنى عند مكة، وما رُوي قطُّ أنَّ إسحاق دخل تلك البلاد، وإسماعيل بها نشأ، وكان أبوه يزوره بها مراراً كثيرة يأتي من الشام ويرجع من يومه على البراق، وهو مركب الأنبياء.

وجهة أخرى: وهي قول النبي ﷺ: «أنا ابن الذبيحين»[١]، وهما[٢] أبوه عبد الله [بن عبد المطلب][٣]؛ لأنه فُدي بالإبل من الذبح، والذبيح الثاني هو أبوه إسماعيل.

وجهة أخرى وهي الآيات في سورة الصَّافَّات، وذلك أنه لما فرغ من ذكْر الذبح وحاله قال: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ ﴾ [الصافات: ١١٢]، فترتيب تلك الآيات يكاد ينص على أن الذبيح غير إسحاق.

ووصف الله تعالى إسماعيل بصدق الوعد؛ لأنه كان مبالغاً في ذلك، رُوي أنه وعد رجلاً أن يلقاه في موضع، فجاء إسماعيل وانتظر الرجلَ يومَه وليلته، فلما كان في اليوم الآخر جاءَ الرجل، فقال له: ما زلتُ هنا في انتظارك منذ أمس[٤]، وفي «كتاب ابن سلام»: أنه انتظره سنة[٥]، وهذا بعيد غير صحيح، والأول أصح، وقد فعل مثله نبينا محمد ﷺ قبل بعثه، ذكره النقاش، وخرجه الترمذي، وغيره[٦]، وذلك في مبايعة وتجارة.

---

(١) لا أصل له، انظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي، والسلسلة الضعيفة (١٦٧٧).

(٢) في الأصل والحمزوية والإماراتية١و٢ونور العثمانية: «وهو»، والتصحيح من النسخ الأخرى.

(٣) من المطبوع، وانظر قصة فدائه في سيرة ابن هشام (١/ ١٥٤).

(٤) قاله سهل بن عقيل، انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢١١).

(٥) وقد روي ذلك عن ابن عباس كما في تفسير الماوردي (٣/ ٣٧٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٥).

(٦) ضعيف، أخرجه أبو داود (٤٩٩٨)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (١٩٥) من طريق إبراهيم ابن طهمان، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت رسول الله ﷺ قبل أن يبعث، فبقيت له علي بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك. قال: فنسيت يومي والغد فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه ذلك، فقال لي: «يافتى لقد شققت علي أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك»، وعبد الكريم هو العقيلي مجهول، وانظر: التقريب (٤١٥٢)، ولم يخرجه الترمذي كما في تحفة الأشراف (٥٢٤٥).

وقيل: وصفه بصدق الوعد لوفائه بنفسه في أمر الذبح؛ إذ قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وقال سفيان بن عيينة: أَسْوَأُ الكذب إخلاف الميعاد، ورمْيُ الأبرياء بالتُّهم[١]، وقد قال رسول الله ﷺ: «العِدَةُ دَيْنٌ»[٢]، فناهيك بفضيلة الصدق في هذا.

قوله تعالى: ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾ يريد قومَه وأُمَّته، قاله الحسن[٣].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وكان يأمرُ قومَه)[٤].

وقوله: ﴿مَرْضِيًّا﴾ أصله: مرْضُوي، لقيت الواو وهي ساكنةٌ الياءَ فأُبدلت ياءً، وأُدغمت، ثم كسرت الضاد، للتناسب في الحركات.

وقرأ ابن أبي عبلة: (وكان عند ربه مَرضُوّاً)[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾.

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٩٨).

(٢) فيه من لا يعرف، أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٥١٣) من طريق سعيد بن مالك بن عيسى الأبلي، عن عبد الله بن محمد بن الأشعث الحداني، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «العدة دين»، ورواه الطبراني أيضاً (٣٥١٤) بنفس الطريق، عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، به. لكن شيخ الطبراني فيه ضعيف.
وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلا عبد الله بن محمد الحداني، ولا رواه عنه إلا سعيد ابن مالك، ولا يروى عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد. اهـ، ولم أقف على ترجمة سعيد بن مالك الأبلي، وشيخه. وذكر العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ١٠٣) أن فيه جهالة. وراجع المقاصد الحسنة (ص: ٤٥٤).

(٣) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٩٩)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٧٧) بدون نسبة للحسن، وانظر: البحر المحيط (٧/ ٢٧٥).

(٤) شاذة، تابعه عليه في البحر المحيط (٧/ ٢٧٥).

(٥) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٠١).

إدريس عليه السلام هو من أجداد نوح عليه السلام، وهو أول نبي بُعث إلى أهل الأرض فيما رُوي[١] من بعد آدم، وهو أول من خطَّ بالقلم، وكان خيَّاطاً، ووصفه الله بالصدق، والوجه أن يُحمل ذلك على العموم في الأحاديث والأعمال.

قال ابن مسعود: هو إلياس، بعث إلى قومه بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويعملوا ما شاؤوا، فأَبَوْا فأُهلكوا[٢].

قال القاضي أبو محمد: والأشهر أنه لم يبعث بإهلاك أمة، وإنما نبئ[٣] فقط.

[٤/ ١٢] واختلف الناس في قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، / فقال جماعة من العلماء: هو رفع النبوة والتشريف والمنزلة، وهو في السماء كما سائر الأنبياء، وقالت فرقة: بل رُفع إلى السماء، قال ابن عباس: كان ذلك بأمر الله كما رفع عيسى، وهنالك مات إدريس[٤]، وقاله مجاهد إلَّا أنه قال: ولم يمت، وكذلك قال وهب بن منبه[٥].

وقال كعب الأحبار لابن عباس: كان له خليل من الملائكة، فحمله على جناحه وصعد به حتى بلغ السماء الرابعة، فلقي هناك مَلَك الموت، فقال له: إنه قيل لي: اهْبط

(١) ضعيف، أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٤٠) من طريق الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أول نبي بعث في الأرض بعد آدم إدريس وهو خنوخ بن يرذ وهو اليارذ، وكان يصعد له في اليوم من العمل ما لا يصعد لبني آدم في الشهر، فحسده إبليس، وعصاه قومه فرفعه الله إليه مكاناً علياً. ومحمد بن السائب بن بشر الكلبي أبو النضر الكوفي متهم بالكذب. وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢٩) من طريق الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنه، بلفظ آخر، والذي في البخاري (٧٤٤٠) في مشهد يوم القيامة من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «لكن ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٢٣٧) من قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) في المطبوع: «وأنه نبيٌّ».

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٢١٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر قول مجاهد في تفسير الطبري (١٨/ ٢١٣)، وقول وهب في تفسير الثعلبي (٦/ ٢٢٠)، وتفسير القرطبي (١١/ ١١٩).

إلى السماء الرابعة فاقبض فيها روح إِدْرِيسَ، وإنِّي لأعجب كيف يكون هذا؟ فقال له الـمَلك الصاعد به[١]: هذا إدريس معي، فقبض روحه[٢].

وروي: أن هذا كله كان في السماء السادسة، قاله ابن عباس[٣]، وكذلك هي رتبته في حديث الإسراء في بعض الروايات، وحديث أنس بن مالك وأبي هريرة في الإسراء يقتضي أنه في السماء الرابعة[٤].

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الإشارة بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى مَن تقدم ذكره.

وقوله: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ يريد إِدْرِيسَ ونوحاً، (وممن حمل مع نوح): إبراهيم عليه السلام، ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق ويعقوب، و(من ذرية إِسْرَائِيلَ) موسى وهارون وزكريا ويحيى ومريم[٥].

وقوله: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ [معناه: لأن هدى الله قد ناله غير هؤلاء.

و(اجْتَبَيْنا)][٦] معناه: اخترنا واصطفينا، وكأنه من: جَبَيْتُ الماءَ[٧]: إذا جمعتَه، ومنه جباية المال، كأن جابيه يصطفيه.

وقرأ الجمهور: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ﴾ بالتاء من فوق.

---

(١) زيادة من الحمزوية.

(٢) هو من قول كعب الأحبار، أخرجه الطبري (١٨/ ٢١٣) من طريق الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٥٤٤) من طريق زائدة بن قدامة، عن ميسرة الأشجعي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٢١٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) متفق عليهما، الأول في البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، والثاني في البخاري (٣٣٩٤-٥٥٧٦)، ومسلم (٢٧٢).

(٥) في المطبوع بدلها: «وعيسى بن مريم».

(٦) ليس في المطبوع.

(٧) في الحمزوية ونجيبويه: «المال».

وقرأ نافع، وشيبة، وأبو جعفر: (إذا يُتلَى) بالياء[١].

و«الآيـاتُ» هنا: الكُتُب المنزلة، و﴿سُجَّدًا﴾: نصب على الحال؛ لأن مبدأ السجود سجود.

وقرأ عمر بن الخطاب، والجمهور: ﴿وَبُكِيًّا﴾، قالت فرقة: هو جمع باكٍ، كما يُجْمَع عاتٍ وجاثٍ عَلَى: عُتِيٍّ وجُثِيٍّ، وقالت فرقة: هو مصدرٌ بمعنى البكاء، التقدير: وَبَكَوْا بُكِيّاً.

واحتج الطبريُّ ومكيٌّ لهذا القول بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رُوي أنه قرأ سورة مريم فسجد، ثم قال: هذا السجود، فأين البُكِيُّ؟ يعني البكاء[٢].

واحتجاجهم بهذا فاسد؛ لأنه يحتمل أن يريد عمر رضي الله عنه: فأين الباكون؟ فلا حجة فيه لهذا، وهذا الذي ذكروه عن عمر ذكره أبو حاتم عن النبي ﷺ[٣].

وقرأ ابن مسعود، ويحيى، والأعمش: ﴿وَبِكيّاً﴾ بكسر الباء[٤]، وهو مصدر على هذه القراءة لا يحتمل غير ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ

(١) هذه من أغرب غرائب الشيخ رحمه الله، والقراءة بالياء شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٨٨) لشبل المكي، والكرماني في الشواذ (ص:٣٠٢) للأعرج وأبي جندب وأبي حيوة، ولم يقرأ بها أحد من السبعة، قال في جامع البيان (٣/ ١٣٤٣): إلا ما رواه الثعلبي عن ابن ذكوان، وابنُ شنبوذ عن النحاس عن أبي يعقوب عن ورش أنهما قرأا بالياء، وهو غلط. وفي نجيبويه: «الحسن»، بدل «الجمهور».

(٢) إسناده جيد، أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٤١٤)، والطبري (١٨/ ٢١٥) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر عبد الله بن سخبرة، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وانظر الاحتجاج به في تفسير الطبري (١٨/ ٢١٥)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٦٠).

(٣) لم أقف عليه مرفوعاً.

(٤) أبعد بها، فهي سبعية لحمزة والكسائي كما في التيسير (ص: ١٤٨)، والسبعة (ص: ٤٠٧).

﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾.

«الخَلَف» بفتح اللام: القَرْن يأتي بعد آخر يمضي، والابن بعد الأب، وقد يستعمل في سائر الأمور، و«الْخَلْفُ» بسكون اللام: مستعمل إذا كان الآتي مذموماً، وهذا مشهور كلام العرب، وقد ذكر عن بعضهم أن الخَلَف والخَلْف بمعنىً واحد، وحجة ذلك قول الشاعر:

لَنَا الْقَدَمُ الأولى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا ... لِأَوَّلِنَا في طَاعَةِ اللَّهِ تابِعُ[1] [الطويل]

وقرأ الجمهور: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بالإفراد، وقرأ الحسن: (أضاعوا الصَّلواتِ) بالجمع، وهو كذلك في مصحف ابن مسعود[2].

والمراد بالخَلْفِ من كفر أو عصى بَعْدُ من بني إسرائيل، وقال مجاهد: المراد النصارى، خلفوا بعد اليهود[3]، وقال محمد بن كعب القرظي، ومجاهد، وعطاءٌ: هم قوم من أمة محمد في آخر الزمان[4]؛ أي: يكون في هذه الأمَّة مَنْ هذه صفته، لا أنهم المراد بهذه الآية.

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «كان الخَلْفُ بعدَ ستين سنة»[5].

وهذا عرف إلى يوم القيامة، [وتتجدد أيضا المبادئ][6].

(١) البيت لحسان بن ثابت الأنصاري، كما تقدم في تفسير الآية (١٦٩) من سورة الأعراف.
(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهما وللضحاك في مختصر الشواذ (ص: ٨٨).
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٠٧)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٦١).
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢١٧)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٢١).
(٥) في إسناده ضعف، أخرجه أحمد (٣/ ٣٩)، والبخاري في خلق أفعال العباد (ص ١١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما عند ابن كثير (٥/ ٢٤٤)، وابن حبان (٧٥٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٤) من طريق حيوة بن شريح عن بشير بن أبي عمرو الخولاني عن الوليد بن قيس التجيبي، عن أبي سعيد الخدري به، وأوله: «يكون خلف بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة»، والوليد مستور الحال، قال المزي: روى عن أبي سعيد الخدري وقيل: عن أبي سعيد، أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد بالشك.
(٦) ليست في المطبوع.

واختلف الناس في إضاعةِ الصَّلاةِ منهم:

فقال محمد بن كعب القرظي وغيره: كان إضاعةَ كُفْرٍ وجَحْدٍ بها.

وقال القاسم بن مخيمرة[١]، وعبد الله بن مسعود: كانت إضاعة أوقاتها، والمحافظة[٢] على أوانها[٣]، وذكره الطبري عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في حديث طويل[٤].

و﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ عمومٌ، وكل ما ذُكر من ذلك فمثال.

و«الغَيُّ»: الخُسْران والحصول في الورطات، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] فَمَـنْ يَلْقَ خَيْـراً يَحْمَدِ النَّـاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لا يَعْدَمْ عَلَى الْغَيِّ لائِما[٥]

وبه فسَّر ابن زيد هذه الآية[٦]، وقد يكون الغَيُّ أيضاً بمعنى الضَّلاَل، فيكون هذا هنا على حذف مضاف تقديره: يلقون جزاءَ الغيِّ، وبهذا فسَّر الزجاج[٧].

وقال عبد الله بن عمرو، وابن مسعود: الغَيُّ وادٍ في جهنم، وبه وقع التوعُّد في هذه الآية[٨].

---

(١) انظر قول القرظي في تفسير الطبري (١٨/ ٢١٦) بمعناه، وقول القاسم فيه: (١٨/ ٢١٥).

(٢) في المطبوع: «وعدم المحافظة»، قال في الحاشية: هي زيادة تقتضيها سلامة التعبير، ولم يذكر أنها نسخة.

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (١٨/ ٢١٦) من طريق وكيع عن المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعد، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قيل له: إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ و﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ و﴿ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فقال ابن مسعود رضي الله عنه: على مواقيتها، قالوا: ما كنا نرى ذلك إلا على الترك، قال: ذاك الكفر.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢١٦).

(٥) البيت للمرقِّش الأصغر، كما تقدم في تفسير الآية (٣٧) من سورة هود.

(٦) تفسير الطبري (١٨/ ٢١٩)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٨٠).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه له (٣/ ٣٣٦).

(٨) أما أثر عبد الله بن عمرو ـ وفي المطبوع: «بن عمر»، ولعله خطأ ـ فأخرجه الطبري (١٨/ ٢١٨) من طريق قتادة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو به، وأما أثر عبد الله بن مسعود فأخرجه الطبري (١٨/ ٢١٨)، =

وقيل: «غَيٌّ وأثام[١] نيران[٢] في جهنم»، رواه أبو أُمامة الباهلي عن النبي ﷺ[٣].

قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ استثناء يحتمل الاتصال والانقطاع[٤].

وقوله: ﴿وَءَامَنَ﴾ يقتضي أن الإضاعة أوَّلاً هي إضاعةُ كفر، هذا مع اتصال الاستثناء، وعليه فسَّر الطبري[٥].

وقرأ الجمهور: ﴿يُدْخَلُونَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء.

وقرأ الحسن كلَّ ما في القرآن ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الخاء[٦].

قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ قرأ جمهور الناس: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بنصب الجنَّات على البدل من قوله: ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

وقرأ الحسن، وعيسى بن عمر، وأبو حيوة: (جناتُ) برفعها على تقدير: تلك جنات.

وقرأ علي بن صالح[٧]: (جَنَّةَ) على الإفراد والنصب، وكذلك في مصحف ابن مسعود، وقرأها الأعمش[٨].

= والطبراني في الكبير (٩١١٠-٩١٠٦) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن أبي عبيدة، عن أبيه عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، ولم يسمع منه على الراجح.

(١) ليست في نجيبويه، وفي حاشية المطبوع أنها زيادة ليست في الأصول ولكنها في حديث أُمامة، ويقتضيها التعبير.

(٢) في المطبوع: «نهران»، وفي الحمزوية الإماراتية١و٢ ونور العثمانية: «بئران».

(٣) منكر، أخرجه الطبري (١٨/ ٢١٧-٢١٨)، ومحمد بن نصر في الصلاة (٣٦)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (١٧)، والبيهقي في البعث (٥٢٢) من طريق لقمان بن عامر الخزاعي، عن أبي أمامة به، قال ابن كثير: هذا حديث غريب ورفعه منكر.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «والانفصال».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢١٦، ٢١٧).

(٦) أغرب، فهذه هي قراءة الجمهور، والأولى سبعية أيضاً، وهي لابن كثير وأبي عمرو وشعبة، انظر: التيسير (ص: ٩٧).

(٧) في نور العثمانية: «ابن أبي صالح»، وفي نجيبويه والإماراتية١ والمطبوع: «علي بن أبي طالب رضي الله عنه».

(٨) وهما شاذتان، انظر الأولى للحسن في مختصر الشواذ (ص: ٨٨)، والكامل للهذلي (ص: ٥٩٦)، =

و«العُدْنُ»: الإقامة المستمرة، وقوله: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: أخبرهم من ذلك بما غاب عنهم، وفي هذا مدح لهم على سرعة إيمانهم وبدارهم[١] إذ لم يعاينوا/ . [٤/ ١٣]

و«المَأْتِيُّ»: مفعول على بابه، والأَتِيُّ: هو الإنجاز والفعل الذي تضمنه الوعد، وكان إتيانه إنما يقصد به الوعد الذي تقدمه، وقالت جماعة من المفسرين: هو مفعول في اللفظ [بمعنى فاعل][٢] بمعنى: آتٍ، وهذا بعيد، والنظر الأول أصوب.

و«اللَّغْوُ»: السَّقط من القول، وهو أنواع مختلفة كلُّها ليست في الجنة، وقوله: ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ استثناءٌ منقطع، والمعنى: لكن يسمعون سلاماً[٣]، وهو تحية الملائكة لهم في كل الأوقات.

وقوله: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ يريد في التقدير، أيْ: يأتيهم طعامهم مرتين في مقدار اليوم والليلة من الزمن، ويروى: أن أهل الجنة تنْسَدُّ لهم الأبواب بقدر الليل في الدنيا، فهم يعرفون البُكْرة عند انفتاحها، والعَشِيَّ عند انسدادها[٤].

وقال مجاهد: ليس بُكْرَةً ولا عَشِيّاً، ولكن يُؤْتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا، وقد ذكر نحوه قتادة[٥]؛ أن تكون مخاطبة بما تعرفه العرب وتستغربه من رفاهة العيش، وجعل ذلك عبارة عن أن رزقهم يأتي على أكمل وجوهه.

قال الحسن: خوطبوا على ما كانت العرب تعلم من أفضل العيش، وذلك أن كثيراً من العرب إنما كان يجد الطعام المرَّة في اليوم، وهي غايته، وكان عيش أكثرهم

= وزاد ابن أبي عبلة، وأبا حيوة، والثانية في مختصر الشواذ للحسن بن حي، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٢) للحسن وقتادة، وانظر: البحر المحيط (٧/ ٢٧٨).

(١) في المطبوع: «وقرارهم».

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) في الأصل: «كلاماً»، والتصحيح من باقي النسخ.

(٤) قاله محمد بن زهير. انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٢١)، وتفسير السمعاني (٣/ ٣٠٣)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٦٥).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٢١)، وتفسير ابن أبي زمنين (٣/ ١٠١)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٦٤).

من شجر البَـرِّيَّة، ومن الحيوان، ونحوه[١]، ألا ترى قول الشاعر:

[المنسرح]

عُـصْـرَتُـه نُـطْـفَـةٌ تَـضَـمَّـنَـهَـا لِـصْـبٌ تَـوَقَّـى مَـوَاقِـعَ السَّـبَلِ

أَوْ وَجْـبَـةٌ مِـنْ جَـنـاةِ أَشْـكَـلَـةٍ إِنْ لَمْ يُزِغْهَا بالْقَوْسِ لَمْ تُنَلِ[٢]

الوجبة: الأَكْلَة في اليوم.

وقرأ الجمهور: ﴿نُورِثُ﴾ بسكون الواو، [وقرأ الأعمش: (نورثها)][٣].

وقرأ الحسن، والأعرج، وقتادة: ﴿نُوَرِّثُ﴾ بفتح الواو وشدِّ الراء[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾.

قرأ الجمهور: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ بالنون، كأن جبريل عنى نفسه والملائكة، وقرأ الأعرج: (وما يَتنزَّلُ) بالياء[٥] على أنه خبر من الله أن جبريل لا يتنزَّل، قال هذا التأويل بعضُ المفسرين، ويردُّه قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾؛ لأنه لا يطَّرد معه، وإنما يتَّجه أن يكون خبراً من جبريل أنَّ القرآن لا يتنزَّل إلَّا بأمر الله في الأوقات التي يقدرها، ورُويت قراءة الأعرج بضم الياء.

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٣٠٣)، وفي المطبوع ونجيبويه: «أكثر عيشهم».

(٢) ورد هذان البيتان في قصة ذكرها القالي في الأمالي (٢/ ٢٦٩): وفيها أنهما لرجل من بني عمرو بن كلاب، أو قال: من بني كلاب، وهو يصف رجلاً خائفاً لجأ إلى جبل وليس معه إلا قوسه وسيفه، والبيت الأول ليس في المطبوع.

(٣) ليس في المطبوع ونجيبويه ونور العثمانية والإماراتية١، والقراءة شاذة مخالفة للمصحف، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٢٨٠).

(٤) وهي عشرية لرويس كما في النشر (٢/ ٣٥٨)، ونسبها له ولمن ذكر في البحر المحيط (٧/ ٢٨٠).

(٥) وهي شاذة، عزاها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٢)، ومختصر الشواذ (ص: ٨٨) بلا ضبط، ولم أجد من أشار للضم الآتي.

وقرأ ابن مسعود: (إلَّا بقول رَبِّكَ)[١].

قال ابن عباس وغيره: سبب هذه الآية أن النبي ﷺ أبطأ عنه جبريل مرة، فلمَّا جاءه قال له: «يا جبريل قد اشتقت إليك، أفلا تزورنا أكثر مما تزورنا»؟، فنزلت هذه الآية[٢].

وقال مجاهد، والضحاك: سببها أن جبريل تأخر عن النبي ﷺ عند قوله في السؤالات[٣] المتقدمة في سورة الكهف: «غداً أُخبركم» حتى فرح بذلك المشركون، واهتم رسول الله ﷺ، ثم جاء جبريل، فنزلت هذه الآية في ذلك المعنى[٤]، فهي كالتي في الضُّحى.

وهذه الواو التي في قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ هي عاطفة جملة كلام على أخرى، وواصلةٌ بين القولين، وإن لم يكن معناهما واحداً.

وحكى النقاش عن قوم أن قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ متصل بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩][٥]، وهذا قولٌ ضعيف.

وقوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ لفظٌ يحتاج إلى ثلاث مراتب، [واختلف المفسرون فيها:

فقال أبو العالية: ما بين الأيدي: الدنيا بأسرها][٦] إلى النَّفخة الأولى، وما خَلْفُ: الآخرةُ من[٧] وقت البعث، وما بين ذلك: ما بين النفختين.

وقال ابن جريج: ما بين الأيدي هو ما مرَّ من الزمن قبل إيجاد من في الضمير،

---

(١) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢١٨) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في المطبوع: «الأسئلة».

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٢٣) عن مجاهد، والضحاك مرسلًا.

(٥) انظر قول النقاش في البحر المحيط (٧/ ٢٨١).

(٦) ليس في الحمزوية.

(٧) في المطبوع ونجيبويه: «إلى».

وما خَلْفُ: هو ما بعد موتهم إلى استمرار الآخرة، وَما بَيْنَ ذلِكَ: هو مدَّة الحياة[١].

قال القاضي أبو محمد: والآية إنما المقصد بها الإشعار بملك الله تعالى لملائكته، وأنَّ قليل تصرفهم وكثيره إنما هو بأمره، وانتقالهم من مكان إلى مكان إنما هو لخدمته؛ إذ الأمكنة له وهُمْ له، فلو ذُهب بالآية إلى أن المراد بما بين الأيدي وما خلف: الأمْكِنَةُ التي فيها تصرُّفهم، والمراد بما بَيْنَ ذلِكَ هُمْ أنفسهم ومقاماتهم، لكان وجهاً، كأنه قال: نحن مُقَيَّدُون بالقدرة، لا ننتقل ولا نتنزَّل إلَّا بأمر ربك.

وقال ابن عباس، وقتادة فيما رُوي ـ وما أراه صحيحاً عنهما ـ: ما بين الأيدي هي الآخرة، وما خَلْف: هو الدنيا[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا مختل المعنى إلَّا على التشبيه بالمكان، كأن ما بين اليد إنما هو ما تقدم وجوده في الزمان بمثابة التوراة والإنجيل من القرآن، وقول أبي العالية إنما يتصور في بني آدم، وهذه المقالة هي للملائكة، فتأَمَّلْه.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾؛ أيْ: ممَّن يلحقه نسيان لِبَعْثِنا إليك في وقت المصلحة به، فإنما ذلك عن قدَرٍ له؛ أي: فلا تطلب أنت يا محمد من[٣] الزيارة أكثر مما شاء الله، هذا على ما تقتضيه قوة الكلام على التأويل الواحد، أو فلا تهتم يا محمد بتأخيري، ولا تلتفت إلى فرح المشركين بذلك على التأويل الثاني.

و﴿نَسِيًّا﴾ فَعِيلٌ من النسيان والذهول عن الأمور، وقالت فرقة: ﴿نَسِيًّا﴾ هنا معناه: تاركاً.

وفي هذا ضعف؛ لأنه إنما نفى النسيان مطلقاً، فيتمكن ذلك في النسيان الذي هو نقص[٤]، وأما التَّرْكُ فلا ينْتفي مطلقاً، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾[البقرة:١٧]،

---

(١) انظر القولين في: تفسير الطبري (١٨/ ٢٢٤، ٢٢٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٢٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر: قول قتادة فيه (١٨/ ٢٢٤).

(٣) من المطبوع ونجيبويه والحمزوية.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «نص».

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩]، فلو قال: نَسِيَكَ، أو نحوه من التَّقْيِيد لهم[١] لصح حمله على الترك، ولا حاجة بنا إلى أن نقول: إن التَّقييد في النِّـيَّة؛ لأن المعنى الآخر أظهر.

وقرأ ابن مسعود: (وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا نَسِيَكَ رَبُّكَ)[٢]، وروى أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ / قال: «مَا أَحَلَّ اللهُ في كِتَابِهِ فَهُوَ حَلالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حرام، وما سكت عنه فهي عافيتُه، فاقبلوا»، ثم تلا هذه الآية[٣]. [٤/ ١٤]

وقوله: ﴿رَبُّ﴾ بدل من قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أَمْرٌ بحمل تكاليف الشرع، وإشعارٌ مَّا بصعوبتها، كالجهاد والحج والصدقات، فهي شريعة تحتاج إلى اصطبار، أعاننا الله عليها بمنه[٤].

وقرأ الجمهور: ﴿هَلْ تَعْلَمُ﴾ بإظهار اللام، وقرأ علي بن نصر عن أبي عمرو بإدغام اللام في التاء، وهي قراءة عيسى، والأعمش، والحسن، وابن محيصن[٥].

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) وهي شاذة، تابعه عليها في تفسير الثعالبي (٤/ ٢٨)، وهي في تفسير الطبري (١٨/ ٢٢٥) عن مجاهد.

(٣) إسناده صالح، أخرجه البزار في مسنده (٤٠٨٧)، والدارقطني في سننه (٢/ ١٣٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٦)، والبيهقي في الكبير (١٠/ ١٢) من طرق عن عاصم بن رجاء بن حيوة، عن أبيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه رفع الحديث، قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله ﷺ من وجه من الوجوه بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وعاصم بن رجاء حدث عنه جماعة، وأبو رجاء روى عن أبي الدرداء غير حديث، وإسناده صالح؛ لأن إسماعيل بن عياش قد حدث عنه الناس واحتملوا حديثه.

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) غير متقن، والقراءة بالإدغام سبعية لهشام وحمزة والكسائي على قاعدتهم، انظر: التيسير (ص: ٤٣)، وانظر رواية علي بن نصر عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٤١٠)، والباقين في البحر المحيط (٧/ ٢٨٣).

قال أبو عليٍّ: سيبويه يجيز إدغام اللام في الطاءِ والتَّاءِ والذال والثاء [والصاد والزاي والسين[١]، وقرأ أبو عمرو: ﴿هَل ثُّوب﴾ [المطففين: ٣٦]، بإدغامها في الثاء][٢]، وإدغامها في التَّاء أحق؛ لأنها أدخل معها في الفم، ومن إدغامها في التاء ما روي من قول مزاحم العقيلي[٣]:

فَـذَرْ ذا وَلَـكِـنْ هَـتُّعِيـنُ مُـتَـيَّمـاً عَلَى ضَوْءِ بَرْقٍ آخِرَ اللَّيْلِ نَاصِبِ[٤] [الطويل]

وقوله: ﴿سَمِيًّا﴾ قال قومٌ وهو ظاهر اللفظ: معناه: موافقاً في الاسم.

وهذا يحسن فيه أن يريد بالاسم ما تقدم من قوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾؛ أي: هل تعلم من يُسَمَّى بهذا ويُوصف بهذه الصفة؟ وذلك أن الأُمم والفِرَق[٥] لا يُسَمُّون بهذا الاسم وثناً ولا شيئاً سوى الله تعالى، وأما الأُلوهية والقدرة فقد يوجد السميُّ فيها، وذلك باشتراك، لا بمعنى واحد.

وقال ابن عباس وغيره[٦]: ﴿سَمِيًّا﴾ معناه: مثيلًا أو شبيهاً أو نحو ذلك[٧]، وهذا

---

(١) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٠٣).

(٢) ليس في الحمزوية، وهي سبعية لهشام وحمزة والكسائي على قاعدتهم، انظر التيسير (ص: ٤٣)، وليست لأبي عمرو من طرق التيسير والنشر، لكن وردت من رواية يونس عنه في السبعة (ص: ١٢٠)، ورواية ابن نصر في معاني القراءات للأزهري (٣/ ١٣٢).

(٣) هو مزاحم بن الحارث العقيلي، بدوي شاعر فصيح إسلامي صاحب قصيد ورجز كان في زمن جرير والفرزدق، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه، الأغاني (١٩/ ١٠٤)، وفي طبقات فحول الشعراء (٢/ ٧٧٠): كان رجلاً غزلاً شجاعاً صعب الشعر هجّاء وصّافاً.

(٤) انظر نسبته له في الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٥٩)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٣٤٨)، وفي نجيبويه وبعض المصادر: «هل تعين» بالفك.

(٥) ليست في نجيبويه والمطبوع.

(٦) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٧) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٢٦)، والبيهقي في الشعب (١٢٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق شعبة، عن الحسن بن عمارة، عن رجل، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ قال: شبهاً. والحسن متروك.

قولٌ حسن، وكأن السَّمِيَّ بمعنى المسامي والمضاهي، فهو من السُّمُوِّ، وهذا القول يحسن في هذه الآية، ولا يحسن فيما تقدَّم في ذكر يحيى عليه السلام.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾.

﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ اسم للجنس يُراد به الكافر، ورُوي: أن سبب هذه الآية هو أن رجالاً من قريش كانوا يقولون هذا ونحوه، ورُوي: أن القائل هو أُبيُّ بن خلف، جاء إلى النبي ﷺ بعظم مرفت[1] فنفخ فيه وقال: أيبعث هذا؟ وكذَّب وسخر[2]، وقيل: إن القائل هو العاصي بن وائل.

وقرأ الأعرج، وأبو عمرو: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ بالاستفهام الظاهر، وقرأت فرقة: (إِذَا) دون ألف استفهام، وقد تقدم هذا مستوعباً[3].

وقرأت فرقة: ﴿مِتُّ﴾ بكسر الميم، وقرأت فرقة بضمها[4].

واللام في قوله: ﴿لَسَوْفَ﴾ مجلوبة على الحكاية لكلام[5] معلَّم بهذا المعنى، كأن قائلاً قال لكافر: إذا مِتَّ يا فلان لسوف تخرج حَيّاً، فقرَّر الكافر [على الكلام][6] على جهة الاستبعاد، وكرر الكلام حكاية للقول الأول.

---

(١) في المطبوع: «رفات».

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص: ٣١٠)، وتفسير القرطبي (١١/ ١٣١).

(٣) غير متقن، فهذه الكلمة فرش، ولم تتقدم، والاستفهام فيها للعشر كلهم إلا ابن ذكوان في أحد وجهيه كما في التيسير (ص: ١٤٩)، وهو وجه لهشام في جامع البيان (٣/ ١٣٤٤)، ولعله يقصد بما تقدم الخلاف في تحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها.

(٤) وهما سبعيتان، والكسر لنافع وحمزة والكسائي وحفص كما تقدم في آل عمران.

(٥) في أحمد٣ زيادة: «مضاف».

(٦) ليس في المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أُخْرَجُ﴾ بضم الهمزة.

وقرأ الحسن بخلاف وأبو حيوة: (أَخْرُجُ) بفتح الهمزة وضم الراء[١].

وقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ احتجاجٌ، خاطب الله تعالى به نبيَّه ﷺ ردّاً على مقالة الكافر.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿يَذْكُرُ﴾، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿يذَّكَّر﴾ بشد الذال والكاف[٢]، وقرأ أُبيٌّ بن كعب: (يَتَذَكَّرُ)[٣].

والنشأة الأولى والإخراج من العدم إلى الوجود أوضح دليل على جواز البعث من القبور، ثم قرَّرَ ذلك وأوجبه السمعُ.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ دليلٌ على أن المعدوم لا يُسَمَّى شيئاً، قال أبو علي الفارسي: أراد شيئاً موجوداً[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذه نزعة اعتزالية، فتأملها[٥].

وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ الآيةَ وعيدٌ يكون ما نفوه[٦] على أصعب وجوهه.

والضمير في قوله: ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ عائد على الكفار القائلين ما تقدم، ثم أخبر أنه يقرن بهم الشَّياطِينَ المُغْوِينَ لهم.

وقوله: ﴿جُثِيًّا﴾ جمع جاثٍ كقاعد وقعود، وجالس وجلوس، وأصله: جُثُوْواً، وليس في كلام العرب واوٌ متطرفة قبلها ضمة، فوجب لذلك أن تُعَلَّ، ولم يُعتَدَّ هاهنا

---

(١) وهي شاذة، عزاها لهما الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٣)، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٨).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٤١٠).

(٣) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٠٢).

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٠٤).

(٥) انظر قول المعتزلة أن المعدوم شيء في: التبصير في الدين (١/ ٦٣)، والملل والنحل لابن حزم (٥/ ٢٧).

(٦) في المطبوع: «بعده»، وفي الإماراتية٢: «نفده».

بالساكن الذي بينهما لِخِفَّته وقِلَّة حوله، فقلبت ياءً فجاءَ جُثُوياً، فاجتمع الواو والياءُ وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت ياءً، ثم أُدغمت [الياءُ في الياء][١] ثم كسرت الثاءُ للتناسب بين الكسرة والياء.

وقرأ الجمهور: ﴿جُثِيّاً﴾ و﴿صُلِيّاً﴾ بضم الجيم والصاد، وقرأ ابن وثاب وطلحة والأعمش: ﴿جِثِيًّا﴾ و﴿صِلِيًّا﴾ بكسر الجيم والصاد[٢].

وأخبر الله تعالى أنه يُحضر هؤلاء المنكرين للبعث مع الشياطين فيجثون حول جهنم، وهي قِعدة الخائف الذليل على ركبتيه كالأسير ونحوه.

وقال قتادة: ﴿جِثِيًّا﴾ معناه: على ركبهم، وقال ابن زيد: الجثي شرُّ الجلوس[٣].

و«الشِّيعَةُ»: الفرقة المرتبطة بمذهب واحد، المتعاونون فيه، كأن بعضهم يشيع بعضاً؛ أيْ: ينَـبِّه منه، ومنه تشييع النار بالحطب، وهو وَقْدُهَا به شيئاً بعد شيءٍ، ومنه قيل للشجاع: مشيع القلب، فأخبر الله أنه ينزع مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أعتاها وأولاها بالعذاب، فتكون تلك مقدمتها إلى النار، قال أبو الأحوص: المعنى: نبدأُ بالأكابر فالأكابر جُرْماً[٤].

ثم أخبر تعالى في الآية بَعْدُ أنه أعلمُ بمستحقِّي ذلك وأبصرُ؛ لأنه لم تَخْف عليه حالهم من أولها إلى آخرها.

وقرأ بعض الكوفيين، ومعاذ بن مسلم[٥]، وهارون القارئ: (أَيَّهُمْ) بالنصب[٦].

---

(١) من المطبوع.

(٢) أغرب رحمه الله، فهما سبعيتان، والكسر لحمزة والكسائي وحفص كما في التيسير (ص: ١٤٨) والسبعة (ص: ٤٠٧).

(٣) انظر القولين في: تفسير الطبري (١٨/ ٢٣٨)، وانظر: تفسير ابن أبي زمنين (٣/ ١٠٢).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٢٢٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٤٧)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٢٤)، و«فالأكابر» ليست في المطبوع.

(٥) هو معاذ بن مسلم النحوي الكوفي الهراء، روى عن: عطاء بن السائب، وجعفر بن محمد، وصنف في النحو في دولة بني أمية، وعمر دهراً طويلاً، وأخذ عنه الكسائي جملة من النحو، توفي سنة (١٨٧هـ)، تاريخ الإسلام (١٢/ ٤٠١).

(٦) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٩).

وقرأ الجمهور: ﴿أَيُّهُم﴾ بالرفع[١]، إلَّا أن طلحة والأعمش سكَّنا ميم ﴿أَيُّهُم﴾[٢].

واختلف الناس في وجه رفع (أَيُّ):

فقال الخليل: رَفْعُه على الحكاية بتقدير: الذي يُقال فيه من أجل عُتُوِّه: أَيُّهُمْ أَشَدُّ، وقرنه بقول الشاعر:

[الكامل]

وَلَقَـدْ أَبِيـتُ مِـنَ الْفَتَـاةِ بِمَنْـزِلٍ   فَأَبِيـتُ لَا حَـرِجٌ ولا مَحْـرُومُ[٣]

أي: فأبيتُ يقال فيَّ: لا حرِجٌ ولا محروم، ورجَّح الزجاج قول الخليل، وذكر عنه النحاسُ أنه غَلَّط سيبويه في [قوله في][٤] هذه المسألة، قال سيبويه: ويلزم على هذا أن يجوز: اضرب السارق الخبيثُ، أي: الذي يقال له.

قال القاضي أبو محمد: وليس بلازم من حيث هذه أسماءٌ مفردة والآية جملة، وتسلُّط الفعل / على المفرد أعظم منه على الجملة. [٤/ ١٥]

ومذهب سيبويه أن ﴿أَيُّهُم﴾ مبني على الضمِّ؛ إذ هي أُخت لـ(الذي) ولِـ(ما)[٥]، وخَالَفَتْهُما في جواز الإضافة فيها، فأُعربت لذلك، فلما حذف من صلتها ما يعود عليها ضعفت فرجعت إلى البناء، وكان التقدير: أَيُّهُمْ أَشَدُّ[٦].

قال أبو علي: حُذف ما الكلام مفتقر إليه، فوجب البناءُ.

وقال يونس: عُلِّق عنها الفعل، فارتفعت بالابتداء.

---

(١) في المطبوع: «بالضم».

(٢) فيه خلل، فهي قراءة الجمهور غير نافع وابن كثير، أو المقصود سكون الياء، على أن في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٢) عنهما النصب.

(٣) البيت للأخطل كما في الكتاب لسيبويه (٢/ ٨٤)، والأصول في النحو (٢/ ٣٢٤)، والمحكم (٨/ ٢٠٠).

(٤) ليس في المطبوع ونجيبويه.

(٥) في أحمد٣: «ولكن لما خالفتها».

(٦) انظر: الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٩٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٣٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٧).

قال أبو علي: معنى ذلك أنه مُعمَل في موضع ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ إلَّا أنه ملغى؛ لأنه[(١)] لا[(٢)] تعلق جملة، إلَّا[(٣)] أفعال الشك كـ(ظننت) ونحوها مما لم يتحقق وقوعه.

وقال الكسائي: ﴿لَنَنزِعَنَّ﴾ أريد به: لَنُـنَادِيَنَّ، فعومل معاملة الفعل المراد، فلم يعمل في (أيّ).

وقال المبرد: ﴿أَيُّهُمْ﴾ متعلق بـ﴿شِيعَةٍ﴾ فلذلك ارتفع، والمعنى: من الذين تشايعوا أيُّهم أشد، كأنهم يتبارون إلى هذا، [ويلزمه أن يقدر مفعولاً لـ(نَـنْزِعَ) محذوفاً[(٤)].

وقرأ طلحة بن مصرِّف: (أيُّهُمْ أكبر)[(٥)].

و﴿عُتِيّاً﴾ مصدر، أصله: عُتُوْواً، أُعِلَّ بما أُعل به ﴿جُثِيّاً﴾.

وروى أبو سعيد الخدري: أنه يندلق[(٦)] عُنُقٌ من النار، فيقول: إنِّي أُمرت بكل جبَّار عنيد، فتلقطهم[(٧)]، الحديث][(٨)].

---

(١) ليس فيه نور العثمانية.

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) في نور العثمانية: «إلى»، وفي أحمد٣: «جملة الأفعال».

(٤) انظر هذه الأقوال في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٣٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٧).

(٥) شاذة، إن وجدت، ولم أجد للمصنف فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٦) في المطبوع وأحمد٣: «ينذلقُ»، وفي القاموس(ص: ٨٨٤): اندلق خرج من مكانه، وفيه أيضاً (ص: ٨٨٥): انذلق صار له ذلق؛ أي: حد.

(٧) في المطبوع: «فتلفظهم».

(٨) ليس في الحمزوية، والظاهر أن مدار الحديث على ضعيف، أخرجه أحمد (٣/ ٤٠)، والبزار (٣٥٠٠-٣٥٠١) زوائد، وأبو يعلى (١١٣٨)، والطبراني في الأوسط (٣٩٩٣)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٧٧-٥٧٨) من طرق عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، والعوفي ضعيف، وروي من حديث أبي هريرة أخرجه الترمذي (٢٥٧٤) وغيره من طريق: عبد العزيز بن مسلم القسملي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح، وقد رواه بعضهم عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ نحو هذا، وروى أشعث بن سوار عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ نحوه.اهـ.
قال ابن رجب في الفتح (٣/ ٧٠) على رواية من رواه عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً: =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢ ﴾.

أي: نحن في ذلك النَّزع لا نضع شيئاً في غير موضعه؛ لأنا قد أحطنا علماً بكل أحد، فالأولى بصلي النار نعرفه.

و«الصِّلِيُّ»: مصدرُ صَلِيَ يَصْلَى: إذا باشره، قال ابن جريج: المعنى: أولى بالخلود[1].

وقوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ قسم[2]، والواو تقتضيه، ويفسره قول النبي ﷺ: «من ماتَ له ثلاثة من الولد لم تمسَّه النَّارُ إلَّا تحِلَّة القَسَم»[3].

وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وجماعة: (وإنْ منهم) بالهاء[4]، على إرادة الكفار، فلا شَغْب في هذه القراءة[5].

وقالت فرقة من الجمهور القارئين: ﴿مِّنكُمْ﴾: المعنى: قلْ لهم يا محمد، فإنما المخاطب بـ﴿مِّنكُمْ﴾ الكفرةُ، وتأويل هؤلاء أيضاً سهل التناول.

وقال الأكثر: المخاطبُ العالَمُ كلُّه، ولا بُدَّ من ورود الجميع، واختلفوا في كيفية ورود المؤمنين: فقال ابن مسعود، وابن عباس[6]، وخالد بن معدان[7]، وابن جريج،

= وقيل: إن هذا الإسناد هو المحفوظ.اهـ، فالحديث يظهر أنه راجع إلى عطية العوفي. وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها عند أحمد (٦/ ١١٠) لكن فيه ابن لهيعة.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٢٩).

(٢) في المطبوع: «حَتْمٌ».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٥١)، ومسلم (٢٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) عزاها لهما الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٦)، وعزاها القرطبي في تفسيره (١١/ ١٣٨) لابن عباس.

(٥) تفسير القرطبي (١١/ ١٣٨).

(٦) أما أثر عبد الله بن مسعود فقد أخرجه الطبري (١٨/ ٢٣١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٧) من طريق مرة الهمداني، عن ابن مسعود رضي الله عنه به، وأما أثر عبد الله بن عباس فأخرجه الطبري (١٨/ ٢٣٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه أيضاً (١٨/ ٢٣٢) من طريق مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) هو خالد بن معدان ابن أبي كرب، أبو عبد الله الكلاعي الحمصي، روى عن: ثوبان، ومعاوية، وأبي=

وغيرهم: وُرود دخولٍ، لكنها لا تعدو على المؤمنين، ثم يخرجهم الله منها بعد معرفتهم بحقيقة ما نَجَوْا منه[١].

وروي عن ابن عباس أنه قال في هذه المسألة لنافع بن الأزرق الخارجي: أمَّا أنا وأنت فلا بُدَّ أن نردها، أما أنا فينجيني الله منها، وأما أنت فما أظنه يُنجيك[٢].

وقالوا: في القرآن أربعة أوْراد معناها الدخول، هذا أحدها.

وقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨].

وقوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦].

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وقالوا: كان من دعاء بعض السَّلَف: اللهم أدخلني النَّار سالماً، وأخرجني منها غانماً[٣].

وروى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «الورود في هذه الآية هو الدخول»[٤].

= أمامة، وطائفة، وعنه: بحير بن سعد، وثور بن يزيد، وبنته عبدة وآخرون، كان من سادة التابعين، توفي سنة (١٠٣هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٧١).

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٢٣٠)، وتفسير السمعاني (٣/ ٣٠٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٣٠) من طريق ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عمن سمع ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه عبد الرزاق (٢/ ١١)، وهناد في الزهد (٢٢٩) من طريق ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس مختصراً، وفيهما ضعف.

(٣) من قول ابن عباس: والله لقد كان من دعاء من مضى اللهم أخرجني من النار سالماً، وأدخلني الجنة غانماً، تفسير الطبري (١٨/ ٢٣٠)، والتمهيد لابن عبد البر (٦/ ٣٥٤).

(٤) ضعيف، أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٩)، وعبد بن حميد (١١٠٦)، والبيهقي في الشعب (٣٧٠) من طريق أبي سمية، عن جابر بن عبد الله، مرفوعاً، وإسناده ضعيف لجهالة أبي سمية.

وأشفق كثير من العلماء من تحقق الورود، والجهل بالصَّدَر.

وقالت فرقة: بل هو ورود إشراف واطلاع وقرب، كما تقول: وردتُ الماءَ إذا جئتَه، وليس يلزم أن تدخل فيه، قالوا: وحَسْبُ المؤمنين [بهذا هوْلاً][(١)]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣].

وروت فرقة: أن الله تعالى يجعل النار يوم القيامة خامدة[(٢)] الأعْلَى كأنها أهالة، فيأتي الخلق كلهم بَـرُّهم وفاجرهم، فيقفون[(٣)] عليها، ثم تسوخ بأهلها، ويخرج المؤمنون الفائزون لم ينلهم ضر، فقالوا: هذا هو الورود.

وروت حفصة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية»، قالت: فقلت: يا رسول الله، وأين قول الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: «فَمَه؟ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾»[(٤)].

ورجح الزجاج هذا القول بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١][(٥)].

[وذكر النقاش عن بعضهم أنه قال: نُسخ قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾][(٦)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وليس هذا موضع نسخ.

وقال عبد الله بن مسعود: وُرودُهُم هو جوازهم على الصراط[(٧)]، وذلك أن

(١) في نجيبويه: «بهؤلاء».

(٢) في الأصل ونجيبويه والحمزوية ونور العثمانية: «جامدة».

(٣) في المطبوع: «فيقعون».

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) من حديث حفصة رضي الله عنها.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٤١).

(٦) ليس في الأصل ونجيبويه، وكلام النقاش لم أقف عليه.

(٧) حسن، أخرجه الطبري (١٨/ ٢٣٢)، والطبراني في الكبير (٩٠٨٤)، والحاكم في المستدرك =

الحديث الصحيح تضمن أن الصراط مضروب على جسر جهنم، فيمر الناس كالبرق الخاطف[١]، وكالرِّيح، وكالجواد من الخيل، وعلى مراتب، ثم يسقط الكافر في جهنم وتأخذهم كلاليب[٢]، قالوا: فالجواز على الصراط هو الورود الذي تضمنته هذه الآية.

وقال مجاهد: وُرودُ المؤمنين هو الْحُمَّى التي تصيب في دار الدنيا[٣]، وفي الحديث: «الحُمَّى من فَيْح جهنم، فأَبْرِدوها بالماء»[٤]، وفي الحديث أيضاً: «الحُمَّى حظ كل مُؤمِنٍ من النار»[٥].

= (٢/ ٣٧٥) من طرق عن إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود.

(١) من المطبوع ونجيبويه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٣٣)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٨٤)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٧٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٣٣-٥٣٤)، ومسلم (٢٢٠٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٥) روي عن جماعة من الصحابة، لا يسلم واحد منها من مقال، وقد يتقوى الحديث بمجموعها، وبعضها أعل بالوقف، وقد روي من حديث أنس وابن مسعود وأبي أمامة وأبي هريرة وعثمان وسعد ابن معاذ وأبي ريحانة وعائشة، أما حديث أنس فأخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٩٥) وتفرد به: سليمان ابن داود الشاذكوني، وليس بعمدة، وأما حديث ابن مسعود فرواه القضاعي في مسند الشهاب (٦٢) من طريق: أحمد بن راشد الهلالي حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن الحسن بن صالح عن الحسن بن عمرو عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود مرفوعاً، وسنده ضعيف، من أجل أحمد ابن راشد الهلالي اتهمه الذهبي بأنه اختلق خبراً باطلاً في ذكر بني العباس، كما في الميزان (١/ ٩٧).

وأما حديث أبي أمامة فأخرجه أحمد (٣٦/ ٦٠٨) وغيره من طريق: محمد بن مطرف أبي غسان الليثي عن أبي الحصين عن أبي صالح الأشعري عن أبي أمامة مرفوعاً. ورجاله ثقات غير أبي الحصين وهو الفلسطيني، قال الذهبي: «تفرد عنه أبو غسان محمد بن مطرف». وكأنه مجهول.

وأما حديث أبي هريرة فالصواب أنه من قول كعب الأحبار كما قاله الدارقطني في العلل أيضاً (١٠/ ٢٢١).

وأما حديث عثمان فأخرجه العقيلي في ضعفائه (٢/ ٢٨٧) من حديث فضل بن حماد الواسطي حدثنا عبد الله بن عمران القرشي حدثنا مالك بن دينار عن معبد الجهني عن عثمان به مرفوعاً. وقال العقيلي: إسناده غير محفوظ والمتن معروف بغير هذا الإسناد وقد روي في هذا أحاديث مختلفة في الألفاظ بأسانيد صالحة.اهـ.

وأما حديث سعد بن معاذ فرواه ابن سعد في الطبقات من طريق: إسماعيل بن مسلم العبدي =

وروى أبو هريرة: أن رسول الله ﷺ قال لرجل مريض[١] عاده من الحُمَّى: «إن الله تعالى يقول: هي ناري أُسَلِّطها على عبدي المؤمن؛ لتكون حظه من نار الآخرة»[٢]، فهذا هو الورود.

و«الحَتْمُ»: الأمر المنفذ المجزوم[٣].

وقرأ أُبيُّ بن كعب، وابن عباس: (ثَمَّ ننجي) بفتح الثاء من ثم على الظرف، وقرأ ابن أبي ليلى: (ثَمَّه) بفتح الثاء وهاء السكت[٤].

وقرأ نافع وابن كثير، وجمهور الناس: ﴿نُنَجِّى﴾ بفتح النون الثانية وشد الجيم.

وقرأ يحيى، والأعمش: ﴿نُنْجِي﴾ بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم[٥].

وقرأت فرقة: (نُجِّي) [بنون واحدة مضمومة وجيم مشددة][٦].

وقرأ علي بن أبي طالب: (ثَمَّ) بفتح الثاء (نُنَحِّي) بالحاء غير منقوطة[٧].

و﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ معناه: اتقوا الكفر، وقال بعض العلماء: لا يضيع أحدٌ بين الإيمان والشفاعة.

= حدثنا أبو المتوكل أن سعد بن معاذ ذكر له... مرفوعاً. وهذا منقطع.

وأما حديث أبي ريحانة فذكره البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٦٣)، وأخرجه غير واحد وهو من حديث عصمة بن سالم الهنائي عن الأشعث بن جابر الحداني عن شهر بن حوشب عن أبي ريحانة الأنصاري به مرفوعاً. وإسناده لين.

وأما حديث عائشة فالمحفوظ فيه الوقف كما قاله الدارقطني في العلل (١٤/ ٢٥٧).

(١) ليس في المطبوع ونجيبويه.

(٢) سبقت الإشارة إليه في التخريج السابق.

(٣) كتبت في المطبوع: «المجذوم».

(٤) وهما شاذتان، انظر الأولى في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٣)، والثانية في مختصر الشواذ (ص: ٨٩).

(٥) أبعد بها، فهما سبعيتان، والتخفيف للكسائي، انظر: التيسير (ص: ١٤٩).

(٦) في المطبوع: «بضم النون الواحدة وشد الجيم وكسرها»، وهي شاذة، تابعه عليه في البحر المحيط (٧/ ٢٨٩).

(٧) وهي شاذة، تابعه عليه في البحر المحيط (٧/ ٢٨٩).

و(نَذَرُ) دالَّة على أنهم كانوا فيها، و«الظُّلْمُ» هنا: هو ظُلْم الكفر.

وقد تقدم القول في قوله: ﴿جِثِيًّا﴾.

وقرأ ابن عباس: (الَّذِينَ اتَّقَوْا مِنهَا وَنَتْرُكُ الظَّالِمِينَ)[١].

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ / فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴿٧٥﴾﴾. [٤/ ١٦]

قرأ الأعرج، وابن محيصن، وأبو حيوة: (يُتْلَى) بالياء من تحت[٢].

وسبب هذه الآية أن كفار قريش لما كان الرجل منهم يكلم المؤمن في معنى الدين فيقرأُ المؤمن عليه القرآن، ويبهره بآيات النبي ﷺ، كان الكافر منهم يقول: إن الله إنما يُحسْن لأَحب الخلق إليه، وإنما يُنْعم على أهل الحق، ونحن قد أنعم علينا دونكم، فنحن أغنياءُ وأنتم فقراءُ، ونحن أحسن مجلساً وأجمل شارةً[٣]، فهذا المعنى ونحوه هو المقصود بالتوقيف في قوله: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾.

وقرأ نافع، وابن عامر[٤]: ﴿مَّقَامًا﴾ بفتح الميم، و﴿لا مَقامَ لكم﴾ [الأحزاب: ١٣] بالفتح أيضاً[٥]، وهو المصدر من قام، أو الظرف منه في موضع القيام، وهذا يقتضي لفظ المقَام، إلَّا أن المعنى في هذه الآية يحرز[٦] أنه واقع على الظرف فقط، وقرأا: ﴿في مُقامٍ أَمينٍ﴾ [الدخان: ٥١][٧] بضم الميم.

---

(١) شاذة مخالفة لمصاحف المسلمين ولم نجد له فيها خلفاً ولا سلفاً.

(٢) وهي شاذة، تابعه عليه في البحر المحيط (٧/ ٢٩٠).

(٣) في الأصل: «ثارة».

(٤) في المطبوع: «وابن عباس رضي الله عنه»، ولعله خطأ.

(٥) «أيضاً» ليست في المطبوع.

(٦) في المطبوع ونجيبويه: «يجوز».

(٧) هي سبعية، ويعني ابن عامر ونافعاً، وفي المطبوع وأكثر النسخ الخطية: «وقرأ أبي رضي الله عنه»، والمثبت من أحمد٣ والإماراتية٢، وهو الموافق لنص ابن مجاهد في السبعة في القراءات (ص: ٤١١).

وقرأ ابن كثير: ﴿مُقَاماً﴾ بضم الميم[١]، وهو ظرف من أقام، وكذلك أيضاً يجيء من المصدر منه مثل ﴿مُجْرَاها وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١]، وقرأ: ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ و﴿لا مَقَامَ لَكُمْ﴾ بالفتح.

وقرأ أبو عمرو، والكسائي، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم جميعَهُنَّ بالفتح.

وروى حفصٌ عن عاصم: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بالضم[٢].

و«النَّدِي» و«النَّادي»: المجلس فيه الجماعة، ومنه قول حاتم الطائي:

[أحذ الكامل]

ودُعيتُ في أُولى النَّدِيِّ وَلَمْ ... يُنْظَرْ إِلَيَّ بِأَعْيُنٍ خُزْرِ[٣]

وقوله: ﴿وَكَمْ﴾ مخاطبة من الله تعالى لمحمد، خبر يتضمن كسر حُجَّتهم واحتقار أمرهم؛ لأن التقدير: هذا الذي افتخروا به لا قَدْر له عند الله، وليس بِمُنْجٍ لهم، فكم أهلك الله من أُمم لمَّا كفروا وهم أَشَدُّ من هؤلاء وأكثر أموالاً وأجمل منظراً.

و«القَرْنُ»: الأُمَّة يجمعها العصر الواحد، واختلف الناس في قدر المُدَّة التي إذا اجتمعت أُمة سُمِّيت تلك الأُمة قرناً، فقيل: مئة سنة، وقيل: ثمانون سنة، وقيل: سبعون، وقد تقدم القول في هذا غير مرة.

و«الأَثاثُ»: المالُ العَيْن والعَرَض والحيوان، وهو اسمٌ عام، واختلف هل هو جمع أو إفراد؟:

فقال الفراءُ: هو اسمُ جَمْع لا واحد له من لفظه كالمتاع[٤].

---

(١) فضمها وحده والباقون بالفتح، وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٤٩).

(٢) وانظر هذه القراءات في: السبعة (ص: ٤١١)، وكلها سبعية، وستأتي في مواضعها.

(٣) انظر نسبته له في: الأمالي للقالي (٢/ ١٧١)، وتفسير الطبري (١٨/ ٢٣٨)، ومجاز القرآن (٢/ ١٠)، والصحاح للجوهري (٢/ ٢٠٧).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٧١).

وقال خلف الأحمر[١]: هو جَمْعٌ واحده أثاثة، كحمامَةٍ وحمامٍ[٢]، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] أَشَـاقَتْـكَ الظَّعائِـنُ يَـوْمَ بـانُـوا ... بِذِي الزي الْجَميلِ مِنَ الأَثاثِ[٣]

وأنشد أبو العباس:

[الوافر] لَقَـدْ عَلِمَـتْ عُرَيْنَةُ حَيْـثُ كانُوا ... بِـأَنّـا نَحْـنُ أَكْثَـرُهُـمْ أَثـاثـا[٤]

وقرأ نافع بخلاف وأهل المدينة: ﴿وَرِيّاً﴾ بياءٍ مشددة.

وقرأ ابن عباس فيما روي عنه، وطلحة: (وَرِياً) بياءٍ مخففة.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿وَرِءۡيًا﴾ بهمزة بعدها ياءٌ، على وزن رِعْياً، ورويت عن نافع، وابن عامر، رواها أشهب عن نافع.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: (وَرِيْئاً) بياءٍ ساكنة بعدها همزة[٥]، وهو على القلب، وزنها فِلْعَا، وكأنه من راءَ، وقال الشاعر:

---

(١) هو خلف بن حيّان، أبو محرز، كان عالماً بالغريب والنحو والنّسب والأخبار، كثير الشعر جيّده، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعراً منه، وكان مولى لأبي بردة بن أبي موسى الأشعريّ، أعتقه مع أبويه، وكانا فرغانيّين، انظر: الشعر والشعراء (٢/ ٧٧٦).

(٢) نقله عنه في شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١/ ١٢٨).

(٣) البيت لمحمد بن نمير الثقفي، كما في الكامل للمبرد (٢/ ١٧٧)، وقد تقدم في الآية (٨٠) من سورة النحل، وفي المطبوع: «الرِّئْي».

(٤) لم أقف على هذا البيت لغير المؤلف، والذي في كتب المبرد المتوفرة هو البيت الذي قبله، وعُرَيْنَةُ حيٌّ من اليمن.

(٥) أربع قراءات منها اثنتان سبعيتان: الأولى لقالون وابن ذكوان، والثالثة للباقين كما في التيسير (ص: ١٤٩)، وانظر عزو الثانية لرواية أشهب في السبعة (ص: ٤١٢)، ولطلحة وابن عباس في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٨)، وذكر الرابعة تجويزاً، وعزاها لأبي بكر في البحر المحيط (٧/ ٢٩١) من رواية الأعمش عن عاصم وحميد، وعزاها في جامع البيان (٣/ ١٣٤٦) لابن مخلد عن البزّي، وضعفها.

وكُلُّ خَليـلٍ راءَنـي فَهْـوَ قائِـلٌ مِنَ اجْلِكِ هذا هامَةُ الْيوْمِ أوْ غَدِ[١] [الطويل]

فأَما القراءتان المهموزتان فهما من رؤية العين، الرِّئْيُ اسمُ المَرْئي الظاهر للعين كالطِّحْن والسِّقي، قال ابن عباس: الرِّئْي: المنظر[٢]، قال الحسن: ﴿وَرِءۡيٗا﴾ معناه: صوراً[٣]، وأما المشدَّدة الياء فقيل: هي بمعنى المهموزة [إلا أن الهمزة][٤] خففت لتستوي رؤُوس الآي.

وذكر منذر بن سعيد عن بعض أهل العلم أنه من الرِّي في السَّقي[٥]، كأنه أراد أنهم خير منهم بلاداً وأطيب أرضاً وأكثر نعماً؛ إذْ جملة النِّعم إنما هي من المطر، وأما القراءة المخففة الياء فضعيفة الوجه، وقد قيل: هي لحنٌ.

وقرأ سعيد بن جبير، ويزيد البربري، وابن عباس أيضاً: (وَزِيّاً) بالزاي[٦]، وهي بمعنى الملبس وهيئته، تقول: زَيَّيْتُ بمعنى: زَيَّنْتُ.

وأما قوله: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ الآية فقولٌ يحتمل معنيَيْن:

أحدهما: أن يكون بمعنى الدعاء والابتهال، كأنه يقول: الأَضَلُّ منا ومنكم مدَّ اللهُ له حتى يؤُول ذلك إلى عذابه.

---

(١) البيت لكثيِّر، كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٦٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٩٥)، والأغاني (١٥/ ١٤٠)، والكامل للمبرد (٢/ ١٨٨)، وجاء في العقد الفريد (٦/ ٧٠) منسوباً لابن أبي جمعة، فلعله هو كثير.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٤١) من طريق أبي ظبيان حصين بن جندب، وعلي بن أبي طلحة، وعطية العوفي جميعاً عن ابن عباس.

(٣) ليست في المطبوع ونجيبويه، وفيهما: بمعناه، والذي في تفسير الطبري (١٨/ ٢٤١) عن الحسن: الأثاث: أحسن المتاع، والرِّئي: قال: المال. وذكر عن قتادة، قوله: ﴿أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا﴾ قال: أحسن صوراً، وأكثر أموالاً.

(٤) ليس في الأصل.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها له في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٨).

والمعنى الآخر: أن يكون بمعنى الخبر كأنه يقول: من كان ضالاً من الأمم فعادة الله فيه أن يمد له ولا يعاجله حتى يُفْضي ذلك إلى عذابه في الآخرة.

فاللام في قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ على المعنى الأول لَامُ رغبة في صيغة أمر، وعلى المعنى الثاني لَامُ أمر دخلت على معنى الخبر ليكون أوكدَ وأقوى، وهذا موجود في كلام العرب وفصاحتها.

قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرٌّ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ۝٧٥ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ۝٧٦ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ۝٧٨ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ۝٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ۝٨٠﴾.

﴿حَتَّىٰٓ﴾ في هذه الآية حرف ابتداءٍ دخلت على جملة، وفيها معنى الغاية، و﴿إِذَا﴾ شرطٌ، وجوابها في قوله: ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾.

و«الرُّؤْيَةُ»: رُؤْية العين.

و﴿ٱلۡعَذَابَ﴾ و﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ بدلٌ من ﴿مَا﴾ التي وقعت عليها ﴿رَأَوۡاْ﴾.

و﴿إِمَّا﴾ هي المدخلة للشك في أول الكلام، والثانية عطف عليها.

و﴿ٱلۡعَذَابَ﴾: يريد به عذاب الدنيا، ونُصْرَةَ المؤمنين عليهم، و«الجُنْد»: النُّصْرةُ والقائمون بأمر الحرب.

و﴿شَرٌّ مَّكَانٗا﴾ بإزاء قولهم: ﴿خَيۡرٞ مَّقَامٗا﴾، و(أَضْعَفُ جُنْداً) بإزاء قولهم: (أَحْسَنُ نَدِيّاً).

ولما ذكر ضلالة الكفرة، وارتباكهم[1] في الامتحان[2] بنعم الدنيا، وعماهم

(١) في نجيبويه: «وارتكابهم».

(٢) في أحمد٣ ونجيبويه ونور العثمانية: «الافتخار».

عن الطريق المستقيم، عقب ذلك بذكر نعمته على المؤمنين، في أنه يزيدهم هُدىً في الارتباط إلى الأعمال الصالحة، والمعرفة بالدلائل الواضحة، وزيادة العلم دأباً، قال الطبري عن بعضهم: المعنى: بناسخ القرآن ومنسوخه(١).

قال القاضي أبو محمد: وهذا مثالٌ.

وقوله: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ إشارةٌ إلى ذلك الهدى الذي يزيدهم الله تعالى؛ أي: وهذه / النعم على هؤلاء خَيْرٌ عند الله ثواباً وخير مرجعاً، والقول في زيادة الهُدَى سهلٌ بَيِّنُ الوجوه. [٤/ ١٧]

وأما (البَاقِيَاتُ الصَّالحَاتُ):

فقال بعض العلماء: هو كلُّ عملٍ صالح يرفع الله به درجة عامله(٢).

وقال الحسن: هي الفرائض(٣).

وقال ابن عباس: هي الصلوات الخمس(٤).

ورُوي عن النبي ﷺ أنها الكلمات المشهورات: «سبحان الله، والحمد لله، ولا

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٤٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٩٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٣٥).

(٣) تفسير يحيى بن سلام (١/ ٢٤٠).

(٤) في إسناديه لين، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٢)، والثوري (ص: ١٨٩)، والطبري (١٨/ ٣٣) من طريق عبد الله بن مسلم بن هرمز، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره، وعبد الله بن مسلم بن هرمز المكي ضعيف، وأخرجه الطبري (١٨/ ٣٢) من طريق يعقوب ابن كاسب، عن عبد الله بن عبد الله الأموي، عن عبد الله بن يزيد بن هرمز، عن عبيد الله بن عتبة، عن ابن عباس رضي الله عنه به. وعبد الله بن عبد الله الأموي لين الحديث، وعبد الله بن يزيد بن هرمز قال أبو حاتم: ليس بقوي، يكتب حديثه، وهو أحد فقهاء المدينة، وقال ابن يونس في تاريخ مصر: فيه نظر، وقال ابن شاهين في تاريخ أسماء الثقات (٦٨١) عبد الله بن يزيد بن هرمز روى عنه أبو مسهر، وقال: كان ثقة. انظر: الجرح والتعديل (٥/ ١٩٩)، وذيل الميزان للعراقي (٥٠٤).

إله إلَّا الله، والله أكبر»[١]، وقد قال ﷺ لأبي الدرداء: «خُذْهُنَّ قبل أن يحال بينك وبينهن، فهُنَّ الباقيات الصالحات، وهُنَّ من كُنوز الجنَّة»[٢].

وروي عنه ﷺ أنه قال يوماً: «خُذُوا جُنَّتكم»، قالوا: يا رسول الله، أَمِنْ عدوٍّ حضر؟ قال: «من النار»، قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر، هنَّ الباقيات الصالحات»، وكان أبو الدرداءِ يقول إذا ذكر هذا الحديث: لأُهَلِّلَنَّ ولأُكبِّرَنَّ الله ولأُسبِّحَنَّهُ حتى إذا رآني الجاهل ظنَّني مجنوناً[٣].

قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ الآية، الفاءُ في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ عاطفة بعد ألف الاستفهام، وهي عاطفة جملة على جملة.

و﴿ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ يعني به العاصي بن وائل السهمي، قاله جمهور المفسرين.

---

(١) لا يصح، جاء في هذا الباب حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه أبو يعلى (١٤٨٤)، وابن حبان (٨٤٠)، والطبراني في الدعاء (١٦٩٦-١٦٩٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥١٢-٥١٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٠٥)، والبغوي في شرح السنة (١٢٨٢) من طريق دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ الباقِياتِ الصَّالِحاتِ»، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «المِلَّة»، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «التَّكْبِيرُوالتَّهْلِيلُ والتَّسْبِيحُ، والحَمْدُ، ولا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بالله»، ورواية دراج عن أبي السمح ضعيفة، وسيأتي حديثان آخران في إسناديهما ضعف.

(٢) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٢)، وابن ماجه (٣٨١٣)، والطبري (١٨/ ٢٤٥)، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٦٧٥) من طريق عمر بن راشد، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي الدرداء، مرفوعاً، وسنده ضعيف؛ من أجل عمر بن راشد أبي حفص اليمامي قال فيه البخاري: حديثه عن ابن أبي كثير مضطرب ليس بالقائم، وقال ابن حبان: يضع الحديث لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح فيه.

(٣) في إسناده ضعف، أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦١٧)، والطبراني في الأوسط (٤٠٢٧)، وفي «الصغير» (١/ ١٤٥)، والبيهقي في الشعب (٦٠٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٤١) من طريق عبد العزيز بن مسلم، عن محمد بن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة به مرفوعاً. وإسناد ابن عجلان هذا فيه كلام معروف.

وكان خبره أن خَبَّاب بن الأَرَتِّ كان قَيْناً في الجاهلية، فعمل له عملاً، فاجتمع له عنده دين، فجاءه يتقاضاه، فقال له العاصي: لا أنصف[١] حتى تكفر بمحمد، فقال خَبَّاب: لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك، قال العاصي: أَوَمبعوثٌ أنا بعد الموت؟ قال خبَّاب: نعم، قال: فإنه إذا كان ذلك فسيكون لي مالٌ وولد، وعند ذلك أقضيك دينك، فنزلت الآية في ذلك[٢].

وقال الحسن: نزلت الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي[٣]، قد كانت للوليد أيضاً أقوالٌ تشبه هذا الغرض.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿وَوَلَدًا﴾ على معنى اسم الجنس، بفتح الواو واللام، وكذلك كل ما في سائر القرآن، إلَّا في سورة نوح: ﴿مالُهُ وَوُلْدُهُ﴾ [نوح: ٢١]، فإنهما[٤] قرأا بضم الواو وسكون اللام.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر بفتح الواو واللام[٥] في كل القرآن.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿وَوُلْداً﴾ بضم الواو وسكون اللام، وكذلك في جميع القرآن[٦].

وقرأ ابن مسعود: (وِلْداً) بكسر الواو وسكون اللام[٧].

---

(١) في المطبوع: «أقضيك»، وفي أحمد٣ ونجيبويه: «أنصفك».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥) من حديث خباب رضي الله عنه.

(٣) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٨٧)، وزاد المسير (٥/ ٢٦٠).

(٤) في الأصل: «فإنما»، وفي نجيبويه: «فإنه قرأ».

(٥) من أحمد٣ والإماراتية١.

(٦) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٤٩)، والسبعة (ص: ٤١٢).

(٧) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٣)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٨٩) ليحيى بن يعمر.

واختُلِف مع ضم الواو:

فقال بعضهم: هو جَمْع وَلَد كأَسَد وأُسْد، واحتجوا بقول الشاعر:

[مجزوء الكامل] فَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِراً قَدْ ثَمَّرُوا مالاً وَوُلْدا[1]

وقال بعضهم: هو مفرد[2]، [بمعنى الولد][3]، واحتجوا بقول الشاعر:

[الطويل] فَلَيْتَ فُلاناً كانَ في بَطْنِ أُمِّهِ وَلَيْتَ فُلاناً كانَ وُلْدَ حِمَارِ[4]

قال أبو عليٍّ: وفي قراءة حمزة والكسائي ما كان مفرداً قصد به المفرد، وما كان جمعاً قصد به الجمع[5].

وقال الأخفش: الوَلد: الابن والابنة[6]، والوُلْد: الأهل والوالد.

وقال غيره: الوَلَد: بطن الرجل الذي هو منه، حكاه أبو علي في «الحجة»[7].

وقوله: ﴿أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ﴾ توقيف، والألف للاستفهام، وحذفت في الوصل للاستغناء عنها.

و«اتِّخاذُ العهد» معناه: بالإيمان والأعمال الصالحة.

و﴿كَلَّا﴾ زجرٌ وردٌّ[8].

ثم أخبر تعالى أن قول هذا الكافر سيكتب، على معنى حِفْظه عليه ومعاقبته به.

---

(١) البيت للحارث بن حِلِّزة، كما في تفسير الطبري (١٨/ ٢٤٧)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٨٧).

(٢) من المطبوع والإماراتية١و٢ ونور العثمانية.

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) تقدم في تفسير الآية (٤١) من سورة إبراهيم.

(٥) الحجة للفارسي (٥/ ٢١١).

(٦) ليس في المطبوع ونجيبويه والإماراتية١، وقول الأخفش لم أجده.

(٧) انظر: الحجة (٥/ ٢١١).

(٨) في المطبوع وأحمد٣: «وردعٌ».

وقرأ: ﴿سَنَكۡتُبُ﴾ بالنون أبو عمرو، والحسن، وعيسى، وقرأ عاصم، والأعمش: (سَيُكْتَبُ) بياءٍ مضمومة[١].

و«مَدُّ العذاب»: هو إطالته وتعظيمه.

وقوله تعالى: ﴿مَايَقُولُ﴾؛ أي: هذه الأشياءُ التي سمَّى[٢] أنه يُؤتاها في الآخرة يَرِثُ الله ماله منها في الدنيا بإهلاكه وتركه لها، فالوراثة مستعارة.

ويحتمل أن تكون خيبته في الآخرة كوراثة ما أَمَّل.

وفي حرف ابن مسعود: (ونرثه ما عنده)[٣].

وقال النحاس: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَايَقُولُ﴾ معناه: نَحْفَظُه عليه فنعاقبه[٤].

ومنه قول النبي ﷺ: «العلماءُ ورثة الأنبياء»[٥]؛ أي: حفَظةُ ما قالوا.

---

(١) الأولى هي المتواترة، والثانية شاذة، انظر عزوها للأعمش في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٣)، ولم أجدها لعاصم.

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «سماها وقالَ».

(٣) وهي شاذة، انظر عزوه له في: الهداية لمكي (٧/ ٤٥٨٩).

(٤) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٥٨)، في أحمد٣: «لنعاقبه».

(٥) له طرق، قيل: إنها تدل أن له أصلًا، هذا جزء من حديث أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (٤٧)، وأحمد (٥/ ١٩٦)، والترمذي (٢٦٨٢) من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة، عن قيس بن كثير، عن أبي الدرداء رضي الله عنه. وقيس بن كثير، وقيل: كثير بن قيس الشامي، وهو ضعيف، قال الترمذي: ولا نعرفه إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس هو عندي بمتصل، هكذا حدثنا محمود بن خداش بهذا الإسناد، وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ، وهذا أصح من حديث محمود بن خداش، ورأى محمد بن إسماعيل هذا أصح. اهـ.
وهذا الطريق الذي ذكره الترمذي أخرجه أبو داود (٣٦٤٣)، وابن ماجه (٢٢٣)، وابن حبان في صحيحه (٨٨) من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً، وأخرجه أبو داود (٣٦٤٤) من طريق الوليد بن مسلم، عن شبيب بن شيبة، عن عثمان بن أبي سودة، عن أبي الدرداء وقال أبوداود بمعناه. وشبيب بن شيبة مجهول، وأخرجه أبو يعلى كما في إتحاف الخيرة (١/ ٦٥) عن أبي همام، عن الوليد، عن رجل سماه أبو همام، عن عثمان بن =

فكأن هذا الجُرْم[(١)] يورث هذه المقالة.

وقوله: ﴿فَرْدًا﴾ يتضمن ذلَّته، وقلة انتصاره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦) لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٨٧)﴾.

(اتَّخَذَ): افتعَلَ من: (أخذ)، لكنه يتضمن إعْدَاداً من المتَّخِذ للمُتَّخَذِ[(٢)]، وليس ذلك في (أَخَذَ)، والضمير في (اتَّخَذُوا) لِعَبَدَة الأوثان، و«الآلهةُ»: الأصنامُ، وكُلُّ ما عُبِدَ من دون الله، ومعنى ﴿عِزًّا﴾ العموم في النُّصْرة والمنفعة وغير ذلك من أوجه الخير.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾ زجْرٌ وردٌّ[(٣)]، وهذا المعنى لازم لـ(كَلَّا)، فإنْ كان القول المردود

= أعين، عن أبي الدرداء به، بنحوه، وفيه رجل مبهم، وقد ذكره البخاري قولاً بلا رواية، فقال في باب: العلم قبل القول والعمل من كتاب العلم من صحيحه: وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة.

وقال الحافظ في الفتح (١/ ١٦٠): هذا طرف من حديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم مصححاً من حديث أبي الدرداء وحسنه حمزة الكناني وضعفه باضطراب في سنده.

لكن له شواهد يتقوى بها، ولم يفصح المصنف بكونه حديثاً، فلهذا لا يعد في تعاليقه، لكن إيراده له في الترجمة يشعر بأن له أصلاً، وشاهده في القرآن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾. اهـ.

قال السخاوي في المقاصد (٧٠٣): قوله «إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم» الحديث صححه ابن حبان والحاكم وغيرهما، وحسنه حمزة الكناني، وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها، ولذا قال شيخنا: له طرق يعرف بها أن للحديث أصلاً، ولفظ الترجمة عند الديلمي من حديث محمد بن مطرف عن شريك عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب بزيادة: «يحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا»، وكذا أورد لفظ الترجمة بلا سند عن أنس بزيادة: «وإنما العالم من عمل بعلمه».اهـ.

(١) في أحمد٣ والحمزوية ونور العثمانية والإماراتية١: «المجرم».

(٢) ليس في الأصل ونور العثمانية.

(٣) في أحمد٣: «ردع».

منصوصاً عليه بان المعنى، وإن لم يكن منصوصاً عليه فلا بدَّ من أمر مردود يتضمنه القول كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [العلق: ٦]، فإن قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥] يتضمن مع ما قبله أن الإنسان يزعم من نفسه ويرى أن له حوْلاً مَّا، ولا يتفكَّر جدّاً في أن الله علَّمه ما لم يعلم وأنعم عليه بذلك، [وإلا كان مغمور جهل][(١)].

وقرأ الجمهور: ﴿كَلَّا﴾ على ما فَسَّرْناه.

وقرأ أبو نهيك: (كَلّاً) بفتح الكاف والتنوين، حكاه عنه أبو الفتح، وهو نعت للآلهة.

وحكى عنه أبو عمرو الداني: (كُلّاً) بضم الكاف والتنوين[(٢)]، وهو منصوب بفعل مضمر يدلُّ عليه ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾، تقديره: يرفضون، أو يتركون، أو يجحدون، أو نحوه.

واختلف المفسرون في الضمير الذي في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ وفي ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾:

فقالت فرقة: الأول للكفار والثاني للمعبودين، والمعنى: أنه سيجيءُ يوم القيامة من الهول على الكفار والشدة ما يدفعهم إلى جحد الكفر وعبادةِ الأوثان، وذلك كقوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقالت فرقة: الأول للمعبودين والثاني للكفار، والمعنى: أن الله تعالى يجعل للأصنام حياةً تنكر بها ومعها عبادة الكفار وأن يكون لها من ذلك ذنب، وأما المعبودون من الملائكة وغيرهم فهذا منهم بَيِّنٌ.

وقوله: ﴿ضِدًّا﴾ معناه: يجيئُهم منه خلاف ما كانوا أَمَّلُوه، فيؤول بهم ذلك إلى ذِلَّةٍ ضدَّ ما أَمَّلُوه / من العز، وهذه صفة عامة. [٤/ ١٨]

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) وكلاهما شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٤٤)، وانظر نقل الداني في: تفسير القرطبي (١١/ ١٤٩).

وقال قتادة: معناه: قُرَنَاءَ[١]، وقال ابن عباس: معناه: أعواناً[٢].

وقال الضحاك: أعداءً، وقال ابن زيد: بلاءً[٣].

وقيل غير هذا مما لفظ القرآن أعمُّ منه وأجمعُ للمعنى المقصود، والضِّدُّ هنا مصدرٌ يوصف به الجمع كما يوصف به الواحد.

وحكى الطبري عن ابن نهيك أنه قرأ: (كلٌّ) بالرفع، ورفعها بالابتداء[٤].

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ الآية، «الرُّؤْيةُ»: رؤْية قلب، و﴿أَرْسَلْنَا﴾ معناه: سَلَّطنا، أو لم نَحُل بينهم وبينهم فهو تسليط، وهو مثل قوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ [الزخرف: ٢٦]، وتعديته بـ(عَلَى) دالَّة على أنه تسليط.

و﴿تَؤُزُّهُمْ﴾ معناه: تُقْلقهم وتحركهم إلى الكفر والضلال، وقال قتادة: تزعجهم إزعاجاً، وقال ابن زيد: تُشْليهم إشلاءً[٥]، ومنه أَزيز القِدْر، وهو غَلَيَانه، ومنه ما في الحديث: أتيت رسول الله ﷺ فوجدته يصلي وهو يبكي، ولصدره أزيز كأزيز المرجل[٦].

وقوله: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾، أي: فلا تستبطئْ عذابهم، وتُحب تعجيله.

---

(١) في حاشية المطبوع: في الأصول: «فِرَقاً»، والتصويب عن الطبري وغيره من المفسرين الذين نقلوا قول قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٥٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر أقوال قتادة والضحاك وابن زيد في تفسير الطبري (١٨/ ٢٥١)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٨٩)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٩١).

(٤) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٥١).

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (١٨/ ٢٥٢)، وانظر: الهداية لمكي (٧/ ٤٥٩١)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٨٩).

(٦) إسناده قوي، أخرجه أحمد (٤/ ٢٥)، وأبو داود (٩٠٤)، وأبو يعلى (١٥٩٩)، والنسائي (١٢١٣)، وفي الكبرى (٥٤٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٤)، وابن خزيمة (٩٠٠)، وابن حبان (٧٥٣) وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه مرفوعاً، وأخرجه النسائي أيضاً من طريق: عبد الكريم بن رشيد، عن ابن الشخير، عن أبيه.

وقوله: ﴿نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا﴾؛ أي: مُدَّة نعمتهم وقبيح أعمالهم لنصير بهم إلى العذاب إمَّا في الدنيا، وإلَّا ففي الآخرة، وقال ابن عباس: نعدُّ أنفاسهم[١].

قال القاضي أبو محمد: وما تضمنته هذه الألفاظ من الوعيد بعذاب الآخرة هو العامل في قوله: ﴿يَوۡمَ﴾، ويحتمل أن يعمل فيه فعل[٢] مقدر، تقديره: واذكر، أو احْذَر، ونحو هذا.

و«الحَشْرُ»: الجمعُ، وقد صار في عرف ألفاظ الشرع: البعث من القبور.

وقرأ الحسن: (يَوْمَ يُحْشَرُ الْمُتَّقُونَ)، و(يُسَاقُ الْمُجْرِمُونَ).

وروي عنه: (ويسوقُ الْمُجْرِمين) بالياء[٣].

و«المُتَّـقُونَ»: المؤمنون الذين غفر لهم.

وظاهر هذه الوِفادة أنها بعد انقضاء الحساب، وإنما هي النهوض إلى الجنة، وكذلك سَوْقُ المجرمين إنما هو لدخول النار.

و﴿وَفۡدٗا﴾: قال المفسرون: معناه: رُكْبَاناً، وهي عادة الوفود؛ لأنهم سَراة الناسِ، وأحسنهم شكلاً، فشبَّه أهل الجنة بأولئك، لا أنهم في معنى الوفادة؛ إذ هو مُضَمَّن الانصراف، وإنما المراد تشبيههم بالوفد هيئة وكرامة، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنهم يجيئون رُكْباناً على النُّوق الـمُحَلَّاة بحلية الجنة، خُطُمها من ياقوت وزبرجد ونحو هذا[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٥٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في الأصل: «لفظ».

(٣) «بالياء» ليست في المطبوع، وهما شاذتان، انظر الأولى في مختصر الشواذ (ص: ٨٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٠٤)، وعزا الثانية في زاد المسير (٥/ ٢٦٣) لابن مسعود وأبي عمران الجوني، ولم أجدها للحسن.

(٤) في نجيبويه: ويجوز هذا، والأثر ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥١٤٨)، وعبد الله ابن أحمد في زوائده (١/ ١٥٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٥)، والبيهقي في شعب الإيمان =

وروى عمرو بن قيس الـمُلَائيُّ[١]: أنهم يركبون على تماثيل من أعمالهم الصالحة هي في غاية الحُسْن[٢]، ورُوي: أنهم يركب كل واحد منهم ما أحبَّ، فمنهم من يركب الإبل، ومنهم من يركب الخيل، ومنهم من يركب السُّفُن فتجيءُ عائمة بهم، وقد وَرَد في الضحايا: «إنها مطاياكم إلى الجنة»[٣]، وفي أكثر هذا بُعْدٌ لكن ذكرناه بحسب الجمع للأقوال.

و«السَّوْقُ»: يتضمن هواناً؛ لأنهم يُحْفَزُون من ورائهم.

و«الوِرْدُ»: العِطاش، قاله ابن عباس، وأبو هريرة[٤]، والحسن[٥]، وهم القوم الذين يحتفزون[٦] من عطشهم لورود الماء.

ويحتمل أن يكون المصدر، والمعنى: نوردهم وِرْداً، وهكذا يجعله من رأى في القرآن أربعة أوراد [في النار][٧]، وقد تقدم ذكر ذلك [في هذه السورة][٨].

= (٣٥٨) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي رضي الله عنه به، وإسناده ضعيف؛ لضعف عبد الرحمن بن إسحاق أبي شيبة الواسطي، وجهالة النعمان بن سعد.

(١) هو عمرو بن قيس الكوفي الملائي البزاز، روى عن عكرمة وعطية العوفي وأبي إسحاق والحكم ابن عتيبة، وعنه سفيان الثوري وجماعة، وكان ورعاً عابداً خيراً حافظاً لحديثه، قال الثوري: وكان يتبرك به، وقال أبو زرعة: ثقة مأمون، تاريخ الإسلام (٩/ ٢٤٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٢٧) و(١٨/ ٢٥٥)، والهداية لمكي (٧/ ٤٥٩٤).

(٣) لا يوقف عليه مسنداً، وقد ذكره ابن الملقن في البدر المنير (٩/ ٢٧٣) بلفظ: «عظموا أضحياكم فَإِنَّهَا عَلَى الصِّرَاط مَطَايَاكُم»، وقال: هذا الحديث لا يحضرني مَن خرجه بعد البحث الشديد عنه، وقال ابن الصلاح في كلامه على الوسيط: إنه غير معروف ولا ثابت فيما علمناه، وقال ابن العربي في عارضة الأحوذي (٦/ ٢٨٨): ليس في فضل الأضحية حديث صحيح، ومنها قوله: «إِنَّهَا مَطَايَاكُمْ إِلَى الْجنَّة».

(٤) أما أثر عبد الله بن عباس فقد أخرجه الطبري (١٨/ ٢٥٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأما أثر أبي هريرة رضي الله عنه فقد أخرجه الطبري (١٨/ ٢٥٥) من طريق شعبة، عن إسماعيل، عن رجل، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه رجل مبهم.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٥٥) الهداية لمكي (٧/ ٤٥٩٥).

(٦) في المطبوع: «ينحفزون»، وفي نجيبويه: «ينحفزون».

(٧) ليس في المطبوع ونجيبويه.

(٨) ليس في المطبوع.

واختلف المتأولون في الضمير في قوله: ﴿يَمۡلِكُونَ﴾ فقالت فرقة: هو عائد على ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾؛ أي: لا يَمْلِكُونَ أن يُشْفَع لهم، ولا سبيل لهم إليها، وعلى هذا التأويل فهم المشركون خاصة، ويكون قوله ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ استثناءً منقطعاً؛ أي: لكن من اتَّخَذ عهداً يُشفع له، و«العَهْدُ» على هذا: الإيمانُ، قال ابن عباس: العهدُ: لا إله إلَّا الله[١]، وفي الحديث: «يقول الله تعالى يوم القيامة: من كان له عندي عهد فليقم»[٢].

وفي الحديث: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاءَ بهن تامَّة كان له عند الله عهدٌ أن يُدخله الجنة»[٣].

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٥٥)، والطبراني في الدعاء (١٥٧٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) روي من كلام ابن مسعود بإسناد لا بأس به، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠١٤٠) عن وكيع، والطبراني في الكبير (٨٩١٨) من طريق عبد الله بن رجاء، وعاصم بن علي، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٧) من طريق عبد الرحمن بن سعد، جميعاً عن المسعودي، عن عون بن عبد الله، عن أبي فاختة، عن الأسود بن يزيد، قال: قرأ عبد الله بن مسعود: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ قال: يقول الله يوم القيامة: من كان له عندي عهد فليقم، قال: فقلنا: فعلِّمنا يا أبا عبد الرحمن، قال: قولوا: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، فإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر، وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعله لي عندك عهداً تؤديه إليَّ يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد، وإسناد الحاكم ليس فيه أبو فاختة، فإن صح فهو اضطراب من المسعودي، وظاهر هذا الانقطاع، والمسعودي: عبد الرحمن بن عبد الله ابن عتبة بن عبد الله بن مسعود الكوفي، صدوق اختلط قبل موته، ورواية وكيع عنه قبل الاختلاط.

(٣) صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (٢٦٨) رواية يحيى بن يحيى، والدارمي في سننه (١٥٧٧)، وأبو داود (١٤٢٢)، والنسائي في الكبرى (٣١٨) وغيرهم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، ولفظه: «خمس صلوات افترضهن الله تعالى، مَن أحسن وضوءهن، وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وخشوعهن؛ كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه».

و«العَهْـدُ» أيضـاً: الأمـان[١]، وبه فُسِّـر قوله تعالـى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

ويحتمل أن يكون «المجرمون» يعُمُّ الكفرة والعصاة، ثم أخبر أنهم لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إلَّا العصاةَ من المؤمنين فإنه يُشفع فيهم، فيكون الاستثناءُ متصلاً.

وقال رسول الله ﷺ: «لا أزال أشفع حتى أقول: يا رب شفِّعني فيمن قال: لا إله إلَّا الله، فيقول الله: يا محمد ليست لك، ولكنها لي»[٢].

وقالت فرقة: الضمير في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ للمتقين، وقوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾؛ أي: إلَّا من كان له عمل صالح مُبَـرِّز يحصل به في حيِّز من يشفع، وقد تظاهرت الأحاديث أن أهل العلم والفضل والصلاح يَشْفَعون فيُشَفَّعُون.

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «في أُمتي رجل يُدخل الله بشفاعته الجنة أكثر من بني تميم»[٣].

قال قتادة: وكنا نحدث أن الشهيد يشفع في سبعين[٤].

وقال بعض هذه الفرقة: معنى الكلام: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾؛ أي:

---

(١) في الأصل: «الإيمان»، والتصحيح من النسخ الأخرى.

(٢) أصل الحديث أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه، دون قوله: «فيقول الله: يا محمد ليست لك، ولكنها لي»، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٧٨٦) واللفظ له.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (١٨٨) من طريق سعيد بن بشير الدمشقي، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٣٠٤-٣٠٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٢٦) من طريق الحكم بن عبد الملك القرشي كلاهما (سعيد ـ والحكم) عن قتادة، عن أبي المليح، عن واثلة بن الأسقع، به، وسنده ضعيف لضعف سعيد والحكم.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٥٦)، ورواه عن الحسن أيضاً، انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٨).

لا يملك المتقون الشفاعة إلَّا لهذه الصنيفة[١]، فيجيءُ ﴿مَنِ﴾ في التأويل الواحد للشافعين، وفي الثاني للمشفوع فيهم.

وتحتمل الآية أن يراد بـ﴿مَنِ﴾ محمد ﷺ، وبالشفاعة الخاصة لمحمد ﷺ [لعامة الناس][٢]، ويكون الضمير في ﴿يَمْلِكُونَ﴾ لجميع أهل الموقف، ألا ترى أن سائر الأنبياء يتدافعون الشفاعة حتى تصير إليه، فيقوم إليها ﷺ مُدِلّاً[٣]، فالعهد ـ على هذا ـ النصُّ على أمر الشفاعة، وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩][٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾.

الضمير في ﴿قَالُوا۟﴾ للكفار من العرب في قولهم: الملائكة بنات الله، وللنصارى، ولكل من كفر / بهذا النوع من الكفر. [٤/ ١٩]

وقوله: ﴿جِئْتُمْ شَيْـًٔا﴾ بعد الكناية عنهم بمعنى: قل لهم يا محمد.

و«الإِدُّ»: الأمر الشنيع الصعب، وهي الدواهي والشُّنع العظيمة.

ويروى عن النبي ﷺ: أن هذه المقالة أوَّلَ ما قيلت في العالم شاكَ الشَّجَرُ، و[حدثت مرارة][٥]، واستعرت جهنمُ، وغضبت الملائكة[٦].

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «الصنيعة».

(٢) في أحمد٣ ونور العثمانية: «العامة للناس».

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «في قوله»، في نور العثمانية: «قوله»، دون واو.

(٥) ليس في المطبوع، وفي الحمزوية وأحمد٣ ونور العثمانية: «مرائره».

(٦) لا يصح، ذكره الديلمي في مسند الفردوس (٦٣٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، بنحوه ولم نقف له على إسناد.

وقرأ الجمهور: ﴿إِدًّا﴾ بكسر الهمزة، وقرأ أبو عبد الرحمن: (أَدًّا) بفتح الهمزة[١].

ويقال: إِدٌّ، وأَدٌّ، وآدٌّ بمعنىً[٢].

وقرأ ابن كثير هنا، وفي ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾: ﴿تَكَادُ﴾ بالتاءِ ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ بياءٍ وتاءٍ وفتح الطَّاءِ وشدِّها، ورواها حفصٌ عن عاصم، وقرأ أبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿تَكَادُ﴾ بالتاءِ ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ بياءٍ ونون وكسر الطاء، وقرأ نافع، والكسائي: ﴿يَكَادُ﴾ بالياء على زوال علامة التأنيث ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالياءِ والتاءِ وشدِّ الطاءِ وفتحها في الموضعين، وقرأ حمزة، وابن عامر في مريم مثل أبي عمرٍو، وفي ﴿عسق﴾ مثل ابن كثير[٣].

وقال أبو الحسن الأخفش: يَكَادُ بمعنى: يريد، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥][٤]، وأنشد على أن (كاد) بمعنى: (أراد) قولَ الشاعر:

[الكامل] كَادَتْ وكِدْتُ وتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ ... لَوْ عَادَ مِنْ زَمَنِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى[٥]

ولا حجَّة في هذا البيت، وهذا قول قَلِقٌ.

وقال الجمهور: إنما هي استعارة لشُنْعَة الأمر؛ أيْ: هذا حقُّه لو فهمت الجماداتُ قَدْره، وهذا المعنى مَهْيَع العرب، فمنه قول جرير:

[الكامل] لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ ... سُورُ المدينة والجِبَالُ الخُشَّعُ[٦]

---

(١) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٠٤).

(٢) «بمعنى» ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٣) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٥٠).

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٦)، وفي المطبوع: «أبو الحسن والأخفش» بالعطف.

(٥) البيت فيه، وفي تفسير الطبري (١٨/ ٢٨٨)، والمحتسب (٢/ ٣٠)، والصحاح للجوهري (٢/ ٩٥) بلا نسبة.

(٦) تقدم في تفسير الآية (٧٤) من سورة البقرة.

ومنه قول الآخر:

أَلَـمْ تَـرَ صَدْعـاً فـي السَّـمَاءِ مُبينـا عَلَى ابْن لُبَيْنى الحارث بن هشام[١] [الطويل]

وقال الآخر:

وأَصْبَـحَ بَـطْـنُ مَـكَّـةَ مُـقْشَـعِـرّاً كَأَنَّ الأَرْضَ لَيْـسَ بِهَـا هِشَـامُ[٢] [الوافر]

و«الانْفطَارُ»: الانشقاق على رتبة غير مقصودة، و«الهَدُّ»: الانهدام والتفرُّق في سرعة، قال محمد بن كعب: كاد أعداءُ الله أن يقيموا علينا الساعة[٣].

وقوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾ نفي على جهة التنزيه له عن ذلك، وقد تقدم ذكر هذا المعنى وأقسام هذا اللفظ في هذه السورة.

وقوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية، ﴿إِن﴾ نافيةٌ بمعنى: (ما).

وقرأ الجمهور: ﴿ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالإضافة.

وقرأ طلحة بن مصرِّف: (آتٍ الرحمنَ) بتنوين (آتٍ)، والنصب في النون[٤].

وقرأ ابن مسعود: (لَمَّا أَتَى الرَّحْمَن)[٥].

---

(١) البيت في الحجة لأبي علي (٥/ ٣٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٠١) بلا نسبة.

(٢) البيت لبحير بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير، كما في المحبر (ص: ١٣٩)، ونسبه في معجم الشعراء (ص: ٤٩٦) للحارث بن أسد الأصغر، وفي ربيع الأبرار (٣/ ٢٦٤) للحارث بن أمية، وفي شرح نهج البلاغة (١٨/ ٢٨٧)، وثمار القلوب (ص: ٢٩٨) لعبد الله بن ثور الخفاجي، والبيت في المنمق في أخبار قريش (ص: ٣٧٣)، والأغاني (١٦/ ١٩٨)، والكامل (٢/ ١٠٦) بلا نسبة.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٥٠)، وتفسير القرطبي (١١/ ١٥٨).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في البحر المحيط (٧/ ٣٠٣)، وزاد آخرين، عزاها لبعضهم في مختصر الشواذ (ص: ٨٩).

(٥) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٤/ ٩٢).

واستدل بعض الناس بهذه الآية على أن الولد لا يكون عبداً[١]، وهذا انتزاعٌ بعيد.

و﴿عَبۡدٗا﴾: حالٌ.

ثم أخبر تعالى عن إحاطته ومعرفته بعبيده، فذكر الإحصاءَ، ثم كرر المعنى بغير اللفظ، وقرأ ابن مسعود: (لَقَدْ كَتَبَهُمْ وَعَدَّهُم).

وفي مصحف أُبَيٍّ: (لَقَد أَحصَاهم فَأَجْمَلهم عدداً)[٢].

وقوله: ﴿عَدّٗا﴾ تأكيد للفعل، وتحقيقٌ له.

وقوله: ﴿فَرۡدًا﴾ يتضمن معنى قلَّة النصر والحول والقوة، لا مُجير له ممَّا يريد الله به.

وقوله: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ ذهب أكثر المفسرين إلى أن هذا هو القبول الذي يضعه الله لمن يحبه من عباده حسب ما في الحديث المأثور.

وقال عثمان بن عفان: إنها بمنزلة قول النبي ﷺ: «من أَسَرَّ سريرةً أَلْبسه اللهُ رداءها»[٣].

وفي حديث أبي هريرة: قال رسول الله: «ما من عبد إلَّا وله في السماء صيت، فإن كان حسناً وُضع في الأرض حسناً، وإن كانَ سيِّئاً وُضع كذلك»[٤].

---

(١) انظر الاستدلال بالآية في: المبسوط للسرخسي (٧/ ٦٩)، وبداية المجتهد (٢/ ٣٧١)، ومغني المحتاج (٤/ ٤٩٩).

(٢) وهي شاذة مخالفة للمصحف، إن كانت، ولم نجد للمؤلف فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٣) عزاه العجلوني في كشف الخفاء لابن أبي الدنيا في الإخلاص، ورواه الطبري (١٨/ ٢٦٢) من طريق قتادة: أن عثمان بن عفان كان يقول: ما من الناس عبد يعمل خيراً ولا يعمل شرّاً، إلا كساه الله رداء عمله.

(٤) إسناده ضعيف، أخرجه البزار في مسنده (٣٦٠٣ ـ كشف)، والطبرانيُّ في الأوسط (٥٢٤٨)، وابنُ عدي في الكامل (٢/ ٥٨٥)، والبيهقي في الزهد (٨١٦) من طريق الجراح بن مليح، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً. قال البزار: لا نعلم رواه بهذا الإسناد إلا أبو وكيع. يعني: الجراح بن مليح، فهو والد وكيع بن الجراح، وقال ابنُ عدي: وهذا الحديث ما أعلم رواه عن =

وقال عبد الرحمن بن عوف: إنَّ الآية نزلت فيه، وذلك أنه لما هاجر من مكة استوحش بالمدينة، فشكا ذلك إلى النبي، فنزلت الآية في ذلك[١]؛ أي: ستستقر نفوس المؤمنين، ويوَدُّون حالهم ومنزلتهم.

وذكر النقَّاش أنها نزلت في علي بن أبي طالب[٢]، قال ابن الحنفية: لا تجد مؤمناً إلَّا وهو يحب عليّاً وأهل بيته[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿وُدًّا﴾ بضم الواو، وقرأ أبو الحارث الحنفي بفتح الواو[٤].

ويحتمل أن تكون الآية متَّصلة بما قبلها في المعنى؛ أيْ: إن الله تعالى لمَّا أخبر عن إتيان كل مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ في حال العبودية والانفراد، آنس المؤمنين بأنه سيجعل لهم في ذلك اليوم وُدّاً، وهو ما يظهر عليهم من كرامته؛ لأن محبة الله للعبد هي ما يظهر عليه من نِعَمه وأمارات غُفرانه له.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾.

= الأعمش غير أبي وكيع وسعيد بن بشير، وكلاهما تكلَّم فيه أهل العلم. ويشهد له حديث أبي هريرة في البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧) أن النبي ﷺ قال: «إذا أحبَّ الله العبد نادى جبريل إنَّ الله يحبُّ فلاناً فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السَّماء: إنَّ الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السَّماء، ثم يوضع له القبول في الأرض».

(١) منكر، أخرجه الطبري (١٨/ ٢٦٣) من طريق عبد العزيز بن عمران، عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان، عن أبيه، عن أمه أم إبراهيم بنت أبي عبيدة بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيها، عن عبد الرحمن بن عوف فذكره، وعبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني الأعرج يعرف بابن أبي ثابت، متروك، احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلطه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) نقله في البحر المحيط (٧/ ٣٠٥).

(٤) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٣٠٥)، وأبو الحارث هذا لم أعرفه، وفي القراء: أبو الحارث الليث راوي الكسائي، وعيسى بن وردان المدني وغيرهما.

الضمير في ﴿يَسَّرْنَـٰهُ﴾ للقرآن، وهذا كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]؛ لأن المعنى يقتضي المراد وإن لم يتقدَّم ذكره، ووقع التَّيسير في كونه بلسان محمد ﷺ، وبلُغته المفهومة المبينة، وبشارةُ المتَّقين هي بالجَنَّة والنَّعيم الدائم والعزِّ في الدنيا.

و«القومُ اللُّدُّ»: هم قريش، ومعناه: مجادلين ومخاصمين بباطل، و«الأَلَـدُّ»: الـمُخَاصم المبالغ في ذلك، وقال مجاهد: لُدّاً: فُجَّاراً[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي فجور الخصومة، ولا يلدُّ إلَّا المبطل، [والألدُّ والألوى بمعنىً واحد][٢]، وفي الحديث: «أَبْغَضُ الرجال إلى الله الأَلَدُّ الْخَصِم»[٣].

ثم لما وصفهم تعالى بأنهم لُدٌّ ـ وهي صفة سُوءٍ بحكم الشرع والحق ـ وجب أن يفسد[٤] عليهم بالوعيد والتمثيل بإهلاك مَن كان أشد منهم وأَلَدَّ وأعظم قَدْرَ ما كان يسرُّهم في أنفسهم من الوصف بـ﴿لُّدًّا﴾، فإن العرب بجهالتها وعتُوِّها وكفرها كانت تتمدَّح باللَّدَد، وتراه إدْراكاً وشهامة، فمن ذلك قول الشاعر:

إنَّ تَحْـتَ التُّـرَاب عَزْمـاً وحَزْماً وَخَـصيمـاً أَلَـدَّ ذا مِـغْـلَاقِ[٥] [الخفيف]

فمثَّـل لهـم بإهلاك من قبلهـم؛ ليحتقروا أنفسـهم ويتَبيَّـن صغَر شـأنهم، وعبَّـرَ المفسرون عن اللُّدِّ بالْفَجَرة وبالظَّلمة، وتلخيص معناها ما ذكرناه.

و«القَرْنُ»: الأمَّة، و«الرِّكْزُ»: الصوتُ الخفي دون نُطْق بحروف ولا فم، وإنما هو

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٦٤)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٩١).
(٢) ليس في المطبوع.
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٤) في المطبوع: «يقسو»، وفي نجيبويه والإماراتية: «يفسر».
(٥) تقدم في تفسير الآية (٢٠٤) من سورة البقرة، وفي الإماراتية ونور العثمانية ولالاليه: «الأحجار»، بدل «التراب».

صوت الحركات وخَشْفُهَا[١]، ومنه قول لبيد:

وتَوَجَّسَتْ ركْزَ الأَنيس فَرَاعَهَا عَنْ ظَهْر غَيْبٍ والأنيسِ سَقَامُها[٢] [الكامل]

فكأنه قال: أو تسمع من أخبارهم قليلاً أو كثيراً، أو طرفاً خفيّاً ضعيفاً، وهذا يُرادُ به من تقدم أمره من الأمم ودَرَس خَبَرُه، وقد يحتمل أن يريد: هل بقي لأحد منهم كلام أو تصويت بوجه من الوجوه؟ فيدخل في هذا مَن عُرف هلاكه من الأُمم.

تمَّ تفسير سورة مريم، والحمد لله ربِّ العالمين[٣].

* * *

(١) الخَشْفُ والخَشْفَةُ والخَشَفَةُ: الحركةُ والحس، وقيل: الحِسُّ الخفيّ، وفي نجيبويه: «خشفتها».

(٢) البيت من مُعَلَّقة لبيد، انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٤)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٣٤)، وتهذيب اللغة(٢/ ٣١٨)، والصحاح للجوهري (١/ ٢١٦)، ومعنى تَوَجَّسَتْ: تسَمَّعتْ إلى صوت خفيٍّ، وفيها معنى الخوف عند التَّسَمُّع، والرِّكْز: الصوتُ الخفيُّ.

(٣) من المطبوع والحمزوية، وفي نجيبويه والإماراتية١و٢: «نجز تفسير سورة مريم عليها السلام والحمد لله كثيراً».



[٤/ ٢٠] / **تفسير سورة طه على بركة الله**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه السورة مكيَّة(١)

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿طه ١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ٨﴾.

اختلف الناس في قوله: ﴿طه﴾ بحسب اختلافهم في كل الحروف المتقدمة في أَوائل السُّور، إِلَّا قول من قال هنالك: إِن الحروف إِشارة إِلى حروف المعجم، كما تقول: (ا، ب، جـ، د)، فإِنه لا يترتب هاهنا؛ لأَن ما بعد (طه) من الكلام لا يصح أَن يكون خبراً عن (طه).

واختصت أيضاً (طه) بأَقوال لا تترتب في أَوائل السُّور المذكورة:

فمنها قول من قال: (طه) اسم من أَسماءِ محمد ﷺ.

---

(١) في المطبوع هنا زيادة: «وآياتها خمس وثلاثون ومئة»، ولم نجدها في شيء من المخطوطات كما أننا لم نجد مثله في السور الأخرى.

وقول من قال: (طه) معناه: (يا رجل) بالسريانية، وقيل: بغيرها من لغات العجم، وحكي أَنها لغة يمنية في عَكٍّ، وأَنشد الطبري في ذلك:

[الطويل] دَعَوْتُ بِطَهَ في القِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ فخِفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُوَائِلا[١]

ويروى: مُزايلاً، وقال الآخر:

[البسيط] إِنَّ السَّفَاهَةَ طهَ مِنْ خَلَائِقِكُمْ لَا بَارَكَ اللهُ فِي الْقَوْمِ الْمَلَاعِينِ[٢]

وقالت فرقة: سبب نزول هذه الآية إنما هو ما كان رسول الله يتحمله من مشقَّة الصلاة حتى كانت قدماه تتورَّم وتحتاج إِلى الترويح [بين قدميه][٣]، فقيل له: طَأَ الأَرض[٤]؛ أَي: لا تتعب حتى تحتاج إِلى الترويح.

فالضمير في (طه) للأَرض، وخُفِّفَت الهمزة فصارت أَلفاً ساكنة.

وقرأت فرقة: (طَهْ)، وأَصله: طَأْ، فحذفت الهمزة وأُدخلت هاءُ السكت[٥].

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر: ﴿طه﴾ بفتح الطاءِ والهاءِ، ورُوي ذلك عن قالون عن نافع، وروي [عن يعقوب عنه][٦] كسرهما، وروي عنه بين الفتح والكسر.

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٢٦٨)، وعزا البيت لِـمُتَمِّم بن نويرة، وذكر الرواية الأخرى فيه.

(٢) البيت ليزيد بن الـمُهَلْهِل، كما في الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٦٦)، وفي تفسير الثعلبي (٦/ ٢٣٦): وقال الكلبي: هو بلغة عكّ: يا رجل، قال شاعرهم، وهو بلا نسبة في تفسير الطبري (١٨/ ٢٦٨).

(٣) زيادة من لالاليه ونور العثمانية وأحمد٣.

(٤) لا يثبت، إنما نسبوه لابن مردويه في تفسيره عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما نزل على النبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ قام الليل كله حتى تورمت قدماه، فجعل يرفع رجلاً ويضع رجلاً، فهبط عليه جبريل فقال: ﴿طه﴾ يعني: الأرض بقدميك يا محمد ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾...، وروي من حديث الربيع بن أنس مرسلاً. راجع الدر المنثور (١٠/ ١٥٤).

(٥) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٨٩) للحسن، وزاد الكرماني (ص: ٣٠٥) عكرمة وأبا حنيفة.

(٦) في المطبوع ونجيبويه: «يعقوب عنه»، وفي أحمد٣: «عن يعقوب».

وأَمالت فرقة، [وفخمت فرقة][(١)]، والتفخيم لغة الحجاز والنبي ﷺ.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿طِهِ﴾ بكسر الطاءِ والهاءِ.

وقرأَ أَبو عمرو: ﴿طَهِ﴾ بفتح الطاءِ وكسر الهاءِ[(٢)].

[وقرأت فرقة: (طَهْ)، بفتح الطاء وسكون الهاء، وقد تقدمت][(٣)].

ورُوي عن الضحاك وعمرو بن فائد أَنهما قرأا: (طَاوِي)[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾:

[قالت فرقة][(٥)]: معناه لتبلغ من نفسك في العبادة والقيام في الصلاة.

وقالت فرقة: إِنما سبب الآية: أَن قريشاً نظرت إِلى عيش رسول الله وشظفه وكثرة عياله، فقالت: إِن محمداً مع ربه في شقاءٍ، فنزلت الآية رادَّةً عليهم[(٦)]؛ أَي: إِن الله لم يُنزل القرآن ليجعل محمداً شقياً، بل ليجعله أَسعد بني آدم بالنعيم المقيم في أَعلى المراتب، فالشقاءُ الذي رأَيتم هو تَنَعُّم النفس، ولا شقاءَ مع ذلك، فهذا التأويل أَعم من الأَول في لفظة الشقاءِ.

وقوله: ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةً﴾ يصح أَن ينصب على البدل من موضع ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾، ويصح أَن ينصب بفعل مضمر تقديره: لكن أَنزلناه تذكرة.

و﴿يَخۡشَىٰ﴾ يتضمن الإِيمان والعمل الصالح؛ إِذ الخشية باعثة على ذلك.

وقوله: ﴿تَنزِيلًا﴾ نصب على المصدر.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) فيها ثلاث قراءات سبعية: إمالة الحرفين لشعبة وحمزة والكسائي، وإمالة الهاء وحدها لأبي عمرو وورش، وفتحهما للباقين.

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٤٧).

(٥) ليس في المطبوع ونجيبويه والإماراتية.

(٦) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٦٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه.

وقوله: ﴿مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾ صفة أَقامها مقام الموصوف، وأَفاد ذلك العبرة والتذكرة وتحقير الأَوثان وبعث النفوس على النظر.

و﴿ٱلۡعُلَى﴾ جمع عُلْيا، فُعْلى.

وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ رفع بالابتداء، ويصح أَن يكون بدلاً من الضمير المستقر في ﴿خَلَقَ﴾.

وقوله: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ قالت فرقة: هو بمعنى: استولى، وقال أَبو المعالي وغيره من المتكلمين: هو بمعنى استواءِ القهر والغلبة[١]، وقال سفيان الثوري: فَعَل فعلًا في العرش سماه استواءً، وقال الشعبي وجماعة غيره: هذا من متشابه القرآن، نؤمن به ولا نعرض لمعناه.

وقال مالك بن أَنس لرجل سأَله عن هذا الاستواء، فقال له مالك: الاستواءُ معلوم، والكيفية مجهولة، والسؤال عن هذا بدعة، وأَظنك رجل سوءٍ، أَخرجوه عني، فأَدبر السائل وهو يقول: يا أَبا عبد الله، لقد سأَلت عنها أَهل العراق وأَهل الشام فما وفِّق فيها أَحد توفيقك[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وضعَّف أَبو المعالي قول من قال: لا يتكلم في تفسيرها، بأن قال: إِن كل مؤمن يجمع على أَن لفظة الاستواءِ ليست على عُرفها في معهود الكلام العربي، فإِذا فعل هذا فقد فسَّر ضرورة، ولا فائدة في تأَخُّره عن طلب الوجه والمخرج البيِّن، بل في ذلك إِلباسٌ على الناس، وإِيهامٌ لِلْعَوامِّ[٣]، وقد تقدم القول في مسأَلة الاستواءِ[٤].

وقوله: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية، تمادٍ في الصفة المذكورة المُنَبِّهَة على الخالق

---

(١) انظر ما نسبه المؤلف لأبي المعالي في: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٣٧٦).

(٢) انظر قول مالك في: الهداية لمكي (٧/ ٤٦١١).

(٣) لم أقف على هذا الكلام بلفظه، لكن انظر درء التعارض بين العقل والنقل لابن تيمية (٥/ ٢٤٩).

(٤) وقد تقدم مثل هذا في تفسير الآية (٥٤) من سورة الأعراف، والآية (٢٩) من سورة البقرة.

المنعم، وفي قوله: ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ قصص في أَمر الحوت ونحوه اختصرته لعدم صحته، والآية مُضَمَّنَةٌ أَن كل موجود مُحْدث فهو لله بالملك والاختراع، ولا قديم سواه تعالى.

و﴿ٱلثَّرَىٰ﴾: التراب الندي.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ معناه: وإِن كنتم أَيها الناس إِذا أَردتم إِعلام أَحد بأَمر، أَو مخاطبة أَوثانكم وغيرها، فأَنتم تجهرون بالقول، فإِن الله الذي هذه صفاته يعلم السِّرَّ وأَخفى، فالمخاطبة بـ(تَجْهَرْ) لمحمد ﷺ، وهي مراد بها جميع الناس إِذ هي آية اعتبار.

واختلف الناس في ترتيب السِّرّ وما هو أَخفى منه:

فقالت فرقة: السِّرُّ هو الكلام الخفيُّ الخافت كقراءة السِّرِّ في الصلاة، والأَخْفَى هو ما في النفس.

[وقالت فرقة: هو ما في النفس](1) متحصلًا، [والأخفى هو ما سيكون فيها في المستأنف](2).

وقالت فرقة: السِّرُّ هو ما في نفوس البشر، وكلُّ ما يمكن أَن يكون فيها في المستأْنف بحسب الممكنات من معلومات البشر، والأَخفى هو ما من معلومات الله، لا يمكن أَن يعلمه البشر أَلبَتَّـةَ.

قال القاضي أَبو محمد: فهذا كله معلوم لله عزَّ وجلَّ، / وقد تُؤُوِّل على بعض السلف أَنه جعل ﴿وَأَخْفَى﴾ فعلاً ماضياً، وهذا ضعيف. [٤/ ٢١]

و﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يراد بها التسميات(3) التي تضمنت المعاني التي هي في غاية الحُسْن، ووحَّد الصفة مع جَمْع الموصوف لمَّا كانت التسميات(4) لا تعقل، وهذا

---

(١) ليس في المطبوع ونجيبويه، وهو في الإماراتية ملحق في الهامش.

(٢) زيادة من نور العثمانية ولالاليه والإماراتية وأحمد٣.

(٣) في المطبوع ونجيبويه ولالاليه: «الـمُسَمَّيات» في الموضعين.

(٤) في أحمد٣: «السماوات».

جارٍ مجرى ﴿مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، و﴿أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠] وغيره، وذكر أَهل العلم أَن هذه الأَسماء هي التي قال فيها رسول الله ﷺ: «إِن لله تسعةً وتسعين اسماً، مئة إِلَّا واحداً، من أَحصاها دخل الجنة»[١]، [وذكرها الترمذي وغيره مسندة][٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾.

هذا الاستفهام هو توقيف، مضمنه تنبيه النفس إِلى استماع[٣] ما يُورد عليها، وهذا كما تبدأُ الرجل إِذا أَردت إِخباره بأَمر غريب فتقول: أَعلمتَ كذا وكذا؟ ثم تبدأُ تخبره.

والعامل في ﴿إِذۡ﴾ ما تضمنه قوله: ﴿حَدِيثُ﴾ من معنى الفعل، وتقديره: وَهَلْ أَتاكَ ما فعل موسى إِذْ رَأى ناراً؟ أو نحو هذا.

وكان من قصة موسى عليه السلام أَنه رحل من مَدْيَن بأَهله بنت شعيب وهو يريد أَرض مصر، وقد طالت مدة جنايته هنالك، فرجا خفاءَ أَمره، وكان ـ فيما يزعمون ـ رجلاً غيوراً، فكان يسير الليل بأَهله ولا يسير النهار مخافة كشفة الناس، فضلَّ عن طريقه في ليلة مظلمة وندية، ويُروى: أَنه فقد الماءَ فلم يدر أَين يطلبه، فبينا هو كذلك ـ وقد قدح زَنْده فلم يُورِ شيئاً ـ إِذْ رَأى ناراً فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا، أَي: أَقيموا، وذهب هو إِلى النار فإِذا هي مضطرمة في شجرة خضراءَ يانعة، قيل: كانت من عُنَّاب، وقيل: من عوسج، وقيل: من عُلَّيقة، فكلما دنا منها تباعدت منه ومشت، فإِذا رجع عنها اتَّبعته،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) ليس في المطبوع، وهو في الإماراتية ملحق في الهامش، وقد تقدم الكلام على هذا الحديث، انظر سورة الأعراف آية (١٨٠).
(٣) ليست في المطبوع.

فلما رأَى ذلك أَيقن أَن هذا أَمر من أُمور الله تعالى الخارقة للعادة، ونودي[١] وانقضى أَمره كله[٢] في تلك الليلة، هذا قول الجمهور، وهو الحق[٣].

وحكى النقاش عن ابن عباس: أَنه أَقام في ذلك الأَمر حولاً، ومكثه أَهله[٤].

وهذا أَمر غير صحيح عن ابن عباس، وضعيف في نفسه.

و﴿ءَانَسۡتُ﴾: معناه: أَحْسَسْتُ، ومنه قول الحارث بن حِلِّزة:

آنَسَتْ نَبْأَةً وأَفْزَعَهَا القنْـ ... ـناصُ ليلاً وَقَدْ دَنَا الإِمْسَاءُ[٥] [الخفيف]

والنار على البعد لا تُحَسُّ إِلَّا بالأبصار، فلذلك فسَّر بعضهم اللفظ بـ(رَأَيْتُ)، وآنَسَ أَعَمُّ من رَأَى؛ لأَنك تقول: آنسْتُ من فلانٍ خيراً أَو شرّاً.

و«القَبَسُ»: الجذوة من النار على رأْس العود أَو القصبة أَو نحوه، و«الهُدَى»: أَراد هدى الطريق، أَي: لعلِّي أَجد ذا هدى؛ أي مرشداً لي أَو دليلاً، وإِن لم يكن فخبراً، والهُدى يعُمُّ هذا كله، وإِنما رجا موسى عليه السلام هُدى نازِلَتِهِ، فصادف الهدى على الإِطلاق.

وفي ذكر قصة موسى بأَسرها في هذه السورة تسلية للنبي عمَّا لقي في تبليغه من المشقات وكُفْر الناس، فإِنما هي له على جهة التمثيل في أَمره.

ورُوي عن نافع وحمزة: ﴿لأَهْلِهُ امكُثوا﴾ بضمة الهاء الثانية[٦]، وكذلك في (القَصَص)، وكسر الباقون الهاءَ فيهما[٧].

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٣) تفسير السمعاني (٣/ ٣٢٢)، والهداية لمكي (٧/ ٤٦١٨).

(٤) لم أهتد إليه.

(٥) البيت من معلقته انظر: الزاهر للأنباري (٢/ ١٣٨)، والحيوان (٤/ ٣٨٨)، ومقاييس اللغة (١/ ١٤٥)، وفي المطبوع وأحمد٣: «عَصْراً».

(٦) من أحمد٣.

(٧) وهما سبعيتان، انظر الضم لحمزة في التيسير (ص: ١٥٠)، ولنافع من رواية المسيبي في السبعة (ص: ٤١٧).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ الضمير عائد على النار، وقوله: ﴿نُودِيَ﴾ كناية عن تكليم الله له، وفي ﴿نُودِيَ﴾ ضمير يقوم مقام الفاعل، وإن شئت جعلته موسى؛ إذ قد جرى ذكره.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿إِنِّيٓ﴾ بكسر الألف على الابتداء، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿أَنِّيَ﴾ بفتح الألف[1] على معنى: لِأجل أني أنا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ، و(نُودي) قد توصل بحرف الجر، وأنشد أبو علي:

[الكامل] نَادَيْتُ بِاسْمِ رَبيعَةَ بْنِ مُكَدَّمٍ إِنَّ المنوَّهَ بِاسْمِهِ الْمَوْثُوقُ[2]

واختلف المتأولون في السبب الذي من أجله أُمر بخلع النَّعلين:

فقالت فرقة: كانتا من جلْد حمار ميت، فأُمر بطرح النجاسة[3].

وقالت فرقة: بل كانت نعْلاه من جلد بقرة ذَكِيٍّ، ولكن أُمر بخلعهما لينال بركة الوادي المقدس، وتمسَّ قدماه تربة الوادي[4].

وتحتمل الآية معنى آخر هو الأَليق بها عندي، وذلك أَن الله تعالى أَمره أَن يتواضع لعظيم الحال التي حصل فيها، والعُرف عند الملوك أَن تخلع النعلان ويبلغ الإنسان إِلى غاية تواضعه، فكأَن موسى عليه السلام أُمر بذلك على هذا الوجه، ولا نبالي كانت نعلاه من ميتة أَو غيرها.

و﴿ٱلْمُقَدَّسِ﴾ معناه: المُطَهَّر.

و﴿طُوًى﴾ معناه: مرَّتين مرَّتين، فقالت فرقة: معناه: قدِّسْ مرتين، وقالت فرقة: معناه: طويْتَهُ أَنتَ؛ أَيْ: سرتَ فيه؛ أَي: طُويت لك الأَرضُ مرتين من طيك[5].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤١٧)، والتيسير (ص: ١٥٠).

(٢) البيت في الحجة لأبي علي (٥/ ٢١٨)، بلا نسبة.

(٣) الموطأ رواية يحيى الليثي (٢/ ٩١٦)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٧)، وتفسير الطبري (١٨/ ٢٧٨).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٢٧٩).

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «ظنك».

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿طُوًى﴾ بالتنوين على أنه اسم المكان، وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرٍو: ﴿طُوَى﴾ على أنه اسم البقعة، بدون تنوين[١].

وقرأ هؤلاءِ كلهم بضم الطاءِ، وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو بكسر الطاء[٢].

وقرأت فرقة: (طاوِي)[٣]، وقالت فرقة: هو اسم الوادي.

و﴿طُوًى﴾ على التأويل الأول بمنزلة قولهم ثُنًى وثِنًى؛ أيْ: مَثْنِيًّا.

وقرأ السبعة غير حمزة: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾، ويؤيد هذه القراءة تناسبها مع قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ﴾، وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (وَإِنِّي اخْتَرْتُكَ)[٤].

وقرأ حمزة وحده[٥]: ﴿وَأَنَّا اخْتَرْنَاكَ﴾ بالجمع وفتح الهمزة وشدِّ النون[٦]، والآية على هذا بمنزلة قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾ ثم قال: ﴿وَءَاتَيْنَا﴾ [الإسراء: ١-٢] فخرج من إفرادٍ إلى جمع.

وقرأت فرقة: (وَإِنَّا اخْتَرْنَاكَ) بكسر الألف[٧].

قال القاضي أبو محمد: وحدثني أبي رضي الله عنه قال: سمعت أبا الفضل الجوهري يقول: لَمَّا قيل لموسى: ﴿فَٱسْتَمِعْ﴾ وقف على حجر، واستند إلى حجر، ووضع يمينه على

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٠)، والسبعة (ص: ٤١٧)، وفي المطبوع والإماراتية ونجيبويه: «وابن عامر» بدل «ابن كثير».

(٢) وليست من طرق التيسير، انظرها في السبعة (ص: ٤١٧)، وفيه: أبو زيد عن أبي عمرو، وفي المطبوع: «ابن زيد».

(٣) وهي شاذة عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣١٦) لعيسى بن عمر والضحاك.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في الحجة لأبي علي (٥/ ٢٢١).

(٥) ليس في الأصل.

(٦) وهي والأولى سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥١).

(٧) وهي شاذة انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٧)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٠٥) لابن مسعود والسلمي وطلحة.

[٤/ ٢٢] شماله، وألقى ذقنه على صدره، / ووقف يستمع، وكان كل لباسه صوفاً[١].

وقرأت فرقة: (بِالْوَادِي المقدس طاوي)[٢].

وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ يحتمل أن يريد: لتذكرني[٣] فيها، أو يريد: لأذكرك في عِلِّيِّين بها، فالمصدر على هذا يحتمل الإضافة إلى الفاعل أو إلى المفعول، واللامُ لام السبب.

وقالت فرقة: معنى قوله: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾؛ أي: عند ذكري؛ أي: إذا ذكرتني وأَمْري لك بها، فاللام على هذا بمنزلتها في قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وقرأت فرقة: (لِلذِّكْرَى)، وقرأت فرقة: (لِذِكْرَى) بغير تعريف، وقرأت فرقة: (لِلذِّكْرِ)[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾﴾.

في قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ تحذيرٌ ووعيدٌ؛ أي: اعبدني فإن عقابي وثوابي بالمرصاد، و﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ في هذه الآية: القيامة، بلا خلاف.

وقرأ ابن كثير، والحسن، وعاصم ومجاهد: (أَكَادُ أَخْفِيهَا) بفتح الهمزة[٥]،

---

(١) تفسير الثعالبي (٣/ ٢٥).

(٢) وهي شاذة، وتقدم عزوها لعيسى بن عمر والضحاك.

(٣) كتبت في الأصل: «لتذكيري».

(٤) وكلها شاذة، انظر عزو الأولى لابن عباس وأبي رجاء في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٦)، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٥)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٨)، وجزء قراءات النبي ﷺ لحفص بن عمر (ص: ١٢٧).

(٥) وهي شاذة، تابعه على ابن كثير وعاصم في البحر المحيط (٧/ ٣١٨)، وعزاها للحسن وسعيد بن =

بمعنى: أُظهرها؛ أَي: إنها من صِحَّةِ وقوعها وتَيَقُّن كونها تكاد تظهر، لكن تنحجب إِلى الأَجل المعلوم، والعرب تقول: خفَيْتُ الشيءَ بمعنى: أَظْهَرته، ومنه قول امرئ القيس:

خَـفَاهُـنَّ مِـنْ أَنْـفَـاقِـهِـنَّ كَـأَنَّـمـا   خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ سحاب مُجَلِّبِ[1] [الطويل]

ومنه قوله أَيضاً:

فَـإِن تَـدْفِـنُـوا الـدَّاءَ لَا نَـخْـفِــهِ   وَإِنْ توقـدوا الْحَـرْبَ لَا نَقْعُـدُ[2] [المتقارب]

قال أَبو علي: المعنى: أُزيل خفاءها[3]، وهو ما تُلَفُّ به القربة ونحوها.

وقرأَ الجمهور: ﴿أُخْفِيهَا﴾ بضم الهمزة، واختلف المتأَولون في معنى الآية.

فقالت فرقة: معناها أُظْهِرُها، وأَخْفَيْتُ من الأَضداد، وهذا قول مختل.

وقالت فرقة: معناها أَكاد أُخفيها من نفسي، على معنى العبارة عن شدة غموضها على المخلوقين.

وقالت فرقة: المعنى: إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَـةٌ أَكادُ، وتمَّ الكلام، بمعنى: أَكادُ أُنفذها لقربها وصحة وقوعها، ثم استأْنف الإخبارَ بأَنه يُخفيها، وهذا قلق.

وقالت فرقة: (أَكَادُ) زائدة، لا دخول لها في المعنى، بل تضمنت الآية الإِخبار بأَن الساعة آتية، وأَن الله يخفي وقت إِتيانها عن الناس.

= جبير ومجاهد في المحتسب (٢/ ٤٦)، وللأولين في تفسير الثعلبي (٦/ ٢٤١)، ومجاهد زيادة من أحمد٣، وما في حاشية المطبوع: «أنها رواية أبي بكر عنه لا أساس له».

(١) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٦/ ٢٤١)، ومجاز القرآن (٢/ ١٧)، والمحتسب (٢/ ٤٦)، والحيوان (٦/ ١٣٠)، والمحكم (٦/ ٤٤٧)، وتهذيب اللغة (٣/ ٢٧)، ومعجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٠٢)، والصحاح للجوهري (٦/ ١٧٩)، وفي المطبوع: «عَشِيٍّ»، بدل «سحاب».

(٢) البيت لامرئ القيس أيضاً كما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٥٢)، وأمالي المرتضي (٢/ ١٣)، والحيوان (٥/ ٣٠٦)، ومعاهد التنصيص (١/ ١٧١)، وفي المطبوع: «تَبْعَثُوا»، بدل «توقدوا».

(٣) الحجة لأبي علي (٥/ ٢١٥).

وقالت فرقة: أَكَادُ بمعنى: أُريد، فالمعنى: أُريد[١] إِخفاءَها عنكم؛ لِتُجْزَى كل نفس بما تسعى، واستشهد قائل هذه المقالة بقول الشاعر:

[الكامل] كَادَتْ وَكِدْتُ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ[٢] ....

وقد تقدم هذا المعنى.

وقالت فرقة: (أَكَادُ) على بابها، بمعنى أَنها لمقاربة ما لم يقع، لكن الكلام جارٍ على استعارة العرب ومجازها، فلما كانت الآية عبارة عن شدة خفاءِ أَمْرِ القيامة ووقتها، وكان القطع بإِتيانها مع جهل الوقت أَهيبَ على النفوس، بالغ قوله تعالى في إِعْتام وقتها فقال: ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ حتى لا تظهر ألبَتَّـةَ، ولكن ذلك لا يقع، ولا بُدَّ من ظهورها، فهذا تلخيص هذا المعنى الذي أَشار إِليه بعض المفسرين، وهو الأَقوى عندي.

ورأى[٣] بعض القائلين بأَن المعنى: (أَكَادُ أُخْفِيها من نفسي) ما في القول من القلق، فقالوا: معنى (من نفسي): من تلقائي، ومن عندي.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا رفض للمعنى الأَول، ورجوع إِلى هذا القول الذي اخترناه أَخيراً، فتأَمله.

واللام في قوله تعالى: ﴿لِتُجۡزَىٰ﴾ متعلقة بقوله: ﴿ءَاتِيَةٌ﴾، وهكذا بترتيب الوعيد.

و﴿تَسۡعَىٰ﴾ معناه: تكسب وتجترح.

والضمير في قوله: ﴿عَنۡهَا﴾ عائد على السَّاعَة، يريد: الإِيمان بالساعة، فأَوقع الضمير عليها، ويحتمل أَن يعود على الصلاة.

وقالت فرقة: المراد عن (لا إِله إِلا الله)، وهذا متَّجه، والأَوَّلان أَبين وجهاً.

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٢٨٥، ٢٨٦).

(٢) صدره: لَوْ عَادَ مِنْ عَهْدِ الصَّبَابَةِ مَا مَضى وقد سبق الاستشهاد في سورة مريم: (٩٠).

(٣) في المطبوع: «روى».

وقوله تعالى: ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ معناه: تَهْلِكَ، و«الرَّدَى»: الهلاك، ومنه قول دُرَيْد بن الصِّمَّة:

تَنَادَوا فَقَالُوا: أَرْدَتِ الخيلُ فَارساً فقلت: أَعَبْدُ اللَّهِ ذَلِكُمُ الرَّدِي[1] [الطويل]

وهذا الخطاب كلُّه لموسى عليه السلام، وكذلك ما بعده.

وقال النقاش: الخطاب: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ لمحمد ﷺ[2]، وهذا بعيد.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (أَكَادُ أُخْفِيها مِنْ نَفْسِي)[3]، وعلى هذه القراءة تركَّب ذلك القول المتقدم.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ تقرير[4]، ومُضَمَّنُه التنبيه وجمع النفس لتلقِّي ما يورد عليها، وإِلَّا فقد علم الله ما هي في الأَزل.

وقوله: ﴿بِيَمِينِكَ﴾ من صلة ﴿تِلْكَ﴾، وهذا نظير قول الشاعر:

عَـدَسْ مَـا لِعَبَّـاد عَلَيْـكِ إِمَـارَةٌ نَجَـوْتِ وَهَذَا تَحْمِلِيـنَ طَلِيقُ[5] [الطويل]

قال ابن الجوهري: رُوي في بعض الآثار: أَن الله تعالى عتب على موسى إِضافة العصا إِلى نفسه في ذلك الموطن، فقيل له: ﴿أَلْقِهَا﴾ ليرى منها العجب فيعلم أَنه لا ملك له عليها، ولا تنضاف إِليه[6].

وقرأَ الحسن، وأَبو عمرو بخلاف عنه: (عَصَايِ) بكسر الياء مثل غلامي.

---

(١) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٧)، والاختيارين للأخفش (ص: ٦٥)، والأصمعيات (ص: ١٠٨)، والعقد الفريد (٥/ ١٤٦).

(٢) تفسير الثعالبي (٣/ ٢٦).

(٣) وهي شاذة، عزاها له في زاد المسير (٣/ ١٥٤) ولآخرين، وعزاها ابن قتيبة في غريب القرآن (ص: ٢٧٧) لأبي، وزاد له في معاني القرآن للفراء (٢/ ١٧٦): (فكيف أظهركم عليها)، ونقل الطبري (١٨/ ٢٨٦) عن قتادة أنها في بعض الحروف.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «تقديره».

(٥) البيت ليزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، كما تقدم البيت في سورة البقرة الآية (٨٥).

(٦) تفسير القرطبي (١١/ ١٨٦).

وقرأت فرقة: (عَصَيَّ)[١]، وهي لغة هُذَيْل، ومنه قول أَبي ذؤَيب:

[الكامل] سَبَقُوا هَوَيَّ وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ[٢] ....

وقرأ الجمهور: ﴿عَصَايَ﴾ بفتح الياء، وقرأ ابن أَبي إِسحاق: (عَصَايْ) بياءٍ ساكنة[٣].

ثم ذكر موسى عليه السلام من منافع عصاه عُظْمها وجُمْهورها، وأَجمل سائر ذلك.

وقرأ الجمهور: ﴿وَأَهُشُّ﴾ بضم الهاءِ والشين المنقوطة، ومعناه: أَخبط بها الشجر حتى ينتشر الورق للغنم.

وقرأ إِبراهيم النَّخَعي: (وَأَهِشُّ) بكسر الهاءِ، والمعنى كالذي تقدم.

وقرأ عكرمة مولى ابن عباس: (وَأَهُسُّ) بضم الهاءِ والسِّين غير منقوطة[٤]، ومعناه: أَزجر بها[٥] وأُخَوِّف.

وقرأت فرقة: ﴿عَلَىٰ غَنَمِى﴾ بالجرِّ، وقرأت فرقة: (عَلَيَّ[٦] غَنَمِي)، فأوقع الفعل على الغنم، وقرأت فرقة: (غَنْمِي) بسكون النون، ولا أَعرف لها وجهاً[٧].

وقوله: ﴿أُخْرَىٰ﴾ فوَحَّد مع تقدم الجمع، هو الـمَهْيَع في توابع جمع ما لا يعقل، والكناية عنه، فإِن ذلك يجري مجرى الواحدة المؤنثة، كقوله: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨]، وكقوله: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]، وقد مرَّ القول في هذا المعنى غير مرة.

---

(١) وهما شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ٤٧-٤٨).

(٢) هذا صدر بيت، وعجزه: فتُخِرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ، وقد تقدم في أول البقرة.

(٣) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٤٨).

(٤) والقراءتان شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ٤٩).

(٥) في المطبوع: «أزجرها».

(٦) «فرقة عليَّ»: ليس في الأصل، وسقطت القراءة الثانية كلها من نور العثمانية.

(٧) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٣٢٢).

وعصا موسى عليه السلام هي التي كان أَخذها من بيت عِصِيِّ[١] الأَنبياء الذي كان عند شعيب عليه السلام حين اتفقا على الرعية، وكانت عصا آدم هبط بها من الجنة، وكانت من العَير[٢] الذي في ورق الريحان، وهو الجسم المستطيل في وسطها، وقد تقدم شرح أَمرها فيما مضى/ .

[٤/ ٢٣]

قوله عز وجل: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾.

لما أراد الله تعالى أن يُدَرِّبه في تلقِّي النبوءة وتكاليفها أمره بإلقاء العصا، فأَلْقاها موسى، فقلب اللهُ أوصافها وأعراضها[٣]، وكانت عصا ذات شعبتين فصارت الشعبتان لها فماً، وصارت حيَّةً تَسْعى؛ أي: تنتقل وتمشي وتلتقم الحجارة، فلما رآها موسى رأى عبرة، فولَّى مُدْبِراً ولم يُعقِّب، فقال اللّه تعالى له: خُذْها وَلا تَخَفْ وذلك أنه أوجس في نفسه خيفة؛ أي: لحقه ما يلحق البشر، ورُوي: أن موسى تناولها بِكُمَّي جُبَّته، فنُهي عن ذلك[٤]، فأخذها بيده فصارت عصا كما كانت أول مرة وهي سِيرَتها الْأُولى.

ثم أمره الله عز وجل أن يضم يده إلى جَنْبِه وهو الجناح استعارة ومجازاً، ومنه قول الراجز:

---

(١) كتبت في المطبوع: «عصا» بالألف الطويلة.

(٢) في المطبوع: «العين».

(٣) في المطبوع: «وأغراضها».

(٤) تفسير القرطبي (١١/ ١٩٠).

[الرجز] أَضُمُّهُ لِلصَّدْرِ وَالجَنَاحِ[(١)]

وبعض الناس يقولون: الجناح اليد، وهذا كله صحيح على طريق الاستعارة، ألا ترى أن جعفر بن أبي طالب يسمى ذا الجناحين بسبب يديه حين أقيمت له الجناحان مقام اليدين شبه بجناح الطائر.

وكلُّ مرعُوبٍ من ظُلْمة أو نحوها فإنه إذا ضمَّ يده إلى جناحه فتر رعبه، وربط[(٢)] جأشه، فجمع الله لموسى عليه السلام تفتير الرعب مع الآية في اليد، وروي: أن يد موسى خرجت بيضاءَ تشِفُّ وتضيءُ كأنها شمس[(٣)].

وقوله: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾، أي: من غير بَرَصٍ ولا مُثْلَة، بل هو أمر يَنْحَسر ويعود لحكم الحاجة إليه.

وقوله: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ يحتمل أن يريد وصف الآيات بالكبر على ما تقدم من قوله: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨]، و﴿مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، ونحوه، ويحتمل أن يريد تخصيص هاتين الآيتين بأنهما أكبر الآيات كأنه قال: لِنُرِيَكَ الكبرى [من آياتنا][(٤)] فهما معنيان.

ثم أمره تبارك وتعالى بالذهاب إلى فرعون، [وهو مصعب بن الرَّيَّان في بعض ما قيل، وقيل غير هذا، ولا صحة لشيء من ذلك.

و﴿طَغَىٰ﴾ معناه: تجاوز الحدَّ في فساد، وقوله][(٥)]: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ الآية، لما أمره الله تعالى بالذهاب إلى فرعون علم أنها الرسالة، وفهم [قدْر التكليف، فدعا الله في المعونة إذْ لا حولَ له إلَّا به.

---

(١) البيت في مجاز القرآن (٢/ ١٨)، وتفسير الطبري (١٨/ ٢٩٧) بلا نسبة.

(٢) في المطبوع: «وجمع».

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٩١).

(٤) ليس في الأصل ونجيبويه.

(٥) ليس في أحمد٣ ولالاليه.

وقوله: ﴿ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ معناه: لفهم ما يرد علي من الأُمور][١].

والْعُقْدَة التي دعا في حَلِّها هي التي اعترته بالجمرة التي جعلها في فيه حين جرَّبه فرعون.

ورُوي في ذلك: أن فرعون أراد قتل موسى وهو طفل حين مدَّ يده إلى لحية فرعون، فقالت له امرأَته: إنه لا يعقل، فقال: بل[٢] هو يعقل، وهو عدو لي، فقالت له: نُجَرِّبه قال: أَفعل، فدعت بجمرات من نارٍ وبطبق فيه ياقوت، فقالا: إِن أَخذ الياقوت علمنا أَنه يعقل، وإِن أَخذ النار عذرناه، فمدَّ موسى يده إِلى جمرة فأَخذها فلم تَعْدُ على يده، فجعلها في فيه فأَحرقته، وأَورثت لسانه عُقْدة في كِبَره؛ أَي: حَبْسَة مُلْبِسَةً في بعض الحروف[٣].

قال ابن الجوهري: كفَّ الله تعالى النار عن يده لئلا تقول النار: طبعي، واحترق لسانه لئلا يقول موسى: مكانتي.

وموسى عليه السلام إِنما طلب من حلِّ العقدة قدْر أَن يُفْقَه قولُه، فجائز أَن يكون ذلك كله زال، وجائز أَن يكون بقي منه القليل، فيجتمع أَن يُؤْتى هو سُؤْلَه، وأَن يقول فرعون: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢] ولا يكاد يبين، ولو فرضناه زال جملةً لكان قول فرعون سبّاً لموسى لحالته القديمة.

و«الوَزِيرُ»: الـمُعين القائم بِوِزْر الأُمور، وهو ثقلها، ويحتمل الكلام أَن طلب الوزير من أَهله على الجملة، ثم أَبدل هارون من الوزير المطلوب، ويحتمل أَن يريد: واجعل هارون وزيراً، فإِنما ابتدأ الطلب فيه، فيكون على هذا مفعولاً أَولاً بـ(اجْعَلْ).

وكان هارون عليه السلام أَكبر من موسى بأَربعة أَعوام.

وقرأَ ابن عامرٍ وحده: ﴿أَشْدُدْ﴾ بفتح الهمزة، ﴿وَأُشْرِكْهُ﴾ بضمها على أَن

---

(١) ليس في أحمد٣ ولالاليه، وفي الإماراتية: «لنفهم»، بدل «لفهم».

(٢) في المطبوع: «بَلَى».

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٠٠) من طريق السدي.

موسى أَسند هذه الأَفعال إِلى نفسه، ويكون الأَمر هنا لا يريد به النبُوَّة، بل يريد تدبيره ومساعيه[١]؛ لأن النُّبُوَّة لا يكون لموسى أَن يشرك فيها بشراً، وقرأَ الباقون: ﴿ٱشْدُدْ﴾ بضم الهمزة، ﴿وَأَشْرِكْهُ﴾[٢] على معنى الدعاء في شدِّ الأزر وتشريك هارون في النُّبُوَّة، وهذه هي الوَجْه؛ لأَنها تناسب ما تقدم من الدعاء، وتعضدها آياتٌ غير هذه بطلبه تقضي تصديق هارون إِيَّاه.

و«الأَزْرُ»: بمعنى الظهر، قاله أَبو عبيدة[٣]، كأَنه قال: [شُدَّ به عوني][٤]، واجعله مُقَاومي فيما أُحاوله من الأُمور، وقال امرؤُ القيس:

[الطويل]

بِمَحْنِيَّةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَ نَبْتُهَا مَجَرَّ جُيُوش غَانِمِينَ وَخُيَّبِ[٥]

[أَي: قاوَمَهُ وصار في طوله][٦].

وفتح أَبو عمرو وابن كثير الياءَ من ﴿أَخِى﴾ وسكَّنها الباقون[٧]، ورُوي عن نافع: ﴿وَأَشْرِكْهُو﴾ بزيادة واوٍ في اللفظ بعد الهاءِ[٨].

ثم جعل موسى عليه السلام ما طلب من نعم الله تعالى سبباً يلزم كثرة العبادة والاجتهاد في أَمر الله، وقوله: ﴿كَثِيرًا﴾ نعت لمصدر محذوف، تقديره: تسبيحاً كثيراً.

---

(١) في نجيبويه: «ومناجيه».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥١).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٨).

(٤) في الإماراتية: «سدد به عضدي»، مع الإشارة للمثبت في الهامش، وعليه تصحيح.

(٥) انظر عزوه له في السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٨١)، وأساس البلاغة (١/ ٥٨٧)، والمحكم (٩/ ٧٦).

(٦) ليس في نجيبويه.

(٧) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٤).

(٨) وهي سبعية لابن كثير على قاعدته، وهي رواية المسيبي كما في السبعة في القراءات (ص: ٤١٨)، وجامع البيان (٣/ ١٣٥٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾.

المعنى: قال الله تعالى: قد أُعطيت يا موسى طلبتك في شرح الصدر، وتيسير الأَمر، وحلّ العُقدة، إِمَّا بالكُلِّ وإِمَّا على قدر الحاجة في الإفقاه[1]، وإتيان هذا السؤال مِنَّة من الله عزَّ وجلَّ، فقرن إِليها عز وجل قديم مِنَّته عنده على جهة التوقيف عليها ليَعْظُم اجتهاده وتَقْوى بصيرته.

وكان من قصة موسى فيما روي: أَن فرعون ذُكر له أَن خراب / ملكه يكون [٤/ ٢٤] على يدي غلام من بني إِسرائيل، فأَمر بقتل كل ولد يولد لبني إِسرائيل، ثم إِنه رأَى مع أَهل مملكته أَن فناءَ بني إِسرائيل يعود على القبط بالضرر؛ إِذ هم كانوا عمَلةَ الأَرض والصُّنَّاعَ[2] ونحو هذا، فعزم على أَن يقتل الولدان سنة ويستحييهم سنة، فوُلد هارون في سنة الاستحياءِ فكانت أُمُّه آمنة، ثم وُلد موسى في العام الرَّابع سنة القتل، فخافت أُمه عليه الذبح فبقيت متحيرة[3] مهتمة، فأَوحى الله إِليها، قيل: بمَلك جاءَها فأَخبرها وأَمرها.

قال بعض من روى هذا: ولم تكن نَبِيَّةً؛ لأَنا نجد في الشرع ورواياته أَن الملائكة قد كلَّمت من لم يكن نبيّاً، وقال بعضهم: بل كانت أُم موسى نَبِيَّة بهذا الوحي[4].

وقالت فرقة[5]: بل كان هذا الوحي رؤْيا رأَتها في النوم، وقالت فرقة: بل هو

(١) في المطبوع: «الأَفعال».

(٢) في نور العثمانية: «الضياع».

(٣) من أحمد٣.

(٤) أجمع أهل السنة أنه لا نبية من النساء، كما في الصفدية لابن تيمية (١/ ١٩٨)، وخالف فيه ابن حزم في الملل والنحل (٥/ ١٢).

(٥) في المطبوع والحمزوية: «وقال بعضهم».

وحي إِلهام وتسديد كوحي الله إِلى النحل وغير ذلك، فأَلهمها الله إِلى أَن اتَّخذت تابوتاً فقذفت فيه موسى راقداً في فراش، ثم قذفته في يمِّ النيل، وكان فرعون جالساً في موضع يشرف على النيل إِذ رأَى التابوت، فأَمر به فَسِيق إِليه وامرأَته معه، ففتح فرآه، فرحمته امرأَته وطلبته لتتخذه ابناً فأَباح لها ذلك.

وروي: أَن التابوت جاءَ في الماء إِلى المشرعة التي كان جواري امرأَة[1] فرعون يستقين فيها الماءَ، فأَخذن التابوت وجلبنه إِليها، فأَخرجته وأَعلمت فرعون وطلبته منه، ثم إِنها عرضته للرضاع فلم يقبل امرأَة، فجعلت تنادي عليه في المدينة ويُطاف به يعرض للمراضع، فكلما عرضت عليه امرأَة أَباها.

وكانت أُمه حين ذهب عنها في النيل بقيت مغمومة فؤادها، فارغ إِلَّا من هَمِّه، فقالت لأُختها: اطلبي أمره[2] في المدينة عسى يقع لنا منه خبر، فبينا الأُخت تطوف إِذْ بَصُرَتْ به وفهمت أَمره، فقالت لهم: أَنا أَدلكم على أَهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فتعلقوا بها وقالوا لها: أَنت تعرفين هذا الصبي، قالت: لا، غير أَني أَعلم من أَهل هذا البيت الحرصَ على التقرُّب إِلى الملكة، والجدَّ في خدمتها وِرضاها، فتركوها وسأَلوها الدلالة، فجاءَت بأُمِّ موسى فلما قربته شرب ثديها، فسُرَّت آسية امرأَة فرعون، وقالت لها: كوني معي في القصر، فقالت لها: ما كنت لأَدع بيتي وولدي، ولكنه يكون عندي، [قالت: نعم][3] فأَحسنت إِلى أَهل ذلك البيت غاية الإحسان، واعتزَّ بنو إِسرائيل بهذا الرضاع، والسبب من الملكة.

وأَقام موسى حتى كمل رضاعه، فأَرسلت إِليها آسية أَن جِيئي بولدي ليوم كذا، وأَمرت خدمها[4] ومن لها أَن يَلْقَيْنه بالتُّحف والهدايا واللباس، فوصل إِليها على ذلك

(١) ليس في الأصل، وهي في الإماراتية ملحقة في الهامش.
(٢) في نجيبويه والإماراتية والمطبوع: «أَثره».
(٣) ليس في المطبوع.
(٤) في أحمد**٣**: «حرمها».

وهو بخير حال وأَجمل شباب، فسُرَّت به ودخلت به على فرعون ليراه ويهبه، فرآه وأَعجبه وقرَّبه، فأَخذ موسى عليه السلام بلحية فرعون وجَبَذَهَا، فاستشاط فرعون، وقال: هذا عدوٌّ لي، وأَمر بذبحه[١]، فناشدته فيه امرأَته وقالت: إِنه لا يعقل، فقال فرعون: بل يعقل، فاتَّفقا على تجربته بالجمر والياقوت حسبما ذكرنا آنفاً في حلِّ العُقْدة، فنجاه الله من فرعون، ورجع[٢] إِلى أُمه فشَبَّ عندها [فاعتز به بنو إسرائيل][٣] إِلى أَن ترعرع، وكان فتًى جلْداً فاضلاً كاملا[٤]، فاعتزت به بنو إِسرائيل بظاهر ذلك الرضاع، وكان يحميهم ويكون ضلعه معهم، وهو يعلم من نفسه أَنه منهم ومن صميمهم، فكانت بصيرته في حمايتهم وكيدة[٥]، وكان يعرف ذلك أَعيان بني إِسرائيل.

ثم إِن قصة القبطي المقاتل مع الإسرائيلي نزلت، وذِكْرُها في موضعها مستوعَبٌ، فخرج موسى عليه السلام من مصر حتى وصل إِلى مدين، فكان من أَمره مع شعيب ما هو في موضعه مُسْتَوْعَب، [يختص منه بهذا الموضع][٦] أَنه تزوج ابنته الصغرى على رعية الغنم عشر سنين، ثم اعتزم الرحيل بزوجته إِلى بلاد مصر، فجاءَ في طريقه فَضَلَّ في ليلة مظلمة، فرأَى النار حسبما تقدم ذكره، فعدَّد الله تعالى على موسى في هذه الآية ما تضمنته هذه القصة من لطف الله تعالى به في كل فضل، وتخليصه له من قصة إِلى أُخرى، وهذه الفتون التي فتنه بها؛ أَي: اختبره وخلَّصه حتى صلح للنبوة وسَلِم لها.

وقوله: ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ إِبهامٌ[٧] يتضمن عِظَم الأَمر وجلالته في النعم، وهذا نحو

---

(١) في نجيبويه والمطبوع: «بقتله».

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «وردَّه».

(٣) ليس في المطبوع ونجيبويه، وكأنها مكررة مع ما سيأتي.

(٤) ليس في المطبوع وأحمد٣.

(٥) ليست في المطبوع، وفي بعض النسخ الخطية: «وكيده» بالهاء.

(٦) ليس في المطبوع، وفيه بدلاً منه: «من».

(٧) في الحمزوية: «إفهام».

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦] وهو كثير في القرآن والكلام، و﴿أَنِ﴾ في قوله: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ بدلٌ من ﴿مَا﴾، والضمير الأَول في ﴿ٱقْذِفِيهِ﴾ عائد على موسى، وفي الثاني على التابوت، ويجوز أَن يعود على موسى.

وقوله: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ﴾ خبر خرج في صيغة الأَمر مبالغةً[1]؛ إِذ الأَمر أَقطع الأَفعال وأوجبها، ومنه قول النبي ﷺ: «قُوموا فَلأصَلِّ لكم»[2]، فأَخرج[3] الخبر في صيغة الأَمر لنفسه مبالغةً، وهذا كثير، ومن حيث خرج الفعل مخرج الأَمر حسن جوابه كذلك.

والعَدُوُّ الذي هو لله ولموسى كان فرعون، ولكن أُم موسى أُخبرت به على الإِبهام[4]، ولذلك قالت لأُخته: قُصِّيه، وهي لا تدري أَين؟

ثم أَخبر تعالى موسى أَنه أَلقى عليه مَحَبَّة منه، فقال بعض الناس: أَراد محبة آسية؛ لأَنها كانت من الله، وكانت سبب حياته، وقالت فرقة: أَراد القبول الذي يضعه الله في الأَرض لخيار عباده، وكان حظ موسى منه في غاية الوفر، وقالت فرقة: أَعطاه جمالاً[5] يُحِبُّه به كل من رآه، وقالت فرقة: أَعطاه ملاحة العينين، وهذان القولان فيهما ضعف، وأَقوى الأقوال أَنه القبول.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ بكسر اللام وضم التاءِ على معنى: ولِتُغذى ولِتُطعم وتُربى.

---

(١) ليست في نجيبويه.

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٨٠) عن أنس بن مالك: أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته له، فأكل منه ثم قال: «قوموا فلأصل لكم»، قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لُبِس، فنضحته بماء، فقام رسول الله ﷺ وصففت واليتيم وراءه والعجوز من ورائنا، فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين، ثم انصرف.

(٣) في الأصل: «فأخبر».

(٤) في نجيبويه: «الإيهام».

(٥) في المطبوع: «إجلالًا».

وقرأ أَبو نُهَيْك: (وَلِتَصْنَعَ) بفتح التاء، قال ثعلب: معناه: لتكون حركتك وتصرفك على عين مني[١].

وقرأ أَبو جعفر بن القعقاع: ﴿وَلْتُصْنَعْ﴾ [بسكون اللام][٢] على الأمر للغائب، وذلك مُتَّجه.

وقوله: ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ معناه: بمرأًى مني، وأَمر مدرك مبصر مراعًى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا / فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾. [٤/ ٢٥]

العامل في ﴿ إِذْ﴾ فعل مضمر تقديره: ومَنَنَّا إِذْ، وتقدم تفسير هذه الآية في القصص المذكور آنفاً.

وقرأَت فرقة: ﴿تَقَرَّ﴾ بفتح القاف، وقرأَت فرقة: بكسر القاف[٣].

والنَّفْسُ التي قتلها هي نفس القبطي الذي كان يقاتل الإِسرائيلي فوكزه موسى فقضى عليه.

و﴿ٱلْغَمِّ﴾: همُّ النفس، وكان همّ موسى بأَمر مَن طلبه ليثأَر به.

وقوله: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ معناه: خَلَّصْنَاك تخليصاً، هذا قول جمهور المفسرين، وقالت فرقة: معناه: اختبرناكَ، وعلى هذا التأْويل لا يُراد إِلَّا ما اختُبر به موسى بعد بلوغه وتكليفه، وما كان قبل ذلك فلا يدخل في اختبار موسى.

وعدَّة سنيه فِي أَهْلِ مَدْيَنَ عشرة أَعوامٍ؛ لأَنه إِنما قضى أَوفى الأَجلين.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص:٣٠٧).

(٢) ويلزمه سكون العين، وهي عشرية انظر: النشر (٢/ ٣٢٠)، والمحتسب (٢/ ٥٠)، وفي المطبوع ونجيبويه: «بالياءِ وكسر اللام».

(٣) وهي شاذة، رواها ابن بكار عن ابن عامر كما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٧)، وجامع البيان (٣/ ١٣٥٥)، وضعفها.

وقوله: ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾؛ أي: بميقات محدود للنبوة التي قد أَرادها الله بك، ومنه قول الشاعر:

[البسيط]

نَالَ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَراً كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ[١]

و(اصطنعتك): معناه: جعلتك موضع الصنيعة، ومقرَّ الإِجمال والإِحسان.

وقوله: ﴿لِنَفْسِي﴾ إضافة تشريف، وهذا كما تقول: بيت الله، ونحوه: «والصِّيامُ لي، [وأَنا أَجْزِي به]»[٢]، وعبَّر بالنفس عن شدَّة القرب وقوة الاختصاص.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ اَذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾.

أَمر الله تعالى موسى وهارون في هذه الآية بالنفوذ إِلى دعوة فرعون، وخاطب موسى وحده تشريفاً له، ويحتمل أَن هارون أُوحي إِليه مع مَلَك أَن ينفذ.

و﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ معناه: بعلاماتي التي أعطيتكموها من معجزة وآية وحي وأَمْر ونهي كالتوراة.

و﴿تَنِيَا﴾ معناه: تضعفا وتبطئا، تقول: وَنَى فلان في أَمْر كذا إِذا تباطأَ فيه عن ضعف.

ومنه قول الشاعر:

[الطويل]

.... فَمَا أَنَا بِالوَانِي وَلَا الضَّرَعِ الغُمْرِ[٣]

---

(١) البيت لجرير، وقد تقدم في تفسير الآية (٧٤) من سورة البقرة.

(٢) من المطبوع ونجيبويه.

(٣) صدره: (أناةً وحلماً وانتظاراً بهم غداً)، نسبه في العين (١/ ٢٦٩) لطرفة بن العبد، وفي الأمالي للقالي (٢/ ١٧٤) لابن أذينة الثقفي، وفي الشعر والشعراء (٢/ ٧٢٤) للأجرد الثقفي، وفي الأغاني (٢٢/ ٢١٩)، والوحشيات (ص: ١٦٧) للحارث بن وعلة الجرمي، وفي الحماسة البصرية (١/ ٦٢) أنه شيباني، قال: وقيل: وعلة بن الحارث، وقيل: هو لابن الذئبة الأسدي، وقيل: لكنانة بن عبد ياليل الثقفي.

و«الوَنَى»: الكلالُ والفَشَل في البهائم والإِنس.

وفي مصحف ابن مسعود: (وَلَا تَهِنَا في ذِكْرِي)[١]، معناه: وَلاَ تَلِينا، من قولك: هيِّنٌ ليِّنٌ.

و«القَوْلُ اللَّيِّنُ» قالت فرقة: معناه: كَنِّيَاهُ، وقالت فرقة: بل أَمرهما بتحسين الكلمة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الوجه، وذلك أَن كل من يريد دعاءَ إِنسان إِلى أَمر يكرهه، فإِنما الوجه أَن يحرر في عبارته المعنى الذي يريد [حتى لا يخل به ولا يحز منه، ثم][٢] يجتهد بعد ذلك في أَن تكون عبارته لطيفة، ومقابلته ليِّنَة، فذلك أَجلبُ للمراد، فأَمر موسى وهارون أَن يَسْلُكَا مع فرعون إِكمال الدعوة في لين من القول.

وقوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ﴾ معناه: على رجائِكما وطمعكما، فالتوقع فيها إِنما هو راجع إِلى جهة البشر.

وقرأَ الجمهور ﴿يَفۡرُطَ﴾ بفتح الياءِ وضم الراءِ، ومعناه: يَعْجَل ويسرع بمكروه فينا، ومنه الفارط في الماءِ، وهو الذي يتقدم القوم إِليه، قال الشاعر:

فَاسْتَعْجَلُونَا وكَانُوا مِنْ صَحَابَتِنا ... كَمَا تَعَجَّلَ فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ[٣] [البسيط]

وقرأَت فرقة: (يُفرِطَ) بضم الياءِ وكسر الراءِ، ومعناه: يَشْتَطُّ [في إذايتنا][٤].

وقرأَ ابن محيصن: (يُفْرَطَ) بضم الياءِ وفتح الراءِ[٥]، ومعناها أَن يحمله حامِلٌ على التسرع إِلينا.

---

(١) تفسير الثعلبي (٦/ ٢٤٥).

(٢) ليس في أحمد٣ ولالاليه، وفي المطبوع ونجيبويه: «يخرمنه»، بدل: «يحز منه».

(٣) البيت للقطامي كما في تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٤)، وترتيب إصلاح المنطق (١/ ٢٨٨)، والزاهر للأنباري (١/ ٢٧١)، والصحاح للجوهري (٣/ ٢٨٥)، وفي المطبوع وأحمد٣ ولالاليه: «تقدم»، بدل «تعجل».

(٤) ليس في المطبوع.

(٥) وهما شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ٥١)، الأولى بلا نسبة.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ يريد بالنصر والمعونة والقدرة على فرعون، وهذا كما تقول: الأمير مع فلان: إذا أردت أنه يحميه.

و﴿أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾: عبارة عن الإدراك الذي لا تخفى معه خافية، تبارك الله رب العالمين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾.

المعنى: فأْتِيا فرعون فأَعلماه أَنكما رسولاي[١] إليه، وعبَّر لفرعون بـ﴿رَّبِّكَ﴾ تحقيراً له؛ إِذْ كان هو يدَّعي الربوبية، ثم أَمرا بدعوته إِلى أَن يَبْعَث معهما بني إِسرائيل ويُخرجهم من ذل[٢] خدمة القبط، وقد تقدم في هذه الآية دعاؤُه إِلى الإِيمان، وهذه جملة ما دُعي إِليه فرعون: الإِيمان وإِرسال بني إِسرائيل، والظاهر أَن رسالته إِليه ليست على حدِّ إِرساله إِلى بني إسرائيل، وتعذيبُ بني إسرائيل كان ذبح أَولادهم وتسخيرهم[٣] وإِذلالهم.

والآية التي أَحالَا عليها هي العصا واليد.

وقال: ﴿جِئۡنَٰكَ﴾ ـ والجائي بها موسى ـ تجوُّزاً من حيث كانا مشتركين.

وقوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾[٤] يحتمل أَن يكون آخر كلامٍ وفَصْله، فيقوى أَن يكون السلام بمعنى التحية، كأَنما رغبا بها عنه، وجَرَيا على العُرف في التسليم عند الفراغ من القول، فسلَّما[٥] على متبع الهدى، وفي هذا توبيخ له.

قال القاضي أَبو محمد: وعلى هذه الجهة[٦] استعمل الناس هذه الآية في مخاطبتهم ومحاوراتهم.

---

(١) في المطبوع: «رسولان».
(٢) في الأصل: «غلِّ».
(٣) ليست في المطبوع.
(٤) كتبت في الأصل: «قوله عليه السلام: على من اتبع الهدى»، والمقصود به على هذه النسخة موسى.
(٥) في الأصل: «مسلماً».
(٦) في المطبوع ونجيبويه: «الجملة».

ويحتمل أَن يكون في درج القول متصلاً بقوله: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ﴾، فيقوى[١] على هذه أَن يكون خبراً بأَن السلامة للمهتدين، وهذان المعنيان قالت كلَّ واحد منهما فرقةٌ، لكن دون هذا التلخيص، وقالوا: (السَّلامُ) بمعنى: السَّلامة، و(على) بمعنى اللام؛ أَي: السَّلامةُ لمن اتَّبع الْهُدى، ولما فرغا من المقالة التي أُمرا بها عند قوله: ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ خاطبهما فرعون، وفي سرد هذه الآية حذف يدل عليه ظاهر الكلام، تقديره: فأَتَياهُ فلما قالا جميع ما أُمِرَا به قال لهما فرعون: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾، وقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ بعد جمعه مع هارون في الضمير نداءٌ له بمعنى التخصيص والتوقيف؛ إِذْ كان صاحب عُظْم الرسالة ولزيم الآيات.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ / كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾. [٤/ ٢٦]

استبدَّ موسى بجوابه من حيث خصه بالسؤال، ثم أَعلمه من صفات الله تعالى بالتي[٢] لا شرك لفرعون فيه ولا بوجه مجاز.

واختلف المفسرون في قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾:

فقالت فرقة: معناه: أَعطى الذكران من كل حيوان ـ نوعه وخلقته ـ أُنثى، ثم هدى للإِتيان.

وقالت فرقة: بل المعنى[٣]: أَعطى كل موجود من مخلوقاته خِلْقَتَهُ وصورتَهُ؛ أَي: أَكْمَلَ ذلك له وأَتقنه، ثم هَدَى[٤]، أَي: يسَّر كل شيء لمنافعه ومرافقه.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا القول أَشرف معنًى، وأَعم في الموجودات.

---

(١) في المطبوع: «فيحتمل».
(٢) في الأصل: «بأن».
(٣) ليس في المطبوع ونجيبويه.
(٤) في نجيبويه: «ثم مد».

وقرأَت فرقة: (خَلَقَهُ)[1] بفتح اللام، ويكون المفعول الثاني بـ«أَعْطَى» مُقَدَّرا، تقديره: كماله أَو مصلحته[2].

وقول فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ يحتمل أَن يريد محاجَّته بحسب ما تقدم من القول ومناقضته فيه، فليس يتَّجه على هذا أَن يريد إِلا[3] ما بال القرون الأُلى [لم تُبعث إِليها][4] ولم يوجد أَمْرُكَ عندها؟ فردَّ موسى عليه السلام عِلْم[5] ذلك إِلى الله تعالى.

ويحتمل أَن يريد فرعون قطْع الكلام الأَول والرجوع إِلى سؤال موسى عن حالة من سلف من الناس روغاناً في الحجة وحيدة، وقيل[6]: الْبَالُ: الحال، كأَنه سأَله عن حالهم، كما جاءَ في الحديث: «يهديكم الله ويصلح بالكم»[7].

قال النقاش: إِنما قال فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ لمَّا سمع مؤمن آله يقول: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾، الآية [غافر: ٣٠][8]، وردَّ موسى العلم إِلى الله؛ لِأَنه لم تأتِه التوراة بعد.

وقوله: ﴿فِى كِتَـٰبٍ﴾ يريد اللوح المحفوظ، أَو فيما كتبته الملائكة من أَحوال البشر.

وقرأَت فرقة: ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ بفتح الياءِ وكسر الضاد[9]، واختُلف في معنى هذه

---

(١) وهي شاذة، عزاها في جامع البيان (٣/ ١٣٥٥) لرواية نصير عن الكسائي، وزاد معه في مختصر الشواذ (ص: ٩٠) أبا نهيك.

(٢) في الأصل: «أو خلقته».

(٣) ليس في الأصل.

(٤) ليس في الأصل.

(٥) في نجيبويه: «عظم».

(٦) في الأصل: «وقال».

(٧) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (٦٢٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٨) لم أقف على كلام النقاش.

(٩) هذه هي المتواترة، ومقابلها ضم الياء وفتح الضاد، شاذة عزاها في مختصر الشواذ (ص:٩٠) للحسن والجحدري وحماد بن سلمة.

القراءة فقالت فرقة: هو ابتداءُ كلام، تنزيهٌ لله تعالى عن هاتين الصفتين، وقد كان الكلام تمَّ في قوله: ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾، و﴿يَضِلُّ﴾ معناه: ينتلف ويعمه[1].

وقالت فرقة: بل قوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ من صفات الكتاب؛ أَي: إن الكتاب لا يغيب عن الله تعالى، تقول العرب: ضَلَّني الشَّيْءُ إِذا لم أَجده، وأَضْلَلْتُهُ أَنا، ومنه قول النبي ﷺ حكاية عن الإِسرائيلي الذي طلب أَن يُحرق بعد موته: «لعلي أُضلُّ اللهَ»[2] الحديث.

و﴿يَنسَى﴾: أَظهر ما فيه أَن يعود ضميره إلى الله تعالى، ويحتمل أَن يعود إلى الكتاب في بعض التأويلات، يصفه بأَنه لا ينسى؛ أَي: لا يَدَعُ شيئاً، فالنسيان هنا استعارة، كما قال في موضع آخر: ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، فوصفه بالإِحصاء من حيث حصرت فيه الحوادث.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾.

انظر أَن[3] هذه الأَشياء التي ذكرها موسى عليه السلام هي مما تقضي بَدائهُ[4] العقولُ أَن فرعون وكل بشر بعيدٌ منها؛ لأَنه لو قال: هو القادر الرزاق المريد العالم

---

(١) ليست في المطبوع، وفيه: «يتلف»، ثلاثياً.

(٢) لا بأس بإسناده، أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤٤٧) من حديث حماد بن سلمة، عن أبي قزعة، عن حكيم بن معاوية عن أبيه، والطبراني في الكبير (١٩/ ٤٢٣ رقم ١٠٢٦) وغيره من حديث بهز ابن حكيم، عن أبيه، عن جده مرفوعاً، وأصل الحديث متفق عليه بدون هذه الجملة في البخاري (٣٤٧٨) من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم (٢٧٥٦) من حديث أبي هريرة.

(٣) «إن» ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٤) في لالاليه: «بذاته»، وكتبت في المطبوع وسائر النسخ الخطية: «بداية»، وهي في أحمد ٣ محتملة.

ونحو هذا من العبارات لأَمكن فرعون أَن يغالط ويقول: أَنا أَفعل هذا كله، فإِنما أَتاه موسى عليه السلام بصفات لا يمكنه أَن يقول: إِن ذلك له.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿مِهَاداً﴾ بكسر الميم وبأَلف، و«المِهَادُ»: هو جمع مَهْدٍ، وقيل: هو اسم مفرد كفَرْش وفِرَاش.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ بفتح الميم وسكون الهاء[١].

وقوله: (سَلَكَ) بمعنى: نَهَجَ ولَحَبَ.

و«السُّبُل»: الطُّرُق.

وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾ يحتمل [أَن يكون من كلام موسى، على تقدير: يقول عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾، ويحتمل][٢] أَن يكون كلام موسى تمَّ عند قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، ثمَّ وصل الله تعالى كلام موسى بإِخباره لمحمد ﷺ، والمراد الخلق أَجمع، فهذه الآيات المنبَّهة[٣] عليها.

و«الأَزْوَاج» بمعنى: الأَنواع.

وقوله: ﴿شَتَّىٰ﴾ نعت للأزواج؛ أَي: مختلفات.

وقوله: ﴿كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ﴾ بمعنى هي صالحة أَن يؤكل منها وترعى الغنم فيها، فأَخرج العبارة في صيغة الأَمر؛ لأَنه أرجى[٤] الأَفعالِ، وأَهزُّها[٥] للنفوس.

و﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ النُّهَى جمع نُهْيَة، و«النُّهْيَـةُ»: العقل الناهي عن القبائح.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥١)، وفي المطبوع «ابن عباس» بدل «ابن عامر».

(٢) ليس في الأصل والحمزوية.

(٣) في الإماراتية وأحمد٣: «المنبئة».

(٤) في المطبوع ولالاليه ونور العثمانية: «أَوحى».

(٥) في الأصل: «أهدها»، وفي العلمية: «وأهدأها».

وقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ يريد: من الأَرض، وهذا من حيث خلق آدم من تراب.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يريد: بالموت والدفن والفَنَاءِ كيف كان.

وقوله: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يريد: بالبعث يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ إِخبارٌ [من الله تعالى][1] لمحمد ﷺ [عن فرعون، وهذا يؤيد أَن الكلام من قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ إِنما هو خطاب لمحمد ﷺ][2].

وقوله: ﴿كُلَّهَا﴾ عائد على الآيات التي رآها، لا أَنه رَأَى كلَّ آية لله، وإِنما المعنى أَن الله تعالى أَراه آياتٍ مَّا، وهي العصا واليد والطمسة وغير ذلك، وكانت رؤْيته لهذه الآيات مستوعبة، يرى الآية كلَّها كاملة، كأَنه قال: لقد أَريناهُ آياتٍ مَّا بكمالها، فأَضاف الآيات إلى ضمير العظمة تشريفاً لها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَبَى﴾ يقتضي تَكَسُّبَ فرعون، وهذا هو الذي يتعلق به الثواب والعقاب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩)﴾.

هذه المقاولة من فرعون تدل على أَن أَمر موسى قد كان قَوِيَ، وكَثُر مُتَّبِعُوه من بني إِسرائيل، ووقع أَمْرُه في نفوس الناس، وذلك أَنها مُقاولة من يحتاج إلى الحُجَّة لا من يصدع بأَمْر نفسه.

وأَرْضُهم: هي أَرْضُ مصر.

وقرأَت فرقة: ﴿لَا نُخْلِفُهُ﴾ بالرفع، وقرأَت فرقة: ﴿لا نُخْلِفْه﴾ بالجزم حملاً على جواب الأَمر[3].

(١) من المطبوع ونجيبويه.
(٢) ليس في الحمزوية.
(٣) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٢٠)، والأولى للباقين.

و﴿نَحْنُ﴾: تأْكيد للضمير من حيث احتاج الكلام إِلى العطف عليه أُكِّد.

و﴿مَوْعِدًا﴾: مفعول أَول لـ(اجْعَلْ)، و﴿مَكَانًا﴾ مفعول ثانٍ، هذا الذي اختارَ أَبو علي[1]، ومنع أَن يكون ﴿مَكَانًا﴾ معمولًا لقوله: ﴿مَوْعِدًا﴾؛ / لأنه قد وُصف، وهذه الأَسماءُ العاملةُ عمل الفعل إِذا نُعتت أَو عُطف عليها أَو أُخبر عنها أَو صُغِّرت أَو جُمعت وتوغَّلت في الاسمية بمثل هذا لم تعمل، ولَا تَعَلَّق بها شيءٌ هو منها، وقد يُتَوَسَّع في الظروف فتُعلَّق بعد ما ذكرنا، كقوله عز وجل: ﴿يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ [غافر: ١٠]، فقوله: ﴿إِذْ﴾ معلق بقوله: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ وهو قد أُخبر عنه، وإِنما جاز هذا في الظُّروف خاصة، وكذلك منع أَبو علي أَن يكون قوله: ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم: ٢٢] نصباً[2] على الظرف السَّادِّ مَسَدَّ المفعول.

[٤/ ٢٧]

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظر.

ومنع قومٌ أَن يكون ﴿مَكَانًا﴾ نصباً على المفعول الثاني بـ﴿نُخْلِفُهُۥ﴾، وجوَّزه كثير من النحاة، ووجهه أَن يتَّسع في أَن يخلف الوعد.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، ونافع، والكسائي: ﴿سِوًى﴾ بكسر السِّين.

وقرأَ ابن عامر، وعاصم، وحمزة: ﴿سُوًى﴾ بضمها[3]، والجمهور نوَّن الواو.

[وقرأَ الحسن: (سِوَى) بكسر السين غير منون الواو][4]، قال أَبو الفتح: تَرْكُ الصرف هنا مشكل، والذي ينبغي أَن يكون محمولاً على الوقف[5].

وقرأَت فرقة: (سَواء)، ذكره أَبو عمرو عن ابن أَبي عبلة[6].

---

(١) انظر: الحجة (٥/ ٢٢٨).

(٢) كتبت في المطبوع: «نصب».

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥١)، والسبعة (ص: ٤١٨).

(٤) ليس في الأصل.

(٥) انظر قراءة الحسن وتوجيهها في المحتسب (٢/ ٥١)، وهي شاذة.

(٦) شاذة، عزاها له في الشواذ للكرماني في (ص: ٣٠٨)، وزاد المسير (٥/ ٢٩٤) وضبطها فقال: =

ومعنى ﴿سُوًى﴾؛ أَي: عدْلاً ونَصَفة، قال أَبو علي: فكأَنه قال: مكاناً قربه منكم قُرْبه منَّا[١].

قال القاضي أبو محمد: وإِنما أَراد: أن حالنا فيه مستوية، فيعُمُّ ذلك القُرْبَ، وأَن تكون المنازل فيه واحدة في تعاطي الحق، أَي: لا تعترضكم فيه الرياسة، وإِنما تقصد الحجة.

و(سُوًى) لغةٌ في (سِوًى)، ومن هذه اللَّفظة قول الشاعر:

وَإِنَّ أَبَـانَـا كَـانَ حَـلَّ بِبَـلْـدَةٍ سِوًى بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلانَ وَالفِزْرِ[٢] [الطويل]

[وقالت فرقة: معناه: مستوياً من الأَرض، لا وَهْدَ فيه، ولا نشز][٣].

وقالت فرقة: معناه: سوَى مكاننا هذا، فقال موسى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾، اتَّسع في الظرف من قرأه برفع ﴿يَوْمُ﴾، فجعله خبراً.

وقرأ الحسن، والأعمش، والثَّـقَفي: (يَوْمَ) بالنصب[٤] على الظرف، والخبر مقدر.

ورُوي: أَن يوم الزِّينَةِ كان عيداً لهم ويوماً مشهوراً[٥]، وصادف يوم عاشوراءَ، وكان يوم سبت، وقيلَ: هو كسر الخليج الباقي إلى اليوم[٦].

= بالمد والهمز والنصب والتنوين وفتح السين، وكذلك كتبت في الإماراتية ونجيبويه، وكتبت في المطبوع وسائر النسخ: «سوى بالقصر».

(١) الحجة للفارسي (٥/ ٢٢٤).

(٢) البيت لموسى بن جابر الحنفي، كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٠)، والثعلبي (٦/ ٢٤٩)، والأغاني (١١/ ٣١٧)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٥)، وسماه في الحماسة (١/ ١١٩): يحيى بن منصور الحنفي، والفزرُ هو سعد بن زيد بن مناة، كما في الاشتقاق (١/ ٢٤٥).

(٣) ليس في نجيبويه، وفي المطبوع: «ولا نَجْد»، بدل «ولا نشز».

(٤) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٥٢)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٤٧٠).

(٥) في المطبوع ونور العثمانية: «مشهوداً».

(٦) الهداية لمكي (٧/ ٤٦٥٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٤٠٩).

وقوله: ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ عطف على ﴿الزِّينَةِ﴾، فهو في موضع خفض.

ويحتمل أَن يكون في موضع رفع على تقدير: موعدكم أَن يُحشر الناس، ويقلق[1] عطفه على اليَوْم، وفيه نظر.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ رفعاً[2].

وقرأَ ابن مسعود، والخدري وجماعة: (يَحْشُرَ النَّاسَ) بفتح الياءِ وضم الشين ونصب (النَّاسَ)[3].

وقرأَت فرقة: (نَحْشر) بالنون[4].

و«الحَشْرُ»: الجمع، ومعناه: نحشر الناس لمشاهدة المعارضة، والتَّهَيُّؤ لقبول الحق حيث كان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾.

المعنى: فَجَمَعَ السَّحرة ووعدهم وأَمرهم بالإِعداد لموسى، [وروَّى أمرهم][5]، فهذا هو كَيْده.

ثُمَّ أَتى فرعون بجمعه وأَهل دولته، والسحرة معه، وكانت عصابة لم يخلق الله

---

(١) في المطبوع: «وتعلق».

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «﴿يُحْشَرَ﴾ برفع الياء».

(٣) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٨)، والمحتسب (٢/ ٥٣)، وزاد آخرين، وفيهما الجحدري، وفي المطبوع: «أبو سعيد الخدري».

(٤) وهي شاذة، عزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٠٨) لأبي نهيك وأبي عمران.

(٥) ليس في المطبوع وأحمد٣.

أَسْحر منها، وجاءَ أيضاً موسى عليه السلام ببني إِسرائيل معه، فقال موسى للسَّحرة: ﴿وَيْلَكُمْ﴾، وهذه مخاطبة مُحَذِّرة، وندبهم في هذه الآية إلى قول الحق إذا رأَوه، وأَلَّا يباهتوا بكذب.

وقرأَ ابن عباس، ونافع، وعاصم، وأَبو عمر، وابن عامر: ﴿فَيَسْحَتَكُمْ﴾ بفتح الياءِ، وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ بضم الياءِ[1]، وهما لغتان بمعنىً، يقال: سَحَتَ وأَسْحَتَ إذا أَهْلَكَ وَأَذْهَبَ، ومنه قول الفرزدق:

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدع ... مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ[2] [الطويل]

فهذا من أَسْحَتَ.

فلما سمع السحرةُ هذه المقالة هالهم هذا المنـزع، ووقع في نفوسهم من مهابته أمر رعب[3] شديد، وتنازعوا أَمرهم، والتَّنازع يقتضي اختلافاً كان بينهم في السِّر، أَي: قال بعضهم لبعض: هو محق، وقال بعضهم: هو مبطل، وقال بعضهم: إِن كان من عند الله فَسَيَغْلِبنا، ونحو هذا من الأَقوال التي تعهد من الجموع الكثيرة في وقت الخوف كالحرب ونحو هذا، ومعلوم أَن جميع تناجيهم إِنما كان في أَمر موسى، وقالت فرقة: إِنما كان تناجيهم بالآية التي بعد هذا ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾.

قال القاضي أبو محمد: والأَظهر أَنَّ تلك قيلت علانية[4]، ولو كان تناجيهم ذلك لم يكن ثمَّ تنازع، و﴿ٱلنَّجْوَىٰ﴾: السرار والـمُسَارَرَةُ، أَي: كان كل رجل منهم يناجي من

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥١)، والسبعة (ص: ٤١٩)، وعاصم في الأولى شعبة خاصة، و«ابن عباس» صوابه: «ابن كثير».

(٢) انظر عزوه له في: تفسير الطبري (١٠/ ٣٢٤)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٧٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٩٥)، ومجاز القرآن (٢/ ٢١)، والأغاني (١٠/ ٣١١)، والعين (٢/ ٢٢٤)، والعقد الفريد (٥/ ٣٢٤).

(٣) من المطبوع، وسقطت «أمر» من الإماراتية.

(٤) في الأصل: «علامة».

يليه، ثم جعلوا ذلك سرّاً مخافة فرعون أَن يتبيَّن فيهم ضعفاً؛ لأَنهم حينئذ لم يكونوا مُصَمِّمين على غلبة موسى، بل كان ظنّاً من بعضهم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ الآية.

قرأَ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿إِنَّ﴾ مُشَدَّدة النون ﴿هَذَانِ﴾ بأَلفٍ ونون مخففة للتَّثنية.

وقرأَ أَبو عمرو وحده: ﴿إِنَّ هذين لساحران﴾.

وقرأَ ابن كثير: ﴿إِنْ هذانِّ﴾ بتخفيف نون ﴿إِنْ﴾ وتشديد نون ﴿هَذانِّ لَسَاحِرَانِ﴾.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿إِنْ﴾ بالتخفيف ﴿هَٰذَٰنِ﴾ خفيفة أيضاً ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾[١].

وقرأَت فرقة: (إِنْ هذانِ إلا ساحران)، وقرأَت فرقة: (إِنْ ذَانِ لَسَاحِرَانِ)، وقرأَت فرقة: (مَا هَذَانِ [إِلَّا سَاحِرَانِ)، وقرأَت فرقة: (إِنَّ هَذَانِّ)][٢] بتشديد النون من (هَذَانِ)[٣].

فأَمَّا القراءَة الأولى، فقالت فرقة: قوله: ﴿إِنَّ﴾ بمعنى: نعم، كما روي أَنَّ رسول الله ﷺ قال في خطبة: «إِنَّ، الحمدُ للَّهِ» برفع «الحمدُ»[٤]، وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: إِنَّ، ورَاكِبَهَا، حين قال له رجل: أبعدَ[٥] اللهُ ناقةً حملتني إِليك[٦].

---

(١) هذه أربع قراءات سبعية، وشعبة مع الأولين، انظر: السبعة (ص: ٤١٩)، والتيسير (ص: ١٥١).

(٢) ليس في لالاليه.

(٣) هذه أربع قراءات شاذة، الأولى لابن مسعود كما في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣١)، ومختصر الشواذ (ص: ٩١)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٠٨)، ونقل الثانية عن هارون العتكي عن بعض القراء، والثالثة في إبراز المعاني لأبي شامة (٢/ ٢٨٣) عن أبي، والرابعة لم أجدها.

(٤) لم أقف عليه مسنداً.

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «لعن»، وفي الإماراتية: «فأبعد».

(٦) انظر: العين (٨/ ٣٩٨)، والبيان والتبيين (٢/ ١٩٢)، وعيون الأخبار (٣/ ١٥٩)، والعقد الفريد (٤/ ٤٥).

ويلحق هذا[١] التأويل أَنَّ اللام لا تدخلُ في خبر الابتداء، وهو مما يجوز في الشِّعر، ومنه قول الشاعر:

أُمُّ الْحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بِعَظْمِ الرَّقَبَه[٢] [الرجز]

وذهبت فرقة إِلى أَن هذه الآية [على لغة بلحارث][٣] بن كعب وهو إِبْقاءُ أَلف التَّثْنِية في حالي النصب والخفض، فمن ذلك قول الشاعر:

تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذْنَاهُ ضربةً دَعَتْهُ إِلى هَابِي التُّرَابِ عَقِيمِ[٤] [الطويل]

/ وقال الآخر: [٤/ ٢٨]

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغاً لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا[٥] [الطويل]

وتُعزى هذه اللغة لِكِنَانَة، وتُعزى لِخَثْعم.

وقال الفراءُ: الأَلف في (هَذَانِ) دعامةٌ، وليست بمجلوبة للتثنية، وإِنما هي أَلف هذا تركت[٦] في حال التَّثنية، كما نقول: الذي ثم تزيد في الجمع نونا وتترك الياءَ في حال الرفع والنصب والخفض.

وقال الزجاج: في الكلام ضمير تقديره: إِنَّه هذان لَسَاحران[٧].

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «ويدخل في هذا».

(٢) البيت لعنترة بن عروس كما في خزانة الأدب (١٠/ ٣٤٩): عن الصاغاني، قال: وقال العيني: هو لرؤبة بن العجاج.

(٣) في المطبوع: «بِلُغة بني الحارث بن كعب».

(٤) البيت لهَوْبر الحارثي كما في غريب الحديث لابن سلام (١/ ٣٣٤)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٥٣٢)، ولسان العرب (٨/ ١٩٧).

(٥) البيت للمُتلَمِّس، كما في الشعر والشعراء (١/ ١٧٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٨٧)، ومعاني القراءات للأزهري (٢/ ١٥٠).

(٦) في الأصل ولالاليه: «تركبت»، وفي نجيبويه: «ألف مد تركت».

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٦٢)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ١٨٣).

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا التأويل دخول اللام في الخبر.

وقال بعض النحاة: أَلِف (هَذَانِ) مُشَبَّهَة هنا بأَلف تَفْعلان.

وقال ابن كيسان: لما كان (هَذَا) بحال واحدة في رفعه ونصبه وخفضه تركت تثنيته هنا كذلك[١].

وقالت جماعةٌ منهم عائشة رضي الله عنها[٢]، وأَبو عمرو[٣]: هذا ممَّا لَحَنَ الكاتب فيه وأُقيم بالصواب، وهو تخفيف النون من (إِنْ).

قال القاضي أبو محمد: وهذه الأَقوال مُعْتَـرَضة، إِلَّا ما قيل من أَنها لغة، و(إِنَّ) بمعنى: أَجَل ونعم، أَوْ إِنَّ في الكلام ضميراً.

وأَمَّا من قرأَ (إِنْ) خفيفة فهي عند سيبويه المخففة من الثقيلة، ويرتفع بعدها الاسم، ويقول الفراءُ: هي بمعنى (ما)، واللام بمعنى (إِلَّا) وَوَجْه سائر القراءَات بيِّنٌ.

وعبَّر كثير من المفسرين عن الطريقة بالسَّادة، وإِنما يراد بها أَهل العقل والسنِّ والحِجَى، وحكوا أَن العرب تقول: فلان طريقة قومه، أَي: سَيِّدهم، والأَظهر في الطريقة هنا أَنها السِّيرة والمملكة والحال التي هم عليها.

---

(١) انظره في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٢).

(٢) لا يصح، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٤٦٩)، والفراء في معاني القرآن (١/ ٩٥)، والطبري (٧/ ٦٨٠-٦٨١)، وابن أبي داود في المصاحف (٩١) من طريق أبي معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أنها سئِلت عن قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾، وعن قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾، وعن قوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، فقالت: يا ابن أَخِي هذا كان خطأً مِن الكاتِب، وأبو معاوية لا يحتمل التفرد عن هشام بن عروة بهذا.

قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله: أبو معاوية صحيح الحديث عن هشام؟ قال: ما هو بصحيح الحديث عنه. شرح العلل (١/ ٢٥٣).

وقال أبو داود: أبو معاوية إذا جاز حديث الأعمش كثر خطؤه، يخطئ على هشام بن عروة وعلى إسماعيل وعلى عبيد الله بن عمر.اهـ. سؤالات الآجري لأبي داود (١١٣).

(٣) في الأصل: «أبو بكر»، وانظر نقل هذا القول عن أبي عمرو وعثمان وعائشة في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٦٢).

و﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾ تأْنيث أَمْثَل؛ أَي: الفاضلة الحسنة.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿فَأَجْمِعُواْ﴾ بقطع الأَلف وكسر الميم، على معنى: أنفذوا[١] واعزموا.

وقرأَ أَبو عمرو وحده: ﴿فَاجْمَعُوا﴾ [بألف وصل وفتح الميم][٢] مِنْ (جَمَعَ)[٣]؛ أَي: ضُمُّوا سحركم بعضه إِلى بعض.

وقرأَ ابن كثير: ﴿ثُمَّ﴾ [بفتح الميم (ايْتُوا) بسكون الياءِ، وقرأَ أيضاً في رواية شبل عنه: بكسر الميم][٤] (ايتُوا)[٥]، قال أَبو علي: وهذا غلط، ولا وجه لكسر الميم من (ثُمَّ)[٦].

وقرأَ الجمهور: ﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ﴾ بفتح الميم وهمزة بعد الأَلف.

وقوله: ﴿صَفًّا﴾ حالٌ؛ أَي: مُصْطَفِّين، وتداعَوْا إِلى هذا؛ لأَنه أَهْيَب وأَظهر لهم.

و﴿أَفْلَحَ﴾ معناه: ظفر ببغيته، و﴿اسْتَعْلَى﴾: معناه طلب العُلُوَّ في أَمره وسَعَى سَعْيَه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾.

خيَّر السَّحرةُ موسى عليه السلام في أَن يبتدئ بالإِلقاءِ، أَو يتأَخر بعدهم، ورُوي: أَنهم كانوا سبعين أَلف ساحر، ورُوي: أَنهم كانوا ثلاثين ألف ساحر، ورُوي: أَنهم كانوا خمسة عشر أَلفاً، وروي: أَنهم كانوا تسع مئة، ثلاث مئة من الفيوم، وثلاث مئة من الفرما، وثلاث

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) من أحمد٣.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (١/ ٤١٩)، والتيسير (ص: ١٥٢).

(٤) ليس في أحمد٣.

(٥) شاذتان، ليستا من طرق التيسير، انظر عزو الأولى لمحبوب عن إسماعيل عن ابن كثير، والثانية لشبل عنه في السبعة (ص: ٤٢٠).

(٦) انظر: الحجة (٥/ ٢٣٣)، وهو نص ابن مجاهد في السبعة (ص: ٤٢٠).

مئة من الإِسكندرية، وكان مع كل رجل منهم حبل وعصي قد استعمل فيها السحر[١].

وقوله: ﴿فَإِذَا هِىَ﴾ للمفاجأَة، كما تقول: خرجتُ فإِذا زيد، وهي التي تليها الأَسماءُ.

وقرأَت فرقة: ﴿وَعِصِيُّهُمْ﴾ بكسر العين، وقرأَت فرقة: (عُصيهم) بضمها[٢].

وقرأَت فرقة: ﴿يُخَيَّلُ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول، فقوله: ﴿أَنَّهَا﴾ في موضع رفع على ما لم يُسَمَّ فاعله.

وقرأَ الحسن، والثقفي: (تُخَيِّلُ) بضم التاءِ المنقوطة [من فوق][٣] وكسر الياءِ، وإِسناد الفعل إِلى الحبال والعِصِيِّ، [فقوله: ﴿أَنَّهَا﴾ في موضع نصبٍ.

وقرأَت فرقة: (تَخَيَّلُ) بفتح التاءِ والياءِ وإِسناد الفعل إِلى الحبال والعِصِيِّ][٤]، فقوله: ﴿أَنَّهَا﴾ مفعول من أَجله.

قال القاضي أبو محمد: والظاهر من الآيات والقصص في كتب المفسرين أَن الحبال والعِصِيَّ كانت تتحرَّك[٥] وتنتقل بِحِيَل السِّحر، وبِدَسِّ الأَجسام الثقيلة الميَّاعة فيها، وكان تحرُّكها يشبه تحرَّك الذي له إِرادة كالحيوان، وهو السَّعْي، فإِنه لا يُوصف بالسَّعْي إِلَّا من يمشي من الحيوان.

وذهب قوم إِلى أَنها لم تكن[٦] تتحرَّك، ولكنهم سحروا أَعين الناس وكان الناظر يُخَيَّل إِليه أَنها تتحرَّك وتنتقل.

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٣٣٤، ٣٣٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٤١٣).

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٠٩) للحسن.

(٣) من المطبوع ونجيبويه والإماراتية، وفيه قصور فالقراءتان سبعيتان، والثانية لابن ذكوان كما في التيسير (ص: ١٥٢)، وروح كما في النشر (٢/ ٣٢١) قال: وأهمل ابن مجاهد، وصاحبه ابن أبي هاشم ذكر هذا الحرف في كتبهما، فتوهم بعضهم الخلاف في ذلك لابن ذكوان، وليس عنه فيه خلاف، وانظر عزوها للحسن والثقفي في المحتسب (٢/ ٥٥).

(٤) ليس في الأصل.

(٥) ليس في الأصل.

(٦) ليست في المطبوع وأحمد٣.

قال القاضي أبو محمد: [وهذا محتمل][(١)]، والله أَعلم أَيُّ ذلك كان؟

وقوله تعالى: ﴿فَأَوۡجَسَ﴾ عبارة عمَّا يعتري نفس الإِنسان إِذا وقع ظنُّه في أَمرٍ على شيءٍ يسوءُه، وظاهر الأَمر كله الصلاح، فهذا الفعل من أَفعال النفس يسمى الوجيس، وعبَّر المفسرون عن (أَوْجَسَ) بـ(أَضْمَرَ)، وهذه العبارة أَعمُّ من الوجيس بكثير][(٢)].

و﴿خِيفَةً﴾ يصح أَن يكون أَصلها: خِوْفَةً، قلبت الواو ياءً للتناسب[(٣)]، [ويحتمل أَن يكون: خَوْفَةً بفتح الخاءِ، قلبت الواو ياءً، ثم كسرت الخاءُ للتناسب][(٤)].

وخوف موسى عليه السلام إِنما كان على الناس أَن يضلُّوا لهول ما رأَى، والأول أَصوب؛ لأَنه أَوجس في نفسه على الجملة، وبقي ينتظر الفرج.

وقوله: ﴿أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾؛ أَي: الغالب لمن ناوأَك في هذا المقام.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿تَلَقَّفْ﴾ بالجزم وشدّ القاف على جواب الأمر.

وقرأَ ابن عامر وحده: ﴿تَلَقَّفُ﴾، وهو في موضع الحال، ويصح أَن يكون من المُلْقِي على اتساع، ويصح أَن يكون من المُلْقَى وهي العصا، وهذه حالٌ وإِن كانت لم تقع بعد، كقوله تعالى: ﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، وهذا كثير.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿تَلۡقَفۡ﴾ بسكون اللام وتخفيف القاف، وأَنَّث الفعل وهو مسند إِلى ما في اليمين من حيث كانت العصا مُرادة بذلك.

ورَوى البزي عن ابن كثير أَنه كان يشدد التاء[(٥)] من ﴿تَلَقَّف﴾، كأَنه أَراد: تتلقف فأَدغم، وأَنكر أَبو علي هذه القراءة[(٦)].

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) ليس في نجيبويه.

(٣) في أحمد٣: «للتأنيث».

(٤) ليس في الأصل.

(٥) في المطبوع: «الفاءَ»، وهو خطأ، وفي المطبوع وأحمد٣ ولالاليه: «قنبل» بدل «ابن كثير»، وهو خطأ، أيضاً.

(٦) لا عبرة به، فالقراءات الأربع سبعية، إلا أن الثانية لابن ذكوان خاصة، انظر: التيسير (ص: ١٥٢)، وانظر: الحجة (٢٣٦).

قال القاضي أبو محمد: ويشبه أَن قارئها إِنما يَلْتَزِمُها في الوصل حيث يستغني عن جلب أَلف.

وقرأَ الجمهور: ﴿كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ برفع الكيد، [وقرأ حمزة والكسائي: ﴿كَيْدُ سِحْرٍ﴾][1].

وقرأَت فرقة: (كَيْدَ) بالنصب، (سحرٍ)[2]، وهذا على أَن (مَا) كافةٌ، و(كَيْدَ) منصوب بـ(صَنَعُوا)، ورفع (كَيْدُ) على أَن (ما) بمعنى: الذي.

و﴿يُفْلِحُ﴾ معناه: يبقى[3] ويظفر ببغيته، وقالت فرقة: معناه أَن الساحر يُقتَل حيثُ ثُقِف.

قال القاضي أبو محمد: وهذا جزءٌ من عدم الفَلاح.

وقرأَت فرقة: (أَيْنَ أَتَى)[4]، والمعنى فيهما متقارب.

ورُوي من قصص هذه الآية أَن فرعون لعنه الله جلس في علّية له طولها ثمانون ذراعاً، والناسُ تحته في بسيط، وجاء سبعون أَلف ساحر فأَلقوا من حبالهم وعصيهم ما فيه وِقْر ثلاث مئة بعير، فهال الأمر، / ثم إِن موسى عليه السلام أَلقى عصاه من يده فاستحالت ثعباناً، وجعلت تنمو حتى رُوي: أَنها عبرت النهر بذنبها، وقيل: البحر، وفرعون في هذا يضحك، ويرى أَن الاستواء حاصل، ثم أَقبلت تأكل الحبال والعصي حتى أَفنَتْها، ففغرت فاها[5] نحو فرعون، ففزع عند ذلك وقال: يا موسى، فمد موسى يده إِليها فرجعت عصاً كما كانت، فنظر السحرة وعلموا الحق ورأَوا عدم الحبال والعصي فآمنوا رضي الله عنهم.

[٤/ ٢٩]

(١) ليس في المطبوع ونجيبويه، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٢١)، والتيسير (ص: ١٥٢).
(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٠٩) لمجاهد، وفي زاد المسير (٥/ ٣٠٦) لابن مسعود وأبي عمران الجوني.
(٣) «يبقى» ليس في المطبوع، و«يظفر» ليس في الإماراتية.
(٤) وهي شاذة، عزاها في تفسير الطبري (١٨/ ٣٣٧)، ومعاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٤٤) لابن مسعود.
(٥) «فاها» من لالاليه، وفي الأصل: «ففرت».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝٧١﴾.

في خلال هذه الآيات تقدير وحذف يدل عليه ظاهر القول، فالمقدَّر من ذلك هنا: فأَلقى موسى عصاه فَالْتَقَمَتْ كل ما جاؤوا به، أَو نحو هذا.

وروي: أَن السَّحرة لما رأَت العصا لا أَثر فيها للسِّحر ثم رأَت انقلابها حيَّةً وأَكلها الحبال والعصيَّ ثم رجوعها إِلى حالها وعدم الحبال والعصي، أَيقنوا بنبوَّة موسى، وأَن الأَمر من عند الله تعالى[(١)].

وقدّم (هَارُونَ) قبل (مُوسى)؛ لتستوي رؤُوس آي السور، فنقل معنى قول السحرة، وهذا كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣]، [فتأَخر ﴿شَتَّىٰ﴾][(٢)] [إِنما هو لتعتدل رؤوس الآي، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، فتأَخير قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩][(٣)]] إِنما هو لتستوي رؤوس الآي.

وقرأَ ابن كثير، وحفص عن عاصم، وورش عن نافع: ﴿ءَامَنتُمْ﴾ على الخبر، وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿آآمَنْتُمْ﴾ بهمزة بعدها مدَّة، وقرأَ حمزة، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم ﴿أأامَنْتُمْ﴾ بهمزتين[(٤)].

وقوله: ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ مُقاربة منه وبعضُ إِذعان.

وقوله: ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ يريد قطع اليد اليُمْنى مع الرِّجْل الشمال.

وقوله: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ اتِّساع من حيث هو مربوط في الجذع، [وليست

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٣٤).

(٢) ليس في أحمد٣ ولالاليه.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) وكلها سبعية، إلا أن الأولى لحفص وقنبل خاصة، أما ورش والبزي فمع أبي عمرو، انظر: التيسير (ص: ١٥٢).

على حدِّ قولك: زيد في الدار، ويصلح في هذا المعنى (عَلَى) من حيث هو مربوط في أَعلاها][١]، وليست على حدِّ قولك: ركبتُ على الفرس.

وقوله: ﴿أَيُّنَآ﴾ يريد نفْسَه وربَّ موسى عليه السلام، وقال الطبري: يريد نفْسَه وموسى عليه السلام[٢]، الأول أَذهب مع مخرقة فرعون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾.

قال السَّحرة لفرعون لمَّا توعَّدهم: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾؛ أَي: لن نفضِّلك ونفضِّل السلامة منك على ما رأَينا من حُجَّة الله تعالى وآياته المبينات وعلى الذي فطرنا، هذا على قول جماعة: إِن الواو في قوله: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ عاطفة.

وقالت فرقة: هي واو القسم، و﴿فَطَرَنَا﴾ معناه: خلقنا واخترعنا، فافعل يا فرعون ما شئت، وإِنما قضاؤُك في هذه الحياة الدنيا، والآخرة من وراءِ ذلك لنا بالنعيم، ولك بالعذاب.

وهؤلاء السحرة اختلف الناس هل نفذ فيهم وعيد فرعون؟

فقالت طائفة: صلبهم على الجذوع كما قال، فأَصبح القوم سحرةً وأَمسوا شهداءَ بلُطْف الله ورحمته.

وقالت فرقة: إِن فرعون لم يفعل ذلك، وقد كان الله تعالى وعد موسى أَنه ومن معه الغالبون.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله محتمل، وصَلْب السَّحرة وقَطْعهم لا يدفع في أَن موسى ومن معه غَلَب إِلَّا بظاهر العموم، والانفصال عن ذلك بيِّن.

وقوله: ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾:

(١) ليس في الأصل.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٤٠).

قالت فرقة: أَرادوا ما ضمهم إِليه من معارضة موسى وحملهم عليه من ذلك.

وقالت فرقة: بل كان فرعون قديماً يأْخذ ولدان الناس بتعليم السِّحر ويجبرهم على ذلك، فأَشار السَّحرة إِلى ذلك.

وقولهم: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ ردٌّ على قوله: ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾.

قالت فرقة: هذه الآية بِجُمْلَتها هي من كلام السَّحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه.

وقالت فرقة: بل هي من كلام الله تعالى لمحمد ﷺ تنبيهاً على قُبْح ما فعل فرعون، وحُسْن ما فعل السحرة، وموعظة[1] وتحذيراً، قد تضمنت القصة المذكورة مثاله.

و«المجرم»: الذي اكتسب الخطايا والجرائم.

وقوله: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ مختصٌّ بالكافر، فإِنه معذب عذاباً ينتهي به إِلى الموت، ثم لا يُجهز عليه فيستريح، بل يُعَادُ جِلْدهُ ويُجَدّدُ عذابُه، فهو لا يحيا حياةً طيبة[2] هنية، وأَما من يدخل النار من المؤمنين بالمعاصي فهم قبل أَن تخرجهم الشفاعة في غمرة قد قاربوا الموت إِلَّا أَنهم لا يُجهز عليهم ولا يُجدَّد عذابهم، فهذا فرق ما بينهم وبين الكفار.

وفي الحديث الصحيح: أَنهم يُماتون[3] إِماتةً[4]، وهذا هو معناها؛ لأَنه لا موت في الآخرة.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) من الحمزوية.

(٣) في المطبوع: «يموتون».

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم (١٨٥) عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، أو قال: =

و﴿ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ هي القربُ من الله تعالى.

و﴿تَزَكَّىٰ﴾ معناه: أَطاع الله تعالى، وأَخذ بأَزْكَى الأُمُور، وتأَمَّل التكسُّب في لفظة ﴿تَزَكَّىٰ﴾، فإِنَّهُ بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾.

هذا استئناف إِخبار عن شيءٍ من أَمر موسى، بَيْنَه وبين مقال السحرة المتقدم مدةٌ من الزمان حدث فيها لموسى وفرعون حوادث، وذلك أَن فرعون لما انقضى أَمر السحرة وغَلَب موسى وقوي أَمره، وعَدَهُ فرعون أَن يرسل معه بني إِسرائيل، فأَقام موسى على وعده حتى غدره فرعون ونكث، وأَعلمه أَنه لا يرسلهم معه، فبعث الله حينئذ الآيات المذكورة في غير هذه الآية: الجراد والقُمَّل إِلى آخرها، كلما جاءت آية وعد فرعون أن يرسل بني إسرائيل / [٤/ ٣٠] عند انكشاف العذاب، فإِذا انكشف نكث حتى تأتي أُخرى، فلمَّا كانت[1] الآيات أَوحى الله تعالى إِلى موسى أَن يخرج ببني إِسرائيل من مصر في الليل سارياً[2]، و«السَّرُى»: سير اللَّيل.

و﴿أَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ يجوز أَن تكون مفسِّرة لا موضع لها من الإِعراب، كقوله عز وجل: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ [ص: ١٠].

ويجوز أَن تكون الناصبة للأَفعال، وتكون في موضع نصب بـ﴿أَوْحَيْنَآ﴾.

وقوله: ﴿بِعِبَادِى﴾ إِضافة تشريف لبني إِسرائيل، وكل الخلق عباد الله، ولكن هذا كقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩].

= بخطاياهم فأماتهم إماتةً حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحِبَّة تكون في حميل السيل، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية.. الحديث.

(١) في أحمد٣: «كملت».

(٢) في الأصل: «هارباً»، وفي نجيبويه: «سرياً».

وروي في قصص هذه الآية: أَن بني إِسرائيل لمَّا أَشعرهم موسى عليه السلام بليلة الخروج استعاروا من معارفهم من القبط حليّاً وثياباً[١]، [وكل أحد ما اتفق له][٢].

ويروى: أَن موسى أَذن لهم في ذلك، وقال لهم: إِنَّ الله سيُنفِّلُكموها[٣].

ويروى: أَنهم فعلوا ذلك دون رأيه[٤] عليه السلام، وهو الأشبه به، وسيأتي في جمع الحليِّ ما يؤيد ذلك.

ويروى: أَن بني إِسرائيل عجنوا زادهم ليلة سراهم ووضعوه ليختمر، فأَعجلهم موسى عليه السلام في الخروج، فطبخوه فطيراً، فهي سُنَّتهم في ذلك [الوقت من][٥] العام إِلى هُلمَّ[٦].

ويُروى: أَن موسى عليه السلام نهض ببني إِسرائيل وهم ست مئة أَلف إِنسان، فسار بهم من مصر يريد بحر القلزم، واتصل الخبر بفرعون، فجمع جنوده وحشرهم ونهض وراءَه، فأُوحيَ إِلى موسى أَن يقصد البحر، فجزع[٧] بنو إِسرائيل، فرأَوا أَن العدو[٨] من ورائهم، والبحر من أَمامهم، وموسى يثق بصنع الله تعالى، فلما رآهم فرعون قد نهضوا[٩] نحو البحر طمع فيهم، وكان مقصدهم إِلى موضع منقطع فيه الفحوص والطرق الواسعة[١٠].

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٣٥٥).

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٦٥، ٦٦) و(١٨/ ٣٥٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٦٨)، والهداية لمكي (١/ ٢٦٧).

(٤) في الأصل: «إذنه»، وانظر: تفسير الطبري (٢/ ٦٧) و(١٨/ ٣٥٣).

(٥) ليس في الأصل.

(٦) في أحمد٣: «العام»، وانظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٥٢).

(٧) في أحمد٣: «فخرج».

(٨) في الأصل: «العذاب».

(٩) في الأصل: «هبطوا».

(١٠) تفسير الماوردي (٤/ ١٧١).

واختلف الناس في عدد جنود فرعون: فقيل: كان في خيله سبعون أَلف أَدهم، ونسبة ذلك من سائر الأَلوان، وقيل أَكثر من هذا مما اختصرته لقلَّة صحته، فلما وصل موسى البحر، وقارب فرعون لحاقه، وقوي فزع بني إِسرائيل أَوحى الله تعالى إِلى موسى عليه السلام أَنِ اضْرِبْ بعصاك البحر.

[ويُروى: أَن الوحي إِليه بذلك كان متقدماً بمصر، وهو ظاهر الآية][١].

ويروى: أَنه إِنما أُوحي إِليه بذلك في موطن وقوعه.

واتصل الكلام في هذه الآية على جهة وصف الحال، وضم بعض الأُمور إِلى بعض، فضرب موسى عليه السلام البحر فانفرق اثنتي عشرة فرقة، طُرُقاً واسعة بينها حيطان ماءٍ واقف، فدخل موسى عليه السلام بعد أَن بعث الله تعالى ريح الصَّبا فجففت تلك الطرق حتى يبست، ودخل بنو إِسرائيل، ووصل فرعون إِلى المدخل وبنو إِسرائيل كلهم في البحر، فرأَى الماءَ على تلك الحال، فجزع قومه واستعظموا الأَمر، فقال لهم: إِنما انفلق لي من هيبتي، وهاهنا كمل إِضلاله لهم، وحمله الله تعالى على الدخول، وجاءَ جبريل عليه السلام راكباً على فرس أُنثى، فدخل فاتَّبعها فرس فرعون، وتتابع الناس حتى تكاملوا في البحر فانطبق عليهم، فسمع بنو إِسرائيل انطباق البحر وهم قد خرجوا بأَجمعهم من البحر فعجبوا، وأَخبرهم موسى: أَن فرعون وقومه قد هلكوا فيه، فطلبوا مصداق ذلك فلفظ البحر الناس، وأَلقى الله تعالى فرعون على نجوة من الأَرض بدِرْعه المعروفة له.

قال القاضي أبو محمد: فهذا اختصار قصص هذه الآية بحسب أَلفاظها، وقد مضى أَمر فرعون بأَوعب من هذا في موضع اقتضاه.

وقوله تعالى: ﴿يَبَسًا﴾ مصدر وصف به، وقرأَ بعض الناس: (يابساً)، وأَشار إِلى ذكره الزجاج[٢].

---

(١) ليس في نجيبويه، وانظر: تفسير الطبري (٢/ ٥٤)، والهداية لمكي (١/ ٢٦٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٦٩)، وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص:٩١) لأبي حيوة.

وقرأ حمزة وحده: ﴿لَا تَخَفْ دركاً﴾ وذلك إِمَّا على جواب الأَمر، وإِمَّا على نَهْي مستأْنف.

وقرأ الجمهور: ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾[1]، وذلك على أَن يكون [لا تخاف حالًا من موسى عليه السلام، ويحتمل أَن يكون صفة الطريق بتقدير: لا يخاف فيه، أَي: يكون][2] بهذه الصفة، ومعنى هذا القول: لا تخاف دركاً من فرعون وجنوده، ولا تخشى غرقاً من البحر.

وقرأ أَبو عمرو فيما رُوي عنه: (فَاتَّبَعَهُمْ) بشدِّ التَّاءِ[3]، وتَبِع واتَّبع إِنما يتعدى إِلى مفعول واحد، كقولك: شويت واشتويت، وحفرت واحتفرت، وفديتُ وافتديت.

وقوله: ﴿بِجُنُودِهِۦ﴾ إِمَّا أَن تكون الباءُ مع ما جرَّته في موضع الحال، كما تقول: خرج زيد بسلاحه، وإِمَّا أَن يكون لتعدي الفعل إِلى مفعول ثانٍ إِذْ لا يتعدى دون حرف جرٍّ إِلَّا إِلى واحد.

وقرأ الجمهور: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ بسكون التاءِ، وهذا يتعدى إِلى مفعولين، فالباءُ على هذا إِمَّا زائدة، والتقدير: فأَتْبعهم فرعونُ جنودَه، وإِمَّا أَن تكون باءَ الحال، ويكون المفعول الثاني مقدراً، كأَنك قلت: رُؤَسَاءَه أَو عزمه، ونحو هذا، والأول أَظهر.

وقرأَت فرقة: ﴿فَغَشِيَهُم﴾، وقرأَت فرقة: (فَغَشَّاهُمُ الله)[4].

وقوله: ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ إِبهامٌ[5] أَهْوَلُ من النَّصِّ على قَدْرٍ مَا، وهذا كقوله: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦].

---

(١) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٢)، والسبعة (ص: ٤٢١).

(٢) ليس في أحمد٣ ولالاليه.

(٣) ليست من طرق التيسير، وإنما هي رواية عبيد عنه كما في السبعة (ص: ٤٢٢) وهارون كما في زاد المسير (٥/ ٣١٠).

(٤) وهي شاذة، عزاها دون لفظ الجلالة في مختصر الشواذ (ص: ٩١)، والشواذ للكرماني (ص: ٣١٠) للأعمش.

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «إيهام».

﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ ﴾ يعني: من أول أمره إلى هذه النهاية، ثم أكَّد تعالى بقوله: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ مقابلة لقول فرعون: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾.

ظاهر هذه الآية أن هذا القول قيل لبني إسرائيل حينئذ عند حلول هذه النِّعم التي عدد الله تعالى عليهم، وبَيْن خروجهم من البحر وبيْن هذه المقالة مُدَّةٌ وحوادث، ولكن يخص الله تعالى بالذكر ما يشاءُ من ذلك، ويحتمل أَن تكون هذه المقالة خوطب بها مُعَاصرو رسول الله ﷺ، فالمعنى: هذا فعلنا بأَسلافكم.

ويكون قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟﴾ بتقدير: قيل لهم: كُلُوا، وتكون الآية على هذا اعتراضاً في أَثناء قصة موسى، المقصدُ به توبيخ هؤلاء الحضور؛ إِذْ لم يصبر سَلَفهم على أَداءِ شكر نعم الله تعالى، والمعنى الأَول أَظهر وأَبْين.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو وابن عامر: (أَنجَيْنا)، و(وَاعَدْنا)، و ﴿نَزَّلْنا عَلَيْكُم﴾، و﴿رَزَقْنَٰكُمْ﴾، إِلَّا أَن أَبا عمرٍو قرأَ: ﴿وَعَدْنَاكُمْ﴾ بغير أَلف في كل القرآن / . [٤/ ٣١]

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿أَنْجَيْتُ﴾، و﴿وَاعَدْتُ﴾، و﴿نَزَّلْتُ﴾، و﴿رَزَقْتُكُمْ﴾[١].

وقوله: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ﴾ قيل: هي لغةٌ في (وَعَدَ) لا تقتضي فِعْل اثنين.

قال القاضي أَبو محمد: وإِن حُمِلَتْ على المعهود فَلأَنَّ التَّلَقِّي والعهد[٢] والعزم على ذلك [يقوم مقام المواعَدة][٣].

---

(١) كتبت في المطبوع: «ورزقناكم» كالأولى، والقراءات سبعية، وعاصم مع الأولين، انظر: التيسير (ص: ١٥٢) السبعة (ص: ٤٢٢).

(٢) من المطبوع ونجيبويه.

(٣) من المطبوع ونجيبويه، وفي النسخ الأخرى بدله: «كالمواعدة».

وقصص هذه الآية: أَن الله تعالى لمَّا أَنْجى بني إِسرائيل، وَغَرِقَ فرعونُ، وَعَدَ بني إِسرائيل وموسى أَن يسيروا[١] إِلى جانب طور سيناءَ؛ ليكلِّم فيه موسى ويناجيه بما فيه صلاحهم بأَوامرهم ونواهيهم، فلمَّا أَخذوا في السَّيْر تعجَّل موسى عليه السلام لِلقاءِ ربِّه حسبما يأْتي ذكرُه بعدُ.

وقالت فرقة: هذا الطُّور هو الذي كلَّم فيه موسى أَولاً حيث رأَى النَّار، وكان في طريقه من الشام إِلى مصر.

وقالت فرقة: ليْس به، والطُّور: الجبل الذي لا شَعْرَاءَ فيه.

وقوله: ﴿ٱلْأَيْمَنَ﴾ إِمَّا أَن يريد به اليُمْن، وإِمَّا أَن يريد به اليمين، فالإِضافة إِلى ذي يَمِين، إِنْسان أَو غيره.

و﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ طعامهم، وقد مضى في سورة البقرة استيعاب تفسيرهما.

وقوله تعالى: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾ يريد الحلال الملذ[٢]؛ لأَن المعنى في هذا الموضع قد جمعهما.

واختلف الناسُ ما القصد الأَول بلفظ الطَّيِّب في القرآن؛ فقال مالك رحمه الله: الحلال، وقال الشافعي: ما يطيب للنفوس، وساق إِلى هذا الخلاف تَفَقُّههم في الخَشَاش، والمستقذر من الحيوان[٣].

و﴿تَطْغَوْا۟﴾ معناه: تتعدون الحدَّ وتَتَعَسَّفُونَ[٤] كالذي فعلوا.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَيَحِلَّ﴾ بكسر الحاءِ، ﴿وَمَن يَحْلِلْ﴾ بكسر اللام.

وقرأَ الكسائي وحده: ﴿فَيَحُلَّ﴾ بضم الحاءِ، ﴿ومن يَحْلُلْ﴾ بضم اللام[٥].

---

(١) في الأصل: «يصيروا».

(٢) في المطبوع: «المِلْكَ»، وفي الإماراتية: «الملتذ».

(٣) انظر قول مالك في: تفسير القرطبي (٢/ ٢٠٧)، وقول الشافعي في: الحاوي للماوردي (١٥/ ١٣٣-١٣٥).

(٤) ليس في الأصل.

(٥) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٢٢)، والتيسير (ص: ١٥٢).

فمعنى الأَول: فيجب ويحقُّ، ومعنى الثاني: فيقع ويَنْزِل.

و﴿هَوَىٰ﴾ معناه: سقط من عُلُوٍّ إِلى سُفْل، ومنه قول خُنَافر: فَهَوَى هُوِيَّ الْعُقَاب[1].

قال القاضي أَبو محمد: وإِن لم يكن سقوطاً فهو شبيه بالسَّاقط، والسُّقوط حقيقة قول الآخر:

[الوافر] .... هَـوِيَّ الدَّلْـوِ أَسْـلَمَهُ الرِّشَـاءُ[2]

وشبَّه الذي يقع في طامَّة أَو ورطة بعد أَن كان بنجوة منها بالساقط، فالآية من هذا، أَي: هوى في جهنم وفي سخط الله.

وقيل: أُخذ فعل من لفظ الهاوية، وهو قعر جهنم.

ولما حذَّر الله تعالى غضبه والطُّغيان في نعمه فَتَح باب الرَّجاءِ للتَّائبين، والتوبة فرضٌ على جميع الناس بقوله تعالى في سورة النور: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

والناس فيها على مراتب:

أَمَّا مُواقع الذَّنب وقدرته على ذلك باقية فتوبتُه النَّدمُ على ما مضى، والإِقلاع التَّام عن مثله في المستقبل.

وأَمَّا الذي واقَعَ الذَّنب ثمَّ زالت قُدرته عن مواقعته لشيَخ[3] أَو آفة فتوبته النَّدم، واعتقاد التَّرك أن لو كانت قُدرة.

---

(١) خُنافر كعُلابط اسم كاهن، وهو خنافر بن التَّوأم الحميري، انظر قوله وخبره في أمالي القالي (١/ ١٣٤)، والإصابة (٢/ ٣٠٤).

(٢) صدره: (فَشَدَّ بِهَا الأَمَاعِزَ وَهِيَ تَهْوِي)، وهو لزهير كما في تهذيب اللغة (٣/ ٤٢٨)، والزاهر (٢/ ٣٢٦)، ومقاييس اللغة (٦/ ١٦).

(٣) في المطبوع: «طعلى ذلك مِمَّن شَيَّخَ».

وأَمَّا من لم يُواقع ذنباً فتوبته العزم على ترك كل ذنب[١].

والتوبةُ من ذنب تصحُّ مع الإِقامة على غيره، وهي توبة مقيَّدة، وإِذا تاب العبد ثم عاود الذَّنب بعينه بعد مُدَّة فيحتمل عند حُذَّاق أَهل السُّنَّة أَلاَّ يعيد الله تعالى عليه الذَّنب الأَول؛ لأَن التَّوبة قد كانت مجبة[٢]، ويحتمل أَن يعيده؛ لأَنها توبة لم يُوَفِّ بها[٣].

واضطرب الناس في قوله: ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ من حيث وجدوا الهُدى ضِمْنَ الإِيمان والعمل:

فقالت فرقة: معناه: لم يشكَّ في إِيمانه.

[وقالت فرقة: معناه: ثم استقام][٤].

وقالت فرقة: معناه: ثُمَّ لزم الإسلام حتَّى يموت عليه.

وقالت فرقة: ثم أَخذ بِسُنَّة نبيِّه.

[وقالت فرقة: معناه: ثم أَصاب العمل][٥].

وقالت فرقة: معناه: [أمر بسنته، ثمَّ][٦] عرف أمر مَشيبه[٧].

وقالت فرقة: معناه: والى أَهل البيت.

قال القاضي أبو محمد: وهذه كلها تخصيص واحد منها دون ما هو من نوعه بعيدٌ ليس بالقوي.

---

(١) انظر في هذا المعنى أحكام القرآن لابن العربي (٥/ ٤٥٦)، وشعب الإيمان (٥/ ٣٩٤، ٤٣٦-٤٣٧).

(٢) في المطبوع: «محضة»، وفي الحمزوية والإماراتية: «محته»، وفي أحمد٣: «قد محته».

(٣) انظر عزو هذا القول للباقلاني وقول مخالفيه في المسألة في: فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٠٤).

(٤) ليس في نجيبويه، وفي الإماراتية: «في عمله» بدل «في إيمانه».

(٥) ليس في الأصل.

(٦) ليس في الإماراتية، وجاءت فيها «عرف أمر مشيبه» مكررة، وكأن إحداهما: «مشيئته».

(٧) في الحمزوية: «مثيبه».

والذي يقوى في معنى ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ أن يكون: ثم حفظ معتقداته من أن يخالف الحق في شيءٍ من الأَشياء، فإِن الاهتداءَ على هذا الوجه غير الإِيمان، وغير العمل، ورُبَّ مؤمن عمل صالحاً قد أَوبقه عدم الاهتداءِ كالقدرية والـمُرْجِئة وسائر أَهل البِدع والخوارج، فمعنى ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾: ثُمَّ مَشَى في عقائد الشَّرع على طريق قويم، جعلنا الله منهم بمنه[1].

قال القاضي أبو محمد: وفي حفظ المعتقدات ينحصر عُظْم أَمر الشَّرع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ٨٥ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ﴾.

قصص هذه الآية أَن موسى عليه السلام لَمَّا شرع في النُّهوض ببني إِسرائيل إِلى جانب الطُّور الأَيمن حيث كان الموعد أَن يكلم الله موسى بما فيه لهم شرف العاجل والآجل، رأَى على جهة الاجتهاد أَن يتقدم وحده مبادراً إلى الله تعالى، وحرصاً على القرب منه، وشوقاً إِلى مناجاته، واستخلف هارون على بني إسرائيل، وقال لهم موسى: تسيرون إلى جانب الطُّور، فلمَّا انتهى موسى عليه السلام وناجى ربه، زاده في الأجل عَشْراً، وحينئذ وقفه على معنى استعجاله دون القوم ليخبره موسى أَنهم على الأَثر فيقع الإعلام له بما صنعوا.

وقرأَت فرقة: ﴿أُوْلَآءِ﴾، وقرأَت فرقة أُخرى: (أُولايَ) بياء مفتوحة[2].

قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ يحتمل أَن يكون في موضع رفع خبراً بعد خبر، ويحتمل أَن يكون في موضع نصب في موضع الحال.

وقرأَت فرقة: ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ بفتح الهمزة والثاءِ.

وقرأَت فرقة: ﴿إِثْري﴾ بكسر الهمزة وسكون الثاءِ[3].

---

(١) «بمنه» ليست في المطبوع.

(٢) وهي شاذة، عزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٣١٠) للضحاك، وأشار لها في معاني القرآن للفراء (٢/ ١٨٨) دون نسبة.

(٣) وهي عشرية لرويس كما في النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٢١)، والأولى للباقين.

وأَعلمه موسى عليه السلام أَنه إِنما استعجل[١] طلب الرِّضا، فأَعلمه الله تعالى أَنه قد فَـتَنَ بني إِسرائيل؛ أَي: اختبرهم بما صنع السَّامري، ويحتمل أَن يريد: أَلقيناهم في فتنة؛ أَي: في مَيْل مع الشهوات، ووقوع في اختلاف كلمة.

و﴿مِنۢ بَعۡدِكَ﴾؛ أَي: من بعد فراقك لهم.

[وقرأَت فرقة: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ على إِسناد الفعل إِلى السَّامري][٢].

وقرأَت فرقة: (وأضلُّهم السامريُّ) بضم اللام[٣] على الابتداء والإخبار عن السَّامريِّ أَنه أَضَلُّ القوم، [والقراءة الأولى أكثر وأشد في تذنيب السامري][٤].

والسَّامِرِيُّ رجلٌ من بني إِسرائيل، ويقال: إِنه / كان ابن خال موسى، وقالت فرقة: لم يكن من بني إِسرائيل، بل كان أَصْله من العجم من أَهل كرمان، والأَول أَصح. [٤/ ٣٢]

وكان قَصص السَّامري أَنه كان منافقاً عنده حِيَلٌ وسحرٌ، وقبض القبضة من أَثر جبريل عليه السلام، وعلم بما أَقدره الله عليه لِفِتْنَةِ القوم أَنه يتهيَّأُ له بتلك القبضة ما يريد مما يجوز[٥] على الله تعالى؛ لأَنه لو ادَّعى النبوَّة مع ذلك العجل لما صحَّ، ولا جاز أَن يخور، ولا أَن تتم الحيلة فيه، لكنه لمَّا ادَّعى له الربوبية وعلامات كذِبِه قائمة لائحة صحت الفتنة به، وجاز ذلك على الله تعالى، كقصة الدَّجَّال الذي تخرق له العادات؛ لأَنه مدعي الربوبية، ولو كان مدعي النبوة لما صحَّ شيءٌ من ذلك.

فلمَّا رأَى السَّامري موسى قد غاب، ورأَى سفه[٦] بني إِسرائيل في طلبهم من

---

(١) في المطبوع: «استعمل».

(٢) ليس في الحمزوية وأحمد٣.

(٣) وهي شاذة، عزاها في زاد المسير (٥/ ٣١٣) لمعاذ القارئ وأبي المتوكل وعاصم الجحدري وابن السميفع.

(٤) ليس في المطبوع.

(٥) في المطبوع: «يخور».

(٦) في المطبوع: «بقية».

موسى آلهةً حين مروا على قوم يعبدون أَصناماً على صفة البقر ـ وقيل: كانت بقراً حقيقية ـ علم أَنه سيفتنهم من هذا الطريق.

فيروى أَنه قال لهم: إِنَّ الحليَّ الذي عندكم من مال القبط قبيح بكم حَبسُه، ولكنِ اجمعوه عندي حتى يحكم الله لكم فيه، وقيل: إن هارون عليه السلام أَمر بجمعه ووضعه في حفرة حتى يجيءَ موسى ويستأْذن فيه ربَّه، وقيل: بل كان المال الذي جمعوه للسَّامري ممَّا لَفَظَ البحرُ من أَموال القبط الغارقين مع فرعون، فيروى مع هذا الاختلاف أَن الحليَّ اجتمع عند السَّامري[١]، وأَنه صاغ[٢] العجل وأَلقى القبضة فيه فَخَار[٣].

ورُوي ـ وهو الأَصحُّ والأَكثر ـ أَنه أَلقى الناس الحلي في حفرة أَو نحوها، وأَلقى هو عليه القبضة فتجسَّد العجل، وهذا هو وجْه فتنة الله تعالى لهم، وعلى هذا نقول: انخرقت للسَّامريِّ عادة، وأَما على أَن يصوغه فلم تنخرق له عادة، وإِنما فُتنوا حينئذ بِخُواره فقط، وذلك الصوت قد تولد في الأَجرام والصنعة.

فلما أَخبره الله بما وقع[٤] رجع موسى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً عليهم من حيث له قدرة على تغيير منكرهم[٥].

وقوله: ﴿أَسِفًا﴾؛ أَي: حزيناً من حيث علم أَنه موضع عقوبة لا يد له[٦] بدَفْعِها، ولا بُدَّ منها، والأَسَفُ في كلام العرب متى كان من ذي قدرة على من دونه فهو غضب، ومتى كان من الأَقل على الأَقوى فهو حُزْن، وتأَمَّل ذلك فهو مُطَّرد إِن شاءَ الله عز وجل.

---

(١) في الأصل: «العجل».
(٢) في المطبوع: «صنع».
(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٣٥٥).
(٤) ليس في الأصل.
(٥) في الأصل: «مكرهم».
(٦) في الأصل: «مأموله»، بدل: «لا يد له».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ... ﴿٨٨﴾﴾.

وبَّخ موسى عليه السلام قومه بهذه المقالة، و«الْوَعْدُ الْحَسَن»: هو ما وعدهم من الوصول إِلى جانب الطُّور الأَيمن، وما بعد ذلك من الفُتوح في الأَرض، والمغفرة لمن تاب وآمن، وغير ذلك مِمَّا وَعَدَ الله به أَهل طاعته.

وقوله: ﴿وَعْدًا﴾ إِمَّا أَن يكون نصباً على المصدر، والمفعول الثاني مُقَدَّر، وإِمَّا أَن يكون بمعنى الموعود، ويكون هو المفعول الثاني بعينه.

ثم وقفهم على أَعذارٍ لم تكن ولا تصحُّ لهم، وهي طول العهد حتى يتبيَّن لهم خلف في الموعد، وإِرادة غضب الله تعالى، وذلك كلُّه لم يكن ولكنهم عملوا عمل من لم يتديَّن.

وسُمِّي العذاب غضباً من حيث هو ناشئٌ[١] عن الغضب، والغضبُ إِنْ جُعل بمعنى الإِرادة فهو صفةُ ذات، وإِن جُعل ظهور النقمة والعقاب فهو صفة فعل[٢] من المتردد بين الحالين.

وقرأَ نافع، وعاصمٌ: ﴿بِمَلْكِنَا﴾ [بفتح الميم.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿بِمُلْكِنَا﴾][٣] بضمة.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿بِمِلْكِنَا﴾ بكسرة[٤].

قال أَبو علي: هذه لغات[٥].

---

(١) من المطبوع ونجيبويه.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) ليس في لالاليه.

(٤) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٥٣)، والسبعة (ص: ٤٢٢).

(٥) انظر: الحجة (٥/ ٢٤٤).

قال القاضي أبو محمد: ظاهر الكلام أَنها بمعنى واحد، ولكن أَبا علي وغيره قد فرَّق بين معانيها، فأَمَّا ضم الميم فمعناه على قول أَبي علي: لم يكن لنا مُلْك فنُخلف موعدك بقوته وسلطانه، وإِنما أَخلفناه بنظر أَدَّى إِليه ما فعل السَّامري، وليس المعنى أَن لهم مُلْكاً، وإِنما هو كقول ذي الرُّمَّة:

[البسيط] لا يُشْتَكَى سَقْطَةٌ مِنْهَا وَقَدْ رَقَصَتْ بِها الْمَفَاوِز حَتَّى ظَهْرُهَا حَدِبُ[1]

أَي: لا تكون منها سَقْطَةٌ فَتُشْتَكى، قال: وهذا كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]؛ أي: ليس منهم سؤال فيكون منهم إِلْحاف.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كلُّه في هذه الأَمثلة غير متقن من قول أَبي علي، وإِنما مشى في ذلك أَثر الزجاج[2] دون تعقب، وقد شرحتُ هذا المعنى في سورة البقرة في تفسير: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾، وبيِّنٌ أَن هذه الآية ليست كهذه الأَمثلة؛ لأَنهم لم يرفعوا الاختلاف، والأَمثلة فيها رفع الوجهين.

وأَما فتح الميم فهو مصدرٌ من مَلَك، والمعنى: ما فعلنا ذلك بأَنَّا ملكنا الصواب ولا وُفِّقنا له، بل[3] غَلَبتنا أَنفسنا.

وأَمَّا كسر الميم فقد كثر استعماله فيما تحوزه اليد، ولكنه يستعمل في الأُمور التي يُبْرمها الإِنسان، ومعناها كمعنى التي قبلها، والمصدر مضاف في الوجهين إِلى الفاعل، والمفعول مُقَدَّر؛ أَي: بِمَلْكِنَا الصواب، وهذا كما قد يضاف أَحياناً إِلى المفعول والفاعلُ مُقدَّر، كقوله تعالى: ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ [ص: ٢٤]، و﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩].

---

(١) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٨٢)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٥٥)، في أحمد٣: «الحمولة»، بدل «المفاوز».
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٧١).
(٣) في المطبوع ونجيبويه: «وإنما».

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿حُمِّلْنَآ﴾ بضم الحاءِ وشدِّ الميم.

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿حَمَلْنَا﴾ بفتح الحاءِ والميم[١].

و«الأَوْزَارُ»: الأَثقال، وتحتمل هذه التسمية أَن تكون من حيث هي ثقيلة الأَجرام، ويحتمل أَن تكون من حيث تأَثَّمُوا[٢] في قذفها وظهر لهم أَن ذلك هو الحق فكانت آثاماً لمن حملها.

وقوله: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى﴾ أَي: فكما قذفنا نحن فكَذلِكَ أيضاً أَلْقَى السَّامريُّ ما كان بيده.

قال القاضي أَبو محمد: وهذه الأَلفاظ تقتضي أَن العِجْل لم يصغه[٣] السَّامري.

ثم أَخبر الله تعالى عن فعل السامريِّ بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾.

ومعنى قوله: ﴿جَسَدًا﴾؛ أَي: شَخْصاً لا روح فيه، وقيل: معنى ﴿جَسَداً﴾: لا يتغذَّى.

و«الخُوَارُ»: صوتُ البقر، وقالت فرقة: كان هذا العجل يخور ويمشي.

قال القاضي أَبو محمد: وهكذا تكون الفتنة من قِبَلَ الله تعالى، قاله ابن عباس[٤].

[وقالت فرقة: إنما خار مرة واحدة / ثم لم يعد][٥]. [٤/ ٣٣]

وقالت فرقة: إِنما كان خواره بالرِّيح، كانت تدخل من دُبره وتخرج من فيه، فيصوت لذلك[٦].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٣)، والسبعة (ص: ٤٢٢).

(٢) في الأصل: «آمنوا».

(٣) في المطبوع: «يصفه»، وفي الحمزوية ولالاليه: «يضعه».

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٦٦) عن ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثني محمد بن إسحاق عن حكيم ابن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه، وإسناده ضعيف.

(٥) ليس في المطبوع ونجيبويه وأحمد٣ ولالاليه.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٧٢)، وتفسير الطبري (٢/ ٦٤)، والهداية لمكي (١/ ٢٦٧)، وتفسير الماوردي (١/ ١٢١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿...فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿فَقَالُواْ﴾ لبني إِسرائيل، أَي: قالوا[1] حين قال كبارهم لصغارهم.

و﴿هَٰذَآ﴾ إِشارة إِلى العجل.

وقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ يحتمل أَن يكون من كلام بني إِسرائيل؛ أَي: فنسي موسى عليه السلام ربَّه وإِلهه وذهب يطلبه في غير موضعه.

ويحتمل أَن يكون ﴿فَنَسِيَ﴾ إِخباراً من الله تعالى عن السَّامري أَنه نسي دينه وطريق الحق.

قال القاضي أَبو محمد: فالنسيان في التأويل الأَول[2] بمعنى الذُّهول، وفي الثاني بمعنى الترك.

ثم قرن تعالى موضع خطابهم بقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾، والمعنى: أَفَلَم يتبيَّن هؤلاء الذين ضلُّوا أَن هذا العجل إِنما هو جماد لا يتكلم ولا يرجع قولاً ولا يضر ولا ينفع؟، وهذه خلال لا يخفى معها الحدوث والعجز؛ لأَن هذه الخلال لو حصلت له أَوجبت كونه إِلهاً.

وقرأَت فرقة: ﴿أَلَّا يَرْجِعُ﴾ برفع العين، و(أَنْ) على هذه القراءة: مخففة من الثقيلة، والتقدير: أَنه لا يرجع.

---

(١) في المطبوع والإماراتية ونجيبويه: «ضلُّوا».

(٢) في حاشية المطبوع في بعض النسخ: «في هذا التأويل».

وقرأَت فرقة: (أن لا يرجعَ)[١]، و(أَنْ) على هذه القراءَة هي الناصبة.

وأَخبر عزَّ وجلَّ أَن هارون قد كان قال لهم في أَول حال العجل: يا قَوْم[٢] إنما هي فتنة وبلاءٌ وتمويه من السَّامري، وإِنما ربكم الرَّحْمنُ الذي له القدرةُ والعِلْم والخَلْق والاختراع، فاتَّبِعوني إِلى الطُّور الذي واعدكم الله تعالى إليه، وأَطيعوا أَمري فيما ذكرته لكم.

وقرأَت فرقة: ﴿إِنَّمَا﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ بكسر الهمزتين.

وقرأَت فرقة: (أَنَّما)... (وَأَنَّ) بفتح الهمزتين.

[وقرأَت فرقة: (إِنَّما) بالكسر، (أَنَّ) بالفتح]، والقراءَة الوسطى ضعيفة[٣].

فقال بنو إِسرائيل حين وعظهم هارون ونَدَبهم إِلى الحق: لَنْ نَبْـرَحَ عابدين لهذا الإِله، عاكفين عليه، أَي: لازمين له، و«العكوف»: الانحناءُ على الشيء من شدة ملازمته.

ومنه قول الراجز:

عَكْفَ النَّبِيطِ يَلْعَبُونَ الْفَنْـزَجَا[٤] .... [الرجز]

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤﴾.

في سرد القصص اقتضاب يدل عليه ما ذُكر تقديره: فرجع موسى فوجد الأَمر كما ذكره الله تعالى له، فجعل يؤنب هارون بهذه المقالة.

---

(١) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩١) لأبي حيوة، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣١١) لأبي البرهسم.

(٢) ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٣) وهما شاذتان، عزا الأولى منهما في مختصر الشواذ (ص: ٣١١) لعيسى الكوفة، وعزا الثانية في مختصر الشواذ (ص: ٩٢) للحسن وعيسى، وهي ليست في الأصل.

(٤) تقدم الاستشهاد به في تفسير الآية (١٢٩) من سورة البقرة، وكتبت في الأصل هنا: «الفررجا».

وقرأَ الجمهور: ﴿تَتَّبِعَنِ﴾ بحذف الياء، وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو بإثباتها في الوصل، ويقف ابن كثير بالياءِ، وأَبو عمرو بغير الياءِ[١].

ويحتمل قوله: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾؛ أَي: ببني إِسرائيل نحو جبل الطُّور، فيجيءُ اعتذار هارون: إِني لو فعلت ذلك مشت معي طائفة، وأَقامت طائفة على عبادة العجل، فيتفرق الجمع، فخفْتُ لومك على التفرق.

ويحتمل قوله: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾؛ أَي: أَلَّا تسير بسيرتي، وعلى طريقتي في الإِصلاح والتسديد، فيجيءُ اعتذار هارون بمعنى: إِنَّ الأَمر كان متفاقماً، فلو تقويت عليه وقع القتال واختلاف الكلمة، فكان تفريقاً بين بني إِسرائيل، وإِنما لايَنْتُ جهدي.

وقوله: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ بمعنى: ما منعك أَن تتبعني؟

واختلف الناس في وجه دخول ﴿لَا﴾: فقالت فرقة: هي زائدة، وذهب حذاق النحاة إِلى أَنها مؤكدة، وأَن في الكلام فِعْلاً مقدراً، كأَنه قال: ما منعك ذلك، أَو خصك، أَو نحو هذا على أَلَّا تتبعني؟ وما قبْل وما بعْد يدل على هذا ويقتضيه.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾.

فيحتمل أَن يريد: يَا بْنَ أُمَّا، فحذف الأَلف تخفيفاً، ويحتمل أَن يجعل الاسمين اسماً واحداً: وبناه كخمسة عشر.

وقرأَ أَبو بكر عن عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿يابن أمِّ﴾ بالكسر[٢] على حذف الياء تخفيفاً، وهو شاذٌّ؛ لأَنها ليست كالياءِ في قولك: يا غلامي، وإِنما هي كالياءِ في قولك: يا غلامَ غلامي، وهذه ياءٌ لا تحذف.

---

(١) ووافق أبا عمرو نافعٌ، وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: **١٥٤**).

(٢) وهما سبعيتان، وابن عامر مع حمزة، انظر: السبعة (ص: **٤٢٣**)، وفي الأصل والعلمية: «ابن كثير» بدل «أبي بكر»، وهو خطأ.

ويحتمل أَن يجعل الاسمين اسماً واحداً ثم أَضاف إِلى نفسه، فحذف الياءَ كما تحذف من الأَسماء المفردة إِذا أُضيفت، نحو يا غلام، وقالت فرقة: لم يكن هارون أَخا موسى إِلَّا من أُمِّه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيفٌ.

وقالت فرقة: كان شقيقه، وإِنما دعاه بأُمه؛ لأَن التداعي بالأُمِّ أَشفقُ، وأَشدُّ استرحاماً.

وأَخذ موسى عليه السلام بلحية هارون غضباً، وكان حديد الخُلُق عليه السلام.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾.

المعنى: قال موسى مخاطباً للسَّامري: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾، وقوله: ما خَطْبُكَ كما تقول: ما شأْنك؟ وما أَمْرُك؟، ولكن لفظة الخطب تقتضي انتهاراً؛ لأَن الخطب مستعمل في المكاره، فكأَنه قال: ما نَحْسُك؟ وما شُؤْمك؟ وما هذا الخطْب الذي جاءَ من قبَلك.

و«السَّامِرِيُّ» قيل: هو منسوب إِلى قبيلة من بني إِسرائيل، وقيل: هو منسوب إِلى قرية يقال لها: سامرة.

قال القاضي أبو محمد: وهي معروفة اليوم ببلاد مصر، وقيل: اسمه موسى بن ظفر[١].

وقرأَت فرقة: ﴿بَصُرْتُ﴾ بضم الصَّاد على معنى: صارت بصيرتي بصورة مَّا، فهو كَظَرُفتُ وشَرُفْت، وقرأَت فرقة: (بَصِرْتُ) بكسر الصاد[٢]، فيحتمل أَن يراد من

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٦٧) الهداية لمكي (١/ ٢٦٨) النكت والعيون للماوردي (٣/ ٤٢٢).

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣١١) للأعمش، وفي مختصر الشواذ (ص: ٩٢) له ولأبي السمال.

البصيرة، ويحتمل أَن يراد من البَصَر، وذلك أَن في أَمر السامري ما زاده على الناس بالبصر، وهو وجه جبريل عليه السلام وفرسه، وبالبصيرة، وهو ما علمه من أَنَّ القبضة / إِذا نبذها مع الحليِّ جاءَه من ذلك ما يريد. [٤/ ٣٤]

وقرأَ الجمهور: ﴿يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ بالياء، يريد بني إِسرائيل، وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿تبْصرُوا﴾ بالتاءِ من فوق[١]، يريد موسى مع بني إِسرائيل.

وقرأَ الجمهور: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ بالضاد منقوطة، بمعنى: أَخذت بكفي مع الأَصابع.

وقرأَ ابن مسعود، وابن الزبير، وأُبيُّ بن كعب، وغيرهم: (فقبصتُ قَبصةً) بالصاد غير منقوطة، بمعنى: أَخذت بأَطراف أَصابعي فقط.

وقرأَ الحسن بخلاف عنه: (قُبْصَةً) بضم القاف[٢].

و﴿ٱلرَّسُولِ﴾: جبريل عليه السلام، و«الأَثَرُ»: هو ترابٌ تحت حافر فرسه.

وسبب معرفة السَّامري لجبريل ومَيْزه فيما رُوي: أَنَّ السَّامري ولدته أُمّه عام الذَّبْح فطرحته في مغارة، فكان جبريل عليه السلام يغذوه فيها ويحميه حتى كبر وشبَّ، فميَّزه لذلك.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

وقوله: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾؛ أَي: على الحلي، فكان منها ما تراه، وهذا محذوف من اللفظ تقتضيه الحال والمخاطبة، ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾، أَي: وكما حدث ووقع قربت[٣] لي نفسي، وجعلته لي سؤلًا وأرباً[٤] حتى فعلتُه.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: **٤٢٤**)، والتيسير (ص: **١٥٣**).

(٢) وهما شاذتان، انظر: المحتسب (**٢/ ٥٤**).

(٣) في الأصل: «قويت»، وفي لالاليه: «فزينت»، وفي الإماراتية: «قرنت».

(٤) المطبوع ونجيبويه: «رأيا».

وكان موسى عليه السلام لا يقتل بني إِسرائيل إِلا في حدٍّ[١] أَو وَحْي، فعاقبه باجتهاد نفسه بأَن أَبعده ونحَّاه عن الناس، وأَمر بني إِسرائيل باجتنابه واجتناب قبيلته، وأَلَّا يُؤَاكَلُوا ولا يُناكَحُوا، ونحو هذا، وعلمه مع ذلك، وجعل له أَن يقول مدة حياته: لا مِساسَ، أَي: لَا مُمَاسَّة ولا إِذاية.

وقرأَ الجمهور: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ بكسر الميم وفتح السين، على النصب بالتَّبرئة، وهو اسم ينصرف، ومنه قول النَّابغة:

فَـأَصْبَـحَ مِنْ ذَاكَ كَـالسَّـامِـرِيِّ إِذْ قَـالَ مُـوسَى لَـهُ لا مِسَاسَـا[٢] [المتقارب]

ومنه قول رؤْبة:

حـتَّى يَـقُـولَ الأَزْدُ لَا مِـسَـاسَـا[٣] [الرجز]

واستعماله على هذا كثير.

وقرأَ أَبو حيوة: (لا مَسَاسِ) بفتح الميم وكسر السين[٤]، وهو معدول عن المصدر كَفَجَارِ ونحوه، وشبَّهه أَبو عبيدة وغيره بِنَزَالِ ودَرَاكِ ونحوه، والشَّبه صحيح من حيث هي معدولات، وفارقه في أَن هذه عدلت عن الأمر، ومَسَاسِ وفَجَارِ عدلت عن المصدر، ومن هذا قول الشاعر:

تَمِيـمٌ كَرَهْـطِ السَّـامِرِيِّ وَقَوْلِـهِ أَلا لا يُرِيدُ السَّـامِرِيُّ مَسَـاسِ[٥] [الطويل]

---

(١) في المطبوع: «جد»، وفي نجيبويه: «حق».

(٢) هو النابغة الجعدي كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٦)، من سينيته التي تقدمت منها عدة شواهد.

(٣) تابعه في عزوه له في البحر المحيط (٧/ ٣٧٨)، ونسبه في مجاز القرآن (٢/ ٢٧)، وغريب الحديث للخطابي (١/ ٢١٩) للقلاخ بن حزن المنقري، وقبله عنده:

ووتّـر الأسـاور القيـاسـا صـغديّـة تـنـتـزع الأنفـاسا

ونسبه الماوردي في التفسير (٣/ ٤٢٣) لشاعرة لم يسمها.

(٤) وهي شاذة، نسبها له في المحتسب (٢/ ٥٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٣١٢).

(٥) البيت في مجاز القرآن (٢/ ٢٧)، وتفسير السمعاني (٣/ ٣٥٣)، وتفسير الماوردي (٣/ ٤٢٤) بلا نسبة.

وقرأ الجمهور: ﴿تُخۡلَفَهُۥ﴾ بفتح اللام، على معنى: لن يقع فيه خُلْف.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرٍو: ﴿لَنْ تُخْلِفَهُ﴾ بكسر اللام[1]، على معنى: لن تستطيع الروغان[2] عنه والحيدة، فتزول عن موعد العذاب.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (لَنْ نُخْلَفَهُ) بالنون، قال أبو الفتح: المعنى: لن نصادفه مُخْلَفاً[3].

قال القاضي أبو محمد: وكلها بمعنى الوعيد والتهديد.

ثمَّ وبَّخه عليه السلام بقوله: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي﴾؛ أي: انظر صنيعك، وتغْييرنا له، وردَّنا الأمر فيه إلى الواجب.

وقرأت فرقة: ﴿ظَلۡتَ﴾ بفتح الظاءِ، على حذف اللام الواحدة.

وقرأت فرقة: (ظِلْتَ) بكسر الظاءِ[4] على نقل حركة اللام إلى الظاءِ ثم حذفها بعد ذلك، نحو قول الشاعر:

[الوافر]
خَـلَا أَنَّ العِتَـاقَ مِـنَ الْمَطَايَـا أَحَسْنَ بِهِ فَهُنَّ إِلَيْهِ شُوسُ[5]

أَراد: أَحْسَسْن، فنقلت حركة السِّين إلى الحاءِ ثم حذفت تخفيفاً، وفي بعض الروايات: حَسَيْنَ[6].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٣)، والسبعة (ص: ٤٢٤).

(٢) في المطبوع والحمزية: «الزوغان».

(٣) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٥٦).

(٤) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٣١٢) لابن مسعود وقتادة، وزاد كل منهما آخرين.

(٥) البيت لأبي زُبَيْد الطائي كما في جمهرة اللغة (١/ ٩٧)، والأمالي للقالي (١/ ١٧٨)، والمحتسب (١/ ١٢٢)، والإنصاف (١/ ٢٧٧).

(٦) وهي رواية جمهرة اللغة (١/ ٩٧)، وأمالي القالي (١/ ١٧٨).

وقرأَت فرقة: (ظَلِلْتَ)[١]، وظَلَّ معناه: أَقام يفعل الشيءَ نهاراً، ولكنه قد يستعمل في الدَّائب ليلاً ونهاراً، بمثابة طَفِقَ.

و﴿عَاكِفاً﴾ معناه: ملازماً.

وقرأَت فرقة: (لَنُحْرِقَـنَّه) بتخفيف الراءِ بمعنى: بالنار.

وقرأَ علي بن أَبي طالب رضي الله عنه، وابن عباس: (لَنَحْرُقَنَّهُ) بضم الراء وفتح النون[٢] بمعنى: لَنَبْرُدَنَّهُ بالمِبْرَد.

وقرأَ نافع وغيره: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بضم النون وكسر الرَّاء وشدِّها[٣]، وهذا تضعيف مبالغة لا تعدية، وهي قراءة تحتمل الحرق بالنار، وتحتمل بالمبرد.

وفي مصحف أُبي، وعبد الله بن مسعود: (لَنَذْبَحَنَّهُ ثمَّ لَنَحْرِقَنَّهُ ثمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ)[٤]، وهذه القراءة مع رواية من روى أَن العجل صار لحماً ودماً، وعلى هذه الرواية تركَّب أَن يكون هناك حرق بنارٍ، وإِلَّا فإِذا كان جماداً من ذهب فإِنما هو حَرْق بالمِبْرَد، اللهم إِلَّا أَن تكون إِذابة، ويكون النَّسف مستعاراً لتفريقه في اليَمِّ مذاباً.

وقرأَت فرقة: ﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ بكسر السِّين، وقرأَت فرقة: (لَنَنْسُفَنَّهُ) بضم السين[٥].

و«النَّسْفُ»: تفريق الريح الغُبَار، وكل ما هو مثله كتفريق الغربال ونحوه فهو نسف.

---

(١) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٢) لأبي، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣١٢) لقتادة.

(٢) وهما شاذتان، عزا الأولى في الشواذ للكرماني (ص: ٣١٣) لأبي نهيك، والثانية لأصحابها في المحتسب (٢/ ٥٨).

(٣) هذه هي القراءة المتواترة للجمهور العشرة وغيرهم.

(٤) وهي شاذة مخالفة للمصحف، انظر عزوها لابن مسعود في تفسير الطبري (١٨/ ٣٦٦)، ولأبي في غرائب التفسير (٢/ ٧٢٩).

(٥) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٢) لعيسى، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣١٣) لأبي رجاء، والأولى هي المتواترة.

و﴿ٱلْيَمِّ﴾: غمر الماءِ من بحر أو نهر[١]، وكل ما غمر[٢] الإنسان من الماءِ فهو يَمٌّ.

و﴿نَسْفًا﴾: تأْكيد بالمصدر، واللام في قوله: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ لام القسم.

وفي هذه الآية من القصص أَن موسى عليه السلام بَـرَدَ العِجْلَ حتى رجع كالغبار ثُمّ ذرَّاه في البحر، ثم أَمر بني إِسرائيل أَن يشرب جميعهم من الماءِ، فكلما شرب من كان في قلبه حُب العجل خرج على شاربه من الذهب فضيحةً.

وقال مكيٌّ ـ رحمه الله ـ وأَسْنَدَ: إِنَّ موسى عليه السلام كان مع السبعين في المناجاة، وحينئذ وقع أَمر العجل، وإِن الله تعالى أَعلم موسى بذلك فكتمه[٣] عنهم، وجاءَ بهم حتى سمعوا لغط[٤] بني إِسرائيل حول العجل، فحينئذ أَعلمهم موسى[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وهذه روايةٌ الجمهورُ على خلافها، وإِنما تعجَّل موسى عليه السلام وحده فوقع أَمر العجل، ثم جاءَ موسى وصنع ما صنع بالعجل، ثم خرج بعد ذلك بالسبعين على معنى الشفاعة في ذنب بني إِسرائيل، وأَن يطلعهم أيضاً على أَمر المناجاة، فكان لموسى عليه السلام نهضتان، والله أَعلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾.

[٤/ ٣٥] هذه مخاطبة من موسى عليه السلام لجميع بني إِسرائيل مُبَيِّناً لهم،/ وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ بمعنى: وسع علمُه كلَّ شيءٍ، و﴿عِلْمًا﴾ تمييز، وهذا

---

(١) في الأصل: «وغيره».

(٢) في لالاليه: «عمّ».

(٣) في الأصل: «فكلمه».

(٤) في الأصل ولالاليه: «لفظ».

(٥) انظر: الهداية لمكي (٧/ ٤٦٩٠-٤٦٩٢).

كقولهم: تفقَّأْتُ شحماً وتَصَبَّبْتُ عَرَقاً، والمصدر في الأَصل فاعل، ولكن يسند الفعل إِلى غيره وينصب هو على التمييز.

وقرأَ مجاهد، وقتادة: (وَسَّعَ كُلَّ شَيْءٍ) بفتح السِّين وشدِّها[١]، بمعنى: خَلَقَ الأَشياءَ وكثَّرها بالاختراع فوسَّعها موجودات.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ﴾ مخاطبةٌ لمحمد ﷺ، أَي: كما قَصَصْنا عليك نبأَ بني إِسرائيل هذا في خبر العجل كذلك نقصُّ عَلَيْكَ، فكأَنه قال: هكذا نقصُّ عليك، فكأَنَّها تعديد نعمته.

وقوله: ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ يريد به ما قد سبق مدَّة محمد ﷺ، و«الذِّكْرُ»: القرآن.

وقرأَت فرقة: ﴿يَحْمِلُ﴾ بكسر الميم، وقرأَت فرقة: (يُحَمَّل) بفتح الميم وشدها[٢].

وقوله: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يريد: بالكفر به والتكذيب له.

و«الوِزْرُ»: الثقل، وهو هاهنا ثقل العذاب بدليل قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾، و﴿حِمْلًا﴾ تمييز، و﴿يَوْمَ﴾ ظرف، و﴿يَوْمَ﴾ الثاني بدل منه.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُنفَخُ﴾ بضم الياءِ وبناءِ الفعل للمفعول.

[وقرأَت فرقة: (يَنْفُخُ) بفتح الياءِ وبناء الفعل للفاعل][٣]؛ أَي: يَنْفُخ الـمَلَك.

وقرأَ أَبو عمرو وحده: ﴿نَنْفُخُ﴾ بالنون؛ أَي: بأَمرنا وإِذْنِنَا، وهذه القراءة تناسب قوله: ﴿وَنَحْشُرُ﴾[٤].

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٥٧).

(٢) الأولى هي المتواترة، والثانية شاذة لداود بن رفيع، كما في مختصر الشواذ (ص: ٩٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٣١٣).

(٣) ليس في أحمد٣ ولالاليه، في المطبوع: «وإسناد»، بدل «بناء».

(٤) وهي والأولى سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٣)، والثانية شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٣) للأعرج والحسن.

وقرأ الجمهور: ﴿فِى ٱلصُّورِ﴾ بسكون الواو، ومذهب الجمهور أَنه القَرن الذي ينفخ فيه إِسرافيل، وبهذا جاءت الأَحاديث، وقالت فرقة: الصُّور: جمع صورة، كتمرة وتَمْر.

وقرأ ابن عياض[١]: (ينفخ في الصُّوَر) بفتح الواو[٢].

وهذه صريحة في بعث الأَجساد من القبور.

وقرأَت فرقة هي الجمهور: ﴿وَنَحْشُرُ﴾ بالنون.

وقرأَت فرقة: (وَيَحْشُرُ) بالياءِ، وقرأَت فرقة: (وَيُحْشَرُ) بضم الياءِ (المُجْرِمُونَ) على المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، وهي قراءة مخالفة لخط المصحف[٣].

وقوله: ﴿زُرْقًا﴾ اختلف الناس في معناه:

فقالت فرقة: يحشرهم أَول قيامهم سودَ الأَلوان، زُرقَ العيون، فهو تشويهٌ مَّا، ثم يعمون بعد ذلك، وهي مواطن.

وقالت فرقة: إِنهم يحشرون عطاشاً، والعطش الشديد يردُّ سواد العيون إِلى البياض، فكأَنهم يَبْيَضُّ سواد عيونهم من شدة العطش.

وقالت فرقة: أَراد: زُرْق الأَلوان، وهي غاية في التشويه؛ لأَنهم يجيئون كلون الرماد، ومَهْيَعٌ[٤] في كلام العرب أَن يُسَمَّى هذا اللون أَزرق، ومنه زرقة الماء، قال الشاعر:

[الطويل] فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقاً جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ[٥]

---

(١) في المطبوع ونجيبويه وأحمد٣ والحمزوية ونور العثمانية والإماراتية: «عبد الله بن عباس رضي الله عنه».

(٢) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٣)، وفي المحتسب (٢/ ٥٨) عياض، وقد تقدم مثلها في (الأنعام) عن الحسن.

(٣) شاذتان، عزا في زاد المسير (٥/ ٣٢١) الأولى لأبي بن كعب وأبي الجوزاء وطلحة، والثانية لابن مسعود والحسن وأبي عمران.

(٤) في لالاليه: «شنيع».

(٥) البيت لزهير من معلقته كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ١٥٩)، والبيان والتبيين (٣/ ٨٤)، والكامل للمبرد (٣/ ٧٦).

ومنه قولهم: سنان أَزرق؛ لأَنه نحو ذلك اللون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ١٠٤ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧﴾.

أي يَتَخَافَت المجرمون بينهم: أي يَتَسَارُّون، المعنى: أَنهم لهول المطلع وشدَّة ذهاب أَذهانهم قد عزب عنهم قَدْرُ المدَّة التي لبثوها، واختلف الناس فيما ذا[(١)]:

فقالت فرقة: في دار الدنيا ومُدَّة العمر.

وقالت فرقة: في الأَرض مدَّة البرزخ، وقالت أُخرى: ما بين النفختين في الصُّور.

و﴿أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً﴾ معناه: أَثبتهم نفساً[(٢)]، وأَعلمهم بالحقيقة بالإضافة إِليهم، فهم في مدة المقالة يظنون أَن هذا قَدْر لُبْثهم.

والضمير في قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ﴾، قيل: إِن رجلاً من ثقيف سأَل رسول الله ﷺ [عن الجبال، ما يكون أَمرها][(٣)] يوم القيامة؟ وقيل: بل سأَله عن ذلك جماعةٌ من المؤمنين، وقد تقدَّم معنى النَّسف.

وروي: أَن الله تعالى يرسل على الجبال ريحاً فيدكدكها حتى تكون كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ، ثم يتوالى عليها حتى تعيدها كالهباءِ المنبثِّ، فذلك هو النَّسف.

وقوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا﴾ يحتمل أَن يريد مواضعها، ويحتمل أَن يريد ذلك التراب الذي نسفه؛ لأَنه إِنما يقع على الأَرض باعتدال حتى تكون الأَرض كلها مستوية.

و«القَاعُ»: المستوي من الأَرض المعتدل الذي لا نَشَزَ فيه، ومنه قول ضرار بن الخطَّاب[(٤)]:

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «في هذا».

(٢) في الأصل وأحمد٣: «يقينا»، وفي لالاليه: «أنسا».

(٣) في الأصل ولالاليه ونور العثمانية وأحمد٣: «ما يكون من أمر الجبال».

(٤) هو ضرار بن الخطّاب بن مرداس الفهريّ، له صحبة، وكان فارساً شاعراً، وله ذكر في أحد والخندق،=

[الخفيف] لَتَكُونَنَّ بِالْبِطَاحِ قُرَيْشٌ بُقْعَةَ الْقَاعِ فِي أَكُفِّ الإِمَاءِ[(١)]

و«الصَّفْصَفُ» نحوه في المعنى، و«العِوَجُ»: ما يعتري اعتدال الأَرض من الأَخْذ يَمْنة ويَسْرة بحسب النَّشْز من جبل وظرب[(٢)] وكُدْيَةٍ، ونحوه، و«الأَمْتُ»: ما يعتري الأَرض من ارتفاع وانخفاض، يقال: مدَّ حبله حتى ما ترك فيه أَمْتاً، فكأَنَّ الأَمت في الآية العوج في السماء تجاه الهواء، والعِوَج في الآية مختص بالعرض[(٣)]، وفي هذا نظر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١)﴾.

المعنى: يوم تُنسف الجبال يَتْبع الخلقُ داعيَ الله تعالى إِلى المحشر، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ [القمر: ٨].

وقوله: ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ يحتمل أَن يريد الإِخبار به، أَي: لا شكَّ فيه، ولا يخالف وجوده خبره.

ويحتمل أَن يريد: لا محيد لأَحد عن اتِّباعه، والمشي نحو صوته.

و«الـخُشُوعُ»: التَّطامنُ والتَّواضعُ، وهو في الأَصوات استعارة بمعنى الخفاء والاستسرار[(٤)].

= ثم أسلم في الفتح، وقتل باليمامة شهيداً، وقيل: بل عاش إلى أن حضر فتح المدائن ونزل الشّام، الإصابة (٣/ ٣٩٢).

(١) انظر عزوه له في الروض الأنف (٧/ ٢١٩)، والبطحاءُ: مَسيل الوادي يتجمع فيه دُقاق الحَصَى، وفي نجيبويه: «في كنف الأضائي».

(٢) في الأصل: «طرق»، وفي لالاليه: «طرف».

(٣) في المطبوع: «بالخفض».

(٤) في المطبوع: «والاستسراء».

ومعنى: ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: لِهَيْبَتِهِ وهوْل مطلع قدْرته.

و«الهَمْسُ»: الصَّوْتُ الخفي الخافت، وقد يحتمل أَن يريد بالهَمْسِ المسموع تخافُتَهم بينهم، وكلامَهُم السِّرَّ، ويحتمل أَن يريد صوت الأَقدام، وأَن أَصوات النطق ساكتة.

و﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ﴾ يحتمل أَن يكون الاستثناءُ متصلاً، وتكون ﴿مَنْ﴾ في موضع نصب يُراد بها المشفوع له، فكأَن المعنى: إِلَّا من أَذن له الرَّحمن في أَن يُشفَع له، ويحتمل أَن تكون استثناءً منقطعاً على تقدير: لكن من أَذن له الرَّحمن يَشفع، فـ﴿مَنْ﴾ في موضع / نصب بالاستثناء، ويصلح أَن يكون في موضع رفع، كما يجوز [٤/ ٣٦] الوجهان في قولك: ما في الدَّارِ أَحدٌ إِلَّا حماراً، وإِلَّا حمارٌ، والنصب أَوجه، و﴿مَنْ﴾ على هذه التأْويلات للشافع، ويحتمل أَن تكون للمشفوع فيه.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ قالت فرقة: يريد الملائكة، وقالت فرقة: يريد خلقه أَجمع، وقد تقدم القول في ترتيب ما بين اليد وما خلف في غير موضع.

على أَن جماعة من المفسرين قالوا في هذه الآية: (ما خَلْفَهُمْ): الدنيا، و﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أَمر الآخرة والثواب والعقاب، وهذا بأَن نفرضها(١) حالة وقوف حتى يجعلها كالأَجرام، وأَمَّا إِن قدرناها في نسق الزمان فالأَمر على العكس بحكم ما بيَّـنَّاه قَبْلُ.

وَعَنَت: معناه: ذلَّت، و«العاني»: الأَسير، ومنه قول النبي ﷺ في أَمر النِّساء: «هُنَّ عَوانٍ عندكم»(٢)، وهذه حالة الناس يوم القيامة.

قال طلق بن حبيب: أَراد تعالى سجودَ الناس على الوجوه والآراب السبعة(٣).

---

(١) في المطبوع: «يعرضها».

(٢) أخرجه الترمذي (١١٦٣) وغيره من حديث زائدة عن شبيب بن غرقدة عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال حدثني أبي: أنه شهد حجة الوداع. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.اهـ. وسليمان فيه جهالة، والحديث أخرجه مسلم (١٢١٨) في آخر حديث جابر في سياق حجة النبي ﷺ، وفيه خطبة الوداع وليس فيه هذه العبارة، ومعنى قوله: «عَوانٍ عندكم» يعني: أسرى في يديكم.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٣٧٨)، وأشار في حاشية المطبوع إلى أن في بعض النسخ: «والآداب السبعة».

قال القاضي أَبو محمد: إِن كان روى هذا أَن للناس يوم القيامة سجوداً وجعل هذه الآية إِخباراً عنه فهو مستقيم، وإِن كان أَراد سجود الدنيا فإِنه أَفسد نسق الآية.

و﴿ٱلْقَيُّومِ﴾ بناءُ مبالغة من قيامه عزَّ وجلَّ على كل شيءٍ بما يجب فيه.

و﴿خَابَ﴾: معناه: لم ينجح ولا ظَفِرَ بمطلوبه.

و«الظُّلْمُ» يعم الشِّركَ والمعاصي، وخيبة كل حاملٍ بقدر ما حمل من الظُّلم، فخيبة المشرك على الإِطلاق، وخيبة العاصي[1] مقيَّدة بوقت واحدٍ في العقوبة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عادل لقوله: ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾، وفي قوله: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ تَيْسير في الشَّرع؛ لأَنها (مِنْ) التي للتبعيض، والظُّلْمُ أَعمُّ من الْهَضْمِ، وهما يتقاربان في المعنى ويتداخلان، ولكن من حيث تناسقا في هذه الآية ذهب قوم إِلى تخصيص كل واحد منهما بمعنى، فقالوا: الظُّلْمُ أَن تَعْظُم عليه سيِّئاته وتكثر أَكثر ممَّا يجب، والهَضْمُ أَن يُنْقص حسناته ويُبْخَسها.

وكلُّهم قرأَ: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ على الخبر، غير ابن كثير فإِنه قرأَ: ﴿فلا يَخفْ﴾ على النهي[2].

ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾، أَي: كما قدرنا هذه الأُمور وجعلناها حقيقة بالمرصاد للعباد، كذلك حذَّرنا هؤلاء أَمرها، وأَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً، وتوعدنا فيه بأَنواع من الوعيد،

(١) في الأصل والحمزوية: «المعاصي».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٣)، والسبعة (ص: ٤٢٤)، وهذا لفظه.

لَعَلَّهُمْ ـ بحسب توقع البشر وتَرَجِّيهم ـ يَتَّـقُونَ الله ويخشَوْن عقابه، فيؤمنون ويتذكرون نِعَمَه عندهم، وما حذَّرهم من أَليم عقابه، هذا تأويل فرقة في قوله: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾.

وقالت فرقة: معناه: أَو يُكسبهم شرفاً، ويُبقي عليهم إِيمانهم وذِكْراً صالحاً في الغابرين.

وقرأَ الحسن البصري: (أو يُحدِثْ) ساكنة الثاءِ، وقرأَ مجاهد: (أَو نُحدِثْ) بالنون وسكون الثاءِ[1]، ولا وَجْه للجزم إِلَّا على أن يسكن حرف الإعراب استثقالًا لحركته، وهذا نحو قول جرير:

.... وَلا تَـعرِفْكُم الْعَـرَبُ[2] [البسيط]

وقوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ ختم للقول؛ لأَنه لما قدم صفة سلطانه يوم القيامة وعِظَمَ قدرته وذِلَّة عبيده وتَلَطُّفَه بهم، ختم ذلك بهذه الكلمات، وجعل بعد ذلك الأَمر بنوع آخر من القول.

وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾:

قالت فرقة: سببه أَن النبي ﷺ كان يخاف وقت تكليم جبريل له أن ينسى أول القرآن، فكان يقرأ قبل أن يستتم جبريل عليه السلام الوحي، فنزلت الآية في ذلك[3]، وهي على هذا بمعنى قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦].

وقالت فرقة أُخرى: سبب هذه الآية أَن النبي ﷺ كان إِذا أُوحيَ إِليه القرآن أَمر

---

(١) وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ٥٩)، والثانية في البحر المحيط (٧/ ٣٨٦)، وانظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣١٣).

(٢) تمامه:

سيروا بني العَمِّ فالأَهْوازُ مَنْزِلكُمْ ... ونَهْرُ تِيرَىٰ ولا تَعْرِفْكُمُ الْعَرَبُ

وقد تقدم في تفسير الآية (٥٥) من سورة البقرة.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

بكتبه للحين، فأَمر الله تعالى في هذه الآية أَن يتأَنّى حتى يُفَسَّرَ له المعاني وتقرر عنده[١].

وقالت فرقة: سبب الآية أَن امرأَةً شكت إِلى رسول الله ﷺ أَن زوجها لطمها، فقال لها رسول الله ﷺ: «بَيْنَكما القصاصُ»، ثمَّ نزلت: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] الآية، ونزلت هذه بمعنى الأمر بالتَّـثَبُّت[٢] في الحكم بالقرآن حتى يتبيَّن[٣]، والله أَعلم.

وقرأَ الجمهور: ﴿مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾.

وقرأ عبد الله بن مسعود: ﴿من قبل أن نقضي إليك وحيه﴾[٤].

وباقي الآية بيِّن، رغبة في خير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧﴾.

قال الطبري: المعنى: وإِنْ يعرض ـ يا محمدُ ـ هؤلاء الكفرة عن آياتي ويخالفوا رُسُلي ويطيعوا إِبليس، [فَقديماً فعل][٥] ذلك أَبوهم آدم[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأويل ضعيف، وذلك أَن كون آدم مثالاً للكفار الجاحدين ليس بشيءٍ، وآدم إِنما عصى بتأويل، ففي هذا غضاضة عليه ﷺ، وأَمَّا

---

(١) جاء هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما، من طريق العوفي عنه، وهو قول مجاهد وابن جريج وقتادة، انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٨٠).

(٢) في الأصل: «التشبث».

(٣) تقدم تخريجه في تفسير الآية (٣٤) من سورة النساء.

(٤) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٢٢)، وعزاها في زاد المسير (٣/ ١٧٨) له ولابن مسعود والحسن.

(٥) في المطبوع: «فقيما ما فعل»، وفي نجيبويه: «فقد فعل».

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٨٣).

الظاهر في هذه الآية إِمَّا أَن يكون ابتداءَ قصص لا تعلُّق له بما قبله، وإِمَّا أَن يجعل تعلُّقه أَنه لَمَّا عهد إِلى محمد ﷺ أَلاَّ يعجل بالقرآن مثل له بنبيٍّ قبله عُهد إِليه فنسي فعوقب؛ ليكون أَشدَّ في التحذير، وأَبلغ في العهد إِلى محمد ﷺ.

و«العهد» هنا في معنى الوصيَّة، و(نَسِيَ) معناه: ترك، ونسيان الذهول لا يمكن هنا؛ لأَنه لا يتعلَّق بالنَّاسي عقاب.

وقرأَ الأَعمش: (فَنَسِيْ) بسكون الياءِ[1]، ووجهها طلب الخفَّة.

و«العَزْمُ»: الـمُضِيُّ على المعتقد في أَي شيءٍ كان، وآدم عليه السلام كان معتقداً لأن لا يأْكل من الشجرة، لكنه لمَّا وسوس إِليه إِبليس لم يعزم على معتقده، وعبَّر بعض المفسرين عن العزم هنا بالصبر وبالحفظ وبغير ذلك مما هو أَعمُّ من حقيقة العزم، والشيءُ الذي عهد لآدم هو أَلاَّ يقرب الشجرة، وأُعلم مع ذلك أَن إِبليس عدوٌّ له.

وقال أَبو أُمامة: لو أَن أَحلام بني آدم جمعت[2] منذ خلق الله الخلق إِلى يوم القيامة ووضعت في كفَّة ميزان ووضع حلم آدم في كفَّة أُخرى لرجحهم، وقد قال الله له: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ابتداءُ قصة، والعامل / في (إِذْ) فعلٌ مضمر، وقد تقدم استيعاب هذه القصة، ولكن نذكر من ذلك ما تقتضيه أَلفاظ هذه الآية، فالملائكة قيل: كان جميعهم مأموراً بذلك، وقيل: بل فرقة فاضلة منهم عددهم اثنان وعشرون. [٤/ ٣٧]

و«السُّجُودُ» الذي أُمروا به: سجود كرامة لآدم، وعبادة لله تعالى.

---

(١) وهي شاذة، وانظرها في المحتسب (٢/ ٥٨).

(٢) في الأصل: «وضعت».

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٣٨٤-٣٨٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/ ٤٤٤) من طريق فرج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي أمامة فذكره. وإسناده ضعيف؛ لضعف فرج بن فضالة.

وقوله: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ استثناءٌ متصل في قول من جعل إبليس من الملائكة، ومنقطع في قول من قال: هو من قبيلة غير الملائكة، يقال لها: الجن.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا﴾، أَي: لا يقع منكما طاعةٌ له في إغوائه فيكونَ ذلك سببَ خروجكما من الْجَنَّةِ، ثم خصَّص [آدم عليه السلام][1] بقوله: ﴿فَتَشۡقَىٰٓ﴾ من حيث كان المخاطبَ أَوَّلاً المقصودَ في الكلام، وقيل: بل ذلك لأَن الله تعالى جعل الشَّقاءَ في معيشة الدُّنيا في حيّز الرِّجال.

ورُوي: أَنَّ آدم لمَّا أُهبط أهبط[2] معه ثور أَحمر، فكان يحرث ويمسح العرق، فهذا هو الشَّقاءُ الذي خُوِّف منه[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾.

المعنى: إن لك يا آدم نعمة تامَّة وعطية مستمرة أَلاَّ يصيبك جوعٌ ولا عري ولا ظمأٌ ولا بروز للشمس يؤذيك، وهو الضحاء[4].

وقرأَ نافع، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿وَإِنَّكَ﴾ بكسر الأَلف.

وقرأَ الباقون وحفص عن عاصم: ﴿وَأَنَّكَ﴾ بفتح الأَلف[5].

وجعل الله تعالى الجوع في هذه الآية مع العري، والظمأَ مع الضحى، وكان عرف

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) «أهبط» الثانية ليست في المطبوع.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٨٥).

(٤) في المطبوع ونور العثمانية: «الضُّحى».

(٥) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٢٤)، والتيسير (ص: ١٥٣).

الكلام أَن يكون الجوع مع الظمأ المتناسب، والعُرْيُ مع الضُّحيِّ؛ لأَنها تتضاد، إذ العري يمس بسببه البرد فيؤذي، والحرُّ يفعل ذلك بالضَّاحي، وهذه الطريقة مهيع في كلام العرب أَن تفرق النِّسب، ومنه قول امرئ القيس:

[الطويل]

كَأَنِّيَ لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً لِلَذَّةٍ ... وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالِ

وَلَمْ أَسْبَإِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ ... لِخَيْلِيَ كَرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ[1]

وذهب بعض الأُدباء إِلى أَن بيتي امرئ القيس فيهما محافظة للنسب، وأَن ركوب الخيل للصيد وغيره من الملاذ[2] يناسب تبطن الكاعب.

ومن الضَّحَاء قول الشاعر:

[الطويل]

رَأَتْ رَجُلاً أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ ... فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ[3]

و«وَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ» قيل: كانت دون مشافهة إِلقاءً في النفس، وقيل: بل كانت بالمشافهة والمخاطبة، وهو ظاهر القصة من غير ما موضع، وكان دخوله إِلى الجنَّة ـ فيما رُوي ـ في فم الحيَّة.

وكان آدم عليه السلام قد قال الله تعالى له: لا تأْكل من هذه الشجرة، وعيَّن له شجرة قد تقدَّم الخلاف في جنسها، فلمَّا وصفها له إِبليس بأَنها شجرةُ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلى ـ أي[4]: من أَكلها كان ملكاً مخلَّداً ـ عَمَد آدم إِلى غير تلك التي نهي عنها من جنسها فأَكلها بتأْويل [أَن النهي كان في تلك المعينة.

وقيل: بل تأول][5] أن النَّهي إنما كان على النَّدب لا على التَّحريم البت[6]،

---

(١) تقدم الكلام على هذين البيتين في تفسير الآية (١٧) من سورة الأنعام.

(٢) في المطبوع: «اللَّذَّات».

(٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة، كما تقدم في تفسير الآية (٨) من سورة التوبة.

(٤) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه ولالاليه: «التي».

(٥) ليس في المطبوع، وهو في الإماراتية ملحق في الهامش.

(٦) ليست في المطبوع، وفي الحمزوية وأحمد٣ ونجيبويه: «البحث»، وفي لالاليه: «الحث».

وسارعت إِلى ذلك حوَّاءُ وكانت معه في النهي، فلما رآها آدم قد أكلت أكل فطارت عنهما ثيابهما وظهر تبري الأشياء منهما، وبدت سوءاتهما.

و(طفقا) معناه: جعلا يفعلان ذلك دائماً[١].

و﴿يَخۡصِفَانِ﴾: معناه: يلفقان ويضُمَّان شيئاً إِلى شيء، فكانا يستتران بالورق، وروي: أَنه كان ورق التّين[٢].

ثمَّ نصَّ[٣] تعالى على آدم أنه عصى.

و(غَوَىَ) معناه: ضلَّ، من الغيِّ الذي هو ضد الرشد، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] فَمَـنْ يَلْقَ خَيْـراً يَحْمَدِ النَّـاسُ أَمْرَهُ ... وَمَنْ يَغْوِ لَا يَعْدَمْ عَلَى الْغَيِّ لَائما[٤]

وقرأَت فرقة: ﴿وَأَنَّكَ﴾ بفتح الألف عطفاً على قوله: ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾، وقرأَت فرقة: ﴿وإِنَّكَ﴾[٥] عطفاً على قوله: ﴿إِنَّ لَكَ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾.

﴿ٱجۡتَبَٰهُ﴾ معناه: تخيَّره واصطفاه، وتاب عليه: معناه: رجع به من حال المعصية إلى حال النَّدم، وهداه لصالح الأَقوال والأَعمال، وأَمضى عقوبته عزَّ وجلَّ في إِهباطه من الجنة.

وقوله: ﴿ٱهۡبِطَا﴾ مخاطبة لآدم وحواء، ثم أَخبرهما بقوله: ﴿جَمِيعَۢا﴾ أَن إِبليس

---

(١) في الأصل: «دائبا».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٨٨).

(٣) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «ثم قَصَّ».

(٤) البيت للمرقِّش الأصغر، ربيعة بن سفيان بن سعد، كما تقدم في تفسير الآية (٣٦) من سورة هود.

(٥) وهي قراءة شعبة ونافع كما تقدم، فهما سبعيتان، وهذا التكرار من المصنف رحمه الله غريب.

والحيَّة يهبطان معهما، وأخبرهما[١] بأَن العداوة بينهم وبين أَنْسالهم إِلى يوم القيامة.

و﴿عَدُوٌّ﴾ يوصف به الواحد والاثنان والجمع.

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ شرطٌ، وجوابه في قوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾ وما بعده إِلى آخر القسم الثاني، و«الهدى» معناه دعوة شرعي.

ثم أَعلمهم أَن من اتَّبع هداهُ وآمن به فإِنه لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، وأَنَّ مَنْ أَعْرَضَ عن ذِكر الله وكفر به فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً.

و«الضَّنْكُ»: النَّكِدُ الشَّاق من العيش، أو المنازل، أَو في مواطن الحرب ونحوها.

ومنه قول عنترة:

.... وَإِنْ نَـزَلُـوا بِضَنْـكٍ أَنْـزِلِ[٢] [الكامل]

وصف به الواحد والجمع والمؤنث، وقرأَت فرقة: ﴿ضَنكَا﴾، أَتبعت بالصفة لفظة المعيشة.

واختلف الناس في المعيشة الضَّنك، متى هو الوقت الذي هي فيه.

فقالت فرقة: هي الدنيا، ومعنى ذلك عندهم أَن الكافر وإِن كان متسع الحال والمال فمعه من الحرص والأَمل والتعذيب بأُمور الدنيا والرغبة وامتناع[٣] صفاءِ العيش بذلك ما يصيِّر معيشته ضنكاً.

وقالت فرقة: هي ضنك بأَكل الحرام.

---

(١) ليست في المطبوع وأحمد٣، وفيهما: «وأن العداوة».

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٨/ ٣٩٠)، ومجاز القرآن (٢/ ٣٢)، وهو في ديوان الستة الشعراء الجاهليين (ص: ٤٢) بلفظ: إنْ يُلْحَقُوا أَكْرُرْ وإنْ يُسْتَلْحَمُوا * أَشْدُدْ وإن يُلْفَوا بِضَنْك أنْزِل، وقد جاء عزوه له في الحيوان (٦/ ٥٤١)، والزاهر للأنباري (١/ ٤٨٠)، وأمالي القالي (٢/ ٧٢)، وشرح أدب الكاتب (ص: ٢٧٩)، وفي المطبوع وأكثر النسخ الخطية: «نزلوا يوماً بضنك»، وهو غير مستقيم في العروض.

(٣) في المطبوع: «واتساع».

وقالت فرقة: بل المعيشة الضَّنك في البرزخ، وهي أَن يرى مقعده من النَّار غُدوّاً ورَواحاً، وبالجملة عذاب القبر على ما رُوي فيه.

قال القاضي أَبو محمد: وحَمَل هذه الفرقةَ على هذا التأويل أَن لفظ الآية يقتضي أَن المعيشة الضَّنك هي قبل يوم القيامة بقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، وبقوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

وقالت فرقة: بل المعيشة الضنك في الآخرة، وهي عذابهم في جهنم وأَكلهم الزَّقُّوم وغيره، وذكر الله تعالى / ذلك من وعيده لهم، ثم أَخبر عن حالة أُخرى هي أيضاً في يوم القيامة، [٤/ ٣٨] وهي حشرهم عمياً، ثم يجيء قوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ معنى هذا الذي ذكرناه من المعيشة الضَّنك والعمى ونحوه هو عذابه في الآخرة، وهو أَشَدُّ وَأَبْقى من كل ما يقع عليه الظَّن والتَّخيُّل، فكأَنه ذكر نوعاً من عذاب الآخرة ثم أخبر[1] أَن عذاب الآخرة أَشد وأَبقى.

وقرأَت فرقة: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾ بالنون.

وقرأَت فرقة: (وَيَحْشُرُهُ) بالياء، وقرأَت فرقة: (وَنَحْشُرْهُ) بسكون الرَّاءِ[2].

[وقرأَت فرقة: ﴿أَعْمَىٰ﴾ بفتح الأَلف][3]، وقرأَت فرقة: ﴿أَعْمَى﴾ بالإِمالة[4].

وقالت فرقة: العَمَى هنا عَمَى البصيرة عن الحجة.

قال القاضي أَبو محمد: ولو كان هذا لم يخش[5] الكافر؛ لأَنه مات أَعمى البصيرة ويُحشر كذلك.

وقالت فرقة: العَمَى عَمَى البصر.

---

(١) في المطبوع: «ذكر».

(٢) وهما شاذتان، الثانية لأبان بن تغلب كما في المحتسب (٢/ ٥٩)، والأولى في البحر المحيط (٧/ ٣٩٤) بلا نسبة.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي على قاعدتهما، ووافقهما هنا شعبة، فهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٢٥).

(٥) في المطبوع والإماراتية: «يُحسَّ».

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الأَوجه، مع أَن عمى البصيرة حاصل في الوجهين، وأَما قوله: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢] فمن رآه في العينين فلا بد أَن يتأَولها مع هذه إِمَّا أَنَّها في طائفتين وإِمَّا في موطنين.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ﴾ (ذَلِكَ) إِشارة إِلى العَمَى الذي حلَّ به، أَي: مثل هذا في الدنيا أَن أَتَتْكَ آياتُنا فنَسِيتَها.

و«النِّسْيَان» في هذه الآية بمعنى الترك، ولا مدخل للذهول في هذا الموضع.

و﴿تُنسَىٰ﴾ أيضاً[1] بمعنى: تُترك في العذاب.

ورُوي: أَن هذه الآية نزلت في القرشي[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾.

المعنى: وكما وصفنا من أَليم الأَفعال نَجْزِي المسرفين المعتدين الكفَّار بالله عزَّ وجلَّ.

وقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ إِن كانت معيشة الضَّنك في الدنيا أَو في البرزخ فجاءَ هذا وعيداً بعذاب الآخرة بعد وعيد، وإِن كانت المعيشة[3] في الآخرة فأَكَّد الوعيد بعينه بهذا القول الذي جعل به عذاب الآخرة فوق كل عذاب يتخيَّله الإنسان أو يقع في الدنيا.

ثمَّ ابتدأَ يُوَبِّخُهم ويذكر العِبَر بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾.

وقرأَت فرقة: ﴿يَهْدِ﴾ بالياءِ بمعنى: يتبيَّن، واختلفت هذه الفرقة في الفاعل:

(١) ليست في المطبوع ونجيبويه.
(٢) في الأصل: «المرشي»، وفي نجيبويه: «العرنيين»، وهذا السبب لنزول الآية لم أجده.
(٣) زاد في المطبوع: «الضَّنْك»، قال في الحاشية: زيادة لتوضيح المعنى، وفي نجيبويه: «المصيبة».

فقال بعضهم: الفاعل ﴿كَمْ﴾، وهذا قول كوفيٌّ، ونُحاة البصرة لا يجيزونه؛ لأَن (كَمْ) لها صدر الكلام.

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ مَنْ أَهْلَكْنَا)[١]، فكأَن هذه القراءَة تناسب ذلك التأويل في ﴿كَمْ﴾.

وقال بعضهم: الفاعلُ الله عزَّ وجلَّ، والمعنى: أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ما جعل الله لهم من الآيات والعِبَر، فأَضاف الفعل إِلى الله عز وجل بهذا الوجه، قاله الزجاج[٢].

وقال بعضهم: الفاعل مُقَدَّر، الهدى أَو الأَمر.

قال القاضي أبو محمد: أَو النَّظر والاعتبار، هذا أَحسن ما يُقَدَّر به عندي.

وقرأَت فرقة: (نَهْدِ) بالنُّون[٣]، وهذه القراءة تناسب تأويل مَن قال في التي قبلها: الفاعل الله تعالى، و﴿كَمْ﴾ على هذه الأَقوال نصب بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

ثم قيَّد القُرُون بأَنهم يمشي هؤلاء الكفرة في مَساكِنِهِمْ، فإِنما أَراد عاداً وثمود والطَّوائف التي كانت قريش تجوز على بلادهم في المرور إِلى الشَّام وغيره.

وقرأَت فرقة: ﴿يَمْشُونَ﴾ بفتح الياءِ.

وقرأَت فرقة: (يُمَشُّونَ) بضم الياءِ وفتح الميم وشدّ الشين[٤].

و﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ جمع نُهْيَةٍ، وهو ما ينهى الإنسان عن فِعْل القبيح.

ثمَّ أَعلم عزَّ وجلَّ أَن العذاب كان يصير لهم لِزاماً لَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ من الله تعالى

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٣)، وتفسير الطبري (١٨/ ٣٩٨)، والهداية لمكي (٧/ ٤٧١٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٧٩).

(٣) وهي شاذة، عزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٣١٤) ليزيد، وفي زاد المسير (٣/ ١٨١) لرواية زيد عن يعقوب.

(٤) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٢) لابن السميفع، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣١٥) له ولعيسى الكوفة.

في تأْخيره عنهم إِلى أَجل مسمًّى عنده، فتقدير الكلام: ولولا كلمة سبقت في التأخير، وأَجلٌ مُسمًّى لكان العذاب لِزاماً، كما تقول: لكان حتماً أو واجِباً واقِعاً، لكنه قدَّم وأَخَّر لِتَشتَبِه رُءؤوس الآي.

واختلف الناسُ في الأجل: فمحتمل أَن يريد يوم القيامة، والعذاب المتوعَّد به ـ على هذا ـ هو عذاب جهنَّم، ويحتمل أَن يريد بالأَجل مَوْتَ كل واحد منهم، فالعذاب على هذا هو ما يَلْقَى في قبره وما بعده، ويحتمل أَن يريد بالأَجل يوم بدرٍ، فالعذاب على هذا هو قتلهم بالسيف، وبكل احتمال مما ذكرناه قالت فرقة، وفي «صحيح البخاري»: أَن يوم بدرٍ هو اللِّزام، وهو البطشة الكبرى[1].

ثمَّ أَمره تعالى بالصبر على أَقوالهم: إِنه ساحر، وإِنه كاهن، وإِنه كذَّاب، إِلى غير ذلك.

والمعنى: لا تحفل[2] بهم فهم مدركة[3] الهلكة، وكون اللّزام يوم بدر أَبلغ في آيات نبينا ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، قال أَكثر المتأَوِّلين: هذه إِشارة إِلى الصلوات الخمس: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: صلاةُ الصُّبح، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: صلاة العصر، ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾: العتمة، ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾: المغرب والظُّهر.

وقالت فرقة: من آناءِ اللَّيْلِ: المغربُ والعشاءُ، وأَطْراف النَّهارِ: الظُّهر وحدها.

ويحتمل اللَّفظ أَن يُراد به قول: (سُبحانَ الله وبحمده) من بعد صلاة الصبح إِلى ركعتي الضُّحى، وقبل غروب الشَّمس؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «من سبَّح عند[4] غُروب الشَّمس سبعين[5] تسبيحة غربت بذنوبه»[6].

---

(١) البخاري (٤٧٧٤).

(٢) في المطبوع: «تعجل».

(٣) في المطبوع والإماراتية ونجيبويه وأحمد٣ ولالاليه: «بمدرجة».

(٤) في الأصل: «قبل».

(٥) ليست في المطبوع ونجيبويه ونور العثمانية.

(٦) منكر، أخرجه الذهبي في السير (١٤/ ٤٦٤) من طريق بانة بنت بهز بن حكيم، عن أبيها، عن أبيه، =

قال القاضي أَبو محمد: سَمَّى الطَّرفين أَطرافاً على أَحد وجهين: إِمَّا على نحو: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، وإِمَّا على أَن يجعل النهار للجنس فلِكُلِّ يوم طرف، وهي التي جمع.

وأَمَّا من قال: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ لصلاة الظهر وحدها فلا بُدَّ له من أَن يتمسَّك بأَن يكون النهار للجنس كما قلنا، أَو يقول: إِن النهار ينقسم قسمين فَصَلَهُما الزَّوال، ولكل قسم طرفان، فعند الزَّوال طرفان، الآخِر من القسم الأَول، والأَول من القسم الآخر، فقال عن الطرفين: أَطرافاً على نحو ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، وأَشار إِلى هذا النَّظر أَبو بكر[1] بن فُورك في «المشكل»[2].

و«الآناءُ» جمع إِنْيٍ، وهي الساعة من اللَّيل، ومنه قول الهُذَليِّ:

[البسيط]
حُلْوٌ وَمُـرٌّ كعِطْفِ القِـدْحِ مِرَّتُه   فِي كُـلِّ إِنْيٍ حـداه اللَّيْلُ يَنْـتَعِلُ[3]

وقالت فرقة: في الآية إِشارة إِلى نوافل، فمنها آناءَ اللَّيل، ومنها قبل طلوع الشمس، وركعتا الفجر والمغرب أَطراف النهار.

وقرأَ الجمهور: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بفتح التاءِ، أَي: لعلَّك تُثاب على هذه الأَعمال بما ترضى به.

وقرأَ الكسائي، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿لعلّك تُرْضَى﴾[4]، أَي: لعلَّك تُعطى ما يُرضيك/. [٤/ ٣٩]

= عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «من سبح عند غروب الشمس سبعين تسبيحة غفر الله له سائر عمله»، قال الذهبي: حديث منكر، وبانة مجهولة.

(١) من المطبوع ونجيبويه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) تقدم في تفسير الآية (١١٥) من سورة آل عمران، وفي المطبوع وأحمد٣: «مرته».

(٤) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٢٥)، والتيسير (ص: ١٥٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾.

قال بعض الناس: سبب هذه الآية أَن رسول الله ﷺ نزل به ضيف فلم يكن عنده شيءٌ، فبعث إِلى يهودي ليسلفه شعيراً، فأَبى اليهودي إِلَّا برهن، فبلغ الرسول بذلك إِلى النبي ﷺ فقال: «والله إِنِّي لأَمين في السماء، وأَمين في الأَرض»، فرهنه درعه، فنزلت الآية في ذلك[1].

قال القاضي أبو محمد: وهذا مُعترضٌ أَن يكون سبباً؛ لأَن السُّورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عُمْر النبي ﷺ؛ لأَنه مات ودرعه مرهونة بهذه القصة التي ذكرت، وإِنما الظاهر أَن الآية متناسقة مع ما قبلها، وذلك أَن الله تعالى وبَّخهم على ترك الاعتبار بالأُمم السابقة، ثمَّ توعَّدهم بالعذاب المؤجل، ثمَّ أَمر نبيه بالاحتقار لشأنهم، والصبر على أَقوالهم، والإعراض عن أَموالهم، وما في أَيديهم من الدنيا؛ إِذ ذلك منحصر[2] عنهم، صائر بهم إِلى خِزي.

وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أَبلغ من: ولا تنظر؛ لأَن الذي يمد بصره إِنما يحمله على ذلك حرصٌ مقترن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه.

و«الأَزْوَاجُ»: الأنواع، فكأَنه قال: إِلى ما متَّعنا به أَقواماً منهم وأَصنافاً.

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة (٢٨٨٢)، وابن أبي شيبة في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٥٧٦٤)، والطبري (١٦/ ٤٠٣)، والطبراني في الكبير (٩٨٩)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠٥) من طريق موسى بن عبيدة الربذي، عن يزيد بن قسيط، عن أبي رافع، مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف موسى بن عبيدة الربذي، ومن طريق ابن أبي شيبة أخرجه أبو يعلى في مسنده، وانظر إتحاف المهرة (٢٨٨٢)، والمطالب العالية (٧/ ٤٥٠-١٤٩٨). وأخرجه الطبري (١٦/ ٤٠٤) من طريق محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن يعقوب ابن يزيد، عن أبي رافع به، وسنده لين، ولرهن الدرع شاهد في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ اشترى طعاماً من يهودي بنسيئة، ورهنه درعاً من حديد».

(٢) في المطبوع: «منصرم».

وقوله تعالى: ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ شبه نعم هؤلاءِ الكفار بالزَّهر، وهو ما اصفر من النَّوْر، وقيل: الزهْرُ: النَّوْرُ جملة؛ لأَن الزهر له منظر ثم يضمحل، فكذلك حال هؤلاءِ.

ونصب ﴿زَهْرَةَ﴾ يجوز أَن يكون بإِضمار فعل تقديره: جعلناه زهرةَ، ويجوز أَن ينصب على الحال، وذلك أَن تعريفها ليس بمحض.

[وقرأَت فرقة: (زَهْرَةً) بالتنوين][١].

وقرأَت فرقة: ﴿زَهْرَةَ﴾[٢] بسكون الهاء، وفرقة: ﴿زَهَرَةَ﴾ بفتح الهاءِ[٣].

ثم أَخبر تعالى نبيَّه ﷺ: أَن ذلك إِنما هو ليختبرهم به، ويجعله فتنةً لهم، وأَمْراً يجازون عليه بالسوءِ لفساد تقلُّبهم فيه، ورزْقُ الله تعالى الذي أَحلَّه للمتَّقين من عباده خيرٌ وأَبقى، أَي: ورزق الدنيا خير، ورزق الآخرة أَبقى، وبيَّن أَنه خير من رزق الدنيا.

ثم أَمره تعالى بأَن يأْمر أَهله بالصلاة، ويمتثلها معهم، ويصطبر عليها ويلازمها، وتكفَّل هو برزقه، لا إله إلَّا هو، وأَخبره أَن العاقبة لأُولي التقوى وفي حيِّزها، فَثَمَّ نصرُ الله في الدنيا ورحمتُه في الآخرة، وهذا الخطاب للنبي ﷺ، ويدخل في عمومه جميع أُمَّته.

ورُوي: أَن عُروة بن الزُّبير رضي الله عنه كان إِذا رأَى شيئاً من أَخبار السَّلاطين وأَحوالهم بادر إِلى منزله ودخله وهو يقرأُ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَأَبْقَىٰ﴾، ثمَّ يُنادي: الصلاةَ الصلاةَ يرحمكم الله، ويصلِّي[٤]، وكان أَمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يوقظ أَهل داره لصلاة اللَّيل ويُصلِّي ويتمثَّل بهذه الآية[٥].

---

(١) ليس في الأصل والإماراتية وأحمد٣، وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً، وانظر مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٤٧٥).

(٢) ضبطت في المطبوع بتسكين هاء التأنيث على هيئة الوقف، ولعله خطأ، فالمقصود تسكين الهاء الأولى، والفرقة هم الجمهور.

(٣) وهي عشرية ليعقوب، كما في النشر (٢/ ٣٢٢).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٤٠٥).

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٢٥٩) من طريق زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر رضي الله عنه، ومن =

وقرأَ الجمهور: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ﴾ بضم القاف، وقرأَت فرقة: (نَحْنُ نَرْزُقْكَ) بسكونها[1].

ثم أَخبر تعالى عن طوائف من الكفار قالوا عن محمد ﷺ: ﴿لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ﴾؛ أَي: بعلامة مما اقترحناها عليه، أَو ممَّا يبهر ويضطر.

قال القاضي أبو محمد: ورسل الله إِنما اقترنت معهم آيات معرضة للنظر، محفوفة بالبراهين العقلية، ليَضِلَّ من سبق في علم الله ضلاله، ويهتدي من سبق هداه، فوبَّخهم الله تعالى بقوله: ﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ يعني: التوراة أَعظمُ شاهد، وأَكبر آية له.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿تَأۡتِهِم﴾ على لفظ ﴿بَيِّنَةُ﴾.

وقرأَ الباقون وأَبو بكر عن عاصم: ﴿يأْتِهِمْ﴾ بالياءِ على المعنى[2].

وقرأَت فرقة: ﴿بَيِّنَةُ مَا فِي﴾ بالإِضافة إِلى ﴿مَا﴾.

وقرأَت فرقة: (بَيِّنَةٌ) بالتنوين، و(مَا) بدلٌ على هذه القراءَة.

[وقرأَت فرقة: (بَيِّنَةً مَا) بالنصب، و(مَا) على هذه القراءَة][3] فاعلة بـ﴿تَأۡتِ﴾.

وقرأَ الجمهور: ﴿فِي ٱلصُّحُفِ﴾ بضمِّ الحاءِ، وقرأَت فرقة: (في الصُّحْفِ) بسكونها[4].

= طريق مالك أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤٧٤٣)، وأخرجه الطبري (١٨/ ٤٠٥-٤٠٦) من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم به.

(١) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٥) لطلحة، وعبر عنها بالإدغام، وانظر البحر المحيط (٧/ ٤٠١).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٢٥)، والتيسير (ص: ١٥٣).

(٣) ليس في أحمد٣، وهذه ثلاث قراءات، الأولى هي المتواترة، والأخريان شاذتان، وقد عزا الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٥) التنوين مع الرفع لمجاهد، ومع النصب للكسائي عن بعضهم.

(٤) وهي شاذة عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٥) لطلحة بن مصرف، وطلحة السمان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾.

أَخبر الله تعالى نبيَّه ﷺ أَنه لو أَهلك هذه الأُمَّة الكافرة قبل إرساله إِليهم محمداً لقامت لهم حُجَّة، وقالوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ الآية.

وروى أَبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ، قال: «يحتج على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة: الهالك في الفترة، والمغلوب على عقله، والصبي الصغير، فيقول المغلوب على عقله: رَبِّ، لِمَ لَمْ تَجْعَل لي عقلاً؟ ويقول الصبي نحوه، ويقول الهالك في الفترة: ربِّ، لِمَ لَمْ تُرسل إِلَيَّ رسولاً؟ ولو جاءَني لكنت أَطوعَ خلقك لك، قال: فتُرفع لهم نارٌ، ويقال لهم: رِدُوها، قال: فيَرِدُهَا[(١)] من كان في علم الله أَنه سعيد، ويكعُّ عنها الشَّقِيُّ، فيقول الله تعالى: إِيَّاي عصيتم، فكيف برسلي لَوْ أَتَتْكُم؟»[(٢)].

فأَمَّا الصَّبيُّ والمغلوب على أَمره[(٣)] فبَيِّنٌ أَمرهما، وأَمَّا صاحب الفترة فليس ككفَّار قريش قبل النبي ﷺ؛ لأَن كفار قريش وغيرهم مِمَّن علم وسمع عن نُبُوَّة ورسالة في أَقطار الأَرض فليس بصاحب فترة، والنبي ﷺ قد قال [للرجل الذي سأَله عن أَبيه][(٤)]: «أَبي وأَبوك في النار»[(٥)]، ورأَى عمرو بن لحي في النار[(٦)]، إِلى غير هذا مما

---

(١) في أحمد٣: «فيردونها» مع زيادة «فينجو منها».

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٠٧)، وابن أبي حاتم (١٦٩٥٠) في تفسيرهما من طريق عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري به، والحديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف، وقد جمع الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٥٣-٥٨) الأحاديث في هذا الباب، وعلق عليه، فانظره إن شئت.

(٣) في أحمد٣ والإماراتية ونجيبويه ولالاليه: «عقله».

(٤) ليس في الأصل وأحمد٣ والإماراتية.

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، بلفظ: «إن أبي وأباك في النار».

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٥٢٠)، ومسلم (٢٨٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يطول ذكره، وإنما [١]صاحب الفترة يفرض أَنه آدمي لم يطرأ[٢] إِليه أَن الله تعالى بعث رسولاً ولا دَعَا إِلى دين، وهذا قليل الوجود، اللهمَّ إِلَّا أَن يشذ في أَطراف الأَرض، والمواضع[٣] المنقطعة عن العمران، و«الذُّلُّ» و«الخِزْيُ» مقترنان بعذاب الآخرة.

ثمَّ أَمر الله نبيَّه أَن يتوعَّدهم ويحملهم ونفسه على التَّرَبُّص وانتظار الفرج.

و«التَّرَبُّص»: التَّأَنِّي.

و﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾: الطريق.

وقرأَت فرقة: ﴿ٱلسَّوِيِّ﴾.

وقرأَت فرقة: (السَّوَاءِ)، فكأَن هذه الآية قسمت الفريقين، أَي: سَتَعْلَمُون هذا من هذا.

وقرأَت فرقة: (السَّوَّا) بشدِّ الواو وفتحها.

وقرأَت فرقة: (السُّوءَى) بضم السين وهمزة على الواو، على وزن فُعْلَى[٤].

و﴿ٱهْتَدَىٰ﴾: معناه: رشد.

كمل تفسير سورة طه، والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

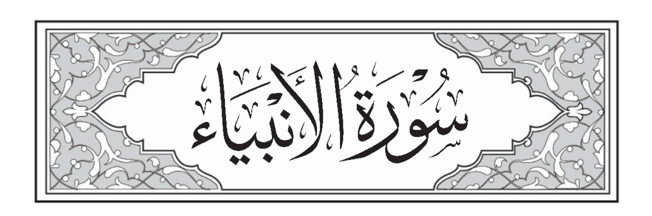
---

(١) في الأصل: «وأما».

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «يصل».

(٣) ليس في المطبوع والإماراتية ونجيبويه.

(٤) الأولى هي المتواترة وبعدها ثلاث شاذة، عزا الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٥) أولاها لأبي مجلز في مصحفه، وعزا في البحر المحيط (٧/ ٤٠٢) الثالثة للجحدري وابن يعمر، ونسبا لهما الثانية لكن بضم السين، وأما مع الفتح فلم أقف عليها.



/ تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام

[٤/ ٤٠]

هذه السُّورة مكِّيَّة بِإجماع [من المفسرين][(١)].

وكان عبد الله بن مسعود يقول: الكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأُول، وهي من تِلادي[(٢)]، يريد: من قديم ما كسبت وحفظت من القرآن، كالمال التِّلاد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾.

رُوي: أَن رجلاً من أَصحاب رسول الله ﷺ كان يبني جداراً، فمرَّ به آخر في يوم نزول هذه السُّورة، فقال الذي كان يبني الجدار: ماذا نزل اليوم من القرآن؟ فقال له الآخر: نزل اليوم ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾، فنفض يده من البنيان، وقال: والله لا بنَيتُ أَبداً وقد اقترب الحساب[(٣)].

---

(١) من نور العثمانية.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٣٩).

(٣) ضعيف، أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٧٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥/ ٣٢٧) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، عن عامر بن ربيعة: أنه نزل به رجل من العرب، فأكرم عامر مثواه، وكلّم فيه رسول الله ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت من رسول الله ﷺ وادياً في العرب، وقد أردت أن أقطعَ لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك. فقال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾. وعبد الرحمن ضعيف.

وقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ عام في جميع الناس بالمعنى[(١)]، وإن كان المشار إِليه في ذلك الوقت كفَّارَ قريش، ويدل على ذلك ما بعده من الآيات، وقوله: ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ يريد الكفار.

قال القاضي أَبو محمد: ويتَّجه من هذه الألفاظ على العصاة من المؤمنين قسطهم.

وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم﴾ وما بعده مختصٌّ بالكفَّار.

وقوله: ﴿مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ قالت فرقة: المراد ما ينزلُ من القرآن، [ومعناه: محدث][(٢)] نزوله وإِتْيَانُه إِيَّاهم، لا هو في نفسه، وقالت فرقة: المراد بالذكر أَقوالُ النبي ﷺ في أَمر الشريعة، ووعْظُه وتذْكيرُه، فهو مُحْدثٌ على الحقيقة، وجعله مِنْ رَبِّهم من حيث إن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، ولا يقول إِلَّا ما هو من عند الله.

وقالت فرقة: الذِّكْرُ: الرَّسُولُ نفسه، واحتجت على ذلك[(٣)] بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ [الطلاق: ١٠-١١]، فهو محدث على الحقيقة، ويكون ﴿ٱسْتَمَعُوهُ﴾ بمعنى: استمعوا إِليه.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ جملة في موضع الحال، أَي: إسماعهم في حال لعب، فهو غير نافع، ولا واصل النفس.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً﴾ حالٌ بعد حال.

---

(١) ليس في المطبوع، وفي الأصل ونجيبويه ولالاليه: «المعنى».

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «وقوله: ﴿مُّحْدَثٍ﴾ يريد».

(٣) «على ذلك»: من المطبوع ونجيبويه.

واختلف النحاة في إِعراب قوله: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾، فذهب سيبويه رحمه الله إلى أَن الضمير في قوله: ﴿وَأَسَرُّوا۟﴾ فاعل، وأَن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلٌ منه، قال رحمه الله: لغة «أَكَلُوني البراغيث» ليست في القرآن[1].

وقال أَبو عبيدة وغيره[2]: الواو والأَلف علامة أَن الفاعل مجموع، كالتاءِ في قولكِ: قامت هند، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعل بـ(أَسَرُّوا)، وهذا على لغة من قال: «أَكَلُوني البراغيث».

وقالت فرقة: الضمير فاعل، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مرتفع بفعل تقديره: أَسَرَّها الذين، أَو قال الذين.

قال القاضي أبو محمد: والوقوف على ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ في هذا القول وفي القول الأَول أَحسن، ولا يحسن في الثاني.

وقالت فرقة: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مرتفع على خبر ابتداءٍ مضمر، تقديره: هم الذين ظلموا، والوقف مع هذا حسن.

وقالت فرقة: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع نصب بفعل تقديره: أَعني الذين.

وقالت فرقة: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع خفض بدل من (النَّاسِ) في قوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾.

قال القاضي أبو محمد: وهذه أَقوال ضعيفة.

ومعنى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾: تكلَّموا بينهم بالسِّرِّ والمناجاة بعضهم لبعض، وقال أَبو عبيدة: أَسَرُّوا: أَظهروا، وهو من الأَضداد[3].

ثمَّ بيَّن تعالى الأَمر الذي تناجوا به، وهو قول بعضهم لبعض: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، ثم قال بعضهم لبعض على جهة التوبيخ في الجهالة: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾،

---

(١) الكتاب لسيبويه (٢/ ٤١)، وليس: «قال رحمه الله» في المطبوع، وفيه فقط: «وأن لغة».

(٢) ليست في نجيبويه، وانظر كلامه في مجاز القرآن (٢/ ٣٤).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٣٤).

[أَي: ما تقول، شبَّهوه بالسِّحر، المعنى: أَفتتَّبعون السِّحر؟][١] ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، أَي: تدركون أَنه سِحْر، وتعلمون ذلك، كأَنَّهم قالوا: تضلُّون عن بَيِّنة ومعرفة.

ثم أَمر الله تعالى نبيَّه أَن يقول لهم وللناس جميعاً: ﴿قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أَي: يعلم أَقوالكم هذه، وهو بالمرصاد في المجازاة عليها.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿قُلْ ربي﴾.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ﴾ على معنى الخبر عن نبيِّه محمد ﷺ. واختلف عن عاصم[٢].

قال الطبري رحمه الله: وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (٥) مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨)﴾.

لما اقتضت الآية التي قبل هذه أَنهم قالوا: إِن ما عنده سحرٌ، عدَّد الله في هذه جميع ما قالته طوائفهم، ووقع الإِضراب بكل مقالة عن المتقدمة لها ليتبين اضطراب أَمرهم، فهو إِضراب عن جَحْد متقدم؛ لأَن الثاني ليس بحقيقة في نفسه.

و«الأَضْغَاثُ»: الأَخلاط، وأَصلُ الضِّغث: القبضة المختلطة من العشب والحشيش، فشبَّه تخليط الحُلْم بذلك، وهو ما لا يتفسَّر ولا يتحصل.

[ثمَّ حكى قول من قال: إِنَّه مُفتر قاصد للكذب][٤].

---

(١) ليس في أحمد٣.

(٢) فروى حفص: ﴿قال﴾، وشعبة: ﴿قل﴾، وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٤)، والسبعة (ص: ٤٢٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٤١١)، وفي الأصل: الأهماز.

(٤) ليس في الأصل.

ثم حكى قول من قال: شاعر، وهي مقالة فرقة عاميَّة منهم؛ لأَن نبلاءَ العرب لم يخف عليهم بالبديهة أَن مباني القرآن ليست مباني شِعْر.

ثم حكى اقتراحهم وتمنيهم آيةً تضطرهم، وتكون في غاية الوضوح كناقة صالح عليه السلام وغيرها.

وقولهم: ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ دالٌّ على معرفتهم بإِتيان الرُّسل الأُممَ المتقدمة.

وقوله تعالى: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ قبله[1] كلام مقدرٌ يدل عليه المعنى، تقديره: والآية التي طلبوها عادتُنا أَن القوم إِن كفروا بها عاجلناهم، وما آمنت قرية[2] من القرى التي نزلت بها هذه النازلة، أفهذه كانت تؤمن؟

وقوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ جملة في موضع الصفة للقرية، والجُمل إِذا أُتبعت النكرات فهي صفات لها، وإِذا أُتبعت المعارف فهي أَحوال منها[3].

وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ / ردٌّ على فرقة منهم كانوا يستبعدون أَن يبعث الله من البشر رسولاً يشِفُّ على نوعه من البشر بهذا القدر من الفضل، فمثل الله تعالى في الردّ عليهم بمن سبق من الرُّسل من البشر. [٤/ ٤١]

وقرأَ الجمهور: ﴿يُوحَىٰ﴾ على بناء الفعل للمفعول.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿نُّوحِىٓ﴾ بالنون[4].

ثم أَحالهم على سؤال أَهل الذّكر من حيث لم يكن عند قريش كتاب، ولا أَثارة من علم.

واختلف الناس في أَهل الذِّكْر، من هم؟:

---

(١) «قبله»: من المطبوع ونجيبويه، وهي في الإماراتية ملحقة في الهامش.

(٢) في الأصل: «فرقة».

(٣) في أحمد٣: «كلها».

(٤) وهما سبعيتان، السبعة (ص: ٤٢٨)، والتيسير (ص: ١٥٤).

فَـرُوي عن عبد الله بن سلام أَنه قال: أَنا من أَهل الذّكر[١].

[وقالت فرقة: هم أَحبار أَهل الكتاب.

ورُوي عن علي بن أَبي طالب أَنه قال: أَنا من أَهل الذِّكر][٢].

وقالت فرقة: هم أَهل القرآن[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا موضع ينبغي أَن يُتَأَمَّل؛ وذلك أَنَّ الذكر هو كل ما يأتي من تذكير الله عباده، فأَهل القرآن أَهل ذكر، وهذا أَراد عليٌّ بن أَبي طالب رضي الله عنه، وأَمَّا المحال على سؤالهم في هذه الآية فلا يصح أَن يكونوا أَهل القرآن في ذلك الوقت؛ لأَنهم كانوا خصومهم، وإِنما أُحيلوا على سؤال أَحبار أَهل الكتاب من حيث كانوا موافقين لهم على ترك الإِيمان بمحمد ﷺ، فتجيءُ شهادتهم بأَن الرُّسل قديماً من البشر لا مطعن فيها لازمةً لكفار قريش.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ قيل: الجسد من الأَشياء يقع على ما لا يتغذى، ومنه قوله تعالى: ﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، فمعنى هذا: ما جعلناهم أَجساداً لا تتغذَّى.

وقيل: الجسد يعم المتغذِّي من الأَجسام وغير المتغذي، فالمعنى: ما جعلناهم أَجساداً وجعلناهم مع ذلك لا يأكلون الطعام كالجمادات أَو كالملائكة، فـ﴿جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ على التأويل الأَول منفيٌّ، وعلى الثاني موجَب، والنَّفْيُ واقع على صفته.

---

(١) لم أقف عليه مسنداً.

(٢) ليست في الأصل، والأثر ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٤١٤) من طريق جابر الجعفي قال: لـما نزلت ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال عليّ: نحن أهل الذّكر، وإسناده ضعيف؛ لضعف جابر بن يزيد الجعفي.

(٣) قاله ابن زيد كما في تفسير الطبري (١٧/ ٢٠٩) و(١٨/ ٤١٤)، والهداية لمكي (٦/ ٤٠٠٠) و(٧/ ٤٧٣١)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٨٩).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ كناية عن الحدث، ثم نفى عنهم الخُلْد؛ لأَنه من صفات القديم، وكل محدث فغير خالد في دار الدنيا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾.

هذه وعيد في ضِمْن وَصْفه تعالى سِيرَتَهُ في الأَنبياء من أَنه يصدق مواعيدهم، فكذلك يصدق لمحمد ﷺ ولأَصحابه ما وعدهم من النصر وظهور الكلمة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ معناه من المؤمنين، و«المسرفون»: الكفارُ المفرطون في غيِّهم وكفرهم، وكل من ترك الإِيمان مفرط[1] مسرف.

ثم وبَّخهم تعالى بقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ﴾ الآية، و«الكتابُ»: القرآن، وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ يحتمل أَن يكون في الذِّكر الذي أَنزله الله تعالى إِليكم بأَمر دينكم وآخرتكم ونجاتكم من عذابه، فأَضاف الذِّكر إِليهم حيث هو في أَمرهم، ويحتمل أَن يريد: فيه شرفكم وذكركم آخر الدهر[2] كما تُذكر عظام الأُمور، وفي هذا تحريض، ثمَّ أَكَّد التحريض بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، وحركهم بذلك إِلى النَّظر.

ثم مثَّل لهم على جهة التوعُّد بمن سلف من الأُمم المعذَّبة.

و(كم): للتكثير، وهي في موضع نصب بـ﴿قَصَمْنَا﴾، ومعناه: أَهلكنا، وأَصل القَصْم: الكسر في الأَجرام، فإِذا استعير للقوم والقرية ونحوه فهو ما يشبه الكسر، وهو إِهلاكهم، وأَوقع هذه الأُمور على القرية والمراد أَهلها، وهذا مَهْيَع كثير، ومنه: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: ٦]، وغيره.

---

(١) ليس في المطبوع ونجيبويه والإماراتية.

(٢) في الأصل: «آخر الآية».

وقوله تعالى: ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ أي: خَلَقنا وبثثنا[١] أُمة أُخرى غير الـمُهْلَكَة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ﴾ وصف عن قرية من القُرى المجملة أَولاً، قيل: كانت باليمن تسمَّى حصوراً[٢] بعث الله تعالى إِلى أَهلها رسولًا فقتلوه، فأَرسل إِليهم بخت نصر صاحب بني إِسرائيل، فهزموا جيشه مرتين، فنهض في الثالثة إِليهم بنفسه، فلما هزمهم وأَخذ القتل فيهم ركضوا هاربين[٣].

ويحتمل أَلا يريد بالآية قرية بعينها، وأَنه واصف كلَّ قرية من القرى المعذبة، وأَن أَهل كل قرية كانوا إِذا أَحسُّوا العذاب من أَي نوع كان أَخذوا في الفِرار، و﴿أَحَسُّواْ﴾: باشروه بالحواسِّ.

و«الرَّكْضُ»: تحريك القدم على الصفة المعهودة، والفَارُّ والجاري بالجملة راكضٌ إِمَّا دابةً، وإِمَّا الأَرضَ تشبيهاً بالدَّابة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾.

يحتمل قوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ إِلى آخر الآية أَن يكون من قول رجال بخت نصر على الرواية المتقدمة، فالمعنى على هذا أَنهم خدعوهم واستهزؤوا بهم بأَن قالوا للهاربين منهم: لا تفرُّوا وارجعوا إِلى مواضعكم لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ صلحاً أَو جزية أَو أَمراً يتفق عليه، فلما انصرفوا أَمر بخت نصر أَن ينادي فيهم: يا ثارات النبي المقتول، فقتلوا بالسَّيف عن آخرهم[٤].

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «وأَثبتنا».

(٢) في المطبوع ونجيبويه والحمزوية: «حَضُوراءِ» في الموضعين مع أن الهمزة قد تهمل في بعض المخطوطات.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٤١٦)، والهداية لمكي (٧/ ٤٧٣٤)، وفي المطبوع: «وأعمل»، بدل «وأخذ»، وفي الأصل: «مزقهم»، بدل «هزمهم».

(٤) الهداية لمكي (٧/ ٤٧٣٥).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كله مروي، ويحتمل أَن يكون ﴿لَا تَرۡكُضُواْ﴾ إِلى آخر الآية من كلام ملائكة العذاب على التأويل الآخر: أَن الآيات وصف قصة كل قرية، وأَنه لم يُرد تعيين حصورا ولا غيرها، فالمعنى على هذا أَن أَهل هذه القرى كانوا باغترارهم يرون أَنهم من الله بمكان، وأَنه لو جاءهم عذاب أَو أَمر لم ينزل بهم حتى يخاصموا أَو يسأَلوا عن وجه تكذيبهم لنبيِّهم، فيحتجون هم عند ذلك بِحُجَجٍ تنفعهم في ظنهم، فلمَّا نزل العذاب دون هذا الذي أَمَّلوه وركضوا فارِّين نادتهم الملائكة على وجه الهُزْءِ بهم: لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ عما[1] كنتم تطمعون بسفه رأَيكم، ثم يكون قوله: ﴿حَصِيدًا﴾ أَي: بالعذاب تُركوا[2] كالحصيد.

و«الإِتْراف»: التَّنعيم.

و﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ معناه: دعاؤُهم وكلامهم، أَي: لم ينطقوا بغير التأَسُّف.

والْحَصِيدُ يشبه بحصيد الزرع بالمنجل، أَي: ردَّهم الهلاك كذلك.

و﴿خَٰمِدِينَ﴾: أَي موتَى دون أَرْواحٍ، مشبَّهين بالنَّار إِذا طفيت.

ولمَّا فرغ وصف هذه الحال وعظ الله تعالى السَّامعين بقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾، أَي: كما ظنَّ هؤلاء / الذين نزل بهم ما نزل، وكما تظنُّون أنتم أَيُّها الكفرة الآن. [٤/ ٤٢]

ففي الآية وعيد بهذا الوجه، والمعنى: إِنما خلقنا هذا كله لِيُعتبر به ويُنْظر فيه ويُؤْمن بالله بِحَسَبِهِ.

قال بعض الناس: ﴿تُسۡـَٔلُونَ﴾ معناه: تفهمون وتفقهون.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تفسير لا يعطيه اللَّفظ.

---

(١) في المطبوع والإماراتية وأحمد٣ ولالاليه: «كما».

(٢) في لالاليه: «تركضوا»، وكذا في الأصل، وتم التنبيه على النسخة الأخرى في هامشه.

وقالت فرقة: ﴿تُسْـَٔلُونَ﴾ معناه: شيئاً من أَموالكم وعَرَض دنياكم، على وجه الهُزْءِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾.

ظاهر هذه الآية الرَّدُّ على من قال من الكفار أَمر مريم وما ضارعه من الكفر، تعالى الله عن قول المبطلين، و«اللَّهْوُ» في هذه الآية: المرأَةُ، ورُوي: أَنها في بعض لغات العرب تقع على الزوجة[(١)].

و﴿إِن﴾ في قوله: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ يحتمل أَن تكون الشرطية، بمعنى: لَوْ كُنَّا، أي: ولَسْنَا كذلك، وللمتكلِّمين هنا اعتراض وانفصال.

ويحتمل أَن تكون نافية بمعنى (ما)، وكل هذا قد قيل.

و(الحَقُّ): عامٌّ في القرآن والرِّسالة والشَّرع وكل ما هو حق، و﴿ٱلْبَٰطِلِ﴾: أيضاً عامٌّ كذلك.

و(يَدْمَغُهُ) معناه: يصيب دماغَه، وذلك مُهْلِك في البشر، فكذلك الحق يهلِك الباطل.

و﴿ٱلْوَيْلُ﴾: الخِزْيُ والهَمُّ، وقيل: هو اسم وادٍ في جهنَّم، فهو المراد في هذه الآية.

وهذه مخاطبة للكفَّار الذين وصفوا الله تعالى بما لا يجوز عليه، ولا يليق به، تعالى [الله وتبارك وتقدَّس وتنزَّه][(٢)] عن قولهم، [بل هو كما وصف نفسه، وفوق ما نعته به خلقه، لا رَبَّ غيره][(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

---

(١) نقله في تأويل مشكل القرآن (ص: ١٠٤)، عن قتادة والحسن، وهي لغة اليمن، كما في تفسير القرطبي (١١/ ٢٧٦).

(٢) من المطبوع.

(٣) من المطبوع.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ﴾ يحتمل أَن يكون ابتداءَ كلام، ويحتمل أَن يكون معادلاً لقوله: ﴿وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ﴾ كأَنه تقسيم الأَمر في نفسه، أَي: للمختلقين هذه المقالةَ الويلُ، ولله تعالى مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، واللَّام في (لَهُ): لام الملْك.

وقوله تعالى: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعم الملائكة والنَّبيِّين وغيرهم، ثم خصص من هذا العموم من أَراد تشريفه من الملائكة بقوله: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾؛ لأَن (عِنْد) هنا ليست في المسافات، وإِنما هي تشريف في المنزلة، فوصفهم تعالى بأَنهم لا يستكبرون عن عبادة الله، ولا يسأَمونها ولا يكلُّون فيها.

و«الْحَسِيرُ من الإِبل»: الـمُعْيِي[١]، ومنه قول الشاعر:

لَهُنَّ الْوَجَى لِمْ كُنَّ عَوْناً عَلَى النَّوَى ... وَلَا زَالَ مِنْهَا ظَالِعٌ وَحَسِير[٢] [الطويل]

وحَسَرَ واسْتَحْسَرَ بمعنى واحد، وهذا موجود في كثير من الأفعال، وإِن كان الباب في استفعل أن يكون لطلب الشيء.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَفۡتُرُونَ﴾، روي عن كعب الأَحبار أَنه قال: جعل الله لهم التَّسبيح كالنَّـفَس وطَرْف العين للبشر، يقع[٣] منهم دائماً[٤] دون أَن تلحقهم فيه سآمة[٥].

وقال قتادة: ذُكر لنا أَن رسول الله ﷺ بينما هو جالسٌ مع أَصحابه إِذ قال: «أتسمعون ما أسمع؟» قالوا: ما نسمع من شيءٍ يا رسول الله، قال: «إِنِّي لأَسمع أَطيط السماء، وحقَّ لها أَن تِئط، ما فيها موضع راحة إِلَّا وفيها مَلَكٌ ساجدٌ أَو قائم»[٦].

---

(١) كتبت في الأصل: «العي».
(٢) تقدم في تفسير الآية (١٧) من سورة الإسراء.
(٣) ليس في الأصل.
(٤) في الأصل: «دائبا»، وفي أحمد٣ ونجيبويه: «دئبا».
(٥) تفسير السمعاني (٣/ ٣٧٣)، والهداية لمكي (٧/ ٤٧٤١).
(٦) حسن، أخرجه البزار في مسنده (٣٢٠٨)، والطبري (١٨/ ٤٢٤) مرسلًا، والطحاوي في شرح المشكل (١١٣٤)، والطبراني في الكبير (٣١٢٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، عن حكيم بن حزام مرفوعاً، وأخرجه أحمد =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

هذه (أَمْ) التي هي بمنزلة أَلف الاستفهام، وهي هنا تقرير وتوقيف، ومذهب سيبويه أَنها بمنزلة (بل) مع أَلف الاستفهام، كأَن في القول إِضراباً عن الأَول، ووقفهم الله تعالى: هل اتَّخَذُوا آلِـهَةً يُحْيُونَ ويخترعون؟ أَيْ: ليست آلهتهم كذلك، فهي غير آلهة؛ لأَن مِنْ صِفة الإِله القدرةَ على الإِحياءِ والإِماتة.

وقرأَت فرقة: ﴿يُنشِرُونَ﴾ بضم الياء، بمعنى: يُحْيُون غيرهم.

وقرأَت فرقة: (يَنْشُرُونَ)[١] بمعنى يَحْيَون هم وتدوم حياتهم، يقال: نَشَر الميتُ، وأَنشره الله تعالى.

ثمَّ بيَّن تعالى أَمر التمانع بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، وذلك بأَنه كان يبغي بعضهم على بعض ويذهب بما خلق، واقتضاب القول في هذا: أَنَّ الإِلهَيْن لو فُرضا فرَّق بينهما الاختلاف في تحريك جِرْم وتَسْكِينه، فمحال أَن تتم الإِرادتان، ومحالٌ أَلَّا تتما جميعاً، وإِذا تمَّت الواحدة كان صاحب الأُخرى عاجزاً، وهذا ليس بإِله، وجواز الاختلاف عليهما بمنزلة وقوعه منهما.

ونظَرٌ آخر، وذلك أَن كل جزءٍ يخرج من العدم إِلى الوجود فمحال أَن تتعلَّق به قدرتان، فإِذا كانت قدرة أحدهما موجودة بَقِيَ الآخر فَضْلاً لا معنى له في ذلك الجزء، ثمَّ يتمادى النَّظَر هكذا جُزْءاً جُزْءاً[٢].

= (٥/ ١٧٣)، والترمذي (٢٣١٢) وغيرهم من طريق: إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورق العجلي عن أبي ذر مرفوعاً، وقال الترمذي: حسن غريب.

(١) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٦) للحسن ومجاهد، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ٩٤).

(٢) انظر دليل التمانع في تمهيد الأوائل للباقلاني (١/ ٢٢٢)، والمواقف للإيجي (٢/ ١١٨)، وشرح المقاصد (٢/ ٦٢).

ثم نزَّه تعالى نفسه[1] عما وصفه به أَهل الجهالة والكفر.

ثم وصف تعالى نفسه بأَنه لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وهذا وصف يحتمل معنَـيَيْن:

إِمَّا أَن يريد أَنه بحق ملكه وسُلطانه لا يُعارض ولا يُسْأَل عن شيءٍ يفعله؛ إِذْ له أَن يفعل في ملْكِهِ ما يشاءُ، وإِمَّا[2] أَن يريد أَنه مُحْكَمُ الأَفعال وواضع كل شيءٍ موضعه، فليس في أَفعاله موضع[3] سؤال ولا اعتراض.

وهؤلاء من البَشَر يُسْأَلُون لهاتين العِلَّتين؛ لأَنهم ليسوا مالكين، ولأَنهم في أَفعالهم خَلَل كثير.

ثم قَرَّرهم تعالى ثانية على اتخاذ الآلهة، وفي تكرار هذا التقرير مبالغة في نكيره وبيان فساده، وفي هذا التقرير زيادة على الأَول، وهي قوله تعالى: ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾، فكأَنه قَرَّرهم هنا على قصد الكفر بالله عزَّ وجلَّ، ثم دعاهم إِلى الحُجَّة والإِتيان بالبرهان.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي﴾ يحتمل أَن يريد بـ﴿هَٰذَا﴾ جميع الكتب المنزلة قديمها وحديثها، أَي: ليس فيها برهان على اتخاذ الآلهة من دون الله، بل فيها ضد ذلك.

ويحتمل أَن يريد بقوله: ﴿هَٰذَا﴾: القرآن، والمعنى: فيه ذِكْرُ الأَولين وذكر الآخرين، فذكر الآخرين بالدعوة وبيان الشَّرع لهم وردّهم على طريق النجاة، وذكر الأولين بقصِّ أَخبارهم وذكر الغيوب في أُمورهم، ومعنى الكلام على هذا التأويل عرض القرآن في معرض البرهان، أَي: هاتوا برهانكم، فهذا برهاني أَنا ظاهرٌ في ذكر من مَعي وذكر مَن قَبْلي.

وقرأَت فرقة: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٌ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرٌ مَن قَبۡلِي﴾ بالإِضافة فيهما.

---

(١) كتبت في الأصل: «وصفه».

(٢) كتبت في الأصل: «وإنما».

(٣) ليست في المطبوع، وليست: «ولا اعتراض» في لالاليه.

وقرأت فرقة: (هذا ذكرُ مَن) بالإِضافة، (وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلي) بتنوين (ذِكْرٌ) الثاني، وكسر الميم في قوله: (مِنْ قَبْلي).

[٤/ ٤٣] وقرأ يحيى بن / سعيد، وابن مصرف بالتنوين في (ذِكْر) من المَوْضِعَيْن، وكسر الميم من قوله: (مِنْ) في الـمَوْضِعَين[1].

وضَعَّف أَبو حاتم هذه القراءة: كسر الميم في الأُولى، ولم يَـرَ لها وَجْهاً.

ثم حكم عليهم تعالى بأَن أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ لإِعراضهم عنه، وليس المعنى: فَهُمْ مُعْرِضُونَ لأَنهم لا يَعْلَمُونَ، بل المعنى: فَهُمْ مُعْرِضُونَ ولذلك لا يعلمون الحقَّ.

وقرأَ الحسن، وابن محيصن: (الْحَقُّ) بالرَّفع[2] على معنى: هذا القول هو الحقُّ، والوقف في هذه القراءَة على ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

لمَّا أَخبرهم تعالى أَنهم لا يعلمون الحق لإِعراضهم أَتبع ذلك بإِعلامه أَنه ما أَرسل قَطُّ رسولاً إِلَّا وأَوْحَى إِليه أَن الله تعالى فردٌ صمدٌ، وهذه عقيدة لم تختلف فيها النُّبوَّات، وإِنما اختلفت في الأَحكام.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿نُوحِىٓ﴾ بنون مضمومة.

وقرأَ الباقون: ﴿يُوحَى﴾ بياءٍ مضمومة، واختلف عن عاصم[3].

---

(١) ثلاث قراءات، الأولى هي المتواترة، واللتان بعدها شاذتان، انظر عزو الثانية في المحتسب (٢/ ٦٠)، وظاهر مختصر الشواذ (ص: ٩٤) عزو الأولى لطلحة أيضاً، وانظر قول أبي حاتم في تفسير القرطبي (١١/ ٢٨٠)، وفي حاشية المطبوع: في نسخة: «يحيى بن يعمر».

(٢) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٦٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٩٤).

(٣) فحفص بالنون، وشعبة بالياء، وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٤).

ثمَّ عدَّد بعد ذلك نوعاً آخر من كفرهم، وذلك أَنهم مع اتخاذهم آلهةً كانوا يُقرُّون بأَن الله تعالى هو الخالق الرَّازق إِلَّا أَنهم قال بعضهم: اتَّخَذَ الملائكة بنات، وقال نحو هذه المقالة النصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام، واليهود في عُزَير[١]، فجاءَت هذه الآية رادَّة على جميعهم مُنَـبِّهة عليهم.

ثم نزَّه تعالى نفسه عن مقالة الكفرة، وأَضرب عن مقالهم، ونَصَّ ما هو الأَمر في نفسه بقوله: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾، وهذه عبارةٌ تشمل الملائكة وعُزَيراً وعيسى.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ عبارة عن حُسْن طاعتهم وعبادتهم[٢] ومراعاتهم لامتثال الأَمر.

وقوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ أَي: ما تقدم من أَفعالهم وأَعمالهم والحوادث التي لها إِليهم تسبُّب[٣]، وما تأَخَّر.

ثم أَخبر تعالى أَنهم لا يشفعون إِلَّا لمن ارتضى [الله أَن يشفع له][٤]، قال بعض المفسرين: لأَهل لا إله إلا الله.

و«المُشْفِقُ»: المبالغ[٥] في الخوف المحترقُ النفس من الفزع على أَمرٍ مَّا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾.

المعنى: من يَقُل منهم كذا إِن لو قاله، وليس منهم من قال هذا، وقال بعض المفسرين: المراد بقوله: ﴿وَمَن يَقُلۡ﴾ الآية: إِبليسُ.

---

(١) انظر: الملل والنحل لابن حزم (١/ ٤٧-٤٨).

(٢) من المطبوع.

(٣) في الأصل: «تنسب»، وفي أحمد٣: «أفعالهم والحوادث المنسوبة إليهم، وما تأخر».

(٤) ليس في أحمد٣.

(٥) في الأصل: «البالغ».

قال القاضي أبو محمد: هذا ضعيف؛ لأَن إِبليس لم يُرْوَ قطُّ أَنَّه ادَّعى رُبوبيَّة.

وقرأَ الجمهور: ﴿نَجۡزِيهِ﴾ بفتح النون.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد(١): (نُجْزِيهُ) بضم النون والهاءِ(٢)، ووَجْهُها أَن المعنى: نجعلها تكتفي به، من قولك: أَجزأَني الشيءُ، ثم خففت الهمزة ياءً.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أَي كجزائنا هذا القائلَ جزاؤنا الظالمين، ثم وَقَفهم على عِبْـرَة دالَّة على وحدانية الله جلَّت قدرته.

و«الرَّتْقُ»: الملتصق بعضه ببعض، المبهم(٣) الذي لا صَدْع فيه ولا فتح، ومنه: امرأَةٌ رَتْقاء.

واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَا﴾:

فقالت [فرقة: كانت السماءُ ملتصقة بالأَرض، ففتقهما الله بالهواء.

وقالت](٤) فرقة: كانت السماءُ ملتصقة بعضها ببعض، والأَرض كذلك، ففتقهما الله تعالى سبعاً سَبْعاً، وعلى هذين القولين فالرُّؤْيَة الـمُوقَف عليها رؤْية القلب.

وقالت فرقة: السماءُ قبل المطر رَتْق، والأَرض قبل النبات رَتْق، ففتقهما الله تعالى بالمطر والنبات، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ [الطارق: ١١-١٢]، وهذا قولٌ حسن يجمع العِبْرة وتَعْدِيد النِّعمة والحُجَّة بمحسوسٍ بيِّن، ويناسب قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾، أَي: من الماء الذي أَوجده الفتق، فيظهر معنى الآية، ويتوجَّه الاعتبار.

---

(١) في أحمد٣ وعبد الله، وفي حاشية المطبوع: في نسخة: «بن سعيد»، والمراد عبد الله بن يزيد المكي، أبو عبد الرحمن المقرئ، أصله من البصرة أو الأهواز، قال في التقريب: ثقة فاضل، وهو من كبار شيوخ البخاري، مات سنة (٢١٢هـ). تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٤٢).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٦٠).

(٣) ليست في المطبوع والإماراتية ونجيبويه.

(٤) ليس في الأصل.

وقالت فرقة: السماءُ والأَرض رتق بالظلمة، وفتقهما الله تعالى بالضوء.

قال القاضي أَبو محمد: والرُّؤْية على هذين القولين رؤْية العين، والأَرض هنا اسمٌ للجنس، فهو جمع.

وقرأَ الجمهور: ﴿رَتْقًا﴾ بسكون التاءِ، والرَّتْقُ: مصدرٌ وُصف به كالزَّوْر والعَدْل.

وقرأَ الحسن، والثقفي، وأَبو حيوة: (كَانَتَا رَتَقاً) بفتح التاء[1]، وهو اسم المرتوق[2] كالنَّفْض والنَّفَض، والخَبْط والخَبَط.

وقال: ﴿كَانَتَا﴾ من حيث هما نوعان، ونحوه قول عمرو بن شُيَيْم:

أَلَـمْ يَحْزُنْـكَ أَنَّ حِبَـالَ قَيْـسٍ وَتَغْلِـبَ قَـدْ تَبايَنَتَـا انْقِطَاعَـا[3] [الوافر]

وقوله: ﴿كَانَتَا﴾ في القولين الأولين[4] بمنزلة قولك: كَانَ زيدٌ حَيّاً، أَي: ثم لم يكن، وفي القولين الآخرين بمنزلة قولك: كان زيد عالماً، أَي: وهو كذلك.

وقرأَ ابن كثير وحده: ﴿أَلَمْ يَرَ﴾ بإِسقاط الواو[5].

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ بَيِّنٌ أَنه ليس على عمومه، فإِن الملائكة والجن قد خرجوا من ذلك، ولكن الوجه أَن يُحمل على أَعمِّ ما يمكن، فالحيوانُ أَجمع والنَّباتُ ـ على أَن الحياة فيه مستعارة ـ داخلٌ في هذا.

وقالت فرقة: المراد بالماء: المنيُّ الذي في جميع الحيوان، ثم وقفهم على ترك الإيمان توبيخاً وتقريعاً.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٦١)، وفي المطبوع والإماراتية ونجيبويه: «والشَّعبي»، بدل «الثقفي».
(٢) في الأصل: «الفتوق».
(٣) وهو القطامي، انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٣٧)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٥٣٨)، وتفسير الطبري (١٨/ ٤٣٤).
(٤) ليست في المطبوع ونجيبويه.
(٥) والباقون بإثباتها، فهما سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ١٥٥)، والسبعة (ص: ٤٢٨).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

«الرَّواسي»: جمع راسية؛ أي: ثابتة، يقال: رسا يرسو إِذا ثبت واستقر، ولا يستعمل إِلَّا في الأَجرام الكبار كالجبال والسَّفينة ونحوها، ويُروى أن الأَرض كانت تكفأُ بأَهلها حتى ثقلها الله بالجبال فاستقرَّت[1].

و«المَيْد»: التحرُّك، و«الْفِجَاجُ»: الطرق المتَّسعة في الجبال وغيرها.

و﴿سُبُلًا﴾: جمع سبيل، والضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يحتمل أن يعود على الرَّواسي، ويحتمل أَن يعود على الأَرض، وهو أَحسن.

و﴿يَهْتَدُونَ﴾ معناه: في مسالكهم وتصرُّفهم.

و«السَّقْفُ»: ما عَلا، و«الحِفْظُ» هنا: عامٌّ في الْحِفْظ من الشياطين، ومن الوهي[2] والسُّقوط وغير ذلك من الآفات.

و﴿ءَايَٰتِهَا﴾: كواكبُها وأَمطارها والرَّعد والبرق والصَّواعق وغير ذلك مما يشبهه.

وقرأَت فرقة: (وهم عن آيتها) بالإِفراد[3] الذي يراد به الجنس.

و«الْفَلَكُ»: الجِسْم الدائر دورة اليوم واللَّيلة، فالكلُّ في ذلك / سابح متصرف، [٤/ ٤٤] وعنَّ بعض المفسرين إِلى الكلام فيما هو الفَلَك[4] فقال بعضهم: كحديدة الرحى،

---

(١) ذكره الطبري (١٨/ ٥٨٨) من قول قتادة بنحو ما ذكره المؤلف.

(٢) في الأصل: «الرمي»، وفي نجيبويه: «الهواء».

(٣) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٤)، والشواذ للكرماني (ص:٣١٧) لمجاهد.

(٤) في حاشية المطبوع: «هكذا في جميع الأصول، ولعلَّ بعض الكلام قد سقط من النساخ».

وقال بعضهم: كالطَّاحونة، [وغير هذا][(١)] مما لا ينبغي التَّسَوُّر عليه، غير أَنَّا نعرف أَن الفَلَك جسم مستدير[(٢)].

و﴿يَسۡبَحُونَ﴾ معناه: يتصرَّفون.

وقالت فرقة: الفَلَك موجٌ مكفوف، ورأَوْا قولَه: ﴿يَسۡبَحُونَ﴾ من السِّباحة وهي العوم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾.

قيل: إِن سبب هذه الآية أَن بعض المسلمين قال: إِنَّ محمداً لن يموت وإِنما هو مخلَّد، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأَنكره، ونزلت هذه الآية[(٣)].

والمعنى: لم نُخَلِّد أَحداً، ولا أَنت لا نخلِّدك، وينبغي أَلَّا يَنْتَقِمَ أَحدٌ من المشركين عليك في هذا، أَفهمْ مُخَلَّدون إِنْ[(٤)] متَّ أَنت فيصح لهم انتقام؟

وقيل: إِن سبب الآية أَن كفار مكة طعنوا على النبي ﷺ بأَنه بشرٌ، وأَنه يأْكُل الطعام ويموت، فكيف يصح إِرساله؟ فنزلت الآية رادَّة عليهم، وأَلف الاستفهام داخلةٌ في المعنى على جواب الشرط، وقُدِّمت في أَول الجملة؛ لأَن الاستفهام له صدر الكلام، والتقدير: أَفَهُمُ الخالدون إِنْ مِتَّ؟ والفاءُ في قوله: ﴿أَفَإِيْن﴾ عاطفة جملة على جملة.

وقرأَت فرقة: ﴿مُتَّ﴾ بضم الميم، وقرأَت فرقة: ﴿مِتَّ﴾ بكسرها[(٥)].

وقوله: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾ عموم يُراد به الخصوص، والمراد كلُّ نفس مخلوقة.

و«الذَّوْقُ» هاهنا مستعار.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) في الأصل: «يستدير».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في الأصل: «أم».

(٥) وهما سبعيتان، الضم لنافع وحفص وحمزة والكسائي، كما تقدم في آية آل عمران.

و(نَبْلوكُم) معناه: نختبركم، وقدم الشَّر؛ لأَن الابتلاء[١] به أَكثر، ولأَن العرب من عادتها أَن تقدم الأَقلَّ والأَرْدأَ، فمنه قوله تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، فبدأَ بتقسيم أُمَّة محمد ﷺ بالظُّلم.

وقال الطبري عن ابن عباس: إِنه جعل الخير والشَّر هنا عامّاً في الغنى والفقر، والصحة والمرض، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة[٢].

قال القاضي أَبو محمد: والظاهر[٣] أَن المراد من الخير والشرِّ هنا كلُّ[٤] ما يصح أَن يكون فتنةً وابتلاءً، وذلك خير المال وشرُّه، وخير البَدَن وشرُّه، وخير الدنيا في الحياة وشرُّها.

وأَما الهدى والضلال فغير داخل في هذا، ولا الطَّاعة والمعصية؛ لأَن من هُدِيَ فليس نفْسُ هُداه اختباراً، بل قد تَبَـيَّن خيره، فعلى هذا ففي الخير والشَّرِّ ما ليس فيه اختبارٌ، كما يوجد أيضاً اختبار بالأَوامر والنواهي وليس بداخل في هذه الآية.

و﴿فِتْنَةً﴾ معناه: امتحاناً وكشفاً، ثم أَخبر عزَّ وجلَّ عن الرَّجعة إِليه، والقيام من القبور.

وفي قوله: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ وعيدٌ.

وقرأَت فرقة: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم [التاءِ.

وقرأَت فرقة: ﴿تَرْجِعُونَ﴾ بفتحها][٥].

---

(١) في الأصل: «الابتداءَ».

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٤٠)، واللالكائي في شرح أصول الأعتقاد (١٠٠٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) ليس في الأصل ولالاليه.

(٥) في أحمد**٣** ولالاليه: «الياء وفتح الجيم»، دون ذكر قراءة الفرقة الثالثة.

وقرأت فرقة: (يُرْجَعُونَ) بالياءِ مضمومة[١]، على الخروج من الخطاب إلى الغيبة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

رُوي: أَن أَبا سفيان بن حرب وأَبا جهل بن هشام رأَيا رسول الله ﷺ في المسجد فاستهزأا به، فنزلت الآية بسببهما[٢]، وظاهر الآية أَن كفار قريش وعظماءهم يعمهم هذا المعنى من أَنهم ينكرون أَخذ رسول الله ﷺ في أَمر آلهتهم، وذكره لهم بفساد.

و﴿إِن﴾ بمعنى: (ما)، وفي الكلام حذف تقديره: يقولون: أَهذا الذي؟

وقوله: ﴿يَذْكُرُ﴾ لفظة تعمُّ المدح والذم، لكن قرينة المقال أَبداً تدل على المراد من الذِّكر.

وتَمَّ ما حكى عنهم في قوله تعلى: ﴿ءَالِهَتَكُمْ﴾، ثم ردَّ عليهم بأَن قرن بإِنكارهم ذِكر الأَصنام كُفْرَهم بذكر الله، أَي: فهم أَحقُّ بالملام[٣]، وهم المخطئون.

وقوله تعالى: ﴿بِذِكْرِ﴾ أَي: بما يجب أَن يُذكر به، و«لا إله إلا الله» منه.

وقوله: ﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، روي أَن الآية نزلت حين أَنكروا هذه اللَّفظة، وقالوا: ما نعرف الرَّحمن إِلَّا باليمامة، وظاهر الكلام أَن (الرَّحْمَن) قُصد به العبارة عن الله تعالى، كما لو قال: وَهُمْ بِذِكْرِ الله، وهذا التأويل أَغرق في ضلالهم وخطئهم.

---

(١) ثلاث قراءات، الأولى بضم التاء للسبعة والجمهور، والثانية بفتحها عشرية ليعقوب على قاعدته، والثالثة بالياء شاذة، عزاها في جامع البيان (٣/ ١٣٦٩) للثعلبي عن ابن ذكوان، وزاد الكرماني في الشواذ (ص: ٣١٧) الواقدي عن قتادة.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٦٣٠) عن السدي به، وهو معضل.

(٣) «بالملام» ليست في الأصل.

وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ توطئة للرَّدِّ عليهم في استعجالهم العذاب، وطلبهم آية مقترحة، وهي مقرونة بعذاب مُجهِز إن كفروا بعد ذلك.

وَوَصَفَ تعالى الإِنسان الذي هو اسم الجنس بأنه خُلق من عجل، وهذا على جهة المبالغة، كما تقول للرجل البَطَّال: أَنت من لعب ولَهْو، وكما قال رسول الله ﷺ: «لَسْتُ من دَدٍ، وَلَا دَدٌ مِنِّي»[1]، وهذا نحو قول الشاعر:

[الطويل] وَأَنَّا لَمِمَّا نَضْرِبُ الْكَبْشَ ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِهِ تُلْقِي اللِّسَانَ مِنَ الْفَمِ[2]

كأَنهم ممَّا كانوا أَهل ضرب للهام وملازمة للحرب قال: إِنهم من الضرب.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأويل يتم به معنى الآية المقصود في أَن ذمت عَجَلتهم وقيل لهم على جهة الوعيد: إِن الآيات ستأْتي فلا تستعجلون، وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾: إِنَّه من المقلوب، كأَنه أَراد: خُلق العَجَل من الإِنسان، على معنى أَنه جعل طبيعة من طبائعه، وجزءاً من أَخلاقه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأويل ليس فيه مبالغة، وإِنما هو إِخبارٌ مجرد، وإِنما حمل قائليه عليه عَدَمُهم وجه التجوُّز والاستعارة في أَن يبقى الكلام على ترتيبه،

---

(١) لا يثبت ومرسل أشبه، هذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٥)، والبزار في مسنده (٦٢٣١)، والطبراني في الأوسط (٣١٣)، والبيهقي في الكبرى (١٠/٢١٧) من طريق يحيى بن محمد بن قيس، عن عمرو بن أبي عمرو، عن أنس بن مالك قال: قال رَسُول الله ﷺ: لست من دد، ولا دد مني، ويحيى بن محمد بن قيس المحاربي الضرير صدوق يخطئ كثيراً، وقد أخرجه الطبراني في الكبير (٧٩٤) من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن معاوية: عن النبي ﷺ به، وسئل عنه الدارقطني في العلل (٢٤٩٦) فقال: رواه أبو زكير يحيى بن محمد ابن قيس، عن عَمْرو بن أبي عَمْرو، عن أنس. وروي عن الدراوردي، عن عَمْرو بن أبي عَمْرو، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب مرسلاً، والمرسل أشبه. وقد ضعفه الألباني في الضعيفة (٢٤٥٣).

(٢) البيت لأبي حَيَّـةَ النُّمَيْري، كما تقدم في تفسير الآية (٥٧) من سورة النساء، والرواية في الأصل والحمزوية: «على الفم».

ونظير هذا القلب الذي قالوه قولُ العرب: إِذا طلعت الشِّعرى استوت العود على الحِرْباء[١]، وكما قالوا: عرضت النَّاقة على الحوض، كما قال الشاعر:

حَسَرْتُ كَفِّي عَلى السِّرْبَالِ آخُذُهُ فَرْداً يُجَرُّ عَلَى أَيْدِي الْمُفَدِّينَا[٢] [البسيط]

وأَما المعنى في تأويل من رأَى الكلام من المقلوب فكالمعنى الذي قدَّمناه.

وقالت فرقة من المفسِّرين: قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ إِنما أَراد أَن آدم عليه السلام خلقه الله تعالى في آخر ساعة من يوم الجمعة، فتعجَّل به قبل مغيب الشمس، وروى بعضهم: أَن آدم عليه السلام قال: يا ربِّ أَكمل خلقي، فإِنَّ الشمس على الغروب، أَو قد غربت[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قولٌ ضعيف، ومعناه لا يناسب معنى الآية.

وقالت فرقة: العَجَلُ: الطِّـيْنُ، والمعنى: خُلق آدم من طين، / وأَنشد النقاش: [٤/ ٤٥]

.... وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْـمَاءِ وَالْعَجَلِ[٤] [البسيط]

وهذا أَيضاً ضعيف، ومعناه مباين[٥] لمعنى الآية.

وقالت فرقة: معنى قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أَي بقوله: (كُنْ)، فهو بحال عَجَلة.

وهذا أَيضاً ضعيف، وفيه تخصيص ابن آدم بشيءٍ كل مخلوق يشاركه فيه، وليس في هذه الأَقوال ما يصح معناه ويلتئم مع الآية إِلَّا القول الأَول.

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٤٣)، وقد ورد أوله في الجيم (١/ ٦٢)، والأزمنة لقطرب (ص: ٢٦).

(٢) البيت لتميم بن مُقْبل، كما في تفسير الطبري (١٨/ ٤٤٣)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٧٦)، وفي الأصل والإماراتية ونجيبويه: «يخر».

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٤٢) من قول مجاهد بن جبر.

(٤) صدره: (والنَّـبْعُ في الصَّخْرَةِ الصمَّاءِ مَنْبِتُهُ)، وهو للشماخ كما في تفسير مقاتل (٣/ ٩٨)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة (١/ ٢٣٧).

(٥) في المطبوع: «مغايرٌ»، وهي بمعناها.

وقرأَت فرقة: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول.

وقرأَت فرقة: (خَلَقَ الإنسانَ)[1] على معنى: خَلَق اللهُ الإنْسَانَ.

فمعنى الآية بجملتها: خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ، على معنى التعجُّب من تعجُّل هؤلاء المقصودين بالردِّ.

ثم توعَّدهم بقوله: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾، أَي: سيأْتِي ما يَسُوؤُكُم إِذا متُّم على كفركم، يريد يوم بدر وغيره.

ثم فسَّر تعالى استعجالهم بقوله: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ وكان استفهامهم على جهة الهُزْءِ والتكذيب.

وقولهم: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يريدون محمداً ﷺ ومَنْ آمَنَ بِهِ؛ لأَن المؤمنين كانوا يتوعدونهم على لسان الشَّرع.

وموضع ﴿مَتَىٰ﴾ رفع عند البصريين، وقال بعض الكوفيين: موضعه نصب على الظَّرف، والعامل فعل مُقَدَّر تقديره: يكون أَو يجيءُ، والأَول أَصوب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

حُذف جواب ﴿ لَوْ ﴾ إِيجازاً لدلالة الكلام عليه، وأُبهم قدر العذاب لأَنه أَبلغ وأَهيب من النَّص عليه، وهذا محذوف نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الرعد: ٣١] الآية، ويقدر المحذوف في جواب هذه الآية: لَمَا استعجلوا، ونحوه.

---

(١) وهي شاذة، وهي قراءة حميد والأعرج. انظر: تفسير الثعلبي (٦/ ٢٧٥)، وتفسير الطبري (١٨/ ٤٤٤)، والأولى هي المتواترة.

وقوله: ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ يريد يومَ القيامة، وذكر الوجوه خاصة لشرفها من الإِنسان، وأَنها موضع حواسِّه، وهو أَحرص على الدِّفاع عنه، ثم ذكر الظُّهور؛ لِيُبَيِّن عموم النار لجميع أَبدانهم.

وقوله: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم ﴾ استدراك مُقَدَّر قبله نفيٌ تقديره: إِنَّ الآيات لا تأتي بحسب اقتراحهم بَلْ تَأْتِيهِمْ بغتة، والضمير للسَّاعة التي تُصَيِّرهم إلى العذاب، ويحتمل أَن يكون للنار.

وقرأَت فرقة: (يَأْتِيهِمْ) بالياءِ على أَن الضمير للوعد، (فَيَبْهَتُهُمْ) بالياءِ[1] أَيضاً.

و«الْبَغْتَة»: الفجأَة عن غير[2] مقدِّمة.

و﴿يُنظَرُونَ﴾ معناه: يُؤَخَّرُونَ.

ثم آنس الله تعالى محمداً ﷺ بما جرى على سائر الأَنبياء من استهزاءِ قومهم بهم، وحلول العذاب بالمستهزئين.

و(حَاقَ) معناه: نَزَل وحلَّ، وهي مستعملة في العذاب والمكاره.

وقوله: ﴿مَّا كَانُوا۟﴾ فيه محذوف تقديره: جزاءَ ما كانوا، ونحوه، ومع هذا التأنيس الذي لمحمد ﷺ وعيدٌ للكفرة وضَرْبُ مَثَلٍ له بمن سلف من الأُمم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

---

(١) وهي شاذة، عزاها الزمخشري في الكشاف (٣/ ١١٩) للأعمش، وفي المطبوع هنا زيادة: «على أَن الضمير للوَعْد»، ولعلها تكرار.

(٢) «غير» ليس في الأصل.

المعنى: قل يا محمد لهؤلاء الكفرة المستهزئين بك وبما جئتَ به الكافرين بذِكر الرحمن الجاهلين به، قل لهم على جهة التوبيخ والتقريع: من يحفظكم؟، وكَلأَ معناه: حَفِظَ، ومنه قول النبي ﷺ لبلال: «اكْلأْ لَنَا الْفَجْرَ»[(١)]، وفي آخر الكلام تقدير محذوف، كأَنه قال: ليس لهم مانع ولا كالِئٌ، وعلى هذا النفي[(٢)] تركبت ﴿بَلْ﴾ في قوله سبحانه: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾، ثم يقضي عليهم التقدير[(٣)] في أنه لا مانع لهم من الله بأَن كشف أَمر آلهتهم، والمعنى: أيظنُّون أَن آلهتهم التي هي بهذه الصفة تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا، بل لا[(٤)] يمنعهم أَحد إِلَّا نحن.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ يحتمل تأويلين:

أحدهما: يُجَارونَ ويُمْنَعون.

والآخر: ولَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ بخير ولا تزكية[(٥)]، ونحو هذا، وفي الكلام تقدير بعد[(٦)] محذوف، كأَنه قال: ليس ثَمَّ شيءٌ من هذا كله، بل ضلَّ هؤلاء؛ لأَنَّا متَّعناهم ومتَّعنا آباءهم، فنسوا عقاب الله، وظنُّوا أَن حالهم لا تبيد[(٧)]، والمعنى: طال الْعُمُرُ في رخاءٍ.

ثم وقفهم تعالى على مواضع العبرة في الأُمم وفي البشر بحسب الخلاف في الأَطراف.

و«الرُّؤْيَة» في قوله: ﴿يَرَوْنَ﴾: رؤْية العين تتبعها رؤْية القلب.

و﴿نَأْتِي﴾ معناه: بالقدرة والبأْس.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به، بلفظ: «اكلأ لنا الليل».

(٢) في المطبوع: «المعنى»، مع الإشارة للنسخة الأخرى في هامشه.

(٣) في المطبوع: «التقرير»، وفي الحاشية: في بعض النسخ: «العقوبة».

(٤) في الأصل ونور العثمانية ولالاليه: «بل ما».

(٥) في نجيبويه وأحمد٣ والإماراتية والمطبوع: «بركة».

(٦) ليس في المطبوع والإماراتية.

(٧) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «تَبِين».

و﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ عامة في الجنس.

وقوله: ﴿مِنۡ أَطۡرَافِهَآ﴾ إِمَّا أَن يريد: فيما يخرب من المعمور، فذلك نقص للأرض[١].

وإِمَّا أَن يريد موت البشر فهو تَنَـقُّص للقرون، ويكون المراد حينئذ نأتي أَهلَ الأرض.

وقال قوم: «النقص من الأطراف»: موت العلماء، ثم وقفهم على جهة التوبيخ أَهُم يعلمون من غلب جميع أَهل الأَرض، وقهر الكلَّ بسلطانه وعظمته؟ أَي: إِنَّ ذلك محال بَيِّنٌ، بل هم مغلوبون مقهورون.

قوله عز وجل: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

المعنى: قل يا أَيها المُقْترحون المتشططون إِنما أُنْذِرُكُمْ بوحي يوحيه الله إِليَّ، وبدلالات على العبر التي نصبها الله تعالى لِيُنظر فيها، كنُقصان الأَرض من أَطرافها وغيره، ولم أُبعث بآية مُضطرة[٢]، ولا بما تقترحونه.

ثم قال: ﴿وَلَا يَسۡمَعُ﴾ بمعنى: وأَنتم معرضون عمَّا أُنذر به، فهو غير نافع لكم، ومَثَّل أَمرهم بالصُّمِّ.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وَلَا يَسۡمَعُ﴾ بالياءِ، وإِسناد الفعل إِلى ﴿ٱلصُّمُّ﴾[٣].

وقرأَ ابن عامر وحده: ﴿وَلَا تُسْمِعُ﴾ بضم التاء[٤] وكسر الميم ونصب ﴿الصُّمَّ﴾.

---

(١) في المطبوع: «بعض الأَرض».

(٢) في المطبوع: «بآية مطردة»، وفي أحمد٣: «مقترحة ولا مضطرة»، وليس فيه: «ولا بما تقترحونه».

(٣) في أحمد٣: «والصم فاعل».

(٤) في المطبوع: «بضم الياء»، وهو خطأ، والقراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: **٤٢٩**)، والتيسير (ص: **١٥٥**).

وقرأت فرقة: (ولا تُسْمَع) بتاء مضمومة وفتح الميم وبناءِ الفعل للمفعول[١]، والفرقتان نصبتا (الدُّعَاءَ)[٢].

وقرأَت فرقة: (وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءِ) بِإِضافة (الصُّمُّ) إِلى (الدُّعَاءِ)[٣]، وهي قراءة ضعيفة وإِن كانت متوجهة.

[٤/ ٤٦] ثم خاطب الله تعالى / محمداً ﷺ متوعِّداً لهم بقوله: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ و«النَّفْحة»: الخَطْرَة والمسَّةُ، كما تقول: نفح بيده إِذا مال بها هكذا ضارباً إِلى جهة، ومنه نَفْحَة الطِّيب كأَنه يخطر خطرات على الحاسَّة، ومنه: نَفَح له من عطاياه: إِذا أجراه[٤] منها نصيباً، ومنه: نَفَحَ الفَرَسُ برجله: إِذا ركض، والمعنى: ولئن مسَّ هؤلاء الكفرة صدمة عذاب في دنياهم لَيَنْدَمُنَّ، وليقرن[٥] بظلمهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

لمَّا توعدهم بنفحة من عذاب الدنيا عقَّب ذلك بتوعُّد بوضع الْمَوازِينِ، وإِنما جمعها وهو ميزان واحد؛ لأَن لكل أَحد وزناً يخصه، ووحَّد ﴿الْقِسْطَ﴾ وهو قد جاءَ بلفظ الموازين مجموعاً من حيث الْقِسْط مصدرٌ وصف به، كما تقول: قومٌ عدْلٌ ورضًى.

وقرأَت فرقة: (القِصْطَ) بالصاد[٦].

(١) وهي شاذة، عزاها في تفسير الطبري (١٨/ ٤٥٠) لأبي عبد الرحمن السلمي.
(٢) في حاشية المطبوع: أنها سقطت في بعض النسخ.
(٣) وهي ـ إن كانت قراءة ـ شاذة، ولم أجد للمصنف فيها سلفاً ولا خلفاً.
(٤) في نجيبويه: «إذا أجرى»، وفي المطبوع: «إذا أخذ».
(٥) في الأصل: «وليعون».
(٦) وهي شاذة، رواها أحمد بن صالح عن قالون كما في جامع البيان (٣/ ١٣٧٠).

وقوله تعالى: ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ أَي: لحساب يوم القيامة، أَو لحكم يوم القيامة، فهو بتقدير حذف مضاف.

والجمهور على أَن الميزان في يوم القيامة بعمود وكفَّتين توزن به الأَعمال، ليبين للناس[١] المحسوس المعروف عندهم، والخفة والثقل متعلِّقة بأَجسام يقرنها الله تعالى يومئذ[٢] بالأَعمال، فإِمَّا أَن تكون صحف الأَعمال، أَو مثالات تُخْلق، أَو ما شاءَ الله تعالى.

وقرأَ نافع وحده: ﴿مِثْقَالُ﴾ بالرفع على أن تكون ﴿كَانَ﴾ تامة[٣]، وقرأَ جمهور الناس: ﴿مِثۡقَالَ﴾ بالنصب [على معنى][٤]: وإِن كان الشيءُ أَو العمل مثقال.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَتَيۡنَا﴾ على معنى: جئنا، وقرأَ ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما: (آتَـيْنَا)[٥] على معنى: وَاتَيْنَا من المؤاتاة، ولا يقدر تفسير[٦] (آتينا) بأَعطينا لمَّا تعدَّت بحرف جرٍّ.

قال القاضي أبو محمد: ويوهن هذه القراءَة أَن بدل[٧] الواو المفتوحة بهمزةٍ ليس بمعروف، وإِنما يعرف ذلك في المضمومة أَو المكسورة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ تَوَعُّدٌ.

ثمَّ عقَّب بالتمثيل بأَمر موسى عليه السلام.

و﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ فيما قالت فرقة: التَّوراة، وهي الضِّياءُ والذِّكْرُ.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) في المطبوع: «يوم القيامة».

(٣) في المطبوع: «تكون مستأْنفة»، والقراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٥)، والسبعة (ص: ٤٢٩).

(٤) ليس في الأصل.

(٥) وهي شاذة عزاها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٣١٧) وزاد آخرين.

(٦) في المطبوع: «ولا يفسر».

(٧) في المطبوع: «تبديل».

وقرأَ ابن كثير وحده[١]: ﴿ضِئَاءً﴾ بهمزتين قبل الألف وبعدها، وقرأَ الباقون: ﴿وَضِيَآءً﴾ بهمزة واحدة بعد الأَلف.

وقرأَ ابن عباس: (الْفُرْقَانَ ضِيَاءً) بغير واو، وهي قراءَة عكرمة والضحاك[٢]، وهذه القراءَة تؤيد قول من قال: المراد بذلك كله التوراة.

وقالت فرقة: الفرقان هو ما رزقه الله من نصرٍ وظهورحُجَّةٍ وغير ذلك ممَّا فرَّق بين أَمره وبين أَمر فرعون ـ لَعَنَه الله ـ والضِّيَاءُ التوراة، والذِّكْرُ بمعنى التذكرة.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ يحتمل ثلاث تأويلات:

أَحدها: في غيبهم وخلواتهم وحيث لا يطَّلع عليهم أَحد، وهذا أَرجحها.

والثاني: أَنهم يخشون الله على أَن أَمره تعالى غائب عنهم[٣]، وإِنما استدلوا بدلائل لا بمشاهدة.

والثالث: أَنهم يخشون الله ربهم بما أَعلمهم به مما غاب عنهم من أَمر آخرتهم ودنياهم، و«الإِشْفَاقُ»: أَشَدُّ الخشية، و﴿ٱلسَّاعَةِ﴾: القيامة.

وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا﴾ إِشارة إِلى القرآن.

و﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: إِمَّا أَن يكون بمعنى أَثبتناه، كما تقول: أَنزل السلطان[٤] فلاناً بمكان كذا: إِذا أَثبته له، وإِمَّا أَن يتعلَّق النزول بالملك، ثم وقفهم تعالى تقريراً وتوبيخاً، هل يصح لهم إِنكار بركته وما فيه من الدعاء إِلى الله تعالى وإِلى صالح العمل.

---

(١) في المطبوع: «وحمزة»، وهو خطأ، والقراءتان سبعيتان، والأولى رواية قنبل خاصة كما في السبعة (ص: ٤٢٩)، والتيسير (ص: ١٥٥).

(٢) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٦٣).

(٣) ليست في الأصل والحمزوية، وهي في الإماراتية ملحقة بالهامش.

(٤) في المطبوع: «الشيطان».

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

«الرُّشْد»: عام في هدايته إِلى رفض الأَصنام، وفي هدايته في أَمر الكوكب والشمس والقمر وغير ذلك من النُّبُـوَّة فما دونها.

قال بعضهم معناه: وُفِّق للخير صغيراً، وهذا كلُّه متقارب.

و﴿مِنْ قَبْلُ﴾ معناه: من قبل موسى وهارون، فبهذه الإِضافة هو قبل كما هي نسبة نوح منه.

وقوله: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ مدح لإِبراهيم، أَي: إنه يستحق ما أُهِّل له، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، والعامل في ﴿إِذْ﴾ قوله: ﴿ءَاتَيْنَا﴾.

و﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾: الأَصنام؛ لأَنها كانت على صورة الإِنسان من خشب.

و«الْعُكُوفُ»: الـمُلازمة للشيءِ.

وقوله: ﴿فَطَرَهُنَّ﴾ عبارة عنها كأَنها تعقل، وهذه من حيث لها طاعة وانقياد، وقد وصفت في مواضع بما يوصف به من يعقل.

وقوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾ الآية، رُوي: أَنهم حضرهم عيدٌ لهم، فعزم قوم منهم على إِبراهيم في حضوره معهم[1] طمعاً منهم أَن يستحسن شيئاً من أَخبارهم، فمشى معهم، فلما كان في الطريق أثنى عزمه على التخلُّف عنهم، فقعد وقال لهم: إِنِّي

(١) من المطبوع والإماراتية.

سقيم، فمرَّ به جمهورهم، ثم قال في خلوة من نفسه: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾، وسمعه قوم من ضعفتهم ممن كان يسير في آخر الناس[١].

وقوله: ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ معناه: إِلى عيدهم، ثم انصرف إِبراهيم عليه السلام إِلى بيت أَصنامهم وحده[٢] فدخل ومعه قدوم، فوجد الأَصنام قد وقعت[٣]، أَكبرها أَولُ[٤] ثم الذي يليه فالذي يليه، وقد جعلوا أَطعماتهم[٥] في ذلك اليوم بين يدي الأَصنام تبركاً بهم؛ لينصرفوا من ذلك العيد إِلى أَكله، فجعل عليه السلام يقطعها بذلك القدوم ويهشمها، حتى أَفسد أَشكالها كلها، حاشى الكبير فإِنه تركه بحاله وعلَّق القدوم من[٦] يده وخرج عنها.

و﴿جُذَٰذًا ﴾ معناه: قطعاً صغاراً، و«الجذ»: القطع.

وقرأَ الجمهور: ﴿جُذَٰذًا ﴾ بضم الجيم، وقرأَ الكسائي وحده بكسرها[٧].

وقرأَ ابن عباس، وأَبو نُهيك، وأَبو السمال[٨] بفتحها[٩]، وهي لغات، والمعنى واحد.

وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ ونحوه معاملة للأَصنام بحال من يعقل من حيث كانت تُعْبد وتُنَزَّل منزلة من يعقل.

والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ ما فيه أَنه عائد على إِبراهيم، أَي: فعل هذا كله توخيّاً منه

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٥٧، ٤٥٨)، والهداية لمكي (٧/ ٤٧٦٨).

(٢) من نجيبويه والمطبوع والإماراتية.

(٣) في أحمد٣ والحمزوية والمطبوع ولالاليه: «وقفت».

(٤) في المطبوع: «في الأول».

(٥) في نور العثمانية: «أطعمتهم».

(٦) في المطبوع: «في».

(٧) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٥)، والسبعة (ص: ٤٢٩).

(٨) في المطبوع: «أبو السّماك»، بالكاف ودون واو العطف.

(٩) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٦٣).

أَن يعقب ذلك منهم رجعة إِليه وإِلى شرعه، ويحتمل أَن يعود الضمير على الكبير[١] المتروك، ولكن يضعف ذلك دخول الترجِّي في الكلام.

/ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾. [٤/ ٤٧]

المعنى: فانصرفوا من عيدهم، فرأَوا ما حدث بآلهتهم، فأَكبروا ذلك، وحينئذ قالُوا: مَنْ فَعَلَ هذا؟ على جهة البحث والإِنكار.

و﴿قَالُواْ﴾ الثانية الضمير فيها يعود للقوم الضعفة الذين سمعوا إبراهيم حين قال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾.

واختلف الناس[٢] في وجه رفع قوله: ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾:

فقالت فرقة: هو مرتفع بتقدير النداءِ، كأَنهم أَرادوا الذي يقال له عندما يدعى: يا إبراهيم.

وقالت فرقة: رفعه على إِضمار الابتداءِ، تقديره: هو إبراهيم.

قال القاضي أَبو محمد: والأَول أَرجح.

وقال الأُستاذ أَبو الحجاج الإشبيلي الأَعلم: هو رفع على الإِهمال[٣].

قال القاضي أَبو محمد: لما رأَى وجوه الرَّفع كأَنها لا توضِّح المعنى الذي

---

(١) في المطبوع: «إِلى الكسر».

(٢) من أحمد٣ والمطبوع ولالاليه.

(٣) انظر قوله في: تفسير القرطبي (١١/ ٢٩٩)، وهو يوسف بن سليمان بن عيسى، أبو الحجاج الأندلسي النحوي المعروف بالأعلم، كان عالـماً باللغات والإعراب، واسع الحفظ، جيد الضبط، كثير العناية بهذا الشأن، توفي بعد (٤٧٠هـ). تاريخ الإسلام (٣٢/ ١٨١).

قصدوه ذهب إلى رفعه بغير شيءٍ، كما قد يرفع التَّجرُّد والعُرُو عن العوامل الابتداء.

قال القاضي أبو محمد: والوجه عندي أنه مفعول لم يُسَمَّ فاعله، على أن يجعل ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ غير دالٍّ على الشخص، بل تَجعل النُّطق به دالًّا على بناءِ هذه اللفظة، وهذا كما تقول: زَيْدٌ وزن فَعْل، أو زيد ثلاثة أحرف، فلم تدل[1] بوجه على الشخص بل دَللت[2] بنطقك[3] على نفس اللفظة، وعلى هذه الطريقة تقول: قلت إبراهيمَ، ويكون مفعولاً صحيحاً أنزلته منزلة قول وكلام، فلا يتعذَّر بعد ذلك أن يبنى الفعل فيه للمفعول.

و﴿عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ يريد: في الحفل، وبمحضر الجمهور.

وقوله: ﴿يَشۡهَدُونَ﴾ يحتمل أن يراد به الشهادة عليه، يريدون بفعله، أو بقوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾.

ويحتمل أن يراد به المشاهدة، أي: يشاهدون عقوبته، أو غلبته المؤدِّية إلى عقوبته، المعنى: فجاءَ إبراهيم حين أُتي به فقالوا له: أأنت فعلت هذا بالآلهة؟ فقال لهم إبراهيم عليه السلام: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا، على معنى[4] الاحتجاج عليهم، أي: إنه غار من أن يعبد هو[5] وتعْبد الصغار معه، ففعل هذا بها لذلك.

وقالت فرقة هي الأكثر: إن هذا الكلام قاله إبراهيم عليه السلام؛ لأنها كذبة في ذات الله تؤدي إلى خزي قوم كافرين، والحديث الصحيح يقتضي ذلك وهو قول النبي ﷺ: «لم يكذب إبراهيم إلَّا ثلاث كذبات: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله:

---

(١) في الأصل: «فلم تدخل».
(٢) في أحمد٣ ولالاليه: «دلت».
(٣) في المطبوع: «بنطقها».
(٤) في أحمد٣ والمطبوع: «جهة».
(٥) من نجيبويه والإماراتية والمطبوع.

﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وقوله للملك[١]: هي أُختي»[٢]، ثم طرق[٣] إِلى موضع خزيهم بقوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ على جهة التوقيف.

قال القاضي أبو محمد: وذهبت فرقة إِلى نفي الكذب عن هذه المقالات.

وقالت فرقة: معنى قول النبي ﷺ: «لم يكذب إِبراهيم [إِلَّا ثلاث كذبات...][٤]» أَي: لم يقل كلاماً ظاهره الكذب، أَو يشبه الكذب، وذهبت إِلى تخريج هذه المقالات، فخرَّجت هذه الآية على معنى أَنه أَراد تعليق فعل الكبير بنطق الآخرين، كأَنه قال: بل هو الفاعل إِن نطق هؤلاءِ، ولم يخرج[٥] الخبر على أَن الكبير فعل ذلك، وفي الكلام تقديم على هذا التأْويل في قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾.

وذهب الفراءُ إِلى جهة أُخرى بأَن قال: قوله ﴿فَعَلَهُۥ﴾ ليس من الفعل، وإِنما هو: فلَعَلَّهُ على جهة التَّوقُّع، حذف اللام، على قولهم: عَلَّهُ بمعنى: لَعَلَّهُ، ثمَّ خُفِّفَت اللام.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تكلُّف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

المعنى: فظهر لهم ما قال إِبراهيم من أَن الأَصنام التي قد أَهَّلوها للعبادة ينبغي

---

(١) في المطبوع: «للمليك».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٧٩)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٣) في المطبوع: «تطرق».

(٤) من المطبوع والإماراتية.

(٥) في أحمد٣ ونجيبويه والمطبوع ولالاليه: «يجزم».

أَن تُسأَل وتُسْتَفسر[١]، فقالوا: إِنكم أَنتم الظالمون في توقيف هذا الرجل على هذا الفعل وأَنتم معكم من تسأَلون، ثم ارتبكوا في ضلالهم، ورأَوا بالفكرة وبديهة العقل أَن الأَصنام لا تنطق، فساقهم ذلك حين[٢] نطقوا عنه إِلى موضع قيام الحجَّة عليهم.

وقوله تعالى: ﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ استعارة للذي يرتطم في غيِّه كأَنه منكوس على رأْسه، فهي أَقبح هيئة للإِنسان، وكذلك هذا هو في أَسوأ حالات النظر، فقالوا لإِبراهيم عليه السلام حين نكسوا في حيرتهم: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ أَي: فما بالك تدعو إِلى ذلك؟ فوجد إِبراهيم عليه السلام عند هذه المقالة موضع الحجة فوقفهم موبِّخاً على عبادتهم تماثيلَ لا تنفع بذاتها ولا تضر، ثم حقَّر شأْنها وأَزْرى بها في قوله: ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ﴾.

وقرأَ ابن كثير: ﴿أُفَّ لكم﴾ بالفتح، وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿أُفِّ لَكُمْ﴾ بالكسر وترك التنوين فيهما[٣]، وقرأَ نافع وحفص عن عاصم: ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ﴾ بالكسر والتنوين[٤].

و(أُفّ) لفظة تقال عند المستقذرات من الأَشياء فيُستعار ذلك للمكروه من المعاني كهذا وغيره.

فلمَّا غلبهم إِبراهيم عليه السلام من جهة النظر والحجَّة نكسوا رؤوسهم وأَخذتهم عزَّةٌ بإِثم وانصرفوا إِلى طريق الغشم والغلبة فقالوا: حَرِّقُوهُ.

ورُوي: أَن قائل هذه المقالة هو رجل من الأَكراد من أَعراب فارس، أَي: من باديتها، فخسف الله به الأَرض فهو يتجلجل[٥] فيها إِلى يوم القيامة[٦].

---

(١) في الأصل: «وتستعبر».

(٢) في الأصل: «فسامهم ذلك حتى».

(٣) في المطبوع: «نفيها»، وهو سبق قلم.

(٤) وكلها سبعية، وابن عامر يوافق ابن كثير، كما تقدم في حرف الإسراء.

(٥) في المطبوع: «يتلجلج».

(٦) ضعيف جدًّا، أخرجه الطبري (١٨/ ٤٦٥) من طريق الحسن بن دينار، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما به. والحسن بن دينار متروك الحديث، وشيخه الليث مشهور بضعفه.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ تحريض، كما تقول: اعزم على كذا إِن كنت عازماً.

ورُوي: أَنهم لما اجتمع رأْيهم على تحريقه حبسه نمرود الملك، وأَمر بجمع الحطب فجُمع في مدة أَشهر، وكان المريض يجعل على نفسه نذراً إِذا هو برئ أَن يجمع كذا وكذا حزمة حتى اجتمع من الحطب مما تبرَّع به الناس وممَّا جُلب للملك من أَهل الرساتيق[1] كالجبل من الحطب، ثم أَضرم ناراً، فلما أَرادوا طرح إِبراهيم فيه لم يقدروا على القرب منه، فجاءَهم إِبليس في صورة شيخ فقال لهم: أَنا أَصنع لكم آلة يلقى بها في النار، فعلَّمهم صنعة المنجنيق، ثم أُخرج إِبراهيم عليه السلام فشُدَّ برباط وَوُضع / في كفة المنجنيق ورمي به فوضع في النار، وقد قيل لها: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ فاحترق الحبل الذي رُبط به فقط. [٤/ ٤٨]

ورُوي: أَن جبريل عليه السلام جاءَه وهو في الهواءِ فقال له: أَلَكَ حاجةٌ؟ فيروى أَنه قال: أَمَّا إِليك فلا[2]، ويُروى أَنه قال له: إِنِّي خليل، وإِنما أَطلب حاجتي من خليلي، لا من رسوله، فقال الله تعالى: يا إِبراهيم قطعت الواسطة بيني وبينك، لأَقطعنها[3] بيني وبين النار، يا نار كوني برداً وسلاماً، ورُوي أَنه حين خُوطبت النار خمدت كلُّ نار في الأَرض[4].

ورُوي أَن الغراب كان ينقل الحطب إِلى نار إِبراهيم، ورُوي: أَن الوزغة كانت تنفخ عليه لتضرم[5]، وكذلك البغل.

ورُوي: أَن العَضْرَفُوط والخُطَّافة والضفدع كانوا ينقلون الماءَ لتطفأَ النار، فأَلقى الله على هذه الوقاية وسلَّط على تلك الأُخرى النوائب والأَيدي.

---

(١) في الأصل: «الرساتيق»، وفي لالاليه: «الدساتيق».

(٢) هذا من الإسرائيليات، ولا أصل له في المرفوع، وقد ذكره البغوي في تفسير سورة الأنبياء (٣/ ٢٩٤) مشيراً لضعفه، فقال: روي عن كعب الأحبار.. وللخبر أسانيد مقطوعة الظاهر أن مرجعها جميعاً إلى ما أخذ عن أهل الكتاب.

(٣) في المطبوع: «لا قطعتها».

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٦٦) من قول سعيد بن جبير، به.

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٥٩) من حديث أم شريك، رضي الله عنها، مرفوعاً به.

وقال بعض العلماءِ فيما رُوي: إِن الله تعالى لولم يقل: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لهلك إِبراهيم من برد النار[١].

قال القاضي أبو محمد: وقد أَكثر الناس في قصص حرق إِبراهيم، وذكروا تحديد مدَّة بقائه في النار، وصورة بقائه فيها مما رأَيت اختصاره لقلَّة صحته، والصحيح من ذلك أَنه أُلقي في النار فجعلها الله تعالى عليه برداً وسلاماً فخرج منها سالماً، وكانت أَعظم آية.

رُوي: أَنهم قالوا: إِنها نارٌ مسحورة لا تحرق، فرموا فيها شيخاً منهم فاحترق[٢].

[ورُوي: أَن إِبراهيم عليه السلام كان له بسطة وطعام في تلك النار، كل ذلك من الجنة][٣].

وروي: أَن العيدان أَينعت وأَثمرت له هنالك ثمارها التي كانت أُصولها[٤].

وقوله: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ معناه: وسلامة، وقال بعضهم: هي تحية من الله تعالى لإِبراهيم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وكان الوجه أَن يكون مرفوعاً.

و«الْكَيْدُ» هو ما أَرادوه من حرقه، وكانوا في خسارة من كفرهم وغلبته لهم وحرق الشيخ الذي جرَّبوا به النار، ورُوي: أَن الملِك بنى بنياناً واطَّلع منه على النار فرأَى إِبراهيم عليه السلام ومعه ناسٌ فعجب وسأَل: هل طُرح معه أَحد؟ فقيل له: لا، فناداه فقال: من أُولئك؟ فقال: أولئك هم ملائكة ربِّي[٥].

قال القاضي أبو محمد: والمرويُّ في هذا كثير غير صحيح.

---

(١) نسبه تفسير السمعاني (٣/ ٣٩١) لعلي وكعب، والكشاف للزمخشري (٣/ ١٢٧) لابن عباس.

(٢) انظر: الهداية لمكي (٧/ ٤٧٨٠)، وتفسير السمعاني (٣/ ٣٩١).

(٣) ليس في الأصل.

(٤) تفسير الثعالبي (٣/ ٥٨).

(٥) أخرجه الطبري في تاريخه (١/ ٧٠) من طريق ابن إسحاق، من قوله به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

روي: أَن إِبراهيم عليه السلام لما خرج من النار أَحضره النمرود وكلَّمه، ثم ختم الله عليه بالكفر فلَجَّ، وقال لإِبراهيم في بعض قوله: يا إِبراهيم أَين جنود ربِّك الذي تزعم؟ فقال له: سيريك فعل أَضعف جنوده، فبعث الله تعالى على نمرود وأَصحابه سحابة من بعوض فأَكلتهم عن آخرهم ودوابهم حتى كانت العظام تلوح بيضاً، ودخلت منها بعوضة في رأْس نمرود فكان رأْسه يضرب بالعيدان وغيرها، ودام تعذيبه بها زمناً طويلاً وهلك منها، وخرج إِبراهيم عليه السلام وابن أَخيه لوط عليه السلام من تلك الأَرض مهاجرين، وهي كوثا من العراق، ومع إِبراهيم عليه السلام ابنة عمه سارة زوجه[1].

وفي تلك السفرة لقي الجبَّار الذي رَامَ أَخذها منه[2].

واختلف الناس في الْأَرْضِ التي بورك فيها ونجَّى الله إِليها إِبراهيم ولوطاً عليهما السلام.

فقالت فرقة: هي مكَّة، وذكروا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦]، وقال الجمهور: هي أَرض الشَّام، وهي الأَرض التي بارك الله فيها، أَمَّا من جهة الآخرة فبالنُّبوَّة والإِيمان، وأَمَّا من جهة الدنيا فهي أَطيب بلاد الله أَرضاً، وأَعذبها ماءً، وأَكثرها ثمرة ونعمة، وهو الموضع المعروف بسكنى إِبراهيم وعَقِبِهِ، ورُوي أَنه ليس في الأَرض ماءٌ عذب إِلَّا وأَصله وخروجه من تحت صخرة بيت المقدس[3].

---

(١) القصة رواها عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٦٨) من طريق معمر، عن الكلبي، وقتادة، من قولهما.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٧٩) ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في فضائل بيت المقدس (ص: ١٦) من قول أبي العالية الرياحي، وفيه: أبو جعفر الرازي، وهو ضعيف.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وهي أَرض المحشر، وبها يجمع الناس، وفيها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام، وبها يهلك المسيح الدَّجَّال، ورُوي: أن النبي ﷺ قال يوماً في خطبته[١]: «إِنه كان[٢] بالشَّام جند، وبالعراق جند، وباليمن جند»، فقال رجل: يا رسول الله، خِرْ لي، فقال: «عليك بالشَّام فإِن الله قد تكفَّل لي بالشَّام وأَهله، ومن بقي فَلْيَلْحَق بِيَمَنِهِ، وَلْيَسقِ بغُدُرِهِ»[٣].

وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأَحبار: أَلا تتحول إِلى المدينة؟ فقال: يا أَمير المؤمنين إِني أَجد في كتاب الله المنزَّل أَن الشَّام كنز الله من أَرضه، وبها كنزه من عباده[٤].

وروي: أَن إِبراهيم ولوطاً هاجرا من كوثا ومَرَّا بمصر، وليست بالطريق ولكنَّهم نكَّبوا خوف الاتِّباع حتى جاؤوا الشَّام، فنزل إِبراهيم السَّبع من أَرض فلسطين وهي برِّيَّة الشَّام، ونزل لوط بالمؤتفكة[٥].

---

(١) في نجيبويه والمطبوع: «خطبة».

(٢) في نجيبويه والإماراتية والمطبوع: «يكون».

(٣) للحديث طرق يقوي بعضها بعضاً، منها ما أخرجه الفسوي في المعرفة (١/ ٢٨٨-٢٨٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٢٩٥) والطبراني في مسند الشاميين (٢٥٤٠) من طريق يحيى بن حمزة الحضرمي، عن نصر بن علقمة الحضرمي، يرد الحديث إلى جبير بن نفير، قال قال عبد الله بن حوالة رضي الله عنه مرفوعاً به، قال ابن أبي حاتم عن أبيه: نصر بن علقمة عن جبير بن نفير مرسل، لكن في آخر الحديث: قال: سمعت عبد الرحمن بن جبير، يقول: فعرف أصحاب النبي ﷺ نعتَ هذا الحديث في جزء بن سهيل السلمي.. لكن ليس فيه أنه سمع الحديث نفسه من عبد الرحمن.
وذكره البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٣٣) من طريق: معاوية بن صالح عن أبي يحيى أن جبير بن نفير حدثه عن عبد الله بن حوالة به مرفوعاً.
وللخبر طرق أخرى عن ابن حوالة هذا وله صحبة، ومنها ما أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٢٥٠) عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة مرسلاً، وروي الخبر أيضاً عن ابن عمر وابن عباس مرفوعاً.

(٤) منقطع، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٥١) عن معمر، عن قتادة، أن عمر قال لكعب... فذكره، وهذا منقطع فيما بين قتادة، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر جامع التحصيل (٦٣٣).

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٤٧٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٧٨٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٣٠٥)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٨٣).

و﴿إِسۡحَٰقَ﴾ ابن إِبراهيم، و﴿وَيَعۡقُوبَ﴾: ولد إسحاق، و«النَّافلة»: العطيَّة، كما تقول: نَفَلَني الإِمام كذا، ونافلة الطاعة كأَنَّها عطيَّة من الله تعالى لعباده يُثيبهم عليها.

وقالت فرقة: الموهوب إِسْحاقُ، والنافلة يَعْقُوبُ، والأَول أَبين.

و﴿يَهۡدُونَ﴾ معناه: يرشدون غيرهم.

و(إقام) مصدر، وفي هذا نظر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا وَعِلۡمًا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ٧٤ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٧٧﴾.

التقدير: وآتينا لوطاً آتَـيْناهُ، فهو منصوب[١] بفعل مضمر يدل عليه الظاهر، والحكم: فصل القضاء بين الناس.

و﴿ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾: إِتيان الرجال وضراطهم في مجالسهم إِلى غير ذلك من كفرهم.

وقوله تعالى في نوح: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ بالإِضافة إِلى إِبراهيم ولوط.

و﴿ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: هو الغرق، وما نال قومه من الهلكة بدعائه عليهم الذي استجيب.

وقوله تعالى: ﴿وَنَصَرۡنَٰهُ﴾ لمَّا كان جل نُصرته النجاة وكانت غلبة قومه بغير يده بل بأَمر أَجنبي منه حسن أَن يقول: (نصرناه من)، ولا تتمكَّن هنا (عَلَى) كما تتمكَّن في أَمر محمد ﷺ مع قومه.

قال القاضي أَبو محمد: وذكر هؤلاء الأَنبياء عليهم السلام ضَرْبُ مثل لقصة محمد ﷺ مع قومه، ونجاةُ الأَنبياء وهلاك مكذِّبيهم ضمنها توعُّدٌ لكفار قريش / . [٤/ ٤٩]

(١) كتبت في المطبوع: «منصور» وهو خطأ مطبعي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

المعنى: واذكر داود وسليمان، هكذا قدره جماعة من المفسرين.

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل عندي ويقوى أَن يكون المعنى: وَآتَـيْنَا دَاود، عطفاً [على قوله: (نوحاً)، وذلك عطف على][1] قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾، والمعنى على هذا التأويل مُتَّسق.

وسليمان هو ابن داود، وَداوُد[2] من بني إِسرائيل، وكان مَلِكاً عدلًا نبيّاً يحكم بين الناس، فوقعت بين يديه هذه النَّازلة، وكان ابنه إِذ ذاك قد كبر، وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم، وكانوا يدخلون إِلى داود على[3] باب آخر، فتخاصم إِلى داود عليه السلام رجل له زرع، وقيل: كَرْمٌ.

قال القاضي أَبو محمد: والْحَرْثُ يقال فيهما، وهو في الزَّرع أَبعد عن الاستعارة، دخلت حَرْثَه غنم رجل آخر فأَفسدت عليه[4]، فرأَى داود عليه السلام أَن يدفع الغنم إِلى صاحب الحرث، فقالت فرقة: على أَن يبقى كَرْمُه بيده، وقالت فرقة: بل دفع الغنم إِلى صاحب الحَرْثِ والحَرْثَ إِلى صاحب الغنم.

قال القاضي أَبو محمد: فيشبه على القول الواحد أَنه رأَى الغنم تقاوم الغلة التي أُفسدت، وعلى القول الثاني رآها تقاوم الحَرْث وغَلَّته.

قال القاضي أَبو محمد: ولا يُظَنُّ بداود عليه السلام إِلَّا أَن حكمه بنظر متوجه.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) في المطبوع: «من».

(٤) في المطبوع: فأفسدته».

فلما خرج الخصمان على سليمان عليه السلام تشكَّى له صاحب الغنم، فجاءَ سليمان إِلى داود فقال: يا نبي الله، إِنَّك[١] حكمت بكذا، وإِني رأَيت ما هو أَرفق بالجميع، قال: وما هو؟ قال: أَن يأْخذ صاحب الغنم الحرث فيقوم عليه ويصلحه حتى يعود كما كان، ويأْخذ صاحب الحرث الغنم في تلك المدة ينتفع بمرافقها من لبن وصوف ونسل وغير ذلك، فإِذا كَمُل الحرث وعاد إِلى حاله صرف كل واحد مالَ صاحبه، فرجعت الغنمُ إِلى ربِّها والحَرْثُ إِلى ربِّه، فقال داود: وُفِّقْتَ يا بُنَيَّ، وقضى بينهما بذلك[٢].

قال القاضي أَبو محمد: ولا شك أَن سليمان رأَى ما يتحمَّله صاحب الغنم من فقد مرافق غنمه تلك المدة، ومن مؤونة إِصلاح الحرث، يُوازي ما فسد في الحرث، وفَضل حُكمُه حُكْمَ أَبيه في أَنه أَحرز أَن يبقى ملك كل واحد منهما على متاعه، وتبقى نفسه بذلك طيبة.

قال القاضي أَبو محمد: وذهبت فرقة إِلى أَن هذه النَّازلة لم يكن الحُكْم فيها باجتهاد، وإِنما حَكَم داود بوحي، وحَكَمَ سليمان بوحي نسخ الله به حُكْم داود، وجعلت فرقة ـ منها ابن فُورك ـ قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ أَيْ فَقَّهناه القضاءَ الفاصل الناسخ الذي أَراد الله تبارك وتعالى أَن يستقر في النَّازلة[٣].

---

(١) في المطبوع: «إنما».

(٢) له أسانيد لا تقوم بها الحجة، أخرجه الطبري (١٨/ ٤٧٥) من طريق أشعث، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود رضي الله عنه به. وأشعث هو ابن سوار، ضعيف الحديث، وقد خالفه سفيان الثوري، فرواه عن أبي إسحاق، عن مرة، به من قوله، ولم ينميه إلى ابن مسعود، أخرجه الطبري (١٨/ ٤٧٧)، وأخرجه كذلك الطبري (١٨/ ٤٧٥-٤٧٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به. والعوفي ضعيف الحديث، وأخرجه الطبري (١٨/ ٤٧٦) من طريق علي بن زيد، عن خليفة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وعلي هو ابن جدعان، مشهور بضعفه، وشيخه خليفة، أورده الذهبي في الميزان (٤/ ٦٦٦) وقال: عن ابن عباس، تفرد عنه ابن جدعان، مجهول.

(٣) هذا القسم من تفسير ابن فورك غير متوفر، وانظر: تفسير القرطبي (١١/ ٣٠٩).

قال القاضي أَبو محمد: وتحتاج هذه الفرقة في هذه اللَّفظة إِلى هذا التعب، ويبقى لها المعنى قَلِقاً.

وقال جمهور الأُمَّة: إِن حكمهما كان باجتهاد[١]، وأَدخل العلماءُ هذه الآية في كتبهم على مسأَلة اجتهاد العَالِمَيْن، فينبغي أَن يُذكر هنا تلخيص مسأَلة الاجتهاد.

واختلف أَهل السُّنَّة في العَالِـمَيْن ـ فما زاد ـ يُفتيان من الفروع والأَحكام في المسأَلة فيختلفان:

فقالت فرقة: الحق في مسائل الفروع في طرف واحد عند الله تعالى، وقد نصب على ذلك أَدلَّة، وحمل المجتهدين على البحث عنها والنظر فيها، فمن صادف العين المطلوبة في المسأَلة فهو المصيب على الإِطلاق، وله أَجران، أَجر في الاجتهاد وأَجر في الإِصابة، ومن لم يصادفها فهو مصيب في اجتهاده مخطئ في أَنْ لم يُصب العين، فله أَجر وهو غير معذور[٢]، وهذا هو الذي قال النبي ﷺ فيه: «إِذا اجتهد العالِـم فأَخطأَ فله أَجرٌ»[٣].

وكذلك أَيضاً يدخل في قوله عليه السلام: «إِذا اجتهد العالِم فأَخطأَ» العالِم يجتهد فيخالف نصّاً لم يَمُرَّ به، كقول سعيد بن المسيب في النكاح: إِنه العقد في مسأَلة التحليل للزوج المطلِّق[٤] ونحوه، وهذا يجمع بين قوله ﷺ: «إِذا اجتهد العالِم فأَخطأَ»، وبين قوله: «كلُّ مجتهد مصيب» أَي: أَخطأَ العين المطلوبة وأَصاب في اجتهاده، ورأَت هذه الفرقة أَن العالم المخطئ لا إِثم عليه في خطئه وإِن كان غير معذور[٥].

وقالت فرقة: الحق في طرف واحد ولم ينصب الله تعالى عليه دليلاً، بل وكل

---

(١) انظر: أصول السرخسي (٢/ ٩٣)، وقواطع الأدلة للسمعاني (٢/ ١٠٢-١٠٤).

(٢) ممن قال بهذا القول الشافعي وجمهور أصحابه، كما في البحر المحيط للزركشي (٤/ ٥٣٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٩١٩) ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٤) تفسير السمعاني (١/ ٢٣٣)، وتفسير القرطبي (٣/ ١٤٧).

(٥) انظر: البحر المحيط للزركشي (٤/ ٥٣٠).

الأَمر إِلى نظر المجتهدين، فمن أَصابه أَصاب، ومن أَخطأَه فهو معذور ومأْجور، ولم نُتَعَبَّد بإِصابة العين بل تعبدنا بالاجتهاد فقط[١].

وقال جمهور أَهل السُّنَّة ـ وهو المحفوظ عن مالك وأَصحابه ـ: الحق في مسائل الفروع في الطرفين، وكل مجتهد مصيب، والمطلوب إِنما هو الأَفضل في ظنه[٢]، [فكل مجتهد قد أَدَّاه نظره إِلى الأَفضل في نظره][٣]، والدليل على هذه المقالة [أَن الصحابة فَمَن][٤] بعدهم قرَّر بعضهم خلاف بعض ولم ير أَحد منهم أَن يقع الإِعمال[٥] على قوله دون قول مخالفه، ومنه رد مالك ـ رحمه الله ـ للمنصور أَبي جعفر عن حمل الناس على «الموطأِ»[٦] إِلى كثير من هذا المعنى.

وإِذا قال العالِم في أَمرٍ مَّا: حلالٌ، فذلك هو الحق فيما يختصُّ بذلك العالِم عند الله تعالى [وبكلِّ من أَخذ بقوله، وإِذا قال آخر: حرام، وكلُّ ذلك باجتهاد، فذلك أَيضاً حقٌّ عند الله تعالى فما يختص بذلك العالِم وبكلِّ من أَخذ بقوله][٧]، فأَمَّا من قال: إِنَّ الحقَّ في طرف فرأَى مسأَلة داود وسليمان عليهما السلام مطّردة على قوله، وأَن سليمان عليه السلام صادف العين المطلوبة وهي التي فهم، ومن رأَى أَنَّ الحقَّ في الطرفين رأَى أَن سليمان عليه السلام فهم القضيَّة الـمُثْلى والتي هي أَرجح، لا أَن الأُولى خطأ، وعلى هذا يحملون قول النبي ﷺ: «إِذا اجتهد العالِم فأَخطأَ» أَي: أَخطأَ الأَفضل.

قال القاضي أَبو محمد: وكثيراً ما يكون بين الأَقوال في هذه المسائل قليلُ تباينٍ إِلَّا أَن

---

(١) ممن قال بهذا القول أبو حنيفة وأصحابه، انظر قولهم في: أصول السرخسي (٢/ ١٤).
(٢) انظر: البحر المحيط للزركشي (٤/ ٥٣٠)، وانظر: جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٨٥).
(٣) ليس في الأصل والإماراتية ولالاليه، وفي الحمزوية: «في ظنه».
(٤) ليس في الأصل.
(٥) في نجيبويه والإماراتية والمطبوع: «الاعتماد»، وفي أحمد٣: «الانحمال»، وفي الحمزوية: «الاحتمال».
(٦) انظر تمام القصة في: الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر (١/ ٤١).
(٧) ليس في الأصل.

ذلك الشُّفوف يشرف القول، وكثيراً ما يتبيَّن الفضل بين القولين بأَدنى نظر، ومسائل الفروع تخالف مسائل الأُصول في هذا، ومسأَلة [المجتهدين في نفسها][1] مسأَلة أَصل، والفرق بين مسائل الفروع ومسائل الأُصول أن مسائل الأصول الكلامُ فيها إنما هو في وجود شيءٍ مَّا، كيف هو؟ كقولنا: يُرى الله تعالى يوم القيامة، فقالت المعتزلة: لا يُرى، وكقولنا: الله واحد، وقالت النصارى: ثلاثة، وهكذا هَلْ للمسائل عينٌ أو ليس لها عين مطلوبة؟.

[٤/ ٥٠] / ومسائلُ الفروع إنما الكلام فيها على شيء متقرر الوجود، كيف حُكمه من تحليل أَو تحريم ونحو هذا؟ والأَحكام خارجة عن ذاته ووجوده، وإِنما هي بمقاييس واستدلالات، وتعتبر مسائل الفروع بأَنها كل ما يمكن أَن يُنْسَخ بعضُه ببعض[2]، ومسائل الأُصول ما لو تقرر الوجه الواحد لم يصح أَن يطرأَ عليه الآخر ناسخاً.

قال القاضي أَبو محمد: ومسأَلة الاجتهاد طويلة ومتشعبة، إِلَّا أَن هذه النبذة تليق بالآية وتقتضيها حرصاً على الإِيجاز.

ويتعلَّق بالآية فصلٌ آخر لا بدَّ من ذكره؛ وهو رجوع الحاكم بعد قضائه من اجتهاد إِلى اجتهاد آخر أَرجح من الأَول، فَإن داود عليه السلام فعل ذلك في هذه النازلة.

واختلف فقهاءُ المذهب المالكي في القاضي يحكم في قضية، ثم يرى بعد ذلك أَن غير ما حكم به أَصوب، فيريد أَن ينقض الأَول ويقضي بالثاني: فقال عبد الملك، ومطرف في «الواضحة»: ذلك له ما دام في ولايته، فأَمَّا إِن كانت ولاية أُخرى فليس ذلك له، وهو بمنزلة غيره من القضاة، وهذا هو ظاهر قول مالك رحمه الله في «المدونة»[3].

وقال سحنون في رجوعه من اجتهاد فيه قول إِلى غيره مما رآه أَصوب: ليس له ذلك، وقاله ابن عبد الحكم، وقالا[4]: ويستأْنف الحكم بما قوي عنده [أحرى من ذي

---

(١) بياض بالأصل، وفي نجيبويه: «المجتهدين في ذاتها».

(٢) في أحمد٣ ونجيبويه والمطبوع: «بعضاً».

(٣) انظر قول ابن حبيب ومطرف في: النوادر (٨/ ٩٧-٩٨)، وقول مالك في: المدونة (٤/ ٥١٩).

(٤) ليست في المطبوع وإنما فيه: «وقال ابن عبد الحكم» على أن هذا كلامه وحده، والأول كلام سحنون وحده.

قبل][1]، قال سحنون: إِلَّا أَن يكون نسي الأَقوى عنده أَوْ وهم فحكم بغيره فله نَقْضه، وأَمَّا إِن حكم بحكم وهو الأَقوى عنده في ذلك الوقت ثم قوي[2] عنده غير ذلك فلا سبيل له إِلى نقض الأَول، قاله سحنون في «كتاب ابنه»[3].

وقال أشهب في «كتاب ابن المواز»: إن كان رجوعه إلى الأصوب في مال فله نقض الأول، وإِن كان في طلاق أَو نكاح أَو عتق فليس له نقضه[4].

وقد تقدم القول في الحرث، وروت فرقة أَنه كان زرعاً، وروت فرقة أَنه كان كرماً.

و«النَّـفَشُ»: تسرُّب البهائم في الزورع وغيرها باللَّيل، والْهَمَلُ: تسرُّبها في ذلك بالنهار واللَّيل، وقال ابن سيده: لا يقال الْهَمَل في الغنم، وإِنما هو في الإِبل[5].

ومضى الحكم في الإِسلام بتضمين أَرباب الغنم ما أَفسدت باللَّيل؛ لأَن على أَهلها أَن يثقفوها، وعلى أَهل الزروع وغيرهم[6] حفظها بالنهار، وهذا هو مقتضى الحديث في ناقة البراءِ بن عازب[7]، وهو مذهب مالك وجمهور الأمَّة[8].

---

(١) ليس في المطبوع، وإنما فيه بدلًا منه: «آخراً»، وفي الإماراتية والحمزوية: «آخراً من ذي قبل».

(٢) في نجيبويه والمطبوع: «توجَّه».

(٣) انظر قول سحنون وقول ابن عبد الحكم في: النوادر (٨/ ٩٧-٩٨).

(٤) انظر قول أشهب في: تفسير القرطبي (١١/ ٣١٢).

(٥) انظر: المحكم (٤/ ٣٢٨).

(٦) في أحمد٣ ونجيبويه والمطبوع: «غيرها».

(٧) الأصح مرسل، أخرجه أحمد (٣٩/ ٩٧)، وابن ماجه (٢٣٣٢)، والدارقطني في سننه (٣٣١٩) من طريق مالك، ويونس بن يزيد، والليث بن سعد، ثلاثتهم، عن الزهري، عن حرام بن محيصة، أن ناقةً للبراء بن عازب...فذكره، وهذا إسناد مرسل، حرام بن محيصة لم يدرك الواقعة، وأخرجه أبو داود (٣٥٦٥)، والنسائي في الكبرى (٥٧٨٥) من طريق الأوزاعي، فخالف الجماعة فرواه عن الزهري، فقال: عن حرام بن محيصة، عن البراء، رضي الله عنه، به، ورواية الجماعة مع اختصاصهم بالزهري أثبت، والأوزاعي له أوهام على الزهري.

(٨) انظر قول مالك في: الاستذكار (٧/ ٢٠٦)، والشافعي في: الحاوي للماوردي (١٣/ ٤٦٦)، وأحمد في: المغني (٩/ ١٥٦).

ووقع في «كتاب ابن سُحنون»: أَن الحديث إِنما جاء في أَمثال المدينة التي هي حيطان مُحْدِقة، وأَمَّا البلاد التي هي زروع متصلة غير محظرة وبساتين كذلك فيضمن أَرباب الغنم[١] ما أَفسدت من ليل أَو نهار[٢].

قال القاضي أَبو محمد: كأَنه ذهب إِلى أَن ترك تثقيف الحيوان في مثل هذه البلاد تعدٍّ[٣]؛ لأَنها ولا بد تفسد.

وقال أَبو حنيفة في ذلك: لا ضمان، وأَدخله في عموم قول النبي ﷺ: «جرح العجماءِ جُبَارٌ»[٤]، فقاس جميع أَفعالها على جروحها[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ تأَول قومٌ منه أَن داود لم يخطئ في هذه النازلة، بل فيها أُوتي الحُكْم والعِلْم.

وقالت فرقة: بل لأَنه لم يصب العين المطلوبة في هذه النازلة مدحه الله تعالى بأَن له حُكماً وعِلْماً يُرجع إِليه في غير هذه النَّازلة.

وقوله: ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ مبالغة في الخير وتحقيق له، وفي اللَّفظ معنى: وكان ذلك في حقه وعند مستوجبه منَّا، فكأَنه قال: وكنَّا فاعلين[٦] لأَجل استجابة ذلك، وحذف اختصاراً لدلالة ظاهر القول على ما حُذف منه.

وقوله: ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ يريد داود وسليمان والخصمين؛ لأَن الحكم يضاف إِلى جميعهم وإِن اختلفت جهات الإِضافة.

---

(١) في نجيبويه والحمزوية والمطبوع ولالاليه: «النَّعم».

(٢) انظر ما نسبه المؤلف لكتاب ابن سحنون في: تفسير القرطبي (١١/ ٣١٧).

(٣) في الأصل: «بعيد».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (١٧١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٥) انظر مذهب أبي حنيفة في: تبيين الحقائق مع حاشية الشبلي (٦/ ١٥٢-١٥٣).

(٦) في المطبوع: «وكنا فعالين»، على المبالغة، وكتبت في بعض المخطوطات: «فعلين»، على حذف الألف في الرسم.

وقرأت فرقة: (لِحُكْمِهِما)[١].

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾:

فذهبت فرقة ـ وهي الأكثر ـ إلى أنه قوله: سبحان الله.

وذهبت فرقة ـ منها منذر بن سعيد ـ إلى أنه بمعنى: يُصَلِّين معه بصَلاته[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾.

عدَّد الله تعالى على البشر أَن علَّم داود عليه السلام صَنْعَةَ الدُّروع، [وألان له الحديد][٣]، فكان يصنعها أَحكم صنعة لتكون وقاية في الحرب وسَبَبَ نجاة من العدو، واللَّبُوس في اللُّغة: السلاح، فمنه الدِّرع والسيف والرُّمح وغير ذلك، ومنه قول الشاعر:

وَمَعِـي لَـبُوسٌ لِلْبَـئِيـسِ كَـأَنَّـهُ ... رَوْقٌ بِجَبْهَـةِ ذِي نعَاجٍ مُجْفَلِ[٤] [الكامل]

يعني الرُّمح.

وقرأ نافع والجمهور: ﴿لِيُحْصِنَكُم﴾ بالياءِ على معنى: لِيُحصِنَكم داود أَو اللَّبوس.

وقرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ بالتاءِ على معنى: لِتُحصنكم[٥] الصنعة أَو الدُّروع التي أَوقع عليها اللَّبوس.

---

(١) وهي شاذة عزاها الفراء في معاني القرآن (٢/ ٢٤٩) لابن عباس، وفي الشواذ للكرماني (ص:٣١٧) لابن مسعود وابن أبي عبلة.

(٢) ورد في تفسير الطبري (١٨/ ٤٧٩)، والهداية لمكي (٧/ ٤٧٩٠) من قول قتادة، ولم أقف على قول منذر بن سعيد.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) البيت لأبي كبير الهذلي، كما في مجاز القرآن (٢/ ٤١)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٨٦)، وتفسير الطبري (١٨/ ٤٨٠).

(٥) ليست في الإماراتية.

وقرأ أَبو بكر عن عاصم: ﴿لِنُحْصِنَكُمْ﴾ بالنون[١] على معنى ردِّ الفعل لله تعالى.

ويُروى أَنه كان الناس قبل يتَّخذ القوي منهم لباساً من صفائح الحديد، فكان ثقله يقطع بأَكثر الناس.

وقرأَت فرقة: ﴿ٱلرِّيحَ﴾ بالنصب على معنى: وسخَّرنا لسليمان الرِّيح.

وقرأَت فرقة: (الرِّيحُ) بالرَّفع[٢] على الابتداء والخبرُ في المجرور قبله.

ويُروى: أَن الرِّيح العاصفة كانت تهب على سرير سليمان الذي فيه بساطه، وقد مَدَّ حول البساط بالخشب والأَلواح حتى صنع سريراً يحمل جميع عسكره وأَقواته فَتُقِلُّه من الأَرض في الهواءِ ثم تتولاه الريح الرخاءُ بعد ذلك فتحمله إِلى حيث أَراد سليمان.

وقوله: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ اختلف الناس فيها:

فقالت فرقة: هي أَرض الشام وكانت مسكنه وموضع مُلْكِهِ، وخصَّص في هذه الآية انصرافه من سفراته إِلى أَرضه؛ لأَن ذلك يقتضي سفره إِلى المواضع التي سافر إِليها، والبَرَكَةُ في أَرض الشَّام بيِّنة الوجوه.

وقد قال بعضهم: إِن العاصفة هي في القفول[٣] على عادة البشر والدَّواب في الإِسراع إِلى الوطن، والرّخاءُ كانت في البدأَة حيث أَصاب، أَي: حيث يقصد؛ لأَن ذلك وقت تَأَنٍّ وتدبير وتقلب رأْي.

وقال منذر بن سعيد: في الآية تقديم وتأْخير، والكلام تام عند قوله: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾، وقوله: ﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ صفة للرِّيح[٤].

---

(١) وكلها سبعية، انظر: السبعة (ص: ٤٣٠)، والتيسير (ص: ١٥٥).
(٢) وهي شاذة، عزاها في تفسير الطبري (١٨/ ٤٨٢) للأعرج، وفي جامع البيان (٣/ ١٣٧١) رواية يحيى الجعفي عن شعبة.
(٣) في المطبوع: «القبول».
(٤) لم أقف عليه.

قال القاضي أبو محمد: / ويحتمل أَن يريد الأَرض التي يسير إِليها سليمان عليه [٤/ ٥١] السلام كائنة ما كانت، وذلك أَنه لم يكن يسير إِلى أَرض إِلَّا أَصلحها، وقتل كفَّارها، وأَثبت فيها الإِيمان، وبثَّ فيها العدل، ولا بركة أَعظم من هذا، فكأَنه قال: إِلى أَي أَرض باركنا فيها فبعثنا سليمان إِليها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

يحتمل أَن يكون قوله تعالى: ﴿يَغُوصُونَ﴾ في موضع نصب على معنى: وسخَّرنا من الشياطين، ويحتمل أَن يكون في موضع رفع على الابتداء، ويتناسب هذا مع القراءَتين المتقدمتين في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ بالنصب والرفع.

وقوله تعالى: ﴿يَغُوصُونَ﴾ جمع على معنى ﴿مَن﴾، لا على لفظها، و«الغوص»: الدخول في الماء والأَرض، والعمل[1] دون ذلك البنيان وغيره من الصنائع والخدمة ونحوه.

وقوله: ﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾، قيل: معناه: من إِفسادهم ما صنعوه، فإِنهم كان له حرصٌ على ذلك لولا ما حال الله بينهم وبين ذلك، وقيل: معناه: عادين وحاصرين[2]، أَي لا يشذ عن علمنا وتسخيرنا أَحد منهم.

وقوله: ﴿وَأَيُّوبَ﴾ أَحسن ما فيه النصب بفعل مضمر تقديره: واذكر أَيوب.

وفي قصص أَيوب عليه السلام طول واختلاف من المفسرين، وتلخيص ذلك

(١) في المطبوع: «العلم».

(٢) في المطبوع: «عادلين وحاضرين»، وفي الإماراتية: «عالمين»، وفي نور العثمانية ولالاليه: «وحاضرين».

أَنه رُوي أَن أَيوب عليه الصلاة والسلام كان نبيّاً مبعوثاً إِلى قوم، وكان كثير المال من الإِبل والبقر والغنم، وكان صاحب البَثَنية من أَرض الشام، فغبر كذلك مدة، ثم إِن الله تعالى لمَّا أَراد محنته وابتلاءه[1] أَذِن لِإِبليس في أَن يفسد ماله، فاستعان بذرِّيته فأَحرقوا ماله ونَعمه أَجمع، فكان كلَّما أُخبر بشيءٍ من ذلك حَمِدَ الله تعالى، وقال: هي عارية استردها صاحبها والـمُنْعم بها.

فلما رأَى إِبليس ذلك جاءَ فأَخبر بعجزه عنه، فأَذن الله له في إِهلاك بنيه وقرابته ففعل ذلك أَجمع فدام أَيوب على شكره وصبره، فأَخبر إِبليس بعجزه، فأَذن الله تعالى له في إِصابته في بدنه، وحجر عليه لسانه وعينيه وقلبه، فجاء إِبليس وهو ساجد فنفخ في أَنفه نفخة احترق بدنه منها، وجعلها الله أَكلة في بدنه.

فلما عظمت وتقطع أَخرجه الناس من بينهم وجعلوه على سُباطة، ولم يبق معه بشر حاشا زوجته، ويقال: كانت بنت يوسف الصديق، وقيل: اسمها رحمة.

وقيل في أيوب: إِنه من بني إِسرائيل، وقيل: إِنه من الروم من ذرية عيصو، فكانت زوجته تسعى عليه وتأْتيه بما يأْكل وتقوم عليه، فدام في هذا العذاب مدة طويلة، قيل: ثلاثين سنة، وقيل: ثماني عشرة سنة، وقيل: اثنتي عشرة سنة، وقيل: تسعة أَعوام، وقيل: ثلاثة، وهو في كل ذلك صابر شاكر حتى جاءَه ـ فيما رُوي ـ ثلاثة ممَّن كان آمن به فوقذوه[2] بالقول وأَنَّبوه ونَجَهُوهُ، وقالوا: ما صنع بك ربك هذا إِلَّا لخبثٍ باطنةٍ[3] فيك، فراجعهم أَيوب في آخر قولهم بكلام مقتضاه أَنه ذليل لا يقدر على إِقامة حُجَّة ولا بيان ظُلامة، فخاطبه الله تعالى معاتباً على هذه المقالة، ومُبَيِّناً أَنه لا حُجَّة لأَحد مع الله، ولا يسأَل عمَّا يفعل.

---

(١) في المطبوع: «وابتلاه».

(٢) في المطبوع: «فوقروه».

(٣) في المطبوع: «باطنه».

ثمَّ عرَّفه تعالى بأَنه قد أَذن في صلاح حاله، وعاد عليه بفضله، فدعا أَيوب عند ذلك فاسْتُجِيب له.

ويُروى: أَن أَيوب لم يزل صابراً لا يدعو في كشف ما به، وكان ـ فيما رُوي ـ يقع الدود منه فيردُّهُ بيده حتى مرَّ به قوم كانوا يعادونه فشمتوا به فتأَلَّم لذلك ودعا حينئذ فاستُجيب له، وكانت امرأَته غائبة عنه في بعض شأْنها فأَنبع الله تعالى له عيناً وأُمر بالشرب منها فبرئ باطنه، وأُمر بالاغتسال فبرئ ظاهره ورُدَّ إِلى أَفضل حاله[١]، وأُتِي بأَحسن الثياب، وهبَّ عليه رِجْلٌ من جراد من ذهب فجعل يحثو منها في ثوبه، فناداه الله تعالى: يا أَيُّوب أَلم أَكن أَغْنَيتك عن هذا؟ قال: بَلَى يا رب، ولكن لا غنى بي[٢] عن بركتك[٣].

فبينما هو كذلك إِذ جاءَت امرأَته فلم تره على السباطة فجزعت وظنَّت أَنه أُزيل عنها وجعلت تَتَوَلَّه، فقال لها: ما شأْنك أَيتها المرأَة؟ فهابته لحسن هيئته، وقالت: إِني فقدتُ مريضاً كان لي في هذا الموضع، ومعالم المكان قد تغيرت، وتأَمَّلته في أَثناءِ المقاولة[٤] فرأَت أَيوب، فقالت له: أَنت أَيوب؟ فقال لها: نعم، فاعتنقها وبكى.

فروي أَنه لم يُفارقها حتى أَراه الله تعالى جميع ماله حاضراً بين يديه.

واختلف الناسُ في أَهله وولده [الذين آتاه الله:

فقيل: كان ذلك كله في الدنيا، فردَّ الله عليه بصره وولده][٥] بأَعيانهم، وجعل مثلهم عدةً له في الآخرة.

وقيل: بل أُوتي جميع ذلك في الدنيا من أَهل ومال.

وقوله تعالى: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ أَي: وتذكرة وموعظة للمؤمنين، ولا يعبد

---

(١) في الإماراتية وأحمد٣ والحمزوية: «جماله».

(٢) في المطبوع ونور العثمانية: «لي».

(٣) أخرجه البخاري (٣٢١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٤) في المطبوع: «المقالة».

(٥) ليس في الأصل.

الله تعالى إِلَّا مؤمن، والذكرى إنما هي في محنته، والرحمة في زوال ذلك.

وقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ تقديره: بأَنِّي مَسَّني، فحذف الجار وبقيت ﴿أَنِّي﴾ في موضع نصب.

ورُوي: أَن سبب محنة أَيوب عليه السلام أَنه دخل مع قوم على مَلِك جارَ عليهم، فأَغلظ له القول، ولَيَّن له أَيوب القول خوفاً منه على ماله، فعاقبه الله على ذلك.

ورُوي: أَنه كان يقال له: ما لك لا تدعو في العافية؟[١] فكان يقول: إِني لأستحي من الله أَن أَسأَله زوال عذابه حتى يمرَّ علي فيه ما مرَّ من الرَّخاء، وأَصابه البلاءُ ـ فيما رُوي ـ وهو ابن ثمانين سنة[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

المعنى: واذكر إِسماعيل، وهو إِسماعيل بن إِبراهيم الخليل، وهو أَبو العرب المعروفين اليوم في قول بعضهم، وإِدْريسُ هو خنوخ[٣]، وهو أَول نبيٍّ بعث الله من بني آدم، ورُوي أَنه كان خيَّاطاً، وكان يسبح الله عند [إِدخال الإِبرة][٤]، ويحمده عند إِخراجها.

[٤/ ٥٢] وذو الكفل كان نبيّاً، / [ورُوي: أَنه بُعث إِلى رجل واحد، وقيل: لم يكن نبيّاً][٥] ولكنه كان عبداً صالحاً.

ورُوي: أَن الْيَسَعَ جمع بني إِسرائيل فقال: من يتكفَّل لي بصيام النهار، وقيام اللَّيل، وأَلَّا يغضب، وأُوليه النظر للعباد بعدي؟ فقام إِليه شاب فقال: أَنا لك بذلك،

---

(١) في لالاليه: «العاقبة».

(٢) الهداية لمكي (٧/ ٤٧٩٦).

(٣) في نور العثمانية: «اخنوخ».

(٤) في نور العثمانية: «كل خيط يدخله في الإبرة».

(٥) ليس في لالاليه.

فراجعه ثلاثاً في ذلك يقول: أَنا لك بذلك، فاستعمله، فلمَّا مات الْيَسَعُ قام بالأَمر فجاءَ إِبليس ليغضبه ـ وكان لا ينام إِلَّا في القائلة ـ فكان يأْتيه وقت القائلة أَياماً فيوقظه ويشتكي ظلامته، ويقصد تضييق صدره، فلم يضق به صدراً، ومضى معه لينصفه بنفسه، فلمَّا رأَى إِبليس ذلك غلس[1] عنه، وكفاه الله شرَّه، وسُمِّي ذَا الْكِفْلِ؛ لأَنه تكفَّل بأَمر فوفَّى به[2].

وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

التقدير: واذكر ذا النون، والنون: الحوت، وصاحبه يونس بن متَّى عليه السلام، ونسب إِلى الحوت الذي التقمه على الحالة التي يأْتي ذكرها في موضعها الذي تقتضيه، وهو نبي أَهل نينوى، وهذا هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «مَنْ قال: أَنا خير من يونس بن مَتَّى فقد كذب»[3]، وفي حديث آخر: «لا ينبغي لِأحد أَن يقول: أَنا خير من يونس بن متَّى»[4].

وهذا الحديث وقوله: «لا تفضِّلوني على موسى»[5] يتوهم أَنهما يعارضان قوله عليه السلام على الـمِنْبر: «أَنا سَيِّد ولد آدم ولا فخر»[6]، والانفصال عن هذا بوجهين:

---

(١) في المطبوع ونور العثمانية: «أَبلَس»، وفي لالاليه والإماراتية والحمزوية: «انملس».

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٥٠٨، ٥٠٩)، وتفسير السمعاني (٣/ ٤٠١)، والهداية لمكي (٧/ ٤٧٩٨، ٤٧٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٢٧) من حديث أَبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢١٥)، ومسلم (٢٣٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، به.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٢٨٠)، ومسلم (٢٣٣٧) من حديث أَبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٦) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أَبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، بلفظ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» الحديث.

أحدهما: ذَكَرَهُ الناس وهو أَن يكون قوله: «أَنا سيِّد ولد آدم» يتأَخَّر في التاريخ، وأَنها منزلة أَعلمه الله تعالى بها لم يكن عَلِمَهَا وقتَ تلك المقالات الأُخر.

والوجه الثاني: ـ وهو عندي أَجرى مع حال النبي ﷺ ـ أَنه إِنما نهى عن التفضيل بين شخصين مذكورين وذهب مذهب التواضع ولم يزل سيِّد ولد آدم، ولكنه نهى أَن يفضَّل على موسى كراهة أَن تغضب لذلك اليهود فيزيد نفارها عن الإِيمان، وسبب الحديث يقتضي هذا، وذلك أَن يهوديّاً قال: لا والذي فضل موسى على العالمين، فقال له رجل من الأَنصار: أَتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أَظْهُرنا؟ ولطمه فسرى الأَمر وارتفع إِلى النبي ﷺ، فنهى عن تفضيله عن موسى[1].

و[نَهى ﷺ][2] عن تفضيله على يونس لئلا يظن أَحد بيونس عليه السلام نقصَ فضيلةٍ بسبب ما وقع له.

فنهيه ﷺ عن التفضيل على شخص معيَّن، وقوله ﷺ في حديث ثالث: «لا تفضِّلوا بين الأَنبياء»[3]، هذا كله مع قوله: «أَنا سيِّد ولد آدم ولا فخر»، وإِطلاق الفضل له دون اقتران بأَحدٍ بيِّنٌ صحيح، وتأَمل هذا فإِنه يلوح[4]، فقد قال عمر رضي الله عنه للحطيئة: امدح ممدوحك، ولا تفضِّل بعض الناس على بعض[5].

قال القاضي أَبو محمد: ولفظة «سيِّد» ولفظة «خير» سيان[6]، وهذا مبدأُ جَمْع آخر بين الأَحاديث يُذهب ما يُظَنُّ من التعارض.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٢٨٠)، ومسلم (٢٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به، وقد تقدم قبل الأثر السابق.

(٢) ليس في لالاليه.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٢٨١)، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٤) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٥٣٥-٥٣٦).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) في الأصل والإماراتية وأحمد٣: «شيآن».

وقوله: ﴿مُغَٰضِبٗا﴾، قيل: إِنه غاضب قومه حين طال عليه أَمرهم وتعنتهم فذهب فارّاً بنفسه، وقد كان الله تعالى أَمره بملازمتهم والصبر على دعائهم، فكان ذنبه في مخالفة هذا الأَمر.

ورُوي: أَنه كان شابّاً ولم يحتمل أَثقال النُّبوَّة، وتفسَّخ تحتها كما يتفسخ الرُّبَع تحت الحمل[١]، ولهذا قيل للنبي ﷺ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]، أَي: فاصبر ودم على الشقاء بقومك[٢].

وقالت فرقة: إِنما غاضب الملِك الذي كان على قومه.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا نحو من الأَول فيما يلحق منه يونس.

وقال الحسن بن أَبي الحسن وغيره: إِنما ذهب مغاضباً ربَّه، واستفزَّه إِبليس[٣].

ورَوَوْا في ذلك أَن يونس لمَّا طال عليه أَمر قومه طلب من الله عذابهم، فقيل له: إِنَّ العذاب يجيئهم يوم كذا، فأَخبرهم يونس بذلك، فقالوا: إِن رحل عنَّا فالعذاب نازل، وإِن أَقام بيننا لم نبالِ، فلمَّا كان سحر ذلك اليوم قام يونس فرحل فأَيقنوا بالعذاب فخرجوا بأَجمعهم إِلى البَرَازِ، وفرَّقوا بين صغار البهائم وأُمهاتها، وتضرعوا وتابوا فرفع الله عنهم العذاب، وبقي يونس في موضعه الذي خرج إِليه ينتظر الخبر، فلمَّا عرف أَنهم لم يُعذَّبوا ساءَه أَن عدُّوه[٤] كاذباً، وقال: والله لا انصرفت إِليهم أَبداً.

ورُوي: أَنه كان من دينهم قتل الكذّاب، فغضب حينئذ على ربه، وخرج على وجهه حتى دخل في سفينة في البحر[٥].

---

(١) الربع: الفصيل إذا ولد في الربيع وكان أول النتاج، وانظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٩).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٥١٣).

(٣) مثله في تفسير الطبري (١٨/ ٥١٢) لكن: عن سعيد بن أبي الحسن، وهو أخو الحسن.

(٤) في لالاليه: «وعده».

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٥١٣).

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا القول من الضعف ما لا خفاءَ به مما لا يتَّصف به نبي.

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾:

فقالت فرقة: استزله[١] إِبليس ووقع في ظنِّه إِمكان أَن لن يقدر الله عليه بمعاقبة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قولٌ مردود.

وقالت فرقة: [معناه: ظن أن لن نقدر عليه؛ أي:][٢] أَن لن نُضَيِّق عليه في مذهبه، من قوله تعالى: ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ [الإسراء: ٣٠].

وقالت فرقة: هو من القَدَر؛ أَي: ظن أَن لن يقدر[٣] الله عليه بعقوبة.

وقالت فرقة: الكلام بمعنى الاستفهام، أَي: أَفظن أَنْ لن يقدر الله عليه؟

وحكى منذر بن سعيد أَن بعضهم قرأَ: (أَفَظَنَّ) بالأَلف[٤].

وقرأَ الزهري: (نُقَدِّرَ) بضم النون وفتح القاف وشد الدال[٥].

وقرأَ الحسن: (فَظَنَّ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ)[٦]، وعنه أَيضاً: (نقدر)[٧].

---

(١) في نجيبويه والمطبوع والإماراتية والحمزوية: «استفزه».

(٢) ليس في الأصل، وفي أحمد٣ ولالاليه: معناه: «ظن أن لن نضيق».

(٣) في المطبوع: «يقضي».

(٤) وهي شاذة، نقلها عنه القرطبي في تفسيره (١١/ ٣٣٢)، ونقل هذا القول في تفسير الطبري (١٨/ ٥١٥) عن ابن زيد تفسيراً.

(٥) وهي شاذة نقلها عنه وعن عمر بن عبد العزيز في تفسير الثعلبي (٦/ ٣٠٢)، وانظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣١٩).

(٦) إن كانت بضم الياء وفتح الدال فهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٢٤)، وعزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٣١٩) له وللحسن، وإن كانت بفتح الياء وكسر الدال فشاذة، وهذا ظاهر إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٥٥)، وعزاها أيضاً له الكرماني.

(٧) إن كانت بتخفيف الدال فهي قراءة الجمهور، وإن كانت بتشديدها فهي المتقدمة للزهري، ولم أجد من عزاها للحسن.

وبعد هذا الكلام حذف كثير اقتضب لبيانه في غير هذه الآية، المعنى: فدخل البحر وكذا وكذا[1] حتى التقمه الحوت وصار في ظُلْمة جوفه.

واختلف الناس في جمع الظُّلُمات ما المراد به؟:

فقالت فرقة: ظلمة اللَّيل، وظلمة البحر، وظلمة الحوت.

وقالت فرقة: ظلمة البحر، وظلمةُ حوتٍ التقمَ الحوتَ الأَولَ، وظلمةُ الحوتِ الأَولِ الذي التقم يونس.

قال القاضي أَبو محمد: ويصح أَن يعبَّر بالظلمات عن جوف[2] الحوت الأَول فقط، كما قال: ﴿في غَيَابَاتِ الجُبِّ﴾، وفي كل جهاته ظُلْمة فَجَمعها سائغ.

ورُوي: أَن يونس عليه السلام سجد في جوف الحوت حين سمع تسبيح الحيتان وفي قعر البحر، ثم قال في دعائه: اللهم إِني قد اتَّخذت لك مسجداً في موضع / لم [٤/ ٥٣] يتَّخذه أَحد قبلي[3].

و﴿أَن﴾ مفسِّرة نحو قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱمْشُواْ﴾ [ص: ٦]، وفي هذا نظر.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ يريد فيما خالف فيه من ترك مداومة قومه والصبر عليهم، هذا أَحسن الوجوه، وقد تقدم ذِكْر غيره، فاستجاب الله تعالى له وأخرجه إِلى البرِّ، وَوَصْفُ هذا يأْتي في موضعه.

و﴿ٱلْغَمِّ﴾ ما كان ناله حين التقمه الحوت.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿نُنَجِّي﴾ بنونين الثانية ساكنة، وقرأَ عاصم في رواية أَبي بكر: ﴿نُجِّي﴾ بنون واحدة مضمومة وشد الجيم، ورويت عن أَبي عمرو[4].

---

(١) سقطت وكذا من الأصل.

(٢) في أحمد٣: «حوت».

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٥١٨) من قول عوف الأعرابي.

(٤) وهما سبعيتان، والثانية لشبعة وابن عامر كما في التيسير (ص: ١٥٥)، ونقل الثانية في السبعة (ص: ٤٣٠) عن عبيد عن أبى عمرو، ونقلها في جامع البيان (٣/ ١٣٧٢) عن الكسائي في رواية أبي موسى الشيرازي، وليسا من طرق التيسير ولا النشر.

وقرأَت فرقة: (نُنَجِّي) بنونين الأُولى مضمومة والثانية مفتوحة والجيم مشددة[١].

فأَمَّا القراءة الأُولى والثالثة فبَيِّـنَـتَان، والأُولى فعلها معدى بالهمزة، والأُخرى بالتضعيف.

وأَمَّا القراءة الوسطى التي هي بنون واحدة مضمومة وجيم مشددة وياءٍ ساكنة فقال أَبو علي: لا وجه لها، وإِنما هي وهم من السامع، وذلك أَن عاصماً قرأَ: ﴿نُنَجِّى﴾ والنون الثانية لا يجوز إِظهارها؛ لأَنها تخفى مع هذه الحروف، يعني الجيم وما جرى مجراها، فجاءَ الإِخفاءُ يشبهها بالإِدغام، ويمتنع أَن يكون الأَصل (ننجي) ثم يدعو اجتماع النونين إِلى إِدغام إِحداهما في الجيم؛ لأَن اجتماع المثلين إِنما يدعو إِلى ذلك إِذا كانت الحركة فيهما متفقة، ويمتنع أَن يكون الأَصل «ننجي» وتسكن الياءُ ويكون المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله المصدر، كأَنه قال: (نُجِّيَ) النجاءُ المؤمنين؛ لأَن هذه لا تجيءُ إِلَّا في ضرورة، وليست في كتاب الله تعالى، والشاهد فيها قول الشاعر:

[الوافر] وَلَـوْ وَلَـدَتْ قُفَيْـرَةُ جَـرْوَ كَلْـبٍ لَسُـبَّ بِذَلِـكَ الْجَـرْوِ الْكِلَابَا[٢]

وأَيضاً فإِن الفعل الذي بني للمفعول إِذا كان ماضياً لم يسكن آخره[٣].

قال القاضي أَبو محمد: والمصاحف فيها نون واحدة كتبت كذلك من حيث النون الثانية مخفاة[٤].

---

(١) وهي شاذة، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: **٩٥**) للجحدري وحده، وفي الشواذ للكرماني (ص: **٣٢٠**) للأعرج وعمرو بن فائد.

(٢) البيت لجرير، كما في خزانة الأدب (**١/ ٣٣٠**)، وهو في تفسير الثعلبي (**٦/ ٣٠٤**)، وإعراب القرآن للنحاس (**٤/ ١٤٤**)، والحجة لابن خالويه (ص: **٢٥٠**)، والخصائص (**١/ ٣٩٧**) بلا نسبة، وقُفَيْـرَة على وزن جهينة هي أُم الفرزدق.

(٣) انظر: الحجة للفارسي (**٥/ ٢٥٩-٢٦٠**).

(٤) انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني (ص: **٢٧**)، وفي الشواذ للكرماني (ص: **٣٢٠**) أنها في مصحف أبي بنونين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

تقدَّم أَمر زكريَّا عليه السلام في سورة مريم، و«إِصلاح الزوجة»، قيل: بأَن جعلها ممن[1] تحمل وهي عاقر قاعد، فحاضت وحملت، وهذا هو الذي يشبه الآية، وقيل: بأَن أُزيل بذاءٌ كان في لسانها.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف، وعموم اللَّفظة يتناول كلَّ وجوه الإِصلاح.

وقرأَت فرقة: ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾، وقرأَت فرقة: (وَيَدعُونَا)[2].

وقرأَت فرقة: ﴿رَغَبًا﴾ بفتح الراءِ والغين، و﴿وَرَهَبًا﴾ كذلك.

وقرأَت فرقة بضم الراءِ فيهما وبسكون الغَيْن والهاءِ.

وقرأَت فرقة: بفتح الراءِ فيهما وبسكون الغَيْن والهاءِ[3].

والمعنى: أَنهم يدعون في وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجاءٍ ورهبة وخوف في حال واحدةٍ؛ لأَن الرَّغبة والرَّهبة متلازمتان.

وقال بعض الناس: الرغب أَن ترفع بطون الأَكُفِّ نحو السماء، والرهب أَن ترفع ظهورهما.

قال القاضي أَبو محمد: وتلخيص هذا أَن عادة كل داع من البشر أَن يستعين بيديه، فالرَّغب ـ من حيث هو طلب ـ يحسن معه أَن يوجه[4] باطن الراح نحو المطلوب

(١) ليست في المطبوع.

(٢) وهي شاذة، نقلها في تفسير القرطبي (١١/ ٣٣٧) عن ابن مصرف، وهي في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٠) عن أبي عمرو وعن ابن محيصن وطلحة بالإدغام، وظاهر البحر المحيط (٧/ ٤٦٣) أنهما قراءتان، ولم ينسب قراءة التخفيف لأحد.

(٣) وهما شاذتان، عزا الأولى في مختصر الشواذ (ص: ٩٥)، وهي في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٠) للأعمش وابن وثاب ووهب بن عمرو النمري، والثانية للأعمش، وزاد له ثالثاً بضم الهاء والغين مع ضم الراءين.

(٤) في نجيبويه والمطبوع: «يوسع».

منه؛ إِذ هي[(١)] موضع الإعطاء، وبها يتملَّك، والرَّهَب من حيث هو دفع مضرَّة يحسن معه طرح ذلك، والإِشارة إِلى إذهابه وتَوَقِّيه بنفض اليدين ونحوه.

و«الْـخُشُوعُ»: التذلُّل بالبدن المتركِّبُ[(٢)] على التذلُّل بالقلب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

المعنى: واذكر الَّتِي أَحْصَنَتْ [فرجها][(٣)]، وهي مريم بنتُ عمران أُمُّ عيسى، و«الْفَرْجُ» ـ فيما قال الجمهور، وهو ظاهر القرآن ـ: الجارحة المعروفة، وفي إِحصانها هو المدح.

وقالت فرقة: الفَرْج هنا فَرْجُ ثوبها الذي منه نفخ المَلَك، وهذا ضعيف.

وأَمَّا نفخ الولد فيها فقال كثير من العلماءِ: إِنما نفخ الروح[(٤)] في[(٥)] جيب درعها، وأَضاف الروح إِضافة المِلْك إِلى المَالك.

و(ابنها): عيسى ابن مريم عليه السلام، وأَراد تعالى أَنه جعل مجموع قصة عيسى وقصة مريم من أَولها إِلى آخرها آيةً لمن اعتبر في ذلك، و﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ يريد: لمن عاصره[(٦)] فما بعد ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾ يحتمل الكلام أَن يكونَ مُنْقَطِعاً خطاباً

(١) في نجيبويه والمطبوع: «هو».

(٢) في أحمد٣: «المركب».

(٣) ليس في الأصل ونور العثمانية ولالاليه.

(٤) من نجيبويه.

(٥) في أحمد٣ والإماراتية والمطبوع والحمزوية: «من».

(٦) في أحمد٣ والمطبوع ولالاليه: «عاصر».

لمعاصري محمد ﷺ، ثم أَخبر عن الناس أَنهم تقطعوا، ثم وَعَدَ وأَوْعَدَ.

ويحتمل أَن يكون متصلاً، أَي: جعلنا مريم وابنها آية للعالمين بأَن بُعِثَ لهم بملَّة وكتاب، وقيل لهم: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾، أَي: دعا الجميع إِلى الإِيمان بالله تبارك وتعالى وعبادته.

ثم أَخبر تعالى أنهم بعد ذلك اختلفوا وتقطعوا أَمرهم، ثم فرَّق بين المحسن والمسيء؛ فذكَّر المحسن بالوعد، أَي: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: وَهُوَ مُؤْمِنٌ فهو بسعيه مجازى، وذكَّر المسيءَ بالوعيد في قوله: ﴿وَحَرَٰمٌ.. الآية﴾، فتأَمل الوعيد فيها على كل قول تذكره فإِنه بيِّن، و«الْكُفْرَانُ»: مصدرٌ كالكفر، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]

رَأَيْتُ أُناساً لَا تَنَامُ خُدُودُهُم وَخَدِّي وَلَا كُفْرَانَ للَّهِ نَائِم[1]

واختلف القراءُ في قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾:

فقرأَ عكرمة وغيره: (وَحَرِمٌ) بفتح الحاءِ وكسر الراءِ.

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾.

وقرأَ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿وَحِرْمٌ﴾ بكسر الحاءِ وسكون الراءِ[2].

وقرأَ ابن عباس بخلاف عنه: (وَحَرْمٌ) بفتح الحاءِ وسكون الراءِ.

وقرأَت فرقة: (وَحَرَّمَ) بفتح الحاءِ والراءِ وشدِّ الراءِ.

وقرأَت فرقة: (وَحُرِّمَ) بضم الحاءِ وكسر الراءِ وشدها.

---

(١) ورد هذا البيت في تفسير الطبري (١٨/ ٥٢٤)، واللباب لابن عادل (١٣/ ٥٩٣)، بلا نسبة.

(٢) القراءتان الثانية والثالثة سبعيتان، ولكن وقع قلب في النقل عن عاصم، فشعبة هو الذي وافق حمزة والكسائي، وحفص وافق الجمهور، انظر: التيسير (ص: ١٥٥)، والسبعة (ص: ٤٣١).

وقرأ قتادة، ومطر الوراق: (وَحَرُمَ) بفتح الحاءِ وضم الراءِ[١].

والمستفيض من هذه القراءات قراءة من قرأ: ﴿وَحِـرْمٌ﴾، وقراءَة من قرأَ: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾، وهما مصدران / نحو الحِلّ وَالحَلال. [٤/ ٥٤]

وأَمَّا معنى الآية: فقالت فرقة: حرامٌ وحِرْمٌ معناه: جَزْمٌ وحَتْم، فالمعنى: وحتم على قرية أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُون إِلى الدنيا فيتوبون ويستعتبون، بل هم صائرون إِلى العقاب.

وقال بعض هذه الفرقة: «الإِهْلاكُ» هو بالطَّبع على القلوب ونحوه، و«الرُّجُوعُ» هو إِلى التوبة والإِيمان.

وقالت فرقة: المعنى: وحَرَامٌ، أَي: ممتنعٌ ـ وحِرْمٌ كذلك ـ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ، وقالوا: ﴿لَا﴾ زائدة[٢] في الكلام.

واختلفوا في الإِهلاك والرجوع بحسب القولين المذكورين:

قال أَبو علي: يحتمل أَن يرتفع ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ بالابتداءِ، والخبر رجوعهم، و﴿لَا﴾ زائدة، ويحتمل أَن يرتفع ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ على خبر الابتداء، كأَنه قال: والإِقالة والتوبة حرام، ثم يكون التقدير بأَنهم لا يرجعون[٣]، فتكون ﴿لَا﴾ على بابها، كأَنه قال: هذا عليهم ممتنعٌ بسبب كذا، فالتحريم[٤] في الآية بالجملة ليس كتحريم الشرع الذي إِن شاءَ المنهيُّ عنه ركبه.

قال القاضي أَبو محمد: ويتَّجه في الآية معنى ضمنه وعيدٌ بيِّن، وذلك أَنه ذكر من عمل صالحاً وهو مؤمن، ثم عاد إِلى ذكر الكفرة الذين من كفرهم ومعتقدهم أَنهم لا

(١) هذه سبع قراءات تقدم أن الثانية والثالثة منها سبعيتان، والبواقي شواذ، انظر عزو الأولى والرابعة والسابعة في المحتسب (٢/ ٦٥)، وعزا الكرماني في الشواذ (ص: ٣٢١) الخامسة لقتادة ومطر، والسادسة لعكرمة وابن السميفع.

(٢) في المطبوع: «زيادة».

(٣) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٦١)، وسقط الاحتمال الأول من لالاليه.

(٤) في المطبوع: «فقال تحريم»، وفيه تحريف ظاهر.

يُحشرون إِلى ربٍّ، ولا يرجعون إِلى مَعَادٍ، فهم يظنون بذلك أَنه لا عقاب ينالهم، فجاءَت الآية مكذِّبة لظن هؤلاء، أَي: مُمْتَنِعٌ على الكفرة المهلَكين أَنهم لا يرجعون، بل هم راجعون إِلى عقاب الله وأَليم عذابه، فتكون ﴿لَا﴾ على بابها، والحرام على بابه، وكذلك الحِرْم فتأَمله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾.

تحتمل ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ في هذه الآية أَن تكون متعلِّقة بقوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾، وتحتمل على بعض التأْويلات المتقدمة أَن تتعلَّق بـ﴿يَرۡجِعُونَ ﴾، وتحتمل أَن تكون حرف ابتداءٍ، وهو الأَظهر بسبب ﴿إِذَا﴾؛ لأَنها تقتضي جواباً وهو المقصود ذكْره.

واختلف هنا في الجواب:

فقالت فرقة: الجواب قوله: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ﴾، والواو زائدة.

وقالت فرقة ـ منها الزجاج وغيره ـ: الجواب في قوله تعالى: ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾، والتقدير: قالوا يا ويلنا، وليست الواو بزائدة[1].

والذي أَقول: إِن الجواب في قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ ﴾ وهذا هو المعنى الذي قُصد ذكره؛ لأَنه رجوعهم الذي كانوا يكذبون به وحُرِّم عليهم امتناعه.

وقرأَ الجمهور: ﴿فُتِحَتۡ﴾ بتخفيف التاءِ، وقرأَ ابن عامر وحده: ﴿فُتِّحَتْ﴾ بتثقيلها[2].

ورُوي: أَن يأْجُوج ومأْجوج يشرفون في كل يوم على الفتح فيقولون: غداً يُفتح، ولا يردُّون المشيئة إِلى الله تعالى، فإِذا كان الغَدُ وجدوا الرَّدْمَ كأَوله، حتى إِذا أَذِنَ الله

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٠٥).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٢)، والسبعة (ص: ٤٣١).

في فتحه قال قائلهم: غداً نفتحه إِن شاءَ الله، فيجدونه كما تركوه قريب الانفتاح فيفتحونه حينئذ[١].

وقرأ عاصم وحده: ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمزة، وقرأ الجمهور بالتسهيل[٢].

وقد تقدم في سورة الكهف توجيه ذلك وكثيرٌ من حال يَأْجُوج وَمَأْجُوج فغنينا هنا عن إِعادة ذلك.

و«الحدب»: كلُّ مُسَنَّم من الأَرض كالجبل والظَّرِب والكُدْية والقَبر ونحوه.

وقالت فرقة: المراد بقوله: ﴿وَهُم﴾ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، يعني أَنهم يطلعون من كل ثنيَّة ومرتفع ويَعُمُّون الأَرض، وذلك أَنهم من الكثرة بحيث قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى يوم القيامة لآدم[٣] أَخرج بعث النار من ذرِّيتك، فيخرج من كل أَلف تسع مئة وتسعة وتسعين» قال: ففزع الناسُ، فقال رسول الله ﷺ: «إِن منكم رجلاً، ومن يأْجوج ومأْجوج أَلف رجل»[٤].

ويروى: أَن الرجل منهم لا يموت حتى يولد له أَلف ولد بين رجل وامرأَة[٥].

---

(١) الصحيح موقوف على أبي هريرة، وكأنه إسرائيلي، الحديث أخرجه الإمام أحمد (١٦/ ٣٦٩)، والترمذي (٣٤١٩)، وابن ماجه (٤٠٨٠) من طريق قتادة، قال: حدثنا أبو رافع، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا السند، وإن كان ظاهره الصحة، إلا أن في رفعه نكارة، كما نص عليه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ١٩٨) في سياق تفسيره لسورة الكهف، وقد جاء الحديث من وجه آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولكنه موقوف عليه من قوله، رواه عبد بن حميد ـ كما في فتح الباري ١٣/ ١٠٩ ـ، من طريق عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، من قوله به.

(٢) المراد بالتسهيل إبدال الهمز حرف مد، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٣١)، والتيسير (ص: ١٤٥).

(٣) في المطبوع: «يا آدم».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٧٠)، ومسلم (٣٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ١١١)، والهداية لمكي (٧/ ٤٨١٤)

وقالت فرقة: المراد بقوله: ﴿وَهُم﴾ جميع العالم، وإنما هو تعريف بالبعث من القبور.

وقرأ ابن مسعود: (من كلِّ جَدَثٍ)[١]، وهذه القراءة تؤيد هذا التأويل.

و﴿يَنسِلُونَ﴾ معناه: يُسرعون في تطامن، ومنه قول الشاعر:

عَسَلانَ الذِّئْبِ أَمْسَى قَارِباً ... بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلْ[٢] [الرمل]

وقرأت فرقة بكسر السين، وقرأت فرقة بضمها[٣].

وأسند الطبري عن أبي سعيد قال: يخرج يأْجوج ومأْجوج فلا يتركون أحداً إلاَّ قتلوه إلاَّ أهل الحصون، فيمرون على بحيرة طبرية، فيمر آخرهم[٤] فيقول: كان هاهنا ماءٌ، فيبعث الله عليهم النَّغفَ حتى تكسر أعناقهم، فيقول أهل الحصون: لقد هَلَك أعداءُ الله، فيدلُّون رجلاً ينظر فيجدهم قد هلكوا، قال: فينزل الله تعالى ماءً من السماءِ فيقذف بهم في البحر فيطهر الأرض منهم[٥].

وفي حديث حذيفة نحو هذا، وفي آخره: قال: «وعند ذلك طلوع الشمس من مغربها»[٦].

---

(١) انظر: المحتسب (٢/ ٦٥).

(٢) البيت للبيد، كما في الكامل للمبرد (١/ ٢٨٩)، والمحكم (١/ ٤٨٦)، وعزاه في مجاز القرآن (٢/ ٤٢)، والصحاح الجوهري (٥/ ٤٣) للنابغة الجعديّ، وعَسَل الذئب مضى مسرعاً واضطرب في عدوه، والقاربُ: الذي يسير ليلاً في طلب الماءِ ويكون مسرعاً.

(٣) الأولى هي المتواترة، والثانية شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٥) لابن أبي إسحاق، وزاد الكرماني (ص: ٣٢١) أبا السمال.

(٤) في المطبوع: «أحدهم».

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٥٢٨) من طريق عطية العوفي، عن أبي سعيد، به، والعوفي ضعيف الحديث، مدلس، وقد عنعنه، وهو يروي عن الكلبي، ويكنيه بأبي سعيد، إيهاماً أنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٥٢٦) قال: حدثني عصام بن رواد بن الجراح، عن أبيه، عن الثوري، عن منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه مرفوعاً، به، =

ورُوي: أَن ابن عباس رأَى صبياناً يلعبون ويَنْزو بعضهم على بعض فقال: هكذا خروج يأْجوج ومأْجوج[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ يريد يوم القيامة، وروي في الحديث «إِن الرجل ليتخذ الفلو من بعد يأْجوج ومأْجوج، فلا يبلغ منفعته حتى تقوم الساعة»[٢].

وقوله تعالى: ﴿هِيَ﴾ مذهب سيبويه أَنها ضمير القصة، كأَنه قال: فإِذا القصة أَو الحادثة شاخِصَةٌ أَبْصار، وجوَّز الفراءُ أَن تكون ضمير الأَبصار تقدمت لدلالة الكلام، ويجيءُ ما يفسِّرها[٣]، وأَنشد على ذلك:

[الطويل] فلا وَأَبِـيـهَـا لَا تَـقُولُ خَـلِيلَـتِي ... أَلا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بنُ أَبِي كَعْبِ[٤]

و«الشخوص بالعين»: إِحْدادُ النَّظر دون أَن يطرف، وذلك يعتري من الخوف الـمُفْرط أَو علَّة أَو نحوه.

وقوله: ﴿يَـٰوَيۡلَنَا﴾ تقديره: يا ويلنا لقد كانت بنا غفلة عمَّا وجدنا وتبيَّنَّا الآن من الحقائق، ثم تركوا الكلام الأَول ورجعوا إِلى نقد ما كان يُداخلهم من تعمُّد الكفر وقصد الإِعراض فقالوا: ﴿بَلۡ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾.

= وعصام بن رواد، تناوله الذهبي في الميزان (٣/ ٦٦) وقال: ليَّنه أبو أحمد الحاكم، وأما أبوه رواد ابن الجراح، فقد ضعفوا حديثه عن سفيان الثوري، انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٢٢٧).

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٢٨) من طريق شعبة، عن عبيد الله بن أبي يزيد قال: رأى ابن عباس صبياناً... وهذا إسناد صحيح، لو كان عبيد الله حضر الوقعة.

(٢) ضعيف جدّاً، الحديث أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٢٧) من طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً به، ونوح بن أبي مريم، متروك الحديث.

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٢).

(٤) البيت لمالك بن أبي كعب بن القين الخزرجي أحد بني سلمة كما في الأغاني (١/ ٥٠)، وهو في الطبري (١٨/ ٥٣٣) بلا نسبة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

هذه مخاطبة لكفار مكة، أَي: إِنكم وأَصنامكم حصب جهنم، و«الْحَصبُ»: ما توقد به / النار، إِمَّا لأَنها تُحصب به أَي تُرْمى، وإِمَّا أَن تكون لغة في الحطب إِذا رمي، [٤/ ٥٥] وأَما قبل أَن يُرْمى فلا يُسمَّى حصباً إِلَّا بتجوُّز.

وقرأَ الجمهور: ﴿حَصَبُ﴾ بالصاد مفتوحة، وسكَّنها ابن السَّمَيفع؛ وذلك على إِيقاع المصدر موقع اسم المفعول.

وقرأَ علي بن أَبي طالب، وأُبي بن كعب، وعائشة، وابن الزُّبير: (حَطَبُ جَهَنَّمَ) بالطَّاءِ.

وقرأَ ابن عباس: (حَضَبُ جَهَنَّمَ) بالضاد منقوطة مفتوحة، وسكَّنها كثيّر عزة[١].

والحَضَبُ[٢]: أَيضاً ما يُرمى به في النار لتوقد به، والمِحْضَبُ: العُودُ الذي تُحَرَّك به النار أَو الحديدة ونحوه، ومنه قول الأَعشى:

فَلَا تَكُ فِي حَرْبِنَا مِحْضَباً لِتَجْعَلَ قَوْمَكَ شَتَّى شُعُوبَا[٣] [المتقارب]

وقوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ يريد الأَصنام، وحرقها في النار على جهة التوبيخ لعابدها، ومن حيث تقع (ما) لمن يعقل في بعض المواضع اعترض في هذه الآية عبد الله ابن الزِّبَعْرى على رسول الله ﷺ فقال: إِن عيسى وعُزَيراً ونحوهما قد عُبدا[٤] من دون الله

---

(١) في المطبوع والإماراتية: «كثير غيره»، وهذه أربع قراءات شاذة، انظر عزوها لأصحابها في المحتسب (٢/ ٦٦).

(٢) في لالاليه: الحصب وكذلك المحصب.

(٣) البيت للأعشى كما في العين للخليل (٣/ ١٠٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٦٦)، ومعجم المقاييس لابن فارس (٢/ ٧٥).

(٤) في الأصل: «عبدوا».

فيلزم أَن يكونوا حصباً لجهنم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ﴾ [الأنبياء: ١٠١]... الآية[١].

ثم قرَّر الأَمر بالإِشارة إِلى الأَصنام التي أَراها في قوله: ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾ فقال: ﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ﴾، وعبَّر عن الأَصنام بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من حيث هي عندهم بحال من يعقل، و«الوُرودُ» في هذه الآية: ورود الدخول.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾.

الضمير في: ﴿لَهُمۡ﴾ عائد على من يعقل ممَّن تُوُعِّد، و«الزَّفِيرُ»: صوتُ المعذَّب، وهو كشهيق الحمير وشبهه إِلَّا أَنه من الصدر.

وقوله: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ﴾ قالت فرقة: معناه: لا يسمعون خيراً ولا سارّاً من القول.

وقالت فرقة: إِن عذابهم أَن يُجعلوا في توابيت في داخل توابيت أُخر فيصيرون هنالك لا يسمعون شيئاً.

ولَمَّا اعترض ابن الزِّبَعْرى بأَمر عيسى بن مريم، وعُزَيْر نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ مُبَيِّنة أَن هؤلاء ليسوا تحت المراد؛ لأَنهم لم يرضوا ذلك، ولا دعَوا إِليه.

و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ يريد كلمة الرَّحْمة، والحَتْم بالتفضيل[٢].

---

(١) الأثر ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٩٥) من طريق أبي بكر بن عياش، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي رزين، عن ابن عباس رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وعاصم بن بهدلة، ضعفوه، ولا يحتج بما تفرد به، ولم أجد من تابعه، ورواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره (ابن كثير ٥/ ٣٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه كذلك، ولكن في إسناده: محمد بن علي بن سهل، ترجم له ابن عدي في كامله (٦/ ٢٩٦) وقال: ضعيف، ورواه الطبري (١٨/ ٥٣٩) من طريق محمد بن إسحاق، به معضلاً.

(٢) في المطبوع: «التفصيل».

و«الْحَسِيسُ»: الصوت، وهو بالجملة ما يتأَدَّى إِلى الحسِّ من حركة الأَجرام، وهذه صفةٌ لهم بعد دخولهم الجنة؛ لأَن الحديث يقتضي أَن في الموقف تزفر جهنم زفرة لا يبقى نبيٌّ ولا مَلَك إِلاَّ جثا على ركبتيه.

و﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ عامٌّ في كل هول يكون في يوم القيامة، فكأَن يوم القيامة بجملته هو الْفَزَعُ الْأَكْبَـرُ، وإِن خصص شيءٌ من ذلك فيجب أَن يقصد الأَعظم هوْله.

قالت فرقة في ذلك: هو ذبْح الموت.

وقالت فرقة: هو وقوع طبق جهنم على جهنم.

وقالت فرقة: هو الأمر بأَهل النار إِلى النار.

وقالت فرقة: هو وقت النفخة الآخرة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا وما قبله من الأَوقات أَشبه أَن يكون فيها الْفَزَعُ [لأَنها وقت][١] لترجم الظنون وتعرض الحوادث، فأَما وقت ذبح الموت ووقوع طبق جهنم[٢] فوقت قد حصل فيه أَهل الجنة في الجنة، فذلك فزع بيِّن أَنه لا يصيب أَحداً من أَهل الجنة فضلاً عن الأَنبياء، اللهم إِلَّا أَن يريد: لا يحزنهم الشيءُ الذي هو عند أَهل النار فزع أَكبر، فأَمَّا إِن كان فزعاً للجميع فلا بد مما قلنا من أَنه قبل دخول الجنة.

وقد ذهب بعض الناس إِلى أَن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ يعُمُّ كل مؤمن.

ورُوي عن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه أَنه قال: عثمان منهم[٣].

---

(١) ليس في نور العثمانية.

(٢) في الأصل ولالاليه ونور العثمانية: «ووقوع الطبق»، دون ذكر جهنم.

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (١٨/ ٥٣٨) من طريق شعبة، عن أبي بشر، عن يوسف بن سعد، عن محمد ابن حاطب، عن علي رضي الله عنه.

قال القاضي أَبو محمد: ولا مِرْيَة أَنها مع نزولها في خصوص مقصود تتناول كلَّ من سعد في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يريد بالسلام عليهم والتبشير لهم، أَي: هذا يومكم الذي وعدتم فيه الثواب والنعيم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

قرأَت فرقة: ﴿نَطْوِى﴾ بنون العظمة.

وقرأَت فرقة: (يَطْوِي) بياءٍ مفتوحة على معنى: يَطْوِي اللهُ تعالى.

وقرأَت فرقة: ﴿تُطْوَى﴾ بتاءٍ مضمومة وبرفع ﴿السَّمَاءُ﴾ على ما لم يُسَمَّ فاعله[(١)].

واختلف الناس في ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾:

فقالت فرقة: (السِّجِلّ): هو مَلَك يطوي الصحف.

وقالت فرقة: (السِّجل): رجل كان يكتب للنبي ﷺ[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كله وما شاكله ضعيف.

وقالت فرقة: (السِّجِلُّ): الصحيفة التي يكتب فيها، والمعنى: ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ أَي: كما يطوى السجل من أَجل الكتاب الذي فيه، فالمصدر مضاف إِلى المفعول، ويحتمل

---

(١) ثلاث قراءات، الأولى للسبعة وغيرهم، والثالثة عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٢٤)، والثانية شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٢٢) لمجاهد وشيبة.

(٢) ضعيف جدًّا، أخرجه أبو داود (٢٩٢٨)، والنسائي في الكبرى (١١٣٥) من طريق نوح بن قيس، عن يزيد ابن كعب، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف، يزيد بن كعب، هو: العوذي، تناوله الإمام الذهبي في الميزان (٤/ ٤٣٨) وقال بعد أن أورد حديثه هذا: لا يُدرى من ذا أصلاً، انفرد عنه نوح بن قيس الحداني، وقال ابن كثير في تفسيره (٥/ ٣٨٣): منكر جداً.

أَن يكون المصدر مضافاً إِلى الفاعل، أَي: كما يطوي السِّجِلُّ الكتاب الذي هو فيه، فكأَنه قال: يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كالهيئة التي فيها طيُّ السِّجِلِّ للكتاب، ففي التشبيه تجوُّز.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (السِّجْلِ) بشد السين وسكون الجيم وتخفيف اللام.

وفتح أَبو السَّمّال السِّين فقرأَها: (السَّجل).

وقرأَ أَبو زرعة بن عمرو بن جرير: (السُّجُلِّ) بضم السِّين وشدها وضم الجيم[1].

وقرأَ الجمهور: ﴿لِلْكِتَابِ﴾ وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿لِلْكُتُبِ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أَن يكون خبراً عن البعث، أَي: كما اخترعنا الخلق أَوَّلاً على غيرِ مثال كذلك نُنْشِئُهُم تارة أُخرى فنبعثهم من القبور.

والثاني: أَن يكون خبراً عن أَنَّ كل شخص يُبعث يوم القيامة على هيئته التي خرج بها إِلى الدنيا، ويؤيد هذا التأْويل أَن رسول الله ﷺ قال: «يُحشَرُ الناس يوم القيامة حفاةً عُراةً غُرْلاً، كما بدأْنا أَوَّل خَلْق نُعيده»[3].

والكاف في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ﴾ متعلِّقة بقوله: ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ تأْكيدٌ للأَمر، بمعنى أَن الأَمر واجب / فيه ذلك. [٤/ ٥٦]

وقالت فرقة: الزَّبُور: اسمٌ يعُمّ جميع الكُتب الـمُنَزَّلَة؛ لأَنه مأْخوذ من: زَبَرْتُ الكِتَابَ: إِذا كَتَبْتَهُ، قالت هذه الفرقة[4]: والذِّكْرُ أَراد به اللَّوح المحفوظ، وقال بعضهم: الذِّكر الذي في السماء.

---

(١) هذه ثلاث قراءات شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٦٦).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٥)، والسبعة (ص: ٤٣١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٧١)، ومسلم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً، به.

(٤) في المطبوع: «قالت فرقة».

وقالت فرقة: الزَّبُورُ هو اسم[1] زبور داود عليه السلام، والذِّكْر أَراد به التوراة، وقالت فرقة: الزَّبور ما بعد التوراة من الكُتب، والذِّكْر: التوراة.

وقرأ حمزة وحده: ﴿الزُّبور﴾ بضم الزاي[2].

وقالت فرقة: الأَرْضُ أَراد بها أَرض الدنيا، أَي: كل ما يناله المؤمنون من الأَرض.

وقالت فرقة: أَراد أَرض الجنة، واستشهدت بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤].

وقالت فرقة: إِنما أَراد بهذه الآية الإِخبارَ عمَّا كان صنعه مع بني إِسرائيل، أَي: فاعلموا أَنَّا كما[3] وَفَّيْنَا لهم بما وعدناهم، فكذلك نُنْجز لكم ما وعدناكم من النُّصرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

قالت فرقة: الإِشارة بقوله تعالى: ﴿فِى هَٰذَا﴾ إِلى هذه الآيات المتقدمة.

وقالت فرقة: الإِشارة إِلى القرآن بجملته، والعبادة تتضمن الإِيمان بالله تعالى.

وقوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ قالت فرقة: عمَّ العالمين وهو يُريد من آمن فقط، وذلك أَن النبي ﷺ ليس برحمة على من كفر به ومات على كفره.

وقالت فرقة: العالمون عامٌّ ورحمته للمؤمنين بَيِّنة، وهي للكافرين بأَن الله تعالى رفع عن الأُمم أَن يُصيبهم ما كان يصيب القرون قبلهم من أَنواع العذاب المستأْصِلة كالطوفان وغيره.

---

(١) «اسم» زيادة من الأصل، ليست في النسخ الأخرى.
(٢) والباقون بالفتح، فهما سبعيتان، كما تقدم في حرف النساء، وانظر: السبعة (ص: ٤٣١).
(٣) في المطبوع ونور العثمانية ولالاليه: «كُنَّا».

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل الكلام أَن يكون معناه: وما أَرسلناك للعالمين إِلَّا رحمةً، أَي: هو رحمة في نفسه وهدًى، أَخذ به مَنْ أَخذ، وأَعرض عنه مَنْ أَعرض.

وقوله تعالى: ﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ معناه: عرَّفتكم بنذارتي، وأَردت أَن تُشاركوني في معرفة ما عندي من الخوف عليكم من الله تعالى.

ثم أَعلمهم بأَنه لا يعرف تعيين وقت لعقابهم، بل هو مُتَرَقَّبٌ في القرب والبعد، وهذا أَهول وأَخوف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١١١) قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١١٢)﴾

الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائد على الله عزَّ وجلَّ، وفي هذه الآية تهديد، أَي: يعلم جميع الأَشياء الواقعة منكم، وهو بالمرصاد في الجزاءِ عليها.

وقرأَ يحيى بن عامر[١]: (وَإِنْ أَدْرِيَ لَعَلَّهُ)، (وَإِنْ أَدْرِيَ أَقَرِيبٌ) بفتح الياءِ فيهما، وأَنكر ابن مجاهد فتح هذه الياءِ، وَوَجَّهه أَبو الفتح.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُۥ﴾ الضمير فيه عائد على الإِملاء لهم، وصَفْح الله تعالى عن عذابهم، وتمادي النعمة عليهم، و﴿فِتْنَةٌ﴾ معناه: امتحانٌ وابتلاءٌ، و«الْمَتَاعُ»: ما يُستمتع به مدة الحياة الدنيا.

ثم أَمره تعالى أَن يقول على جهة الدعاءِ: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ والدعاء هنا بهذا فيه توعُّد، أَي: إِنَّ الحق إنما هو نصرتي عليكم، وأَمر الله تعالى له بهذا الدعاء دليل على الإِجابة والعِدَة بها.

---

(١) في أحمد٣: «بن يعمر»، وهي شاذة، عزاها لأيوب عن يحيى عن ابن عامر في المحتسب (٢/ ٦٨)، جامع البيان (٣/ ١٣٧٣)، وضعفها.

وقرأت فرقة: ﴿رَبِّ ٱحْكُمْ﴾، وقرأ أبوجعفر بن القعقاع: ﴿رَبُّ﴾ بالرَّفع على المنادى المفرد[(١)]، وقرأت فرقة: (رَبِّـي أَحْكَمُ) على وزن أَفْعَل، وذلك على الابتداءِ والخبر، وقرأت فرقة: (رَبِّي أَحْكَمَ) على أنه فعل ماض[(٢)]، ومعاني هذه القراءات بيِّنة.

ثم توكَّل في آخر الآية واستعان بالله تعالى.

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿قُلْ رَبِّ احْكُمْ﴾، وقرأ عاصم فيما رُوي عنه: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾[(٣)].

وقرأ ابن عامر وحده: ﴿عَلَى مَا يَصِفُونَ﴾ بالياءِ.

وقرأ الباقون والناس: ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ بالتاءِ من فوق على المخاطبة[(٤)].

كمل تفسير سورة الأَنبياء، والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

---

(١) الأولى للسبعة وغيرهم، والثانية عشرية لأبي جعفر، انظر: النشر (٢/ ٣٢٥).

(٢) وهما شاذتان، الأولى لابن عباس وعكرمة ويحيى بن يعمر والجحدري والضحاك وابن محيصن كما في المحتسب (٢/ ٧٠)، والثانية للجحدري كما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٣).

(٣) وهي رواية حفص فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٥٦)، والسبعة (ص: ٤٣١).

(٤) وهي المتواترة، والأولى لابن ذكوان من رواية التغلبي كما في السبعة (ص: ٤٣٢)، وجامع البيان (٣/ ١٣٧٤)، زاد عاصما في رواية المفضل، وليسا من طرق التيسير.